الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
– شعبة التاريخ –

العنوان:

دور النخبة الجزائرية بالمشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إعدادالطالب: هشام ذياب

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد الزين

أعضاء اللجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ الأحمر قادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس–	رئيسا
أ.د/ الزين محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس–	مشرفا ومقررا
أ.د/ لصر الدين لعوج	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليابس – سيدي بلعباس–	عضوا مناقشا
د/ بلحاج محمد	أستاذ محاضر " أ "	جامعة أحمد بن بلة – وهران–	عضوا مناقشا
د/ موساوي مجدوب	أستاذ محاضر " أ "	جامعة مولاي طاهر – سعيدة–	عضوا مناقشا
د/ سيدهم فاطمة الزهراء	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر–	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1440–1441هـ / 2019–2020م

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم
من العلم إلا قليلا ﴾

سورة الإسراء: الآية 85

الإهداء:

- إلـــــــى روح أخي المرحوم "خالد" وفاء لذكرى طفولة بريئة، وأخوة غالية جمعتنا حتى ريعان الشباب، وتحقيقا لحلم علمي ظلّ يراوده إلى أن رحل إلى جوار ربه.
- إلى الوالدين الكريمين، إقرارا بجميلهما اللاّمحدود.
- إلى زوجتي الوفية، سندي في السّراء والضّراء.
- إلى أبنائي: ميسون – إياد – آدم.
- إلى جميع أفراد العائلة.
- إلى كلّ أساتذتي الكرام، عرفانا لهم بثمرة الغرس الذي بذروه، ونبل المهمة، وشرف الرسالة.

❖ إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع ...

-ذياب هشـام-

شكر وامتنان:

"ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين". (النّمل 19).

الشكر لله والحمد له أولا، عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته.

ثم أشكر الأستاذ المشرف "أ.د/ محمد الزين" الذي لم يبخل عليّ بإسداء النّصح والإرشاد والتوجيه، والذي رعى هذا العمل مذ كان بذرة وتتبع نموه إلى أن أثمر، كما أشكره على الثقة الكبيرة التي منحني إياها في العمل بشيء من الحرية، وعدم تقييدي بالوقت، فله منّي فائق الإحترام والتقدير.

والشكر موصول لأعضاء اللجنة المناقشة المحترمين، الذين بذلوا جهدا في قراءة هذا البحث وما أبدوه من ملاحظات وتصويبات من شأنها أن تساهم في إثراء الموضوع وتوجّهه التّوجيه الحسن.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من أسهم في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد، فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

المختصرات الواردة في البحث:

أ – باللغة العربية:

الح.ع.I: الحرب العالمية الأولى.

د.ت: دون تاريخ.

د.ط: دون طبعة.

د.غ.إ: دار الغرب الإسلامي.

د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية.

ط.خ: طبعة خاصة.

مج: مجلد.

م.ت.م: المجلة التاريخية المغاربية.

م.و.د.ب.ح.ث: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.

م.و.ن.ش: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار.

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

=: تكملة لما هو معرّف في الهامش من الصفحة الموالية.

ب – باللغة الأجنبية:

- **A**.**F** : Afrique Française.
- **A**.**N**.**O**.**M** : Archives d'outre mer (Aix-En Provence).
- **A**.**N**.**A** : Archives Nationales Algérienne.
- **A**.**N**.**T** : Archives Nationales Tunisien.
- **A**.**W**.**O**: Archive de la Wilaya d'Oran.
- **A**.**W**.**C**: Archive de la Wilaya de Constantine.
- **E**.**N**.**C**.**E**.**P**: Entreprise Nationale de Communication d'Edition et de Publicité.
- **I**.**S**.**H**.**M**.**N**: Institut Supérieur d'Histoire du mouvement Nationale (Tunis).

- **O**.**P**.**U**: Office des Publications Universitaires.
- **R**.**A**: Revue Africaine.
- **R**.**H**.**M**: Revue d'Histoire Maghrébine.
- **S**.**N**.**E**.**D**: Société Nationale d'Edition et de Diffusion.
- **C .N .A :** Centre National des Archives
- **A .W. A** : Archives de la wilaya d'Alger.
- **A. T . D** : En terre d'islam
- **F .A . N** : Fonds des archives nationales.
- **C .C .E** : Comité' de coordination et d'exécution.
- **C .N .R .A** : Conseil National de la révolution Algérienne.
- **R .M .M** : Revue du monde Musulman.

مقدمة

المقدمة

1. التعريف بالموضوع وأهميته:

أصرّ الفرنسيون منذ اجتياحهم أرض الجزائر سنة 1830 على تطبيق سياسة تعسفية استيطانية هدفها القضاء على الشعب الجزائري واجتثاث جذوره الحضارية العربية والإسلامية، وبتر صلاته اللغوية والثقافية التي تشدّه إلى شقيقاته العربيات، التي تربطه بهم أواصر العقيدة والمصير، وذلك من خلال غلق منافذ التواصل مع البلاد العربية والإسلامية، فأصبح الجزائريون بفعل عامل الإرهاب والقهر يشدون الرحال فرادى وجماعات تجاه الحدود هربا بدينهم ولغتهم، وحفاظا على ما بقي لهم من المقومات الأخلاقية والعادات، وكان في مقدمة هؤلاء رجال العلم والأدب والصّحافة والسّياسة والدّين.

ومع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، أخذت الهجرة الجزائرية طابعا مأساويا تبعا للهجرات الجماعية التي نزحت منها بأعداد هائلة، واتجهت اتجاهات مختلفة، كما تميزت عن تلك الهجرات السابقة، إذ اقترن فيها طلب العلم بالفرار من الظلم وتجنب الوقوع تحت سلطة الاستعمار، وقد أتاحت هذه الهجرة للروح الجزائرية أسباب قوة جديدة لتعود فتفتح في الجزائر ما يردّ إليها حياتها، ويدفعها في سبيل استرداد شخصيتها، فكان من الطبيعي أن تتجه أنظار هؤلاء إلى منطقة المشرق العربي بسبب ملاءمة بيئته الدينية والثقافية، واحتضانه لأهم الأماكن المقدسة في مكة والمدينة والقدس، ولأكبر منارات العلم كالمسجد الحرام والمسجد النبوي في الحجاز، والجامع الأزهر في مصر وجوامع أخرى في بلاد الشام، واحتفاظه باستقلاله عن الاستعمار الأوربي تحت راية الخلافة العثمانية، وتساهل السلطات العثمانية غالبا مع المهاجرين الجزائريين، وقد كان التركيز أكثر خلالها على بلاد الشام، وذلك بعد استقرار الأمير عبد القادر وعائلته وإخوانه بها منذ عام 1856.

وعلينا أن نذكر هنا أن هجرة الجزائريين في هذه الفترة بالذات لم تكن بمنأى عن الصراعات الدولية في منطقة المشرق العربي وحوض البحر المتوسط، فقد شهدت المنطقة تدافعا حادا نحو امتلاك مجالات حيوية بين القوى الأوربية الصاعدة والباحثة عن نفوذ ومصادر جديدة للإقتصاد الرأسمالي المتنامي على حساب الدولة العثمانية الموصوفة في ذلك الوقت بالرجل المريض.

فبعد احتلال الجزائر سنة 1830، توالت هزائم الدولة العلية، وتركت المجال لفرنسا لتحتل تونس عام 1881، وبعد ذلك احتلت بريطانيا مصر سنة 1882 والسودان 1889، واحتلت إيطاليا ليبيا 1911، ثم

فرضت كل من اسبانيا وفرنسا الحماية على المغرب في 1912، وهكذا ..، فكان من جملة الأوضاع التي أفرزتها الحركة الإستعمارية أن كلّ شيء صار يعبر عنه بالسياسة أو بالإقتصاد السياسي، الذي لا يترك كثيرا لباقي الاعتبارات والأسباب لكي تشرح الظاهرة أو تفسّرها.

ويجب أن نشير هنا إلى أن التأثير العربي الإسلامي على الجزائر قد حصل رغم الحجر الفرنسي بطريق أو بآخر، كعودة بعض المهاجرين أو أبنائهم بعد أن عاشوا طويلا في المشرق وأقاموا فيها بنية الاستيطان، وهناك أسماء أصبح أصحابها ذوي حظوظ ونفوذ، سواء الذين ذهبوا إلى المشرق للتعلم من البداية، أو الذين هاجروا ثم رجعوا لأرض الوطن، والظاهر أن معاصرة هؤلاء لإرهاصات القومية العربية بالمنطقة، وحركة الجامعة الإسلامية قد أكسبتهم حماسا وتطلعا لمصير الأمة العربية والإسلامية، خصوصا وأن النخبة الجزائرية كانت متفتحة الذهن متوثبة الفكر شديدة الطموح، فشاركت وتفاعلت مع مختلف القضايا السياسية والاجتماعية كما هو معلوم، فكان هذا التفاعل منقسما بين الوطنيين العرب المسلمين دعاة حركة الجامعة الإسلامية، وبين دعاة القومية العربية، وعليه فإن نشاطهم ذاك كان نابعا من أنهم يقومون بالواجب الذي يفرضه عليهم الإنتماء العربي الإسلامي، وبحكم القواسم المشتركة والروابط الجامعة، فهم لا يرون أنهم غرباء، بل إن تلك الأوطان هي أوطانهم.

وقبل ذلك نود أن نوضّح بأنه من الصعب، بل من المستحيل التفصيل في جميع هذه المواقف والمداخلات، لذا اكتفينا في دراستنا في أغلب الأحيان بذكر نماذج لأولئك الأعلام ونشاطاتهم المختلفة، والذين تركوا بصماتهم في مسيرة الأحداث في المشرق، وهم بالطبع ليسوا سواء في الأهمية، كما أن الأحداث التي شاركوا فيها أو ارتبطوا بها ليست على درجة واحدة من الأهمية، ومن جهة أخرى نلاحظ أن الفترة الزمنية ضمت زخما كبيرا من الأحداث التي عرفتها المنطقة، ولذلك سنتبع طريقة انتقائية في أغلب موضوعنا للأشخاص والأحداث إذ لا يمكن القيام بعمل شامل واستقرائي في هذا المجال، وإننا لوتتبعنا آثار الجزائريين في المشرق العربي ومساهماتهم في الأحداث السياسية فيها فقط لربما انتهينا إلى وضع مجلدات.

كما أن اختيارنا "**دور النخبة الجزائرية في المشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ميلادي**" موضوعا لبحثنا يهدف بالأساس إلى التذكير بالروابط التاريخية المشتركة بين الشقين العربيين، والإسهامات الكبيرة للجزائريين في المشرق العربي، وأن معظم الأحداث التي وقعت في المشرق العربي في الفترة

المعاصرة كان وراءها عناصر جزائرية، ولولا أن عنايتنا في هذا الموضوع منصبة على التاريخ المعاصر لوجدنا في العصور السالفة أيضا أحداثا وتيارات ومؤلفات تقف وراءها عناصر جزائرية، ولذلك يحق للجزائريين أن يشتكوا من إغفال دورهم في حياة الأمة العربية والإسلامية في المشرق، فما السرّ يا ترى وراء هذا الإغفال؟ ربما كان الجواب بالنسبة للتاريخ المعاصر يكمن في سيطرة الروح القطرية التي ظهرت منذ أكثر من نصف قرن، وربما نجد الجواب في تغليب دور الأغلبية على دور الأقلية كما هي القاعدة تقريبا عند مختلف الشعوب، وأخيرا قد يكون الجواب في تواضع الجزائريين وعدم نسبة الأحداث إلى أنفسهم وعزوفهم عن تسجيل مساهماتهم وإبرازها إعلاميا، ويظهر هذا التواضع في إسناد ما حدث في بلدهم نفسها إلى عناصر وتأثيرات مشرقية.

2. دوافع اختيار الموضوع:

لا شك أن اختيار موضوع: **"دور النخبة الجزائرية في المشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ميلادي"** في هذا الظرف بعينه، يكتسي أهمية بالغة، فأمام المكائد التي تحاك ضد الجزائر وانتمائها العربي الإسلامي، قد يلمس القارئ أكثر من حجة وردّ على المتهجمين علينا بطرح أسئلة مفروغ منها كالهوية الجزائرية والإنتماء الثقافي والحضاري للجزائر وغيرها من المواضيع المغرضة، والظاهر أن بعض المفكرين المشارقة والمغاربة قد أسهموا بقصد أو بغير قصد في تكوين رؤية تبحث عن الفوارق أكثر مما تبحث عن الجوامع، والبعض الآخر اشتغل للأسف بالبحث عن الأسبقية والريادة، وهو أمر لا بد أن يصطنع حساسيات لا تحتاج إليها ثقافتنا الراهنة التي تنفتح أمامها آفاق ثقافات الأرض، وكان من الطبيعي أن يكون انفتاحها على جبهاتها الداخلية أرحب وأوسع، ومن هنا اجتمعت لدي جملة من العوامل والأسباب التي حفزتني واستفزتني للخوض في هذا الموضوع، أذكر منها:

– الكشف عن عمق الاتجاه العربي الإسلامي لدى الجزائريين، واستكمال الصورة الحقيقية العاكسة لما جمع بينهم وبين المشارقة من دماء ونضال خاصة إبان هذه الفترة.

– قلة اهتمام الباحثين والمؤرخين بالنخبة الجزائرية المهاجرة إلى المشرق العربي، وخاصة في هذه الفترة بالذات (نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20م)، وبتأثيرهم في المشهد السياسي والفكري بالمشرق بشكل جدّي، والاكتفاء بتأثير المشرق في الحركة الإصلاحية الجزائرية كعامل خارجي، حيث يقرّ المؤرخون الجزائريون بالتقصير في دراسة هذا الجيل من النخبة الجزائرية، وأنهم انساقوا مع غيرهم من الدارسين الفرنسيين في الحديث عن النخبة المتفرنسة.

– إبراز دور الجزائريين في بعث النهضة العربية ومساهمتهم الفعالة في الحراك الفكري والثقافي والإصلاحي والاستقلالي، ولا يدخل هذا في باب العصبية القطرية، ولا من باب الجهوية، وإنما لإبراز التكامل والتواصل بين المشرق والمغرب العربيين في وضع أسس النهضة العربية الحديثة، ذلك أن معظم الدراسات تعمدت إهمال العلاقات الجزائرية العربية والإسلامية الموغلة في القدم والتركيز على إبراز العلاقات الجزائرية الفرنسية.

– تسليط الضوء على بعض الشخصيات الجزائرية التي منها العالم والمصلح والمفكر، والتي لم تأخذ حقها في البحوث والدراسات الأكاديمية، فالعديد منهم ذاع صيتهم في المشرق العربي وبلاد الشام وتأثر بهم الكثيرون، وكانت لهم مواقف مشرفة لأنهم حافظوا على ثوابت الأمة الإسلامية، وكانوا من المدافعين عن اللغة العربية، ولذلك نجدهم كانوا من الأوائل الذين طالبوا الدولة العثمانية باتخاذ نظام لا مركزي يضمن للعرب حقوقهم.

– محاولة ردّ الاعتبار للمفكرين الجزائريين الذين كانوا سباقين في الكثير من الآراء التجديدية التي لم تظهر بفعل قلة كتاباتهم وندرة الدراسات حولهم، مقارنة بالدراسات التي تناولت الفترة التاريخية التي اصطلح عليها بشكل عام (عصر النهضة أو اليقظة) في البلاد العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، والتي ركزت على بعض الأسماء اللامعة دون غيرها، كما لاحظت أن الكتابات الكلاسيكية في هذا الموضوع تهتم غالبا بعالم من العلماء الجزائريين، وليس لديها نظرة شاملة وكاملة لهؤلاء، خاصة في بلاد المشرق العربي.

– تجاوز نظرة خاطئة ظلت تتحكم وتوجه بعض الدراسات المشرقية والفرنسية، التي اقترنت بالنظرة الدونية واستصغار ما قدمه الجزائريون للشرق، في مقابل المبالغة في إبراز كل مظاهر الدعم والمساندة التي قدمها المشارقة للجزائريين.

– وأخيرا محاولة إضافة لبنة للبحث العلمي من خلال هذه الأطروحة، والتنقيب عن الشخصيات الجزائرية التي لعبت دورا في دفع حركة النهضة في البلاد العربية والإسلامية.

3. حدود الدراسة:

وقع اختيارنا على الفترة الزمنية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ميلادي، باعتبارها مرحلة حاسمة في تاريخ العالم العربي والإسلامي، فمن جهة شهد هذا الأخير ضعفا وتفككا للدولة العثمانية، وانتشارا للفساد وانهيارا للاقتصاد، وظهور حركات التمرد على السلطة المركزية، إضافة إلى نفوذ الأجانب من خلال نظام الإمتيازات، وبدأت سلطة الحكومة المركزية تضعف في الولايات التابعة لها، ما جعلها تتعرض لهزات خارجية متتالية أدت إلى احتلال أجزاء من أراضيها، فقد فرضت خلالها فرنسا الحماية على تونس (1881)، واحتلت

بريطانيا مصر (1882)، وألحقت معها السودان (1899)، واستكملت إيطاليا احتلالها ليبيا (1911)، وفرضت الحماية المزدوجة (فرنسا واسبانيا) على المغرب (1912)، واستمرت حرب البلقان التي أخذت أبعادا خطيرة بفضل الدعم والمساندة التي قدمتها الدول الأوربية الاستعمارية، كما كانت المنطقة مسرحا للح.ع.I (1914-1918)، وأعلن خلالها الشريف حسين الثورة على الأتراك باسم الثورة العربية في (1916)، ليختتم المشهد بتفتيت المشرق إلى وحدات سياسية منفصلة بوضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي (1920)، وفلسطين (1917) والعراق تحت الانتداب البريطاني (1922).

ومن جهة أخرى شهدت الفترة ظهور بوادر نهضة فكرية في المشرق، الذي تطلع لتغيير وتطوير واقعه الفكري بعد احتكاكه المباشر بالغرب، وعليه فإن دراستنا ستنحصر ما بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ونهاية العشرينيات من القرن العشرين تقريبا، وإن اتضح غير ذلك في بعض الأحداث، فتلك حتما حالة استثنائية غير قابلة لقياس كل الحالات عليها.

4. إشكالية البحث:

من غير شك أن موضوعنا الموسوم بـ: **"دور النخبة الجزائرية في المشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين**، موضوع شائكة جوانبه، عويصة طرائقه، متشعبة عناصره أيّما تشعب، لأنه يخوض في مجالات متعددة كالأدب والتاريخ والجغرافيا والصحافة والاقتصاد والمجتمع والعمل السياسي والإصلاحي بأنواعه، ولأن النخبة لا تكون فاعلة ولا تنطبق عليها مختلف المفاهيم والتعريفات التي ساقها المفكرون إلاّ بمدى امتلاكها للوعي الاجتماعي الذي يمكّنها من القيام بدورها في المجتمع، فإن الإشكالية العامة لموضوعنا تقودنا حتما للبحث عن مدى امتلاك النخبة الجزائرية في المشرق العربي -خلال الفترة المدروسة- لهذه الأهمية؟ ثم إن مواضيع كبيرة ومعقدة وحساسة مثل النخبة الجزائرية والهجرة والمهجرين الجزائريين في منطقة المشرق العربي خلال الفترة المدروسة وأدوارهم السياسية والفكرية بها من جهة، وأمام الوضع الذي كان يعيشه المشرق العربي والعالم العربي والإسلامي من غزو ثقافي وصراع حضاري من جهة أخرى، كل هذا حتما يقودنا إلى طرح جملة من التساؤلات من بينها:

- ما مفهوم النخبة الجزائرية؟ وماهي خصوصيات تكوينها وتطورها؟ وما هي ملامحها وتكوينها الفكري والأيديولوجي وكذا أصولها الاجتماعية؟

– ما هي الفئة التي اتجهت صوب المشرق العربي؟ وهل كانت هذه البلاد أحسن حالا من الجزائر لتتجه أنظار هؤلاء صوبها؟ أم أن هناك أسبابا أخرى لهذا التواصل؟

– هل كان هناك تواصل حقيقي بين النخبة الجزائرية ونخبة المشرق العربي؟ وإن حدث، فما طبيعته وخصوصياته؟ وما العوامل التي سمحت بهذا التواصل وساعدت في ترسيخ هذه الروابط وتثبيتها؟

– ما هي الإجراءات التي اتخذتها السلطة الاستعمارية لقطع علاقة الإتصال والتواصل بين الجزائريين والمشرق العربي؟ وهي التي سعت بشتى الطرق لقطع هذه الصلة.

– إذا كان نشاط الجزائريين في المشرق هو جزء من نشاطهم في المهجر، فيما تمثل دورهم؟ وما هي النشاطات التي برزوا فيها؟ وهل كانوا في واجهة المشهد الفكري والسياسي والثقافي... أم كانوا على الهامش؟ وما موقف الدولة العثمانية والسلطة الفرنسية الاستعمارية من تلك النشاطات؟

– ما هي مواقف النخبة الجزائرية بالمشرق من مختلف القضايا في العالم العربي الإسلامي؟ وكيف تفاعلوا مع قضية بلادهم؟ وهل كانت اهتماماتها بهذه القضايا نتيجة لشعورها بالانتماء العربي الإسلامي؟

– فيما برز تأثير هذا النشاط على الحركة الوطنية في الجزائر؟

5. الصعوبات:

لم يكن إنجاز هذا العمل بالشيء اليسير، فقد اصطدمت بظروف ذاتية قاسية جدا –ظلت تلازمني خلال فترة إنجاز البحث وحتى اليوم– هذا من جهة، ومن جهة أخرى ممارستي لمهنة الإدارة التي لا تساعدني في البحث في الكثير من الأحيان، إضافة إلى صعوبة البحث في حدّ ذاته الذي يتطلب التمكين والتنقل والتنقيب على مصادره، فالموضوع متشعب وفترته الزمنية تتميز بالزخم الكبير للأحداث التي جرت خلالها (المسألة الشرقية وتداعياتها – حركة الجامعة الإسلامية – حركة القومية العربية – النهضة العربية – الحركة الإصلاحية – الح.ع.I – الثورة العربية ...)، وأذكر أنني نتيجة مثبطات عديدة أوصلتني إلى عتبة اليأس أحيانا، كدت أن أتوقف عن المواصلة لولا رحمة الله وتشجيعات الأستاذ المشرف وبعض الأتراب من الأهل والزملاء، وقد بذلت أقصى جهد في جمع المادة العلمية، وخاصة الأرشيفية، فقمت برحلة إلى خارج الوطن، وقصدت تونس بحثا في أرشيفاتها، كما ربطت اتصالات مع بعض الأصدقاء من البلاد العربية مثل مصر وسوريا والعراق وفلسطين، وأخرى أجنبية مثل فرنسا وتركيا، ناهيك عن البحث في الأرشيفات الوطنية سواء في العاصمة أو في الشرق أو الغرب، كما واجهتني مشكلة توازن الفصول من حيث عدد الصفحات، وذلك نتيجة توفر المادة العلمية لبعض العناصر وشحها

وانعدامها في بعض العناصر الأخرى، مع أن الأستاذ المشرف كان يلحّ دائما على ضرورة الاختصار والاقتصار على ما قلّ ودلّ.

وأمام ما يشغل بال المفكرين العرب اليوم في قضية إعادة كتابة التاريخ العربي وفهمه فهما قوميا بعيدا عن كل تأويلات استعمارية أو أيديولوجية ..، نجد أنه من الصعب تفسير أو معالجة العديد من الإشكاليات بخصوص التاريخ العربي والإسلامي، ذلك لأنه كتب بطريقة مجزأة بسبب الأحوال السياسية في كلّ بلد، فمثلا تاريخ الجزائر منذ 1830 قد كتبه غالبا الفرنسيون كجزء من تاريخهم، وكذا المشرق العربي الذي كتب جزء كبيرا منه الأتراك العثمانيون، ولذلك أرى أن هناك ضرورة ملحّة لإعادة كتابة تاريخ كل البلاد الإسلامية والعربية بطريقة متكاملة، وعندما يتحقق ذلك، فمن الممكن آنذاك أن يوضع حل لمشكل التأريخ للمنطقة في ضوء ومحتوى جديدين.

6. مناهج الدراسة:

إن الإشكال الذي نعالجه في هذه الأطروحة، يعتمد على مادة تاريخية، تتعلق بفكر النخبة الجزائرية في المشرق، لذلك فإننا استعنا في تفصيل مادته الخبرية على مناهج علمية تتناسب مع طبيعة ومضمون المصادر والمراجع المتاحة لنا، ومن هذه المناهج نذكر:

– المنهج التاريخي الوصفي، الذي اعتمدنا عليه في سرد الأحداث بطريقة وصفية كرونولوجية لفهم الأحداث بالتسلسل، وتم الاعتماد عليه في معظم أجزاء البحث.

– المنهج التاريخي التحليلي النقدي، وذلك بتحليل بعض الحقائق قدر الإمكان، أو نقد بعض ما قيل فيها اعتمادا على مصادر أخرى.

– المنهج التاريخي المقارن، واعتمدنا عليه في مقارنة نشاط الجزائريين في مختلف المجالات بأقرانهم في بلاد المشرق العربي، سواء كانوا من المغاربة أو المشارقة.

– المنهج التاريخي الإحصائي: اعتمدنا من خلاله على تزويد البحث بإحصائيات جديرة بالذكر، والتي تزيده دقة وتوضيحا، خاصة ما تعلق بالجزائر وأوضاعها أو عدد المهاجرين الجزائريين في مخلف أقطار المشرق العربي، لتقريب الصورة الذهنية بشكلها الصحيح.

7. مصادر البحث ومراجعه:

لا بدّ لأي عمل أكاديمي أن تكون له مصادر ومراجع يعود إليها، فلا ينطق أي عمل مهما كانت طبيعته من فراغ أو يخلق من عدم، لذلك فإن الإجابة على الإشكالية البحثية التي تناولتها هذه الأطروحة جعلتنا نستعين بمجموعة من المصادر والمراجع التاريخية التي تختلف أهميتها طبعا حسب الموضوع والأفكار التي تطرحها، والتي يمكن ترتيبها كما يلي:

- **المادة الأرشيفية:**

تعتبر الوثائق الأرشيفية من المصادر الهامة التي لا يمكن الاستغناء عنها في أي بحث أكاديمي، لأنها وثائق رسمية لها مصداقية كبيرة وفي هذه الأطروحة اعتمدت على:

أوّلا: الأرشيف الوطني بالعاصمة (وولاية قسنطينة وولاية وهران، إلاّ أنها لم تتضمن الشيء الكثير من حيث الوثائق الإدارية والأمنية، ورغم شحها إلا أننا عثرنا على مجموعة من الوثائق ساعتنا في تحليل موقف فرنسا الاستعمارية من الروابط التي جمعت الجزائر بالمشرق العربي، وإن كانت تبدو للوهلة الأولى عادية، إلا أن ربطها بموضوع الأطروحة يجعل منها وثائق في غاية الأهمية والخطورة، تكشف عن مدى تعنت الإدارة الاستعمارية في التعامل مع الجزائريين الذين عارضوا سياستها من خلال ما فرضته عليهم من قيود عبر الحدود وجوازات السفر والبريد ومراقبة تحركاتهم وحقائبهم ومتاع سفرهم ...

ثانيا: الأرشيف الوطني التونسي (A.N.T): على اعتبار أن تونس تعدّ من أهم معابر الهجرة الجزائرية سواء السرية منها أو العلنية لقربها الجغرافي من مصر وبالتالي المشرق، واحتوائها على جامع الزيتونة الذي يعد مركزا علميا ومعبرا مهما للنخبة الجزائرية من رجال العلم والدين نحو بلاد المشرق العربي، وقد احتوى هذا الأرشيف على رصيد قيم، خاصة الذي تعلق بالمجموعتين (A) و(E)، فاحتوت كلا المجموعتين على ملفات هامة، صنّفت حسب مواضيعها في علب، فتضمنت المجموعة الأولى (A) على المراسلات الإدارية والتقارير الأمنية، فكان اعتمادنا على العلبة رقم (276) التي قسمت لملفين؛ تضمن الملف الأول، المراسلات الإدارية والتقارير الأمنية، حول إجراءات إعادة المسافرين خلسة إلى الحج من الجزائريين والتونسيين إلى أوطانهم، وملف ثان احتوى على مجموعة من الوثائق تتعلق بتسليم جوازات السفر للجزائريين والتونسيين لوجهات مختلفة خاصة سوريا، كما اطلعنا على علب من نفس المجموعة، كالعلبة (277) وما تضمنته من وثائق تخص المراسلات والأمريات حول التنقل بين الجزائر وتونس، والعلبة رقم (278) التي تضمنت هي الأخرى مراسلات إثبات

الجنسية بتخيير الجزائريين فيها بين صفة الرعايا التونسيين أو التجنس بالجنسية الفرنسية، أما المجموعة الثانية (E)، فكان اعتمادنا على العلبتين (550) و(555) اللتين احتوتا على ملفات تخص بعض الشخصيات الجزائرية المشتبه فيهم، منها شخصية المكي بن عزوز والخضر حسين وصالح خوالدية وتوفيق المدني ... الذين وضعوا تحت الرقابة من طرف المقيم العام الفرنسي بتونس بأمر من وزارة الشؤون الخارجية.

ثالثا: مركز الأرشيف العثماني باستانبول (تركيا): وكان اعتمادنا كبيرا على المنشور رقم 115 الذي تضمن موضوع الجزائر في الوثائق العثمانية، حيث عثرنا من خلاله على سلسلة من التقارير والإجراءات التي أصدرتها الإدارة العثمانية والتي تخص المهاجرين الجزائريين إلى المشرق العربي واستانبول خلال الفترة المدروسة، ومنها على سبيل المثال قرار منح الجنسية العثمانية للجزائريين ممن يرغبون في الإقامة بالبلاد العثمانية، وحول منحهم أراضي في سوريا ولبنان وفلسطين، كما تضمن مجموعة من التقارير حول الأمير عبد القادر وأفراد من عائلته..، وغيرها من الوثائق.

رابعا: الأرشيف الفرنسي (**A.N.O .M**)، أرشيف ما وراء البحار (أكس آن بروفانس) الذي نقلت معظم مادته من كتاب الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918) للدكتور عمار هلال، الذي ضمّ مجموعة مهمة من الوثائق الأرشيفية التي تتعلق بموضوع الأطروحة.

- **المذكرات:**

حرصا منا على تتبع فكر النخبة، استقينا مادة علمية من مذكرات النخبة الجزائرية التي تواجدت بالمشرق العربي، أو التي كانت لها علاقات مباشرة معه وكان لها دور في الأحداث، والتي حوت على الرؤى والتصورات الفكرية لهؤلاء، والتي عالجوا بها قضايا عصرهم خلال الفترة المدروسة، ومنهجهم الإصلاحي للنهوض بالأمة العربية والإسلامية، ومن ذلك مذكرات الأمير محمد الجزائري الذي جمع سيرة والده الأمير عبد القادر في كتاب "تحفة الزائر"، ومذكرات الأمير سعيد (حفيد الأمير عبد القادر) التي عنونها بـ: "مذكراتي عن القضايا العربية، التي صدرت طبعتها الأولى ببيروت والثانية في الجزائر، إلى جانب مذكرات أحمد توفيق المدني "حياة كفاح"، التي بين علاقته بالمشرق والروابط والروابط التي جمعته بأعلام الفكر المشرقي، ورؤيته لمختلف القضايا التي شهدها العالم العربي والإسلامي.

- **الصحف والمجلات:**

تحتوي الصحف والمجلات مادة خبرية هامة، حيث كان اعتمادنا على مقالات وطنية وأخرى في مجلات مشرقية، وهي مصادر جدّ هامة في تقصي العديد من الحقائق والرؤى الفكرية المتداخلة. وكانت الصحافة العربية

الصادرة في المرحلة الموازية لظهور التيارات الفكرية لدراسة بعض الأفكار والذهنيات، "كمجلة العرة الوثقى"، التي تضمنت مقالاتها خطابا فكريا نهضويا وثوريا جمعت بين الدين والسياسة، كما اعتمدنا على مجلة "المنار"، التي أطلعتنا على فكر إصلاحي من خلال مقالاتها الاجتماعية والبحوث والفتاوى ودروس التفسير، فاستطاعت المجلة أن تنقل إلينا الخطاب الإسلامي التوفيقي على لسان محرريها، ودعواتهم الإصلاحية الهادفة.

إضافة إلى ذلك نجد مجموعة لا بأس بها من الجرائد والصحف التي أنشأتها النخبة الجزائرية منذ أواخر القرن 19م، وتتمثل في الجرائد العربية أو الفرنسية أو مزدوجة اللغة مثل: جريدة "الحق الوهراني"، وجريدة "الفاروق" و"ذو الفقار" و"الإقدام" و"التقدم"، وجريدة "صوت المستضعفين" و"جريدة النجاح" و"المنتقد" و"الشهاب" ..، وغيرها من الجرائد، فرغم صعوبة قراءتها إلا أنها مصادر أساسية في استقراء أفكار النخبة الجزائرية وتتبعها.

- **المراجع:**

كان أهمها الدراسات المهتمة بالمهاجرين الجزائريين في المشرق العربي وتتمثل في: كتابات أبو القاسم سعد الله، "الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930"، ج2، وأيضا كتابه: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ودراسة الأستاذة نادية طرشون حول الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الإحتلال، وكذلك كتابات سهيل الخالدي أهمها: الإشعاع المغربي في المشرق – الجزائر وبلاد الشام، صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال – دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق (1847-1948)، وأيضا كتابات عمار هلال: "الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918"، "أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962)"، "العلماء الجزائريون في البلاد العربية الإسلامية.."، بالإضافة إلى مجموعة لا بأس بها من المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع، كمؤلفات علي مراد، وباردان، وبلقاسم كرو، وكتب بعض المشارقة، مثل كتاب: "الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914) لعلي المحافظة، وكتاب "الثورة العربية الكبرى" لأمين سعيد.

- **الدراسات الأكاديمية السابقة:**

من بين أهم الدراسات التي لها علاقة بموضوع الأطروحة وتمسّ بعضا من جوانبه، أذكر دراسة الأستاذة نادية طرشون، **الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام (1847-1911)**، وهي رسالة ماجستير نوقشت بجامعة دمشق سنة 1985، والتي ركزت فيها الأستاذة على أسباب هجرة الجزائريين نحو بلاد الشام وتداعياتها، والتي استفدت منها كثيرا في هذا الجانب، وهناك دراسة بعنوان: **التيارات الفكرية في المشرق وصداها لدى**

النخبة العربية في الجزائر (1900–1939) للأستاذة "عايدة حباطي"، وهي أطروحة دكتوراه العلوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، والتي نوقشت في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سنة 2019، حيث تطرقت فيها الأستاذة للروابط الفكرية بين النخبتين الجزائرية والمشرقية، وعلاقة التأثير والتأثر والتفاعل، والإنجذاب والتنافر بينهما، ومن بين الدراسات كذلك دراسة "مولود قرين" الموسومة بـ: **النخبة الجزائرية، مواقفها الوطنية واهتماماتها العربية الإسلامية (1892–1927)**، وهي أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، والتي نوقشت بالمدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة سنة 2017، التي حاول فيها قدر المستطاع الاستفادة من خطاب النخبة الجزائرية بجميع تياراتها والوقوف على أغلب نصوصها وتحليلها لاستنتاج مواقفها من قضايا عصرها، وكذلك توجد دراسة تضمنت موضوع **الجزائريون والتضامن العربي الإسلامي (1911–1954)** لهزرشي بن جلول، وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر والتي نوقشت بجامعة الجزائر -2- سنة 2013، والتي ركز فيها على مسألتين أساسيتين تتمحوران حول فهم ودراسة عوامل ومظاهر التضامن والتأييد التي أبداها الجزائريون تجاه القضايا العربية والإسلامية رغم معاناتهم من السيطرة الاستعمارية، وهو عكس ما هو متعارف عليه في الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع من زاوية الدعم والتضامن الذي أبداه العرب والمسلمون للقضية الجزائرية خلال فترة الاحتلال.

8. خطة البحث:

بعد جمع المادة الخبرية وقراءتها وتحديد إشكالية الأطروحة ومنهجها، ولأجل الإحاطة بحيثيات الموضوع، ارتأيت أن أقسم البحث إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة وملاحق، واحتوى كل فصل على تمهيد وخلاصة.

فبعد مقدمة ممهدة للموضوع، كان الفصل الأول تحت عنوان: **مدخل مفاهيمي حول النخبة الجزائرية،** حاولنا من خلاله تعريف وشرح وتقديم المفهوم الأساسي لموضوع الأطروحة، ألا وهو النخبة الجزائرية، وتضمن جزئيتين: الأولى حاولت من خلالها التأصيل المفاهيمي لمصطلح النخبة في حدّ ذاته الذي لا يزال يشوبه نوع من الغموض، أما الجزئية الثانية فكانت حول واقع النخبة الجزائرية وملامحها خلال الفترة المدروسة، بداية بمحاولتنا تحديد الدلالات الحقيقية والدقيقة لمصطلح النخبة الجزائرية، ثم تحديد مظاهرها وملامحها، وأخيرا دراسة اتجاهاتها الفكرية وانتماءاتها الاجتماعية.

في حين تناولنا في الفصل الثاني: **أوضاع الجزائر والمشرق العربي خلال الفترة المدروسة**، أين وقفنا على الأوضاع العامة في كل من الجزائر والمشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وهي فترة خصبة وثرية بالأحداث، وهدفنا من ذلك رسم الملامح المحيطة التي دفعت بالجزائريين إلى التوجه نحو المشرق العربي.

أما الفصل الثالث، فجاء تحت عنوان: **جسور التواصل الفكري والحضاري للنخبة الجزائرية بالمشرق العربي وموقف السلطة الاستعمارية منه**، حيث تناولنا من خلاله سبل التواصل والاتصال بين المنطقتين خلال الفترة المعنية بالدراسة، والقنوات التي سمحت بالتلاقي الجزائري المشرقي، وأدت إلى الاحتكاك المباشر بينهما عن طريق الهجرة والزيارات والمراسلات، وعززت من روح التضامن بينهما، وتعرضنا ضمنها لموقف الإدارة الاستعمارية من هذا التواصل، وسياسة فرنسا لمواجهته.

وتطرقت في الفصل الرابع إلى "**النشاط الفكري والإصلاحي للنخبة الجزائرية في المشرق العربي**"، الذي حاولت من خلاله رصد الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين في المشرق العربي، ومدى تلاحمهم فيما بينهم، ثم حاولت إبراز جهودهم العلمية والتربوية ونشاطاتهم وإسهاماتهم الفكرية، من خلال أنموذج كان له الدور الكبير في هذا الجانب وهو طاهر الجزائري، وكذا تناولنا النشاط الثقافي والأدبي للجزائريين في المشرق من خلال نشاطهم الجمعوي والصحفي والإعلامي هناك، وفي مجال الفنون والآداب .. وغيرها.

أما الفصل الخامس الذي عنوناه بـ: "**النشاط السياسي والعسكري للجزائريين في المشرق العربي**"، ففصلنا مضمونه إلى جزئيتين، تناولنا في الأولى النشاط السياسي للنخبة الجزائرية ضمن تيار حركة الجامعة الإسلامية، وتيار القومية العربية، أما الجزئية الثانية فكانت حول دورهم العسكري المميز، ومشاركاتهم في الدفاع عن مختلف القضايا في العالم العربي والإسلامي، وكذا مشاركتهم ودورهم في الثورة العربية ضد الحكومة العثمانية الطورانية.

أما الفصل السادس والأخير فتناول "**مواقف النخبة الجزائرية بالمشرق العربي واهتماماتها العربية والإسلامية**"، حيث تضمن ثلاث جزئيات: الأولى موقفهم من قضايا الدولة العثمانية والمشرق العربي، والثانية من قضايا المغرب العربي، والثالثة حول القضية الجزائرية والحركة الوطنية.

وانتهيت في آخر الرسالة إلى خاتمة، كانت بمثابة عرض للنتائج المتوصل إليها، والتأكيد على الدور الكبير الذي لعبته النخبة الجزائرية بالمشرق العربي في شتى المجالات السياسية والعسكرية والثقافية والفكرية والعقلية والصحافية ..، وأنهم لم يعيشوا على الهامش كما يظن الكثير، وقد كان لبعضهم هناك مواقف لا يزال يشهد لها وعليها التاريخ لحدّ اليوم، بعد ذلك أثرت جملة من التساؤلات لتقييم نشاط الجزائريين في المشرق العربي، وبعضها ممن لم أستطع الحصول على إجابات لها، فاتحا بذلك الآفاق للباحثين للخوض في غمار مثل هكذا مواضيع، والسعي لكشف المزيد من الحقائق حولها.

وقد أرفقت الأطروحة بمجموعة من الملاحق المتنوعة، ذات الصلة بالموضوع من تقارير ومراسلات، إلى جانب بعض الجداول والبيانات المتعلقة بحركة الجزائريين اتجاه المشرق العربي، كما تم تطعيم الموضوع بعدد من الصور والخرائط التي من شأنها أن تضيف شيئا فيه، وفي الأخير أرصدت المصادر والمراجع المعتمدة في الرسالة، مع تخصيص فهارس للأعلام والأماكن، والتنظيمات والجرائد والمؤتمرات، وأخيرا فهرس الموضوعات.

-والله ولي التوفيق وهو حسبنا-

الفصل الأول

• مدخل مفاهيمي حول النخبة الجزائرية •

أولا: التأصيل المفاهيمي لمصطلح النخبة.

ثانيا: النخبة الجزائرية بين المفهوم والدلالة.

تمهيد:

إنّ الضرورة المنهجية تفرض بكل تأكيد تخصيص هذا المدخل لتعريف وشرح وتقديم المفهوم الأساسي لموضوع الدراسة، فموضوعنا: "**دور النخبة الجزائرية في المشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين**" عنوان يتضمن –كما يلاحظ– مفهوما كبيرا يفترض هذا المدخل؛ **فالنخبة الجزائرية** مفهوم يثير جملة من التساؤلات حول مضمونه ودلالاته سواء العامة أي انطلاقا من التعريفات المقدمة له في المصادر والمراجع والدراسات المختلفة، أو الخاصة أي التي تعلقت به في بعض الحالات بالواقع الجزائري خلال الفترة المدروسة، إذ ربما تطورت الدّلالات واختلفت باختلاف المرحلة التاريخية، وهو ما يفرض تتبع هذه التحوّلات والوعي بها، وما يفرضه ذلك أيضا من صعوبات خاصة في اختيار المفهوم أو التعريف الذي يناسب كل مرحلة وكل وضعية لنخلص في النهاية إلى صياغة مفهوم ذي قواسم مشتركة يمكن استخدامه بالنسبة لكامل الفترة، ولا بدّ من الإشارة أيضا إلى تنوع التعريفات وتدخّل جملة من العلوم كالفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة .. وغيرها في صياغته مما يزيد من هذه الصعوبات.

وباعتبار النخبة الجزائرية من المفاهيم التي تتطلب تعريفا في المقام الأول، كونه سيشكل الأداة الرئيسية والفاعلة بالنسبة لموضوع البحث، نرى من الضروري أولا التأصيل لمصطلح النخبة ووضعه في مقامه المناسب معتمدين في ذلك على بعض النظريات والمفاهيم الغربية والإسلامية، ولأن تعريف النخبة قد لا يفي بالغرض المنشود، رأينا أنه لابد من البحث أيضا في الدور الذي تقوم به النخبة في مجتمعاتها، وهنا تكمن أهميتها، وسنحاول إسقاط ذلك –ولو كان بصعوبة بمكان– على واقع المجتمع الجزائري، مبرزين بذلك الوعي الاجتماعي والسياسي الذي مكّنها من القيام بدورها.

وعليه يبدو أن هذا المدخل ضروري، إذ بدونه لا يمكن الولوج إلى الموضوع قيد الدراسة، ولذلك وانطلاقا ممّا تقدم يفترض بنا تقديم التعريفات والدلالات والمفاهيم للنخبة الجزائرية سواء في جانبها الإصطلاحي أي كما تعرفها المصادر والمراجع العربية والأجنبية وكتابات المؤرخين والباحثين ثم ربط كل ذلك بموضوع الدراسة، فكيف وقع تعريف هذا المفاهيم؟ وما هي ارتباطاته بالبحث؟

أولا: التأصيل المفاهيمي لمصطلح النخبة:

يشكل مفهوم النخبة منطلقا منهجيا في كلّ فهم حصيف لحركة التاريخ الإنساني وما يعتمل فيه من صيرورات وأحداث، ويعول عليه كثير من المفكرين في مقاربة التكوينات السوسيولوجية للمجتمع، والخوض في عمق الظواهر الايديولوجية للحياة السياسية الطبقية في سياق تفاعلها وتكاملها، فالتاريخ الإنساني بما ينطوي عليه من تعقيدات، وما يكتنفه من صيرورات لا يمكنه أن يرصد ويحلل ويفهم دون الخوض المعمق في دور النخب التي تحرك المجتمع الإنساني وتتحرك فيه في الوقت نفسه، لتشكل بفعالياتها ملمحا جوهريا من ملامح الحركة التاريخية في المجتمعات الإنسانية.

وضمن هذا التّصور فإن أيّ محاولة لفهم ديناميات الواقع الاجتماعي وصيرورة الحركة التاريخية لن تفلح ما لم تنطلق من فهم عميق للدّور التاريخي الهائل الذي تمارسه النخب في توجيه الحياة الاجتماعية في مختلف تعيناتها وفي شتى تجلياتها، فالنخب –كما يراهن كثير من المفكرين والمنظرين – تصنع التاريخ الإنساني وتحركه وتحدد صيرورته، وترسم ملامح التغير الاجتماعي، وتمارس دورها الفعال في توجيه الحياة الاجتماعية في مختلف تجلياتها، فعلى الرّغم من التقدّم الكبير الذي حققته البشرية في مجال الديمقراطية، و توسع المشاركة السياسية للجماهير وحضورها في مختلف ميادين العمل والحياة، بقيت النخب قوة فاعلة حاضرة ويقظة في ممارسة دورها الريادي في توجيه المجتمع وتحديد مساراته وتعيين حركته في مختلف المجالات والاتجاهات.

وإنّ المتتبع لتاريخ المجتمعات الإنسانية وتطورها يرصد أن هذه المجتمعات في وجودها واستقرارها وحركيتها شهدت على مرّ العصور الإقرار بفكرة مهمة مفادها أن السلطة لا يمكن أن تمارس بواسطة الجميع، وأنّه لا بد من وجود جماعة أو طبقة أو هيئة أو أقلية تسند إليها مهام القيادة والتوجيه، وتمتلك الدور الأكبر في التأثير على سيرورة مجتمعاتها وفي اتخاذ القرارات؛ هذه الفئة والتي أطلق عليها اسم "**النخبة**" حظيت باهتمام كبير من طرف الباحثين والمفكرين وشكلت موضوعا هاما للبحث تحت عنوان "**دراسة النخبة**" لدى علماء الاجتماع والسياسة على حد سواء نظرا لمكانتها ودورها في تكوين واستقرار المجتمعات، وصارت النخبة أحد المواضيع البارزة في علم الاجتماع عموما وعلم الاجتماع السياسي بشكل خاص[1]، إذ قلّما يخلو مؤلف في هذا المجال من الإشارة إلى

[1] علي أسعد وطفة، **في مفهوم النخبة –مقاربة بنائية–**، موقع أنفاس نت، 24 يناير 2015، تاريخ الولوج للموقع، 2019/02/15، 15:40.

ظاهرة النخبة والبحث في تأثيراتها[1]، ونرى اليوم أن موضوع النخبة تجاوز دراسات علم الاجتماع إلى العلوم الأخرى على غرار العلوم السياسية والعلوم الاقتصادية وأيضا علوم الإعلام والاتصال .. فمسألة النخبة تتجاوز من كونها مسألة من مسائل علم الاجتماع السياسي، وتمتد لتحتل موقعا مهما وحيويا للمسائل المرتبطة بالسلطة السياسية وآليات الحكم من جهة، إلى العلاقة بالثقافة السياسية وفي المجتمع بأساسه الثقافي من جهة أخرى[2].

فظاهرة النخب(ة) من الظواهر الاجتماعية التي ظلت تنطوي دراستها على أهمية كبرى منذ بدايات الفكر الفلسفي مع أفلاطون وغيره وصولا إلى الآونة الأخيرة التي يلفت الانتباه فيها زيادة هذه الأهمية ضمن مختلف التخصصات والحقول العلمية، ففي كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية – مع اختلافها – توجد قلة نطلق عليها "الصفوة" أو "النخبة" يكون لها الدور القيادي والمؤثر في المجتمع، ومهما كانت درجة بدائية أو تحضر مجتمع من المجتمعات أو شعب من الشعوب، فإن له نخبة هيّأتها الظّروف والأسباب والإمكانات لتتصدّر الحياة الاجتماعيّة أو السّياسيّة أو الاقتصاديّة أو العسكريّة أو الفكريّة.

وعكف الباحثون على محاولة الإجابة عن بعض التّساؤلات الّتي طرحها الإهتمام بهذه الفئة وما تمتلكه من مؤهّلات كالقوّة والنّفوذ والقدرة على التّأثير داخل مجتمعاتها، ولعلّ الجدل الحاصل في تعريف وضبط مصطلح "النخبة" والبحث في تطوراته كان من الإشكاليات المهمة التي خصص لها الباحثون فضاء بحثيّا سواء في الفكر الغربي أو العربي خصوصا مع انتقال المصطلح "Elite" من اللغات الأجنبية وترجمته إلى اللغة العربية "نخبة"، والذي لاقى في ما بعد الكثير من المترادفات والمصطلحات التي أحيانا لا تستخدم بنفس المعنى على غرار "طبقة" "Classe" أو "مثقف" "Intelectuelle"، ولكن من خلال التداول البحثي والنشر خاصة عبر الكتب ووسائل الإعلام، ترسخ المصطلح لدى الكثيرين بنفس المعنى حتى وإن اختلف السياق.

وقد شكلت النخب في ذاتها ظاهرة سياسية اجتماعية هامة في التاريخ، فاستقطبت جهود الباحثين والدارسين في مختلف الاختصاصات والميادين، لأن فهم المجتمعات الإنسانية وإدراك قانونية وجودها لا يمكن أن يتم بعيدا عن الإضاءات الوامضة للنخب الفاعلة في التاريخ، ومن هنا تحولت ظاهرة النخب إلى موضوع

[1] نصر محمد عارف، **نظرية النخبة ودراسة النظم السياسية العربية (الإمكانات والإشكالات)**، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة، 1996، ص96.

[2] نفسه، ص96-97.

للدراسة وأداة للتحليل في آن واحد. وضمن هذه الثنائية، ثنائية الذات والموضوع في النخب ظهرت أجيال من الباحثين المتخصصين في دراسة هذه الظاهرة في مجال علم الاجتماع بعامة، وعلم الاجتماع السياسي على وجه الخصوص، وفي الوقت الذي اتخذ فيه بعض علماء الاجتماع النّخب موضوعا للدراسة اعتمده كثير من الباحثين أداة لتحليل التفاعلات الاجتماعية وتحديد الصيرورات والديناميات الأساسية الفاعلة في المجتمعات الإنسانية.

وتأسيسا على ما تقدّم يمكن القول: بأن مفهوم النخب (Les Elites) يشكل أحد المفاهيم الاستراتيجية الموظفة منهجيا في تحليل الظواهر الاجتماعية والإنسانية، ولا سيما القضايا الاجتماعية التي تتصل بالسلطة والطبقة وتوزيع الثروة والتطور الاجتماعي والتنمية، وضمن هذا التصور فإن مفهوم النخب ليس مجرد مفهوم وصفي للدلالة على وضعية اجتماعية محددة داخل المجتمع، بل هو أداة هامة جدا في مستويات تحليل الظواهر الاجتماعية وتفسيرها، ويضاف إلى ذلك كلّه أن مفهوم النخب قد شكل تاريخيا حقلا مميزا للتنظير الأيديولوجي ما بين الماركسية الجديدة وبين الاتجاهات السوسيولوجية النقدية في مختلف مراحل تطور الفكر الإنساني في النصف الثاني من القرن العشرين[1].

وليس خفيّا على الباحثين أن النخب تشكل ظاهرة اجتماعية سياسية ثقافية معقدة البنيان مكثفة التكوين، وهذه الظاهرة تحتاج إلى جهود كبيرة في مجال الفصل والدرس والرصد والتحليل، وهي نوعا ما تشكل واحدة من الظواهر الاجتماعية الفكرية العصيّة إلى حدّ كبير على مختلف عمليات الضّبط والرّصد والتحليل، لأنّ هذا المفهوم يشكل أحد المفاهيم الاجتماعية التي يصعب ضبطها ورصدها وتحديد سماتها ومتغيراتها، وذلك لأنّ المضامين الاجتماعية التي تشكل هذا المفهوم شديدة التغير وتتميز بطابعها الدينامي في إطار الزمان والمكان.

وهنا تكمن أهمية هذا العنصر في رصد هذا المفهوم في دائرة تحولاته السوسيولوجية التي تتّصف بطابع الديمومة والاستمرارية، وتهدف إلى مقاربة عصرية لمفهوم النخبة والنخب في مختلف التوجهات والتقاطعات الفكرية التي ترسمها حركة هذا المفهوم وتقاطعاته وقدرته على استجواب مختلف مناحي الحركة السياسية والاجتماعية للمجتمعات الإنسانية، كما تهدف إلى الكشف عن مختلف المحاولات الفكرية والنظريات التي عالجته في اتجاه البحث عن رؤية متكاملة تصقل هذا المفهوم وتضعه في مشهد الوضوح السوسيولوجي.

[1] ينظر: علي أسعد وطفة، المقال السابق.

ومن أجل استجلاء أهم المكونات الفكرية لهذا المفهوم في ظلّ رؤية شمولية تأخذ بأبعاده السياسية والأيديولوجية والسيكولوجية، تم العمل على تشكيل نسق من الأسئلة الممنهجة التي تنتظم فيها إشكالية هذا المطلب عبر سؤال مركزي قوامه: ما الأسس البنيوية لمفهوم النخب تاريخيا؟ ومن هذا التساؤل المركزي تتفرع أسئلة عديدة قوامها: ما مفهوم النخبة لغويا واصطلاحا؟ ما الأسس التاريخية الفاعلة في عملية نشوء النخب؟ وما عوامل تشكلها؟ وما طبيعة النماذج الأكثر حضورا في مفهوم النخب؟ .. إذا هي جملة من التساؤلات التي تشكل الإطار العام لإشكالية هذا العنصر من الدراسة، والتي سنحاول أن نقدم تصورا واضحا لها في مسار بناء رؤية بنائية تكاملية لمفهوم النخب تاريخيا وايديولوجيا وسوسيولوجيا.

I. المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنخبة:

I. 1. المفهوم اللغوي:

يومض مفهوم النخبة في اللغة بدلالة الإنتخاب والإختيار والإصطفاء والإنتقاء، وتكون "النخبة" بصيغة الجمع "نخبا" ترمز في أخص معانيها على السموّ والإرتفاع، لتدلّ على معنى الندرة والقلّة متضمنة في ذاتها دلالات التميز ومعاني الصّفاء والنّقاء، والانتخاب كما يعلمنا "داروين" هو حالة اصطفاء يرتقي فيها الأقوى والأفضل إلى المراتب العليا في سلم الوجود البيولوجي في دائرة الصراع المستديم من أجل الصيرورة والاستمرار والبقاء.

وتدلّ كلمة النخبة في اللغة العربية على المختار من كل شيء وعلى الإصطفاء في كل أمر، ولا تحمل في دلالتها العربية هذه طابعا سوسيولوجيا ابستيمولوجيا أو أيديولوجيا، فاقتصرت دلالتها على الخبرة اللسانية الصرفة التي وردت في قواميس اللغة العربية وفي مختلف الإستخدامات للإشارة إلى نخبة القوم وصفوتهم وعزتهم، وتشتق كلمة النخبة في اللغة العربية من الفعل انتخب أي اختار، والانتخاب هو الاختيار والانتقاء، فنخبة القوم تعني خيارهم وصفوتهم[1]، وقد جاء في القاموس المحيط: نخب – ينخب – نخبا، ونقول أخذ نخبة الشيء أي: المختار منه، ويقال: جاء في نخبة أصحابه أي: في خيارهم [2]، وجاء أيضا: انتخب الشيء أي اختاره، والنخبة: ما اختاره منه، ونخبة القوم ونخبتهم تعني خيارهم، قال الأصمعي: يقال هم نخبة القوم، بضم النون وفتح الخاء،

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، دار المعارف، القاهرة، ص 2468.

[2] محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تح: محمود خاطر، ج1، بيروت، لبنان، 1995، ص271.

وقال ابن منظور وغيره: يقال نخبة، إسكان الخاء، واللغة الجيدة ما اختاره الأصمعي، وجاء في لسان العرب لابن منظور، أنّ كلمة نخبة مصدرها الفعل انتخب وانتخب الشيء أي اختاره، والنخبة ما اختاره منه، ونخبة القوم، ونخبتهم خيارهم، ويقال: نخبة القوم (بضم النون وفتح الخاء)، وإذا قيل جاء في نخب أصحابه، أي خيارهم[1].

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن النخبة هي خيار القوم وصفوتهم، وهي مجموعة صغيرة يمكن تمييزها من بين العامة في المجتمع الذي تنتمي إليه، وقبل أن يصبح المصطلح أكثر شيوعا في المجتمعات العربية والإسلامية في مختلف المجالات، كانت هناك مجموعة من المصطلحات تحمل نفس الدلالة ، مثل: "الوجهاء" "الكبراء" "العلماء"... الخ [2]، وقد قسم "أبو بكر الحمداني" المعروف بـ "ابن الفقيه" المجتمع الإسلامي خلال الخلافة العباسية إلى الأقلية الخاصة (النخبة) والعامة (الجماهير) أي التي لا همّ لها إلاّ إشباع حاجاتها الطبيعية – حسب تعبيره–[3]، أما المفكر الإسلامي "أبو الأعلى المودودي" فقد أكّد على الدور الفعال الذي تلعبه (النخبة) في قيادة الجماهير نحو تحقيق النجاح بقوله: " ... إن القوة الحقيقية في الأمة لا تكمن في العامة، ولكن في صفوتها التي تمتلك القدرة على فرض النظام الصالح أو تتسب في حدود انهياره بالفوضى والتفكك ..."[4]، وقد أشار معجم المصطلحات السياسية والدولية، إلى أنّ (L'élite) يقابلها بالعربية الصفوة، أي علية القوم، وهم أقلية ذات نفوذ تحكم الأغلبية، وتلعب هذه الصفوة دورا قياديا وسياسيا لإدارة جماعتهم من خلال الإعتراف التلقائي بهم وبصفتهم[5].

وقد عرف العرب تراثيا مفهوم النخبة ووظفوه في أشعارهم وأناشيدهم وقصائدهم بكلمات مختلفة منها: علية القوم، سادة القوم، والخاصة والأعيان، وكبار القوم، وسراة القوم، وشيوخ القبيلة، وقد أطلقت هذه الكلمة

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مج1، دار صادر، بيروت، 1955، ص–ص 751–752.

[2] Busino Giovanni, **Elites et élitismes**, Collection approche, Ed: Casbah, Alger, 1998 , p. 03.

نقلا عن: خيثر عبد النور، **تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية (1954–1962)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2006/2005، ص14.

[3] Mahfoud Smati, **Les Elites Algériennes soous la colonisation**, Tl, Ed: Dahleb, Alger, 1998, p-p. 13-14.

[4] أبو الأعلى المودودي، **نحن والحضارة الغربية**، الدار السعودية للنشر، جدة، 1984، ص–ص 217–218. نقلا عن: خيثر عبد النور، المرجع السابق، ص14.

[5] أحمد زكي بدوي، **معجم المصطلحات السياسية والدولية**، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ص–ص 52–53

على هذه الفئات النخبوية التي توجّه الحياة الاجتماعية في القبيلة أو في المدينة أو في الدولة، ويبرز مفهوم النخبة في استخدام هذه الكلمات التي أطلقت على بعض الفئات الاجتماعية المتميزة، وهم الأشخاص الذين يمتلكون القدرة على التأثير الفكري والاجتماعي والسياسي في المجتمعات العربية القديمة، وغالبا ما كان هؤلاء الأشخاص يتصفون بالثراء والمعرفة والقوة والشجاعة والبيان الشعري، حيث كان الشعراء والفرسان والحكماء يحتلون المكانة العالية في مجتمع القبيلة العربية في الجاهلية وفي الإسلام أيضا.

ويفضّل بعض الباحثين العرب تأصيل مفهوم النخبة واستخدام مفهوم "السراة" بديلا لمفهوم "النخبة" لأن الثاني محمل بقيم وسياقات غريبة ومن أبرز الدعاة إلى هذا التعريب المفكر اللبناني "إيليا حريق"[1] الذي يرى أنّه حين تمت ترجمة كلمة "Elite" إلى اللغة العربية بـ "نخبة" انحراف الدّالّ على مدلوله، ولبس لبوس الثقافة العربية التي تضع هالة من الخصال الحميدة والتصوّرات والأفعال الحميدة حول كلمة "نخبة" التي تحال إلى الإصطفاء والانتقاء والامتياز والخيرية وحسن الخلق، ومن المفيد في هذا السياق أن نذكر مقطعا من قصيدة الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي [2] للإستدلال على استخدام كلمة "السراة" بمعنى النخبة إذ يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهـم ..... ولا سراة إذا جهالهم سـادوا
تلفى الأمور بأهل الرشد ما صلحـت ..... فإن تولّوا فبالأشرار تنقـاد
إذا تولّى سراة القـوم أمرهـم ..... نما على ذلك أمر القوم فازدادوا

والشاعر هنا كما يبدو واضحا وجليّا يستخدم كلمة "السراة" بمعنى النخبة التي نستخدمها اليوم، ويبين من خلال أبياته هذه أن السراة هم نخبة المجتمع الأقدر على إصلاحه وتوجيهه إلى مساراته السليمة.

وفي اللغة الإنجليزية اشتقّ مفهوم النخبة (L'élite) من الفعل اللاتيني (Eligere) وتعني (يختار)، أي العنصر المختار، وجاء في قاموس أوكسفورد أن النخبة (L'élite) أقوى مجموعة من الناس في المجتمع ولها

[1] إيليا حريق (1934-2010)، مؤرخ وباحث لبناني، نال شهادة الدكتوراه في علم السياسة من جامعة شيكاغو عام 1964، له العديد من المؤلفات بالعربية والإنجليزية في السياسة والاقتصاد والديمقراطية خصوصا المتعلقة منها بمنطقة الشرق الأوسط. ينظر عنه كتابه: **الديمقراطية وتحديات الحداثة بين الشرق والغرب**، دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت، 2001.

[2] هو الأفوه بن عمرو بن مالك الأودي المذحجي (176ق.هـ/450م – 68 ق.هـ/555م)، شاعر جاهلي عرف بالحكمة والقول السديد ..، اسمه صلاة بن عمرو بن مالك .. والأفوه من كبار قدماء الشعراء في العهد الجاهلي، وكان سيد قومه ... يعملون برأيه ولا يخرجون عن مشورته، وهو أحد حكماء العرب المعدودين. ينظر عنه: بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، نسخة محفوظة بتاريخ: 2020/04/12 على موقع واي باك مشين، ص117.

مكانتها المتميزة وذات الإعتبار[1]، ويتضح عبر هذه الرؤية اللسانية أن النخبة تشير إلى الفئة الاجتماعية التي يعتقد أنها الأفضل والأهم بين غيرها بفضل امتلاكها السلطة أو الثروة أو مهارات عقلية مثل: النخبة الحاكمة، والنخبة المثقفة[2]، وجاء في القواميس الفرنسية، أن النخبة أقلية متميزة عن الجماعات التي تنتمي إليها بامتلاكها لخاصية التفوق والقدرة بما تمتلكه من قدرات وخصائص وسمات ومميزات، ويعرف قاموس روبرت الفرنسي النخبة بأنها: مجموعة من الأشخاص المتفوقين في الممارسة الاجتماعية في حقل اجتماعي معين، وهم يمتلكون القدرة على التأثير في المجال السياسي والاجتماعي[3].

وتأسيسا على هذه التعاريف والتصورات القاموسية يمكن القول بأن النخبة جماعة من الأفراد يمتلكون خصائص مميزة تجعلهم أكثر قدرة على التّميّز في أداء أدوار شديدة الأهمية في حياتهم ومجتمعاتهم، ولا سيما مجال توجيه المجتمع واتخاذ القرارات السيادية المهمة في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، ويرى كثير من الباحثين أن استخدام كلمة النخبة حديث نسبيا في اللغتين الفرنسية والانجليزية، حيث استخدمت هذه الكلمة لأول مرة في القرن السابع عشر –كما يورد "بوتمور" في كتابه (الصفوة والمجتمع)، ومن ثم تمّ استخدام هذا المفهوم في عام 1823 لوصف النخب الاجتماعية وأوضاع الحياة الطبقية في أوربا بصورة عامة، ومن ثمّ شاع استخدام هذه الكلمة بين صفوف المفكرين والباحثين في نهاية القرن التاسع عشر ليعبر عن الفئات الاجتماعية الأكثر تميزا في المجتمع تلك التي تحتل مكانة متميزة في الهرم الاجتماعي ولا سيما في المجالات السياسية والعسكرية والثقافية[4].

I. 2. اصطلاحا:

يعرّف المفكر الأمريكي روبرت داهل (1915-2014) Robert Alan Dahl النُّخبة بأنها "مجموعة من الأفراد الذين يشكلون أقلية، وتسود تفضيلاتهم عند حدوث اختلاف التفضيلات المتعلقة بالقضايا

[1] **The Oxford English Dictionary**, Vol.111, Great Britain, Oxford.University Press, 1969, p 90.

[2] محمود محمد الناكوع: **أزمة النخبة في الوطن العربي**، ط1، دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص15.

[3] André Akoun et autre, **Le Robert**, seuil, dictionnaire de sociologie, France, Editions: les presses de Mama, Octobre 1999, p175.

[4] ت. بوتومور: الصفوة والمجتمع، **مجلة الباحث الاجتماعي**، دراسة في علم الاجتماع السياسي، تر: محمد جوهري وعلياء شكري ومحمد علي محمد والسيد محمد الحسيني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 25.

الأساسية في المجتمع"[1]، وجاء في معجم علم الاجتماع بأن النخبة: ".. جماعة من الأشخاص يتم الاعتراف بعظمة تأثيرهم وسيطرتهم في شؤون المجتمع حيث تشكل هذه الجماعة أقلية حاكمة يمكن تمييزها عن الطبقة المحكومة وفقا لمعيار القوة والسلطة بدلالة تمتعها بسلطان القوة والنفوذ والتأثير في المجتمع أكثر مما تتمتع به الطبقة المحكومة فيه، وذلك بسبب ما تمتلكه هذه الأقلية من مميزات القوة والخبرة في ممارسة السلطة والتنظيم داخل المجتمع الأمر الذي يؤهلها لقيادته .."[2].

ويعرف "عبد الجبار محسن" النُّخبة بأنها الطليعة المثقفة التي نالت نصيبا جيداً من المعارف العلمية والتقنية كالأطباء، والمهندسين، وأساتذة الجامعة، وكبار الضباط، وذوي المعارف المكتسبة بجهد خاص، أو تلك الفئة التي برزت في مجالات الثقافة والأدب والفنون ..، أو تلك الشريحة السياسية المتنورة التي تجاوزت ما هو تقليدي في العمل السياسي لتلتقي مع العصر في معطياته.

واستناداً الى خزينها المعرفي وتحصيلها العلمي وتجاربها العملية فإن النُّخبة بمختلف عناصرها تكون متقدمة على محيطها الاجتماعي"[3]، والنخبة وفقا لأغلب التعريفات التي أوردناها، هي طبقة من أفراد المجتمع تتمتع بخصائص ثقافية وفكرية واجتماعية، تمكنها من التأثير في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية في مختلف حقول المجتمع وأنساقه، وتقوم هذه النُّخب بتسيير وتوجيه المجتمع، وتخضعه لتوجيهاتها وقيادتها بطريقة تبدو بمظهرها شرعية وفي جوهرها قسرية أو تعسفية، وغالبا لا يقتصر تكوين النُّخبة على امتياز واحد دون غيره، فالنخبة تتكون من السياسيين، ورجالات العلم، وحملة الشهادات العليا، ورجال الدين، وقد تكون النُّخبة مزيجا من كل هذه الشرائح الاجتماعية مجتمعة. ويمكن القول أيضا :أن النُّخبة جماعة (أو جماعات) من الأفراد الذين لهم خصائص مميزة تجعلهم يقومون بأدوار أكثر تميزا في حياة مجتمعاتهم، ومؤشر هذا التمييز في الأدوار تأثيرهم البالغ في مجريات الأمور وتوجيهها كما ينعكس في تأثيرهم علي عمليات صنع القرار المهمة في مختلف مجالات الحياة[4].

---

[1] مولود سعادة، النخبة والمجتمع- تجدد الرهانات، **مجلة الباحث الاجتماعي**، جامعة باتنة، عدد 10، سبتمبر 2010، ص95.

[2] ينظر: دينكن ميشيل، **معجم علم الاجتماع**، تر: د. إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، ص-ص 117-118.

[3] عبد الجبار محسن، **النخبة ودورها**، موقع الحقيقة: http://factjo.com/pages/memberdetails.aspx?id=900 2011/09/29، 02:26:55.

[4] أحمد زايد، نخب ما بعد الإستعمار، **مجلة الديمقراطية**، العدد25، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يناير 2007، ص 93.

وبناء على ما تقدم، يمكن القول أن النخبة (Elite) تعبّر عن طبقة معينة أو شريحة منتقاة من أي نوع عام، وهي تعني أيضا الأقلية المنتخبة أو المنتقاة من مجموعة اجتماعية تمارس نفوذا غالبا في تلك المجموعة بفضل مواهبها الفعلية أو الخاصة المفترضة[1]، كما يمكن بالاستناد إلى مختلف التعريفات التي أوردناها تحديد مميزات النُّخبة بقلة العدد وعلّة المكانة الاجتماعية والقدرة على التأثير والمشاركة في صنع القرارات الهامة في المجتمع.

II. خصائص ومميزات النخبة:

تحدد كل نخبة بسمات تميّزها عن غيرها، فأعضاء النُّخبة يمتلكون خصائص وسمات فكرية وعقلية ومهارات تؤهلهم لدورهم النخبوي في المجتمع، وتختلف السّمات المطلوبة لارتقاء الأفراد إلى مستوى النُّخب بين مجتمع وآخر عبر التطور التاريخي.

ففي بعض المجتمعات القديمة كان عنصر القوة الجسدية والشجاعة والقدرة على امتلاك فنون القتال والحرب هي السّمات التي كانت تتميز بها الخاصة والنخب، وينظر معظم علماء الاجتماع السياسي إلى "النخبة" على أنها صفوة أو طليعة، تمتلك مؤهلات فكرية وإدارية ومالية، وتهيمن على مصادر النفوذ والقوة والسلطة والثروة، مثل: الخبرة، والمهارة، والمعرفة، فضلاً عن المؤهلات التكنوقراطية والبيروقراطية التي تؤهلها لإدارة مفاصل معينة من الدول الحديثة"[2]، ومن الطبيعي أن نجد الكهنة ورجال الدين الذين احتلوا دائما مكان الحظوة والاهتمام في هذه المجتمعات نظرا لقدرتهم المزعومة على مواجهة الأرواح الشريرة والتواصل مع الآلهة، ففي القبائل العربية القديمة كانت النُّخبة تتكون من الشعراء والفرسان ولكلّ قبيلة شاعرها وفارسها، ومن الطبيعي أن يتميز رجال النُّخبة بسمات جسدية كالشجاعة والقوة أو بخصائص معرفية مثل الكهانة والعرافة والقيافة، أمّا في المجتمعات الحديثة ومع تطور أوجه الحياة فيها ظهرت السمات والخصائص المعرفية والعلمية والثقافية والإدارية، وبدأت تظهر لاحقا أهمية المعرفة والذكاء والقدرات النفسية والإمكانيات الاقتصادية كالثراء والغنى وغير ذلك من السّمات والخصائص التي تجعل الفرد قادرا على تسلم مواقع نخبوية في المجتمع، ويمكن القول بأن النُّخبة –وفقا لهذا التصور– مجموعة من الأفراد الذين يتميزون بقدراتهم العلمية وتميزهم الثقافي، أو بما يمتلكون عليه من ثراء

[1] شاكر النابلسي، **السياسة بين الجماهير"الدهماء" والنخبة**، موقع الوطن، 2013/11/08، 01:04.
http://alrasidaltanweeri.com/news77.html

[2] فاضل ثامر، النخبة الثقافية العراقية، **جريدة تاتوو**، السبت 19-01-2013، نقلا عن:
http://www.tatoopaper.com/news.php?action=view&id=1066

اقتصادي وثروات طائلة، أو خبرات إدارية، أو مرتبة دينية، وقد تمتلك هذه المجموعة بعض هذه السمات أو كلّها في وقت واحد.

III. نماذج نخبوية:

في كل ميدان اجتماعي أو قطاع انتاجي في المجتمع تنهض نخبة تعبر عنه وترسم حركته وتحدد مساره، وتشكل هذه النخب مجتمعة ما يمكن أن نسميه مجتمع النخبة حيث تتظافر جهود هذه النخب في تحقيق التوازن الاجتماعي والحضاري في المجتمع وتعمل على تجديد حركته ونشاطه في أفضل الأحوال. ولا يمكن لدراسة واحدة أن تشمل مجتمع النخبة بمختلف تجلياته، ولكننا في هذه الدراسة سنعمل على تقديم ثلاثة نماذج لثلاثة أنواع من النخب ذات الأهمية الكبرى في توجيهها ولاسيما في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وسنعمل على تقديم إضاءات سريعة لثلاثة أنماط من النُّخب وهي: النخبة السياسية، والنخبة الثقافية، والنخبة الدينية.

III. 1. النخبة السياسية (Les élites politiques):

شكّل موضوع النُّخبة السياسية واحدا من أكثر موضوعات علم الاجتماع السياسي المعاصر أهمية وحضورا، وذلك لأن هذه النُّخبة غالبا ما تكون أقلية حاكمة تحتكر مواقع النفوذ وتهيمن على أهم المناصب السياسية ومراكز القوة والإدارة في المجتمع، وبعبارة بسيطة: النُّخبة السياسية تتمثل في الجماعة التي تسيطر على مقاليد الحكم.

ومن الواضح أن مفهوم النخبة السياسية يعبر عن تمركز السلطة والقوة والنفوذ داخل المجتمع بيد مجموعة من السياسيين الذين يحمكون المجتمع ويوجهون حركته السياسية،[1] وذلك هو التعريف الذي ورده "دينكن ميتشل" في قاموس علم الاجتماع معرفا إياها بأنها "جماعة من الأشخاص يتم الاعتراف بعظمة تأثيرها وسيطرتها في شؤون المجتمع حيث تؤلف فيه هذه الجماعة أقلية حاكمة يمكن تمييزها عن الطبقة المحكومة وفقا لمعيار القوة والسلطة والنفوذ والتأثير في المجتمع (...)، وذلك لما تمتلكه هذه الأقلية من مميزات القوة والخبرة في ممارسة السلطة والتنظيم داخل المجتمع الأمر الذي يؤهلها لقيادته[2].

[1] محمد شطب عيدان الجمعي، النُّخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية، **مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية**، السنة 1، المجلد 1، العدد 4، بغداد، 2009، ص-ص 132-157.

[2] دينكن ميشيل، **معجم علم الاجتماع**، تر: د.إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، ص117-118.

وتشكل النُّخبة السياسية النواة الأساسية لمختلف التجليات النخبوية في المجتمعات الإنسانية، وتأخذ مكانة الدور المركزي والحيوي في توجيه الحياة الاجتماعية وإدارتها. وضمن هذا التصور يرى كثير من المفكرين منذ أفلاطون حتى اليوم أن الحكام يشكلون العقل المدبر لمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، وتختلف وضعية النُّخبة السياسية بين مجتمع وآخر، وبين مرحلة تاريخية وأخرى، فالنُّخب السياسية في المجتمعات القديمة كانت مطلقة النفوذ وعلاقتها بالنُّخب الأخرى هي علاقة هيمنة وتبعية، وأحيانا قليلة تأخذ علاقة مشاركة في السلطة والحكم، ومن الطبيعي أيضا أن تتغير التعريفات المتعلقة بالنسبة السياسية وفقا لعدد كبير من المتغيرات الاجتماعية والتاريخية، فعلى سبيل المثال يقتصر مفهوم النُّخبة عند "بنتام" (Puntam) فقط على أولئك الذين لهم سلطة أكبر على الآخرين، فالنخبة السياسية في هذا المقام تقتصر فقط على البرلمانيين، الوزراء ورؤساء الدولة بالإضافة إلى كبار الموظفين[1].

وهناك من الباحثين من يميز اليوم بين مفهوم "النُّخبة السياسية" وبين ومفهوم "الطبقة السياسية"، ويرون أن النخبة السياسية تضم: أعضاء الحكومة، وأعضاء الإدارة العليا، والقادة العسكريين، وفي بعض الحالات الأُسر ذات النفوذ السياسي؛ من أرستقراطية أو من البيت المالك، وقادة المؤسسات الاقتصادية القوية، أما الثانية أي الطبقة السياسية فتضم: النُّخبة السياسية، لكنها تضم أيضاً النخبات المضادَّة المؤلفة من قادة أحزاب سياسية ليست في الحكم، وممثلي مصالح أو طبقات اجتماعية جديدة، كالنقابات مثلاً، وفئات من رجال الأعمال، ورجال الفكر ممن هم فاعلون في الحقل السياسي، وفي هذا الصدد، يرى بوتمور: أن النُّخبة السياسية هي تلك المجموعة التي تضم أفرادا يمارسون السلطة السياسية داخل المجتمع خلال فترة زمنية محددة، وضمن هذا الإطار تضم هذه النخبة أعضاء الحكومة وكبار الموظفون الإداريين والقادة العسكريون والمستثمرون الاقتصاديون الكبار وبعض العائلات النافذة سياسيا.

ويشمل مفهوم النُّخبة السياسية عند موسكا وباريتو مجموعة من الناس تمارس السلطة السياسية مباشرة، وتكون في وضع تؤثر فيه بشدة في عملية ممارسة هذه السلطة[2]، وذهب عدد كبير من الباحثين إلى أن النُّخبة السياسية تشكل فئة اجتماعية متقاربة، رغم بعض اختلافاتها الأيديولوجية والسياسية، كما أكدوا أيضا أنها تأتي

[1] كوليت أسمال، مظاهر خصوصية النُّخب السياسية، **المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي**، العدد 9 – 10، السنة الثالة، الدار البيضاء، 1989، ص 5.

[2] ت. بوتومور، المرجع السابق، ص 8.

عبر سبل مختلفة ومتعددة، تتأرجح بين الوراثة والقوة والتعيين والتزكية تارة وبين الانتخاب تارة أخرى[1]، وعليه فإن الفرق الأساسي بين النُّخبة السياسية وباقي النُّخب يكمن في كون الأولى تتمتع بالصلاحيات التي تمكّنها من تحديد مسار توجهاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأخلاقية غالبا، مما يجعل سلطاتها واسعة وتأثيرها كبيرا جدا، أما النُّخب الأخرى فإنها تمارس نفوذها وسلطتها ضمن مجالاتها الخاصة، دون أن تكون قادرة على التأثير مباشرة في التوجهات السياسية للمجتمع بشكل مباشر[2]، ومن هذا المنطلق تأخذ النُّخبة السياسية مركزا متميزا بين النُّخب الأخرى، باعتبارها تملك القوة والقدرة داخل النظام السياسي للدولة، وتسهم بشكل محوري في صناعة القرارات[3]، وهناك بعض الباحثين الذين يحددون النُّخبة بأشخاص سياسية كبيرة مثل رؤساء الجمهوريات، ورؤساء الوزارات، والأحزاب والمجالس البرلمانية، ويرون أن هذه النُّخبة تستطيع أن تحدث الإصلاحات والتغير داخل المجتمع والدولة، ذلك أن استمرارية الديموقراطية على امتداد فترات زمنية طويلة يتطلب العديد من التغييرات والتعديلات، تستطيع النُّخبة من خلالها –النُّخبة التي تقدر الديموقراطية وتستجيب للاهتمامات المختلفة وتعمل على دمجها– أن تقوم باستمرار بإصلاح الديموقراطية وإعادة تشكيلها[4].

ومن خلال المعطيات السابقة يمكن القول أن النُّخبة السياسية هي أقلية داخل المجتمع، تتوفر على خصائص وقدرات ذاتية وإمكانيات أخرى موضوعية تمكنها من قيادة المجتمع والتأثير في مساره من خلال قدرتها على صناعة القرارات السياسية [5]، ومن المفروض أن تحتل النُّخبة السياسية – باعتبارها الفئة التي تستأثر باتخاذ القرارات الأساسية في الدولة أو تؤثر فيها– مكانة متميزة داخل المجتمعات باعتبارها القاطرة التي ينبغي أن تقود حركة التطور والتنمية، غير أن نجاح هذا الدور الحيوي والهام يظل مرتبطا بمدى قوتها ومصداقيتها وتجددها.

III. 2. النُّخبة الدينية:

تتشكل النُّخب الدينية غالبا من العاملين في الحقل الديني في مجال التشريع والخطابة والإمامة والتفسير والفقه والعلوم الدينية، أي العلماء والمراجع الدينية، وأرباب المساجد، ووعاظ الكنائس والمعابد، والعاملون في

[1] يراجع: إدريس لكريني، النخبة السياسية وأزمة الإصلاح في المنطقة العربية، مجلة الديمقراطية، مؤسسة الأهرام، مصر، العدد 25 يناير 2007.

[2] حسن قرنفل، **المجتمع المدني والنخبة السياسية**، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2000، ص 154.

[3] إدريس لكريني، المرجع السابق.

[4] مجموعة من الباحثين، **مصادر الديموقراطية: ثقافة المجموع أم دور النخبة**، إعداد: لاري دايموند، تر: سمية فلوعبود، دار الساقي، لبنان، الطبعة العربية الأولى 1994، ص 222.

[5] ينظر: إدريس لكريني، المرجع السابق.

مجال المقدس انتاجا لرموزه وتأصيلا لحركته الروحية في نفوس البشر، وتعرف النُّخبة الدينية بأنها "فئة تتمتع بقسط متميز من المعرفة الدينية، تؤهلها للقيام بعدد كبير من الوظائف الدينية كالإفتاء والقضاء والتعليم، ولها سلطتها العلمية والدينية ولها نفوذها على باقي الفئات الأخرى كما لها مصالحها المشتركة وأدوارها[1]، ويرى "جورج ليند برج" أن رجال الدين في كل الديانات يمثلون طبقة اجتماعية كاملة، وأهم وظائفها تربية الشباب وتوجيههم وتعليمهم، والحرص على المحافظة على تقاليد المجتمع، والإشراف على ممارستها، وتدعيم القيم والأعراف[2]، ومن المعايير التي تُعتمد في تعريف النخبة الدينية درجة التعليم والتحصيل العلمي المعرفي لهذه، إضافة إلى الفعاليات الدينية والممارسات الوظيفية الدينية التي تقوم بها هذه النُّخب الدينية[3]، فالمقدس نسق رمزي – ممثلا بنخبته الدينية– يعبر عن علاقة الإنسان بالقوى الروحية المتعالية التي تضفي على حياة الإنسان معنى ودلالة وأهمية، وفي القطب الآخر فإن السياسة – ممثلة بنخبتها الزمنية – تشكل نسقا من علاقات القوة التي تضع الإنسان في مسار المزامنة التاريخية الملموسة للوجود الإنساني. وفي دائرة هذه العلاقة الجدلية بين المقدس الديني والسياسي الزمني، تنتظم الحياة الإنسانية وترتسم جدليتها التاريخية في دورة من الوحدة والانفصام في توجيه الحياة السياسية للمجتمعات الإنسانية، ولطالما كانت النُّخبة الدينية شديدة الصلة جدليا بالنخبة السياسية تاريخيا.

وقد لعب المقدس الديني دائما دورا استراتيجيا في تعزيز الأنظمة السياسية وتبرير وجودها تاريخيا وانتاجها في كثير من الأحيان، إذ لا يمكن لنا أن نتصور سلطة زمنية مفارقة لسلطة روحية ذات طابع قدسي، وقلما نجد في التاريخ سلطة زمنية مستقلة بدورها عن المقدس الديني. وعلى الأغلب فإن السلطة الدينية كانت تلعب تاريخيا دور الشريك الاستراتيجي للسلطة السياسية في الحكم والامتيازات، وكانت هذه المشاركة تأخذ دورا ملموسا أو رمزيا في أغلب الحيان، ومن يتأمل في التاريخ الإنساني سيجد دائما عمق العلاقة بين طبقة الكهنوت والنُّخب السياسية، وهذه العلاقة تحكمها دائما الضرورة التاريخية للمقدس في الممارسة السياسية للسلطة والحكم، ويعلمنا التاريخ أن المقدس كان في كثير من الحالات ينتج ما هو زمني في الحياة السياسية، وما السياسي –في جوهره– إلا تعبير عن تجسد المقدس في تعينات زمنية سياسية تفقد صلتها مع الروحي والديني مع دورة الزمن.

---

[1] فضيل حضري، **تشكّل النُّخبة الدينية في الجزائر، دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية: 2012– 2013، ص 56.

[2] حسين عبد الحميد رشوانا، **الدين والمجتمع دراسات في علم الاجتماع الديني**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2004، ص 146.

[3] فضيل حضري، المرجع السابق، ص 103.

فالتداخل والتشاكل بين الديني والسياسي صبغ التجربة البشرية السياسية منذ القدم، وقد أكد "جورج بالانديه" على هذا التداخل الوجودي في أبحاثه حول العلاقة بين الدين والسلطة، وبيّن أن المقدّس كان حاضرا دائما في صلب السلطة ومتأصلا في جوهرها ومتماهيا في ممارساتها، وهذا المقدس نفسه كان جوهريا في تأكيد وحدة المجتمع وديمومته وهويته الواحد[1]، وفي عمق الجدل الدائر بين الديني والسياسي لم يقتصر المقدس دائما على وظيفة الدوران في فلك السياسي وتبرير ممارساته بل كان في كثير من الأحيان يلعب دورا حيويا في لجمه والحدّ من غلوه وتجاوزاته، وكان المقدس دائما يمتلك استراتيجيته الخاصة للحدّ من غلواء السلطة ومجازفاتها[2]، وضمن هذه الرؤية كان الدين يمتلك في كثير من الأحيان وسائله المقدّسة لكبح تجاوزات السلطة السياسية وإنتاج التجديد الديني أو المعارضة[3]، ومن الطبيعي أن جدل التماهي والتناقض بين السياسي والديني كان مرهونا بعوامل تاريخية ومجتمعية متعددة، ففي كثير من مراحل التاريخ كان المقدس يختطف السياسي ويضعه ضمن دورته وفي مدار جاذبيته المطلقة، كما كان هو الحال في العصور الوسطى الغربية حيث كان للمقدس الديني دور الهيمنة المطلقة على السياسي، وذلك في زمن كان الأساقفة يخلعون تيجان الملوك وينصبونهم على عروشهم.

وهناك في الثقافة العربية نماذج للتماهي بين أهل السياسة وبين أهل القداسة، إذ كان الحاكم دائما يبحث عن علاقة جوهرية مع المقدس يضفيها على سلطته ليزداد قوة ومنعة، وقد بدأ الحكام منذ العهد الأموي يستميلون رجال الدين ليضعوهم في خدمة أغراضهم السياسية عبر تزييف الدلالات واستنباط الأحكام الدينية لتبرير الفتاوى السلطانية، وابتداع الأحاديث التي تخدم هيمنة الحاكم وسلطته المطلقة، وقد وجد الحكام في رجال الدين دعاتهم المفضلين لتأكيد وجوب إطاعة ولي الأمر حتى لو كان ظالما لأنه خليفة رسول الله وأمير المؤمنين، وظل العلماء ينافحون عن الحكام، بل ظهر فكر جديد منذ القدم تولته السلطة السياسية الأموية، وهي كما يقول الذهبي: "...أن أهل الشام كانوا يظنون بأن الحكام والولاة معصومون، وقام غيرهم يدعي بأن الحكام يغفر الله لهم ما لايغفره لغيرهم..."[4].

---

[1] نقلا عن: علي أسعد وطفة، مرجع سابق.

[2] حسين فوزي النجار، **الإسلام والسياسة**، مطبوعات الشعب، نسخة الكترونية، ص7.

[3] حسن أبو هنيّة، **استلاب الإسلام: جدل الديني والسياسي**، التقرير، السبت 30 أغسطس 2014. https://altagreer.com

[4] عبدالرحمن الجميعان، طبقة رجال الدين! (2)، **جريدة النهار**، العدد 1846، الأربعاء 5 سبتمبر 2012:
http://www.annaharkw.com/annahar/Article.aspx?id=347596&date=05092012

ومن الواضح أن رجال السياسة استطاعوا تسييس الدين ورجالاته لمصالحهم في أكثر مراحل التاريخ، وغالبا ما يشار إلى رجال الدين الذين ينافحون عن السلطان، بأنهم فقهاء السلطان، وكثير ما يُوضع هؤلاء الفقهاء في قفص الاتهام من قبل المفكرين ويُتهمون بالفساد، وتحضرنا في هذا المقالم مقولة طريفة لأحد علماء الأمة يقول فيها: "إذا التقيت بمعمم فاسد، لا تقل: هذا المعمم فاسد، بل قل: هذا الفاسد تعمم، وهذا يعني أن الدين لا يصاب بالفساد بل هو حامله الذي يعتريه الفساد ..."، ومن جانب آخر نجد أن الغرب استطاع في نهاية الأمر أن يفصل بين الدين والسياسة وتراجع دور النُّخبة من رجال الدين في القرن الثامن عشر حيث انتصرت السلطة الزمنية وأزاحت المقدس عن مركزية السلطة.

III. 3. النُّخبة الثقافية:

عندما نأخذ بمفهوم "فيلفريدو باريتو" للنخبة، بوصفهم الأفراد الأكثر تميزا وحضورا وتأثيرا في مجال اختصاصتهم، عندها نستطيع أن نبني على هذه الرؤية لتحديد مفهوم النخبة الثقافية، وضمن هذا التصور يمكن القول بأن مفهوم النُّخب الثقافية يدل في أبسط تعريفاته على أولئك الذين يمارسون تأثيرا أكبر في مجال الإنتاج الثقافي والرمزي في مجتمعاتهم وحقول تخصصاتهم الفكرية، ولاسيما الكتاب والمنظرون والأدباء والشعراء والمفكرون والمنظرون والإعلاميون[1].

ويتميز هؤلاء بطاقتهم الإنتاجية في مجال الفكر والثقافة، كما يتميزون بتأثيرهم الكبير في الروح المعنوية والثقافية لشعوبهم، وغالبا ما يميز الباحثون بين النخبة الثقافية والمثقفين، فالمثقفون يشكلون طبقة واسعة من العاملين في حقل الثقافة ولكن النخبة منهم ترمز إلى أكثرهم تميّزا وتأثيرا وحضورا في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع، وهذا يعني أن النخبة الثقافية تتشكل من كبار الأدباء والكتاب والمؤرخين والشعراء والفنانين الذي يلعبوم دورا مميزا وحيويا في مجال اختصاصاتهم الفكرية والمعرفية، وللتعبير عن النخبة الثقافية استخدم المفكرون عادة عددا من المصطلحات أبرزها: مصطلح "الأنتلجنسيا" بصبغته الماركسية، ومصطلح "المثقف العضوي" وفقا لنظرية غرامشي، ومصطلح "المفكر الرسولي" صاحب الرسالة وفقا لمصطلح "إدوارد سعيد"، ومصطلح "المفكر النقدي" وفقا لمنظور "نيتشة" و"سارتر".

[1] نقلا عن: علي أسعد وطفة، مقال سابق.

ومن هذه الزاوية ينظر "جوليان بندا" إلى النخبة من المثقفين "باعتبارهم نخبة ضئيلة من الملوك الفلاسفة من ذوي المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية (...)؛ إن المثقفين الحقيقيين يشكلون طبقة العلماء والمتعلمين بالغي الندرة لأن ما ينادون به هو المعايير الخالدة للحق والعدل"[1]، والمثقفون الحقيقيون -كما يقول بيندا- هم الذين يجدون متعتهم في ممارسة الفن أو العلم أو التأمل الميتافيزيقي، وليس في السعي وراء الغايات المادية العملية، وهذا الأمر لا يعني بالضرورة أن هؤلاء المثقفين منعزلون عن العالم في أبراج عالية، فالمثقف لا يكون مثقفًا حقيقيًا إلا حين يعارض الفساد، ويدافع عن المستضعفين، ويقف في وجه السلطة القامعة والفاسدة، وفي هذا الجانب الأخلاقي من الثقافة يقول "جوليان بندا" عن المثقفين الحقيقيين بأنهم أقرب ما يكونون إلى الصدق مع أنفسهم، حين تدفعهم المشاعر الميتافيزيقية الجياشة والمبادئ السامية، إلى فضح الفساد والدفاع عن الضعفاء وتحدي السلطة المعيبة الغاشمة[2]، وهذا الأمر عينه الذي يعلنه تشومسكي عندما يقول: "إن من مسؤولية المثقفين أن يقولوا الحقيقة ويفضحوا الأكاذيب، وأن المثقف هو من يحمل الحقيقة في وجه القوة."

وكما أوضحنا في مختلف تعريفات النُّخب، فإن الذين يشكلون نخبة ما غالبا ما يكونون الأفضل بين أقرانهم والأكثر تأثيرا في مجال اختصاصهم، ومن هذا المنطلق فإن نخبة المثقفين تتمثل في أكثرهم انتاجا وفعلا وتأثيرا وحضورا وممارسة وإبداعا في مجال الفكر والثقافة والإبداع الثقافي، وهذا يشمل مختلف القطاعات الثقافية في الأدب والشعر والفن والموسيقى والرسم والنحت والتصوير وفي شتى العلوم الإنسانية.

ويعرف طارق مخنان النخبة المثقفة بقوله: "هي مجموعة من الأشخاص المتجانسين، يمتلكون رصيدا معرفيا ولهم تكوين عالي، ويتمتعون بسلطة رمزية تخولهم التفكير في قضايا المجتمع، كما أن مفردة النخبة تحيل إلى نوع من الانتخاب الاجتماعي بمجرد امتلاكه كفاءات نظرية وفكرية في المعارف والعلوم والتقنيات، ومفردة الثقافة

[1] إدوارد سعيد، **المثقف والسلطة**، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص-ص 34-35.

[2] Regard: Julien Benda, **La trahison des clercs**, Ed: Grasset, Paris ,2003.

تشمل قطاعات واسعة كالأدب والفلسفة والعلوم الاجتماعية وحتى التقنية والبحثية، فالمثقف هو من يتعدى حدود اختصاصه للتكلم في قضايا تشمله كعضو في مجتمع يرتبط مصيريا بالانتماء إليه"[1].

ويعرف الجابري نخبة المثقفين بأنهم يشكلون الفئة الواعية التي أكتسبت، بحكم ثقافتها، موضوعية التفكير ووضوح الرؤية، والقدرة على التحليل والمحاكمة المنطقية، مما يجعلهم في حصن من أن تنطلي عليهم أساليب البرجوازية ومن أن يخيفهم تحكم المتسلطين، إن المثقفين هؤلاء، هم وحدهم القادرون على تصحيح تلك الصورة في الوعي الجماهيري، ورسم الطريق الصحيح لتحقيقها في حيز الواقع الملموس[2]، ويشمل تعريف النُّخب الثقافية الأكثر تأثيرا في مجال الانتاج الثقافي والرمزي في المجتمع، ولاسيما الكتاب والمنظرون وأساتذة الجامعات والأدباء والشعراء والمفكرون والمنظرون والإعلاميون.

ويتميز هؤلاء بطاقتهم الانتاجية في مجال الفكر والثقافة كما يتميزون بتأثيرهم الكبير في الروح المعنوية والثقافية لشعوبهم، وغالبا ما يميز الباحثون بين النخبة الثقافية والمثقفين، فالمثقفون يشكلون طبقة واسعة من العاملين في حقل الثقافة ولكن النخبة منهم ترمز إلى أكثرهم تميّزا وتأثيرا وحضورا في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع، وهذا يعني أن النخبة الثقافية تتشكل من كبار الأدباء والكتاب والمؤرخين والشعراء والفنانين الذي يلعبوم دورا مميزا وحيويا في مجال اختصاصاتهم الفكرية والمعرفية، وجل ما نعنيه بالنخبة يتمثل في طبقة "المثقفين المحترفين" حسب تعبير "كارل مانهايم" أي الذين يكرسون كل وقتهم لمهنة الكتابة والتأليف والإنتاج المعرفي.

ومن خلال ما تم تقديمه، يبقى مفهوم "النخبة" واحدا من المفاهيم الدينامية التي تتميز بطابع الانفتاح الشامل والدائم على مختلف المحاولات العلمية التي كرست وتكرس لرصده، ومثل هذا المفهوم يأخذ مكانه في دائرة التحولات الاجتماعية والسياسية، فمفهوم النخبة يعبر عن واقع سياسي شديد التغير وبالتالي فإن عملية ضبط المفهوم تحتاج إلى يقظة علمية مستمرة ودائمة للكشف عن معطياته ومستجداته.

---

[1] طارق مخنان، **أزمة غياب دور النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير**، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، الموسم الجامعي 2011-2012، ص 20.

[2] محمد عابد الجابري، **مفهوم الثقافة .. وقاموس الخطاب العربي المعاصر**، مركز دمشق للدراسات النظرية وحقوق الإنسان 2007/12/11: http://www.mokarabat.com/s3011.htm

وقد حاولنا عبر هذه النقاط أن نميط اللثام عن أبعاد مفهوم النخبة بمفرده وجمعه، وقدمنا رؤية شاملة لهذا المفهوم عبر التاريخ الإنساني، وقد رسمنا حدود وأبعاد التعريفات اللغوية للمفهوم، وفي ظل هذه الرؤية توخينا أن نقدم صورة بنائية لمفهوم النخبة منطلقين من الإعتبارات التاريخية السياسية والاجتماعية لبدايات ظهور المفهوم وتطوره في ظل الحياة السياسية للمجتمعات الإنسانية القديمة والمعاصرة، واستطعنا أن نسقط دلالات هذا المفهوم على ثلاثة نماذج للنخب في مجالات الثقافة والسياسة والدين وهي النخب الأكثر أهمية في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية في مجتمعنا الجزائري في فترة الدراسة، وبذلك نوضح الدور التاريخي والمجتمعي الذي تمارسه النخب في مجال الحياة السياسية والاجتماعية ومدى تأثيرها في مجتمعاتها.

ثانيا: النخبة الجزائرية (الواقع والملامح):

I. النخبة الجزائرية، بين المفهوم والدلالة:

إذا اعتبرنا أن النخبة –حسب التعريفات السابقة– هي الصفوة التي تتوفر على مؤهلات تجعلها مميزة عن العامة، فإنه يمكن القول بأن الجزائر قد شهدت عدة نخب تركت بصماتها في مختلف المجالات على مرّ العصور والحقب التاريخية، خاصة بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب خلال القرن السابع ميلادي، حيث أصبحت منطقة المغرب الأوسط (الجزائر) تنتقي نخبها من الأوساط الدينية التي تملك من العلم والجاه والثروة وقدرة التأثير على الجماهير، وقد كانت المسؤولية الملقاة على عاتق هؤلاء تتمثل أساسا في الرئاسة والإرشاد والدعوة إلى الجهاد، وغيرها من الأمور الدينية والدنيوية[1]، وفي المقابل نجد العديد من الكتابات التاريخية وخاصة الفرنسية منها تذكر أنّه لم يكن في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وجود للنخبة أو المثقفين، فالجزائر –حسبها– كانت تشبه لحد كبير أوربا خلال العصور الوسطى، بلا سكان حضريين، ولا طبقة وسطى، ولا كيان ثقافي، وتدّعي أنّها واجهت منذ البداية مجموعة غير متجانسة تختلف من حيث الأهمية، ولم يكن هناك أيّ رابط بينها، فكانت القيادة ترجع حسب ما ذكره "لورو" (Leheureux) إلى الشيوخ المحليين أو المرابطين[2]، فالنخبة والطبقة البرجوازية في نظر الكثير من المؤرخين الفرنسيين [1] كانت "ظاهرة خاصة بالعهد الفرنسي" دون سواه من العصور التي سبقته.

[1] كمال فيلالي، الحراك السوسيو–تاريخي للفاعلين وتطور مفهوم النخبة في تاريخ الجزائر الحديث، **مجلة الهجرة والرحلة**، ع1، جامعة منتوري قسنطينة، أفريل 1995، ص–ص 13–14.

[2] **A.N.O.M**, Rapport de Mr. Lehreureux 1923,B.n° 27H23.

والحقيقة أن مصطلح النخبة لم يكن متداولا في الأوساط الجزائرية قبل نهاية القرن التاسع عشر باعتبار أن المصطلح كان وليد الأدبيات الكولونيالية (صحافة، تقارير، ... إلخ)، إلاّ أن هذا لا يعني انعدامها، خاصّة إذا اعتبرنا أن النخبة هي الأقليّة التي تمارس الرّيادة في المجتمع الذي تنتمي إليه، وعليه فإننا سنلاحظ وجودها في المجتمع الجزائري عبر حقبه التاريخية المختلفة، ولكن كان يعبّر عنها ببعض المصطلحات التي تحمل نفس دلالة النخبة كالعلماء و الشيوخ والفقهاء والمثقفين والقضاة والأعيان ... إلخ، فهؤلاء كان لهم حضور مميز في الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي.

والجدير بالتوضيح هنا أن مصطلح النخبة الشائع في الكتابات التاريخية الجزائرية اليوم لا يحمل الدلالة الحقيقية للتعريف الدقيق للنخبة كمصطلح سياسي، وإنّما يحمل في جوهره الإشارة إلى التيار الإندماجي في الحركة الوطنية الذي تزعمته العناصر المتفرنسة[2] ثقافيا واجتماعيا[3]، وهو خطأ شائع موروث عن الكتابات الإستعمارية التي حصرت المفهوم في طائفة محظوظة في علاقتها بالإدارة الإستعمارية، التي كان أغلب عناصرها من العائلات الكبيرة ذات النفوذ والمال من جهة، وذات السوابق في خدمة الوجود الأجنبي منذ بداية الاحتلال.

وإنّ مثل هذا النقد لا نعني به إنكار امتلاك المجتمع الجزائري تحت وطأة الإستعمار لنخبة تمثل الصفوة المتعلمة الواعية والحاملة لآمال وطموحات الفئات العريضة من الجماهير المعدمة ثقافيا واجتماعيا، ولكننا نسعى إلى توضيح أنّ مصطلح "النخبة" الذي تم إضفاؤه على تيار معين ومجموعة محددة من الجزائريين لا يستند إلى أساس علمي يتوافق مع المفاهيم المختلفة للمصطلح، لأننا إذا ما أخذنا بالمعيار القرآني والإسلامي للعضوية في

نقلا عن: الطاهر عمري، **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900–1940م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2003–2004م، ص43.

[1] من بين هؤلاء نذكر "فليكس غوتيه" الذي نفى تماما وجود النخب في الجزائر والطبقة البرجوازية قبل الاحتلال، فذكر بأن الجزائر تقريبا ريفية وليس لها أو عندها شيء حتى في تلمسان التي وإن وجدت فيها برجوازية مسلمة، فهي لا تساوي شيئا، ينظر: خالد بوهند: **النخب الجزائرية دراسة تاريخية واجتماعية 1892–1942م**، دار القدس العربي، الجزائر، 2015، ص14.

[2] يعرفها الشريف بن حبيلس قائلا: "هم الشباب الناشئ في الجامعات الفرنسية والذين تميزوا عن العامة بعلمهم الذي مكنهم من الإرتقاء إلى مصاف ناشري الحضارة. ينظر: الشريف، بن حبيلس، **الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي**، تر: عبد الله حمادي وآخرون، دار المسك، (د،ت)، ص 139.

[3] إن الإشارة للنخبة في الحركة الوطنية الجزائرية غالبا ما يتضمن الإشارة إلى الفئة المتفرنسة التي تلقت قسطا وافرا من التكوين الثقافي في أحضان المدرسة الفرنسية في الجزائر المستعمرة. ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي: **من تصفية الإستعمار إلى الثورة الثقافية** 1962–1972م، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، ص18. أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص–ص 159–160. عبد القادر حلوش، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1992، ص252.

"نادي النخبة"، ونقصد هنا العلم كأساس للتفاضل بين الناس، فإن النخبة الإندماجية كانت تمثل إحدى المجموعات المتعلمة، ولا يمكن أن تكون هي النخبة كلها، إلاّ إذا سلّمنا بأن العلم والثقافة لم يكن لهما وجود خارج الإطار الإستعماري "الأورو-مركزي" الذي أفرز تسمية "النخبة" وحصرها في مجموعة معينة بذاتها في الجزائر المستعمرة، ويمكن أن نحاجج على صحة التحليل بتوظيف وجهة نظر فيلسوف التاريخ الإيطالي "ميراقليا" الذي اعتبر الدارونية الاجتماعية بقوانينها القائمة على مبدأ الإنتقاء الطبيعي هي التي أضفت على التوجهات النخبوية الغربية شرعية علمية، وفي الواقع تجاوز تأثير هذه النظرية هذا النطاق لأنها تحولت أيضا إلى عامل (مبرر) سيكولوجي استندت عليه الحركة الإستعمارية الأوربية فيما بعد[1].

ويذهب "ميراقليا" إلى القول بأن النخب في صورتها الأرستقراطية والوراثية زائلة ووهمية، لأن هناك أرستقراطية طبيعية لا تستطيع أي قوة إزاحتها بصورة نهائية، وهي أرستقراطية العلم والكفاءة والقيم التي تعبّر عن العقل وعن روح وآمال الشعوبفي كلّ زمان، لأنها تتوافق في جوهرها مع معيار "العلم والكفاءة دون أي اعتبار للأصول الاجتماعية والعرقية وللإختلاف في الأزمنة وبين الثقافات والحضارات، ومنه لا يمكن إسقاط مفهوم النخبة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية على التعريفات المختلفة التي صاغها الفلاسفة وعلماء السياسة والاجتماع على اختلاف مشاربهم، وذلك لعزلة تلك القلّة الموصوفة بالنخبة عن مجتمعها وغربتها عن ثقافتها وانتمائها الحضاري، لأن الشرط الأساسي في انتساب نخبة ما إلى مجتمع ما يكمن في علاقتها العضوية به وليس في ارتباطها وولائها وإخلاصها لقوّة أو نظام استعماري قمعي مسلط على رقاب العامة من أبناء شعبها.

ولقد كانت الصحافة والدوائر السياسية الكولونيالية في الجزائر وراء ظهور تسمية "النخبة" في مطلع القرن 20م، وعلى الرغم من ذلك تستمر كتاباتنا التاريخية في مجاراة تلك التسمية التي تمثل نموذجا صرفا للنزعة المركزية الغربية في صورتها الفرنسية، لأنها تحدد شروط امتلاك اللغة والثقافة الفرنسيتين لعضوية "النخبة"، وهذا ما يعبر عن تصنيف استعماري يقوم على مبدأ التمييز بين الفئات المختلفة للنخبة الجزائرية الفعلية لصالح الفئة الأكثر ارتباطا بالاستعمار ومدرسته الإقصائية الإنتقائية ذات التوجه اللائيكي الليبرالي.

فالنظام الاستعماري كان في جوهره نظاما مغلقا أحاديّ النخبة -على حدّ تعبير "ريمون آرون"- إذ كان نظاما قمعيا تسلّطيا لم يسمح بتطور النخب التقليدية الجزائرية، وكان الوضع ذاته حتى بالنسبة للنخبة المتفرنسة

[1] نقلا عن: علي أسعد وطفة، مقال سابق.

التي كانت نتاجا لمدرسته في الجزائر، وعمل على إبقاء تلك النخب في حالة من الإرتباط والولاء المطلق له، وإذا ما حاولنا إسقاط تحليل المفكر والفيلسوف الإيطالي "فيلفيردو باريتو" في سياق شرحه لتداول النخب الذي جاء فيه قوله: "... لا يتم تغيير وضعية نخبة ما حاكمة إلاّ إذا حدث اختراقها من طرف عناصر جديدة تنظمّ إليها وتنجح في طرح أفكارها وتصوراتها، ولكن إذا حدث أن تبنّت هذه العناصر أفكار النخبة التي انضمّت إليها فإنها تذوب فيها، وتتحول في النهاية إلى عناصر حليفة وخادمة..."[1].

والملاحظ أنه منذ بداية الفتح الإسلامي للمنطقة تغيرت معايير اختيار النخب، فبعدما كانت القبائل خاضعة لشيخ القبيلة أو كبيرها الذي يتم اختياره، ويقوم بدور الرئيس ويسهر على تنفيذ قرارات الجماعة [2]، وبذلك أصبحت كل قبيلة منصاعة للمرابط، وهو عالم دين مستنير، وكان المسلمون يتركون في كل قبيلة واحدا يعلم الناس أمور دينهم ويحل خصوماتهم، وقد كان للمرابط مكانة كبيرة في نفوس أفراد القبيلة حتى بعد وفاته، فيدفن في قبر يحاط بتابوت ويصبح مكانه مقدسا لا يجوز اقتحامه إلى درجة أنّ الإبن لا يجرؤ على اقتحامه لمطاردة قاتل أبيه[3].

وبعد أن تجذّر الإسلام في نفوس سكان بلاد المغرب الأوسط، برزت عائلات علمية ذات مكانة كبيرة خاصة في الحواضر الكبرى مثل تلمسان[4] والجزائر وبجاية[5] وقسنطينة حيث شهدت هذه الحواضر حياة فكرية رائدة امتدّ اشعاعها إلى المدن والعواصم الإسلامية مغربا ومشرقا، أما خلال فترة التواجد العثماني في الجزائر؛ وبالرغم من انغلاق الحكم العثماني على نفسه، وعدم مساهمته بالقدر الكافي –كما يبدو– في تفتح الجزائريين على محيطهم المغاربي والعربي والإسلامي والأوربي، إلاّ أنّ بعض المثقفين الجزائريين والكراغلة كانوا على علاقة بعاصمة الخلافة، وكانوا ينقلون بلا شك أخبار الحراك السياسي والثقافي الذي ولّدته حركة الإصلاحات

---

[1] Busino Giovanni, Op-cit, p.03.

[2] سعيدي مزيان، **السياسة الإستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871–1914)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، (مرقونة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص34.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، **مرآة الجزائر**، تقديم وترجمة محمد العربي الزبيري، د.ط، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1984، ص57.

[4] للمزيد، حول الحياة الفكرية في تلمسان ينظر: عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني: دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، جامعة الجزائر، 1995، ص300 وما بعدها.

[5] للمزيد حول النشاط الفكري لبجاية خلال فترة التاريخ الوسيط، ينظر: محمد شريف سيدي موسى، **الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع هجري إلى بداية القرن العاشر هجري (13–16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، جامعة الجزائر، (2000–2001م)

العثمانية، كما أنّ علاقة الأهالي الجزائريين بكبريات المدن في المشرق العربي كالإسكندرية وبيروت ودمشق جعلتهم يطّلعون على الحركات الإصلاحية والقومية التي شهدتها منطقة المشرق العربي في هذه الفترة، مثل "حركة محمد علي باشا" في مصر، و"الأمير الشهابي" في لبنان، وقد مكنتهم كذلك زياراتهم لكبريات العواصم الأوربية مثل "باريس" و"لندن" من الوقوف على "حركة الإستنارة" أو "فلسفة الأنوار" (Philosophie des Lumiére)[1]، وهذه الاتصالات وهذا التبادل الثقافي وتلك الحوادث الجسام المملوءة بالعبر والتطورات الهامة التي شهدها المشرق العربي وأوربا، قد ساهمت بشكل أو بآخر في نمو وعي النخبة الجزائرية وفي اتساع أفقها السياسي[2]؛ هذا الوعي القومي الذي ستستثمره فيما بعد لمواجهة الغزو الفرنسي وتأليب الجماهير الشعبية ضدّه، فنخبة أواخر الحكم العثماني وبدايات الاحتلال الفرنسي ساهمت بدور محوري في التصدي للحملة الفرنسية وتوسعات الجيش الفرنسي، وكذا كشف مخططاته وأساليبه الاستعمارية في إطار ما يعرف بالحركة الوطنية الجزائرية التي بدأت مع نزول الفرنسيين الغزاة إلى أرض الجزائر عبر ميناء سيدي فرج.

ولما كان مصطلح "النخبة" مصطلحا كثير الشيوع في الكتابات التاريخية حول الحركة الوطنية الجزائرية، فقد كان لزاما وقبل الولوج في صلب هذه الدراسة تسليط الضوء على عدم توافق تسمية "النخبة" على التيار الإندماجي المتفرنس وذلك مقارنة مع مختلف المفاهيم التي تضمنها مصطلح "النخبة" الذي عكف على صياغته وتحليله عدد من الفلاسفة وعلماء السياسة والاجتماع الغربيين المعاصرين.

ومن خلال ما سبق، يمكن أن نخلص إلى أنه كان بالإمكان القبول بتصنيف النخبة الإندماجية كجزء من النخبة الجزائرية تحت نير الاحتلال لو لم يتم توظيفه بصورة حصرية على تلك المجموعات بذاتها، لأنها كانت تمثل في الواقع فئة فقط من فئات النخبة في الجزائر المستعمرة، فقد أشار أستاذ علم الاجتماع "محفوظ سماتي" إلاّ أن العهد الاستعماري تسبب في ظهور نخبة رابعة (فئة) كانت نتاجا للمدرسة الفرنسية في تكوينها الثقافي، وذات أصول اجتماعية مرتبطة بـ "العائلات الكبرى"[3]، أو بتعبير آخر بالنخب التقليدية الثلاث الأقدم منها، وهي: النخبة الحضرية (الأثرياء المدنيين)، والنخبة الريفية (الأجواد أو نبلاء السيف والمعروفين أيضا بقبائل

[1] حركة الاستنارة: حركة فكرية فلسفية أوربية، بدأت خلال القرن 18م، تتميز بفكرة التقدّم، والشك في التقاليد، ومعارضة الدين والإيمان بالعقل، والدعوة إلى التفكير الذاتي والتفاؤل بتأثير التعليم في الإصلاح الأخلاقي، ينظر: محمد شريف سيدي موسى، مرجع سابق، ص26.

[2] مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، ط1، م.و.ك، الجزائر، 1983، ص48.

[3] Busino G, op.cit, p 07.

المخزن)، والنخبة الدينية (المرابطون ورجال الزوايا والعلماء المحافظيين)، وإن تعدد التيارات السياسية في الحركة الوطنية يكشف في جوهره عن تعدد فئات النخبة، ويسمح بتجاوز المجموعة القليلة التي أضفت عليها الصحافة الكولنيالية تسمية "النخبة" تمييزا لها عن باقي المجتمع الذي كانت تنتمي إليه ثمّ انسلخت منه، والانفتاح على قطاع عريض من الصفوة الجزائرية التي كانت تؤسس لإرساء توجهات سياسية أكثر احتكاكا وتعبيرا عن مطالب الجماهير، ولا يعدّ هذا الطرح تحاملا على هذه الفئة أو قفزا على الدور التاريخي الذي قام به بعض عناصرها من الذين تمكنوا من التفاعل بصورة إيجابية مع ممثلي التيارين الإستقلالي والإصلاحي في الحركة الوطنية، وتحولوا فيما بعد مع مطلع الأربعينيات إلى تبني أفكار جديدة بديلة لمطلب الإندماج والإنسلاخ عن الهوية التي كان يتم الترويج لها بقوة في العقدين السابقين لتأسيس حركة أحباب البيان والحرية [1]، ولكن الغاية منه هو توضيح أنّ غالبية ممثلي هذه النخبة لم تقدم في سياق تجربتها مطالب تعبر عن ارتباطها بمحيطها الاجتماعي والثقافي، وظلت رهينة في أدائها السياسي للخط الذي تقاطعت فيه مصالحها الخاصة مع المصلحة الاستعمارية لعقود طويلة [2].

I. مظاهر النخبة الجزائرية وملامحها نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين:

كان ظهور النخبة المتعلمة الطموحة في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، على اختلاف تسمياتها، أهم حدث ميز المرحلة، فقد نعتهم أندري سيرفي Andre servie بالعمامات الشابة، قياسا على العمامات القديمة Les vieux Turbans [3]،بينما اصطلح عليهم فرحات عباس[4] الأرستقراطية

[1] Mahfoud Smati, op-cit, p04.

[2] إن مطالب الفئة المتفرنسة الشهيرة في تجربة الحركة الوطنية باسم "النخبة الاندماجية" كثيرا ما كانت تعبّر عن مصالح ضيقة لتلك الفئة، ولم تتجاوز المطالبة بحقوق المواطنة الفرنسية بالتجنس والترقية الاجتماعية، ولم يشر أيّ مؤرخ فرنسي أو جزائري إلى مطلب واحد لتلك الفئة يتعلق أو يعبّر عن إيمانها بإمكانية التّحرّر الذّاتي أو بقدرة الشّعب الجزائري على تقرير مصيره خارج الإطار الاستعماري.

[3] Andre Servier :**Le Peril de L'avenir**, **Le Nationalisme en Egypte**, **en Tunisie**, **et en Algérie**, 2eme édition, Constantine, 1913,p139.

[4] فرحات عباس (24 أكتوبر 1899-24 ديسمبر 1985)، من مواليد بلدية الطاهير بالجنوب الشرقي لجيجل، يعتبر أفضل من مثل النخبة المفرنسة بعد الحرب العالمية الأولى فقد تدرج في المدرسة الفرنسية، وتخرج كصيدلي 1932، من كلية الطب، نالت السياسة حظا كبيرا من حياته، كممثل أهلي في مختلف المجالس، بالإضافة إلى تشكيله أحزابا سياسية مختلفة، ظل يؤمن بفكرة الجزائر فرنسية مدة طويلة، ولم يحد عنها إلا بعد انضمامه للثورة التحررية، من آثاره: الشاب الجزائري، وكتاب الجزائر من المستعمرة إلى المقاطعة، وحرب الجزائر وثوراتها ليل الاستعمار، ينظر:

- Naroun Amar :**Ferhat Abbas ou Les chemins de la Souveraineté**, Denoel, Paris,1960.
jeanne et Andre Brochier :L'Livre D'or de L'Algérie, op.cit, p297.

القبلية[1]، أما أبو القاسم سعد الله[2]، فأطلق عليهم اسم النخبة المرادفة للشباب المتقدم، في حين فضل الأستاذ مصطفى حداد في مقال له [3] التسمية التي أطلقت على الطبقة المستنيرة في عهد الثورة الروسية أنتلجانسيا[4]، Intelligentsia، المرادفة لمصطلح المثقف Intellectuel في اللغة الفرنسية [5]، وتتوافق هذه المنطلقات مع مدلولها اللغوي الذي يحمل معاني الصفوة والقلة المنتقاة من الكثرة والعامة، وتتطابق أيضا مع المعنى الاصطلاحي، الذي عرفها بالقول: أنها طبقة معينة، أو شريحة منتقاة من أي نوع عام، تتميز عن البقية، وتنفرد بسمات مغايرة لجماعتها، وهو التفرد والتميز الذي يجعل منها في أعلى قمة النوع، وتتولى قيادة جماعتها.

والنخبة الجزائرية على غرار النخب العالمية، تتباين بتباين منابعها الفكرية، ونحن إذ نتناول في هذا المقام النخبة الجزائرية فإن المنطلق الرئيسي في تنوعها، يعود إلى مرجعيتها اللغوية وتكوينها الفكري، فمنها المعربة، والمفرنسة، وفيما جمعت الثالثة مع الأولاتين بازدواجية منبعها انطلاقا من تفتحها على اللغتين الفرنسية والعربية، وكانت السمة التصادمية هي الغالبة على علاقة النخبتين الأوليتين التي انعكست على معالجتهما لمختلف قضايا مجتمعهم الدينية والسياسية والاجتماعية، وفي علاقتهما بفرنسا الاستعمارية.

II. 1. النخبة المعرّبة:

اعتمدت هذه النخبة في تكوينها على منابع عربية إسلامية استمدّتها من التعليم العربي التقليدي، وكانت الزوايا مصدره الرئيسي، ومنهم من تابع تكوينه العربي عبر قنوات خارجية، تمثلت في المراكز العلمية المغربية والمشرقية، كجامع الزيتونة بتونس، والقرويين بالمغرب الأقصى والأزهر بمصر، بالإضافة إلى دور الحركة

[1] فرحات عباس: **من المستعمرة إلي المقاطعة، الشاب الجزائري 1930، متبوع بتقرير إلى الماريشال بيتان**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص9.

[2] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية** ..، ج2، مرجع سابق، ص159.

[3] مصطفى حداد: "خوالدية صالح أحد أفراد الرعيل الأول لحركة الشبان الجزائريين، نسيه المؤرخون"، **المجلة التاريخية المغاربية**، ع61-62، مطبعة بابيرس، زغوان، تونس، 1992، ص78.

[4] وهو لفظ اشتق من أصل لاتيني، يعني أولئك الذين تثقفوا ثقافة علمية، انعكست على تركيبهم الاجتماعي أو النخبوي.

[5] نشأ مفهوم المثقف (Intellectuel)، في فرنسا مع تداعيات قضية ألفرد دريفوس Alfred Drefus الضابط الفرنسي اليهودي، الذي اتهم بالخيانة 1894، وأثيرت معه قضية معاداة السامية Anti Sémitique، فنزل الأدباء والمفكرون واحتشدوا في ساحة السربون، وحرروا أول بيان في تاريخ الفكر الغربي، لجماعة من الأدباء والمفكرين Le Manfeste des Intellectuelles، محتجين فيها على تجاوز المحاضر القانونية، وطالبوا بمراجعة الحكم الصادر ضد دريفوس، فكان لهم ما طلبوه، وهي أول مرة يشارك الأدباء والمفكرون في الحياة السياسية العامة، ينظر: محمد الشيخ: **المثقف والسلطة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1991، ص17.

الإصلاحية، في نشر اللغة والثقافة العربية، ومن أبرز أعلامها مطلع القرن العشرين، محمد سعيد بن زكري[1] وعبد القادر المجاوي[2] عبد الحليم بن سماية[3]، وتلميذه المولود بن الموهوب[4]، إلى جانب حمدان الونيسي[5] أستاذ عبد الحميد بن باديس، ومحمد بن مصطفى خوجة[6] وابن أبي شنب، وإن كانت الأسماء الأخيرة مزدوجة اللغة جمعت

[1] محمد سعيد بن زكي (1851-1914)، من مواليد زواوة، درس بزاوية سيدي عبد الرحمان الأيلولي، تقلد منصب إمام بجامع سيدي رمضان، فأستاذا للفقه وأصوله، بالمدرسة الحكومية 1895، وفي سنة 1905 تولى الإفتاء على السادة المالكية من أهم مؤلفاته: "أوضح الدلائل على وجوب =إصلاح زوايا بلاد القبائل"، ينظر: سعد الدين بن أبي شنب: "النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع هجري"، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الجزائر، ع1، السنة الأولى، 1964، ص ص44-66. نقلا عن: إسماعيل العربي: **الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي**، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص78.

[2] المجاوي عبد القادر محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن (1848-1913)، مصلح وخطيب، ولد بتلمسان وتعلم بها ثم بطنجة وتطوان، أتم دراسته بجامع القرويين بفاس، عاد إلى الجزائر 1896، وعين ابتداء من سنة 1879 مدرسا بجامع الكتانية قسنطينة ثم بمدرستها الحكومية، وخطيبا بجامع سيدي رمضان بالجزائر العاصمة، ثم معلما بالمدرسة الثعالبية، تخرج على يده الكثير من القضاة والمترجمين والمدرسين والأئمة، حتى سمي أبو النهضة، وسماه آخرون شيخ الجماعة، توفي في قسنطينة سنة 1913، عرف بغزارة كتاباته في علوم شتى، كاللغة والنحو والفقه، والعقيدة...ينظر: أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1985، ص449، وعادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صد الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980، ص286-287، وأبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص83-84. عويمر مولود: "الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة"، **مجلة الوعي**، ع3-4، أفريل-ماي، الجزائر، 2011.

[3] بن سماية عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمان بن حسين خوجة (1866-1933م)، تنتمي أسرته إلى آل سماية وهي تركية الأصل، المستقرة بالجزائر العاصمة، التي ولد بها عبد الحليم وتعلم، إلى جانب تونس، تولى التدريس بجوامع العاصمة ثم المدرسة الثعالبية، عرف بعلمه الواسع وثقافته المزدوجة، تخرج على يده عدد كبير من المثقفين، توفي بالعاصمة بعد مرض عقلي، من آثاره: "اهتزاز الأطوار والربى من مسألة تحليل الربا"، "السر المدفون والسر المكنون"، فصل من كتاب "الفلسفة والإسلام" الذي قرأه في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر 1905، لكنه لم يتم ولم يطبع، ومقالات في جريدتي كوكب إفريقيا والإقدام، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي: "جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي"، **مجلة الأصالة**، ع13، الجزائر، ص-ص119-212، وعادل نويهض: المرجع السابق،ص187-188، وأبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، د.غ.إ، بيروت، ط1، 1998، ص ص93-96.

[4] ابن الموهوب المولود بن محمد السعيد (1866-1939م)، كاتب وخطيب وشاعر قسنطيني النشأة والتعلم، ينتمي إلى أسرة ذات علم، تخرج على يد عبد القادر المجاوي الذي لازمه مدة 12 سنة، بعد إجازته تولى التدريس بالكتانية ثم مفتيا على المذهب المالكي 1908، أسهم في تأسيس نادي "صالح باي" وبه ألقى العديد من محاضراته، كما تولى الإفتاء في باريس منذ 1929 وإلى غاية وفاته، له عدد من المقالات نشرها في كوكب إفريقيا والإقدام، والصديق، كما خلف "نظم مقدمة ابن آجروم"، "مختصر الكافي في العروض والقوافي"، "شرح منظومة التوحيد" لشيخه عبد القادر المجاوي، و"آداب الطريق في التصوف" ينظر: **النجاح**، ع2289، جويلية 1939، وأحمد صاري: "ابن الموهوب حياته وقضايا عصره"، **مجلة جامعة الامير عبد القادر**، ع9، دار البعث قسنطينة، 2001، ص ص189-190.

[5] حمدان الونيسي 1865، ينتمي إلى أسرة عريقة قسنطينية، عين ما بين 1880-1881 مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة وهو ابن 25 سنة، من تلاميذه محمود كحول، وعبد الحميد بن باديس، طرد من التدريس من نفس المسجد 1910، وهي السنة التي هاجر فيها إلى الحرمين، واستقر بالمدينة أين اشتغل بالتدريس، ينظر: محمد المهدي بن شعيب: **تاريخ قسنطينة أم الحواضر في الماضي والحاضر**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص318، وأبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**..، ج3، مرجع سابق، ص-ص129-141.

[6] هو محمد بن مصطفى بن خوجة (1865-1915م)، المعروف بالشيخ الكمال، والمضربة لفرط سمنته، ولد بالعاصمة، تعلم على يد شيوخها، أمثال المفتي على بن الحفاف، ومحمد سعيد بن زكري، اشتغل كمحرر في جريدة المبشر باللغة العربية 1886-1891، ومدرس بجامع السفير

جمعت بين العربية والفرنسية، لكنها مزاوجة لم تتعدى اللغة، فلم تلهيهم عن مساعيهم الحضارية المرتبطة بعقيدتهم الدينية وقيمهم العربية الإسلامية، وتطلعهم في الآن نفسه إلى عصرنة مجتمعهم، بعد احتكاكهم بالمدنية الفرنسية، وإنتاجهم الفكري أدل على ذلك، إلى جانب مساعي النخبة اللاحقة في مطلع العقد الثاني، أمثال عمر بن قدور[1] وعمر راسم[2].

كما لم يكن للنخبة الجزائرية خلال هذه المرحلة هيئة تجمعهم كحزب أو جمعية تجمع شتاتهم، أو برنامجا مرجعيا يستعينون به، إلاّ أننا نلمحه (البرنامج) من خلال تفاعلهم مع قضايا عصرهم في محاضراتهم ومقالاتهم عبر النوادي والصحف، فكانت بمثابة المطالب التي طمحوا بها إلى تحسين ظروف مجتمعهم، في ظل وضعية استعمارية استثنائية، عايشوا معها الظلام والقهر في جميع الجوانب، القانونية والسياسية والاجتماعية، فكانت دائرة مطالبهم تنحصر في المساواة في التمثيل السياسي والضرائب، وإلغاء الوضعية الشاذة مع قانون الأهالي، وتجديد الدعوة للعودة إلى الشريعة الإسلامية في المسائل المتعلقة بنزاعات الأهالي فيما بينهم وبين المستوطنين من أجانب ويهود، ورفضوا المشاريع[3] التي من شأنها أن تمس هويتهم العربية الإسلامية[4]، وهي النقطة الفاصلة بين الكفر والإسلام حينها، فلا مجال للحديث عن المدنية ولا العصرنة والتقارب بين حضارتين متناقضتين إذ تعلق

1895، درس الفقه والتفسير والتوحيد، ووكيلا على ضريح عبد الرحمان الثعالبي، كان غزير التأليف، ومن مؤلفاته: "تنوير الأذهان في التحرز وحفظ الأبدان"، "الصمت الدري في مسائل تتعلق بالجدري"، "إقامة البراهين العظام على نفي تعصب الدين في الإسلام"، "عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر"، "اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب"...محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديث وثورتها المباركة**، ط1، المطبعة العربية، =الجزائر، 1971، ص128-132، ينظر: إسماعيل العربي: **الدراسات العربية**، ص87-88، أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج3، ص83-88.

[1] عمر بن قدور (1886-1932)، حفظ القرآن وتعلم اللغة والأدب والفقه بزوايا العاصمة، سافر إلى المشرق لإتمام دراسته، اشتغل بالصحافة مراسلا لصحف تونسية كالتقدم، والمبشر، والحاضرة التركية 1908، عاد إلى الجزائر وتولى رئاسة تحرير القسم العربي من جريدة الأخبار، كما أسس جريدة الفاروق 1913، وجريدة الصديق مع محمد بن بكير 1921، وبعد نفيه إلى الأغواط اعتزل العمل الإصلاحي، وانشغل بحياة الزهد والتصوف حتى وفاته، صالح خرفي: **عمر بن قدور الجزائري**، م.و.ك، الجزائر، 1984، وزهير احدادن: **أعلام الصحافة الجزائرية**، ج2، دار احدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، ص12-13.

[2] عمر راسم (1884-1959)، صحفي ومصلح ديني واجتماعي وخطاط ورسام، تعلم في كتاتيب العاصمة ثم المدرسة الثعالبية، راسل صحف خارجية كالمرشد، وجريدة مرشد الأمة التونسيتان 1907، أنشأ العديد من الصحف، كالجزائر، وذو الفقار، سجن بسبب معاداته العلنية للإدارة الاستعمارية، بعد إطلاق سراحه 1921، انصرف لفن الخط والرسم، أنشأ سنة 1931 مدرسة لتعليم التصوير والزخرفة العربية والشرقية، محمد ناصر: **عمر راسم المصلح الثائر**، مطبعة لافوميك، الجزائر.

[3] لمزيد من التوسع ينظر: عمر بن قدور: "الخدمة العسكرية الفرنسية الرفض الأخير"، **مجلة الثقافة**، ع3، 1971، ص126-132.

[4] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج2، مرجع سابق، ص146-147.

الأمر بالانتماء إلى حضيرة الإسلام، في حين كانت مشاريع التجنيد الإجباري والمواطنة قد أخذت حيزا مناقضا من منظور النخبة الجزائرية المتفرنسة التقدمية.

كما نشط الأمير خالد[1] المنشقّ عن التيار الاندماجي من حركة الشبان الجزائريين، والمحسوب عند بعضهم على النخبة الفرنسية المعتدلة، إلا أنه تميز بالحنكة في التعامل مع الواقع الجزائري، بجمعه بين النقيضين، فهو المتمسك بهويته وفق المدنية العصرية[2] المنعكسة على مطالبه السياسية، التي أكدت على المساواة، والتمثيل العادل للمسلمين في البرلمان الفرنسي، وإلغاء القوانين الخاصة، التي جعلت من الجزائري يعيش وضعا شاذا، إلى جانب مطالب اجتماعية تخص التعليم، وهي مطالب متماثلة تماما مع المنظومة القانونية والسياسية في المشاريع الفرنسية، تنم عن بداية وعي لدى الجزائريين، ولم يخف الأمير نزعته الوطنية في العريضة التي حملها على رأس وفد متكون من خمسة أعضاء،[3] إلى الرئيس الأمريكي ولسن[4] بتاريخ 23 ماي 1919، التي أفصح فيها عن حق الجزائريين في تقرير مصيرهم تحت إشراف عصبة الأمم، بناء على المبادئ التي أعلنها الرئيس الأمريكي نفسه[5]، ومطالبه المقدمة للرئيس الفرنسي (ميلران)[6] أثناء زيارته الجزائر في 20 أفريل 1922، التي كان من أهمها منح

---

[1] الأمير خالد بن الهاشمي ابن الحاج عبد القادر (1875-1936) ولد بدمشق وعاش بها مدة 17 سنة، عند عودته إلى الجزائر التحق بثانوية ويس لوغران (Louis Le Grand)، والمدرسة العسكرية سان سير (Saint Syr) 1893 بإلحاح من والده، واستطاع التملص من حياته العسكرية، بتقاعده 1919 بعد مرض صدري، تفرغ حتى سنة 1924 للنشاط السياسي وكان حافلا، خاصة بمشاركته في الانتخابات البلدية، تعرض لكثير من المضايقات الفرنسية، انتهت بإبعاده خارج الجزائر، إلى مصر وفرنسا 1923، ثم دمشق 1926، إلى أن توفي بها، ينظر:
Mahfoud Kadache : **Histoire du Nationalisme**, op-cit,p97,et (M) Kadache : **L'Emir khaled un Maillon de la résistance Algérienne**, Les Africains, T4, France,1977, pp263-283.

[2] كان محط اهتمام العديد من الدراسات التاريخية على اعتبار تيار منفصل عن حركة الشبان، وسمي بتسميات مختلفة ذات مدلولات عميقة، فأطلق عليه فيكتور باريكند Victor Baraucand التيار المشترك، في حين نعته محفوظ قداش بالتيار الخالدي (Khaldisme)، أما أجرون فسماه حزب الأمير خالد، وأطلق عليه أبو القاسم سعد الله التيار الإصلاحي، ينظر: جمعي خمري: **حركة الشبان الجزائريين (1900-1930)**، رسالة ماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1994، ص211.

[3] لم يعلم من هذا الوفد إلا الأمير خالد، وقائد حمود، بينما لم يصرح البقية عن أسمائهم، ينظر: أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، د.غ.إ، بيروت، 1990، ص ص50-51.

[4] ويلسن توماس (T.Wilson) (1856-1924)، الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية (1913-1921)، عرف باقتراحاته الأربعة عشر (1918) كأساس للسلام، لكن معاهدة فرساي خيبت آماله، عزيزة فوال بابانتي: **موسوعة الاعلام، العرب والمسلمين والعالميين**، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص350.

[5] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج2، مرجع سابق، ص52.

[6] ميلران إتيان ألكسندر (Millerand) (1920-1924)، انسحب من الحياة السياسية، بسبب شدة معارضة اليساريين له، عزيزة فوال بابانتي: المرجع السابق، ج4، 2009، ص260.

الأهالي حق انتخاب ممثلين عنهم في البرلمان الفرنسي[1]، وكان الاعتزاز بالعروبة والإسلام، جزء من شخصية الأمير خالد، وهو حفيد الأمير عبد القادر، فرغم مغريات الحياة المدنية والعسكرية، التي لامس فيها عن قرب الحياة العصرية، إلا أنه لم يحف عن مبادئه، ولم تستطع فرنسا بدورها أن تجعله ينصهر ويتخلى عن أحواله الشخصية مقابل الحصول على المواطنة، التي تمكنه من الارتقاء في السلم الوظيفي، إلى جانب امتيازات أخرى، وهو ما جاء على لسانه في قوله: "إنني عربي، وسأبقى عربيا، ولن أتخلى أبدا عن معتقداتي ولا عن مطامحي"[2]، وقد نعته أبو القاسم سعد الله بالتيار الإصلاحي[3]، وصنف نشاطه ضمن زمرة ابن الموهوب وابن سماية، واعتبره امتدادا لنشاطهم[4].

والدارس للنخبة العربية في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر، يجد أنها قد تجاوزت في خطابها سكونية أصحاب العمائم والنخبة المحافظة، فأبدت النخبة المعربة ميولا للتوفيقية، فلم تكتف بالتراث والماضي، بل نجدها قد تجاوبت مع المدنية الغربية كواقع مثلته فرنسا، كما يعود لها الفضل في الحفاظ على عروبة وإسلام الجزائر، لاعتدالها ووسطيتها، فكانت المدافع عن هويتها وشخصيتها، بوقوفها في وجه كل المحاولات الاحتوائية الاندماجية، فأحيت في الجزائريين الكينونة العربية الإسلامية، برفضها للمشاريع التدجينية، وأسهموا في نمو وعيهم السياسي والثقافي، وهو ما أكسبها ثقة شعبية.

II. 2. النخبة المتفرنسة:

وهم مجموعة من المثقفين الجزائريين من ذوي التكوين الفرنسي، وخريجي المدارس والمعاهد والجامعات التعليمية الفرنسية، وكان بروزها في مطلع القرن العشرين في شكل مبادرات فردية وجماعية، حول بعض النوادي والجرائد، دون انتظامهم في هيئة معينة، فلم يكن الشبان حينها يمثلون حزبا أو حركة سياسية، وإنما جاءت من

---

[1] La Direction :"Réflexion sur le voyage du président de la République d'après discours officiel",In **Revue Indigène**, N 160-162,Avril-juin 1922, p96-113.

[2] جيلالي صاري، محفوظ قداش: **المقاومة السياسية (1900–1954) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، تر: عبد القادر بن حراث، م.و.ك، 1987، ص52.

[3] Ageros (Ch.R): **Les Algériens Muuselums et la France (1871– 1919)**, TI. Jre Ednen, P.U.F, 1986, p.916.

[4] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج2، مرجع سابق، ص52.

نفس نمط الشبان في أوروبا (ألمانيا، إيطاليا..) وأيضا في تركيا وتونس ومصر[1]، أو تركيا الفتاة ومصر الفتاة، ويحمل مصطلح فتاة (الفتوة) دلالات التجديد والتحديث، بمعنى حركة الجيل الجديد، أو حركة التحديث، وقد تزامن ظهور حركة الشبان في الجزائر، مع نجاح مثيلاتها في تركيا ومصر، لكن بخلاف هؤلاء الذين رفعوا شعار تركيا للتركيين، ومصر للمصريين، لم يتمسك الشبان في الجزائر بهذا الشعار (الجزائر للجزائريين)[2]، لأنها كفكرة لم تتبلور بعد، حتى في مفهوم النخبة المعربة، إلا أن الجهود المبذولة قد أسهمت بقدر كبير في ترسيخ فكرة الانفصال والاستقلال في العقود التالية.

وعرفها أحد أفرادها بقوله: "هي تلك الثريات من الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية، والذين هم قادرين بأعمالهم أن يكونوا فوق الجماهير، ويضعوا أنفسهم في مرتبة ناشري الحضارة الحقيقيين"[3]، في حين عرفها أندري سيرفي – كاتب وصحفي من محرري La Dépêche de Constantine- بقوله: "هم فئة حديثة السن، التي لا يزيد عمرها عن أربعين سنة، لهم تكوين فرنسي أو مزدوج، ولهم ميل سياسي يهدفون إلى الحصول على إصلاحات اجتماعية واقتصادية ليكون لهم في الأخير حقوق سياسية"[4]، فيكون الشبان من الصفوة الجزائرية التي تلقت تعليما فرنسيا، منهم الطلبة وآخرين تخرجوا وتقلدوا مناصب لها صلة بالإدارة الاستعمارية كمحامين، أطباء، مهندسين، ومعلمين، لا يتعدى عددهم بعض العشرات، ومع ذلك كانت فئة متميزة، من حيث مطالبها التي وصفت بالاعتدال، والبعد عن التطرف.

وقد نشرت جريدة "الإسلام" بعضا منها (1911)، كالمشاركة وتوسيع حقهم في الانتخابات، والمساواة في الضرائب بينهم وبين الفرنسيين، ومنح الأفضلية للمثقفين، وإصلاحات إدارية أخرى[5]، والمطالبة بإلغاء القوانين الاستثنائية، ونشر التعليم والثقافة بين الأهالي قصد تطويرهم، ومطلب تسهيل الهجرة إلى فرنسا، التي بإمكانها أن تسمح لهم بالتطور واكتساب تجارب جديدة[6]، وربما يمكننا حصر مطالب الشبان في مطلب

[1] Andre Servier :**op.cit**,p139.

[2] Ibid.

[3] Cherif Benhabiles :**L'Algérie Francaise**, vue par un Indigene,Alger,1914,p107.

[4] Andre servier, op.cit, p-p 137-138.

[5] Cherif Benhabiles, op.cit, p-p117-122.

[6] Ibid, p-p 75-76.

المساواة، في صيغته القانونية والسياسية والاجتماعية والتعليمية، بهدف الأخذ بيد الأهالي حتى يبلغوا شأن الأمم الراقية.

وأولى الشبان مسألتي التجنس بالجنسية الفرنسية، والتجنيد اهتماما بالغا، وقد أثارتا سجالا ونقاشات جدلية، وإن كانتا مسألتين مرتبطتين ومتداخلتين، فقد اعتبروا التجنيس بالجنسية الفرنسية، سلوك قانوني له مكاسب سياسية واجتماعية واقتصادية، وإن قادهم ذلك إلى التخلي عن أحوالهم الشخصية، لأن صفة المواطنة سبيل إلى المدنية والحضارة والرقي، الذي كانوا قد اضطلعوا عليه في تعليمهم الفرنسي، وكما كانت قرارا من واقع رجعي متخلف، تمكنهم من المطالبة بحقهم في المساواة، وتحدوا نظرة مجتمعهم التحقيرية المكفرة لهم، التي وازت بين المواطنة والخروج عن الملة، وقد انحصرت في فئة المثقفين كالأطباء والضباط المجندين والمدرسين، وميز فريق من الشبان بين الجنسية الدينية والقانونية، فالأولى كانت مدعاة للتملص من الإسلام والعروبة، بتنازلهم عن أحوالهم الشخصية كشرط أساسي للارتقاء لها، في حين حصل باقي الأهالي من الجنسيات الأخرى (يهود و أجانب) على الجنسية القانونية وصاحبتها تسهيلات إدارية، فكان الشبان بذلك واعين بما يحاك ضد مجتمعهم من أجل إذابة شخصيتهم وصهرها في البوتقة الفرنسية.

في حين اعتبر الشبان التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي مسألة ذات صلة بالمواطنة الفرنسية، وسخروا لذلك صحفهم كالإسلام" و"الراشيدي" بين (1911-1912) والعرائض والوفود[1]، كما دفعت المغريات المادية والاجتماعية بفئة من الشبان إلى الانصهار والذوبان التام في فرنسا والتخلي عن إسلامهم باعتناقهم المسيحية، لأن الدين الإسلامي في منظور هؤلاء، يتناقض مع المدنية الغربية، كاعتناق "بلقاسم أبا عزيزن" المسيحية، الذي أصبح يسمى (أوغستين)[2]، كما لم يجد بعضهم الآخر حرجا في التجنس بالجنسية الفرنسية، وإن تخلوا عمّا يربطهم بدينهم، فالإسلام مجرد تقاليد يمكنهم أن يتجاوزه[3].

[1] للمزيد ينظر: عايدة حباطي، **التجنس وموقف الجزائريين من (1919-1939)**، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2005م، ص147-152.

[2] Ageron (Ch.R) Ageron :**Histoire de L'Algérie contemporaine,1871-1954 de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954**,T.2, P.U.F, Paris, 1979, p314.

[3] عايدة حباطي، المرجع السابق، ص134.

وقد جعلت هذه النخبة نفسها في موضع الوساطة بين الأهالي وفرنسا، بحكم جذورهم الجزائرية ومعرفتهم بأوضاع مجتمعهم، وتمدنهم باطلاعهم على الحضارة الغربية، فوجدوا بذلك أنفسهم أفضل من يساعد فرنسا على تقديم يد العون للأهالي، للنهوض بهم وعصرنتهم، لإيمانهم بالتقارب الفرنسي الأهلي، والعيش تحت الراية الفرنسية، وهو ما نوهت له كولونا فاني (Colonna Fanny) في قولها: "إنهم مثقفون من أصل أهلي، يشكلون أفضل واسطة بين فرنسا والأهالي المسلمين لمعارفهم المختلفة وثقافتهم وشرفهم وحريتهم وتجردهم وارتباطهم بفرنسا"[1]، وترجم الشبان هذا الارتباط، بتأسيسهم لهيئة تجمعهم، تحت مسمى "فدرالية المواطنين الفرنسيين من أصل مسلم" (Ligue des citoyens Français La d'origine Musulmane)، إلى جانب منابر إعلامية، كما لعبت دورا متميزا في الدعاية لخطابهم الفكري، كجريدة "صوت المستضعفين"[2] (La voix des Humbles)، و"صوت الأهالي"[3] (La Voix des Indigènes)، إلا أنها من جهة أخرى وسعت الهوة بينهم وبين النخبة المعربة، وعلى خلاف هؤلاء، تمسكت فئة ثالثة من الشبان بالدين الإسلامي كعقيدة لها منذ قرون عديدة، ووصفت بالاعتدال، وهذا فرحات عباس، وهو من أبرزهم يصرح بالقول: "إن الإسلام بعد أربعة عشر قرنا صار دين الشعب الجزائري قاطبة، وعليه أصبح الإسلام في الجزائر في عقر داره، ومن العبث محاربته، لأنه قادر على الصمود في وجه كل تخريب أو تهديم في وجه كل عاد"[4].

فكانت النخبة الأخيرة، توفيقية في منهجها المتجلي في التعلق بفرنسا وهي رمز المدنية والشعارات المثالية، مع عدم تنكرها وتنصلها من تراثها وماضيها، ففرنسا هي الحاضر، الذي تنبلج به ظلمة التخلف والانحطاط المادي والفكري، لذلك فإن الذي حدث مع هذه الفئة كان استلابا حضاريا، بما يحمله من معنى انسلاخ الفرد المثقف عن ثقافته وهويته، نتيجة تعلقه وانبهاره بثقافة أجنبية دخيلة عن واقعه، الذي نفره منه التخلف

---

[1] Fanny Colonna, **Instituteur Algeriens**,op,cit,p109.

[2] رئيس تحريرها علال الفاسي، خريج مدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة، والمتجنس بالجنسية الفرنسية، ثم تولى رئاستها الزناتي أما صاحب الامتياز إميل بريت، استمر ظهور الجريدة ثمانية عشر سنة (1922-1939)، تصدر شهريا ثم نص شهرية في سنوات لاحقة، التزمت الجريدة خلال ظهورها بطرح مسألتي التقارب والاندماج، كعاملين أساسيين للسلام، ورفعت أيضا شعار "بعيدا عن السياسة بعيدا عن العقائد الدينية".

[3] أنشأها ربيع زناتي باللسان الفرنسي في قسنطينة، عمرت طويلا (1922-1939)، مع انقطاع بين (1941-1943)، ثم غيرت اسمها إلى الصوت الحر (La Voix Libre)، وكان عنوانها الفرعي يشرح بساطة توجهها وهو الاتحاد الفرنسي الإسلامي ، للدفاع عن مصالح الأهالي:
Organe Franco-Musulman et défense des intérêt des indigènes.

[4] فرحات عباس: **حرب الجزائر وثوراتها، ليل الاستعمار**، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1962، ص144.

الحضاري، وهذا لا يتناقض مع تشبته بالدعائم الأولى لهويته، في جانبه العقدي واللغوي، وربما كان هذا النفور من الوضعية الركود الفكري، هو ما دفع بهذه النخبة بالتصريح برغبتها في الاندماج بشكل تدريجي ضمن العائلة الفرنسية، بجعل المستعمرة مقاطعة، مشبهين أنفسهم، بأهل الألزاس واللورين الذين انضموا إلى فرنسا على اختلاف لغتهم[1]، لتأكيد إمكانية ضم الجزائر، وبالتالي ابتعادها عن الطرح الانفصالي، وهو ما قاد أيضا بعض عناصر هذه النخبة لنفي وجود أمة جزائرية [2]، وعموما تمثل هذه النخبة الطبقة المستنيرة في الجزائر، التي أسست فيما بعد فدرالية المنتخبين الجزائريين (Fédération des élus musulmans) أسوة بالنواب الأوروبيين، وضمت أسماء بارزة عن مقاطعة قسنطينة مثل فرحات عباس، بن جلول[3]، الدكتور سعدان[4] ...

ولم تختلف مطالبها كثيرا عن الشبان، إذ انحصرت في المساواة في الحقوق والواجبات، فقد طالب النواب بتطبيق القوانين الفرنسية على الجزائريين، والعدالة في المعاملة، وتكوين هيئة انتخابية واحدة تجمع بين الفرنسيين والجزائريين، إضافة إلى إنشاء المدارس وتقلد الوظائف ومساعدة المحتاجين[5]، وهي مطالب بسيطة لم تحض بالقبول ولا بالثقة الشعبية، وظلت محط انتقاد جماهيري، حيث اعتبرت أفكارها خيالية بعيدة عن الواقع، خالية في محتواها من المقومات الأساسية للمجتمع، أما عن ولائهم لفرنسا وإن كانت عاطفة مجردة، يسعى أصحابها

---

[1] صلاح العقاد: **الجزائر المعاصرة**، ط2، دار النهضة العربية، 1968، ص27.

[2] من ذلك ما جاء على لسان بن جلول: "الشيوعية والجامعة الإسلامية، ألم نرفض هذين الفكرتين المتناقضتين ألف مرة...إن كان لنا وطنية فهي فرنسية لحما ودما"، والتصريح الذي جاء على لسان فرحات عباس المنشور بتاريخ 23 فيفري 1936 عبر جريدة الوفاق (L'entente) "فرنسا هي أنا" التي نفى فيها وجود أمة جزائرية، يقول أنه فتش عنها عبثا في التاريخ، لكنه لم يجدها لذلك فهو غير مستعد للموت من أجل هذا الوطن، لكنه عدل عن هذا الرأي ينظر:

L'Afrique Francaise,Aout-Septembre,1937,pp124-125.

[3] محمد الصالح بن جلول ولد بالأوراس (1894)، خريج كلية الطب 1924، غلب نشاطه السياسي على دراسته، ترأس فدرالية النواب على مستوى عمالة قسنطينة، لعب دورا بارزا في إخماد أحداث قسنطينة 1934، كون حزب التجمع الفرنسي الإسلامي 1938، كما شارك في الحرب العالمية الثانية بصفته صيدلي، وعمل منذ 1954 إلى جانب مصالح الإدارة الاستعمارية، ينظر: أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق، ص354. وج3، مرجع سابق، ص-ص 68-71.

[4] أحمد الشريف سعدان (1893-1948)، المعروف باسم الحكيم سعدان، أحد أبرز شخصيات التيار الإدماجي وفدرالية النواب المسلمين الجزائريين في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي، وفي حركة أحباب البيان والحرية (1944-1945)، والرجل الثاني بعد الصيدلي فرحات عباس في حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ما بين (1946-1948). ينظر عنه: محمد خير الدين، (مات الحكيم سعدان)، **البصائر**، ع:55، 06 محرم 1368هـ/ الموافق 08 نوفمبر 1948. (هنا قبر سعدان)، **البصائر**، ع:69، 01 جمادى الأولى 1368هـ/ الموافق 28 فيفري 1949.

[5] Cherif Sisbane:**Notes sur les reformes désirées par la Fédération des élus des indigène du département de constantine**,Imprimerie P.Braham,Constantine,1931,p11-12.

لتذكير فرنسا بمبادئ ثورتها وعظمة جمهوريتها[1]، لكنها مبادئ بعيدة عن واقع الجزائريين، ولم يتغير شيئا من وضع الأهالي، لأن من يمثل فرنسا في الجزائر هم المستوطنون.

III. الاتجاهات الفكرية للنخبة الجزائرية وانتماءاتها الاجتماعية:

قبل التطرق للاتجاهات الفكرية للنخبة الجزائرية وانتماءاتها الاجتماعية رأينا أن نشير أوّلا إلى ذلك الاختلاف الحاصل بين المؤرخين وأساتذة التاريخ في تحديد وضبط تصنيفات النخبة الجزائرية وتحديد أصولها وانتماءاتها الاجتماعية، فمثلا نجد بعضهم وعلى رأسهم "جمال قنان" الذي قسّمها إلى نخبة محافظة ونخبة اندماجية، وبرأيه فإنّ النخبة المحافظة أو الإصلاحية هي تلك الفئة التي دافعت عن الدين الإسلامي، ورفضت التجنس والخدمة العسكرية الإجبارية، كما أخذت مسألة التعليم مكانا بارزا في اهتماماتها[2]؛ وأمّا الاندماجية: فقد عبّرت عنها "حركة الشبان الجزائريين" التي رأت في قضية التجنس والإدماج حرية شخصية للجزائريين، وطالبت بعدم ربط حقوق المواطنة بالعقيدة الدينية[3].

أما "سعد الله" فقسمها بدوره إلى: نخبة محافظة وجماعة النخبة، أما النخبة المحافظة فتتكون من المثقفين التقليديين والعلماء والمشايخ ومن رجال الدين، وبعض الإقطاعيين والمرابطين، فكانوا كلهم من المتحمسين للوطنية والدفاع عن الدين الإسلامي، وقد تكونت هذه الفئة في المدارس القرآنية، والمدارس العربية–الفرنسية، والبعض منهم تعلم بمدارس وجامعات المشرق العربي وبعض الحواضر العربية والإسلامية، خاصة في مصر وسوريا والعراق، أمّا جماعة النخبة فحسب رأيه تتكون من المحامين والصحافيين والمعلمين، وبصفة عامة أولئك الذين جمعوا بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، والذين ضاعوا بين المجتمعين[4].

في حين يذهب بعض الباحثين الآخرين إلى تصنيفها تصنيفات مغايرة ومنهم الطاهر عمري الذي قسمها إلى نخبة معربة وأخرى مفرنسة[5]، ويوجد كذلك الباحث عبد القادر حلوش إلى تأكيد التقسيمات السالفة،

---

[1] مصطفى الأشرف: **الجزار الأمة والمجتمع**، مرجع سابق، ص244-245.

[2] ينظر: جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ص136.

[4] نفسه، ص182.

[4] ينظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق، ص158.

[5] ينظر: عمري الطاهر، **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900–1940م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2003-2004م

وبمفهوم لم يطرح من قبل من خلال تقسيم النخبة إلى تقليدية وجديدة، فأما التقليدية فتتكون –حسب رأيه– من المثقفين التقليديين، أو العلماء ومن المحاربين القدماء ومن زعماء الدين والإقطاعيين أو المرابطين ... وغيرهم، كما أن تكوينها كان في المدارس القرآنية والمدارس العربية–الفرنسية، والمدارس الإسلامية الحكومية، وكذلك في بعض المؤسسات والمساجد والجامعات خارج القطر الجزائري، أما النخبة الجديدة –في نظره– فهم أولئك الذين تكلّموا اللغة الفرنسية وهجروا لغتهم العربية وعاشوا في الوسط الأوربي واحتكوا به احتكاكا واسعا، وأرسلوا أبناءهم إلى المدارس الفرنسية، وكانوا يسعون إلى تطوير المجتمع التقليدي والمتخلف ذو الطابع الشرقي إلى مجتمع متقدم وحديث ذو طابع غربي[1].

III. 1. أصولها وانتماءاتها الاجتماعية:

تعدّ مسألة تحديد الإنتماءات والأصول الاجتماعية للنخبة الجزائرية أمر صعب للغاية، فبالرغم من إجماع أغلب الدراسات التاريخية على أنّ النخب والفاعلين في الحركة الوطنية الجزائرية ينتمون إلى البرجوازية الجديدة، إلاّ أن الدراسات المتأنّية للوسط الاجتماعي الذي تنحدر منه أغلب أقطاب النخبة الجزائرية منذ أواخر القرن التاسع عشر ميلادي تجعلنا نلاحظ ذلك الإختلاف والتمايز في انتماءاتها وأصولها الاجتماعية، فمنها من ينحدر من الأسر الكبيرة التي يمتد نفوذها إلى غاية أواخر الحكم العثماني، فكانت هذه النخبة تتمتع –على حدّ تعبير "الشيخ الإبراهيمي"– بجلال البيت، محافظة على تقاليد البيوت العريقة[2]، ومنها من تنحدر من البرجوازية الجديدة المستفيدة من امتيازات الإدارة الاستعمارية نظير خدماتها، ومن النخبة كذلك من ينحدر من أوساط كادحة، فقيرة، كان لها حظ في نيل قسط من التعليم، سواء في المدارس الفرنسية أو العربية الإسلامية، وجعلها تتبوأ مكانة محترمة بين الجماهير التي كانت تحت وطأة الجهل والحرمان.

III. 1.1. النخبة الجزائرية المنحدرة من العائلات الكبيرة:

عمل الاحتلال الفرنسي منذ الوهلة الأولى على تجريد العائلات الكبيرة من ممتلكاتها، إلا أن بعضها استطاعت بحكم علاقتها مع المستعمر أن تحافظ على مكانتها الاجتماعية ونفوذها، مثل عائلة "سيدي مبارك بن كبلوت"، التي كان أفرادها يمارسون بصفة وراثية مهنة القضاء، وعائلة "ابن صيام" و"الحاج حو" من مليانة

[1] عبد القادر حلوش، **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، د.ط، دار الأمة، الجزائر، 2019م، ص251.

[2] عبد الحميد زوزو، **الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية**، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 209

و"ابن الفكون" و"ابن باديس" من قسنطينة، وعائلة بن قانة من بسكرة، إضافة إلى بعض العائلات المرابطية مثل عائلة "آيت عمر" من القبائل الكبرى وعائلة "بن رحال" و"نقاش" في ندرومة بتلمسان، ... الخ.

وقد أدركت العائلات التي جردها الاحتلال من ممتلكاتها أن مستقبل أبنائها في المدينة للتعلم وليس في الريف، وذلك لما تحتويه المدينة من مرافق ومؤسسات تعليمية وثقافية، تؤهل أبناءها للحفاظ على نفوذ العائلة، فمنهم من سارع بإرسال أبنائه إلى المدرسة الفرنسية، التي كانت في نظرهم بمثابة وسيلة للعيش والحياة والارتقاء الاجتماعي، فبعد تخرجهم، تم توظيفهم في مختلف الأسلاك الإدارية، وأصبحوا مؤهلين لقيادة الجماهير بفضل مستواهم العلمي[1]، وعلى الرغم مما يبدو من ارتماء هؤلاء في أحضان الإدارة الاستعمارية إلا أنهم حافظوا – حسب "الأشرف"- على موروثهم الثقافي، وبدؤوا يشعرون تدريجيا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم في الحفاظ على هذا الموروث، وكذا الدفاع عن بني جلدتهم ومجتمعهم من الاضطهاد الاستعماري[2]، ويشير ذات المصدر أن هؤلاء هم من تولدت منهم حركة ذات مبادئ سياسية دينية فيما بعد. وفيما يلي سنقدم نماذج للنخبة الجزائرية المنحدرة من العائلات الكبيرة، فنجد في مدينة الجزائر مثلا عائلة (بوضربة)، التي كان جدها "أحمد بوضربة"[3]، الذي كان من أعيان التجار الميسورين ماديا أواخر العهد العثماني، فقد حافظت العائلة على ثروتها ومهنتها، وكان من بين أبنائها الذين لعبوا دورا كبيرا في حركة الشباب الجزائري "عمر بوضربة" العضو في المجلس البلدي و"أحمد بوضربة" المحامي، و"علي بوضربة" الطبيب، ومصطفى بوضربة مترجم رئيسي في الإدارة بمدينة الجزائر[4]، ونجد كذلك عائلة (بن بريهمات)، التي ينحدر منها المدرس حسن بن بريهمات، والمترجم العسكري إبراهيم بن بريهمات[5]، وشقيقه حسن بن بن الذي تخرج من ثانوية الجزائر، ومنها المدرس في مدرسة الجزائر عمر بن بريهمات[6].

---

[1] Colonna, op-cit, p 198.

[2] الأشرف، مرجع سابق، ص 231.

[3] أحمد بوضربة، ولد بمدينة الجزائر سنة 1863، درس في كلية الحقوق، وبعد تخرجه تولى منصب المحاماة في مدينة الجزائر. ينظر عنه:
Hamet, op-cit, p.204.

[4] Mynier, op-cit, p.211.

[5] Hamet, op-cit, p.203.

[6] عمر بن بريهمات، ولد يوم 03 ديسمبر 1859 بمدينة الجزائر، مدرس في مدينة الجزائر، تحصل على عدة نياشين وأوسمة من الإدارة الفرنسية، كوسام الافتخار الذي تقلده سنة 1902، عين كظابط في التعليم العمومي سنة 1903، له مؤلفات اشهرها "النهج السوي في الفقه الفرانساوي"، مطبعة بير فونتانا، الجزائر، 1908، ينظر عنه: Hamet, op-cit, p.199

وفي مدينة الجزائر نجد أيضا عائلة (بن سماية) ذات الأصول الكرغلية[1]، التي حافظت على دورها الفكري والديني، فبرز منها الشيخ علي بن أحمد بن حسن خوجة بن سماية، المدرس في مسجد السفير والمسجد الجديد وابنه عبد الحليم بن سماية المعروف بدوره المحوري في النهضة الجزائرية.

ومن ضواحي غرب الجزائر (شرشال) نجد عائلة (بن العربي)، ذات الأصول الأندلسية العريقة، ومنها ينحدر الدكتور "محمد بن العربي"[2].

وفي (المدية) نجد محمد بن أبي شنب، الذي ينتمي إلى أسرة شهيرة انحدرت من بلدة "بروسة" من الأناضول، وكان أبوه من الميسورين ماديا، وجده خدم في الجندية العثمانية[3].

أما في عمالة قسنطينة، فقد اشتهرت أسرة "بن وادفل"، التي ينحدر منها المفتي المالكي الحاج الطيب بن وادفل[4]، وعائلة "باش تارزي" التي ينتسب إليها المفتي الحنفي عبد الكريم باش تارزي (ت.1917)[5]، ونجد أيضا أيضا عائلة "ابن الموهوب" التي ينحدر منها المولود بن الموهوب المعروفة في العلم والجاه والنسب، وكان والده أيضا عالما وأديبا مشهورا[6].

وحافظت عائلة "ابن باديس" على مكانتها الاجتماعية والسياسية، وبرز منها والد الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، الذي تولى مناصب سياسية عليا، إذ عين مندوبا بالمجلس الجزائري الأعلى، ومستشارا بالمجلس

---

[1] عائلة بن سماية حسب ما ذكره عبد الرحمن الجيلالي من الأسر التركية العريقة بالعاصمة، ويرجع أصلها إلى أتراك بلدة "أزمير"، وترجع في نسبها إلى حسن خوجة، قاطع السكة بالجزائر خلال العهد العثماني. ينظر: الجيلالي، **جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية** ..، ص 202.

[2] بن العابد الجيلالي، مصدر سابق، ص 57 وما بعدها.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، **محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره**، د.ط، م.و.ك، الجزائر، 1981، ص 13.

[4] الحاج الطيب بن وادفل (1827-1907)، ينحدر من أسرة مارست القضاء بتلمسان، استقر بعض أفرادها في الشرق الجزائري فترة الحكم العثماني، تخرج الحاج الطيب من المدرسة الكتانية سنة 1853، وعمل مدرسا، ثم تصدر للافتاء على المذهب المالكي منذ سنة 1876، قلد وسام الشرف الفرنسي سنة 1904. ينظر عنه: عبد العزيز فيلالي، **السياسة والقضاء عند المكي بن باديس وابنه حميدة**، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص 31.

[5] عبد الكريم باش تارزي (ت.1917)، هو مؤسس الطريقة الرحمانية في بمبر باش تارزي برحبة الصوف بقسنطينة، أخذ الطريقة على الشيخ عبد الرحمن الأزهري القشطولي، ينظر عنه: عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 32.

[6] كان والد ابن الموهوب أديبا وشاعرا، يرجع أصل أسرته إلى عرش البوازيد بمنطقة طولقة – بسكرة، أكمل تعليمه بقسنطينة، ثم عين بها قاضيا سنة 1844، وهو أول مدير للمدرسة الكتانية سنة 1850، سافر إلى فرنسا والتقى الأمير عبد القادر وآنسه في سجنه بأمبواز بفرنسا, ينظر عنه: أحمد صاري، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ط1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص 13.

العمالي بقسنطينة، كما كان عمه "حميدة بن باديس" مستشارا عماليا (عاما) عن نفس المدينة أواخر القرن 19م، ومن أفرادها أيضا "أبو العباس حميدة"، الذي كان قاضيا في مدينة قسنطينة و"مكي بن باديس" الذي كان قاضيا هو كذلك، واشتهر منها أيضا "محمد مصطفى بن المكي" الذي تبوأ مناصب عديدة منها عضوا بالمجلس الجزائري الأعلى وباش آغا شرفي ومستشارا بلديا، ولعل أشهر أفرادها على الإطلاق الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس، الذي كان لمكانة عائلته الأثر البليغ في تكوين شخصيته وصقل مواهبه العلمية والفقهية والسياسية[1]، أما في الغرب الجزائري، فنجد عائلة "المجاوي" في تلمسان التي ينحدر منها شيخ الجماعة "المجاوي"[2]، وقرب تلمسان وبالضبط في مدينة ندرومة المعروفة بقلة التواجد الأوربي مقارنة بالمدن الجزائرية الأخرى، لذلك حافظت ولو نسبيا على تقاليد المجتمع الأصيلة، ومن العائلات العريقة هناك أسرة (بن رحال) التي ينحدر منها "سي محمد بن رحال" الذي كان والده "حمزة بن رحال" [3] قاضيا في عهد الأمير عبد القادر.

وإلى جانب الأسر المالكة، توجد بعض الأسر الدينية (المرابطية) التي حافظت على نفوذها ومكانتها نظير خدماتها لإدارة الاحتلال من بينها عائلة (بن علي الشريف) القائمة على زاوية شلاطة بآقبو، وكان رئيسها "محمد بن سعيد الشريف" باش آغا إلى غاية وفاته سنة 1896، ليخلفه ابنه "الشريف بن علي الشريف"[4]، واشتهرت كذلك عائلة "آيت منقلات" في منطقة القبائل، التي ينحدر منها العديد من الموظفين في الإدارة الاستعمارية، ومن بينهم "محمد أمزيان"، وعائلة "الزاهري" بليانة، قرب بسكرة، ومنها ينحدر الكاتب والمصلح "محمد السعيد الزاهري"[5].

---

[1] كحول، المرجع السابق، ص 27.

[2] دريادي، مرجع سابق، ص 40.

[3] تولى حمزة بن رحال القضاء في دولة الأمير عبد القادر، وبعد خضوع (ندرومة) للسيطرة الفرنسية أبقته السلطة الاستعمارية في منصبه، وفي سنة 1857 عينه نابليون الثالث آغا لندرومة غير أنه استقال من وظيفته سنة 1878. ينظر عنه:

Grandguillam, op-cit, p 61.

[4] سعيدي مزيان، **السياسة الإستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، (مرقونة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008.، ص 320.

Grandguillam, op-cit, p 61.

[5] محمد السعيد الزاهري (1899-1965) شاعر وكاتب وصحفي من بسكرة، درس في قسنطينة على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس ثم انتقل إلى الزيتونة، أصدر مجموعة من الصحف منها "الجزائر" سنة 1925، والبرق سنة 1927، والوفاق سنة 1938. للمزيد حول الشخصية ودورها الإصلاحي يراجع: صالح خرفي، **محمد السعيد الزاهري**، ط1، م.و.ك، الجزائر، 1986.

وتشير دراسة للباحث "جاك بوفراس" (J . Bouveresse)، حول المجالس المالية في الجزائر، إلى أن غالبية النواب المسلمين في المجالس النيابية ما بين (1898-1920) ينحدرون من أسر كبيرة، منهم من ينتمي إلى الأعيان والأسر المالكة ذات النفوذ الاقتصادي، ومنهم من ينتمي إلى عائلات دينية مرابطية[1].

III. 2.1. المنحدرون من البرجوازية الجديدة:

على أنقاض البرجوازية التقليدية التي عارضت سياسة الإدارة الاستعمارية فكان مصيرها النفي أو الهجرة والتشريد حاولت سلطة الاحتلال خلق برجوازية جديدة تتولى زمام الأمور وتكون أداة في يد الاحتلال لتحقيق الإدماج، فمنذ أواخر القرن التاسع عشر بدأت تظهر بعض الأسر النافذة، نتيجة دخولها في خدمة الاحتلال، الذي كان يكافؤها بتخصيص منح دراسية لأبنائها[2].

وإلى جانب دور الإدارة الفرنسية في خلق برجوازية جديدة، فإن هجرة الجزائريين من الريف إلى المدينة ساهمت هي الأخرى في خلق برجوازية وإن كانت صغيرة، والملاحظ هنا أن العديد من هذه العائلات حافظت على نشاطها الفلاحي في الريف، فكان لها رجال الريف ورجال المدينة، وبظهور هذه الفئة ستنتقل المقاومة من الريف إلى المدينة التي وفرت لهم جوا جديدا وفضاءات واسعة واحتضنت نضالهم، فالمدينة بالإضافة إلى المساجد والمدارس، كانت تحتوي أيضا على النوادي والمقاهي التي كانت تجمع الناس من كل الفئات ويتجاذبون أطراف الحديث ويخوضون في قضايا الساعة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فكانت حسب أحد المعاصرين تمثل (بؤرا لثقافة جديدة)[3]، كما أن المدينة ساعدت في الاحتكاك بالمعمرين ومكنت الجزائريين من الوقوف على مظاهر الحضارة التي يعيشونها نتيجة استغلالهم الفاحش لثروات المسلمين.

ولعل من أشهر العائلات التي مثلت هذه الفئة، وارتقت في سلمها الاجتماعي وحظيت بإرسال أبنائها إلى المدرسة الفرنسية عائلة "عباس" التي ينحدر منها فرحات عباس، فقد كان أبوه "سعيد" في البداية فقيرا وأمّيا

---

[1] Jacques Bouveresse, **Un parlement Colonial**, **Les Délégations Financières Algériennes (1889-1945)**, **L'instituation et de les hommes**, Publication des Univercités de Rouen et du Haver, Paris, 2008, p-p 680-689.

[2] بير فيلي، مرجع سابق، ص 48.

[3] فرحات عباس، **الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم 1930، الشاب الجزائري (1930)، متبوع بتقرير إلى الماريشال بيتان (أبريل 1944)**، تر: أحمد منور، تق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 66.

يمتهن الفلاحة، غير أن صداقته الشخصية مع أحد كبار الكولون وهو "داز نيادو فيجي" الذي اشترك معه في تجارة المواشي، سمحت بتعيينه قائدا على عدة دواوير في بلدية الطاهير (جيجل) المختلطة، فهذا المنصب سمح له بإدخال أبنائه المدرسة والجامعة الفرنسية ونيل شهادات عليا وتولي مناصب في الإدارة الفرنسية[1]، فإبنه "سي عمار" تولى منصب أبيه كقائد، و"أحمد" عمل كمتصرف إداري، و"فرحات عباس" تحصل على منحة دراسية ساعدته في مزاولة دراسته في المدرسة الفرنسية بسكيكدة، ثم قسنطينة قبل أن يدخل إلى جامعة الجزائر وينال شهادة الصيدلة و"حميد" الذي درس الحقوق بجامعة باريس و"محمد الصالح" الذي أنهى دراسته في العلوم الفلاحية واستقر بمسقط رأسه بالطاهير[2].

كما ظهرت عائلات برجوازية جديدة انحدر منها بعض الفاعلين في حركة الشباب الجزائري مثل عائلة "ابن التهامي"، التي ينحدر منها بلقاسم ولد حميدة التهامي الذي تخرج من كلية الطب سنة 1905 وأخيه الجيلالي بن التهامي، الذي كان بدوره طبيبا وعضوا نشطا في حركة الشبان الجزائريين في مطلع القرن العشرين، وهما ولدا "حميدة بن التهامي" الذي قلد لقب باش آغا سنة 1846، وساعد الفرنسيين في دخول مدينة مستغانم[3]، وكذلك نجد عائلة "طالب" من فئة حضر تلمسان التي ينحدر منها طالب عبد السلام، الذي تولى القضاء والتدريس وأصبح من رواد حركة الشباب الجزائري[4]، وفي وهران نجد كل من عائلة "مرسلي" التي كان أحد أفرادها ضابطا في صفوف فرسان الصبايحية في الجيش الفرنسي، وهو والد الطيب مرسلي المعروف، والذي كان حسب ما ذكره سعد الله أول طبيب مسلم، وعائلة فخار التي ينحدر منها "العربي فخار"[5] وأخوه بن علي فخار[6] المتحصل على شهادة الليسانس في الحقوق واشتغل مدرسا للغة العربية وعضوا في الغرفة التجارية في ليون بفرنسا.

---

[1] يشير فرحات عباس إلى أن أغلب المثقفين من جيله ينحدرون من أسر فلاحية فقيرة متواضعة. ينظر: عباس، **ليل الاستعمار ...**، مصدر سابق، ص 128.

[2] نفيسة ديويدة، **تطور فكرة الوطنية الجزائرية عند فرحات عباس 1927-1955**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر (مرقونة)، المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة، الجزائر، 2005، ص 8-9.

[3] صالح خرفي، **صفحات من الجزائر، دراسات ومقالات من 1962 الى 1972**، ط1، و.ن.ت، 1973، الجزائر، ص64.

[4] Menier, op-cit, p 206.

[5] العربي فخار: أستاذ بمدينة تلمسان، صاحب جريدة المصباح مع أخيه بن علي.

[6] بن علي فخار: ولد بتلمسان سنة 1872، خريج مدرسة بوزريعة، أستاذ بمدرسة التجارة بمدينة ليون، نال شهادة الحقوق سنة 1904، قدم عدة محاضرات في عدة مدن فرنسية حول التقارب بين الأوربيين والجزائريين. ينظر: Hamet, op-cit, p 201.

III. 3.1. النخبة المنحدرة من الأوساط الكادحة:

أقر "بن حبيلس" في شهادة له أن هناك قطاع عريض من النخبة الجزائرية المنحدرة من الأوساط الشعبية المتواضعة، وأنه ينتمي إلى عائلة فقيرة تعيش تحت سقف كوخ بجبال البابور، وأن أغلب زملائه ينحدرون من نفس الوسط الاجتماعي، لأنه في اعتقاده لا يمكن الاعتماد على العائلات الكبيرة في نشر الحضارة والرقي في جبال القبائل أو في أعماق الصحراء[1]، كما تشير الباحثة في علم الاجتماع "كلونا" في دراستها (المدرسون الجزائريون)، أن من بين ألف معلم جزائري تخرج من مدرسة المعلمين ببوزريعة وجدت 57% منهم هم أبناء الفلاحين، و66% آباؤهم أميين، و77% منهم لا تملك عائلاتهم نقود.

III. 2. مرجعياتها الفكرية والسياسية:

إلى جانب إشكالية دراسة جذور النخبة الجزائرية الاجتماعية، هناك إشكالية قد تكون أكبر وأصعب وهي إشكالية تصنيفها إلى تيارات واتجاهات فكرية وأيديولوجية، فقد قسّم المثقفون الجزائريون نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى ثلاثة تيارات فكرية حسب موقفهم من الثقافة الاستعمارية وتصوّراتهم للواقع والحلول المقترحة، ولهذا ظهر "التيار المحافظ التقليدي"، وهو الأكثر تأثيرا في الأوساط الشعبية، وهو استمرار للواقع الثقافي الموروث، ومعارضة كل تيار أجنبي يحاول أن يغيّر من ثقافة المجتمع الجزائري، ويقابله تيار اندماجي حاول أن يتقمص ثقافة أجنبية فرنسية، لكي يصبح أنصاره مواطنين فرنسيين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات، فكان تأثّرهم واضحا بالثقافة الغربية، فحاولوا أن يغيّروا الثقافة الشعبية على جميع مستوياتها، منها الأسرة واللباس وحتى أسماء الأشخاص والأماكن.

وهناك تيار ثالث إصلاحي ظهر على أنقاض تدني الواقع الثقافي وأراد أن يصلح واقع المسلمين دون التخلي عن أحوالهم الشخصية أو تكون له عقدة في الأخذ من الحضارة الغربية ما يفيد الإسلام والمسلمين، وقد تدعّم هذا التيار بالأفكار الإصلاحية القادمة من الشرق[2].

---

[1] عطاء الله فشار، **النخبة الجزائرية: جذورها–تطورها–اتجاهاتها (1914–1954)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 166.

[2] للمزيد حول الموضوع ينظر: عبد الحميد عومري، **الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880–1914م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017م، ص–ص 306–320.

وقد يبدو من خلال ما ذكرنا أنّ عملية التصنيف بسيطة تستند إلى المرجعية الثقافية والحضارية للنخبة الجزائرية ومواقفها من بعض القضايا الجوهرية في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين؛ غير أنّ تعدد المشارب الثقافية وازدواجية المواقف وتناقضها في الكثير من الأحيان لدى تيار واحد، بل حتى لدى شخصية واحدة [1] تجعلنا عاجزين عن إيجاد أسس ومعايير تمكننا من إجراء تصنيف دقيق للنخب الجزائرية. كما أدّت بالكثير من الكتاب والباحثين إلى إصدار أحكام مسبقة ومتسرعة، مثل "مصطفى الأشرف"[2] وكذلك "محمد حربي"[3].

وقد يكون كلّ من "الأشرف" و"حربي" هنا قد حكما ذلك الحكم نتيجة لخلفيتهما الأيديولوجية وانتماءاتهما الفكرية والسياسية أو نتيجة سطحية تناولهما لتطور الحياة الفكرية في الجزائر خلال مرحلة النهضة، ذلك أن النهضة في الجزائر كانت ذاتية واقعية إن صحّ التعبير، فهي على حدّ تعبير "محمد الطاهر فضلاء": "... نبعت من آلام وآمال هذا الشعب واستهدفت أول ما استهدفته هو حياة الشعب ونهضته..."، وهذا عكس ما يدّعيه بعض المؤرخين، خاصة رواد المدرسة التاريخية الفرنسية الذين يزعمون بأن الحركة الوطنية في الجزائر هي امتداد لحركة الإصلاح في المشرق والمغرب الإسلاميين، وفعلا لا يمكننا هنا أن ننكر مساهمة المشرق والمغرب العربيين في تغذية الحركة الوطنية والنهضة في الجزائر بالأفكار الواردة عبر الصحافة والزيارات المتبادلة –وهذا ما سنشير إليه فيما بعد– غير أن المتتبع يرى أنها كانت عاملا ثانويا فقط، فلم تكن الأساس والقاعدة التي انطلقت منها الحركة الوطنية الجزائرية[4].

وصعوبة تصنيف النخبة الجزائرية أشار إليها الباحث "عبد القادر جغلول"، بقوله: "... يبدو لنا في الوهلة الأولى أنّنا أمام نمطين مختلفين شديدي الإختلاف. فإذا احتكمنا إلى معيار تكوينهم، نجد أن المدارس الفرنسية

[1] هذا ما أشار إليه "جاك بيرك" بقوله: "... قد نجد خريجا من جامعة بوردو مثلا مادّي النظرة ومحمدي الممارسة والسلوك ...". نقلا عن: رابح لونيسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920–1954م)**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2003–2004م، ص 43.

[2] فالأشرف يرى أنّ نخب المدن كانت اهتماماتهم الوطنية سطحية خالية من كلّ أيديولوجية، فكانت لهم أفكار بعضها مستمد من الغرب والبعض الآخر من الشرق، والنزر القليل من المغرب العربي. ينظر: مصطفى الأشرف، مرجع سابق، ص23.

[3] وكذلك محمد حربي الذي قال:"... أنّ دراسة الفكر الاجتماعي في الجزائر ليس له أهمية في حدّ ذاته، فهذا الفكر كان تابعا، تأتيه مواضيعه من أوربا ومن العالم العربي وتقع ترجمته محليا..." ينظر: محمد حربي، **الثورة الجزائرية، سنوات المخاض**، تر: نجيب عياد، صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994، ص106.

[4] محمد الطاهر فضلاء، **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية**، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1984م، ص89.

تكوّن لنا مجموعة ممثلّة للحداثة الغربية، أما المدارس القرآنية والجامعات الإسلامية فتخرّج أشخاصا ذو ثقافة عربية إسلامية..."[1]، لذلك سنحاول في هذه الدراسة الإعتماد ودمج جميع أسس ومعايير التصنيف، وسنركّز خاصة على المشارب الثقافية والمنطلقات الفكرية باعتبارها المحدد الرئيسي –في اعتقادنا– لنمط التفكير للنخب الجزائرية في هذه الفترة، وكذا لطبيعة المطالب فيما بعد، فجملة هذه المعايير جعلتنا نقف عند اتجاهين كبيرين متباينين، فكلّ منهما تندرج ضمنه مجموعة من الاتجاهات الفرعية، وهما الاتجاه المعرب والاتجاه المفرنس.

III. 1.2. الاتجاه المعرّب:

يضم هذا الإتجاه كلّ الذين تلقوا تكوينا عربيا إسلاميا، سواء داخل الجزائر في الكتاتيب والمساجد والزوايا أو في الحواضر العلمية في المشرق والمغرب الإسلاميين، وأهمّ ما يميّز هذا الفصيل من النخبة الثقافة العربية الإسلامية هو شدّة تعلقهم بالإسلام وبالأمجاد الحضارية للأمة الجزائرية التي كانوا يرونها الإطار المرجعي والأساسي لتحقيق النهضة والإصلاح في الجزائر، وكذا نلاحظ ذلك الإختلاف الواضح في مواقفها وعلاقتها بالاستعمار وبالحضارة الغربية، ما يجعلها تنقسم بدورها إلى اتجاهات وتيارات فكرية يمكن إجمالها فيما يلي:

- **الاتجاه الطرقي:**

يتشكّل هذا الاتجاه من نخبة الزوايا (شيوخ ومريدي الطرق الصوفية) الذين كان لهم تأثير واضح على الجماهير الجزائرية وعلاقتهم بالإدارة الاستعمارية، وإذا كان المرابطون قد لعبوا دورا إيجابيا في المقاومات والإنتفاضات الشعبية خلال النصف الثاني من القرن 19م، فإنّ أغلبهم في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحولوا إلى خدم للإدارة الاستعمارية، نتيجة سياسة التّدجين التي نجحت فيها سلطة الاحتلال، ذلك بما نشروه من بدع وخرافات كبّلت المجتمع الجزائري وقيّدته وأضرّت بعقيدته حتى أصبحت عند الكثير من المصلحين رمزا للإلحاد، ونذكر على سبيل المثال ما قاله الشيخ البشير الإبراهيمي الذي رأى بأن القضاء على الطرقية هو قضاء على الإلحاد[2]، ولكن الملاحظ على النخبة الطرقية أنّها لم تكن على نفس درجة الاستكانة

[1] ينظر: عبد القادر جغلول، "المثقفون الجزائريون المعاصرون 1880-1930م، (طور التكوين)"، الحلقة الثانية، **جريدة اليوم**، ع 156، الجزائر 06 أوت 1999م.

[2] رابح لونيسي، العلاقة الجدلية بين الثقافتين الفرنسية والجزائرية في العهد الاستعماري وانعكاساتها، **دورية كان التاريخية**، ع15، مجلة الكترونية، مارس 2012، ص18.

والانعزال، فلم يكونوا كلهم "كهفيون" كما وصفهم لونيسي[1]، أو عملاء للإدارة الاستعمارية، فهناك العديد من نخب الزوايا من لعب دورا كبيرا خاصة في مجال التربية والتعليم وحركة المقاومة، حتى أن بعضهم قد أسهم في حركة النهضة والإصلاح مع بداية القرن العشرين ومنهم نذكر "السعيد بن زكري" الذي تلقى تكوينه في زاوية اليلولي بجرجرة، وزاوية سيدي محمد الشريف بمدينة الجزائر قبل أن يصبح مدرسا بالجامع الكبير وإماما بمسجد سيدي رمضان، ومفتيا مالكيا سنة 1908م[2]، وتكوّن على يديه أغلب المثقفين المعربين في مطلع القرن العشرين، لذلك وصفه تلميذه "بن قدور": "... هو قدوة الأعلام ومهذّب الأذهان والأفهام المرحوم الشيخ بن زكري محمد السعيد ..." [3]، ومن بين أعمال الشيخ "بن زكري" وإسهاماته الإصلاحية تأليفه لكتاب "أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا في بلاد القبائل" الذي نشره سنة 1903م، وأحدث به آنذاك ثورة في الفكر الإصلاحي، حيث أدخل إحدى المفاهيم الأساسية في حركة الإصلاح الجزائري وهو "الكفاح ضدّ الشرك"[4].

فمن خلال هذا النموذج يمكن القول بأن نخبة الزوايا في الجزائر كان لها حضور واضح في المشهد الثقافي والسياسي في الجزائر منذ أواخر القرن 19 وبداية القرن 20، وبذلك لم تكن نخبة الزوايا كلّها كما وصفتهم الكثير من الدراسات التي وضعتهم في سلّة واحدة، وعدّتهم منحرفين متعاونين مع الإدارة الاستعمارية، وهناك من وصفهم حتى بالمشعوذين وعبدة الجن، على غرار "بن قدور" الذي ذكر أنهم يتحملون مسؤولية الانحطاط الديني والثقافي في الجزائر.[5]

- الاتجاه الإصلاحي:

قامت فلسفة الاتجاه الإصلاحي في الجزائر منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[6]، على مبدأ الآية الكريمة: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** [1]، فالتخلف والاستعمار في نظر الحركة

---

[1] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص18.

[2] عبد المجيد بن عدة، **مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال الرواد المصلحين (1900-1925)**، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة الجزائر، 1992/1991، ص73.

[3] بن قدور، إلى الروح المقدّسة، **الفاروق**، ع57، 20 أفريل 1914م.

[4] Meynier, op-cit, p247.

[5] بن قدور، "خطر الأحداث والبدع على القومية والدين"، **الفاروق**، ع.63، 01 جوان 1914م.

[2] الفكر الإصلاحي في الجزائر متجذر في المجتمع الجزائري، فأصوله على الأقل تعود إلى نهاية القرن 19م، وترتبط أساسا بنشاط "بن مهنا" و"لونيسي" و"المجاوي"، ولا ترتبط كما يعتقد الكثير بفترة العشرينيات، مثلما ذهب إليه "مراد" الذي يرى أنّ الحركة الإصلاحية ترتبط بظهور جريدة المنتقد سنة

الإصلاحية الجزائرية كان بسبب الإبتعاد عن جوهر الإسلام، لذلك ارتكزت مجهوداتهم النهضوية على مجال الإصلاح الديني والإجتماعي والتربوي، وذلك بهدف إيقاظ ضمائر المسلمين وإنقاذهم من براثن الجهل كخطوة أولى من أجل تحريرهم من رقبة الاستعمار.

والجدير بالذكر أن أغلب المصلحين الجزائريين كانوا قد تكونوا في الحواضر العلمية في العالم العربي والإسلامي، وتأثروا إلى حدّ كبير بحركات الإصلاح الإسلامية خاصة "الحركة الوهابية" (التيار السلفي في المشرق العربي) و"حركة الجامعة الإسلامية"،[2] وربطتهم علاقة وطيدة برواد النهضة والإصلاح "كالأفغاني" و"عبده" و"رشيد رضا" و"شكيب أرسلان"... وغيرهم –كما سنرى لاحقا– فكانت فلسفتهم الإصلاحية امتدادا لحركة هؤلاء الرّوّاد، وإن كانت فلسفة الإصلاح ومجالات النهضة واحدة لدى رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية، فإنّ واقعهم ونظرتهم للإدارة الاستعمارية وموقفهم من الثقافة الغربية كانت مختلفة، لذلك تتفرع الحركة الإصلاحية الجزائرية إلى اتجاهات مختلفة، يمكن حصرها في الاتجاه الرسمي والاتجاه الحرّ.

أمّا الاتجاه الرسمي فقد كان يضمّ رجال الإصلاح وعلماء الدين الموظفين لدى الإدارة الاستعمارية، كأئمة ومفتيين وقضاة ومعلمين في المدارس الشرعية، تكوّن بعضهم في المشرق أو المغرب، أو بعضهم الآخر في المدارس الشرعية الثلاث بالجزائر، ومن بين روّاد هذا الاتجاه "الشيخ علي بن الحاج موسى" (1828-1909م)، الذي أخذ القرآن الكريم عن الشيخ "سيدي محمد تاتبينت"، ومن مشايخه أيضا الشيخ "محمد بن هني" المعروف بدفين تونس، عرف بتضلعه في علوم الشريعة والأدب، تولى القضاء في تلمسان، ثم الإمامة بجامع سيدي رمضان، ثمّ أصبح قيّما عند زاوية "سيدي عبد الرحمن الثعالبي"، تعرّف على " محمد بيرم الخامس" واجتمع به لما حلّ بالجزائر، وكذلك التقى بالزعيم المصري "محمد فريد بك" لما زار الجزائر سنة 1901م والذي زاره في زاويته وقال فيه: "... وناظر هذا الضريح شيخ جليل عالم متفقه، لديه خزانة كتب نفيسة، بارع في النظم والنثر، وله قصائد جليلة على ما أخبرت ..." [3]، وكذلك الشيخ "عبد القادر المجاوي" المتخرج من "القرويين" الذي تأثّر بعلمائه

=1925م، ينظر: علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي (1925– 1940)**، تر: محمد عياش، دار الحكمة، الجزائر، 2002، ص91.

[1] سورة الرعد: الآية 11.

[2] للمزيد حول الموضوع يراجع: عايدة حباطي، مرجع سابق.

[3] عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج5، د.ط، دار الأمة، الجزائر، 2014، ص312 وما بعدها.

أيّما تأثير، والذي تجسّد فيما بعد في منهجه الإصلاحي التربوي القائم أساسا على الغيرة على الدين والوطن[1]، والتركيز على التعليم والتربية التي كانت بالنسبة إليه ترياق داء الجهل الذي بات يتخبط فيه غالبية الجزائريين، ولذلك نجده بعد عودته إلى الجزائر سنة 1873، تصدّى للتدريس والإمامة والخطابة في مدارس الجزائر ومساجدها، وعمل كل ما في وسعه لمحاربة هذا الواقع التعيس، والعمل على إرساء قواعد متينة للنهوض بالمجتمع الجزائري[2].

والظاهر أن "المجاوي" قد تمكن من تكوين ثلّة من الرّجال سواء في قسنطينة أو في مدينة الجزائر ساروا على دربه في مجال الإصلاح، لذلك أصبح يلقّب بـ: "شيخ الجماعة"، فقد كانت وفاته سنة 1914م[3] فاجعة لتلاميذه وزملائه الذين راحوا يعددون خصاله وفضله في نهضة الجزائر، من بينهم "ابن الموهوب" الذي قال عنه بأنّه أحيا القلوب بعد القحط ... الذي زيّن الوطن الجزائري بتلاميذه ... أستاذ الجميع الذي ما من عالم إلاّ وله فضل عليه ...، وكذلك "عمر بن قدور الجزائري"، الذي اعتبر وفاته خسارة للأمة الجزائرية[4]، وممّا تجدر الإشارة إليه، أن "المجاوي" لم يحظ لاحترام تلاميذه فقط، بل كان محل تقدير واحترام لكل من عرفه، ومن بينهم

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي، سعد الدين بن شنب، مقال سابق، ص-ص 50-51.

[2] في جامع "سيدي الكتاني" سنة 1873م، ومدرستها الشرعية سنة 1887م، والمدرسة الشرعية بمدينة الجزائر منذ 1896م، وتوليه الإمامة والخطابة بجامع "سيدي رمضان" بالعاصمة سنة 1908م، ينظر: عبد القادر، المجاوي، **اللمع على نظم البدع**، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1912، ص9 .

[3] توفي "المجاوي" في أفريل 1914م حسب ما ذكر في جريدة "الفاروق" التي نشرت تفاصيل تشييع جنازته، ويذكر "دبوز" أنّ "إبراهيم أطفيش" قد أخبره أنّ المجاوي قتل مسموما في أواخر 1913م، في قسنطينة من طرف الإدارة الاستعمارية، التي لجأت إلى تصفية الكثير من الوجوه الإصلاحية الذين خشيت من أن يستغلوا انشغال فرنسا بالحرب العالمية الأولى، ويعلنوا الحرب ضدها، ونحن لا نستبعد هذا الرأي، لأنّ هذه السنة شهدت وفاة ثلاثة أقطاب وهم: الشيخ "المجاوي" و"محمد أطفيش" (1828-1914م)، والأستاذ "سعيد بن زكري" (1815-1914م)، والمعروف أنّ هؤلاء كان لهم نفوذ في أوساط الجماهير الجزائرية، ففمثلما سمّي الشيخ المجاوي بشيخ الجماعة، فقد كان "محمد أطفيش" يلقب "بالعالم القطب" و"الرجل الأمة" على حدّ وصف بن قدور، وكذلك لقب بـ "أبو النهضة المزابية" كما وصفه "جيلبيرت ميني" (Gilbert Meynier)، وكذلك "بن زكري" الذي أحدث ثورة في الفكر الإصلاحي في الجزائر من خلال كتابه: "أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا في بلاد القبائل" –حسب "ميني"- ، ويشير "آلان كريستلو" إلى وفاة "المجاوي" والتي حدّدا بسنة 1913م، وقال بأنها كانت غامضة، وموازية –حسب تعبيره- لوفاة "ابن باديس" سنة 1940م، وكأنه يريد أن يقول بأن الإدارة الاستعمارية قبل الحرب العالمية الأولى والثانية صفّت كلّ ما يمكن أن يشكل عليها خطرا على مشروعها في الجزائر. للمزيد ينظر: محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج1،ط1، مطبعة البعث، الجزائر ، ص105. وكذلك **الفاروق**، ع55، 06 أفريل 1914م / ع57، 20 أفريل 1914م / ع81، 09 أكتوبر 1914م، وكذلك:

- Meynier, op-cit, pp 246-247.
- Allan Christelow, **Musulim law courts and fransh colonial stat in Algeria**, princeton univercity, press, princeton Newjersey, 1985, p 259.

[4] للمزيد حول الموضوع، ينظر: **الفاروق**، ع81، 09 أكتوبر 1914م

الشيخ العلامة "محمد الخضر حسين" الذي زار الجزائر سنة 1908، وأبدى إعجابه الشديد بطريقة تدريسه، كما أن إدارة المدرسة الرسمية في الجزائر في موسم 1905-1906، قد أشادت بمساره المهني، فكان حسن الخلق، مواظبا، حسن الهندام، يحظى باحترام الجميع[1]، وكذلك الشيخ "عبد الحليم بن سماية" الذي أهلته ثقافته الواسعة لأن يكون أستاذا للفلسفة بـ "المدرسة الرسمية" (الثعالبية)، ابتداء من 1896م، وأسندت له مهمة التدريس بعدها في "الجامع الجديد" سنة 1900م، بمدينة الجزائر، وقد أثّر بفكره النير على طلبته سواء في "الثعالبية" أو في "الجامع الجديد"، فكرّس جلّ حياته في نشر التعليم والدعوة إليه، ومحاربة البدع والخرافات، وله كذلك بعض المواقف السياسية مثل "التجنيد الإجباري"[2].

ومن بين المصلحين كذلك "المولود بن الموهوب" الذي لازم الشيخ "المجاوي" حسب ما ذكره "دبوز" مدّة اثنا عشرة سنة، فقرأ عليه العلوم الشرعية وعلوم اللغة وأجازه في التدريس والوعظ[3]، وبعدها وظّف مدرسا للفقه والأدب والفلسفة الإسلامية في مدرسة "الكتانية" سنة 1895م، وساهم في تأسيس "نادي صالح باي" سنة 1907م، وكان من أشهر منشطيه، وفي سنة 1908م عيّن مفتيا لقسنطينة، ثم مفتيا لمسجد باريس سنة 1926م إلى غاية وفاته سنة 1935م.

وإلى جانب هؤلاء برز "أبو القاسم الحفناوي" (1858-1942)، الذي كان متمكنا في العديد من العلوم الشرعية والدنيوية، حيث ألف ثلاث رسائل[4] دعا فيها المسلمين للتعلم وضرورة الاستفادة من العلوم الغربية الحديثة، ويشير "ابن شنب" أنّ مضمون هذه الرسائل مقتبس من كتب فرنسية كان يترجمها له موظفوا الولاية العامة إلى اللغة العربية حتى تنفذ إلى عقول المسلمين[5].

---

[1] ينظر: صالح الجابري، **رحلات جزائرية**، د.ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص50، وكذلك:
- **A.N.O.M**, 14H44, Eta Des Service.

[2] عبد المجيد بن عدّة، **الخطاب النهضوي في الجزائر (1925-1954)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2010/2009، ص72.

[3] دبوز، **أعلام الإصلاح** ...، ج1، مرجع سابق، ص127.

[4] أحمد صاري، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ط1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص108، وكذلك، ينظر: ملف أرشيفي حول نشاطه في: **A.N.O.M**, 14H46

[5] أبو القاسم الحفناوي: ولد سنة 1858م ببلدية الديس قرب بوسعادة، طلب العلم بزاوية "ابن علي داود" ببلاد زواوة، ثم عاد إلى الجنوب والتحق بزاوية "علي بن عمر" بطولقة و"زاوية الهامل" ببوسعادة، شارك في تحرير جريدة المبشّر ودرّس بالجامع الكبير في مدينة الجزائر ابتداء من سنة

ولعلّ أهم ما أنجزه "الحفناوي" كتابه "تعريف الخلف برجال السلف"، الذي طبع بـ "فونتانا"في جزئين سنة 1905م و1907م، وبالرغم من أنّ تأليفه كان بإيعاز من الحاكم العام "جونار" آنذاك إلاّ أنّ "الحفناوي" قد أسدى جميلا ونفع البلاد والعباد نفعا عميقا[1]، وذلك من خلال إحيائه لتاريخ علماء الجزائر وإبراز مآثرهم حتى يكونوا نبراسا ومثلا يقتدي به الجزائريون.

ونجد كذلك من بين هؤلاء الشيخ "محمد بن مصطفى بن الخوجة" (1865-1915م)، المعروف باسم الشيخ "الكمال" أو الشيخ "المضربة"، الذي تقلّد مناصب رسمية عديدة، منها عضوية تحرير جريدة "المبشر" منذ 1887م، إلى غاية 1901م، وعيّن مدرّسا في مسجد "السفير" بمدينة الجزائر سنة 1895م، وفي سنة 1913م عيّن وكيلا على ضريح "عبد الرحمان الثعالبي"، وفي الوقت نفسه تولى وظيفة تصحيح المطبوعات العربية في إدارة الولاية العامة بالجزائر[2]، غير أنّ وظائفه الرسمية لم تمنعه من حمل عبء الإصلاح والنهضة في الجزائر، فكان من بين الرواد الأوائل الذين حاربوا البدع والخرافات، وثاروا ضدّ مظاهر الجمود الفكري ، لذلك نجد الشيخ "رشيد رضا" يثني عليه قائلا: "... ومن خيار علماء الجزائر محمد بن مصطفى بن الخوجة صاحب المصنّفات ..." [3]، ومن بين المصلحين والذين تقلّدوا وظائف رسمية "محمود كحول" المعروف "بابن دالي" (1875-1935م)[4] صاحب جريدة "كوكب إفريقيا" (1907-1914م)، التي وإن كانت أقرب إلى الجرائد الرسمية من الجرائد الوطنية، إلاّ أنّها تعتبر لبنة رئيسية في التأسيس للصحافة العربية والإسلامية في الجزا،ر. وقد ألّف كذلك مع المستشرق الفرنسي "لويس بودي" (Louis Boudi) كتاب "التقويم الجزائري" خلال سنوات 1911-1912-1913، هذا الكتاب الذي يمكن اعتباره كمصدر رئيسي للتعريف برواد النهضة

1897م، وتولى منصب الإفتاء المالكي سنة 1936م، له العديد من المؤلفات والرسائل، للمزيد ينظر:الجيلالي، سعد الدين بن شنب، مقال سابق، ص48.

[1] من بين أهم تآليفه نذكر: "رفع المحل في تربية النحل"، "القول الصحيح في منافع التلقيح"، "الخير المنتشر في حفظ صحة البشر"، والتي طبعت كلّها في مطبعة "فونتانا" بدون تاريخ. ينظر: الجيلالي، سعد الدين بن شنب، المقال السابق، ص48.

[2] إبراهيم لونيسي، **محمد بن مصطفى بن الخوجة**، ، ص45.

[3] محمد رشيد رضا، **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، ج1، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1931، ص371.

[4] للمزيد ينظر: بن عدة، **مظاهر الإصلاح ...**، مرجع سابق، ص144.

الجزائرية في بداية القرن العشرين، فقد كان "بن دالي" –حسب ما ذكره سعد الله– ذا ثقافة واسعة وكان بإمكانه أن يقدّم فائدة أكبر للدين والعلم والوطن[1].

والظاهر أن هؤلاء المصلحين وبالرغم من ارتباطهم بالوظيفة وتبعيتهم المباشرة للإدارة الفرنسية، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعهم من المساهمة في الإصلاح والدعوة إلى النهوض بالمجتمع الجزائري، والتخلص من كلّ مظاهر الجمود، ففلسفة هؤلاء الرّوّاد ومبادراتهم الفردية كانت ومن دون شك نابعة من إطار مرجعي عقائدي استفادت منه النخبة الإصلاحية فيما بعد، لا سيما النخبة التي كانت أكثر تحررا من قيود الوظائف الرسمية.

أمّا الاتجاه الثاني والمقصود به الاتجاه الإصلاحي الحرّ، فقد مثّله مجموعة من العلماء والمصلحون غير المرتبطين بالوظائف الرسمية، أو بالأحرى الرافضين لها، لأنّها في نظر غالبيتهم تقيّد العالم وتجعله مرتبطا بالسلطة الاستعمارية، وقد تميّز هؤلاء بارتباطهم بالمشرق العربي الإسلامي، وتأثرهم الشديد بفلسفة زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي وخاصة في الدعوة إلى التجديد، وعدم الخوض في المسائل السياسية، كما تميّزوا بالشمولية في الطرح، حيث تطرقوا إلى عدة قضايا تمسّ المجتمع الجزائري، وعملوا على تكييف مبادئ الإسلام والنص الديني مع روح العصر[2]، ومن أشهر الذين مثلوا هذا الإتجاه "عمر بن قدور الجزائري" و"عمر راسم"، المتأثرين بفلسفة "محمد عبده" في الإصلاح، ويظهر ذلك من خلال إعراضهم عن السياسة، خاصة "بن قدور" الذي كتب قائلا: "... وأعذنا اللّهم من السياسة ومآزقها وامنعنا أضرارها وبوائقها، إنها لهول شديد وشرّ مبيد، فويل للضعفاء منها، ومن تلوّناتها وتقلّباتها، لقد عتت عليهم عتوّا كبيرا، وملأت قلوبهم رعبا، فما كان بعضهم لبعض ظهيرا، فاكفيهم اللّهم هذا الشّرّ المستطير ..."[3].

وإلى جانب "العمرين" بن قدور وراسم، يمكن أن ندرج ضمن رواد الإصلاح الحرّ الأوائل "المولود الزريبي" الأزهري، الذي عرف بقوّة كتاباته الصحفية الإصلاحية، والتي سنحاول تحليل بعضهافيما بعد، كما عرف بثقافته الواسعة، ولعلّ أهمّ ما ميّز "الزريبي" مرجعية خطابه النهضوي المستمد من الكتاب والسنة وسيرة السلف

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، مرجع سابق، ص384.

[2] رابح لونيسي، **التيارات الفكرية** ...، مرجع سابق، ص76.

[3] في جامع "سيدي الكتاني" سنة 1873م، ومدرستها الشرعية سنة 1887م، والمدرسة الشرعية بمدينة الجزائر منذ 1896م، وتوليه الإمامة والخطابة بجامع "سيدي رمضان" بالعاصمة سنة 1908م، ينظر: المجاوي، **اللمع على نظم البدع**، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1912، ص9 .

الصالح، واعتقاده أنّه لن يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ إذا صلح بها أوّلها[1]؛ كما كان دوما يحاول إجراء إسقاطات تاريخية بين ما عرفته الأمة الإسلامية من تطوّر لما كانت متمسكة بدينها، وما وصلت إليه الآن من ضعف وانحطاط وركود لما ابتعدت عن دينها وانغمست في الجهل، مستندا في ذلك إلى آراء المفكرين والعلماء لتعزيز موقفه، مثل استشهاده "بابن خلدون" الذي يرى أنّ التباغض والتنافر سبب في تلاشي "العصبية" مما يؤدي إلى تلاشي الأمة [2]، والمفكر الإيطالي "ليوجي رينالدي" الذي ألقى محاضرة بنادي خريجي المدارس الإيطالية؛ بين فيها فضل الحضارة العربية والإسلامية على الإنسانية عامة وعلى أوربا خاصة خلال عصر النهضة[3]، والظاهر أنّ هؤلاء المصلحين الروّاد هم من وضعوا الأساس وهيّأوا الأرضية لحركة الإصلاح في الجزائر، التي أصبحت أكثر وضوحا وتنظيما بعد الح.ع.I خلال العشرينيات من القرن الماضي على يدي ثلة من المشايخ والعلماء المصلحين، والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بشخصية "عبد الحميد بن باديس" الذي تمكّن بعد عودته من أداء مناسك الحج سنة 1913م[4] –نتيجة نشاطه التعليمي الحر في "الجامع الأخضر"– أن يجعل من هذا الأخير مركزا ومنارة للتجديد الثقافي العربي والإسلامي في الجزائر[5].

كما تمكّن مع ثلّة من المصلحين أن يؤسسوا لتيار إصلاحي يمكن أن نسميه بالتيار أو المدرسة الباديسية[6]، ولا بأس أن نشير هنا إلى الإطار المرجعي لخطابها النهضوي المتمثل في منهج السلف الصالح القائم على الكتاب والسنة واجتهاد العلماء المسلمين، لذلك ركّزت هذه النخبة على التصحيح العقائدي ومحاربة البدع

[1] المولود الزريبي، "لن يصلح آخر هذه الأمة إلاّ بما صلح بها أوّلها"، **الصديق**، ع42، 01 سبتمبر 1921م.

[2] مولود الزريبي: "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهموأشدّ تثبيتا"، **الصديق**، ع17، 17 جانفي 1921م.

[3] الزريبي: الأوربيون يعترفون بمدينة الإسلام ونحن نجهلها، **الصديق**، ع19، 31 جانفي 1921م.

[4] يشير "مرّاد" إلى أن هناك عاملان ساهما في رسم المسار الإصلاحي لابن باديس أثناء رحلته لأداء مناسك الحج وهما: التقاؤه بشيخه "حمدان لونيسي" الذي أوصاه بالابتعاد عن الوظيفة الرسمية لكي يكون حرا غير مقيد في دعوته، والعامل الثاني يكمن في التقائه في "حلوان" قرب القاهرة بشيخ الأزهر "بخيت" (ت:1935م) الذي أجاز ابن باديس، فكانت هذه الإجازة ذات قيمة معنوية وروحية كبيرة، فقد حظي "ابن باديس" بما يشبه الإعتبار والإحترام الإصلاحي من قبل شخص أمسى منذ وفاة "محمد عبده" الأستاذ الأكثر احتراما في مصر، للمزيد حول الموضوع ينظر: علي مرّاد، مرجع سابق، ص–ص 95–96.

[5] نفسه، ص97.

[6] لا نريد من خلال هذه التسمية اختزال كل النخب الإصلاحية في شخص "ابن باديس" وإنّما أطلقنا عليها ذلك الوصف لنميزها عن النخبة الإصلاحية الرسمية وعن رواد الإصلاح الأوائل، ومن جهة أخرى نودّ الإشارة للمشروع النهضوي الذي كان محوره ومحركه الأساسي الشيخ عبد الحميد بن باديس.

والخرافات، والاهتمام بالتربية والتعليم كخطوة رئيسية لتحقيق التحرّر الفكري ثمّ التحرر السياسي، كما دعت للإنفتاح على الثقافات الأخرى والاستفادة منها قدر المستطاع بما لا يضرّ عقيدة وهوية المسلم.

III. 2.2. الإتجاه المتفرنس:

يمثل هذا الإتجاه الذين تلقوا تكوينهم في المدارس الفرنسية المختلفة، وتأثروا بالثقافة الأوربية الغربية، فكانوا معجبين باللغة الفرنسية وآدابها، ومنبهرين بمنجزات الحضارة الغربية التي نظروا إليها على أنّها النموذج الوحيد الذي يمكن من خلاله تحقيق الرقي والنهضة للمجتمع الجزائري المسلم، غير أنّ درجة التأثر اختلفت من فئة إلى أخرى، ومن فرد لآخر، فمنهم من انصهر كلّية في هذه الثقافة الغربية، وأضحى يرفض كلّ ما له صلة بالحضارة العربية الإسلامية، ومنهم من حاول التوفيق بين الحضارتين، ولذلك نجد ضمن هذا الإتجاه تقسيمات مختلفة، تتمثل في:

- **الاتجاه الإندماجي:**

يتكون هذا الاتجاه من أقلية محدودة العدد من الجزائريين المثقفين بالثقافة الفرنسية والذين يمثلون بعض قدماء التلاميذ المتخرجين من مؤسسات التعليم الفرنسي ومن المدارس العسكرية والمدارس الفرنسية-الإسلامية، والثانويات والكليات، أمّا بالنسبة لوظائفهم فنجد من بينهم فئة العسكريين والمدرسين بالإضافة إلى بعض الموظفين والمترجمين والأطباء والمحامين والصحافيين والتجار ...[1] وكان هؤلاء –حسب مرّاد- مثقفين ثقافة غربية كلّية في طريقة عيشهم وتفكيرهم، فالعديد منهم كانوا متجنسين بالجنسية الفرنسية، أو ربّما متزوجين من فرنسيات ... وحسب ذات الباحث فإن المثل الذي كان يحدوهم يكمن في العيش وفق الطريقة الأوربية ليس من جانبها المادي فحسب، بل من حيث وجهها المعنوي والأيديولوجي[2]، فكانوا بعيدي الصلة بالعروبة والإسلام، ويدعون إلى الإندماج التام في فرنسا دون اكتراث للدين الإسلامي، وقد مثل هؤلاء أوّل ضحايا الاستلاب الاستعماري، لأنهم لم يكونوا جزائريين في أعين بني جلدتهم، ولم يصبحوا فرنسيين كاملي الحقوق[3]، وقد عبر بعض المنتمين لهذا الإتجاه عن تمزقه الداخلي، وعن شعوره بالاغتراب الروحي والفكري مثل الملازم "ابن

[1] كريمة بن حسين، "المتجنسون: مواقفهم، أفكارهم وطموحاتهم"، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع:30، مج (أ)، جامعة منتوري قسنطينة، ديسمبر 2003م، ص129.

[2] مراد، المرجع السابق، ص57.

[3] محساس، مرجع السابق، ص39.

علي شريف" سنة 1856م، قائلا: " ... كان مواطنونا ينظرون إلينا بنوع من الريبة والحذر، وكان الفرنسيون لا يقبلوننا، كانوا يرفضون ترقيتنا فوق رتبة الملازم، وكانت قلوبنا –بين الريبة والإحتقار– تمتلئ بالحزن والمرارة[1].

ومن بين الشخصيات الفاعلة في هذا الإتجاه في العشرية الأخيرة من القرن التاسع عشر ميلادي المتجنس "لويس خوجة"، الوكيل القضائي في بونة (عنابة)، الذي عبر عن توجهاته الاندماجية من خلال كتابه "المسألة الأهلية"، وكذلك "الطيب مرسلي"، ومن بينهم أيضا "إسماعيل حامد" صاحب المؤلف الشهير "المسلمون الفرنسيون في شمال إفريقيا" سنة 1906، الذي حاول من خلاله –حسب ما ذكره "ديبارمي" (Desparmet)– إدانة الاتجاهات المعربة التي بدأت تظهر في الجزائر ، ويدعوا إلى وحدة البربر والأوربيين بالجزائر ويقترح استبدال الروابط الدينية الإسلامية برابطة الوحدة تحت مظلة الحضارة الفرنسية[2].

وكذلك توجد شخصية أخرى هي "الشريف بن حبيلس" الذي عبر من خلال كتابه "الجزائر الفرنسية من منظور أهلي" على انبهاره بالحضارة الغربية، وأبدى إعجابه صراحة بمنجزات الفرنسيين، وكذلك طبيب العيون "ابن التهامي ولد حميدة" مؤسس وعضو في العديد من الجمعيات الفرنسية، و"أحمد بوضربة"[3] الذي كان سنة 1904 محاميا في محكمة الإستئناف بالعاصمة، وأخوه "عمر بوضربة" الذي كان "لائكيا ماسونيا"[4]، ومن بينهم أيضا المدرس "محمد صوالح" و"شريف قاضي" وغيرهم.

أما رواد هذا الاتجاه بعد الح.ع.I فكان أغلبهم من "المدرسين الأهالي"[5] الذين تشبعوا بالمبادئ التي غرستها مدارس الجمهورية الثالثة خاصة مدرسة "ترشيح المعلمين"، فتلقى هؤلاء تعليمهم على الطريقة الفرنسية، يطالعون الصحافة الفرنسية، ويقرؤون للكتاب الفرنسيين، ويجهلون تماما اللغة العربية، وحسب "آجرون" فإن الربع (4/1) منهم تجنس بالجنسية الفرنسية، ومنهم من تزوج بفرنسية[6]، وقد التف هؤلاء حول "جمعية المعلمين

---

[1] الطاهر عمري، مرجع سابق، ص70.

[2] J. Desparmet, **'' Le Panarabisme et la Berbérie ''**, A.F, N°8, fĕvrier, 1938, p 195.

[3] Pansa, op-cit, p 152.

[4] عمري الطاهر، مرجع سابق، ص23.

[5] من الضروري الإشارة بأنه ليس كل المعلمين متجنسين، فهناك الكثير منهم احتفظ بهويته، وظل بعضهم حسب ما ذكره "آجرون" من المسلمين الورعين ولم يكونوا ليتوانوا عن مغادرة الأقسام الدراسية لأداء الصلاة"، وكانوا من خلال مطالبهم يحاولون تحقيق المساواة وإن طالبوا بالجنسية الفرنسية ولكن بشرط المحافظة على الأحوال الشخصية، للمزيد حول الموضوع، ينظر: آجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة** ..، مرجع سابق، ص503.

[6] نفسه، ص501.

من أصل أهلي" (L'Association des Instituteurs d'origine indigène) التي كان لسان حالها "جريدة المستضعفين" (La voix des Humbles) التي أسسها "رابح زناتي" مع مجموعة من المدرسين مثل "سعيد فاسي" سنة 1922م، وكان شعارها "بعيدون عن الأحزاب، بعيدون عن العقائد من أجل ترقية الأهالي عن طريق الثقافة الفرنسية[1] ففاسي كان يعتقد أنّ المثقف هو الوحيد القادر على تحقيق التقارب بين الجنسين العربي المسلم والأوربي المسيحي[2].

فكان المعلمون رغم انحدار أغلبهم من أوساط شعبية متواضعة يطالبون بمطالب فئوية خارج الإهتمامات الحقيقية للمجتمع الذي ينتمون إليه، فقد صرح أحد المعلمين وهو "سلال" في نداء له: "... على الأهالي المتعلمين تشكيل تجمع سياسي رفقة كل المسلمين الحاصلين على الشهادة الإبتدائية أو البكالوريا على الأقل، هذا التجمع يعنى بدراسة القضايا الاجتماعية الكبيرة ويكون على اتصال بالبرلمانيين أصدقاء الأهالي والمنتخبين المسلمين، فلا يمكن حسبه القيام بعمل سياسي مع الجماهير، بل يجب خدمتها دون الوثوق بها[3].

وإذا كانت مناهج المدرسة الفرنسية قد أثرت على فكر فئة محدودة من المثقفين الأهالي وتمكنت من سلخهم عن محيطهم العربي الإسلامي، ووضّفتهم كمعاول هدم للشخصية الوطنية فإنّ الكثير منهم قد ظلّ متماسكا بمبادئ الإسلام التي منعتهم من الإنصهار التام في الحضارة الغربية، وقد شكّل هؤلاء اتجاها حاول التوفيق بين الحضارتين الفرنسية المادية والعربية الإسلامية الروحية.

– الإتجاه التوفيقي:

يتميز رواد هذا الإتجاه بالإزدواجية اللغوية والثقافية (العربية – الفرنسية)، وارتباطهم الوثيق بالحضارة العربية الإسلامية، وعادات وتقاليد المجتمع الذي ينتمون إليه، فأغلبهم –حسب ما ذكره جغلول- يجتمعون في مدينة الجزائر لقراءة المجلات الشرقية وسماع المحاضرات باللغة العربية وحضور صلاة الجمعة[4]، وإن كان أغلبية الإدماجيين الإدماجيين من فئة المعلمين، فإنّ غالبة رواد هذا التيار من الممثلين أو المنتخبين من مختلف المجالس النيابية[5]،

---

[1] رابح لونيسي، العلاقة الجدلية بين الثقافتين الفرنسية والجزائرية في العهد الاستعماري وانعكاساتها، **دورية كان التاريخية**، ع15، مجلة إلكترونية، مارس 2012م، ص18. العدد في الموقع: (www.Kanhistorique.org)

[2] Colonna, **op-cit**, p 169.

[3] مولود قرين، **النخبة الجزائرية، مواقفها الوطنية واهتماماتها العربية الإسلامية (1892-1927م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2016-2017م، ص165.

[4] عبد القادر جغلول، **تاريخ الجزائر الحديث**، تر: فيصل عباس، ط1، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1983م، ص115.

[5] رابح لونيسي، **"العلاقة الجدلية بين الثقافتين .."**، مرجع سابق، ص18.

ومن أبرز الفاعلين في هذا الإتجاه؛ والذين تركوا بصماتهم واضحة في الحركة المطلبية في الجزائر منذ أواخر القرن التاسع عشر، المثقف "سي محمد برحال"، الذي كان العنصر الأكثر تألقا، لأنه عرف كيف يجد عناصر التمفصل والتقارب بين الإسلام والحداثة، وكيف يطرح مسألة مصير الجزائر[1]؛ ويعتبره "سعد الله" بمثابة "الجسر لمرحلة صعبة"، كونه مثل الإنتقال من مرحلة ظن فيها الفرنسيون أنّ الجزائر قد أصابها العياء واليأس من المقاومة إلى مرحلة أصبحت فيها الحركة الوطنية أكثر تنظيما بعد ظهور "الأمير خالد" على مسرح الأحداث[2]، ولعلّ ما أهّله لتبوّء تلك المكانة نبوغه وثقافته المزدوجة، فكان حسب قول أحدهم شهما متضلعا في اللغة الفرنسية، إذ أنّه يتقن النطق والكتابة بها على أحسن أسلوب وأبلغ عبارات، ومع ذلك لا يجهل المطالعون على كتاباته في عدة مجالات بالعربية وغزارة فكره الثاقب في العلوم الإسلامية[3].

وإلى جانب "بن رحال" نجد صديقه الدكتور "محمد بن العربي" الذي لعب دورا هو الآخر بفضل ثقافته الواسعة وتمكنه من العديد من اللغات، فإلى جانب اللغتين العربية والفرنسية كان يتقن اللغتين اليونانية واللاتينية، وهذا ما جعله يحظى بصداقة كبيرة مع أكبر الأدباء الفرنسيين مثل "فيكتور هيقو"[4]؛ ورغم ما عرضته عليه الإدارة الاستعمارية من رونق العيش، إلاّ أنّه ظلّ متمسكا بثقافته العربية الإسلامية مدافعا عن حقوق إخوانه الجزائريين، خاصة من خلال المجلس البلدي في العاصمة، فكان يقول دوما: "... إنّ للأمّة حقوقا عليّ لا أستطيع إهمالها ..."[5]، وإذا كان كلّ من "بن رحال" و"بن العربي" قد دافعا عن انتمائهما العربي الإسلامي، ودعيا صراحة إلى ضرورة التوفيق بين الحضارتين من خلال نشاطهما السياسي والصحفي، فإن هناك من هذا الجيل من خدم الثقافة الإسلامية من خلال نشاطه الثقافي مثل "محمد بن أبي شنب"، الذي لم تؤثر على شخصيته وعلى فكره الثقافة الفرنسية بالرغم من تمدرسه في المدارس الفرنسية، وتخرجه من مدرسة المعلمين، إذ ظلّ وفيّا للثقافة العربية الإسلامية التي عبّر عنها أوّلا بحفاظه على زيّه العربي الأصيل[6]، وثانيا بخدمته المتفانية للثقافة وللتراث العربي الإسلامي منذ بداية القرن العشرين، ورغم أنّنا لا نجد مواقف صريحة لـ"بن أبي شنب" من

[1] الطاهر عمري، مرجع سابق، ص-ص 144-145.

[2] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ... ، ج6، مرجع سابق، ص225.

[3] **جريدة المغرب**، ع 03، 21 أفريل 1903م.

[4] عابد الجابري، **في نقد الحاجة إلى الإصلاح**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، بيروت، 2005، ص57.

[5] نفسه، ص59.

[6] ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، **محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره**، مرجع سابق، ص26.

الإستعمار ومن سياساته المختلفة، إلاّ أنّ أبحاثه العديدة –لا سيما المتعلقة بإحياء التراث العربي والإسلامي– تجعلنا نقرّ بمدى الأهمية التي كان يوليها للعناصر الجوهرية للشخصية الجزائرية، خاصة التاريخ الذي حاولت المدرسة التاريخية الاستعمارية طمسه وتشويهه، وله كذلك أبحاث عديدة خدم من خلالها اللغة العربية والثقافة الإسلامية بصفة عامة[1]، وهذا ما أكّده أحد الباحثين بأنّ أعمال "بن أبي شنب" الثقافية ومختلف منشوراته تبدو "على درجة كبيرة من الوعي، فهو في نظره يشتغل كثيرا على مفاهيم غربية" بل كانت جلّ أعماله تنصب في مواضيع لها علاقة بالشرق عموما وبالثقافة الجزائرية على وجه الخصوص[2].

ورغم أن بعض المؤرخين مثل "سعد الله" يذهبون للقول بأن "بن أبي شنب" قد خدم المدرسة الاستشراقية في الجزائر أكثر من خدمته للقضية الوطنية، وأنّ كثرة المنشورات عن التراث العربي الإسلامي لا تعبّر في حدّ ذاتها عن موقف وطني[3]، ذلك أنّ "بن أبي شنب" كان قد تربى على أفكار المستشرقين الفرنسيين وتأثّر إلى حدّ ما بأفكارهم خاصة أستاذه "رينيه باسي" (R. Basset) عميد كلية الآداب، ولكن يبدو أنّ سعد الله قد حاكم "بن أبي شنب" بمعزل عن ظروفه، لأنّ الفعل الوطني والمواقف الوطنية الصريحة كانت غائبة إلى حدّ ما خلال الربع الأول من القرن العشرين، والأحرى بـ "سعد الله" أن يقرّ بأنّ "بن أبي شنب" قد استغل منابر المستشرقين لا سيما النشريات والمؤتمرات[4] لبعث التراث العربي الذي من خلاله حاول أن يقول للفرنسيين وللأوربيين بأنّ للجزائر امتداد حضاري، وأنّ الحضارة الإسلامية قدمت الكثير للحضارة الإنسانية في جميع المجالات، ولعلّ بحثه الذي نشره سنة 1919م باللغة الفرنسية الذي يبين فيه مدى تأثر شاعر النهضة الإيطالية "دانتي" (Danté)

[1] عبد الرحمن الجيلالي، **محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره**، مرجع سابق، ص30 وما بعدها، وينظر كذلك:
- Mohammed Ben Cheneb, **écrite de Mohammed Ben Cheneb**, texte réunis et présentés pare: Ben youcef Benkouar, Ed: Flite, Médéa, Algérie, 2009, p 253.

[2] الهواري غزالي، المقاومة الثقافية مطلع القرن العشرين بالجزائر، دراسة لترجمة محمد بن أبي شنب لنص في البيداغوجيا الإسلامية، في: "**أعمال الملتقى الدولي الأول حول محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري**"، المنعقد بالجزائر 15-17 ديسمبر 2009م، ط2، مؤسسة صونيام، الجزائر، 2013م، ص-ص 33-34.

[3] سعد الله، **أبحاث وآراء ...**، ج4، مرجع سابق، ص161.

[4] من بين أهم النشريات التي وظفها المستشرقون الفرنسيون المجلة الإفريقية والمجلة الآسيوية ودائرة المعارف الإسلامية، إضافة إلى المؤتمرات التي بلغ عددها أكثر من ثلاثين مؤتمرا، من أهمها المؤتمر 14 الذي عقد بمدينة الجزائر سنة 1905م، والذي شارك فيه بن شنب ببحث مطول بلغ عدد صفحاته 400 صفحة، ترجم فيه لأكثر من 360 عالما وردت أسماؤهم في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي، للمزيد حول الموضوع ينظر: موسى عصام، "محمد بن أبي شنب والمحافل الاستشراقية – مؤتمر الجزائر 1905 أنموذجا"، في كتاب: **الدكتور محمد بن أبي شنب والاستشراق**، سلسلة

بالأدب العربي والإسلامي خاصة في كتابه "الكوميديا الإلهية" لخير دليل على ذلك[1]، ولعل أشهر أقطاب الاتجاه التوفيقي بعد الح.ع.I هو "الأمير خالد" الذي مثل ظهوره على الساحة السياسية الجزائرية منعرجا حاسما في تاريخ الحركة الوطنية، لأنّه استطاع أن ينقل مطالب النخبة الجزائرية من مطالب فردية منعزلة إلى مطالب وطنية حقيقية تهمّ مختلف الشرائح الاجتماعية في الجزائر، ولعلّ هذا يعود إلى اكتسابه ما يسمى بالشرعية التاريخية – على اعتباره حفيد الأمير عبد القادر– وقد عبّر عن ذلك قائلا: "... إنّ من يحاول منازعتي في صفة المفوض الشرعي للأهالي الجزائريين، كمن يحاول أن يحجب أشعّة الشمس بالغربال، إنها محاولة بائسة ولا تضرّ إلاّ صاحبها ..."[2]، فكان في نظر الجزائريين –حسب ما ذكره "توفيق المدني"– خير خلف لخير سلف[3]، وقد ظلّ يعتزّ بانتمائه العريق، ويعتبر نضاله امتدادا لنضال جده الأمير[4]، وفي هذا الصدد يقول: "... إنّ أجدادنا قد أضرموها حربا حامية الوطيس مدى خمسة عشر عاما وأزيد، ولم يكن النصر حليفهم .. أنا حفيد الأمير عبد القادر..."[5].

كما أن الأمير خالد بانتمائه العربي الإسلامي ودفاعه المستميت عن مقومات الشخصية الجزائرية، جعلته يختلف عن النخبة الإندماجية (جماعة ابن التهامي) التي طالبت بالتجنس دون قيد أو شرط، في حين أنّه كان يشترط في التجنيس الحفاظ على المقومات الشخصية الحضارية للجزائريين، ففي نظره لا يقوم التعاون بين مختلف العناصر المتعايشة في الجزائر إلاّ باحترام الخصوصيات لكلّ طرف.

وتشير العديد من الدراسات مثل دراسة "جغلول" أنّ الإيمان العميق للأمير خالد بالدور الكبير للحضارة الإسلامية جعله يقف في العديد من المرات "الندّ للندّ" مع الإدارة الاستعمارية، فكانت لهجته المستندة إلى الشرعية التاريخية تختلف في درجة حدّتها مع لهجة كل من "برحال" و"مرسلي"، وتظهر لهجته المتعالية في سلسلة

محاضرات الملتقى الدولي بولاية المدية من 07 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، شيكو للطباعة والنشر، الجزائر، 2015، ص-ص 232-233.

[1] عبد الرحمن الجيلالي، **محمد بن أبي شنب** ...، مرجع سابق، ص32.

[2] نور الدين ثنيو، **إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2015، ص150.

[3] توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1965م، ص163.

[4] Ali Merad, " L'émir Khaled (1875-1936) vu par Ibn Badis (1889-1940)", In **Revue de Occident Musulman et de la Méditerranée**, N°9, 1971, p 22.

[5] حكيم بن شيخ، **دور الأمير خالد في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1912–1936م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2001-2002م، ص75

المحاضرات التي ألقاها في فرنسا سنة 1913، لتبرز أكثر في الخطاب الذي ألقاه يوم 20 أفريل 1922 في "جامع سيدي عبد الرحمن" بمناسبة زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية "ميلرن" والذي أكّد من خلاله على ضرورة "احترام الحريات وتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي[1]، وإذا كان "برحال" قد تألق منذ أواخر القرن التاسع عشر بدعوته الصريحة إلى التوفيق بين الحضارتين، فالأمير خالد يكون قد أسّس فعلا للإتجاه المساواتي منذ الربع الأول من القرن العشرين، وعرف كيف يجد النقاط المفصلية بين الإدارة الاستعمارية والمطالب الحقيقية للجماهير الجزائرية.

خلاصة الفصل:

من خلال ما تم تقديمه يمكن أن نكشف عن تعدد فئات النخبة الجزائرية انطلاقا من مختلف المفاهيم والتعريفات التي سمحت لنا بتجاوز المجموعة القليلة التي أضفت عليها الصحافة الكولنيالية تسمية النخبة تمييزا لها عن باقي المجتمع الذي كانت تنتمي إليه ثم انسلخت منه، والانفتاح على قطاع عريض من الصفوة الجزائرية التي كانت تؤسس لإرساء توجهات سياسية أكثر احتكاكا وتعبيرا عن مطالب الجماهير الشعبية، كما أنه كان من الصعب الجزم بانتماء النخبة الجزائرية والمثقفين الجزائريين إلى وسط اجتماعي واحد، فهناك من ينحدر من أسرة عريقة ضاربة بجذورها إلى غاية العهد العثماني، وتتمتع بنفوذ علمي أو ديني أو اقتصادي، واستطاعت بفضل قدراتها أن تتعامل مع الإدارة الفرنسية وأن تحافظ على مكانتها الاجتماعية.

وهناك من النخبة من ينحدر من البرجوازية الجديدة التي خلقها الاستعمار ودعمها وحاول أن يجعل منها بديلا للنخبة التقليدية البائدة، والبعض الآخر –كما رأينا– ينحدر من أوساط اجتماعية عير معروفة، والراجح أنها من الأوساط الكادحة التي أسفها الحظ في الحصول على بعض التعليم إما في المؤسسات التربوية التقليدية أو في الحواضر العلمية في المشرق والمغرب، وإن كانت الأصول الاجتماعية للنخبة الجزائرية مختلفة، فإن تياراتها واتجاهاتها الفكرية ظلت متباينة خاضعة لمشاربها الفكرية والأيديولوجية، فالنخبة المفرنسة كانت ضحية للمنظومة التعليمية الفرنسية، بينما النخبة المعربة ظلت وفية لأصولها، أما النخبة التي نهلت من الثقافتين فكانت تسعى جاهدة إلى التوفيق بين الحضارتين العربية والإسلامية والغربية الأوربية.

[1] جغلول، **الأعمال الكاملة** .. ، مج 02، مرجع سابق، ص891.

الفصل الثاني

• الأوضاع العامة في الجزائر والمشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين •

أولا: في الجزائر

ثانيا: في المشرق العربي

تمهيد:

تعد المنطقة العربية من أكبر وحدات العالم السياسية التي تشترك دينيا وفكريا ولغويا فيما بينها، إلا أن هذه الوحدة تفككت بفعل العوامل الخارجية، فانقسمت رقعتها الجغرافية أواخر عهد الدولة العثمانية إلى دويلات، وكانت هذه الأخيرة آخر سلطة سياسية وروحية تجمعهم، حيث دبّ الضعف إلى كيانها، وتنافست الدول الاستعمارية للاستيلاء على أجزائها، وهو ما أفضى إلى واقع جديد تغيرت وفقه الخريطة السياسية، والواقع الاقتصادي، والبنية الاجتماعية والثقافية.

وكانت الجزائر أولى هذه الوحدات التي يتم احتلالها، وأمام الواقع المزري والمرير الذي فرض على أهلها بسبب السياسة الاستعمارية التعسفية، أجبر العديد منهم وفي مقدمتهم رجال الدين والسياسة على المغادرة والرحيل بحثا عن مكان آخر أكثر أمنا وطمأنينة، وكان من الطبيعي أن تتوجه أنظارهم إلى المشرق العربي الذي تربطه معهم روابط تاريخية حضارية، الذي كانت تبدو الظروف المعيشية والفكرية فيه أفضل حالا منها في الجزائر.

ولأن الإنسان بطبيعته متأثر بالبيئة والظروف التي ينشأ فيها، والدراسة إذ تعنى بفئة نخبوية، نرى من المناسب أن نتعرض بالبحث أولا لدراسة الأوضاع العامة في كل من الجزائر والمشرق العربي خلال الفترة المدروسة، على اعتبار أنهما يمثلان الامتداد المكاني المعني بالمشكلة البحثية في هذه الأطروحة، وأيضا كون الأوضاع السائدة آنذاك مثلت الدافع الأساسي والرئيسي الذي حمل الجزائريين على التوجه نحو المشرق العربي الذي كانت الأوضاع فيه تبدو أفضل.

أولا: في الجزائر:

I. الوضع السياسي والإداري:

خضعت الجزائر للاستعمار الفرنسي مبكرا مقارنة بباقي أقطار العالم العربي والإسلامي، ويعدّ هذا الغزو أحد أدوار المسألة الشرقية بحكم أن الجزائر كانت ولاية عثمانية ومن أخطر مظاهر التنافس الاستعماري الفرنسي البريطاني في النصف الأول من القرن التاسع عشر على منطقة العالم العربي الإسلامي، ففي سنة 1830 أرسلت حكومة فرنسا بحملة عسكرية أعدّها (شارل العاشر) ضد حكومة داي الجزائر، نتج عنها استيلاء الجيش

الفرنسي على مدينة الجزائر وفق المعاهدة الثنائية (الداي حسين-دوبورمون 05 جويلية 1830)، ثم واصل الجيش الفرنسي حروبه ضد الأهالي المقاومين إلى أن أعلنت فرنسا أن الجزائر جزء من أراضيها عام 1834.

I. 1. النظام الإداري والقضائي:

I. 1.1. النظام الإداري:

توالت على فرنسا أنظمة حكم متنوعة، بين ملكي وجمهوري[1]، انعكس أثرها بشكل مباشر أو غير مباشر على مستعمراتها على غرار الجزائر، ولعل الذي يعنينا من بينها هو قيام نظام الجمهورية الثالثة (1871-1940) الذي يغطي عندنا الفترة الزمنية المعنية بالدراسة في هذه الأطروحة (1880-1920)، التي أتاحت سياستها للمسوطنين الأوربيين الحانقين على النظام العسكري الإمبراطوري فرصة لفرض سلطتهم الكاملة على الجزائر.

- **القوانين الإدارية:**

أقرت فرنسا منذ بداية الاحتلال جملة من القرارات والأمريات تؤكد بأن الجزائر جزء من فرنسا، كأمرية 22 جويلية 1834، ودستور 4 نوفمبر 1848[2] في مادته 109، وقانون الجنسية (سيناتوس كونسيلت) 14 جويلية 1856 الذي أتاح للجزائريين نظريا حيازة الجنسية الفرنسية بشروط، أهمها الانسلاخ من قانون الأحوال الشخصية الإسلامية، الذي لا يكون المسلم مسلما إلا به، ولم يتجنس حتى عام 1890 سوى 783 شخصا[3].

والواقع أن فرنسا لم تعامل الجزائريين على أنهم فرنسيين في أبسط حقوقهم، وإنما مجرد رعايا (Des sujets Français) سلبتهم حقوقهم، وجردتهم من صفتهم كجزائريين، وسموا بدل ذلك بالأهالي المسلمين (Les indigènes musulmans)، بينما تمتع مستوطنو الجزائر بالصفة الجزائرية Les algériens إلى

---

[1] تراوحت نظم الحكم السياسية بفرنسا، بين ملكي وجمهوري خلال فترة احتلالها للجزائر: الملكي (1830-1848)، ثم الجمهورية الثانية (1848-1852)، فالحكم الإمبراطوري (1852-1870)، الذي تلته الجمهورية الثالثة (1871-1940) فالجمهورية الرابعة (1940-1958)، ثم الجمهورية الخامسة (1958...)، ينظر: أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية** ..، ج2، مرجع سابق، ص19.

[2] Estoublon (R) & Lefbure (A) :**Code de L'Algérie Annote**, T1,1830-1895, IMP. Jourdan, Alger,p.06, René Gantois :L'accession des indigènes algériens a la qualité de citoyen Français, Imprimerie La Taypo-Litho, Alger,1928,p28.

[3] صلاح العقاد، **محاضرات عن الجزائر المعاصرة**، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1959، ص 26.

غاية اندلاع الح.ع.II[1]، وربما هي التسمية الأصح لواقع الجزائريين والمستوطنين، التي تمتعت فيها المجموعة الأخيرة بحقوق لم يحلموا بها في أوطانهم الأصلية! وقد صور إميل لارشي (Emil Larcher) – أستاذ بكلية الجزائر– سنة 1903 هذا الوضع بقوله: "إن وضع الفرنسيين بالجزائر اليوم شبيه بوضع الإفرنج في (غاليا القديمة)، جنس غالب يفرض هيمنته على الجنس المغلوب، هناك أسياد ورعايا، أصحاب امتيازات وأناس لا امتيازات لهم، فلا محل هناك للمساواة"[2]، وبذلك تكون السمة الغالبة في تعامل فرنسا الاستعمارية مع الجزائريين أخذت طابعا استعباديا لا إنسانيا، خاصة مع تطبيق قانون الأهالي (Code de L'indigénat) بقوانين استثنائية صادرة في تاريخ 28 جوان 1881[3]، وقد ظلت قوانينه سارية المفعول حتى سنة 1945، خصت فرنسا من خلاله الأهالي المسلمين من دون المتجنسين بالجنسية الفرنسية، بمجموعة عقوبات، لا تتطابق بأي حال من الأحوال مع قانون العقوبات المعروف، تسلط فيه السلطات الإدارية (عامل العمالة، المتصرفون الإداريون على مستوى البلديات المختلطة (Les communes mixtes،) بدلا عن السلطة القضائية عقوبات رادعة على الأهالي، بالنفي أو السجن أو وضعه تحت الإقامة الجبرية، أو فرض غرامات مالية فردية على مستوى الأفراد أو جماعية على مستوى الدواوير[4]، أو حجز الأملاك، خاصة منها الأراضي[5]، وكانت هذه العقوبات تصدر لأتفه الأسباب، كالتنقل دون إذن، والتصريح بمس السيادة الفرنسية، والتأخر عن دفع الضرائب والغرامات...

- **التمثيل النيابي للأهالي:**

حرم الأهالي الجزائريون من تمثيل أنفسهم عبر مختلف المجالس المنتخبة بخلاف الفرنسيين والمستوطنين، فقد سيطروا على كل المجالس من أصغر وحدة تمثيلية في المجتمع، مجلس الجماعة الذي يمثل النواة الأولى للمجتمع

[1] Fanny Colona, OP cité, p15.

[2] محمد حربي: **الثورة الجزائرية** ..، مرجع سابق، ص87.

[3] تعود أصول هذا القانون حسب محفوظ قداش إلى أوامر الجنرال بوجو (Begeaud)، التي كان يوجهها إلى ضباطه العسكريين، ومنحهم خلال ذلك الصلاحيات المطلقة لمعاقبة الأهالي المسلمين، ينظر:

Mahfoud Kaddache, OP cité, T1, p.30.

[4] فقد صدر سنة 1883 (30.837) حكم ضد الأهالي على مستوى البلديات المختلطة فقط، ودفع غرامات قدرت بـ 213.023 فرنك، بالإضافة إلى أحكام السجن ينظر: عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، د.غ.إ، بيروت، 1997، ص173.

والخفضت هذه العقوبات بشكل ملفت في ظل سياسة فرنسا الإصلاحية، والتطور النسبي للوعي السياسي للجزائريين، فقد بلغ مجموع الأهالي المدانين بغرامات أو سجن (3.100) أهلي، وبلغ مجموع الأيام التي تم فيها السجن خلال نفس السنة بـ (11.394) يوم، بينما دفع خلالها الأهالي – سنة 1919– ما يقارب (22.505) فرنك فرنسي، ينظر: Mahfoud Kaddache : **op.cit**, p31.

[5] زبير سيف الإسلام: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج4، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص15.

الجزائري المتمثل في الدوار، ويتكون من رؤساء العشائر الذين يعرفون باسم "الأمناء" أو "الكبار" ويمثل كل واحد منهم دوارا، يترأسهم قايد، ينتخب لمدة 6 سنوات، لكن السيطرة الفعلية، في هذا المجلس، للمتصرف الإداري الفرنسي[1]، أما تمثيل الأهالي في مجالس البلدية فهو يختلف باختلاف البلديات (المختلطة، كامل الصلاحيات، أهلية)، ففي البلديات كامل الصلاحيات، تكون نسبة تمثيل الأهالي بها ضئيلة جدا، ($\frac{1}{1000}$ واحد لكل ألف) من السكان شرط أن لا يتجاوز تمثيلهم ربع أعضاء المجلس البلدي، ويتم تعيينهم لا انتخابهم كالأوروبيين، وبتطبيق قانون 6 فيفري 1919، سمح للجزائريين انتخاب ممثلين عنهم، شرط أن لا يتجاوز عددهم الثلث ولا يزيد عن 12 عضوا[2].

أما البلديات المختلطة، فإن بها لجانا تتكون من نواب فرنسيين منتخبين، منتخب واحد لكل مئة فرنسي $\frac{1}{100}$، وممثلين جزائريين يتم تعيينهم، وأضاف لهم قانون 6 فيفري 1919 رؤساء جماعات الدواوير، في حين توجد في البلديات الأهلية بمجالس بلدية، تتكون من ضباط عسكريين – بحكم كونها منطقة عسكرية- وبعض الفرنسيين، والقياد الجزائريين المعينين جميعا من طرف الوالي العام[3]، كما تم إنشاء المجالس العامة (Conseils généraux)، على مستوى العمالات في عهد نابليون الثالث بموجب قانون (1858)، وكان الإمبراطور وحده له حق تعيين أعضائه[4]، وظل الأهالي محرومين من انتخاب من يمثلهم في هذا المجلس حتى سنة (1908)، وهي السنة التي سمح لعدد معين منهم انتخاب ستة (6) أعضاء فقط، وارتفع هذا العدد إلى ربع أعضاء المجلس في كل عمالة، وفق قانون 6 فيفري 1919[5].

في حين تمتع الفرنسيون في الجزائر بحقوقهم الانتخابية التمثيلية وفق قوانين الانتخاب في فرنسا منذ قرار 11 جوان 1870، وقد بلغ عدد ممثليهم في هذا المجلس (31) ممثل عن عمالة الجزائر، وممثل ذلك عن عمالة قسنطينة، و(27) عضوا عن عمالة وهران، مقابل (6) أعضاء عن الأهالي الجزائريين[6] كما سبق ذكره.

---

[1] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، ط2، دار المعارف، الجزائر، 1962، ص257-258.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص259.

[3] نفسه، ص258.

[4] نفسه، ص260.

[5] Lavenard (A) :**La Représentation des indigènes musulmans non naturalises de l'Algérie au parlements Français**, Librairie générale de droit et de Jurisprudence,paris,1922,p11.

[6] Ibid.

وكانت مجالس النيابات المالية الجزائرية (Délégations financières algériennes) المنشأة وفق قانون 23 أوت 1898 بمثابة البرلمان، يناقش الميزانية المخصصة للجزائر، خاصة بعدما تم الاعتراف باستقلال الجزائر الذاتي، بميزانية منفصلة عن فرنسا وفق قانون 19 ديسمبر 1900، وتشمل المجالس النيابية دافعي الضرائب، وقد قسمهم المشرع الفرنسي إلى ثلاثة لجان:

أ- لجنة المستوطنين (الكولون)، ولها أن تنتخب 24 نائبا.

ب- لجنة الكولون، تشمل الصناعيين وأصحاب الحرف الحرة الفرنسيون، وينتخبون 24 نائبا.

ج- لجنة الأهالي: وتنقسم إلى لجنة العرب ولجنة القبائل، ولهم أن ينتخبوا 21 نائبا[1].

وهي نسبة جدّ ضئيلة لتمثيل (6) ملايين أهلي مسلم، في حين أن (48) نائبا عن القسمين الأولين يمثلون من 500 إلى 600 ألف من الكولون والفرنسيين، أما المجلس الأعلى للحكومة Conseil supérieur du gouvernement، وهو أعلى هيئة انتخابية على مستوى الجزائر، تم تأسيسه بموجب قانون 23 أوت 1898، عدد أعضائه 60 عضوا، 7 فقط من بينهم يمثلون الأهالي (4 نواب: 3 من العرب، نائب واحد عن بلاد القبائل، و3 آخرين من وجهاء الأهالي يعينهم الحاكم العام)[2]، أما التمثيل في المجلس الأعلى الوطني الفرنسي – البرلمان-، فظل حلما يراود الأهالي المسلمين، ومطلبا من مطالبهم السياسية، لم يتحقق إلا بعد الحرب العالمية الثانية 1947[3]، وبذلك تكون نسبة تمثيل الأهالي المسلمين ضئيلة، ولا تعبر عن إجمالي تعدادهم، وهي مقاعد قليلة إذا ما قارناها بالمقاعد الفرنسية، كما أن الفئة الممثلة للأهالي كانت منتقاة من الفئات الطيعة المنقادة للسلطات الفرنسية، فلم تمثل إلا نفسها، كما أن الاعتقاد الراسخ بعدم أهلية الجزائري المسلم في المشاركة السياسية، ارتباطه في الأذهان بالرجعية الدينية، والتخلف، كان من بين العوامل التي قلصت من نسب الجزائريين في المجالس المنتخبة.

I. 2.1. النظام القضائي:

استحدثت فرنسا في الجزائر نظاما قضائيا لم يألفه الأهالي، فمنذ تأسيس أول محكمة صلح تمتعت بسلطة واسعة بموجب قرار 13 أوت 1854[4]، حيث وضع القضاء الإسلامي جانبا، ولم يبق للقاضي المسلم أي

[1] Lavenard (A) : op.cit,p.9-10.

[2] ينظر: أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، مصدر سابق، ص267-268.

[3] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق، ص85.

[4] (Ch.R) Ageron :**Les algériens Musulmans et la France 1871-1919**, T1, 1er Edition, P.U.F,1986,p206.

صلاحيات[1] غير النظر في الأحوال الشخصية مثلا: الزواج والطلاق والميراث ..، وتنفيذ أحكام قضاة محاكم الصلح[2]، بعد أن حظي بوافر الاحترام والتقدير، فلا يتولاه إلا من توفرت فه شروط النزاهة والاستقامة والعلم والتقوى، وتمتع صاحب هذا المنصب بمكانة رفيعة عند الأمراء منذ الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد العثماني[3]، ونظرا لما كان يتمتع به القاضي من سلطة دينية، تسمح له بتطبيقه الشريعة الإسلامية، وسلطة تمثيلية للسيادة الدولة، فقد علمت الإدارة الاستعمارية على كسر هذه السلطة منذ البداية، على حدّ تعبير الحاكم العام لويس هنري دوقيون (De Gueydon) (1871-1873): "إن العدالة هي مظهر من مظاهر السيادة، وعلى القاضي المسلم أن ينحني أمام القاضي الفرنسي، وعلى الكل أن يفهم بأننا نحن الغالبون"[4].

كما قلصت فرنسا من أعداد المحاكم الشرعية (من 184 إلى 61 محكمة عام 1890) سعيا منها لتحطيم القضاء الإسلامي، وعوضتها بمؤسسات قضائية تنظر في القضايا التي تخص الأوروبيين والفرنسيين، ونوعين من المحاكم تختص فيما عق من مسائل الأهالي، سميت الأولى بالمحاكم الزجرية وشكلت بطلب من المجالس المالية والمفوضين الماليين الأوربيين، سنة 1902، عوضا من محاكم الدرجة الأولى العادية، يرأسها شيخ البلدية أو أحد ممثلي الإدارة بدلا من قضاة الصلح، والمحاكم الجنائية، التي تقوم مقام محاكم الجنح، وتنظر في مخالفات الأهالي، وقد سحبت منها كل صلاحيتها، ما عدا الأحوال الشخصية، كما منع الأهالي من حق الاستئناف[5].

وبذلك تكون المؤسسات التي استحدثتها فرنسا في الجزائر، لنشر الحضارة، والرفع من مستوى الأهالي ما هي إلا ادعاءات واهية، ومزاعم كاذبة، لأنها في حقيقتها مؤسسات تخدم مصالحها ومصالح المستوطنين، من الناحية الإدارية، المالية، الأمنية والرقابية.

---

[1] أصدرت فرنسا جملة من القوانين قلصت صلاحيات القضاة المسلمين، فتم تحويل صلاحية النظر في الجنايات والجنح إلى دائرة الاستئناف الفرنسية بموجب الأمرية المؤرخة بـ28 فيفري 1841، أما قانون 26 جويلية 1873 فلم يسمح للقضاة المسلمين النظر في مسائل الملكية والاستحقاق، أما قانون 17 أفريل 1889، والقانون المنقح له 25 ماي 1892، فقد أعطى لقاضي الصلح الفرنسي حق النظر في القضايا العامة بين المسلمين، بينما قلصت صلاحيات القاضي المسلم واقتصرت على عقود الزواج وأحكام المواريث، وتنفيذ أحكام قضاة الصلح، ينظر: أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**..، المصدر السابق، ص313-114.

[2] Claude Collot : **Les Institution de L'Algérie**, **Durant la période coloniale 1830-1969**, Edition C.N.R.S , O.P.U, Alger,1987,p110.

[3] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**..، مصدر سابق، ص312-113.

[4] Ageron (Ch.R) :**Les algériens musulmans**, op cit, T.1, P201.

[5] يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية**، 1830-1954، د.م.ج، الجزائر، 2007، ص40-41.

I. 2. الوعي السياسي ومظاهره لدى النخبة الجزائرية:

كانت الوضعية الاستعمارية الطويلة المدى، والرفض المستمر من جهة الجزائريين المسلمين، إحدى أهم العوامل التي ساعدت في نمو الوعي السياسي لدى الجزائريين، فمع استمرار التعبير الثوري[1] بصورته الشعبية غير منظمة، تطلعت النخبة الجزائرية مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين لأسلوب مغاير في خطاها مع الإدارة الاستعمارية.

وللإشارة فإن هذه الفترة التي ندرسها من تاريخ الجزائر لم تحظ بالاهتمام الكافي إذا ما تمت المقارنة بسابقتها أو التي تلتها، على اعتبارها مرحلة انتقالية بين مرحلتين، وصفها مصطفى الأشرف (1917-2006) في كتابه "الجزائر الأمة والمجتمع" بالمرحلة الثانية من المراحل التي مرّ بها تاريخ الجزائر الحديث، ويمتد تاريخها ما بين (1871) عقب ثورة المقراني إلى غاية (1920)، ونعتها بالقول: "تميزت بالصمود التام، من غير هوان ولا استسلام"[2]، في حين وصفها الأستاذ أبو القاسم سعد الله[3] بالغموض[4]، وهي نعوت صادقة لحدّ بعيد، فالغموض الموصوف، يكون نتيجة أسلوب صياغة مطالبها المدافعة عن حقوق الأهالي، وعدم تبلور ووعيهم السياسي بالقدر الكافي، التي لعب فيها الخوف من المواجهة والاصطدام بالإدارة الاستعمارية، وقلة خبراتهم السياسية دورا بارزا، كما أن وصف المرحلة بالسكون، بينما المرحلة الموالية لها بالإيجابية، خاصة المتعلقة بظهور حزب نجم شمال إفريقيا، يوحي أنها كانت سلبية، وانعدام الفاعلية وديناميكية فيها، مع أن النخبة المتعلمة في مطلع القرن الماضي، بذلت جهودا مضنية في التعامل مع قضايا مجتمعهم، ومواجهة تعنت الإدارة الفرنسية، والمستوطنين.

ولا شك أن مختلف التجارب والخبرات التي مرت بالصفوة المثقفة، ظلت عالقة في أذهانها، ونمت إدراكها بوضعيتها الاستعبادية، ومخزونها الفكري الهزيل، وحفزتها على تغيير واقعها، بصياغة خطاب موجه نحو الإصلاح

---

[1] كثورة عريوة وملیانة عام (1901)، عين بسام (1906)، وبني شقران (1914)، الأوراس (1916)، وثورة التوارق 1916، ينظر: يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج2، م.و.م، ط2، الجزائر، ص ص 15-59.

[2] مصطفى الأشرف: **الجزائر الأمة المجتمع**، مرجع سابق، ص79.

[3] أبو القاسم سعد الله (1930-2013)، مؤرخ وأديب جزائري من مواليد قمار (ولاية الوادي) بالجنوب الجزائري، نال الأهلية والتحصيل من جامع الزيتونة، والليسانس من دار العلوم بالقاهرة والدكتوراة من جامعة منيسوته بالولايات المتحدة، عرف بنشاطه الطلابي بتونس، كما كان عضوا في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، فرع القاهرة، درس في مدارس جمعية العلماء المسلمين، وأستاذا محاضرا في جامعات مختلفة داخل وخارج الوطن بعد الاستقلال، غزير التأليف خاصة في الترجمة والأدب وتاريخ الجزائر، ينظر: أبو القاسم سعد الله: **أفكار جامحة**، مرجع سابق، ص177-179. د.سالم حجار: "تاريخ الجزائر بنظارات سعد الله"، **مجلة آمال**، وزارة الثقافة، الجزائر، ع57، السنة 13، 1983، ص29-52.

[4] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية** ..، ج2، مرجع سابق، ص100.

الذاتي أولا، بانتزاع المجتمع من تخلفه المتوارث من فترات تراجع الحضارة الإسلامية، ومواجه لفرنسا ومشاريعها الرامية لابتلاع المقومات الشخصية، وأخيرا وليس آخرا مواجهة الحركة الاستيطانية بأحقادها العنصرية، يعتمد أسلوب الرفض، دون الاصطدام بالإدارة الاستعمارية، كمنهج جديد مغاير لأسلوب القرن التاسع عشر، الذي أثبت عدم نجاعته، فكانت العرائض في مطلع القرن العشرين بلهجة مغايرة، فبعد أن غلب عليها طابع التشكي والاحتجاج مع بداية الاحتلال[1]، أصبحت في مطلع القرن العشرين تعبر عن مطالب وحقوق الأهالي المسلمين (الحق في ..)[2].

فمثال على ذلك قدمت عريضة موجهة من أهالي قسنطينة[3] (10 جويلية 1887) إلى البرلمان الفرنسي تعبيرا عن رفضهم لمشروع[4] توسيع دمج الأهالي المسلمين بفرنسا عن طرق التجنيس، تأسّيا بتجنيس اليهود (24 أفريل 1870) المقدم من البرلمانيين اليساريين، منهم مشيلان (Michelin) وقوليه (Gauliez)، وقد أثار الموقعون أيضا مسألة المساس بالقضاء الإسلامي، الذي سلبته المراسيم القانونية صلاحياته (10 سبتمبر 1886)، عبر الأهالي في هذه العريضة بطريقة حضارية عن مقتهم لتهجينهم بطريقة يفقدون فها قيمهم وشخصيتهم، وضمت العريضة بطريقة شرائح متعددة من المجتمع، فمن بين ألف وسبعمائة (1700) وقع، نجد المنتخبين والموظفين، والمدرسين، والتجار والمزارعين[5]، نذكر منهم عبد القادر المجاوي، حمدان الونيسي، وهناك من أدرج اسم المكي بن باديس[6] ضمن الموقعين.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج2، المرجع سابق، ص173.

[2] جمال قنان: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، مرجع سابق، ص174.

[3] رغم أن موقعوها كانوا من أهالي إقليم قسنطينة، إلا أنها جاءت على لسان كل الجزائريين "نحن الموقعون أسفله سكان الجزائر"، جمال قنان: **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر، 1830–1914**، د.م.ج، الجزائر، 2007، ص197.

[4] عرض هذا المشروع على البرلمان الفرنسي في 16 جوان 1887، وتضمن عدة مواد أهمها:

1/ التصريح بأن كل الأهالي المسلمين في عملات الجزائر مواطنون فرنسيون.

2/ تطبيق كل القوانين لفرنسية عليهم.

3/ يطبق عليهم في الأمور المدنية قوانينهم الخاصة، إلا إذا قبلوا بمرسوم 24 أفريل 1870.

4/ كل الإجراءات التشريعية وقوانين المجلس المشيخي والمراسيم المناقضة لهذه المواد تعتبر ملغاة.

حول الموضوع، ينظر: Rene Gantois :**OP.cité**, p.35-36.

[5] جمال قنان: **قضايا ودراسات** ...، المرجع السابق، ص197.

[6] المكي بن باديس (1820–1890) ينتمي إلى أسرة عريقة لها مكانتها في تاريخ الجزائر، وتولى مناصب عديدة، كقاضي (1856)، ونائب في المجلس العام لعمالة قسنطينة (1858)، حصل على وسام الشرف (Legion d'honneur 1860)، تناول المسائل التي تخص الأهالي كالتعليم والقضاء، ينظر: آلان كريستلو: "المكي بن باديس وبعض نواحي الحركة الوطنية في القرن التاسع عشر"، **مجلة الثقافة**، ع61، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، فبراير 1981، ص43 وما بعدها.

كما أثارت مسألة التجنيد الإجباري، قبل الحرب العالمية الأولى، هلعا بين الجزائريين، وسجلت في أوساط النخبة بين مرحب بها ورافض لمشاركة فرنسا حروبها، وإن كان المحافظون قد شجبوا التجنيد لمبررات قومية وجينية وجنسية، فإن النخبة من الشبان تعاطت مع الفكرة لاعتبارات قانونية وسياسية واجتماعية، فاتخذوها مطية للارتقاء إلى المواطنة الفرنسية، وإلغاء صفة الرعية عنهم بمقايضة فرنسا؛ فمقابل تقديمهم الولاء (ضريبة الدم)، يحصلون على حقوق تمكنهم من المشاركة في الحكم، ورافق الشبان الجزائريون هذه الرغبة بمجموعة من العرائض، منذ بدأت فرنسا تجسّ فيها نبض الجزائريين للمسألة عقب صدور مرسوم 17 جويلية 1908[1]، وأخرى من سكان المدية (14 ديسمبر 1911)، وحملت (340) توقيعا إلى النواب في البرلمان الفرنسي[2]، كما أرسلت نخبة من الأهالي الجزائريين عريضة مماثلة للمجلس الوطني الفرنسي (27 ماي 1912)[3]؛ وتنم هذه العرائض على اعتماد النخبة أسلوبا جديدا في مخاطبة السلطات الاستعمارية، وعن وعي سياسي أثبتت فيه اعتدالها، على حد وصف لجنة مجلس الشيوخ، التي زارت الجزائر برئاسة جول فيري[4]، وعمق مطالبها، الرامية إلى محو الصفة الاستثنائية الشاذة التي يعيشها الجزائريون.

وبادرت النخبة الجزائرية مطلع القرن العشرين، بتكرار تجربة إرسال الوفود، لإبلاغ المصالح الفرنسية هناك عن انشغالاتهم، وكان الشبان قد أوفدوا في نوفمبر 1908 وفدا لسان حاله عمر بوضربة – عضو من أعضاء المجلس البلدي للعاصمة، الذي حمل معه لكليمنصو[5] مجموعة من المطالب موقعة من طرف 10.000 جزائري. جزائري.

---

[1] عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلا غاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص203.

[2] جمال قنان: **نصوص سياسية جزائرية**، مرجع سابق، ص278-282.

[3] نسب أبو القاسم سعد الله هذه العريضة، للجنة الدفاع عن مصالح المسلمين، معتمدا في ذلك على المذكرة التي أرسلها النواب الجزائريون في المجالس المالية عارضوا فيها الوفد الذي سافر إلى باريس، وأشاروا إلى هذه اللجنة، وإن كنا نجهل مؤسسوها وزمن تأسيسها، ينظر: أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية** ..، ج2، المرجع السابق، ص180، وأيضا:

Claude Collot et Robert Henry: **la Mouvement nationale algerien,textes 1912-1954**,paris,1978,p4.

[4] هي لجنة مرسلة من مجلس الشيوخ للتحقيق في أوضاع الجزائريين، برئاسة جول فيري إلى جانب سبعة أعضاء، قدمت هذه اللجنة إلى الجزائر في 19 أفريل 1892، وظلت بها إلى غاية 5 جوان 1892، وخلال مدة 53 يوما قامت –اللجنة- بالاتصال بعدة شخصيات جزائرية، وخلصت في الأخير إلى جملة توصيات، للمزيد ينظر:

(Ch.R) Ageron : **Les Algériens Musulmans**,T.I,op.cit,pp447-458.

[5] جورج كليمنصو (George Clemenceau) 28 سبتمبر 1841-24 نوفمبر 1929)، تقلد العديد من المناصب السياسية، عضو ببلدية باريس 1871، ونائب بمجلس الشيوخ، ومجلس الوزراء (1876-1914)، ثم رئاسة الوزراء، وابتداء من سنة 1920 اعتزل السياسة إلى غاية وفاته، ينظر: **النجاح**، ع1478، 6 سبتمبر 1933.

كما كان لصدور قانون التجنيد الإجباري، في شكل مراسيم تطبيقية (31 جانفي و3 فيفري 1912)، أن حرّك النخبة من الشبان الجزائريين وجعلهم يوفدون وفودا عنهم، ونقلوا استعداداتهم الجادة في مؤازرة فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان ابن تهامي[1] واحدا من هؤلاء حيث صرح بالقول: "...نعلن صراحة أن كل المسلمين الجزائريين على استعداد للقيام بواجبهم الوطني تجاه الوطن الأم"،[2] وعرضت النخبة من الشبان عبر جريدة "الراشيدي"[3] فكرة سفر الوفد إلى باريس، على غرار وفد (1908) لشرح وتقديم مطالبهم، وهو ما استحسنه باقي الشبان، وصاغ الوفد[4] المسافر مطالبه في شكل مذكرة وجهتها لعدد من الشخصيات الفرنسية، على رأسها بوانكاري[5].

أما من حيث مضمونها – المذكرة–، فقد أعادت التذكير بالظروف التي صدر فيها مرسوم (3 فيفري 1912) وما أثاره في نفوس الأهالي[6]، لأنها على خلاف سابقاتها، فإن المجند وفق القانون الأخير يتم تكليفه لأداء الخدمة، ولا يلتحق طوعيا بالجيش الفرنسي، لذلك فهي بالنسبة للشبان خدمة جليلة، على فرنسا أن تعطيها حقها، وهو الأمر الذي يؤكد من جهة أخرى أن الشبان قد خطوا خطوات كبيرة في نهضتهم ووعيهم الفكري، إذ لم تتجرأ النخبة التقليدية إن صح التعبير، على مقايضة فرنسا في المطالبة بالحقوق، بعيدا عن سعي

---

[1] بلقاسم بن تهامي (Belkacem Bentami) 20 سبتمبر 1873–2جوان 1937) ولد بمستغانم، حصل على شهادة الدكتوراه في الطب 1905، عمل كطبيب في مستشفيات الجزائر، ورئيسا لقسم العيون بكلية الجزائر، وأستاذ للصحة بالمدرسة الثعالبية، وطبيبا لتلاميذها، كما أشرف على مراقبة الأيتام كطبيب لمدة 13 سنة، يميل إلى فكرة الاندماج التام مع فرنسا، تجنس سنة 1906 بموجب قانون 1865، تقلد منصب عضو بلدي بالعاصمة (1921–1935)، نال العديد من الأوسمة خلال مشاركته في الحرب العالمية الأولى، بصفته ضابطا ثم طبيب قبطان، له مساهمات عديدة في تكوين العديد من الجمعيات، ينظر: "رزء الجزائر بوفاة الحكيم بن التهامي" **النجاح**.ع.2001، 6 جوان 1937، وأبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، مرجع سابق، ص273–274، وينظر أيضا:

Jeanne et André Brchier :**Livre d'or de l'Algérie**, Dictionnaire des personnalités passes et contemporaine, Baconnier Frères, Alger,1937, p55.

[2] Jean Melia : **L'Algérie et la guerre 1914–1918**, Libraire Plon-Nourrit, Paris, 1918, p147.

[3] **Le Rachidi** :"Pour la France, par L'indigène",Mars 1912 et Mai 1912.

[4] يتكون الوفد من تسع شخصيات هم على التوالي: د.بن التهامي (مستشار ببلدية الجزائر)، مختار حاج السعيد (محامي قسنطينة)، د.موسى (مستشار ببلدية قسنطينة)، بوشريط علاوة (مستشار ببلدية قسنطينة)، حاج عمار (مستشار ببلدية جيجل)، جودي (مستشار ببلدية بسكرة)، بن عثمان (مستشار ببلدية بيجو سرايدي حاليا)، بن ددوش (مستشار ببلدية تلمسان)، قارة علي (من أعيان عنابة).

[5] يومون بونكاري (1860R.Poincaree–1934): خريج كلية الحقوق والآداب، تقلد مناصب سياسية متعددة، رئيس مكتب وزارة الفلاحة (1886)، نائب عام، عضو بمجلس الشيوخ، تنقل بين وزارة المعارف (1883) والمالية(1894–1895)، ترأس عدة وزارات، تولى رئاسة الجمهورية منذ 1913 إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، اعتزل السياسة ابتداء من 1929، ينظر: النجاح، ع1629، 19 أكتوبر 1934.

[6] Notes sur les mesures demandées par les Musulmans Français de l'Algérie en conscription militaire, Paris,1912.

الشبان للتقرب من فرنسا، كما تضمنت مطالبها إشارات عميقة عن وعي سياسي مبكر، عجل من ظهور الحركة الوطنية، فكانت بذلك النخبة الجزائرية من الطلائع الأولى للنهضة العربية.

وعلى نمط بداية كل الحركات القومية والوطنية في العالم، التي تسبق بظهور الصحافة والأحزاب السياسية، سعت النخبة إلى تأسيس النوادي والجمعيات مع مطلع القرن العشرين، بعد أن تهيأت الظروف المناسبة لنشأتها، خاصة في عهد الحاكم العام جونار[1] (Charles Jonnart).

فابتداء من مطلع القرن العشرين، ظهرت العديد من الجمعيات والنوادي، "كالجمعية التعاونية" (1897)، "الجمعية الراشدية" (1902)، "الجمعية التوفيقية" (1908)، "جمعية ودادية العلوم الجديدة"، و"جمعية الهلال" ومن النوادي "نادي التقدم"، "نادي صالح باي"، و"نادي الشباب الجزائري"[2]، ولا يسعنا المجال هنا لذكر تاريخ كل نادي أو جمعية، إلا أننا نلمح بوضوح دورها في بث الوعي والنهضة في نفوس الجزائريين، فكانت مقراتها، مكانا لاجتماع النخبة المثقفة على اختلاف لسانها واتجاهها، يتبادلون فيها الآراء، في مختلف المواضيع، من خلال إلقاء المحاضرات التي تبسط المعارف العامة، وتناقش القضايا المعاصرة، إلى جانب مساعدة تلاميذ المدارس الفرنسية الأهلية، وتنظيم دروس للكهول، وإقامة المكتبات، إضافة إلى دورها في بعث الصناعة التقليدية وتطوير التعاونيات[3] على قلة إمكانياتها بهدف تحديث المجتمع وتنويره، وخلق فرد مواكب لعصره، متحرر من التقاليد والأعراف البالية، التي تتحكم فيها الخرافات والأباطيل، ويبدو أن النخبة قد استطاعت أن تقطف من رياح المدنية الغربية ثمارا محمودة أحدثت بها حركية غير معهودة، ووسعت من آفاق المعرفة، فلم تقتصر على المدرسة والزاوية، وسخرتها للمجتمع، للرفع من مستواه والنهوض به من التخلف والجهل.

وقد آثرت النخبة المثقفة خلال هذه المرحلة، عدم الاحتكاك والاصطدام المباشر بالإدارة الاستعمارية، والتزمت السلمية في رفضها لسياسة فرنسا التعسفية، واختارت تجديد أساليب قديمة في عرض مطالبها كإرسال الوفود، وتقديم العرائض، كما أن مطالبها تضمنت قضايا آنية، فعالجت قضايا عالقة ومسائل شائكة، تعرضت

---

[1] شارل جونار (1857-1927)، سياسي ودبلوماسي فرنسي، ولد في فليتشين، كان عضوا في أكاديمية اللغة الفرنسية وأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية، انتخب نائبا في البرلمان الفرنسي، وكان لا يزال شابا حينها، ثم تقلد أهم مناصب الدولة، نصّب جونار على رأس الولاية العامة في الجزائر ثلاث مرات، ابتداء من 1900-1901، ثم الفترة الثانية (1903-1913)، أما الفترة الأخيرة فكانت سنة 1918، وعزل في نفس السنة، عرف حكمه بخاصية مميزة، تجلت في حركة الإحياء الثقافي وسياسة الإسترخاء والحكم الذاتي والاستقلالية في الميزانية، وذلك قصد بعث حركة نهضوية في الجزائر المعاصرة. للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية** ..، ج2، مرجع سابق، ص85.

[2] الزبير سيف الإسلام: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج4، مرجع سابق، ص27-29.

[3] جيلالي صاري، محفوظ قداش: **المقاومة السياسية** ..، مرجع سابق، ص17.

على يد فرنسا الاستعمارية إلى تعديات سافرة، مست قوميتهم، وجعلتهم في وضعية استثنائية غامضة قانونيا وسياسيا، فطرحت مسألة القضاء الإسلامي، والتمثيل النيابي، والتجنيد والتجنيس، وكلها تدور في فلك ردّ الاعتبار للجزائريين، وتسوية وضعيتهم، تولت نخبة فنية عملية التحسين في هذه المرحلة، وطمحت على قلة خبرتها السياسية وجهلها لأبجديات المراوغة، إلى تحسين أوضاعها بالارتقاء من صفة رعية عديمة الحقوق، إلى مواطن فرنسي له كامل الحقوق[1].

II. الوضع الثقافي:

إنّ الوقوف على الأوضاع الثقافية جزء من الواقع الفكري، والذي بدوره مرآة عاكسة للوضع العام في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حيث اقترنت فيه صورة المشهد الفكري الهزيل المتوارث عن تراجع الحضارة العربية، ووضعية استعمارية حملت بين طياتها الاستهتار بقيم المجتمع، وعدم تكفل مؤسساتها بالأدوار التربوية والحضارية المنوطة بها.

II. 1. السياسة التعليمية:

عبثت فرنسا بالقيم الدينية والاجتماعية للجزائريين، كما سبق أن أشرنا له، قصد مسخهم وهدم شخصيتهم القومية ومحو كيانهم ووجودهم الحضاري، وقد تجلى ذلك في سياستها التعليمية، فأجمع من الدارسين الذين تناولوا الحياة الفكرية والثقافية في الجزائر عشية الاحتلال الفرنسي، تؤكد أن وضع التعليم كان في أفضل حال عما كان عليه فرنسا نفسها، فقد كان منتشرا انتشارا واسعا في مختلف المدارس المساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية[2]، الأمر الذي أكده حمدان خوجة [3] على لسان الجنرال فارلي: ".. إن كل العرب الجزائريين تقريبا يعرفون

---

[1] جيلالي صاري، محفوظ قداش: **المقاومة السياسية ..**، المرجع السابق، ص17-18.

[2] للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، ص22-23، وأيضا سعد الدين بن أبي شنب: "النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع". نقلا عن: إسماعيل العربي: **الدراسات العربية في الجزائر**، مرجع سابق، ص61-67.

[3] حمدان بن عثمان خوجة (1773-1840) كرغلي الأصل، تلقى في صغره تعليما إسلاميا قائما على القرآن والفقه الإسلامي على المذهب الحنفي، سمحت له تجارته من التنقل عبر اسطنبول، باريس واسبانيا وايطاليا، فأتقن اللغة التركية والفرنسية والانجليزية، ما سمح له من جهة أخرى الاطلاع على كتابات وثقافات غير عربية، انحصرت مؤلفاته في 10 سنوات الأخيرة من عمره بعد أن عرفت تجارته تراجعا بفعل الاحتلال وأهمها، المرآة في باريس 1833، إتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء 1836، رسالة حكمة العارف بوجه ينفع المسألة ليس في الإمكان أبدع...للمزيد ينظر:

George Yves :"Si Hamden ben Othman Khodja ",**R**.**A**,Vol 57,Anne 1913,P96-138.

وكذلك: حميدة عميراوي: **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)**، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1987.

القراءة والكتابة، حيث هناك مدرستان في كل قرية"[1]، وقد قاربت نسبة الجزائريين الذين يحسنون الكتابة والقراءة فيما بين 1836-1837 أزيد من 55%، بينما كانت نسبة الأمية بين أفراد الجيش الفرنسي فقط 45%[2]، وإن كان الجيش ليس معيارا وحيدا لتحديد نسبة الأمية في مجتمع معين، واقتصر تعليم الجزائريين على غرار العالم العربي والإسلامي في هذه المرحلة الحرجة من التاريخ على العلوم الشرعية واللغوية والأدبية...، دون الاهتمام بالجانب العلمي، الذي كانت أوروبا قد قطعت فيه أشواطا كبيرة، مما جعله يتسم بمسحة من التخلف والجمود، وأعاز أبو القاسم سعد الله هذا التقوقع، إلى سببين اثنين، أولهما: خوف بعض العلماء من تسرب الأفكار الأجنبية للعلوم الشرعية، وخوف بعض الشيوخ المعلمين، من ضياع مصدر رزقهم، الذي كان المصدر الأساسي لمعيشة أغلبهم، فحاربوا أي تغيير قد يمس مصالحهم[3]، وكلا السببين وهم عشّش في أذهان العامة والخاصة، فأحاطوا أنفسهم بأسوار من الجهل والتخلف.

وبدورها فرنسا لم تول -بعد الاحتلال- أهمية جادة لتعليم الجزائريين، وهي التي صورت نفسها منقذا للإنسانية، وناشرا للحضارة، فسعت في العقود السبعة الأولى من الاحتلال لسياسة الهدم، فصادرت الأوقاف، وهدمت وحولت المساجد والزوايا والمدارس، إلى كنائس وثكنات ومخازن، وأتلفت ونهبت الكتب والمخطوطات، وحاربت اللغة العربية على اعتبارها لغة أجنبية، واستبدلتها بلغة لم يفقها الجزائريون، ما أدخل الجزائريين في نفق مظلم من الجهل والأمية[4]، لكن في الحقيقة عجزت مؤسساتها التعليمية في احتواء الجزائريين من الجهل، وتقديم المدنية المزعومة للنهوض بهم، فأهملت تعليم الأهالي المسلمين، وغلب عليه تجاهل القيم الحضارية والدينية واللغوية، في حين حرصت على تعليم المستوطنين، وفرضت اجباريته بشكل قانوني عند بلوغ سن التمدرس، كما هو متعارف عليه، ويسرت لهم كل الإمكانيات على اعتبار أنهم جنس متفوق، بينما لم يكن تعليم الأهالي الجزائريين، إجباريا إلا ابتداء من سنة (1917)، مقرونا بشرط الإقامة على مسافة لا تزيد عن ثلاثة كيلومترات من المدارس[5] بنظرية عنصرية تميزية على أنهم جنس منحط، وناقصو عقل غير قابلين للتعلم، وفي تعليمهم مضيعة للوقت والمال ويؤكد ذلك فرحات عباس في قوله: "... لما كنا نطالب بفتح المدارس كان جوابهم لنا أننا لسنا

---

[1] حمدان خوجة: **مرآة الجزائر**، مصدر سابق، ص6.

[2] عبد الرحمن الجيلالي، سعد الدين بن أبي شنب: مقال سابق، ص67.

[3] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في التاريخ العربي الإسلامي**، د.غ.إ، ط1، بيروت، 2003، ص29.

[4] الأمر الذي جعل الجزائريين يتحسرون على وضعهم، وما آل حالهم، ومن ذلك ما جاء على لسان محمد اللقاني بن السائح:

بني الجزائر هذا الموت يكفينا لقد أغلت بحبل الجهل أيدينا

[5] أندري نوشي وآخرون: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح، منصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984، ص240.

أهلا لها، لأننا قوم لا يقبل لا التربية والعلم"[1]، وإنّ المتفحص للمراحل التعليمية من حيث ما سخر لها، وانطلاقا من إحصاءات الحكومة العامة في حد ذاتها، يدرك قدر المعاناة، في ظل سياسة أقل ما يقال عنها أنها تجهيلية.

- **التعليم الابتدائي:**

لم تستوعب المؤسسات التعليمية الفرنسية كل الجزائريين، حتى في مراحله الابتدائية، خصصت (21) مدرسة ابتدائية سنة 1882، مقابل (697) مدرسة للفرنسية يدرس بها حوالي (53666) طفل فرنسي، بينما لم يستطع سوى (3172) جزائري[2] الالتحاق بهذا الطور، وهو عدد لا يعبر عن إجمالي السكان، ولم يشمل كل الذين بلغوا سن التعليم خلال هذه السنة، كما أنه يعتبر رقما هائلا، إذا ما قارناه مع عدد المتمدرسين الجزائريين في المرحلة الثانوية، الذي بلغ ما بين (1885-1886) ما يقارب (115) تلميذا جزائريا، (3352) أوروبي وفرنسي، وإن كان أغلب الفرنسيين يفضلون أن يتابع أبناؤهم الدراسة الثانوية في فرنسا[3].

وتعكس الأعداد الهزيلة من التلاميذ المسلمين وتناقضها مع المراحل التعليمية التالية، السياسة التعليمية الفرنسية، وعدم الرغبة الجادة في تعليمهم وتنويرهم، بحيث لا يسمح لكل المتمدرسين في المرحلة الابتدائية التدرج في التعليم، والاكتفاء بالمرحلة الابتدائية، التي يتم فيها غسل أدمغتهم، ومسخ هويتهم، ففي هذه المرحلة العمرية، عادة ما يكون الطفل كالصفحة البيضاء ترسخ في ذهنه كل الأفكار والمعتقدات، كما خصصت ميزانية ضئيلة لتسيره، لا وجه لمقارنتها مع تلك المخصصة للأوروبيين، على قلتهم العددية، كما هي مبينة في الجدول أدناه:[4]

السنوات	ميزانية تعليم الأوروبيين	ميزانية تعليم الأهالي
1902	508123	1389274
1908	9923368	1617639

وإن عرف مطلع القرن العشرين (1900) نفسا جديدا في سياستها التعليمية، لكن لم يكن حبا في تثقيفهم وتنويرهم بقدر ما كان ضعفا خارجيا وسعيا لحمايتهم من المثيرات الفكري، حيث سايرت فرنسا الدول الاستعمارية التي غيرت من سياستها اتجاه مستعمراتها على غرار هولندا مع أندونيسيا، وبريطانيا مع الهند،

[1] فرحات عباس: **ليل الاستعمار**، مصدر سابق، ص34.
[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج3، ص296.
[3] نفسه، ص301.
[4] نفسه، ص297.

وخشيتها من تسرب الأفكار الخارجية المتعلقة بفكرة الجامعة الإسلامية، التي بدأ تأثيرها يتجلى في فكر الطرق الصوفية بالجزائر، وبذلك فمساعيها كانت قصد تدجين الجزائريين لصهرهم في البوتقة الفرنسية، مما يحول دون تأثر وتبنيهم لفكر يناقضها، وإن كان هذا فهو لا ينفي عن فرنسا سياستها التجهيلية التي تدلنا عليها إحصاءات الحكومة العامة[1]، فيما يتعلق بالتعليم الابتدائي خلال العشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، أي بعد ما يقارب القرن من الاحتلال، أين خصصت فرنسا للأهالي أقساما خاصة لا تجمعهم مع الفرنسيين والأوروبيين.

نسجل أيضا انخفاضا محسوسا في أعداد الفتيات الجزائريات، مقارنة بأعداد الذكور من الأهالي، وبمثيلاتهن الفرنسيات، التي كانت أعدادهن متقاربة جدا بأعداد زملائهم الذكور، ويبدو أن الجزائريات كن يعشن تحت ضغط الأعراف، التي لم تكن تسمح لهن بالتعليم، كما أنهن لم يجدن ما يشجع على التعليم، فلم يتدرجن في المراحل التعليمية الأعلى من المرحلة الابتدائية.

- **التعليم الثانوي والعالي:**

تعتبر مرحلة التعليم الثانوي والعالي من الأطوار التي حرم الأهالي التدرج فيها، فكان اقتحامها صعبا على الجزائريين، فلم يواصل تعليمه في هذا الطور إلا عدد ضئيل، وذلك لعدم مجانيته من جهة، ومن جهة أخرى ربط الالتحاق به بامتحان خاص، فلا يقبل أي تلميذ إلا بعد اجتيازه، وكان من بين المحظوظين أبناء العائلات التي تخدم المصالح الفرنسية.

ومن الذين تولى آباؤهم وظائف حكومية كالقياد والأغوات والموظفين والمترجمين[2]، ففرنسا تعمدت إقصاء الجزائريين عن هذه الأطوار التعليمية، وتشير الإحصاءات أن عدد المتخرجين الجزائريين من كلياتها من 1880-1914 حسب آجرون لم يتجاوز: 12 من حملة الليسانس في الحقوق، وطبيب واحد وصيدلي و34 مجازا في العلوم، والجدول أدناه[3]، يوضح ذلك التمييز الواضح بين الجزائريين والفرنسيين الذين كانت أعدادهم مضاعفة بأزيد من 13 ضعف مقارنة بعدد الجزائريين.

[1] Annuaire Statistique de l'Algérie, les années : 1928,p58,1933,p101,1938,p138.

[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، مرجع سابق، ص303.

[3] Agéron , **Histoire**.., OP cité, p.167

السنة	مجموع الطلاب المسجلين	عدد الطلبة الجزائريين	نسبتهم المئوية إلى المجموع
1884	585	06	/
1920	/	47	3,4

أما نسبة التلميذات الجزائريات في المرحلة الثانوية، فهي تقريبا منعدمة، فمن بين 690 تلميذ أهلي ذكر سجل 48 فتاة خلال الربع الأول من القرن العشرين، في حين كانت أعداد الفرنسيات مرتفعة، حيث بلغ عددهن 1833 تلميذة من بين 6420 تلميذ، ويمكن حصر الأسباب الحقيقية وراء ضآلة أعداد التلميذات الجزائريات في الأعراف والتقاليد التي منعتهن في الغالب من مزاولة دراستهن.

أما التعليم العالي فقد اقتصر خلال هذه المرحلة على جامعة واحدة، هي جامعة الجزائر المؤسسة سنة 1909، بكلياتها الأربع، وهي كليات الحقوق، والطب والصيدلة، والعلوم والآداب، ولم يكن التعليم بها مشجعا، لتكاليفه المادية الباهظة، والتي لم تكن بمقدور كل الأهالي، فحرم بذلك أغلبية الجزائريين من مواصلة تعليمهم، ولم تسعف الظروف إلا قلة ضئيلة منهم للالتحاق بمدرجات هذه الهيئة العلمية، في حين كان عدد الفرنسيين يتزايد بشكل تصاعدي، حيث سجلت المصالح الحكومية خلال الربع الأول من القرن العشرين(1757) طالبا، ليرتفع إلى (2099) طالب، وكان عدد الطلبة الجزائريين يقدر(72) طالبا[1]، كما أن الأغلبية الجزائرية ممن تيسر لهم مزاولة تعليمهم العالي، يتم تسجيلهم في كليتي الحقوق والآداب، حيث تم تسجيل (40) طالبا على مستوى كلية الحقوق، و(47) على مستوى كلية الآداب، أما كليتي الطب والصيدلة، فلم يزد عدد الطلبة بهما عن (10) و(13) طالبا[2].

ولم تلق المدارس الشرعية (الرسمية)[3] إقبالا كثيرا من الأهالي، وهو ما تؤكده الإحصاءات المسجلة ما بين (1911-1912)، أين تم رصد (176) طالبا مسجلا على مستوى هذه المدارس، ليتقلص هذا العدد سنة 1931 إلى (143) طالب[4]، لعدة أسباب، كضعف التعليم بها واعتماده أساليب تقليدية، وضعف الأساتذة،

[1] **Annuaire Statistique de l'Algérie**, les années: 1928, p.65, 1938, p.152.

[2] **Annuaire Statistique de l'Algérie**, années: 1934, p.122.

[3] المدارس الإسلامية Les Medersas، تم إنشاؤها بموجب مرسوم 30 سبتمبر 1850 في كل من قسنطينة، والجزائر، وتلمسان، تخرّج الموظفين الذين يشغلون وظائف دينية، وفي القضاء الإسلامي، والتعليم، والمكاتب العربية.

[4] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، مرجع سابق، ص397-398.

وعدم قدرة خريجيها على التدرج في التعليم العالي، لاعتبار الشهادة المحصل عليها من هذه المدارس لا تضاهي شهادة البكالوريا[1]، وعليه فإن المشروع التعليمي الذي راهنت فرنسا عليه كحاملة لرسالة حضارية، لم يستوعب تمدينية كل الجزائريين وزادتهم تجهيلا وأمية، إذ بلغت عند فئة الذكور 95%، وشملت كل الإناث تقريبا بنسبة 99%، ففشلت بذلك المؤسسات الفرنسية حضاريا، في تنوير الجزائريين، كما أن فرنسا لم تكن ترغب في تكوين نخبة متنورة، فقد انحصرت جهودها التعليمية بشكل كبير على المرحلة الابتدائية، أين يتم فيها التشويش على القيم العقائدية والمكتسبات اللغوية والتاريخية والحضارية في حين ضيقت عليهم في المراحل التالية.

- **التعليم العربي الحر:**

بادرت النخبة المتعلمة من الأهالي مع بداية القرن العشرين إلى تخطي عقبة الجهل والتخفيف من وقع الأمية، وإحداث نهضة توعوية تثقيفية بين الجزائريين، بهدف تغيير الذهنيات والأفكار السائدة التي سيطرت عليهم، وحرصت هذه المدارس على أن يكون التعليم بها متتابعا، يشمل كل الأطوار التعليمية، وأن يكون عصريا ذا أقسام وبرامج متكاملة، تسمح للتلميذ بمتابعة الدراسة الثانوية والعليا[2]، كما أن هذه المدارس حاولت تفادي تداخل أوقات التدريس بها والمدارس الفرنسية، فجعلت توقيته في الصباح الباكر (بين 5 و7)، والواحدة والنصف عند الزوال، ومساء ابتداء من (5 إلى 7)، ولكنه أمر في غاية الإرهاق للتلميذ جسديا وعقليا[3]، وقد قطع هذا التعليم أشواطا كبيرة فيما بعد مع العقد الثاني والثالث من القرن العشرين[4]، وسعت فرنسا من جهتها التضييق على هذه الجهود بجملة قرارات قانونية،[5] منعت بموجبها العلماء من التدريس والوعظ والإرشاد على مستوى المساجد.

II. 2. الصحافة:

تعتبر الصحافة من الفنون التي لم يعرفها الجزائريون، إلا بعد حوالي قرنين من ظهورها في أوروبا، وكان بداية اطلاعهم على هذه الوسيلة الإعلامية عن طريق فرنسا التي حملت سفنها الحربية مطبعة في بداية الاحتلال[6]، ومع

---

[1] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، مرجع سابق، ص281.

[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، ص170.

[3] مالك بن نبي: **مذكرات شاهد للقرن**، ط2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984، ص24.

[4] حيث تزايدت فيه أعداد المدارس والمعلمين والتلاميذ، فبلغ تعدادها سنة 1938 (3148) مدرسة، بها (3189) معلما، و(50293) تلميذا. ينظر: **Annuaire Statistique de l'Algérie**, année: 1938, p.145.

[5] كمنشور ميشال (1933) وقرار (8 مارس 1938) الذي تحجج برخصة فتح المدرسة لمنعهم.

[6] هي المطبعة الإفريقية التي سحبت بها أعداد مثل"السطافيت دي سيدي فرج"L'estafette de sidi ferruch، ثم توالت عناوين أخرى، كالمونتور، الأخبار، المبشر...ينظر: أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج5، ص213.

ومع ذلك تأخر الأهالي لخوض غمار هذا الفن، للعجز المادي، وعدم التمكن من فنياتها، ما عدا أسماء تعد على أصابع اليد اشتغلوا في الصحف الفرنسية، أمثال الحفناوي، ومحمد بن مصطفى خوجة، مع (جريدة المبشر)، بالإضافة إلى جهل الجزائريين للمعاملات الإدارية وربط علاقات مع الصحف الأخرى، وإقامة حسابات، ومراسلات والاطلاع على القوانين السائدة[1]، وهي أسباب نراها وجيهة في ظل الانغلاق المعاش طيلة قرون، والتي عطلت فيها الحضارة، فكان بمثابة الحاجز الطبيعي الذي عرقل الجزائريين وأخرهم أزيد من خمسين سنة، فكانت أولى المحاولات لإنشاء صحافة عربية حوالي سنة (1892)[2]، وإن اختلفت الصحف الأهلية في قوتها وضعفها أدبيا وماديا واتحدت في غايتها، وهي محاولة نشر الوعي واليقظة دينيا واجتماعيا وسياسيا[3].

وعرفت الصحافة الأهلية بعض الانتعاش، في الفترة الممتدة من مطلع القرن العشرين إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى (1900-1914)، بظهور عناوين جديدة، تزامن صدورها مع الأوضاع المضطربة التي سبقت الح.ع.I، فتحركت معها الأقلام لمناقشة صدور قانون التجنيد الإجباري، وما لحقه من هجرة أعداد كثيرة من العائلات الجزائرية والدعاية المصاحبة لها، والتي لعبت الصحافة الدور الأكبر فيها، حيث كانت مادة خصبة أثارت سجالا بين إقناع الجزائريين والتنفير منها، كما أفضت الزيارة التي قام بها الإمام عبده (1903)، أجواء فكرية لم تعهدها الجزائر، فانعكست هذه العوامل إيجابا على الصحافة الأهلية، بظهور مجموعة من الجرائد والمجلات[4]، اختفى معظمها أثناء الح.ع.I، في حين استمرت الصحف الفرنسية الصادرة عن الإدارة الفرنسية، أو تلك التي يديرها المستوطنون، وعموما كان ولوج الجزائريين لعالم الصحافة صعبا وعسيرا، وقد أجهضت كل محاولاته الأولى تقريبا بالمصادرة أو السجن أو التغريم لأصحابها، وبخلاف ذلك تمتعت الصحافة الاستعمارية أو في فرنسا بكامل حريتها، بموجب قانون (1881)، الذي أقر بإمكانية توزيع جرائد أو نشرات دورية على

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص242.

[2] كالحق العنابي سنة 1893 على يد سليمان بنقي، وعمر السمار، وخليل قايد العيون، وصدرت باللغة الفرنسية، ثم مزدوجة اللغة، هدفها المعلن الدفاع عن مصالح العرب الجزائريين ومصالح الفرنسيين، وجريدة "النصيحة" بالعربية 1899 لقوسلان، ينظر: أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**..، مرجع سابق، ص344.

[3] علي مرحوم: "نظرة على تاريخ الصحافة العربية في الجزائر"، **مجلة الثقافة**، ع42، 1978، ص26.

[4] منها جريدة "المغرب" (1903-1913)، التي اعتبرها الإمام عبده شعاع مضيء رغم عيوبها، نظرا لحرمان الجزائريين من الصحف التي تنطق بلغتهم، وجريدة "فريضة الحج"، التي ظهرت بتسمية أخرى (المنتخب في أخبار العرب)، ثم توقفت نهائيا سنة 1902، "المصباح" للعربي فخار 1904، و"كوكب إفريقيا" لمحمود كحول (1907-1914)، و"الجزائر" لعمر راسم 1908، و"الإسلام" (1909-1913) للصادق دندن، إلى جانب "الحق الوهراني" (1911-1912) لشارل طابي، والفاروق لعمر بن قدور (1913-1914)، وعاودت الظهور بين (1920-1921)، و"ذو الفقار" (1913-1914) لعمر راسم، ينظر: عواطف عبد الرحمن، **الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962)**، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص31، وزهير احدادن، مرجع سابق، ص26-32.

الجمهور دون رخصة مسبقة أو كفالة مادية، ونصت المادة (69) منه على تنفيذ هذا القانون على مستعمراتها بما في ذلك الجزائر[1]، لكن الإدارة الاستعمارية لم تطبق بندا واحدا منه على الصحافة الأهلية، وظل قانون الأندجينا على حالته الاستثنائية هو المسلط على رقابهم حتى ذلك الحين.

ومع نهاية الح.ع.I جدد الجزائريون طاقاتهم، واكتسبوا مزيدا من الخبرات، وفي نفس الوقت مهارات جديدة في الكتابة الصحافية، على قصر تجربتهم، كما أضفى المهاجرون العائدون على المهنة نفسا آخر، لتشهد الصحافة الأهلية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، تطورا محسوسا من حيث الكم والكيف، وتنوعا في طرحها الفكري، كما تنوعت الصحافة الأهلية من حيث لسانها، (عربي، فرنسي)، وهو التنوع الذي أثراها لغويا، وفكريا، عكس التفاعلات الفكرية بين الذات والآخر، وعكست من جهة أخرى الصراع الفكري الذي عاشه الجزائريون بين ثقافتين متناقضتين، خلق فجوة بلغت درجة الانفصال، في بعض القضايا، وتقاطعا في أخرى، لذلك تعد الصحافة من الأرصدة التي لا يستغنى عنها الباحث في تاريخ الجزائر، على قصر عمرها، ومما يجدر التنويه به ف هذه المرحلة، وعي الجزائريين بما يكتب على خلاف ما سبق، أي أن المقالات التحليلية والوصفية لبعض المظاهر، أصبحت تثير الاهتمام بارتفاع نسبة مقروئيتها، وهو ما نستشفه من أعداد السحب، وإن كانت لا تعبر حقيقة عن عدد القراء، لأن الصحيفة الواحدة قد يتداول عليها أكثر من قارئ، وكانت الإحصاءات التي قدمها توفيق المدني خير دليل، فقبل 1914 بلغت الأعداد المسحوبة على سبيل المثال من جريدتي "الفاروق" و"ذو الفقار" 8000 عدد في الشهر، بمعدل 1000 عدد في كل أسبوع[2].

وحافظت فرنسا على موقفها المعادي للصحافة الأهلية، خاصة منها الناطقة بالعربية، فالقوانين الفرنسية اعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، يطبق عليها قانون الصحافة الأجنبية، فعانت الصحافة الأهلية من الاضطهاد والتعسف، ولا سيما الوطنية منها، فتوالى سقوطها الواحدة تلوى الأخرى، بتهمة الدعاية ضد فرنسا، إلا أننا نلمس شيئا من اللين في عهد بعض الحكام العامين[3]، ومدراء الشؤون الأهلية، الذين منحوا الصحافة الأهلية مساحة من الحرية، يمكن أن تصفها بالحرية المحروسة والمقيدة.

---

[1] محمد ناصر: **المقالة الصحفية في الجزائر**، ص42-43.

[2] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**..، مصدر سابق، ص348.

[3] عرفت الصحافة في عهد شارل جونار (1903-1911) و (1918-1919) نوعا من الحرية المقيدة لما عرف به من سياسته التسامحية اتجاه الأهالي، مما سمح بظهور عناوين جديدة لصحف وجرائد أهلية مثل "الإقدام" و"الإسلام" و"الراشدي" و"النجاح" و"الصديق"، إلى جانب أخرى في عشرينات القرن الماضي، كـ: "صدى الصحراء" و"الحق" و"الشهاب" ...، بينما تراجعت الصحافة الأهلية بشكل واضح بعودة سياسة الكبت =والمراقبة في عهد "ابل" و"بيار بورد"، فسقطت في عهديهما العديد من العناوين، وغير البعض منها منهجه، وقلل من اندفاعه. ينظر: محمد ناصر، **المقالة الصحفية**، ج1، مرجع سابق، ص 195.

كما لا يمكننا إغفال إصرار الجزائريين على استمرار صحافتهم، ومن ذلك ثبات أبو اليقظان وعمر راسم، ومحاولاتهما المتكررة، رغم المضايقات المادية والإدارية، وبذلك استطاعت الصحافة الأهلية أن تكون رأيا عاما جزائريا، وتثبت نفسها على الصعيد الإعلامي إلى جانب الصحافة الاستعمارية، كما جذبت إليها الرأي العام الفرنسي خاصة اليساري منه، لتفاصيل حياة الجزائريين وقضاياهم، وآلامهم وبؤسهم.

II. 3. الطباعة:

تعد الطباعة من المستجدات التي ولجها الجزائريون بشكل محتشم، منذ أواخر القرن التاسع عشر، ولعبت دورا هاما في عملية النشر، واستمرارية الصحافة الأهلية، بعد أن اقتصرت (الطباعة) على الفرنسيين[1]، وكانت مبادرة الأخوين ردوسي (أحمد وقدور) الأولى، بإنشائهما للمطبعة الثعالبية، التي يعود الفضل لها في نشر العديد من الكتب التراثية[2].

واتجهت جهود الأهالي بعد الحرب العالمية الأولى، بتأسيس مطابع خاصة، بهدف تخفيف ضغط الإدارة الاستعمارية التي تحد من حرية النشر، دون أن يكون لها توجهات تجارية، وقد شجعت بظهورها نشر بعض الأعمال، كمؤلفات مبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني، ومحمد العابد الجيلالي...[3] إلى جانب طبعها للبطاقات والدعوات، فبعث ذلك المشهد الثقافي، ومع ذلك فإن تسيير الأهالي لهذه المطابع لم يكن بالأمر السهل، لافتقارهم للخبرة والمال، فكانت أعدادها قليلة، كالمطبعة الجزائرية الإسلامية التي أسسها ابن باديس، وتولى إدارتها أحمد بوشمال، و"مطبعة النجاح" في قسنطينة (1919) لابن الهاشمي وماضي إسماعيل، لتأسس بعدها في وقت لاحق مطابع أخرى[4]، وبذلك تكون الطباعة على اعتبارها مظهرا من مظاهر المدنية الغربية، قد أضفت دينامية على المشهد الفكري في الجزائر فكسرت السكونية التي لازمت المحافظين، كما حفزت من استمرارية

---

[1] بلغ عدد المطابع الفرنسية سنة 1957، 280 مطبعة، تشغل 4500 عامل، ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص306.

[2] مثل كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (1905-1907)، البستان في أولياء تلمسان لأبي مريم التلمساني 1908، وكتاب عنوان الدراية فمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لابن عباس أحمد الغبريني...ينظر: سعد الدين ابن أبي شنب: "النهضة العربية في الجزائر"، مقال سابق، ص70-71.

[3] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**..، ج5، مرجع سابق، ص309-310.

[4] على غرار المطبعة العربية بالعاصمة (1926) التي أسسها أبو اليقظان، ومطبعة البلاغ بمستغانم، كما أثمرت مساعي الطيب العقبي في تأسيس مطبعة ببسكرة، بعد أن منعته الإدارة الاستعمارية من طبع جريدته "الإصلاح" في تونس، وأسماها "العلمية"، وبالرغم من ضعف تجهيزاتها، طبع بها العدد الثاني من جريدة "الإصلاح" (1929)، ثم طالها الإهمال والفساد، كما أشار الأستاذ سعد الله إلى مطبعة "المغرب العربي" لحمزة بوكوشة (1937) بوهران، انطلاقا من الإعلان الذي نشرته الجريدة، في عددها الرابع، الصادر في 18 جوان 1937 والذي بشرت فيه عن ميلاد هذه المطبعة ومقرها. ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**..، ج5، المرجع السابق، ص 312.

الصحافة بأن وفرت لها الوسيط الرابط بين الكتاب والقراء، كما أن النخبة العربية كانت أكثر تجاوبا مع الطباعة من قرينتها الفرنسية، لما عرفته من مضايقات شتت جهودها الصحفية على خلاف النخبة الفرنسية، إلى جانب ذلك، فإن التفاعل والتجاوب ما يثبت الوعي الذي أضحت عليه النخبة، والقفزات التي حققتها في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين.

II. 4. المسرح:

المسرح (أبو الفنون)، له علاقة وطيدة بالأدب، التربية، الأخلاق، النفس والقيم الإنسانية، فكان مرآة المجتمعات، ارتبطت نشأته في الجزائر بواقع استعماري، فكانت بداياته متأخرة حتى الربع الأول من القرن العشرين ومحتشمة مع الأمير خالد، وتطورت على يد رشيد القسنطيني (1887-1944) فيما بعد في ثلاثينيات القرن الماضي، إلا أنها كانت انطلاقة متأخرة عن جارتها تونس، التي بدأت الطلائع المسرحية لها مبكرا مع بدايات القرن لعدة اعتبارات، منها موقعها المطل على المشرق عامة، الأمر الذي سمح لمناخها السياسي عموما في رعاية هذا الفن كما سبق ذكره، فتونس لم تواجه حصارا يمنع عنها المدد الثقافي كدخول المجلات والكتب المشرقية، وكان توفرها على مؤسسات قد ساعدها على ظهور وبلورة نهضتها الفكرية (الزيتونة والخلدونية والصادقية)، بخلاف الجزائر التي باتت الملامح الثقافية فيها باهتة في ظل وضعية استعمارية طمست فيها فرنسا كل ما من شأنه أن يبعثها حضاريا وفكريا، وارتسمت سياستها في الكبت والرقابة والهدم اللغوي والثقافي، فكان بذلك ما تعرضت له الجزائر فكريا وثقافيا الأخطر من حيث التغريب والفرنسة، ما جعلها تتأخر زمنيا عن ركب النهضة الفكرية مقارنة بمثيلاتها من دول الشمال الإفريقي (تونس والمغرب) اللتين شهدتا نفس المستعمر، إلا أنهما لم يشهدا نفس الوقع الاستعماري[1].

III. الوضع الاقتصادي والاجتماعي:

كانت الجزائر قبل الاحتلال تتمتع باقتصاد زراعي تقليدي يتماشى ومتطلبات المجتمع الذي كان بدوره يعرف تماسكا إلى حدّ كبير، لكن ومنذ تعرضها للغزو الفرنسي، تغيرت تلك الأوضاع وانعكست بالسلب على الجزائريين.

[1] علي الراعي: "المسرح في الوطن العربي"، **مجلة عالم المعرفة**، ع.248، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1999، ص474.

III. 1. الوضع الاقتصادي:

لتحقيق أهدافها الاستعمارية في الجزائر، شرعت الإدارة الفرنسية مباشرة بعد الاحتلال في اغتصاب أخصب الأراضي، ونهب خيراتها ومواردها، واحتكار جميع الأنشطة الاقتصادية فيها من زراعة وصناعة وتجارة[1]، وتجميع كل ذلك في يد المعمرين، المتعطشين للاستعمار والاستغلال، وطبقا لهذه السياسة، سخرت الحكومة الفرنسية كافة الإمكانات والامتيازات والمغريات المادية والمعنوية، وفي هذا الصدد تحدث الجنرال "بيجو" (Bugeaud)[2] في مجلس النواب سنة 1840 قائلا: "إنني في حاجة إلى جحافل دهماء من المعمرين الفرنسيين والأوربيين، ولكي تجلبوهم فمن اللازم عليكم الاستيلاء على أراضي خصبة لا يطير غرابها، وحيث ما وجدتم مياه متدفقة، وأراضي رعوية أنزلوا بها المعمرين ولا يهمكم أمر أربابها، يجب توزيع هذه الأراضي على الأوربيين حتى يصبحوا أصحابها وأربابها، ويصير أصحابها الأولون نسيا منسيا، وأخيرا يجب علينا أن نجعل نصب أعيننا هدفا متينا محكما، وأن ننشأ إقليما فرنسيا، ولذلك فإننا في أمس الحاجة إلى غزو واسع يشبه غزوات القوط[3]، وإن لم نفعل هذا تكون نتيجتنا أوهن من نسيج العنكبوت." وإن هذا التصريح في مدلوله يوضح بدقة الأسس التي بنت عليها السلطات الفرنسية سياستها الاقتصادية في الجزائر في قطاع الزراعة الذي يعتبر عصب الاقتصاد الجزائري قبل الاحتلال.

وفي ذلك كتب فاران (FARRAND)، أحد أنصار فرنسة الجزائر قائلا: "يجب أن نستولي شيئا فشيئا بدون هوادة ولا شفقة على جميع مراتعهم ومراعيهم، ونثقل كاهلهم بضرائب مرهقة حتى تتعذر عليهم الحياة، فلا يجدون ما يسدون به رمقهم، فيصبحون حينذاك بين أمرين لا ثالث لهما: إما أن يثوروا أو ينخرطوا في جيش فرنسا للدفاع عنها"[4]، وهذا الكلام يؤكد أن السلطة الاستعمارية كانت ترمي إلى تفقير وتجويع الأهالي بكل الوسائل، لأن النشاط الزراعي كان المهنة الرئيسية لهم.

---

[1] ينظر: **مجلة حضارة الإسلام**، ع 06، سبتمبر، 1965.

[2] هو الجنرال توماس روبير بيجو (1784-1849) (Thomas-Robert Bugeaud): المعروف "بالدوق دي زلي"، رقي إلى رتبة ماريشال فرنسا في 31 جويلية والحاكم العام في 1843، حارب قبل مجيئه إلى الجزائر في اسبانيا، واشتهر هناك بالعنف، عين حاكما عاما على الجزائر بين 1840-1847، وهو من وقع معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر. للمزيد حول الموضوع، يراجع: علي محمد الصلابي، **كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر الجزائري**، ط1، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ص-ص 452-519.

[3] هم شعب من الشعوب الجرمانية القديمة.

[4] فرحات عباس، **ليل الاستعمار**...، مصدر سابق، ص 74.

وبذلك كانت الزراعة أول قطاع اقتصادي تمت الهيمنة عليه، وبما أن الأراضي هي محوره الأساسي، فقد كان يتم يوميا الاستيلاء على أجودها وأخصبها، وتسليمها للمسوطنين، وللعلم فقد كانت فلاحة الأرض تعيل نسبة 70% من الجزائريين، واستمرت عمليات المصادرة، ليصبح ما يقارب 93% تقريبا من الأراضي الساحلية التي تتميز بخصوبة عالية في يد المعمرين، فكان متوسط ما يملكه المستوطن الأوربي 108 هكتار مقابل 14 هكتار للجزائري، وهذا إلى غاية الاستقلال[1].

أما تربية المواشي، فقد كانت تعاني هي الأخرى من مشاكل عديدة كضيق الأراضي الرعوية التي استولى عليها المعمرون هي الأخرى، ولم يتركوا للأهالي سوى الأراضي الجبلية الجدباء، مع نقص المياه المخصصة لذلك في موسم الجفاف، وما ترتب عنه من نزوح الفلاحين إلى المدن الكبرى، بحثا عن فرص العمل وظروف معيشية أفضل[2]، وهو ما أدى إلى تراجع النشاط الرعوي بشكل كبير، وعليه فإن سلطة الاحتلال بمصادرتها للأراضي الزراعية واستحواذها على الرعوية منها لم تراعي ما كانت تمثله لهم من مصدر رزق ونشاطاتهم اليومية، وتكون بذلك قد أحدثت تغييرا كبيرا في بنية الاقتصاد الجزائري، الذي وجهت إنتاجه لخدمة مصالحها ومتطلبات اقتصادها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى دفعت بالسواد الأعظم من السكان إلى البطالة والفقر.

أما فيما يخص قطاع الصناعة، فقد حاولت فرنسا إقامة صناعة في الجزائر، إلا أنها ظلت محدودة وخفيفة، لا تزيد عن المناجم والسكك الحديدية، والمحاجر، ولعل فرنسا بذلك هدفت لإبقاء الجزائر متخلفة صناعيا خوفا من فقد اليد العاملة الرخيصة ولاعتقادها أن تطوير الصناعة سيترتب عنه إخراج الأهالي من الفقر والجهل والتخلف[3] والتبعية، وهو ما لا يتوافق مع الأهداف الاستعمارية عامة وأطماع المعمرين خاصة، الذين وصفتهم إحدى الصحف الفرنسية المحافظة بـ ((الكولون الأغنياء طغاة الجزائر))[4]، وهو الوصف الذي يعكس المكانة الاقتصادية التي أصبح يتمتع بها المعمرون في الجزائر على حساب سكان البلد الأصليين، ومن جانب آخر كانت الجزائر تزخر بالصناعات التقليدية التي تتمركز في كل أنحاء البلاد، وتتميز بالتنوع والجودة، والإقبال الكبير عليها من قبل الأهالي، لكنها عرفت تراجعا تدريجيا، ومن أهم المناطق التي كانت تعرف رواجا لها: قسنطينة، تلمسان،

[1] حسن عبد الرحمن سلوادي، **عبد الحميد بن باديس مفسرا**، م.و.ك، الجزائر، 1988، ص 18.

[2] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية** ...، ج3، مرجع سابق، ص40

[3] عبد الكريم بوصفصاف، **الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس انموذجا**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص50.

[4] **مجلة افريقيا الشمالية**، جوان 1922، ص 269-270.

بجاية .. وغيرها[1]، أما النظام الضريبي، فأقل ما يمكن القول عنه أنه لم يكن عادلا، فقد بلغت بالسلطة الاستعمارية ومستخلصي الضرائب أنهم كانوا: (يأخذون قهرا من الرجل البرنس الذي يكتسي به)[2]، وفي الوقت الذي كان المعمرون الأغنياء يدفعون ضرائب محدودة، كان الجزائريون يدفعون أنواعا مختلفة من الضرائب: كالزكاة والعشور، إضافة إلى الحراسة الليلية للغابات وأعمال السخرة المختلفة[3]، وقد أدّت هذه السياسة الضريبية إلى الزيادة في معاناة الأهالي بسبب كثرتها وارتفاع مبالغها، مما كان يجبر معظمهم في الكثير من المرات على بيع ما تبقى لهم من أرض أو مواشي من أجل تسديدها.

إن هذه السياسة الاقتصادية المنتهجة نجم عنها نتائج وخيمة على الأهالي المسلمين، منها انتشار البطالة بصورة رهيبة، التي فاقت المليون عاطل، بعد أن كان هؤلاء من قبل ملاكا زراعيين، أو عمالا أو تجارا يعيشون في ظروف أحسن، أمّا الذين كان لهم حظ العمل، فكان يوم واحد أو يومين من الشغل لا يكاد يكفي لتأمين قوت يومه، وعن التجارة، فقد انخفضت هي الأخرى بشكل كبير، وأصيبت بالكساد، حتى أصبح القنطار الواحد من الحلفاء يباع بمبلغ زهيد لا يزيد عن ثمانية فرنكات قديمة في أحسن الأحوال والظروف، في حين كان سعر الخبزة الواحدة التي تزن 600 غرام يتراوح ما بين خمسة وتسعة فرنكات قديمة[4].

ومن هنا يتضح لنا ذلك الاختلال الكبير الذي أحدثه الاحتلال الفرنسي في الاقتصاد الجزائري التقليدي، مخلّفا وضعية اقتصادية صعبة وقاسية، أبانت عن قسمين من المجتمع: قسم أول قليل العدد كثير السطوة متعطش للاستثمار والاستغلال، وقسم ثاني كثير العدد خاضع لسلطة القسم الأول يعاني من الإقصاء والتهميش.

III. 2. الوضع الاجتماعي:

III. 1.2. البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي:

كان المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني ينقسم إلى طبقات ومجموعات طائفية تتميز عن بعضها بنمط المعيشة وأسلوب الحياة، وتباين مصادر الرزق، وطبيعة علاقتها بالسلطة الحاكمة، فسكان المدن (سكان الحضر)

[1] عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 50.

[2] سعد الله، **الحركة الوطنية** ..، ج2، مرجع سابق، ص40

[3] نفسه، ص 89-90.

[4] الجيلالي صاري، محفوظ قداش، **المقاومة السياسية 1900-1954 (الطريق الإصلاحي والثوري)**، د.ط، م.و.ك، الجزائر، د.ت، ص 165.

كانوا يتكونون من عدة مجموعات طائفية ومهنية،[1] تأتي في المرتبة الأولى من حيث المكانة الاجتماعية الأقلية التركية، التي تتشكل في أغلبها من الجنود الأتراك (الإنكشارية)، ثم طبقة (الكراغلة) التي تكونت نتيجة تزاوج الجنود الأتراك بنساء جزائريات، وقدّر عددهم أوائل القرن التاسع عشر بـ (20.000)، ويشتغلون بالزراعة والتجارة والمهن الحرة وحتى في الوظائف الإدارية نتيجة العلاقة التي تربطهم بالسلطة العثمانية، ثم طبقة (الحضر) وهي الفئة التي يقطن أفرادها بالمدن، وهم من أصول أندلسية وشريفية، يزاولون التعليم والتجارة والقضاء وركوب البحر، وكان منهم العديد من الفقهاء والعلماء[2]، وتأتي المراتب الدنيا لمجموعات تسمى (البرانية) التي هاجرت إلى المدن الكبرى من مختلف الأرياف بحثا عن العمل وحياة اجتماعية أفضل، أما بالنسبة للجماعات الأجنبية، فكانت هناك الجالية اليهودية التي بلغ عددها (30.000)، يتمتع أغلب أفرادها بنفوذ اقتصادي كبير، ومجموعة الدخلاء، وتتألف من التجار الأجانب وقناصل الدول الأجنبية، وأفراد البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية والأسرى المسيحيين[3].

أما سكان الأرياف، فيمثلون غالبية سكان البلاد، إذ كانت نسبتهم تصل إلى 95% من مجموع السكان، ويتألفون من عدة جماعات ومنها: قبائل المخزن التي تمثل حلة اتصال بين الأرياف والمدن، وتقوم بمهام فلاحية وإدارية وعسكرية، وقبائل "الرعية" التي كانت تخضع لسلطة البايات عن طريق القياد والشيوخ، وغالبا ما كانت تعامل بشيء من القسوة والاضطهاد[4]، وبناءا عليه، فإننا نلاحظ أن المجتمع الجزائري كان مجتمعا طبقيا، في شكل هرمي من حيث الامتيازات والمكانة الاجتماعية، ورغم وجود طبقات مهمشة إلاّ أنه في عمومه كان هادئا ومنسجما في حين كان الاختلاف في المدن والأرياف حسب مداخيل كل مجموعة سكانية.

III. 2.2. أثر السياسة الاستعمارية على البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري:

تغير الوضع الاجتماعي في الجزائر عقب الغزو الفرنسي لأراضيها بسبب سياسة الاستيطان التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية والتي أدت إلى انقسام المجتمع إلى مجموعتين مختلفتين: المجموعة الأوربية مع الجالية اليهودية، والمجموعة الجزائرية الإسلامية.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)**، ج4، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص 87.

[2] نفسه، ص-ص 92-94.

[3] ينظر: نفسه، ص 99 وما بعدها.

[4] نفسه، ص 105 وما بعدها.

أما المجموعة الأوربية فقد كان تعدادها ينموا باستمرار، وتتغذى بالمهاجرين الأوربيين الذين كانوا يتدفقون على الجزائر، وشجعهم في ذلك التسهيلات والمساعدات السخية المقدمة لهم كالتكفل بسفرهم، وحصولهم مجانا على أخص الأراضي وأجودها التي كانت تصادرها الإدارة الاستعمارية، ليتمكنوا فيما بعد من السيطرة على اقتصاد البلاد[1]، ورغم التباين العرقي وعواطف البغض والكراهية التي كانت تسود بينهم، إلا أنهم كانوا يشتركون في نظرة الحقد والعنصرية الطافحة اتجاه الجزائريين، ولا يرون فيهم سوى سلالة مقهورة يحق لهم التصرف فيها كما يتصرفون في أملاكهم الخاصة[2]، والدليل على ذلك هو رفضهم قبول اندماج الجزائريين داخل المجتمع الفرنسي حتى أولئك الذين نجحت الكنيسة في تنصيرهم، إذ ظلوا ينظرون إليهم على أنهم مسلمون وفقط[3].

أما اليهود، فأصبحوا بموجب قانون كريميو (Cremieux)[4]، الصادر في 22 أكتوبر 1870 من المجموعة الفرنسية، بعد أن منح لهم حق التجنيس بالجنسية الفرنسية، فانتقل عددهم من (34.000) سنة 1830 إلى (130.000) سنة 1950[5]، والظاهر أن فرنسا استقطبت هؤلاء واستخدمتهم كأداة قمع إضافية لصالحها ضد الجزائريين.

أما المجموعة الجزائرية التي قدر تعدادها سنة 1830 في حدود عشرة ملايين نسمة، فقد تعرضت إلى الإبادة الجماعية من طرف جنود الاحتلال، مما عرضها للانهيار في المدينة أو الريف على السواء، ففي المدينة قضت على المكانة البرجوازية لها[6].

أما الريف فتم تفقير السكان وتجهيلهم ونفيهم إلى الجبال والفيافي والقفار، حتى تحولوا إلى بؤساء ومشردين، وقد أدت السياسة التي انتهجتها فرنسا في الجزائر إلى انتشار الأوبئة والمجاعات إضافة إلى عمليات الإبادة والتطهير العرقي، وفي هذا الصدد شهدت البلاد أواخر القرن التاسع عشر أخطر المجاعات مخلفة خسائر

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 62-63.

[2] سعد الله، **الحركة الوطنية** ..، ج2، مرجع سابق، ص27.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 64.

[4] هو إسحاق موشي كريميو (1796-1880) المعروف بأدولف كريميو، محامي وسياسي فرنسي يهودي، انتخب نائبا منذ 1848 مرارا، آخرها نائبا عن مدينة الجزائر في الجمعية الوطنية الفرنسية عام 1871، كما تولى وزارة العدل مرتين، الأولى عام 1848 والثانية في"حكومة الدفاع الوطني" التي حكمت فرنسا من 4 سبتمبر 1870 إلى فبراير 1871، أوكلت إليه خلالها إدارة شؤون الجزائر لبضعة أسابيع، أثمرت جهوده إصدار مرسوم سمي باسمه (كريميو) من قبل حكومة الدفاع الوطني بباريس في 24 أكتوبر 1870، الذي نص على تجنيس جماعي ليهود الجزائر. ينظر: بشير، بلاح، **تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989**، دار المعرفة، ج1، 2006، ص 232.

[5] عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920-1936)**، ج1، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص-ص 432-438

[6] AGERON (CH. R), **Histoire de l'Algérie** .., OP cité, p.60.

بشرية تراوحت ما بين مائتي ألف (200.000) وخمسمائة ألف (500.000) من القتلى، إضافة إلى عدد هائل من المشردين الهائمين على وجوههم للبحث عن جذور النباتات وأوراق الأشجار للغذاء، كما ورد في بعض التقارير الفرنسية[1].

وهكذا يمكن القول أن الاحتلال الفرنسي قد أحدث خللا كبيرا في تركيبة المجتمع الجزائري وفي بنيته التحتية، وأدى إلى إضعاف أدائه السياسي والعسكري في البلاد، والحد من تأثير العائلات الكبرى وتقليص نفوذها الذي كانت تتمتع به الاحتلال على جميع الأصعدة، مثلما كان عليه الأمر بالنسبة لعائلة الشيخ الحداد قادت ثورة 1871 بالشرق الجزائري، وحتى تلك التي سعت للتقرب من الإدارة الاستعمارية لاقت المصير ذاته مستعينة بالعائلات المعادية لها ضدها من خلال التشجيع المادي والمعنوي[2]، بهدف تقويض المكانة الروحية والسياسية التي كانت تتمتع بها هذه العائلات، وقد دفعت هذه الظروف بفئة هامة من الجزائريين إلى الهجرة خارج البلاد نحو الأقطار العربية والإسلامية، ونحو فرنسا وأوربا، كان لها آثار إيجابية على المستويين السياسي والفكري، إذ أدت إلى الإسراع في خلق وعي سياسي وثقافي وفكري، ستظهر ثماره بعد الح.ع.I في شكل حركات سياسية وإصلاحية[3]، وجمعيات ونوادي ثقافية، وبهذا الشكل، تكون سلطة الاحتلال الفرنسي قد قضت على ذلك الانسجام الطبقي للمجتمع الجزائري في المدن والأرياف على حد سواء، بسبب سياسة الاستيطان التي أدت إلى تفكيكه عرقيا وثقافيا واجتماعيا.

ثانيا: في المشرق العربي:

المشرق العربي[4] أو المشرق هو مصطلح جغرافي يشير إلى الجزء الشرقي من الوطن العربي، يضم منطقة الهلال الهلال الخصيب، التي تتكون بدورها في نصفها الشرقي من العراق، ونصفها الغربي من سوريا، والتي تشكل

[1] للمزيد من التفاصيل حول موضوع المجاعة، ينظر: رمضان بورغدة، "أضواء جديدة على المجاعة وتداعياتها على المجتمع الجزائري في أواخر الستينات من القرن 19م، **مجلة الحوار الفكري**، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، ع 05 أوت 2009، ص 135 وما بعدها.

[2] بشير فايد، جوانب من حياة الشيخ سي عزيز بن الحداد، **مجلة الآداب والعلوم الإجتماعية**، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، ع 04، جوان 2006، ص-ص65-76.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 67.

[4] عرف المشرق بعدة تسميات، كانت لها علاقة بالمنطقة الجغرافية المقصودة أو بجزء منها ومن ذلك:

الشرق: وهي تسمية أوروبية، امتد استعمالها من العصور القديمة حتى العصور الحديثة، عند انسحاب العثمانيين في القرن التاسع عشر.

الشرق الأدنى: وهي تسمية ظلت حتى أواخر القرن التاسع عشر ويقصد منها الجزء الجنوب الشرقي الأوروبي الذي كان تحت الحكم العثماني.

الشرق الأوسط: وهو مصطلح معاصر، شاع استعماله بعد الحرب العالمة الثانية. للمزيد ينظر: عمر عبد العزيز عمر: **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1990، ص-ص 9-11.

بدورها وحدة جغرافية طبيعية[1]، تضم كيانات سياسية (الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان)، وقد أطلق عليه هذه التسمية –سورية– تميزا له عن شبه الجزيرة العربية، وتتميز هذه المنطقة بوفرة مياهها وتربتها الخصبة، وقد عرفها العرب قديما باسم أرض (بلاد الشام)، وسماها التجار الأوروبيون Le Levant (الليفانت)، وظلت تعرف لقرون عديدة باسم سورية، إلى أن زالت وحدتها بعد الحرب العالمية الأولى[2]، إلى جانب ذلك توجد شبه الجزيرة العربية، بحدود غربية مطلة على البحر الأحمر، وجنوبية على بحر العرب، وقسم منه على المحيط الهندي، وحدود شرقية على بحر عمان وخليج البصرة[3]، وتعتبر شبه الجزيرة العربية مهد العروبة والإسلام، ويضيف البعض أحيانا مصر والسودان، ويشار هنا أن مصر تتخذ مكانا متوسطا جغرافيا ما بين المشرق والمغرب العربيين، إلاّ أنها تعتبر أقرب إلى المشرق بسبب الروابط التاريخية والجغرافية بينها وبين بلاد الشام منذ عهد الفراعنة، حيث كانت تعتبر منطقة متحدة الحكم معظم تلك الفترة.

والمشرق عموما، هو أرض الرسالات والحضارات المتعاقبة، وقد لعب على مدى العصور دورا هاما في تاريخ الحضارة الإنسانية، وكان موضع اهتمام الغرب ومرمى أطماعه في العصر الحديث، الأمر الذي جعله يشهد تغيرات كان لها الأثر البين على الحياة الاجتماعية والثقافية لشعوبه.

I. الأوضاع السياسية:

شهد المشرق العربي مع مطلع القرن العشرين أحداثا خطيرة، تغيرت معها الخريطة السياسية للمنطقة، وهو ما سنفصله بعرضنا للتطورات السياسية التي عرفها المشرق في هذه الفترة، ومن ذلك مسألة الاتجاهات والتيارات السياسية التي برزت في المنطقة، والسياسة العثمانية وما أثارته من نفور النخبة العربية، إلى جانب المد الاستعماري وتداعياته على المشرق، والقضية الفلسطينية كجزء من العلاقة العدائية بين العرب والغرب.

I. 1. التيارات السياسية في المشرق العربي:

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهدت منطقة المشرق العربي ظهور اتجاهات سياسية متباينة، تنوعت برامجها واختلفت مبادئها، لكن أهدافها العامة كانت تصب في مصلحة الأمة العربية والإسلامية، خاصة بعد حالة التدهور الكبير الذي وصلت إليه الدولة العثمانية في ظل الأطماع الأوربية الرامية إلى القضاء عليها واقتسام مناطق النفوذ بها، وعليه باتت مسألة علاقة العرب بالأتراك وموقفهم من الأحداث تواجه المفكرين العرب، وعليه ظهرت عدة تيارات أهمها:

[1] زاهية قدورة: **تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة للطباعة العربية، بيروت، 1985، ص9.

[2] عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص13.

[3] زاهية قدورة: المرجع السابق، ص10.

I. 1.1. تيار الجامعة الإسلامية:

ظهر هذا التيار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي بهدف مواجهة الاستعمار الغربي الذي بات يكيد الدسائس والفتن للانقضاض على الدولة العثمانية؛ فالتدخلات الغربية في المنطقة كانت أحد المؤشرات الهامة لظهور فكرة الجامعة الإسلامية، وكان أشهر دعاة هذا التيار وقادته الشيخ جمال الدين الأفغاني، الذي كان صاحب المبادرة لإنشاء الجامعة منذ 1857 بإنشائه (جمعية أم القرى) بمكة، وضمت أعضاء من مختلف الأقطار الإسلامية، وأصدر مجلة فيما بعد تحمل اسمها، وتابع الدعوة للفكرة في الهند وتركيا وفرنسا التي أنشأ بها (جمعية العروة الوثقى) بباريس[1]، وقد وجدت هذه الدعوة إقبالا وتجاوبا كبيرا من معظم الأقطار العربية بسبب عداء الدول الأوربية للدولة العثمانية الإسلامية، فكسبت دعم المسلمين كونهم محافظين على ولائهم الخالص والمتين لإخوانهم، كما وجدت هذه الدعوة ارتياحا لدى الحكام العثمانيين، فحاولوا احتضان الأفغاني ودعوته[2]، فدعموا تلامذته مثل محمد عبده، وعبد الله النديم وغيرهم من المفكرين، أما مضامين الجامعة الإسلامية، فتهدف منذ نشأتها إلى محاربة الاستعمار والدفاع عن وحدة المسلمين، كما عملت على إصلاح أحوالهم[3]، لذلك فقد قامت هذه الدعوة على المبادئ التالية:

– اعتبار الوازع الديني عند المسلمين الأساس في معركتهم ضد الاستعمار الغربي، فقد جاء في مجلة العروة الوثقى في مقال بعنوان: الجنسية والديانة الإسلامية ما يلي: "... وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدسة الإلهية ... وكل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة فهي ممقوتة على لسان الشارع المعتمد عليها مذموم، والمتعصب لها ملوم ..."[4].

– الوحدة الإسلامية هي الطريق الوحيد لمقاومة الغزو الأوربي الغربي، فالدول الغربية تقيم التحالفات فيما بينها لاقتسام أوطان المسلمين، وتدمير عقيدتهم، وهذا يستدعي تحالفا دفاعيا بين مسلمي العالم من أجل حماية استقلالهم، فليس المهم خضوع المسلمين جميعا لملك واحد، وإنما يجب على الدول الإسلامية أن تأخذ بالقرآن دستورا لها، وتلتزم بالشورى والعدل.

---

[1] علي المحافظة، مرجع سابق، ص 110.

[2] محمد الفاضل عاشور، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، معهد الدراسات العالمية، القاهرة، مصر، 1956، ص 100.

[3] منذر معاليقي، **معالم الفكر العربي في عصر النهضة**، دار إقرأ، بيروت، لبنان، 1986، ص 218.

[4] محمد عمارة، **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت، ص 94.

– بعث الهمة في نفوس المسلمين ودفعهم لمقاومة الاحتلال الأجنبي، والثورة على الاضطهاد، وذلك بإعادة الثقة إلى نفوسهم أولا بعد أن أصابها الضعف والتخاذل، كما كانت الجامعة تدعوا إلى ضرورة إدخال إصلاحات للدول الإسلامية في جميع الميادين.

واستمرت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908، واستلام الاتحاديين للسلطة، ولم يتخل عنها حكام الدولة العثمانية الجدد، بل اعتمدوا عليها في صراعهم مع الدول الأوربية الراغبة في اقتسام تركة الرجل المريض – حسب تعبيرهم–، والحقيقة أن الدعوة ضعفت بعد وفاة جمال الدين الأفغاني، أخذت اتجاهات مختلفة، فهي بالنسبة للمصري "مصطفى كامل" مجرد دعم وتأييد للدولة العثمانية، وأصبحت في أذهان آخرين دعوة لتحقيق وحدة المسلمين الدينية، وأن هدفها نشر الأفكار الدينية بين الناس[1].

وقد عقدت عدة مؤتمرات باسمها، أولها عام 1911 لمناقشة مشاكل العالم الإسلامي، منها مؤتمري الإسكندرية وأزمير، وتكونت على إثرهما جمعيات دينية جديدة، كجمعية الأخوة الدينية، وجمعية الدعوة والإرشاد ...، كما تولت العديد من الصحف مهمة الدعوة للجامعة الإسلامية منها (مجلة الصراط المستقيم) في الآستانة، و(مجلة العالم الإسلامي) في القاهرة، و(مجلة الهلال) في باكو[2] ...، وغيرها، ومهما قيل في حركة الجامعة الإسلامية واختلاف اتجاهاتها، فإن ما تضمنته من أهداف ومبادئ كانت لصالح العالم الإسلامي، ومحاولة للنهوض به وإعطائه موقفا سياسيا منفردا، كما أن أفكارها فتحت الآفاق لسياسات مستقبلية، خاصة بعد الح.ع.I.

I. 2.1. تيار الرابطة العثمانية:

كانت الدولة العثمانية تمثل الخلافة الإسلامية في نظر العرب والمسلمين، لذلك تمسك بها معظم المفكرين العرب خلال القرن التاسع عشر فيما يعرف بالرابطة العثمانية، وقد ظهر هذا التيار بشكل واضح في مصر بعد الاحتلال البريطاني لها عام 1882، وكان على رأس هذا التيار مصطفى كامل[3] والحزب الوطني، إذ دعا لضرورة التمسك بالرابطة العثمانية والدفاع عن السلطنة في صراعها مع الدول الأوربية الراغبة في القضاء عليها، حيث

[1] ينظر: علي المحافظة، المرجع السابق، ص–ص 112–116

[2] نفسه، ص 117.

[1] مصطفى كامل (1874–1908)، زعيم سياسي وكاتب مصري، أسس الحزب الوطني وجريدة اللواء، كان من أكبر المناهضين للاستعمار وعرف بدوره الكبير في مجالات النهضة مثل نشر التعليم وإنشاء الجامعة الوطنية. ينظر: عبد الرحمن الرافعي، **مصطفى كامل**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984، ص 45.

قال في مقدمة كتابه (المسألة الشرقية) الصادر عام 1898: ".. وإنني أضرع إلى الله فاطر السماوات والأرض من فؤاد مخلص وقلب صادق أن يهب الدولة العلية القوة الأبدية والنصر السرمدي ليعيش العثمانيون والمسلمون مدى الدهر في سؤدد ورفعة[1]، كما اعتبر مصطفى كامل بقاء الدولة العثمانية واستمرارها ضرورة للمجتمع الدولي والنوع البشري، فهو يقول في ذات المصدر: ".. ولكن الحقيقة هي أن بقاء الدولة العلية ضروري للنوع البشري، وأن بقاءها سلامة لأمم الغرب والشرق ..."[2].

وذهب محمد فريد بك، خليفة مصطفى كامل في زعامة الحزب الوطني لأبعد من ذلك في تمجيد آل عثمان، واعتبر أن السلطة العثمانية قد جمعت لقرون عديدة شمل المسلمين من كل الأقطار والأجناس، ووجب الحفاظ عليها والوقوف ضد كل من يعاديها، أما أحمد عرابي باشا فيعتبر الخروج عن الدولة العثمانية تدميرا للإسلام وخروجا عن طاعة الله ورسوله، وهو نفسه الذي ذهب إليه محمد عبده الذي اعتبر الولاء للدولة العثمانية والمحافظة على كيانها هو جزء من العقيدة الإسلامية وركنا من أركانها[3].

I. 3.1. تيار الوطنية الإقليمية:

قام هذا التيار على فكرة تمجيد الوطن (مصر) وتقديمه على القيم الدينية، فكانت الفكرة حديثة لم يألفها الفكر العربي والتي حملتها المؤثرات الأوربية أثناء الحملة الفرنسية على مصر، وبعثات محمد علي الخارجية، وكان رفاعة الطهطاوي أول من تغنى بأمجاد مصر القديمة[4]، ودعا المصريين للتخلص من تعصبهم الديني وإفشاء التسامح بين المسلمين والأقباط من أبناء مصر.

وأصبحت فكرة الطهطاوي دعوة شعبية وشعارا رفعه الساسة والمفكرين باسم مصر للمصريين كسليم النقاش وأديب إسحاق الذي كتب في جريدة (مصر الفتاة) الصادرة في الإسكندرية سنة 1879: ".. يا أيتها الأمة المصرية، انهضي من عثرة الغفلة وانظري إلى الذين نالوا السعادة، فإنك أهل لأعظم المواهب.."، وتعزز

[1] مصطفى كامل، **المسألة الشرقية**، (د.ن)، القاهرة، مصر، 1898، ص 02.

[2] نفسه، ص 15.

[3] علي المحافظة، مرجع سابق، ص 119.

[4] ومن ذلك ما جاء في كتابه: "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية" الذي صدر سنة 1869، حين قال: " ... فقد أجمع المؤرخون على أن مصر دون غيرها من الممالك عظم تمدنها، وبلغ أهلها درجة عليا من الفنون والمنافع العمومية، فكيف لا وأن آثار التمدن وأمارته وعلاماته مكثت بمصر نحو ثلاثة وأربعين قرنا، يشاهدها الوارد والمتردد .. فجميع المباني تدل على عظم ملوكها وسلاطينها هي من أقوى دلائل العظمة الملوكية وبراهينها ..". ينظر: علي المحافظة، مرجع سابق، ص 121-122.

التيار الوطني في مصر بعد الاحتلال البريطاني سنة 1882، فكانت مقاومة الأجنبي الغربي عاملا أساسيا في تطوير الروح القومية في مصر وتغذيته وتنميته[1]، بينما نمت القومية العربية وتطورت في ظروف مختلفة.

وقد شهدت القومية الإقليمية المصرية زخما فكريا كبيرا، ضم إليه العديد من الاتجاهات التي تزاحمت فيما بينها إلى درجة الخصومة في تحديدها لمصرية مصر أو بتعبير آخر الوطنية المصرية، فذهب فريق إلى أن لا تناقض بين الجمع بين الرابطة الدينية والرابطة الوطنية، وتزعم هذه الرؤية مصطفى كامل وحزبه الوطني، ورأى أن الانتساب إلى الرابطة الدينية التي تمثلها السلطة العثمانية لا يتنافى مع الوطنية المصرية، وحدد العلاقة بينهما وحصرها في علاقة التضامن لما سبق الإشارة إليه في الرابطة العثمانية، أما الفريق الثاني فرأى أن الرابطة الدينية تناقض الوطنية، وتحد من قوتها واتحاد العناصر المكونة لمصر، فالمصلحة المشتركة تقتضي التفاف كل الطوائف حول الخديوي، بما في ذلك المسلمين والأقباط واليهود لمواجهة الخطر الأجنبي (البريطاني)؛ لأن مصر للمصريين لا للأتراك أو الأوربيين، فكانت جريدة (المقطم) و(الجريدة) أفضل من مثل هذا الاتجاه الذي تجلى في كتابات لطفي السيد وعبد الله النديم.

وأفرزت هذه الثنائية اتجاه طائفي مستقل، وهو دعوة بعض المثقفين المصريين لمطالب تخص الأقلية القبطية بمصر، ومحاولة خلق كيان خاص بهم وتأصيل قضيتهم على أنهم السكان الأصليون وكونهم يمثلون الفراعنة، وتصدرت (صحيفة الوطن) (1877) لصاحبها مخائيل عبد المسيح، وصحيفة مصر (1895) لتاديس شنودة، إضافة إلى الجمعيات التي مثلت هذا الاتجاه على غرار (جمعية الإصلاح القبطية)[2]، إلا أن دعوات الأقلية القبطية كانت متناقضة في مسلكها ومنهجها للوطنية ومتعارضة مع مبادئها الوحدوية.

I. 4.1. تيار القومية العربية:

بدأت اليقظة القومية عند العرب مع بداية النهضة الفكرية، وكانت بلاد الشام المهد الأول لها، فقد عاشت المنطقة وضعية استبدادية عثمانية، وكان نموها في هذه البيئة حتمية طبيعية لسياسة الكبت والتغاضي عن إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فقد اصطدم المفكرون العرب في هذه المرحلة بالاستبداد وتعاظم العنصر التركي المعادي لكل الأجناس المنضوية تحت لواء الإمبراطورية العثمانية، وجسدته جمعية الاتحاد والترقي

[1] هشام شرابي، **المثقفون العرب والغرب**، ط2، دار النهار للنشر، بيروت، 1981، ص 113.
[2] علي المحافظة، مرجع سابق، ص 127-128.

بميولها الطورانية[1]، كما كانت للمؤثرات الأجنبية دورا هاما في نموها وانتشارها، فكانت تمثل تعبيرا ووعيا عربيا بكيانهم، تجلت أبعاده السياسية في مطلع القرن العشرين، لكن قبل ذلك وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، لم يولّد الحكم العثماني الشعور القومي بشكل ظاهر وملموس، فلقد اندمج الشاميون الخاضعون لهذا الحكم في الحركات العامة للإمبراطورية العثمانية.

هذا وتبلور الفكر القومي العربي في بدايته كحركة أدبية ونهضة لغوية عبر الجرائد والمؤلفات والروايات والمسرح .. هدفها الأول إحياء اللغة والآداب العربية، ممثلة في جهود فرنسيس فتح الله، وأمين الشميل، وبطرس البستاني، وناصيف اليازجي، ويعقوب صروف ..، وهم من مسيحيي الشام، كما تم إنشاء العديد من الجمعيات الثقافية بأبعادها العلمية والأدبية[2]، كالجمعية السورية لاكتساب العلوم والفنون (1847) في بيروت، والجمعية المشرقية (1850)، التي كان من أبرز أعضائها مارون النقاش رائد التمثيل في المشرق العربي، والجمعية العلمية السورية (1857)، ومنذ عام 1870 تساءل سليم البستاني[3] حول اتحاد العرب وعزمهم ونجاحهم ؟ وأجاب عن ذلك قائلا: ".. لا بد أن يرجع بنا الزمن إلى الأفق الذي حجبته عنا غيوم السياسة ودفعتنا عنه صواعق القوة والانشقاق...".

وعلى نمط القوميات العالمية، لعبت الصحافة القومية العربية دورا في إحياء اللغة العربية وآدابها على غرار (حديقة الأخبار) لخليل خوري (1858) ببيروت، و(الجوانب) لفارس الشدياق في الآستانة (1861)، و(الجنان) لبطرس البستاني، و(المقتطف) لفارس نمر (1876)، و(المقطم) ليعقوب صروف (1888)، و(الهلال) لجرجي زيدان، و(الضياء) لإبراهيم اليازجي، والمعروف أن جل القوميات تنطلق في مرحلتها الجنينية بحركة أدبية، ثم تتطلع إلى مطالب سياسية انفصالية، لذلك ركزت حركة القومية العربية في البداية على عامل

[1] الطورانية: نسبة إلى جبال طوران بتركيا، وهو اتجاه يدعوا لإحياء أمجاد الأتراك الأوائل وربط الأتراك المحدثين بتراثهم الحضاري القديم، وإلى تخليص الفكر التركي وآدابه من المؤثرات الفارسية والعربية، وبتأسيس الأكاديمية التركية 1913) خلقت صلة دائمة بين الأتراك في الإمبراطورية العثمانية وخارجها، كما تقوم الطورانية على تمجيد العنصر التركي وسيادته في الدولة العثمانية، وقد جسدتها جمعية الإتحاد والترقي وخاصة في أعمال جمال باشا الإجرامية في حق العرب. نقلا عن: عايدة حباطي، **التيارات الفكرية في المشرق**، مرجع سابق، هامش ص 314.

[2] عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي**، مرجع سابق، ص 423.

[3] سليم البستاني (1848-1884): صحفي وباحث لبناني، جعل ترجمانا في دار الإعتماد الأمريكية ببيروت، ساعد والده –بطرس البستاني- في إنشاء جريدة (الجنان) ثم (الجنة)، وساهم في تحرير دائرة المعارف التي أصدرها والده ، وألف روايات منها (الإسكندر – قيس وليلى – الهيام في جنة الشام – زنوبيا ..)، كان سريع الخاطر، قليل النوم، انتخب عضوا في بلدية بيروت وفي المجمع العلمي الشرقي. توفي في بوارج "من قرى لبنان". ينظر: دار العلم للملايين، ط15، ج3، بيروت، 2002، ص116. وكذلك: أدهم الجندي، تحفة الزمن بترتيب تراجم أعلام الأدب والفن، ط1، دار المقتبس، مج2، بيروت، 2015، ص-ص 373-375.

ثابت يوحد كل العرب، وهو عامل اللغة، وانتقلت تدريجيا نحو العمل السياسي بإنشاء جمعيات سرية بمطالب انفصالية استقلالية عن الدولة العثمانية، والتي نددت بالحكم التركي، وطالبت باستقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية، على غرار جمعية بيروت السرية (1875) التي انحصرت مطالبها السياسية في:

1- استقلال سورية واتحادها بالمقابل مع لبنان.

2- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد.

3- إلغاء الرقابة والقيود الأخرى المفروضة على الحرية ونشر المعرفة.

4- جعل الخدمة العسكرية محلية[1].

وتشكلت جمعية سرية أخرى عام 1881، وهي (جمعية حقوق الملة العربية) من مثقفين عرب من بيروت ودمشق وطرابلس الشرق وصيدا، وكانت تنادي بالوحدة الإسلامية المسيحية ضمن الإطار القومي العربي، وحثّت العرب على الاتحاد والتمرد على السلطان العثماني[2]، وكان بإمكان هذه المطالب التي تعبر عن برنامج سياسي أن تتطور إلى ثورة، وقد كانت هذه المطالب هي نفسها التي تقيدت بها سائر الجمعيات القومية العربية، والتي التزم جلها السرية، إلى جانب الاستمرارية والعمل، ومع الإصلاحات التي حملها دستور (1908)، استطاعت الحركة القومية أن تأخذ راحة مستقطعة، سماها "جورج أنطنيوس" شهر عسل[3]، لاعتقاد القوميين أنها كفيلة بتحسين أحوالهم على أساس من المساواة مع إخوانهم الأتراك، وغيرهم من الجنسيات العرقية التي تعيش تحت المظلة العثمانية، وفي هذه الفترة حدث في البداية تقارب بين العنصرين العربي والتركي، واندفع أغلب العرب وراء جمعية الاتحاد والترقي وشاركوا في الانتخابات النيابية، وأسسوا جمعية الإخاء العربي العثماني في الآستانة (سبتمبر 1908)، لكن جماعة الاتحاد والترقي الطورانية سنت قانون (1909) وعادت الممارسة الاستبدادية معها، ومنع العرب من إنشاء الجمعيات وتم إلغاء الدستور ... ما أحدث خيبة أمل لدى العرب[4]، فجددوا عهدهم بالجمعيات السرية والعلنية، كجمعية " المنتدى الأدبي" في الآستانة (1909) التي أسسها عبد الكريم

---

[1] علي المحافظة، المرجع السابق، ص 129.

[2] محمد عزة دروزة، **نشأة الحركة العربية الحديثة**، منشورات المطبعة العصرية، صيدا، لبنان، 1971، ص 90.

[3] جورج أنطنيوس، **يقظة العرب**، مرجع سابق، ص 173.

[4] يقول الشاعر سليمان التاجي في أبيات خاطب فيها السلطان عبد الحميد بقوله:

العرب لا شقيت في عهدك العرب — سيوف ملكك والأقلام والكتب

كنا نعلـــــل بالدستور أنفســـنا — بفارغ الصبر ذاك اليوم نرتقـــب

حتى جـــــاء لم يحدث لنا حدث — ولا استجيب لنا في مطلب طلب

ينظر: علي المحافظة، المرجع السابق، ص 137.

الخليل وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ..، كان هدفها خلق روح التعارف بين العرب وإحياء عاطفة الأخوة والتعاون بينهم، إلى جانب الكتلة النيابية العربية (1911) التي أنشأت من النواب العرب في (مجلس المبعوثان) العثماني، وحزب اللامركزية الإداري العثماني (1912) الذي أنشأه رفيق العظم في مصر بدعم من بريطانيا، وجمعية العلم الأخضر (1912) في الآستانة، وجمعيات أخرى التزمت السرية في العمل كالجمعية القحطانية (1909) المشكلة من ضباط عرب و(جمعية الجامعة العربية) (1910) لرشيد رضا، و(جمعية العربية الفتاة)، التي سنة (1911) في باريس، وأغلب أعضائها كانوا ضمن أولئك الذين تم إعدامهم أثناء الح.I[1].

I. 2. التواجد العثماني في المشرق العربي و انعكاساته على المنطقة:

I. 1.2. السياسة العثمانية في المشرق العربي:

لعبت الدولة العثمانية دورا بارزا في تاريخ المشرق العربي، فباسم الدين ردّ العثمانيون الخطر الداهم على العالم الإسلامي من البرتغال والزحف الإيراني الصفوي، وسيطر آل عثمان على بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن وكامل المشرق، بحيث أصبح للسلطان الحق في تعين باشا على كل ولاية، كما هو الحال في بلاد المغرب، وبذلك استكمل العثمانيون بسط نفوذهم على كامل البلاد العربية، واستمر الوضع كذلك قرونا أربعة.

وقد تميزت فترة الحكم العثماني للمشرق العربي، بكثير من المزايا، إذ حالت قوتهم دون احتلال ممرات الشرق في القسطنطينية والسويس والشام والبصرة وجنوب الجزيرة العربية، ودون استغلال المنطقة اقتصاديا، بامتداد نطاق الإمبراطوريات الغربية على حساب العالم العربي في وقت مبكر، كما أفضى الوجود العثماني إلى وحدة سياسية، ساعدت على الاستقرار النسبي افتقدته المنطقة منذ القرن الثاني عشر ميلادي[2]، بسقوط الدولة العباسية، فنال بذلك استحسان ورضا أهل المنطقة، إلا أن الرضا تحول إلى نقمة في العصر الحديث، واعتبر أهل المشرق التواجد العثماني غزوا واستعمارا، زاد المنطقة تخلفا وركودا، وأنه أحاط المنطقة بسياج عزل، حال دون اتصاله بالتقدم الذي حرر أوربا، وشهدت معه شعوبها تطورا فكريا وسياسيا واقتصاديا، إضافة إلى تجاهل العثمانيين لدور المشرق، ومركزه الاستراتيجي والحضاري، أين كان لقرون عديدة منطقة تفاعل وتجاوب حضاري[3]، ومما زاد في شعور أهل المشرق بالغبن والظلم استبداد الحكام الأتراك إلى جانب الإقطاع والتأخر

[1] علي المحافظة، المرجع السابق، ص 135 وما بعدها

[2] عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق، (1516–1922)**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996، ص28.

[3] عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق، ص28.

الاقتصادي في الزراعة والصناعة والتجارة، وإرهاق العرب بالضرائب، كما كان لسياسية التتريك وعدم تعريب مؤسسات الدولة، ورفض اعتبار اللغة العربية لغة رسمية، أثره في نفوس أهل المشرق[1]، وبالموازاة مع ذلك، تضاعف الشعور بالظلم الاجتماعي، عدم اهتمام العثمانيين بالتعليم والصحة العامة وغيرها من الخدمات الاجتماعية[2].

وقد رسم "أحمد أمين" صورة عن هذا الوضع بقوله: "مركز الخلافة – وهو الآستانة- مفكك منحل والولايات من مصر والشام والعراق والحجاز متدهورة متضعضعة، قد أمات نفسها توالي الاستبداد عليها.. والسياسة فيها نزاع مستمر بين الأمراء...حتى أصبح اسم الحكومة، الوالي والجندي مرعبا مفزعا مقرونا في النفس بمعنى الظلم والتعسف...، وعلى الجملة فقد كان العالم الإسلامي – إذ ذاك- شيخا هرما حطمته الحوادث، وأنهكه ما أصابه من كوارث، فساد نظام واستبداد حكام، وفوضى أحكام وخمود عام واستسلام للقضاء والقدر..."[3].

I. 2.2. الامتداد القومي العربي وتجسده في ثورة الشريف حسين:

تعمق نفور أهل المشرق أكثر من الحكم العثماني ورفضهم له، واكتسب صفة القومية العربية[4] الانفصالية، التي ظهرت بشكلها الأدبي الرومانتيكي في البداية كحركة أدبية سعى أصحابها لإحياء اللغة العربية وآدابها القديمة، إلى جانب إحياء التراث الفكري العربي، كما تجدر الإشارة إلى أن القومية العربية خصت في البداية مسيحي سوريا، دون مسلميها[5]، فضمت إليها الشبان والطلبة والموظفين الصغار والصحفيين والمثقفين في مقتبل العمر، تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والثلاثين.

---

[1] فهمي جدعان: **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص100-101.

[2] عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص29. وينظر أيضا: محمد أسعد طلس: **تاريخ الأمة العربية، عصر الانبعاث**، دار الأندلس، بيروت، 1963، ص65.

[3] أحمد أمين: **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، دار الكتاب، العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص7-8.

[4] ظهور القومية العربية هو امتداد للفكر القومي الأوروبي، الذي ظهر في القرن الثامن عشر بعد الثورة الفرنسية، ولكن بأثر محدود، تجدد بعد فوز الفتيان الأتراك، عقب الحركة الانقلابية على سلطان عبد الحميد في أوائل القرن العشرين، ودعواتهم التتريكية، ينظر: أمين سعيد: **الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، مج 1، (النضال بين العرب والترك)، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت)، ص9-10.

[5] يرى بعض المؤرخين، أنا السبب الحقيقي وراء دعوة المسيحيين للقومية، وانفصالهم عن العثمانيين، يرجع في الأساس إلى بعض المقولات والنعوت التي جعلت العربي المسيحي في حالة غضب وسخط، كالعبارة القائلة: "إن التركي فوق المسلم والمسلم فوق المسيحي"، كما نعت العرب بأوصاف تحقيرية أصبحت دارجة على لسان الأتراك، من قبيل الأمثال الشعبية كقولهم: "ديلنجى عرب: العرب الشحاذين، ولفظة عرب: الرقيق والحيوان =الأسود، ويس عرب: عربي قذر، عرب عقل: عقل عربي، أي صغير، عرب طبيعتى: ذوق عربي، أي فاسد، وقابل العربي بدوره هذه الشتائم التصغيرية

كما أن الفكر القومي استقطب إليه النخبة المثقفة، دون عامة الشعب، وهو ما أكده جورج أنطنيوس في قوله: "ورفع لواء هذه الفكرة نفر من المسيحيين والمسلمين العرب على السواء، غير أنها لم تجد آذانا صاغية عند سواد الشعب، لفقدان الوعي القومي، حتى عندما حاول الاتحاديون أن يفرضوا برنامجهم الطوراني على العرب مسلمين كانوا أو مسيحيين وبقي هنالك تمسك ظاهر بالعروة الإسلامية، حتى بعد تنكيل جمال باشا بالزعماء العرب، وبعد إعلان حسين بن علي ثورته الكبرى..."[1].

هذا ولم تعرف القومية العربية في البداية انتشارا جغرافيا واسعا، فقد انحصرت في نطاق ضيق، ضم بلاد الشام والعراق، فيما ظل باقي المشرق معزولا عن هذه الحركة على غرار مصر، فيما حافظ اليمن على ولائه للدولة العثمانية، بينما لم تشهد شبه الجزيرة العربية بوادر للبعث العربي في هذه الفترة، ولم ينضم الشريف حسين بن علي (1853-1931) في الحجاز إلى هذه الحركة، إلا بعد الح.ع.I، بإعلانه الثورة العربية، وهي الثورة التي جاهر فيها هذا الأخير، وبمعيته قوميو العرب، الذين أبدوا رغبتهم الفعلية في الانفصال عن الأتراك، بقيادة أمير مكة – الشريف حسين- وتأييد بريطانيا، وكانت من وراء ثورة هؤلاء جملة أسباب، نجملها في الآتي:

1. سيطرت الاتحاديين على الحكم، فبعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909، الذي عرف بتقربها من العرب، انساقت الدولة العثمانية نحو العنصرية تجاه الأجناس غير التركية، خاصة العرب منهم، فتحولت الدولة العثمانية من سلطة يشترك في تسييرها أجناس مختلفة، إلى طورانية تركية خالصة متعصبة لجنسها[2]، تقوم على سياسة تتريك[3] الشعوب غير التركية.

والتحقيرية، بأخرى لا تقل عن تلك التي وصفوا بها، كقولهم عن الأتراك: "ثلاثة خلقن للجور والفساد، القمل والترك والجراد، ينظر: عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص424، ومحمد عمارة: **تيارات الفكر الإسلامي**، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص318.

[1] جورج أنطونيوس: **يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية**، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص21.

[2] أمين سعيد: **الثورة العربية الكبرى** ..، مج1، المرجع السابق، ص13.

[3] وهي السياسة التي دعت إليها جمعية الاتحاد والترقي، واختصرت في الدعوة للقومية الطورانية التركية، بفرضها اللغة التركية على المدارس الحكومية، وفي الدواوين وأثناء المحاكمات، سياسة مركزية الحكم، توجيه الانتخابات البرلمانية، بترجيح كفة العنصر التركي على حساب باقي الأجناس، ينظر: عمر عبد العزيز عمر: **تاريخ المشرق**..، مرجع سابق، ص430.

2. اتصال بعض القوميين بفيصل بن الشريف حسين سرا مع أعضاء من جمعيتي الفتاة[1] والعهد[2]، للبحث عن حلول تنقذهم من قبضة جمال باشا[3]، الذي فتك بكثير من رجال الغرب، وأبدت الجمعيتان استعدادهما لمساندة أي عمل يفصلهم عن حكم الأتراك، يقيم للعرب بدل ذلك دولة عربية مستقلة[4].

3. المساندة البريطانية للثورة تجسدت في اعترافها باستقلال دولة الشريف حسين[5]، وحمايتها وإمدادها بالمال والسلاح، وكانت لبريطانيا دوافع كثيرة في ذلك، وهي ولا شك دوافع استراتيجية تخدم مصالحها أولا، ومن ذلك نذكر:

– رغبة بريطانيا في فصل الجزء الممتد من حيفا وعكا على البحر المتوسط، حتى الخليج العربي على البحر الأحمر عن الدولة العثمانية، ووضعه تحت الحماية البريطانية، فتضمن بذلك امتداد نفوذها من مصر إلى الخليج العربي[6]، خاصة عدن التي احتلتها مبكرا.

---

[1] جمعية العربية الفتاة: تأسست في باريس على يد ثلاثة طلاب عربوهم(أحمد قدري، عربي عبد الهادي، رستم حيدر) سنة 1911، تميز نشاطها بالسرية الشديدة، سطرت لنفسها أهدافا قبل الحرب العالمية الأولى، بجعل الأمة العربية تنهض إلى مصاف الأمم الحية مع عدم الانفصال عن الترك، وكان عدد من أعضائها ضمن الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا، ينظر: أمين سعيد: المصدر السابق، مج1، ص17، وعلى المحافظة: مرجع سابق، ص142.

[2] جمعية العهد: جمعية سرية، أسسها الضابط العربي عزيز علي المصري مع مجموعة من الضباط في الآستانة سنة 1913، سطرت لنفسها مجموعة من الأهداف والمطالب، أهمها السعي إلى الاستقلال الداخلي لبلاد العرب عن الدولة العثمانية، وتكون متحدة معها اتحاد هنغاريا مع النمسا، الإبقاء على الخلافة الإسلامية وديعة في أيدي آل عثمان، وأن يكون العرب قوة احتياطية تدعم العثمانيين في دفاعهم عن الشرق ضد الغزو الغربي، وتم حلها سنة 1914، بعد اكتشاف أمرها، وتعرف أعضائها للسجن والإبعاد، وإعدام بعضهم الآخر 1916، ينظر: أمين سعيد: المصدر السابق، مج1، ص51-53.

[3] أحمد جمال باشا (1872-1922): عسكري سياسي، وأحد الباشوات الثلاث (أنور وطلعت وجمال)، الذين تزعموا تركيا الفتاة، وجمعية الاتحاد والترقي التي انضم إليها منذ 1906، وكان من بين الذين أطاحوا بالسلطان عبد الحميد الثاني في 21 جويلية 1908، تولى العديد من المناصب، كحاكم عسكري ووالي، شارك (1912-1913) في حروب البلقان، ثم وزيرا للحربية 1914، وقائدا للجيش الرابع، وحاكما عاما على سوريا وفلسطين والحجاز (1914-1917)، عرف باستبداده وتشدده اتجاه العناصر غير التركية، خاصة العرب، إذ أقدم على إعدام عدد كبير من الشخصيات العربية في بلاد الشام (1915-1916)، بعد محاكمتهم محاكمات عرفية صورية، فلقب على إثرها بالسفاح، ينظر: جورج أنطونيوس: **يقظة العرب**، مرجع سابق، ص233 وما بعدها، وعزيزة فوال بابتي: **موسوعة الأعلام، العرب والمسلمين والعالمين**، ج2، ص88.

[4] أمين سعيد، الثورة العربية..، مج1، المرجع السابق، ص11-13.

[5] امتدت حدود الدولة التي رغب الشريف حسين إقامتها، حسب ما حددها بروتكول دمشق (ميثاق دمشق)، الذي عقده الأمير فيصل مع أعضاء المنظمتين السريتين (الفتاة والعهد) بتاريخ مارس 1915، واعتبر بيانه شروطا يجب على بريطانيا قبولها، تمتد حدود البلاد العربية من خط مرسين، أضنة حتى درجة 37 شمالا، وعلى امتداد خط بريجيك أورفة –ماردين– مديان– جزيرة ابن عمر–عمادية حتى حدود فارس، وشرقا من الحدود الفارسية حتى خليج فارس، وشرقا من الحدود الفارسية حتى خليج فارس، وجنوبا المحيط الهندي ما عدا عدن، وغربا البحر الأحمر والمتوسط حتى مرسين، ينظر: عبد العظيم رمضان، **الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة**، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص242.

[6] عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي**، مرجع سابق، ص449.

– إضعاف القوة العثمانية بتشتيتها، على جبهات قتالية أخرى، تدفع الباب العالي لتوزيع جزء من جيشه في المشرق العربي، لإخماد هذه الثورة، مما يحول دون المشاركة الفعالة على جبهات القتال الرئيسية خاصة الجبهة الروسية.

– قطع الطريق أمام الامتداد الاستعماري لألمانيا نحو شرق إفريقيا، التي حاولت الاستفادة من تحالفها مع العثمانيين في جبهة واحدة قبل الح.ع.I.

– الميول الاستعمارية لبريطانيا، ورغبتها في توسيع نفوذها إلى المشرق، خاصة ف العراق وفلسطين بعد انتهاء الحرب[1]، وتوسيع حظوظها في الامتيازات الاقتصادية في المنطقة.

– إجهاض نداء تركيا الموجه للعرب لمساندتها وحلفائها من حلف الوسط في الح.ع.I.

وقد سبقت الثورة بمفاوضات سرية وعلانية بين الطرفين (العربي– البريطاني)، أهمها مراسلات التي عرفت باسم مراسليها "حسين مكماهون"[2]، وكانت سنة 1916 إيذانا باندلاع الثورة العربية التي رفعت علما رباعي الألوان، يرمز كل لون إلى حقبة من الحقب التاريخية للعرب[3]، كما لقب الشريف حسين نفسه حينها بملك العرب، وهو ما عارضته بريطانيا بشدة، ولم تعترف له إلا بلقب ملك الحجاز، ويبدو أن الثورة التي أعلنها شريف حسين، لم يستفد منها أحد، إلا بريطانيا وحلفائها أثناء الحرب العالمية، الأمر الذي عبر عنه اللنبي في تقريره الرسمي، لوزارة الخارجية البريطانية بقوله: "لقد ساعد الجيش العربي الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة"[4]، كما أنها كانت ثورة إقليمية، لم تشمل كل العرب، فلم تلق تأييدهم جميعا، حيث لم تثر تلك الثورة أولئك الذين كانوا تحت السيطرة الاستعمارية، كالشمال الإفريقي ومصر، الذين ظل تعلقهم بالخلافة الإسلامية التي يمثلها آل عثمان، ونادوا بالجامعة الإسلامية، التي تربط أطراف العالم الإسلامي، وهي دعوات مناقضة للفكر القومي، كما هبوا لمساعدة الدولة العثمانية لصد أي هجوم أجنبي، يهدف لاقتطاع أجزاء من أراضيها، كليبيا وفلسطين، وبذلك يكون التأييد قد اقتصر على عرب الشام والعراق والحجاز، ومن أسباب فشلها أيضا،

---

[1] سعيد رزق حجاج: **العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى (1914–1918)**، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1989م، ص30–31.

[2] هي مراسلات بين الشريف حسين وآرثر هنري مكماهون (Macmahon) المندوب السامي في مصر، في شكل عشر مذكرات ما بين (14 جوان 1915 و 10 مارس 1916)، خمسة من نصيب كل طرف، موضوعها الأساسي الحدود التي سيستقل بها العرب بعد الثورة، وانتهى بهم الاتفاق إلى اعتماد الحدود التي وضعها برتوكول دمشق، عدا بعض المناطق التي اقتطعتها بريطانيا، كأجزاء من الشام (دمشق، حلب، وحمص وحماة) ومرسين وإسكندرية، ينظر: عمر عبد العزيز عمر: **تاريخ المشرق** ...، ص351–360.

[3] يتشكل العلم من مثلث أحمر يشير إلى الثورة، به ثلاثة ألوان في شكل أشرطة مستطيلة متوازية، الأسود إلى الأعلى ويمثل العباسين، ويليه الأخضر ويمثل الفاطميين، والأبيض في الأسفل ويمثل الدولة الأموية.

[4] سعيد رزق حجاج، المرجع السابق، ص37.

أن إعلانها كان في توقيت غير مناسب لم تستفد منه إلا الدول الاستعمارية، التي استغلت نقم هؤلاء العرب على أوضاعهم، ومعاناتهم من بطش الولاة الأتراك المستبدين أمثال جمال باشا، كما أن بريطانيا وحليفاتها لم يفوا من جهة أخرى بوعودهم للعرب، فبعد فترة ليست بالبعيدة عن الثورة، حيكت في الخفاء مؤامرة لم تصل مسامع الشريف حسين، والمتمثلة في معاهدة سايكس بيكو بين فرنسا، بريطانيا، وروسيا، كشفها البلاشفة، بعد ثورتهم سنة 1917، لفضح أعمال روسيا القيصرية، وقد جزأت هذه المعاهدة بلاد الشام والحجاز فيما بينهم، فيما قدمت بريطانيا فلسطين لليهود على طبق من ذهب، بعد وعد بلفور، فكان ذلك بمثابة ضربة قاضية للعرب عموما، وللقوميين خصوصا.

كما تجدر الإشارة إلى أن القومية العربية، قد أحدثت شبه انفصال تام وقطيعة بين العرب والترك، امتدت تداعياتها إلى العقود اللاحقة، ولم يكن ما أقدم عليه الشريف حسين في ثورته، المحاولة الانفصالية الوحيدة في المنطقة، بل تكررت المحاولات على يد آل سعود[1]، لإرساء قواعد دولتهم، وجعلها كيان سياسي منذ سنة 1932، مستغلين في ذلك انشغال الدولة العثمانية بحرب طرابلس (1911)، وحروب البلقان (1913).

I. 3. الاستعمار الغربي في المنطقة وظهور المقاومة:

I. 1.3. الدول الاستعمارية في المنطقة:

في قراءة بسيطة لخريطة العالم العربي السياسية مع نهاية القرن العشرين، نجد أن الدولتين الاستعماريتين اللتين هيمنتا عليه كانتا بريطانيا وفرنسا، ففي حين استولت تقريبا فرنسا على كامل بلاد المغرب، انفردت بريطانيا بالقسم المشرقي منه، إذا استثنينا سوريا ولبنان، فما هي أوجه التقارب والاختلاف بين هاتين الدولتين الاستعماريتين؟ وأثر ذلك على مستعمراتها؟

وقد بينت النماذج المستعمرة في العالم العربي، أن نظام الحكم الفرنسي كان مباشرا، يعتمد بالدرجة الأولى على الفرنسيين في إدارة مستعمراتها ومحمياتها، كما غلب على سياستها استعمال القوة، وعملت على تحطيم كل

[1] المحاولة الأولى كانت في أوائل القرن الثامن عشر، عند تبني آل سعود للفكر الوهابي ودعوته التوحيدية في نجد، واستطاع آل سعود في هذه المرحلة من التوسع بعد مزاوجتهم بين السياسة والدين، فزيادة على نجد ضموا البحرين، عمان، قبائل رأس الخيمة في الخليج العربي، الحجاز، حضر موت، والبصرة، وهددوا دمشق وبغداد، وأبطلوا هذه المناطق الدعاء للسلطان العثماني، واستطاع والي مصر محمد علي، من وقف هذا التوسع، بإيعاز من الباب العالي. أما المحاولة الثانية، فكانت في بدايات القرن التاسع عشر 1820، عندما حاول السعوديون إعادة إحياء دولتهم، لكن الدولة العثمانية كانت مرة أخرى بالمرصاد، باستعانتها بأسرة آل رشيد مما جعلهم يفرون ويستقرون في الكويت.

الزعامات المحلية، وانتهجت أيضا سياسة القضاء على مقومات الشعوب، وصهر شخصيتهم الثقافية، التاريخية، واللغوية، انطلقا من عقدة التفوق الحضاري، كترسيخها للغة الفرنسية داخل مستعمراتها، كما أن فرنسا كانت تؤمن بتفوقها الحضاري، وأن الشعوب الأخرى دونها، بينما اعتمدت بريطانيا على نظام حكم غير مباشر، استعانت فيه بأهالي مستعمراتها في إدارة حكم بلادهم، وشكلت زعامات من المؤيدين لها، يساعدونها في تسيير مستعمراتها ومحمياتها، مما يسر حكمها بأقل عدد من الحكام البريطانيين، كما ابتعدت بريطانيا عن المبالغة في استخدام القوة، وأولت اهتمامها للمكاسب التجارية والموارد المادية، دون الجانب الثقافي والفكري للشعوب المستعمرة، الأمر الذي انعكس في عدم تدخل بريطانيا في تقاليد الشعوب، وساعد سكان المستعمرات في الحفاظ على تراثهم الوطني وثقافتهم المحلية، مما قلل من الاصطدام المباشر مع الأهالي، كما تميز الاستعمار البريطاني أيضا بعدم فرضه اللغة الانجليزية بالقوة، وإنما اعتمد أسلوب الإغراء والمراوغة في نشر لغته[1]، وتجلت هذه الميزة باحتفاظ المستعمرات البريطانية، بكثير من تقاليدهم وتراثهم ومقوماتهم الشخصية بعد الاستقلال، على عكس المستعمرات الفرنسية التي كرست فيها فرنسا سياسة مسخ المقومات الشخصية، فظل تأثيرها الفكري واللغوي حاضرا حتى بعد رحيلها، وبذلك يكون الاستعمار في المشرق العربي، اتخذ أنماطا تقليدية وحديثة، كنظام الحماية الذي فرضته بريطانيا على مصر (1882)، وأنماطا جديدة جاءت عقب الح.ع.I، بتطبيق نظام الانتداب.

I. 2.3. حركات المقاومة:

أثارت الحركة الاستعمارية الأوروبية في المشرق كل فئات المجتمع تقريبا، خاصة القبائل التي تعتبر قوة اجتماعية رئيسية، مدفوعة في ذلك بعوامل اقتصادية، بدفاعها على الأراضي الزراعية التي كانت ملكا مشاعا، كالذي كان في سوريا والعراق، أو دفاعا عن تجارتها كما هو الحال في الخليج[2]، إلى جانب ذلك كانت للقبائل دوافع دينية وحدت صفوفها لمناهضة المستعمر، كالحركة الوهابية أو السلفية التوحيدية[3]، التي لقيت نجاحا

[1] عبد الله الركيبي: **الفرانكفونية مشرقا ومغربا**، شركة دار الأمة، الجزائر، ص18-23.

[2] عبد العظيم رمضان: **الغزوة الاستعمارية**، مرجع سابق، ص32-33.

[3] نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب التميمي (1703-1794)، المولود بالعينية في نجد، تعلم على شيوخه في المدينة المنورة والبصرة وبغداد، تأثر بأفكار أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن الجوزية، ألف عدة كتب ورسائل أهمها: كتاب "التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد"، وكتاب "الكبائر"، كتاب "الشبهات"...، ومن المبادئ التي تقوم عليها الوهابية: 1/العودة بالإسلام إلى صفائه الأول، 2/التوحيد، 3/إنكار تأويل القرآن وتكفير القائل به، 4/فتح باب الاجتهاد الذي ظل مغلقا لقرون ثمانية، 5/الدعوة إلى التقشف في العيش وإجبار المسلمين على القيام بأركان الإسلام بهدف إعادة بناء المجتمع الإسلامي، تميزت هذه الحركة باستعمال العنف والقوة، وعدم التسامح مع الإسلام التقليدي وكل العادات والطقوس المستجدة على الإسلام، ينظر: أحمد أمين: **زعماء الإصلاح**، مرجع سابق، ص10 وما بعدها، وعلي المحافظة: مرجع سابق، ص39-43.

وانتشارا في البلاد الإسلامية، فقد تسلل أثرها في مختلف البقاع، بحكم موقع ظهورها البعيد عن التحدي الاستعماري، والنفوذ الأجنبي مما ساعدها على الانتشار جغرافيا، كما أن الوسط الذي ظهرت فيه هو نفس الوسط الذي انبعثت منه الدعوة المحمدية، وهو ملتقى المسلمين من كل أنحاء العالم القاصدين بيت الله الحرام، وهذا ما زاد في سهولة انتشارها وسرعته، فشكلت الوهابية تهديدا للتواجد البريطاني في المنطقة، وإن لم تكن المواجهة فعلية بشكل مباشر وبقوة السلاح في منبت نشأتها.

إلا أن التصحيحات العقائدية التي دعت إليها، وأساسها الأول رفع لواء التوحيد، الذي لا يقر بالعبودية إلا لله وحده هي دعوة منافية لما حرص عليه الاستعمار، بأن يظل العالم الإسلامي غارقا في طلاسم الجهل، ومنساقا وراء أفكار الجبرية والتواكل التي تأهل المسلم لتقبل نفوذ الدخيل الأجنبي، وبذلك مثلت الوهابية مفهوم الإسلام الصحيح في اليقظة والمقاومة والعودة إلى عوامل القوة[1]، ومن الحركات الإسلامية أيضا التي سارت على نهج الوهابية، الحركة المهدية[2] في السودان، التي حررت الفكر السوداني من طابع الصوفية المغرق في الجبرية، وارتقت به إلى منابع الثقافة الإسلامية العربية[3]، كما شكلت دعوتها أيضا للجهاد ومقاومة النفوذ الأجنبي، خطرا هدد بريطانيا في المنطقة، كما أخذت مقاومة الامتداد الأوروبي في المشرق، نمطا آخر، برفع السلاح كمقاومة الفلاحين في مصر، إلا أن الغالب اتخذ طابعا سياسيا، بقيادة النخبة البرجوازية، التي أسست الأحزاب والنوادي وإقامة المؤتمرات، كما هو الحال في سوريا والعراق، إلى جانب مصر[4]، وبخلاف ذلك؛ غلبت المواجهة المسلحة على أهل بلاد المغرب التي تولت فيها القبيلة زمام القيادة.

I. 3.3. القضية الفلسطينية:

لعل أخطر ما واجهه المسلمين حديثا، وأشد الضربات وجعا، نكبة فلسطين، التي تمتعت بمكانة دينية وتاريخية واستراتيجية هامة[5]، جعلتها محط أنظار العالم، وتنافس القوى الاستعمارية، واستطاعت بريطانيا أن تنفرد

---

[1] أنور الجندي: **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي**، دار الكتاب اللبناني، ط2، بيروت، 1983، ص254-258.

[2] نسبة لمحمد بن أحمد بن السيد (1844-1885)، درس القرآن وعلوم الدين ومال بعدها إلى التصرف، فحصل على شهادة المشيخة على الطريقة السمانية، وأصبح شيخا لها، ليعلن أنه المهدي المنتظر فتبعه الكثير، وتنحصر تعاليمه في العودة بالإسلام إلى صفائه الأول، والاعتماد على الكتاب والسنة، والجمع بين المذاهب السنية الأربعة لتوحد المسلمين، والدعوة لكل ما يقرب المسلم من ربه، واجتناب كل ما هو مناف لشريعة الله، كتحريم زيارة قبور الأولياء، والقضاء على الفساد السياسي في السودان، ينظر: علي المحافظة: المرجع السابق، ص65-70.

[3] أنور الجندي: المرجع السابق، ص268-270.

[4] عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص36.

[5] تكمن أهمية فلسطين في قدسيتها الدينية وبركتها، مصداقا لقوله تعالى: **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**، سورة المائدة، الآية:21، وقوله: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**، سورة الإسراء، الآية: 01. ففيها المسجد الأقصى أول قبلة للمسلمين، وثالث

بها دون بقية القوى، مستغلة ضعف الدولة العثمانية التي كانت فلسطين في كنفها (1516-1917)، وقد بدأ في فلسطين الوعي القومي اتجاه الصهيونية بالتحذير من نشاطها أولا، ومحاولة استنهاض الوعي القومي تجاه هذا الخطر ثانيا، وذلك منذ نهاية القرن التاسع عشر.

ففي سنة 1887، بدأ الإصطدام الأول مبكرا في فلسسطين بين العرب واليهود، عندما شعر العرب بتحول اليهود نحو الفكر الصهيوني، وبدؤوا يمارسون الاستيطان الزراعي، وقاموا بطرد الفلاحين الفلسطينيين من الأراضي التي سيطروا عليها، والتي ابتاعوها من كبار الملاك في منطقة ملبس والخضيرة، فاحتج وثار الفلاحون الفلسطينيون، وقاموا بالهجوم على مستعمرات ملبس والخضيرة، وذلك للدفاع عن أرضهم والانتقام، مما حدا بالسلطات العثمانية إلى اتخاذ إجراءات لتحديد هجرة اليهود إلى فلسطين[1]، ونتيجة للشكاوي التي رفعها عرب فلسطين للسلطان العثماني عبد الحميد، وحذروا فيها من نشاط ومطامع اليهود في فلسطين، والأخطار التي سوف تلحق بهم إذا ما تركوا دون ردعهم ومنعهم، ولقد كان الزعيم الصهيوني هرتزل، والذي سعى ونجح في عقد مؤتمر لليهود سنة 1897م، في (بال) السويسيرية، وقرر إقامة دولة يهودية في فلسطين وشراء الأراضي فيها، والسعي في زيادة الهجرة إليها، وطلب من السلطان عبد الحميد أن يبيع فلسطين لليهود، أو أن يسمح لهم بالهجرة إليها والتوطن والتملك فيها، وذلك مقابل مساعدات مالية يقدمها اليهود للدولة العثمانية وللسلطان.

وقد رفض السلطان عبد الحميد هذا العرض رفضا قاطعا، وأصدر أمرا بتشديد الرقابة على نشاط اليهود[2]، بل قام بإصدار فرمان بمنع بيع الأراضي الميري في فلسطين لكل اليهود، وحتى رعايا الدولة العثمانية، مما جعل الدول الأوربية واليهود العثمانيين يثورون ضد هذه القيود[3].

=المساجد مكانة في الإسلام، التي يسن شدّ الرحال إليها، وهي أرض الأنبياء ومبعثهم ومسرى آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم، أين وقعت حادثة الإسراء والمعراج، وغيرها من الدلائل التي توحي بقدسية المكان، وقد ظلت فلسطين لقرون عديدة بؤرة للنزاع بين الشرق والغرب، منذ أن أصبحت مسلمة عربية بعد الفتح العمري لها –عمر بن الخطاب– وتراجع هذا النزاع بتراجع الغرب المسيحي أثناء الحروب الصليبية وتخليد الناصر صلاح الدين الأيوبي لصفتها العربية والإسلامية، والتي استمرت نحو 1200 سنة، انتهت بضعف الدولة العثمانية، ووعد بلفور المشؤوم 1917 ، للمزيد ينظر: محسن محمد صالح: **القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة**، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2012، ص13-15، ومحمد عزة دروزة: **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، ج1، ط2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1959، ص23.

[1] نعمان عاطف عمرو، **مظاهر الوعي بالقومية العربية في فلسطين حتى عام 1920**، جامعة القدس المفتوحة، الخليل، 2008، ص 16.

[2] محمد عزة دروزة، **مئة عام فلسطينية، مذكرات وسجلات (1887–1984)**، ج1، الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار، دمشق، 1984، ص 188-189.

[3] ميم كامل أوكي، **السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية**، تر: اسماعيل صادق، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1992، ص 10

وفي المقابلة التي تمت في 8 ماي 1901 بين السلطان عبد الحميد وهرتزل[1]، افتتح هرتزل المقابلة بتحذير السلطان من العرب، وأوضح له أن قيام وطن يهودي بسوريا الجنوبية كاف للقضاء على الحركة القومية العربية، ثم تعهد للسلطان بأن يسدد اليهود الديون العثمانية البالغة عشرات الملايين من الجنيهات، وأن يقدموا للسلطان خاصة عشر هذا المبلغ الطائل[2]، وإصلاح الاقتصاد العثماني المتهالك، ثم عرض وساطته من أجل إيقاف حملات صحف تركيا الفتاة في أوربا، ثم ألمح إلى هدف الحركة الصهيونية في إيجاد ملجأ لليهود في الأراضي المباركة، إذا ما رحب السلطان بهجرة اليهود إلى الإمبراطورية والاستيطان فيها.

إلا أن السلطان رفض عرض هرتزل وقال له: "... إن بلادنا التي حصلنا علي كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا .. لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر ما بذلناه من دماء في سبيلها .. إنني أحب تطبيق العدالة والمساواة على جميع المواطنين، ولكن إقامة دولة يهودية في الأراضي المباركة التي فتحناها بدماء أجدادنا العظام فلا..."[3].

وبقي السلطان عبد الحميد الثاني متمسكا بموقفه المعارض للحركة الصهيونية، وقال: "إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، وقد قتل رجالنا الواحد بعد الآخر في بلفنة[4] .. فليحتفظ اليهود بملايينهم، إذا مزقت إمبراطوريتي فلعلّهم يستطيعون آنذاك بأن يأخذوا الأرض بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا في جثثنا، وإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة[5].

قد أدرك السلطان عبد الحميد الثاني حقيقة المشروع اليهودي منذ البداية، وأن هذا المشرع لن يجلب معه الخير للمنطقة، وكان مقتنعا أنه إذا وافق على هجرة يهود فلسطين، فإنه يكون بذلك قد حكم على أهل وسكان فلسطين المسلمين بالإعدام والقتل والتشريد[6]، ويعود سبب موقفه هذا إلى مكانة بيت المقدس الشريف

---

[1] عادل مناع، مرجع سابق، ص 235

[2] سعيد الأفغاني، "تاريخ مفترى للسلطان عبد الحميد"، **مجلة البيان**، ع 35، فيفري 1969.

[3] حسان علي حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897–1909**، ط2، (د.م)، دار الهدى للطباعة، 1990، خانيونس، غزة، ص–ص 176–179.

[4] بلفنا أو بلفنه، هي مدينة استراتيجية تقع على ملتقى الطرق الرئيسية بين مضيق جبل البلقان وبلغاريا الغربية والطونه، وقعت فيها معركة عسكرية بين العثمانيين والروس في (أوت 1877/رجب 1294هـ)، وقد أبلى فيها العثمانيون البلاء الحسن.

[5] حسان علي حلاق، المرجع السابق، ص 198.

[6] عادل مناع، مرجع سابق، ص 229.

الإسلامية وتقرب السلطان إلى العرب، كما أنه لا يريد إضافة أقلية قومية جديدة إلى المجتمع العثماني، فمشاكله مع الأقليات في امبراطوريته تكفيه وهي كثيرة، والخشية من أن يؤدي الاستيطان إلى قيام دولة يهودية في البلاد، وقد استمر في موقفه هذا من الصهيونية والهجرة اليهودية حتى قيام ثورة الاتحاديين عام 1908، وخلعه عام 1909، ولعل أهم أسباب خلعه هو موقفه هذا من الحركة الصهيونية والمشروع اليهودي بإقامة وطن قومي في فلسطين، وهو ما تبينه الوثيقة التاريخية للسلطان عبد الحميد بعد خلعه إلى شيخه الشاذلي محمود أبي الشامات في دمشق، يؤكد فيها سبب خلعه عن الخلافة، إنما لرفضه الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[1].

وقد كان من نتيجة تغيير النظام السياسي في الإمبراطورية العثمانية عام 1908 و1909، أن قدم آمالا جديدة وكبيرة للحركة الصهيونية، فقبل سقوط السلطان عبد الحميد كانت الحركة الصهيونية قد أصابها اليأس من تحقيق برنامجها، وذلك نتيجة للمواقف الصلبة التي وقفها السلطان عبد الحميد، لدرجة أن هرتزل حوّل نظره عن فلسطين، ولكن ما إن وصلت جمعية الاتحاد والترقي إلى الحكم[2]، ومساهمة فئات من اليهود العثمانيين في أحداث الإنقلاب السياسي الدستوري عام 1908، وفي حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني 1909، ثم حاجة الإمبراطورية للمال اليهودي حتى خطا العمل الصهيوني خطوات كبيرة إلى الأمام في قضية فلسطين[3]، إلا أن موقف العرب عامة والفلسطينيين خاصة شهد تحولا كبيرا[4] منذ إعادة الدستور 1908، وعزل السلطان عبد عبد الحميد 1909، فقد نشطت المقاومة ضد الحركة الصهيونية، وتعزز الوعي العربي، وذلك نتيجة لإدراك العرب لطبيعة التسهيلات التي منحها الاتحاديون للحركة الصهيونية في فلسطين، كما بدأت فكرة التعاون بين الصهيونية وجمعية الاتحاد والترقي في مقاومة الوعي العربي[5]، خاصة بعد أن أبعد عن الحكم رمز سياسة الجامعة الإسلامية السلطان عبد الحميد، وظهور الأبعاد القومية التركية الطورانية لرجال الاتحاد والترقي[6]، وازداد نضوج الوعي القومي العربي على إثر هزائم حرب البلقان، وما تسبب به انقلاب آخر سنة 1912، والذي قاده رجال

[1] نص الرسالة في الملحق الأول، الرقم: 23.

[2] حسان علي حلاق، المرجع السابق، ص 304.

[3] مواهب معروف سالم الجبوري، **جمال باشا ودوره السياسي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العراق، 2004، ص 132.

[4] عادل مناع، **فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700–1918 (قراءة جديدة)**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1999، ص 253.

[5] نعمان عاطف عمرو، المرجع السابق، ص 16

[6] عادل مناع، المرجع السابق، ص 254.

الاتحاد ضد المعارضة الممثلة بحزب الحرية والائتلاف، وذلك بحجة استئناف القتال في البلقان[1]، دفع هذا كله في اتجاه زيادة الوعي بالمصلحة الجماعية عنها في وجه الأخطار الخارجية[2].

وكانت السيطرة البريطانية في المنطقة عاملا مشجعا على تنامي الحركة الصهيونية، حيث تبنى قادة بريطانيا مخططاتها والتعهد بتنفيذها، لأهداف مسطرة، تتعلق بتغطية قناة السويس من الناحية الشرقية، باعتبارها الشريان الحيوي للمواصلات البريطانية، خصوصا اتجاه الهند، فضلا عن كسب النفوذ اليهودي الذي أخذت شوكته تطول بعد نشأة الحركة الصهيونية العالمية، وهي حركة حديثة أوروبية الأصول والنشأة، عاصرت عهود الاستعمار الحديث[3]، وقامت على جهود مجموعة من اليهود، كرد فعل عن الاضطهاد الذي مورس عليهم في أوروبا، كالمذابح اليهودية في روسيا أواخر القرن التاسع عشر، ما حملهم على الهجرة والتطلع لإيجاد وطن قومي للإقامة فيه[4].

وكان لـ: "تيودور هرتزل"[5] دورا هاما في تحقيق حلم اليهود القديم بإقامة وطن قومي لهم، من خلال تشكيل تشكيل حركة سياسية تجمعهم، ولم ترض الحركة الصهيونية ببديل عن فلسطين كوطن قومي[6] لما كان لليهود من مزاعم دينية وتاريخية في المنطقة[7]، ولتحقيق هذا الهدف، وجهت الحركة نفوذها نحو ألمانيا، لإقناع السلطان عبد

[1] نعمان عاطف عمرو، المرجع السابق، ص 16

[2] عادل مناع، المرجع السابق، ص 254.

[3] عمر عبد العزيز عمر: **تاريخ المشرق العربي**، مرجع سابق، ص473.

[4] أنور الجندي: **العالم الإسلامي والاستعمار**، مرجع سابق، ص429.

[5] تيودور هرتزل (Theodor Hrzl1860-1904)، مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة، وهو يهودي نمساوي، ولد في بودبست بالمجر، انتقل وأسرته إلى النمسا أين أتم دراسته الجامعية بنيله شهادة الدكتوراه في القانون الروماني 1884، واشتغل كمحامي، وعمل بالصحافة والأدب، اهتم بالقومية اليهودية، كيفية اليهود المتحمسين، الذين عاشوا فترة الاضطهاد في أوروبا، وشغلته كثيرا قضية الضابط اليهودي الفرنسي ألفرد ديفوس، المتهم بالخيانة وتسريب قضايا عسكرية للألمان، فتابعها بشكل خاص، على اعتبارها من القضايا تخلص اليهود من الاضطهاد، كما أسس مجلة أسبوعية أسماها العالم Die Welt التي أصبحت لسان حال الحركة الصهيونية، وكان أيضا وراء انعقاد مؤتمر بازل بسويسرا، ينظر: عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص482-483.

[6] من بين المقترحات المقدمة للحركة الصهيونية، لإقامة وطن قومي يجمع شتات اليهود، شبه جزيرة سيناء وأوغندا في شرق إفريقيا، ولكن الحركة رفضت كل المقترحات وتشبثت بفلسطين.

[7] حجة اليهود في هذه المزاعم، نصوصا جاءت في التوراة، يعدهم الله فيها بالأرض المقدسة، على إنها ستكون وطنهم القومي إلى الأبد، ومع ذلك ما ما جاء في سفر التكوين: "لنسلك أعطي هذه الأرض من لنهر الكبير"، "لأكون أنا لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا"، وهو ما يؤكد حسبهم، أن الله قد وعدهم بالأرض المقدسة لكون وطنا قوميا لهم، وقد أثبت القرآن الكريم بطلان حججهم، كونهم لم ينصاعوا كلام الله على لسان موسى عليه السلام، حيث رفضوا الدخل لها (الأرض لمقدسة)، فحكم الله عليهم بالتيه في الصحراء أربعين سنة، بالإضافة إلى الادعاء التاريخي بأنهم حكموا أجزاء من فلسطين طيلة أربعة قرون، وإن كان هذا الدليل عليهم لا لهم بحكم أن

الحميد الثاني[1]، بالحصول على تنازلات لصالحها، فضلا عن سعيها لهدم الخلافة الإسلامية، منذ إعلان الدستور، حيث تؤكد أغلب المصادر التاريخية نفوذ اليهود في خط الدستور العثماني، الذي منحهم حق المساواة، وسمح لبعض الشخصيات ذات الأصول اليهودية، أن تتمتع بنفوذ سياسي معتبر، فكان منهم الوزراء[2].

كما شكل بعضهم الآخر جمعيات، كان أخطرها جمعية تركيا الفتاة، التي تؤكد المصادر أن يهود الدونمة، كانوا وراء تأسيسها[3]، إلى جانب دورهم في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي، ونشاطها لعزل السلطان عبد الحميد (1908[4]، وإسقاط الخلافة العثمانية، وتعيين كمال أتاتورك[5] ذو الأصول اليهودية على رأس الدولة التركية الحديثة، كما تقربت الحركة في مسعى آخر من بريطانيا التي كانت تمثل حينها قوة عسكرية صاعدة لها نفوذ دولي، فنشط أثرياء اليهود بغية التأثير على شخصيات انجليزية نافذة، للحصول منهم على وثيقة دولية تسمح لهم بتأسيس دولة تجمع شتاتهم، وتكللت هذه العلاقة بصدور وعد بلفور في شكل رسالة[6] جمعت بين آرثر

=المسلمين حكموها مدة 12 قرنا متواصلة عدا فترة الحروب الصليبية، للمزيد ينظر: عبد الله التل: **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1989، ص14-15، ومحسن محمد صالح: **القضية الفلسطينية**، مرجع سابق، ص23.

[1] كان رفض السلطان عبد الحميد صريحا لطلب هرتزل بقوله: "انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الارض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت إمبراطوريتي فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق في جثتنا، فإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة"، أنور الجندي: **العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص433.

[2] نفسه، ص336.

[3] يهود الدونمة، وتعني بالتركية الردة أو السباتائية، نسبة إلى سباتاي زيفي اليهودي (1626-1675)، الذي ادعى كونه المسيح، وعند محاكمته بأمر من السلطان التركي محمد الرابع، خاف على نفسه من القتل فادعى الإسلام، وسمى نفسه محمد عزيز أفندي، ولكنه ظل يدعو إلى طقوس وعبادات وعقائد خاصة، وخلفه أتباعه بعد وفاته بادعائهم الإسلام، وقد تميزت هذه الفرقة بطقوس خاصة، تمارسها بشكل سري، وتكمن خطورة هذه لحركة في كونها ألحقت أضرار كبيرة في النسيج الاجتماعي والأخلاقي والحضاري للمجتمع العربي الإسلامي، بدعواهم للتحلل والسفور والإلحاد...ومما زاد من خطورتها، أن أكبر رجال جمعية الاتحاد والترقي على علاقة بيهود الدونمة، ينظر: محمد علي قطب: **يهود الدونمة أصلهم نشأتهم وحقيقتهم**، ط1، المطبعة الفنية، القاهرة، 1987.

[4] عبد الله التل: **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**، ط2، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، ص78-79.

[5] كمال أتاتورك (1881-1938)، من مواليد سالونيك، ذو تكوين عسكري، شارك في العديد من الحروب، التي خاضها العثمانيون ضد الاحتلال الايطالي في ليبيا 1911، والبلقان 1912-1913، كما كان من الذين أفشلوا النزول البريطاني في شبه جزيرة غاليبولي، ومن أنشط أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، خاض بعد معاهدة سيفر المجحفة، حروب الاستقلال ضد اليونان وفرنسا وبريطانيا، تولى رئاسة جمهورية تركيا بعد إسقاطه الخلافة الإسلامية، وأحدث فيها تغيرات علمانية، أبعدها عن الإسلام والشريعة الإسلامية، كما عرف باستبداده، فقد ضرب بيد من حدد معارضيه ومنافسيه.

للمزيد ينظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى: **في أصول التاريخ العثماني**، دار الشروق، ط1، 1993، ص301-318، عبد الوهاب الكيالي: **الموسوعة السياسية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1990، ج1، ص712، ج3، ص109. ينظر كذلك: ضابط تركي سابق: **الرجل الصنم كمال أتاتورك**، تر: عبد الله عبد الرحمان، 2.ج، ط5، مؤسسة الرسالة، 1994.

[6] جاء فيها: وزارة الخارجية / 2 نوفمبر 1917 :" عزيزي اللورد رتشليد، يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملكة، أنها تنظر بعين الرضى والارتياح إلى المشروع الذي يراد به إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل خير مساعيها لتحقيق هذا الغرض، وليكن معلوما

جمس بلفور (1848-1930) السياسي البريطاني المحافظ الذي تولى وزارة الخارجية (1916-1922) واللورد إدمون روتشيلد (1845-1934) المنتمي إلى أسرة آل روتشيلد الثرية صاحبة الملايين، واستخدمت هذه الوثيقة كسند قانوني[1] لتمليك اليهود أرض فلسطين، وعليه فقد اتسمت ملامح الوضع السياسي في المشرق العربي منذ مطلع القرن العشرين في عمومه بالسوداوية، حيث غلب عليه طابع الاضطراب والاصطدام لعوامل كثيرة، أهمها ضعف الدولة العثمانية الحاضنة وضياع هيبتها في نفوس العرب، الذين بدأ بعضهم يتطلع للانفصال، إلى جانب الأطماع والتدخلات الأجنبية، وقد ألقى المشهد السياسي القاتم بظلاله على الحياة الثقافية والفكرية.

II. الوضع الثقافي:

اتسمت الحياة الثقافية في المشرق العربي بتوفر معطيات لم تكن متاحة لبلاد المغرب، إلا أننا نلمس في نفس الوقت اختلافا بيّنا بين أجزائه، ويتجلى هذا من خلال وقوفنا على النهضة الفكرية وعوامل ظهورها، إلى جانب الصحافة، والتعليم والمسرح، كعوالم تعكس المشهد الثقافي المشرقي.

II. 1.النهضة الفكرية:

تطلّع المشرق العربي لتغيير وتطوير واقعهم الفكري، بعد أن لاحظوا تراجعهم وركودهم، عند أول احتكاك لهم بالغرب الذي كشف عن واقعين متباينين لحضارتين متنافستين لعدة قرون، شرق مسلم، وغرب مسيحي.

II. 1.1.عوامل ظهور النهضة:

عرف المشرق العربي بوادر ظهور نهضة فكرية، في وقت مبكر مع مطلع القرن 19م، نتيجة عوامل متداخلة، كان أهمها الاحتكاك المباشر بالغرب، فانطلاقا من الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801)،

=أنه لا يسمح بإجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي، ينظر: محمد عزة دروزة: **القضية الفلسطينية**، ج1، ص28.

[1] لم يكن لهذه الرسالة سند قانوني ولا تاريخي، بدليل أن فلسطين عند صدور وعد بلفور، كانت تحت السيادة العثمانية وليست من أملاك بريطانيا، وبذلك تكون بريطانيا وعدت بما لا تملك، ووهبت ما ليس لها، كما أن تصريح بلفور اعتبر الفلسطينيين (المسلمين والمسيحيين) من الأقليات، حين نعتهم بالطوائف غير يهودية، رغم أنهم كانوا يشكلون الأغلبية (650 ألف نسمة فلسطيني مقابل 50 ألف من اليهود)، وتجاهل بريطانيا للوعود التي قطعتها مع الشريف حسين بعد اتفاق حسين- مكماهون، ولا يعدو ما قدمه بلفور –وزير خارجية بريطانيا- أن يكون مجرد عطف وأمنية، بين وزير خارجية وفرد بعد من وجهاء اليهود، فلا يرتقي بذلك أن يكون التزاما دوليا، فضلا عن ذلك نلمح تعارض التصريح من مبدأ تقرير المصير، الذي دعى إليه ولسن ووافقه فيه الحلفاء التي كانت بريطانيا إحدى أعضائه، للمزيد ينظر: أسامة أبو نحل: يهودية دولة إسرائيل، جذور المصطلح وتأثيره على القضية الفلسطينية"، **مجلة جامعة القدس** للأبحاث والدراسات، ع23، جامعة القدس، 2011، ص300.

اطلع العرب والمسلمون على تفوق الحضارة الغربية، في مبادئها السياسية وأنظمتها الإدارية وفي العلوم والآداب والفنون والطباعة والصحافة، ولكن يبدو أن تفاعل المصريين مع الحضارة الغربية لم يكن بشكل آني، وإنما تجلت مظاهره منذ عهد محمد علي باشا (1805-1848)[1]، حيث بدأت النخبة العربية تقارن بين واقعها، وما بلغته الحضارة الأوروبية من تطور، كالشيخ حسن بن محمد العطار (1766-1835)، الذي تحول عن الدراسة التقليدية للفلسفة والعلوم الشرعية إلى دراسة الآداب[2]، كما سمحت البعثات العلمية إلى أوروبا وبصفة خاصة فرنسا بالانفتاح على الحضارة الغربية والعلوم الحديثة، وانتعشت معها ترجمة المؤلفات العلمية والأدبية والفنية، وشيدت مدارس على الطراز الأوروبي، ومن ذلك الإنتاج الفكري لرفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873)، الذي ترأس أول دفعة علمية إلى باريس، فقد ترجم التاريخ والميثولوجيا اليونانية، وأخبار الأمم القديمة كالبابليين والمصريين، إلى جانب جهود الشيخ علي مبارك (1816-1886) في إنشاء دار العلوم المصرية، ودار الكتب المصرية[3]، هذا ولعبت الإرساليات التبشيرية منذ القرن السابع عشر، دورا هاما في النهضة الفكرية والأدبية، فشملت جل الولايات العربية، بما في ذلك الخليج العربي في القرن التاسع عشر، تحت إشراف أسماء لامعة في التبشير، أمثال صموئيل زويمر، جيمس كانتين، وفيليب فيليبس[4]، وبعيدا عن نشاط الإرساليات وأهدافها التنصيرية، في تحويل المسلمين عن دينهم، نشطت تلك الإرساليات في بناء المدارس، وتأسيس الجمعيات العلمية والأدبية، والجامعات فنشطت معها الحركة الثقافية، بإحيائها اللغة العربية وتحديثها على إثر حركة الترجمة[5].

وبالموازاة مع نشاط هؤلاء، بادر المسلمون إلى تأسيس جمعيات مماثلة في الشام، بهدف الحد من النشاط التبشيري في المنطقة، كزهرة الآداب في بيروت (1875)، وجمعية المقاصد الخيرية (1880)، والجمعية الخيرية في دمشق (1878)، والجمعية التاريخية (1875)، وجمعية الفنون الطبية (1887)، كما تم إنشاء المجمع العلمي الشرقي[6].

---

[1] علي المحافظة: مرجع سابق، ص24.

[2] عمر عبد العزيز عمر: **تاريخ المشرق العربي**، مرجع سابق، ص416.

[3] علي المحافظة: المرجع السابق، ص24.

[4] عبد الملك خلف: **الخليج العربي والمغرب العربي**، مرجع سابق، ص40.

[5] من آثارها انتعاش حركة التأليف والترجمة، فترجم بطرس البستاني التوراة، وألف "معجم محيط المحيط" و "معجم قطر المحيط"، و "دائرة المعارف" في سبع أجزاء، كما ترجم سليمان البستاني (1856-1925) إلياذة هوميروس، وإبراهيم اليازجي التوراة...للمزيد ينظر: علي المحافظة: المرجع السابق، ص25-27.

[6] علي المحافظة: المرجع السابق، ص27.

أما الطباعة التي تعد مرآة عاكسة للنهضة الفكرية، فقد تأخر العرب زمنيا في الاطلاع عليها، ولم يتقنوها كحرفة، إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[1]، وإن كان انطلاقها بشكل محتشم، إلاّ أنها لعبت دورا في بعث النهضة العربية، بنشرها للعديد من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون الحديثة أو ما تم ترجمته، بالإضافة إلى دورها في إحياء التراث العربي[2]، فكانت هذه المؤلفات كنوزا في أيدي الناشئة والمثقفين العرب، ومكنت من جهة أخرى الكتاب والصحافيين من نشر أفكارهم العصرية أو إحيائهم لتصورات قديمة، إلى جانب نشر ما كان دفينا من مخطوطات ظلت حبيسة البيوت والمساجد.

II. 2.1. النهضة المصرية:

تجلت في مصر مظاهر النهضة بشكل ملفت دون جارتها من المشرق، فاحتلت طيلة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مركزا قياديا، لجملة عوامل أهمها: موقعها المتوسط بين المشرق والمغرب من العالم الإسلامي، وممرا لأوروبا فقد وصفها رشيد رضا[3] بقوله: "...أهل مصر في موقع عرف كل الناس منزلته من الأرض، وهو ممر أهل المشرق إلى المغرب وأهل المغرب إلى المشرق، وهو حلق أوربا، تتلاقى فيه سيارة الأمم، فقلما توجد بلاد يكثر فيها اختلاط الأمم مثل هذه البلاد"[4]، إلى جانب ذلك عاش المصريون أجواء سياسية، اختلفت عن باقي الولايات العربية، ما جعل أهلها يتمتعون ببعض الحريات، لكنها حرية محدودة، لم يكن

[1] أحدث اختراع الألماني يوحنا غوتنبرغ (1454) للمطبعة في مدينة ماينز Mainz، ثورة علمية، ومنعطفا حضاريا وثقافيا في العالم كله، ولكنه لم يجد أثرا واضحا في الإمبراطورية العثمانية، عندما رفض علماؤها الإفتاء بجوازها، واعتبروها انتهاكا للشريعة الإسلامية، لعدم دقة المطبعة أمام دقة الناسخين، وخوف النساخ من ضياع حرفتهم وبطالتهم، لكن مع ضغط المتنورين على الصدر الأعظم إبراهيم باشا، كمحمد شبلي وإبراهيم متفرقة، هذا الأخير الذي وضع مذكرة تنوه بفوائد الطباعة، استطاع إقناع شيخ الإسلام عبد الله أفندي، الذي أفتى بجوازها في الكتب العلمية والتاريخية والقواميس، مع استثناء الكتب الدينية، بعد مئتين وسبعين عاما من ظهورها في الغرب، ما عطل عجلة التقدم وأسهم في الإبقاء على البطالة، واقتصر استعمالها على السلاطين والولاة دون الجماهير، للمزيد ينظر: عمر عبد العزيز عمر: **تاريخ المشرق العربي**، مرجع سابق، ص248، ومحمد أحمد: "الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني 1876-1918"، **مجلة جامعة دمشق**، مج27، ع1و2، دمشق، 2011، ص322-323.

[2] ضيف الله محمد الأخضر: **محاضرات في النهضة الحديثة**، د.م.ج، ط2، الجزائر، 1981، ص73.

[3] محمد رشيد رضا (1865-1935)، من رجال الإصلاح في العالم الإسلامي، عالم وكاتب في الحديث والأدب والتاريخ والتفسير، بغدادي الأصل، شامي النشأة، تعلم في مدارسها القرآن والكتابة والحساب، ثم اللغة التركية في المدرسة الوطنية الإسلامية، التي تخرج منها على يد حسين الجسر، ومحمود نشابة، بالإضافة إلى محمد عبده الذي اجتمع به بعد رحيله إلى مصر، خلف رشيد رضا مؤلفات كثيرة منها: تفسير المنار 12 مجلدا، تاريخ الأستاذ الإمام 3 مجلدات، نداء للجنس اللطيف (حقوق النساء في الإسلام)، الوحي المحمدي، الوحدة الإسلامية، الخلافة أو الإمامة العظمى، يسر الإسلام، الوهابيون والحجاز، والعديد من المقالات في مجلة المنار، التي صدر منها 34 مج، ينظر: خير الدين الزركلي: **الأعلام، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين**، ج6، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2006، ص126.

[4] رشيد رضا، **المنار**، مج 10، ج1، 14 مارس 1907، ص22.

بإمكانها أن تتجاوز سلطتين رئيسيتين الانجليز والخديوية[1]، في حين كانت الولايات العثمانية في بلاد الشام، تئنّ تحت اضطهاد الباشوات، بتطبيقهم للسياسة المركزية، رغم أن الحياة الثقافية في استانبول نفسها، عرفت انتعاشا دون باقي الولايات العثمانية، وهو ما دفع بأعداد هائلة من الشوام إلى الهجرة من ديارهم صوب مصر[2] باحثين عن فضاء من الحرية والنشر، وطلبا للعلم في مدارسها وجامعتها ومعاهدها[3]، ولم يكسر الشوام هذه القيود عن نهضتهم ويقظتهم الفكرية، إلاّ بعد إعلان دستور 1908، وقد سمح هذا الأخير بتسرب أسباب النهضة للمنطقة بمنحه بعضا من الحرية لأهالي الشام، ما صبغ الحياة الثقافية والفكرية عندهم ببعض الحيوية والانتعاش.

II. 2. التعليم:

شهد المشرق العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور حركة تعليمية نشيطة، حيث لعبت الكتاتيب المقامة بالقرب من المساجد أو في الزوايا أو منزل الشيخ المعلم نفسه، دورا رائدا أواخر العهد العثماني في تعليم الأطفال القرآن الكريم تلاوة وحفظا في سن مبكر، بإشراف معلم يلقب بالشيخ أو المؤدب مقابل أجرة زهيدة تعرف بالخميسية (يتسلمها كل خميس) إذا كان هو صاحب الكتاب، أما إذا كان الكتاب ملكا لأحد الأغنياء أو أوقفه لهذا الغرض، فإن التعليم يكون مجانا[4]، ويسمى هذا المؤدب باسم (الملا) في منطقة الخليج.

ومما يجدر الإشارة إليه، أن الطابع المحافظ للمجتمع في هذه المنطقة، لم يمنع الاختلاط في التعليم، فلم يقتصر على الذكور فقط، وإنما كان متاحا للجنسين، وتختتم هذه المرحلة من الحفظ، باحتفال شعبي يسمى (الختمة)، أما المرحلة الثانية من التعليم فيتقن فيها الطفل القراءة والكتابة والمعارف الدينية، وينتقل فيها من الكتابة على اللوح الخشبي إلى الكتابة على الورق، وهي آخر مرحلة من منظور العامة من الناس، إذ يعد بعدها

[1] وهو ما بينه جرجي زيدان في قوله: "لم يكن يصبر على من ينتقده (الخديوي إسماعيل)، فكان الكتاب يراعون جانبه، ومن تجاسر على انتقاده أصبح في خطر القتل كما أصاب مدير الأهرام لما أشار إلى مال صرف من الخزينة ولم يعلم مصيره"، الفيكونت فليب دي طرزاي: **تاريخ الصحافة العربية**، ج3، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913، ص5.

[2] N.S-L.B: «Catalogues dorientalisme», **R.M**, janvier,1907, p.454.

[3] حنا الفاخوري: **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، مج4، (أدب النهضة الحديثة)، دار الجيل، بيروت، ط2، 1991، ص15، ومسعود ضاهر: "الحياة الفكرية في مدينة بيروت قبيل الحرب العالمية الأولى (1908-1914)،"، **المجلة التاريخية المغربية**، ع، 57-58، جويلية 1990، ص28.

[4] محمد أحمد: "الحياة الثقافية في دمشق"، مقال سابق، ص313.

الشخص متعلما، وهي مرحلة لا يبلغها إلا القلة من الأفراد الطموحين المتفوقين[1]، ويدرس الطالب في المرحلة الثالثة الفقه الإسلامي والحديث وتراجم الرجال والعلوم اللغوية والمنطق والحساب.

وبذلك احتفظ الأزهر منذ تأسيسه في العهد الفاطمي (972م) بالصدارة في تكوين الطلاب كأضخم مؤسسة تعليمية وجامع للعبادة، فقد بلغ عدد أساتذته سبعين أستاذا في القرن الثامن عشر، ومعظم هؤلاء الأساتذة هم من تلاميذه[2]، ولم يقتصر دوره على التعليم، بل لعب أدوارا حضارية بارزة في تاريخ الثقافة الإسلامية، إذ حافظ على استمرار تدفق الفكر الإسلامي وتجدده، وعلى نمو اللغة العربية وانتشارها في مختلف الأرجاء، وتخرجت منه أفواجا من الطلاب، حملوا راية الإسلام، ونشروا اللغة العربية في مختلف بقاع الأرض[3].

وإلى جانب مصر، ظهرت في بلاد الشام، خاصة دمشق وحلب، العديد من المدارس، ابتداء من القرن الثامن عشر ميلادي[4] كدار القراءة الصابونية بسوق الغنم، ودار القرآن والحديث التنكيزية في سوق التبن، ودار الحديث الأشرفية الأولى الجوانية (الداخلية)، والثانية البرانية، ومدارس أخرى صوفية المسماة الخنقا والزوايا[5]، وتعتمد هذه المدارس من حيث مواردها المالية، على التبرعات والأوقاف والمعونة الحكومية، وما يشارك به مسجد مكة والمدينة، والمتخرجون منها يعملون بصفتهم كتابا وقضاة ومفتين وأئمة، وبعضهم معلمين وأساتذة[6].

ولا يمكن لأي كان أن ينكر الجهود التي بذلتها هذه المراكز العلمية في المحافظة على اللغة والتراث العربي، إلا أنها كانت محط انتقاد حاد[7] لجمود علمائها ورفضهم الأخذ بالأساليب الحديثة في التدريس وحصر المواد

---

[1] عبد الملك خلف تميمي: **الخليج العربي والمغرب العربي**، دراسات في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي، دار الشباب، قبرص، 1986، ص25.

[2] علي المحافظة: مرجع سابق، ص14.

[3] أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ الإسلامي**، مرجع سابق، ص21-22.

[4] علي المحافظة: المرجع السابق، ص14.

[5] محمد أحمد، المقال السابق، ص314.

[6] علي المحافظة: المرجع السابق، ص14.

[7] ومن ذلك ما نقله عبد الرحمن الجبرتي صاحب كتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" من انتقاد الشيخ حسن البدري الحجازي للأزهر في قوله:

الجامع الأزهر ابتـــــلاه ... رب له العز والوجـــــود
بكل فظ قحف وطـــرف ... عليك بالبشر لا يجـــود
قطعة صخر أليس فـيـــه ... الثقل واليبس والجمـــود
عمائمنا كبـــروا، وكمـــا ... قد وسعـــوه لكي يسودوا

ينظر: فهمي جدعان: **أسس التقدم**، مرجع سابق، ص105-106.

المدرسة في العلوم اللغوية والشرعية، وهو ما نوه به أحمد أمين بقوله: "...العلم فيها كتاب ديني شكلي يقرأ، أو جملة تعرب أو متن يحفظ أو حاشية على شرح، أما العلوم الدنيا فلا شيء منا إلا حساب بسيط يستعان به على معرفة المواريث أو قبس من فلك قديم يستدل به على أوقات الصلاة..."[1].

وقد حملت النهضة الفكرية في المشرق، معها نفحات جديدة لتحديث أساليب ومناهج التعليم، وقد قام محمد علي بجهود معتبرة لعصرنة التعليم، فأسس عدد من المدارس والمعاهد العلمية، كمدرسة الطب في أبي زعبل (1827)، لتخريج أطباء للجيش المصري، بلغ عدد خريجيها في الدفعة الأولى 12 طالبا، ثم ارتفع سنة 1837 إلى 190 طالبا، وألحق بها في السنة نفسها، (1837) مدرسة للصيدلة والولادة، كما تم إنشاء مدرسة للهندسة بمصر (1816)، وأخرى للمعادن في القاهرة (1834)، ومدرسة الفنون والصنائع (1839)، ومدرسة للبيطرة[2].

ويعتبر إنشاء هذه المؤسسات باختصاصاتها، في هذه الفترة بالذات، بمثابة القفزة التي بدأت تبدد ظلمة الركود، رغم ما فيها من محاكاة للغرب، وكان لمبادرة مصر بإنشاء أول جامعة سنة (1908) يعبر عن رقي المشهد الفكري مع مطلع القرن العشرين، وقد شهد هذا الصرح العلمي إقبالا متزايدا للطلبة، بعد أن كان عدد المنتسبين إليها 107 طالبا عند افتتاحها[3]، بينما تأخرت بلاد الشام والعراق وسائر بلاد آسيا الغربية عن إنشاء مثل هذه المدارس والمعاهد، فلم يبادر العثمانيون إلى تأسيسها إلا بعد أن ألحقت بهم القوة العسكرية والصناعية الأوروبية خسائر كبيرة، والتي كانت قد اعتمدت على نظم تعليمية حديثة، حينها أدرك العثمانيون حاجتهم إلى التعليم العصري المناقض للتعليم الديني، والمساير لروح العصر، فأسسوا العديد من المدارس، خاصة بعد صدور قانون المعارف العمومية (1869)، عكف مدحت باشا في ولاية الشام (1878)، على تأسيس الكثير منها لشغفه بالعلم، وفرض عقوبات على كل ولي لا يلحق ولده بالمدرسة عند بلوغه السادسة من العمر، ومن هذه

=كما تعرض الأزهر لانتقادات حادة موجهة من خصومه، منهم طه حسين في كتابه: "مستقبل الثقافة في مصر"، حيث رأى ضرورة مراقبة وإشراف الدولة على هذا النوع من التعليم، خاصة في مراحله الأولى (ابتدائية وثانوية)، عن طريق وزارة المعارف والحد من سلطة شيوخه، حتى لا يشكل وجوده دولة داخل الدولة، ورأى ضرورة تطوير مناهجه التي ظلت قديمة غير ملائمة لروح العصر، للمزيد ينظر: طه حسين: **مستقبل الثقافة في مصر**، دار المعارف، ط2، د.ت، ص60-64، و ص 261-265.

[1] أحمد أمين: **زعماء الإصلاح**، مرجع سابق، ص7.

[2] علي المحافظة: مرجع سابق، ص205-209.

[3] "الحركة الفكرية والجامعة في مصر"، **مجلة الرسالة**، ع249، السنة السادسة، 11 أفريل 1938، ص232.

المدارس المكتب الإعدادي (1827)، وهي أول ثانوية في دمشق، وكانت لغة التدريس بها التركية[1]، إلى جانب مدرسة الطب (1901)، التي ألحقت بمدرسة الصيدلة وبلغ عدد طلبتها سنة 1914 مائة طالب[2]، أما في بيروت فقد أنشئت مدرسة الطب والصيدلة (1867)، كجزء من الكلية السورية الإنجيلية، وقد عرفت هذه المرحلة أيضا ظهور التعليم الأجنبي، الذي تزامن مع التنافس الاستعماري على المنطقة، بتكوين مراكز تعليمية في المشرق، كالكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية حاليا 1866)، وكلية مار يوسف الكاثوليكية (1875) أو القديس يوسف، وكانت هاتان الجامعتان تمثلان ثقافتين مختلفتين، فرنسية وبريطانية، واعتمدت فيها المناهج الفرنسية والأمريكية، وقد جذبتا إليهما عددا من طلاب العلم من مختلف البلاد العربية، وإلى جانب دورهما التعليمي[3]، لعبتا دورا بارزا في نشر نهضة ثقافية غربية، من خلال أعداد المتخرجين الذين كانت أعدادهم تتزايد بشكل مستمر، بينما تأخر ظهور التعليم الحديث في منطقة الخليج العربي، وظل خاضعا للمبادرات الفردية، القائمة على جمع التبرعات لتسييره، كمدرسة المباركة في الكويت 1911، ومدرسة مماثلة في البحرين سنة 1919، ولم تتول الحكومات مسؤولياتها اتجاه التعليم، إلا في ثلاثينيات القرن الماضي[4].

وفي العموم، تبدو الحياة الثقافية في المشرق وبصورة استثنائية في مصر وبلاد الشام، بأفضل حال، إذا ما تم مقارنتها بالجزائر، وواقعها الاستعماري الذي فرض كينونته العسكرية والسياسية التي انعكست سلبا على واقعها الثقافي، في مرحلة بدأت النهضة الفكرية تدبّ شيئا فشيئا إلى فكر النخبة المصرية، وبدأت المتغيرات الثقافية معها تعرف تطورات ملموسة على مستوى الصحافة والمؤلفات الأدبية، بما في ذلك القصة والرواية، والدواوين الشعرية والمسرح، والكتابات التاريخية، كما عرف التعليم خلال نفس الحقبة انتعاشا واضحا تحت رعاية سياسية منذ عهد محمد علي، أما بلاد الشام، بما في ذلك سوريا ولبنان وفلسطين، فقد تأخرت نهضتها الفكرية، إلى مطلع القرن العشرين، بعد إعلان دستور (1908)، الذي كان بمثابة المتنفس لهم، ذاقوا معه نسائم الحرية، بعد معاناتهم من الولاة الأتراك، وهي المعاناة التي تكررت مجددا قبل أن يجدوا أنفسهم تحت سلطة أجنبية باسم الانتداب، وكان الاحتكاك المباشر وغير المباشر بالغرب قد أعطى دفعا قويا للمحاولات الإيحائية بالمشرق،

[1] محمد أحمد: "الحياة الثقافية في دمشق"، مقال سابق، ص215.

[2] علي المحافظة: المرجع السابق، ص211.

[3] بلغ عدد المتخرجين من مدرسة القديس يوسف، كأطباء وصيادلة منذ تأسيسها إلى سنة 1914، قرابة 700 طالب، أما الجامعة الأمريكية، فقد بلغ عدد طلابها سنة 1908 حوالي 900 طالب، يشرف عليهم 70 أستاذا، أما عدد المتخرجين فبلغ حتى سنة 1913 (9865) طالب عن قسمي الطب والصيدلة، للمزيد ينظر: مسعود ضاهر: "الحركة الفكرية في بيروت"، مقال سابق، ص284-285.

[4] عبد الملك خلف التميمي: **الخليج العربي والمغرب العربي** ..، مرجع سابق، ص22.

لكسر الجمود والتخلف المهيمن على الفكر، وبذلك فإن عملية الاقتباس من الغرب الكافر قد أحدث في شكله الإيجابي حركة دينامية بمثيراتها واستجاباتها.

II. 3. الصحافة:

لعبت الصحافة دورا هاما في إيقاظ الأذهان، فقد حملت إلى قرائها الأفكار التي تهذّب عقولهم وترفع مستواهم الثقافي، وتبعث فيهم نهضة أدبية وعلمية، واحتلت مصر في ذلك الصدارة، كما سبق الإشارة إلى ذلك، ففي عهد محمد علي صدرت جريدة "الوقائع المصرية" (1828)، التي كان من محرريها الشيخ حسن العطار وأحمد فارس الشدياق، ومحمد عبده، وجريدة "وادي النيل" لعبد الله أبو السعود (1866)، و"نزهة الأفكار" لإبراهيم المويلحي (1869)، وجريدة "الوطن القبطية" لميخائيل عبد المسيح (1877)، وجريدة "مصر القبطية" أيضا لصاحبها تاديس شنوده (1895)[1].

وقد كان للمهاجرين اللبنانيين قسط كبير في النهضة الصحافية في مصر، كمحررين ومؤسسين لعناوين جرائد جديدة، فأنشأ سليم وبشارة نقولا جريدة "الأهرام المصرية" (1875)، كما أنشأ فارس نمر ويعقوب صروف جريدة "المقطم" (1889)[2] بمصر أيضا، وقد عرفت الصحافة المصرية تباينا واضحا من حيث اتجاهاتها والمواضيع التي عالجتها، ونلمح هذا التباين في تيارين مختلفين، تيار موالي للإنجليز ومدافع ومستحسن لسياستهم كجريدتي المقطم والأهرام، وتيار آخر وطني مناهض، كجريدة "المؤيد" (1889) للشيخ علي ماضي، وعلي يوسف، وقد خلف هذا التباين الإيديولوجي، صراعات بلغت في كثير من الأحيان، درجة المعارك القلمية التي تجلت في افتتاحيات الجرائد مقالاتها، كما انفردت الصحف المصرية في شكلها ومضمونها من حيث الحجم ووفرة الأخبار، وهو ما جعلها تضاهي الصحف الأوروبية، وتحتل مكانة متميزة، على خلاف مثيلاتها من الصحف في باقي الولايات العربية، وهو ما أكده فيليب ذي طرازي في كتابه "تاريخ الصحافة العربية": "... ولا بد لنا أن نصرّح بأن صحافة وادي النيل بلغت أو كادت تبلغ شأو الجرائد الأوروبية من حيث الحجم ووفرة الأخبار وغير ذلك من المحاسن، والفضل في ذلك عائد إلى الحكومة المصرية التي تحدت الحكومات الأوروبية..."[3]، بينما عانت الصحافة العربية في بقية الولايات العثمانية، مضايقات كثيرة، كإخضاعها للمراقبة المشددة، والتضييق

[1] علي المحافظة: مرجع سابق، ص28-29.

[2] حنا الفاخوري: المرجع السابق، مج4، ص15.

[3] الفيكونت فيلب دي طرزاي: **تاريخ الصحافة العربية**، مصدر سابق، ص7.

عليها بشروط تتنافى مع حرية النشر، مما قلص أعدادها، وقيد حريتها[1]، وجعل المثقفين خاصة الدمشقيين منهم، يعزفون عن تأسيس الصحف، وهجرة أعداد معتبرة منهم إلى لبنان ومصر.

ومع صدور الدستور العثماني (1908)، عرفت الصحافة الشامية عموما بعض الإنتعاش، فقد شجع قانون المطابع 1909[2] الطباعة التجارية، ما سمح بارتفاع معدلات الكتب المطبوعة، على اختلاف مواضيعها الفنية والأدبية والعلمية، وبأشكال فنية وخطوط طباعة راقية، وبالموازاة مع اتساع حركة تأسيس المطابع، ازدهرت حركة الصحافة بشك ملفت، فشهدت بيروت كواحدة من مقاطعات لبنان، ما بين 1908-1914 صدور 95 صحيفة ومجلة وملحق لصحيفة، بمعدل 13 صحيفة جديدة تضاف إلى الصحف السابقة[3]، وعليه فإن دستور 1908 حمل معه للشاميين نسمات من الحرية، أعقبتها نهضة فكرية وثقافية، تجلت في تنشيط الصحافة وحركة إصدار الكتب، إلا أن هذه الحركية تراجعت بعد الح.ع.I وسياسة التتريك.

كما أن الصحافة في المشرق العربي تميزت خلال الفترة الممتدة من مطلع القرن العشرين إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية، بتنوع طرحها، فطرقت مواضيع سياسية واقتصادية واجتماعية، إلى جانب أخرى أدبية، كما اهتمت بالقضايا الوطنية، كتحرير الأوطان، وتوحيد الأمة العربية، والحرية، والوعي القومي، وإصلاح مفاسد المجتمع، وتحرير المرأة، والتعاون، وطرقت الأدب شعرا ونثرا، فتمتع قراء الصحف خلال هذه الفترة، بأبدع ألوان الأدب، وتتبعوا بعناية النزاعات الأدبية والسجالات والمعارك الفكرية بين أدبائها ومفكريها، إلى جانب حركة الترجمة واقتباس الروايات والأقاصيص الغربية، وعرفت المرحلة أيضا بروز أقلام كثيرة تعددت نزعاتها، وكثرت مؤلفاتها في مختلف الطبوع والفنون، والاختصاصات الأدبية شعرا ونثرا، لا يسعنا المجال هنا لذكرها جميعا.

وإلى جانب الصحافة شهدت الساحة الفكرية المشرقية، ظهور مؤلفات ودراسات تاريخية بأسلوب جديد، ابتعد عن الطرح الكلاسيكي، حيث استعان المؤرخون، بمناهج العلم الحديث في معالجة المواضيع التاريخية، وكانت مؤلفات جرجي زيدان (1861-1913) أحسن نموذج لهذا الطرح، بإتباعه لقواعد العلم الاجتماعي

[1] محمد أحمد: "الحياة الثقافية في دمشق"، مقال سابق، ص320.

[2] هو القانون الذي نظم مهنة الطباعة، ويتضمن 13 مادة، حددت المادة الأولى منه شروط فتح المطبعة، التي لا تتعدى الإعلام، بذلك، بتقديم طلب خطي يحوي: الاسم والمهنة والشركاء وللغة التي تتم بها الطباعة، كما اشترط القانون عدم نشر الكتب الدينية الإسلامية، دون إذن من مجلس المعارف العثماني والنواب والمفتين وتقديم نسخ قبل الطباعة إلى الرقابة ودائرة المعارف، وعدم الالتزام بذلك يلزم صاحبه بعقوبة 50 ليرة عثماني...ينظر: مسعود ضاهر: مقال سابق، ص289.

[3] مسعود ضاهر: مقال سابق ، ص292.

والعمراني والتحري والتقصي مع التجرد العلمي، مثل كتابه: "العرب قبل التمدن" (1908)، وكتاب "تاريخ التمدن الإسلامي" في خمسة أجزاء (1902-1906)، و"تاريخ مصر الحديث" في جزأين (1889)[1]، كما نهج فيليب ذي طرازي (1865-1956) الأسلوب نفسه في كتابه "تاريخ الصحافة" في جزأين، ومحمد كرد علي (1876-1953) في كتابه "مخطط الشام"، إلى جانب المقالات العلمية التي حررها إبراهيم اليازجي ويعقوب صروف عبر صفحات "المقتطف" (1876) وبسّطا فيها اختبارات العلماء الغربيين، في مواضيع علم الفلك والطبيعيات والكيمياء[2]، تلتها مجلة الهلال (1892) لجرجي زيدان، وسار على دربهما العديد من المجلات التي عكف محرروها على تخصيص صفحات للمنجزات العلمية والمخترعات التقنية الغربية وتبسيطها للقراء، كما أولى الكتاب خلال هذه الفترة عناية واضحة للكتب العلمية الغربية عن طريق ترجمة مضمونها، خاصة تلك المتعلقة بالعلوم التطبيقية، وقد أطلعنا الأستاذ علي المحافظة على مجموعة لا بأس بها من الكتب المترجمة في مؤلفه "الاتجاهات الفكرية"[3].

ولم تقتصر الحركة الفكرية في المشرق على التأليف فحسب، وإنما لعبت الجمعيات العلمية والأدبية، دورا هاما في الحياة الثقافية المشرقية، كالجمعية السورية (1847)، المجمع العلمي الشرقي (1882)، والمجمع العلمي العربي بدمشق[4]، إلى جانب الدور الإيجابي للمكتبات، التي أنشئت على نمط حديث، كالمكتبة الظاهرية بدمشق (1878) التي ضمت مجموعة من المكتبات (الخياطين والمرادية والأوقاف والعمرية، وسليمان باشا...)، والتي وصل عدد الكتب بها سنة 1896 إلى 3462 كتاب[5]، ودار الكتب بمصر في عهد محمد علي، والمكتبة الأزهرية بمصر (1879)، والمكتبة المشرقية ببيروت (1880)، ومكتبة جامعة بيروت الأمريكية[6].

II. 4. المسرح:

يعتبر المسرح من ثمار النهضة الأدبية في المشرق الذي ظهر كلون أدبي جديد لم يألفه أهل المشرق، وكانت بدايته محتشمة من لبنان على يد مارون النقاش في مسرحيته "البخيل" (1847) المستوحاة من المسرحي الفرنسي "موليير"، والأديبان أحمد خليل القباني ويعقوب صروف، اللذان تحمسا لاستقدام هذا الفن وغرسه في

[1] حنا الفاخوري: **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، مج4، مرجع سابق، ص226-228.
[2] نفسه، ص39.
[3] علي المحافظة: مرجع سابق، ص215-216.
[4] حنا الفاخوري: المرجع السابق، مج4، ص15.
[5] محمد أحمد: "الثقافة في دمشق"، مقال سابق، ص325.
[6] حنا الفاخوري: المرجع السابق، مج4، ص16.

التربة العربية، رفعا لمستوى الأمة، وتهذيبها وإمتاعها لشعورهم بالنقص بعد سفرهم إلى أوروبا، واطلاعهم على الإزدهار الذي بلغه المسرح الغربي، في حين لم يعرف العرب هذا الفن بعد[1]، واستوحى هؤلاء الرواد عن المسرح الغربي ثلاثة أنواع من المسرح: المسرح الجاد، الذي يعتمد النص الأدبي، والمسرح الكوميدي، والمسرح الغنائي أو الأوبيرات، ولم يلق هذا النوع الأدبي والفني رواجا شعبيا، فقد اقتصر في البداية على اهتمام نزر قليل من النخبة المثقفة، وظل نخبويا، لذلك وجد القائمون على المسرح في البداية صعوبة في تفاعل الجماهير معه، الأمر الذي عبر عنه مارون النقاش بقوله: "إن دوام هذا الفن في بلادنا أمر بعيد"[2]، وهو ما دفع برواده إلى الهجرة إلى مصر، حيث وجدوا المناخ الملائم، خاصة بعد إنشاء الخديوي إسماعيل للأوبرا الملكية، فانتشر فن المسرح بها انتشارا واسعا، وكثر التأليف فيه، وأسست فرق مسرحية، كفرقة سليم النقاش، وفرقة سليمان القرداحي (1882)، واسكندر فرح (1886)، وضمت هذه الفرق المسرحية لعضويتها العازفين والملحنين والمؤلفين، كخليل اليازجي (1836-1889)، ونجيب حداد (1867-1899)، وفرح أنطوان (1874-1922)، ومع مطلع القرن العشرين عرف المسرح تطورا واضحا على يد جورج أبيض وفرقته (1912)، إضافة إلى جهود أحمد شوقي (1868-1932) المسرحية، التي تميزت بالرصانة والقوة مثل مسرحيته "مصرع كيلوباترا"، في حين اتسم المسرح في باقي الولايات العربية المشرقية، بالمحدودية في الظهور، حيث انحصر تأثيره ضمن جدران الجامعات والقنصليات والمدارس الكبرى، خاصة لبنان الذي تأخر ظهور المسرح به بشكل عملي إلى النصف الثاني من القرن العشرين، لغياب الدعم المادي والتشجيع الرسمي، وعدم مشاركة العنصر النسائي فيه، للاعتقاد السائد أنه منكر من المنكرات الواجب تجنبها[3]، بينما تأخر في الخليج العربي إلى أربعينات القرن الماضي.

III. الوضع الاقتصادي والاجتماعي:

III. 1. الوضع الاقتصادي:

من الناحية الاقتصادية، انقسم المجتمع إلى مزارعين وتجار وحرفيين أو صناع، وكان المزارعون يشكلون غالبية السكان، وينقسمون إلى إقطاعيين وفلاحين، والإقطاعيون في غالب الأحيان من القادة العسكريين أو الزعماء

[1] علي الراعي: "المسرح في الوطن العربي"، **مجلة عالم المعرفة**، ع248، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1999، ص69-70.

[2] نفسه، ص76.

[3] مسعود ضاهر: مقال سابق، ص295.

المحليين أو شيوخ القبائل،[1] وهم فئة قليلة العدد، وعليه فإن النظام الزراعي السائد هو النظام الإقطاعي الذي امتد إلى غاية نهاية الح.ع.I. حيث سيطرت مجموعة من الأفراد على أغلب الأملاك الزراعية عن طريق النفوذ العشائري أو الهبة التي كانت تمنحها الدولة، وفي الغالب للذين يقدمون لها خدمة، أو بغرض استرضائهم وشراء تأييدهم لها، فقد وهبت على سبيل المثال لمصطفى باشا التركماني، أحد كبار الأعيان في بلاد الشام مساحات واسعة من الأرض، موزعة على نحو مائة قرية فلاحية في المنطقة الممتدة على محور حمص – حماه، مكافأة له على إخضاعه لبدو بادية الشام، ومنع اعتداءاتهم على القرى المجاورة وعلى قطعان الماشية[2]، وقد كان لهذا النظام تداعياته وانعكاساته الكبيرة على المجتمع المشرقي المؤلف خاصة من الفلاحين، إذ كان الإقطاعي يوكل شخصا ينوبه في الإشراف على المزارعين والمزروعات، ويعاملهم معاملة الأقنان أو العبيد، فكان الوضع في عمومه أشبه بالأسر الإقطاعية في المعنى الأوربي للفظ، إضافة إلى نظام الضرائب الذي كان يثقل كاهل الأهالي.

ومن الواضح أن هذا النظام رغم أنه كان استغلاليا، إلا أنه في المقابل سمح بإيجاد فائض في الإنتاج الزراعي والغذائي بكميات متزايدة، كانت توجه للتصدير، خاصة نحو الدول الأوربية الرأسمالية الصناعية، فاشتهرت على سبيل المثال ولاية طرابلس الغرب بتجارة الحرير وبتصدير القطن[3]، الأمر الذي ساهم في تنويع مداخيل البلاد وساعد على تنمية الموارد الداخلية والرفع من المستوى المعيشي.

وتجدر الإشارة إلى أن البلاد عرفت محاولات للنهوض بقطاع الزراعة، باستيراد المواشي لتحسين الأصناف المحلية واستقدام خبراء زراعيين ومهندسين مدنيين متخصصين في مجال الريّ بهدف تحسين وسائل وطرق الزراعة، وقد حققت هذه السياسة عدة إنجازات، مثل زراعة شجر التوت لتربية دودة القز (الحرير)، التي توسعت وشملت العديد من المناطق الساحلية، واستقطبت عددا لا بأس به من الفلاحين[4].

أما الصناعة فبقيت طوال العهد العثماني كما كانت عليه من تخلف وجمود، وانحصرت في طوائف حرفية، يتحكم بها شيوخ كل طائفة، وما زاد الأمور تعقيدا عندما تدخلت الحكومة في تعيين الشيوخ، فدخل الحرف عناصر من غير أهلها، فتقهقرت الصناعة واضمحلت، كما كان لنظام الامتيازات الأجنبية أثره في الحيلولة دون

[1] علي المحافظة، مرجع سابق، ص 159.

[2] ملحم قربان، **تاريخ لبنان السياسي الحديث**، (د.ط)، ج1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص 66.

[3] فاضل بيان، **العولمة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، حصرا مطلع العهد العثماني – أواسط القرن 19م**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 206

[4] ملحم قربان، المرجع السابق، ص 67.

نمو أي حرفة أو صناعة، وخاصة بعد أن غزت المنتجات الصناعية الأوربية البلاد العربية في القرن التاسع عشر، عصر الثورة الصناعية، وعليه فقد عرفت الصناعة في المشرق العربي تراجعا كبيرا أدى إلى فقدانها لأسواقها التقليدية العربية والمحلية، مما تسبب في تردي أوضاعها على نحو خطير، وإفلاس العديد من الحرفيين وغلق الكثير من معامل الحرف الصغيرة، وحتى الكبيرة منها نسبيا.

أما في البوادي العربية فقد كان النظام القبائلي المسيطر على الحياة، والتي كانت تمارس حرفة الرعي، وغالبا ما كانت تتعرض للغزو، أينما عجزوا عن حماية أنفسهم[1]، وانعكست القيم الاجتماعية في حياة القبيلة على الحياة الاجتماعية في القرى والمدن بصفة عامة، وبهدف إصلاح الاقتصاد في المنطقة الذي كان يعاني من سيطرة الاحتكار وتنوع وارتفاع الضرائب، وكثرة الفساد والرشوة، بادرت الدولة العثمانية إلى إطلاق سياسة الإصلاحات، التي استهدفت الجانب المالي بشكل خاص، حيث ركزت على تثبيت قاعدة الضرائب وأصول جبايتها، لكن الأمر لم ينجح تقريبا بسبب استفحال عادات الفساد والرشوة وشراء الحظوة في أواسط المسؤولين والموظفين العثمانيين على مختلف مستوياتهم، بل أضيفت ضرائب جديدة إلى جانب الضرائب التقليدية[2].

أما طبقة التجار فكانت تقيم في المدن وتتمتع بثروة كبيرة نسبيا، ومع انفتاح البلاد على الغرب نمت هذه الطبقة وأصبحت تلعب دورا هاما في الحياة الاجتماعية والثقافية، وإليها ينتمي معظم علماء الدين وظهر معظمهم، فنالوا منزلة عالية في الدولة والمجتمع، كما ساعد الإنتاج المتزايد في قطاع الزراعة في تنشيط التجارة الخارجية، وكانت المنطقة تصدر منتوجاتها من الصابون وزيت الزيتون والحرير والقمح والحرير والقطن والتبغ والفواكه والصوف والحبوب..، ولذلك ارتفعت صادرات الدولة العثمانية من الموارد الزراعية والغذائية، التي كان مصدرها بلاد الشام بنسبة لا تقل عن 20% من مجموع صادراتها[3].

II. 2. الوضع الاجتماعي:

لما كانت منطقة المشرق العربي خاضعة للدولة العثمانية التي كانت من وجهة النظر الدينية دولة إسلامية يحكمها سلطان مسلم، ويسود فيها الشرع الإسلامي، انقسم سكانها إلى فئتين: مسلمين وأهل ذمة –حسب

[1] علي المحافظة، مرجع سابق، ص 160.

[2] ينظر: مجموعة من الباحثين، **الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516**، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، ط1، الفنار، لبنان، 2001، ص 07 وما بعدها.

[3] فلاديمير لوتسكي، **الحرب الوطنية التحريرية في سوريا 1925–1927 (صفحة مشرقة من النضال العربي ضد الامبريالية الفرنسية)**، تعريب: محمد ذياب، سلسلة تاريخ المشرق العربي الحديث، دار الغارابي، بيروت، 1987، ص 36.

رأي الفقهاء المسلمين-، ولما كان المسلمون هم الفئة المسيطرة سياسيا فقد تمتعوا بحقوق المواطنة وواجباتها كاملة،[1] أما أهل الذمة فقد منحوا الحق في تطبيق شرائعهم الدينية في أمورهم الخاصة وأحوالهم الشخصية، وفرضت عليهم الجزية كضريبة شخصية يدفعونها سنويا، وكان المسلمون ينقسمون إلى سنة وشيعة ونصرية ومتاولة ودروز، كما انقسم أهل الذمة إلى نصارى ويهود وصابئة، وانقسم النصارى بدورهم إلى روم أرثوذكس وروم كاثوليك وسريان وأرمن وأقباط ولاتين وانجيليين، كما انقسم اليهود إلى سفارديم واشكنازيم، وترك العثمانيون لهذه الطوائف كما ذكرنا حرية ممارسة عباداتها وتطبيق شرائعها، كما أبقوا على زعاماتها الدينية التقليدية.

كما خلفت السياسة الاقتصادية العثمانية في الولايات العربية خلال القرن التاسع عشر وضعا مأساويا، لأن الدوائر الحكومية العثمانية صبت كل اهتمامها على خلق ظروف مناسبة لتأمين أكبر قدر من الأموال لإنفاقها على جيوشها، وتلبية للمطامع المتنامية للطبقة الحاكمة، وزاد سلب المناطق الخاضعة للحكم العثماني بسبب الإخفاقات العسكرية المتتالية وفساد الحكم.

وبالنظر إلى تركيا عاصمة الخلافة التي تميزت الحياة الاجتماعية فيها بالرقي، حيث كانت أفضل بكثير مما عليه في باقي مناطقها، إذ قام السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء مركز البريد ومد أنابيب الشرب إلى العاصمة وأنشأ دار النفوس العامة والغرف الزراعية والتجارية والصناعية ومعمل للخزف ومد السكك الحديدة من دمشق إلى المدينة المنورة والتي بلغ طولها 1327 كم، وتم أنشاؤها في مدة 7 سنوات، وقد كلفت حوالي ثلاثة ملايين جنيه وكانت هذه ضمن خطة الجامعة الإسلامي[2]، كما أنشأ مدارس عليا للتّجارة والزراعة والبيطرة والغابات والتعدين والتجارة والبحرية ... ومؤسسات حديثة للمياه[3]، وقضى على معظم القطاعات الكبيرة المنتشرة في كثير من أجزاء الدولة وعمل كذلك على محاربة الرشوة والفساد الإداري،[4] وأنشئت بها المرافق وكل ما يحتاجه الإنسان وأحدثت فيها جميع وجوه الاتصالات من بريد وتلغراف في سائر الأحياء وكانت الدولة قائمة عليها أحسن قيام، أما المجتمع فيمكن تقسيمه إلى طبقتين[5]:

[1] مثل تولي مختلف المناصب السياسية والإدارية والقضائية والعسكرية، وفرض عليهم في المقابل الجهاد أو الخدمة العسكرية.

[2] جمال عبد الهدي ومحمد، مسعود وآخرون، **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ – الدولة العثمانية** -، ج2، دار الوفاء، المنصورة، 1995م، ص43.

[3] أحمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، دار الشروق، ط2، القاهرة، مصر، 1993، ص242.

[4] سليمان بن صالح الخراشي، **كيف سقطت الدولة العثمانية**، دار القاسم، الرياض، السعودية، د.ت، ص27.

[5] محمد بن عثمان، السنوسي، **الرحلة الحجازية**، تح: علي الشنوفي، ج3، الشركة التونسية للتوزيع، 1981، ص 98.

- الصنف الأول: ويضم أيضا المخولين لهم بالصلاحيات التنفيذية أو الدينية، وكذلك موظفي القصر السلطاني والموظفين الإداريين والعلماء.

- الصنف الثاني: صنف الرعية، وهم دافعوا الضريبة، ويمكن تقسيمه باعتبار آخر كالآتي[1]:

1. الأشراف: مثل العلماء، التّجار والأمراء.
2. القرويون.
3. أهل الحرف وموظفو الدولة.

وفي العموم كان ظاهرا على المجتمع العربي أنه كان ينقصه التجانس والتماسك، وتراجعت القيم الاجتماعية القبلية لتحل محلها قيم جديدة مستوردة من الغرب، ونشأ صراع شديد بين المتأثرين بالحضارة الغربية في المأكل والملبس والمشرب ومختلف وسائل الترفيه والتسلية، وبين المحافظين أنصار التقليد القديم الذين بذلوا كل ما في وسعهم لمقاومة التيار التغريبي وصده.

خلاصة الفصل:

من خلال ماتم عرضه في هذا الفصل، يتضح لنا أن فترة نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين شهدت فيها كل من الجزائر والمشرق العربي تحولات عديدة، ففي الجزائر بالرغم من سياسة التعسف والظلم التي تعرض لها المجتمع الجزائري من طرف السلطة الاستعمارية من خلال محاربة الإسلام وتضييق الخناق على التعليم العربي الإسلامي، وضرب القضاء الشرعي، ومحاربة اللغة العربية بضرب المؤسسات التعليمية ..، إلا أننا نجد مظاهر للوعي السياسي وظهور طبقة مثقفة، حملت على عاتقها مسؤولية الدفاع عن ثوابت الأمة، خاصة بعد فشل المقاومة الشعبية.

في حين كان المشرق العربي يشهد تحولات عديدة، استمدها من اطلاع مفكريه على التطورات السياسية التي حصلت بأوربا، وفي مقدمتها الثورة الفرنسية، هذه التطورات تزامنت مع اليقظة الفكرية التي بدأت تعيشها الشعوب العربية، من خلال الحركة الإصلاحية وحركة الجامعة الإسلامية، وهذا ما أسهم في ظهور حركات قومية كانت تنادي بإصلاح الأوضاع في داخل الدولة العثمانية والبلاد العربية، ومهما يكن من حال فقد كان واضحا أنّ الوضع في المشرق العربي أحسن بكثير منه في الجزائر، ما أوحى للجزائريين بوجود عالم أكثر حيوية وحرية في المشرق.

[1] أحمد آق كون وسعيد أوزتورك، **الدولة العثمانية المجهولة**، وقف البحوث العثمانية، استانبول، تركيا، 2008، ص540-541.

الفصل الثالث

• جسور التواصل الفكري والحضاري بين النخبة الجزائرية والمشرق العربي وموقف السلطة الاستعمارية منه •

أولا: الهجرة

ثانيا: الزيارات

ثالثا: المراسلات

تمهيد:

إن علاقة الجزائر بالمشرق العربي ممتدة في تاريخ الحضارات القديمة، مع التواجد الفينيقي في الشمال الإفريقي، وتوطدت هذه الرابطة وترسخت أكثر مع الفتح الإسلامي، فظلت منذ ذلك الحين مشاعر الجزائريين مشدودة إليه (المشرق)، ومتعلقة بأخباره، مرتبطة بعلمائه وطرقه، لكونه أرض الرسالات والحضارات، ومركز العلم والعلماء، ويبدو أن الصدمة التي تعرضت لها الجزائر مبكرا (1830)، على يد فرنسا الاستعمارية التي أفصحت عن سياسة الهدم لمقومات الهوية في الجزائر، هو ما جعل الجزائري المسلم يعيش صراعا حقيقيا، وبين موروثه الديني والفكري، والوافد الأجنبي، الذي مثلته فرنسا بحداثتها، وقد أبدت الإدارة الاستعمارية قلقها ومخاوفها، لتعلق الجزائريين بالمشرق، وظل هذا الأخير من الانشغالات التي أرقتها، معتبرة إياه خطرا يهدد مستقبل المستعمرة، لكون المشرق يبعث في الأهلي المسلم قوميته وهويته العربية الإسلامية، وهو ما دفع بها لمحاصرة الجزائريين بجدار وهمي عازل، بمنعهم من التواصل ومد الروابط معه (المشرق) الذي يقاسمونه، الأصول الاعتقادية واللغوية والتاريخية والمصير المشترك.

وهنا نتساءل عن الطرق التي مكنت الجزائريين من التواصل مع إخوانهم المشارقة في ظل احتلال أجنبي؟ أو ما هي القنوات التي سمحت لهم بالمحافظة على ترابط حلقات العقد العربي الإسلامي، الذي تشكل الجزائر منذ الفتح الإسلامي أحد أهم حلقاته، في الضفة الغربية من العالم العربي؟ وما هي السياسة التي انتهجتها فرنسا للحيلولة دون هذا التواصل؟ ومدى نجاح سياستها الاندماجية في فصل الجزائريين عن ثقافتهم العربية والإسلامية؟

أولا: الهجرة:

تشكل الهجرة أحد أهم محركات التواصل الجزائري المشرقي، وقد أثارت هذه الأخيرة اهتمام الكثير من الدوائر العلمية، فحاول علماء الاجتماع والمؤرخون والمنظمات الدولية[1] تحديد مدلولها، وسنحاول بدورنا

[1] عرفها (Rager (jan jeacques في كتابه: Les musulmans algériens en France et dans les payes islamiques كما جاء في المؤتمر المنعقد في روما 1924: "المهاجر كل أجنبي يصل إلى بلد آخر، بحثا عن سبيل وفرص العمل أو بقصد الإقامة الدائمة" كما عرفها Rene Gonnard في كتابه: Essai sur l'histoire de l'émigration: "المهاجر هو أن يهاجر الإنسان بلاده، وأن يقيم في البلد المهاجر إليه ليعيش ويعمل" للمزيد ينظر: عبد الحميد زوزو: **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919–1939**، مرجع سابق، ص11.

اختصارها بالقول: أنها ظاهرة اجتماعية وإنسانية، ينتقل فيها الفرد أو الجماعة من منطقة إلى أخرى، على مستوى الداخل أو خارج حدود بلادهم، لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية، ولم تكن الظاهرة البشرية في الجزائر مقرونة بالفترة الاستعمارية فقط، وإنما على خلاف باقي الفترات، ازدادت وتيرتها ومعدلاتها منذ الاحتلال، وبخلاف الهجرات البشرية في العالم، كانت هجرة الجزائريين في الأغلب اضطرارا، بحثا عن الأمن والرزق والعلم، وفرارا من مشاريع استعمارية (الخدمة العسكرية)، لذلك نعدها مقاومة سلبية لحالة استثنائية في ظل الاحتلال، كما اختلفت وجهتهم، فشملت العالم الإسلامي بشرقه وغربه، وباتجاه أوروبا (فرنسا)، والذي يعنينا في هذا المقام، والاتجاه الوطيد الصلة بموضوعنا، التي نقصد بها الحركة البشرية المتجهة صوب المشرق العربي، سواء مهاجرين أو منفيين.

I. أسباب الهجرة:

أجبر الأهالي على الفرار من ديارهم وأراضيهم والهجرة داخليا أو خارج الديار، مجموعة من العوامل[1]، رسمت فرنسا الاستعمارية كل مشاهدها تقريبا، سياسيا وقانونيا واجتماعيا واقتصاديا، مما شكل ضغط نفسي كبير على الأهلي المسلم.

I. 1. السياسة الاستعمارية:

سنت الإدارة الفرنسية جملة من التشريعات القانونية الجائرة، وضعت الجزائري في موضع قانوني مبهم، وغموض سياسي جعلت منه رعية، غريب في بلده، ومنعته من المشاركة في حكمها، وهي الوضعية التي زلزلت البنية الاجتماعية والاقتصادية، وكسرت الحواجز الدينية بالتدخل في الشأن التعبدي للجزائري المسلم، وهدم وسلب مؤسساته الدينية والتعليمية من مساجد وأوقاف، ومساعيها في خلق إسلام فرنسي على لائكيتها (فصل الدين على الدولة)، على خلاف تعاملها مع باقي الديانات، فلم يكن للإدارة الاستعمارية في الجزائر أي سلطة على الكنائس والأديرة، وقد تجاوزت فرنسا في تعسفاتها إلى الإبادة الجماعية، التي تندرج ضمن الجرائم الإنسانية،

[1] أوعز المؤرخون الفرنسيون الهجرة إلى أسباب عديدة، استخلصت في غالبها من تقارير وتحقيقات الغدارة الاستعمارية، بهدف تحليل أسباب حركة الهجرة إلى الديار الإسلامية، فقد رجح المؤرخ الفرنسي راجي (j.j.Rager) العامل النفسي، الذي كانت تقوم به الدعاية العثمانية، بينما باردن (B.Bardin) أرجعها إلى عوامل عرقية، أما أجرون (Agreron) فحصرها في الأوضاع الاقتصادية، خاصة الفقر الذي أرق الجزائريين للمزيد ينظر:

-Agreron (Ch.R) : Les algériens musulmans et La France, T2, op.cit, p1079-1083.

بتذبيحها لقبائل بأكملها، (قبيلة أولاد رياح بتنس، ومجزرة قبيلة العوفية (1832)[1]، كما صادرت الممتلكات الفردية والجماعية، وجعلت من الفلاح مستأجرا وخماسا عن المستوطن، بعد أن كان مالكا يخدم أرضه، كما طالت السياسة الفرنسية القبائل، ففككت أواصرها، وزعزعت من مكانة القبيلة، وهزت معها البنية الاجتماعية للمجتمع، وأثقلت كاهل الجزائري بضرائب مرهقة، وازدادت هذه الإجراءات تشددا، في النص الثاني من القرن التاسع عشر، بصياغة قانون الأهالي، الهجين عن كل القوانين المعروفة، فكان يمثل العبودية، من دولة تدعي الحداثة والعصرنة، بإجراءاته الرادعة، والمقيدة لأبسط الحريات الإنسانية، ومضمونه عن الحجر الإداري الذي فرضته فرنسا على كل من يعاديها بالنفي إلى أماكن بعيدة، وقانون الغابات...إلخ، وهي عوامل منطقية تجعل الفرد الجزائري يبحث عن مجال للأمن، الذي افتقده في واقع استعماري مرير، فاختار الفرار بعيدا عن الديار، يهجر فيها أرضه، ويبيع الغالي والنفيس، بحثا عن الأمن والطمأنينة والرزق والعمل.

I. 1.1. الاستيطان:

يعد الاستيطان من الأسباب الجوهرية التي دفعت الجزائريين للهجرة، فقد انفرد المستوطنون، دون الأهالي بامتيازات كثيرة، سياسية واقتصادية واجتماعية، واعتبروا الجزائر ملكية خاصة لا ينافسهم فيها أحد، فتعالت لذلك أصواتهم في بعض المجالس المنتخبة، بضرورة إبعاد الأهالي إلى المناطق النائية، حتى يفسح لهم المجال للانتفاع بخيراتها، وهو ما عبر عنه أحد المستوطنين بقوله: "إن الجزائر هي نحن، أما الأهالي فليس لهم أي حق، فالجزائر ليست بلدهم"[2]، لذلك لم يتردد المستوطنون في تشجيع الأهالي على مغادرة الجزائر باتجاه الولايات العثمانية، واستعانوا ببعض الجزائريين على مستوى المقاهي والأسواق، وحتى عن طريق البراح لنشر دعايات مختلفة، ترغبهم في المغادرة خارجا، كالترويج للفكرة القائلة: أن الدولة العثمانية توفر للمهاجرين الكثير من الامتيازات، فإلى جانب الأراضي الخصبة التي تمنحها إياهم، تضمن لهم جوازات سفر مجانية، كما تتكفل بمعيشتهم ومصاريفهم، بمجرد وصولهم في انتظار حصولهم على الأراضي[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، ص50، وص228-230.

[2] عبد الحميد زوزو: **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)**، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005، ص70.

[3] عمار هلال: "الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي 1898-1918"، **مجلة الثقافة**، ع84، نوفمبر- ديسمبر 1984، ص101.

وبخلاف المستوطنين، شعرت الإدارة الاستعمارية برعب وقلق تجاه الموجات البشرية التي غادرت الجزائر إلى وجهات عربية، لما في الأخيرة من تعتيم صورتها في المشرق، وهي الصورة القائمة التي حاولت فرنسا تجنبها قدر الإمكان، لتناقضها مع مساعيها في تحسين مكانتها، وترجم هذا القلق على أكثر من صعيد، كالتحقيقات والمناقشات والمراسلات الإدارية بين الحكومة العامة مع مختلف الأطراف الفاعلة في عملية الهجرة، إلى جانب الدور الإعلامي، كما سيأتي بيانه.

I. 2.1.التجنيد الإجباري:

اتفقت حل الكتابات التاريخية، التي أرخت للهجرة في مطلع القرن العشرين، على أن مسألة التجنيد الإجباري، تعد عاملا محفزا على ارتفاع نسب الفارين من الديار، وهي المسألة التي اهتمت لشأنها أيضا الإدارة الاستعمارية عبر الصحف والتقارير وتحقيقات عن أسبابها وبواعثها، وهي في حد ذاتها تعبير عن قلق فرنسا، وأثارت هذه المسألة حفيظة النخبة الجزائرية المعربة منها والمفرنسة، بين مؤيد ومعارض، والقرينة الجديدة التي حملها التجنيد في العقد الأول من القرن العشرين، هي تقنين المسألة في شكل قانون له نصوص وبنود، منها ما كان مهينا (الضريبة)، وخلقت في نفس الوقت جوا من الرعب في نفوس الجزائريين، فإلى جانب أوضاعهم القاسية ومعيشتهم المأساوية، أرادت فرنسا جرهم قسرا بحيث لم تكن الرغبة في تقديم يد العون إلى فرنسا أثناء أزماتها الخارجية، إلا من فئة ضئيلة من الجزائريين، من الذين يطمحون لترقية قانونية سياسية، تحمل رفعا في سلم المكانة الاجتماعية، في حين لم تستصغ الأغلبية فكرة مشاركة فرنسا الكافرة في حرب لا تعنيهم، قد يرغمون فيها على رفع السلاح في وجه إخوانهم، والتخلي عن عباداتهم الدينية (الصلاة والصوم)، وإجبارهم على تجاوز شريعتهم في المأكل والمشرب[1]، وهذا ما يفسر هلع الأهالي الجزائريون أن لا مناص منه، فقرروا بيع أملاكهم والفرار بعائلاتهم اتقاء لتسليم أبنائهم، وقد شجعت الصحافة الأهلية على حساسية الموقف حينها، وقلة المفصحين عن مواقفهم خشية أن يطالهم بطش فرنسا، شجعت جريدة الحق الجزائريين على الهجرة[2]، فشهدت عدة مناطق من الجزائر هجرات جماعية، خاصة تلمسان التي غادرتها عائلات بأكملها، حتى نعتها فيكتور

[1] Rapport Luciani, **A.N.O.M**.9H10 / 61,1899.

نقلا عن: عمار هلال: "أصداء الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي في بعض التقارير الرسمية الفرنسية"، **مجلة الثقافة**، ع88، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1985، ص141.

[2] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج2، مرجع سابق، ص179.

ديمونت (Victor Demontes) بالهلع الذي قد يتحول إلى وباء: "إنه هلع حقيقي، إنه يوشك أن يكون وباء أخلاقيا"[1].

وإن كانت هجرة الجزائريين عموما لأسباب متداخلة، جعلتهم يفرون من واقعهم المرير، فإن بعضهم الآخر لم تعط له هذه الحرية، وهجروا قسرا من وطنهم إلى ديار الغربة، والمعروف أن إصدار هذا الحكم القاسي الذي يوازي حكم الإعدام لم يقتصر على فرنسا فحسب، وإنما سلطته كل الدول الاستعمارية على زعماء الدول المستعمرة، وقد ارتبط تطبيقه على الجزائريين بعدة اتهامات، كالتآمر على السيادة الفرنسية، أو تأييد إيديولوجيات مناقضة لسياستها مثل الخلافة والجامعة الإسلامية، أو مساندة الثورات الشعبية وقادتها، (الأمير عبد القادر والمقراني...)، وتسليط هذه العقوبة كان على شخصيات كانت لها مكانة دينية أو سياسية من الأعيان والموظفين والبايات، وزعماء الثورات الشعبية، كباي التيطري مصطفى بومرزاق، وباي وهران حسن بن موسى، والداي حسين، أو بعضا ممن تولوا منصب الفتوى والقضاء لم يجاروها في أهدافها الهدامة، كمحمد بن العنابي، ومصطفى الكبابطي، وتم نفيهم إلى اتجاهات مختلفة من العالم الإسلامي، (الإسكندرية، أزمير، الحجاز)[2]، وهم أكثر حظا، لأن تهجيرهم كان على الأقل في محيط يسهل عليهم الاندماج فيه لعدة اعتبارات، دينية ولغوية وعادات وتقاليد، بينما نفي آخرون إلى مناطق نائية من العالم، كانت بمثابة الإعدام حقيقة، لاختلاف لغة التواصل والأعراف، وحتى المناخ، وارتبط هذا النوع من التهجير بقادة الثورات.

وفي الحقيقة كان انتقال الجزائريين إلى المشرق مهاجرين أو مهجرين، كانت لدوافع موضوعية، لو وضع فيها أي إنسان عاقل لما استطاع احتمالها، وما طاق لها صبرا، فالظروف الاستثنائية التي سلطتها فرنسا لم ترحمهم في دينهم وفقرهم وجوعهم وخوفه...فكانت الهجرة هي المفر لهم عندما عجزوا عن مقاومة فرنسا، ورفضوا العيش تحت سلطانها، والتي وصفها مصطفى الأشرف في قوله: "هي حرب شاملة مهلكة للحرث والنسل، للمدنيين والمحاربين والنساء والأطفال والأشجار والقرى والحقول والمواشي"[3]، لذلك فإن الهجرة وإن كانت مقاومة سلبية، فإنها كانت تعبيرا عن استياء ورفض لوضع إنساني واجتماعي وسياسي أضحى جزءا من واقع.

[1] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج2، مرجع سابق، ص119.

[2] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء تاريخ الجزائر**..، ج4، مرجع سابق، ص193.

[3] مصطفى الأشرف: **الجزائر الأمة والمجتمع**، مرجع سابق، ص282.

I. 2. فتاوى العلماء:

ومن العوامل التي لا يمكن إغفالها، الأثر النفسي للنقاشات التي احتدمت بين العلماء حول مشروعية الهجرة[1]، ومدى وجوبها منذ بداية الاحتلال. ولا يمكن لأحد أيضا إنكار ما تمثله الفتوى في نفس المسلم، فهي بمثابة سلطة دينية توجيهية، يستعين بها الفرد المسلم في أموره الدينية خاصة تلك المتعلقة بالنوازل الفقهية الموازية لمستجدات الحياة. فبعد أن عدّت الجزائر دار كفر، وما يترتب عنها من وجوب الفرار منها إلى ديار الإسلام الأخرى، التي يمكنهم فيها إقامة الشعائر الدينية بكل حرية، قياسا على هجرة المسلمين الأوائل نحو الحبشة والمدينة المنورة[2].

وبالعودة إلى القرآن والسنة فإن الإسلام حث المسلمين على الهجرة في حال سيطرت الكفار عليها، وهذا الأمر معروف منذ السنوات الأولى للإسلام، فلا يجوز للمؤمن أن يخضع للكافر، ذلك أن موقف الشريعة الإسلامية واضح وقاطع، منذ أن أمر القرآن مسلمي مكة بالهجرة نحو المدينة، استنادا لقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**[3]، والمقصود هنا الذين تخلفوا في مكة ولم يهاجروا مع النبي صل الله عليه وسلم، ورضوا أن يقيموا بين أظهر المشركين.

وكان "قدور بن رويلة" كاتب الأمير عبد القادر (ت.1855)، ومفتي مدينة الجزائر "علي بن الحفاف" (ت.1870)[4] من أوائل الذين أوجبوا الهجرة إن كانت الغلبة للعدو، في حين أفتى آخرون بضرورة البقاء في الديار ما دام هذا العدو قد تركهم يمارسون شعائرهم الدينية ويتعبدون، فيحافظون بذلك على الدين والتعاليم

---

[1] أثارت هذه المسألة نقاشا بين العلماء بلغ حد تكفير بعضهم البعض، والتراشق بالسب والشتم، كتلك التي تبادلها كلا من قدور بن رويلة ومحمد بن الشاهد، ينظر: جمال قنان: **نصوص سياسية جزائرية**، ص-ص 119-121، وص-ص 136-141.

[2] شهد التاريخ الإسلامي العديد من الهجرات، كهجرة سيدنا إبراهيم الخليل، وموسى عليه السلام إلى مدين، ثم أصحاب الرسول صل الله عليه وسلم إلى الحبشة خوفا من قريش، ثم هجرته عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة، ينظر: **حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية**، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص22-31.

[3] سورة النساء، الآية: 97.

[4] احتدم النقاش حول مسألة الهجرة، وأثار جدلا كبيرا على حد الخصومة بينه وبين ابن الشاهد، ينظر: المهدي البوعبدلي: **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي**، ج1، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة، 2013، ص73-74.

العامة، وهي عماد الفتوى التي ذهب إليها مفتي المالكية مصطفى الكبابطي (ت.1860)، ومحمد بن الشاهد الفقيه والشاعر[1] الذي تولى الفتوى قبل الاحتلال[2].

إلى جانب ذلك كانت فتوى الأمير عبد القادر المعنونة بـ: "حسام الدين لقطع سبه المرتدين"، دعا فيها الأمير الجزائريين إلى الهجرة الجماعية، بعد موقعة الزمالة التي لحقته فيها خسائر معتبرة، على يد الجيش الفرنسي[3]، لكن يبدو أن الأمير تراجع عن هذه الفتوى، وهو في المهجر بعد أن انهزم وسجن، وتأكيدا لهذا التراجع تنسب بعض المصادر مقولة، قيل أن الأمير قد صرح بها لأحد أصدقائه الذي سأله عن الهجرة: "لا تسمع لقول من يقول لك: أذهب إلى القدس تقدسك، فاعلم أن الرجال تقدس البقاع وليس البقاع تقدس الرجال"[4].

وتجددت دعوات الهجرة إلى المشرق، مع طرح مشروع التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، واستجابت جموع كثيرة من الأهالي لهذه الدعوات، فهاجرت فرادى وجماعات، استجابة لفتوى المفتين، كالمفتي الحاج شلبي بن جلول، مفتي تلمسان[5]، ومقدمي الطرق الصوفية، كالطريقة الدرقاوية[6]، فشكلت هذه الفتاوى، السند

---

[1] مع أن بن الشاهد ذهب في فتواه إلى ضرورة البقاء في الديار وعدم الهجرة، إلا أننا نجده في قصيدة مؤثرة يصف فيها مدينة بعد أن غزاها الفرنسيون، يؤكد أن الظروف التي عرفتها المدينة تدفع أهلها إلى الفرار، نقتطع منها بعض الأبيات التي قال فيها:

ليت سواد الحزن بعد مسـرة ... وعمت بواديك الفنون بلا حصـر
ولثم درس العلم والجهل عسعس ... ونادى بتعطيل العلوم على النشـر
وناح على الأسواق طير خرابـها ... فأصبح فأس الهدم يبني بالغـدر
فباعوا نفايس المتاع ببخسـها ... وهاموا حيارى في الفيافي والبحـر
فآه على جهدي وما به منعـة ... وآه على دار يسود بها غيـري
أموت وما تدري البواكي بقصـتي ... وكيف يطيب العيش والأنس في الكفر

ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، م.و.ك، الجزائر، 1983، ص114، و**الحركة الوطنية**، ج1، ص88-89.

[2] محمد بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص12-14.

[3] نفسه، ص20.

[4] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، ص363.

[5] يعد الحاج شلبي ممن عارضوا فكرة الخدمة العسكرية، وأفتى بضرورة مغادرة الديار باتجاه البلاد الإسلامية، وهي الفتوى التي صرح بها علنا خلال صلاة الجمعة، وتعرض بسببها لحرمانه من مرتبه الشهري، ينظر: مصالي الحاج: **مذكرات مصالي الحاج 1898-1938**، تر:محمد المعراجي، تص: عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، 2007، ص49-50.

[6] نادية طرشون: **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص153.

الشرعي لفرار الأهالي من هذا الواقع الذي يهدد حياتهم وحياة أبنائهم، ويجعلهم يشاركون في حروب لا تعنيهم، ويرغمون على أفعال تخالف شريعتهم[1].

ويبدو أن الخطاب الديني الذي حملته فتاوى الهجرة، كان خطابا روحيا ذو أبعاد نفسية، مما جعل التفاعل قويا، خاصة الخطاب الصادر عن الطرق الصوفية، وما تمثله هذه الأخيرة من سلطة روحية على الجزائر منذ العهد العثماني، ومن منظور آخر تمثل الهجرة جانبا من انهزامية في القرار مع مستجدات الواقع، وقد اختلف الخطاب الديني الموجه لمسألة الهجرة بين القرنين التاسع عشر والعشرين، فطرحها العلماء والفقهاء مع بداية الاحتلال في سياقها الفقهي الكلاسيكي المتناسب مع مقتضيات نهج علماء السلف (دار كفر وإسلام)، بينما أثارتها النخبة في العقود الأولى من القرن العشرين، بطرح مخالف ينم عن وعي جديد، وهذا ما فسر إغفال النخبة من الشبان المؤمنة بالحداثة والساعية لترقية مركزها السياسي والاجتماعي في ظل فرنسا لهذا الخطاب، وترحيبها بفكرة التجنيد.

I. 3. الدعاية العثمانية وحركة الجامعة الإسلامية:

شجع المهاجرون الأوائل في رسائلهم إخوانهم وذويهم على الهجرة، للالتحاق بهم في مواطن هجرتهم بالشام واستانبول والحجاز، وهي الرسائل التي حملت آلامهم وآمالهم، فقد ظلت راسخة في أذهانهم صورة الواقع الاستعماري بحيفه وظلمه، الذي جعلهم يفرون منه، وحاولوا في نفس الوقت تزيين واقع آخر، بنقل صورة عن

[1] على نقيض من هذه الفتوى، سلكت فرنسا طرقا أكثر مكرا، بإرسال المارشال بوجو 1842 للضابط الجاسوس ليون روش الذي تقرب من الأمير، وأصبح كاتبا له بعد أن أعلن إسلامه وسمى نفسه عمر، ثم تنكر للأمير ولبس لباس مقدم من مقدمي الطريقة التجانية، واتجه بمعية من مقدمي الطرق، كالتجانية، والطيبية، صوب المشرق، بغية الحصول على فتوى تمنع الجزائريين من الهجرة ورفع السلاح، بحجة ضرورة الاستسلام إذا تغلب العدو عليهم وعجزوا عن الدفاع عن أنفسهم، وفي استمرارية المواجهة لن يفوقوهم قوة مهلكة، لذا عليهم التوقف عن جهاده، وعدم هجرتهم ما دام هذا العدو سمح لهم بإقامة الشعائر الدينية، وصيغت هذه الفتوى وفق هذا المضمون، وحصل على موافقة علماء القيروان ثم الأزهر فالحرم المكي، وهي أماكن مقدسة عند الجزائريين، ينظر: جمال قنان: **نصوص سياسية**، مرجع سابق، ص262-264، ويوسف مناصرية: **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب**، 1832-1834، م.و.ك، الجزائر، 1990، ص40-44. وأردفتها فرنسا بفتوى أخرى في عهد جول كامبون 1895، اتصل فيها مفوضها بالمفتين في مكة، وطرح عليهم سؤالا، يستفتيهم في جواز الهجرة من أرض لا يمنعهم مانع من ممارسة شريعتهم، وكانت الإجابة عن مجموع المفتين التأكيد بالشواهد القرآنية واتفاق جل المذاهب الفقهية، بعدم جواز هجرتهم. ينظر:

Gouvernement générale de l'Algérie: **L'exode de Tlemcen en 1911**, Imprimerie René Barilier, 1914, p123-127

الحياة الرغيدة في الديار الإسلامية[1]، التي احتلت مدنها (مكة، المدينة المنورة، القدس، بغداد، دمشق، القاهرة، استانبول) مكانة روحية وعلمية في نفوس العامة والخاصة، وذكرها يشحن عواطفهم.

إلى جانب ذلك، اهتمت بعض الجرائد المشرقية، بالشأن الجزائري في ظل الاحتلال، فكانت منبرا للتشهير بما يعانيه أهلها، ودعتهم للمغادرة والفرار من هذا الواقع، تحت تأثير فكرة الجامعة الإسلامية[2]، التي كان لها صدى كبير في ارتفاع معدلات الهجرة، فقد اهتمت كل من "المؤيد" و"المهاجر"، لمسألة تعرض الجزائر للاحتلال، وأهلها للعبودية ومؤسساتها للتحطيم، كما نشرت جريدة المهاجر مقاطعا تدعو المهاجرين إلى الاستقرار في الديار الإسلامية، وعدم العودة إلى الوطن، الذي لازالت تمارس فيه فرنسا الاضطهاد بظلمها وجورها، وقد استأنست الجريدة في أعداد متتالية بالمذهب المالكي، الذي اعتبر العودة إلى حيث الظلم الطغيان كفرا وردة، وهو ما ينطبق على عودة المهاجرين إلى الجزائر[3]، ويبدوا أن الاستشهاد بالمذهب المالكي، ما يؤكد جزائرية الخاطب والمخاطب، لأن جريدة المهاجر للتهامي شطة كانت من تحرير مجموعة من المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام.

فكانت بذلك هذه الدعوات الخارجية حافزا آخر، وعنصر جذب للهجرة، لم تكن خفية عن الإدارة الفرنسية، حيث جعله لوسياني[4] في تقريره عن أسباب الهجرة، على رأس العوامل التي دعت الجزائريين، وشجعتهم على مغادرة وطنهم للاستقرار بالأقاليم العلمانية، وأكد نفس التقرير من جهة أخرى على أن الدعاية العثمانية عبر صحفها كانت تصل بسهولة كبيرة إلى قرائها في الجزائر، كـ"المعلومات" من الأستانة، و"ثمرة الفنون" من بيروت، و"الإسلام" من الإسكندرية، كما عكفت هذه الجرائد على نشر رسائل بعض المغاربة المقيمين بالشام،

[1] كتلك الرسائل التي أرسل بها الحاج الظاهر أحمد بن عبد الله، وهو من الأعيان إلى معارفه في أم البواقي، يشجعهم على الهجرة، واعدا إياهم بالاستقبال الحسن في الدولة العثمانية، ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائري الثقافي**، ج5، ص473.

[2] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج2، ص121-122.

[3] LExode de Tlemcen en 1911, p133-136.

نقلا عن: **جريدة المهاجر**، (29 ماي 1912)، (26 مارس1912)، (24 مارس 1912).

[4] دومينيك لوسياني (Luciani.D1851-1929) أول مدير لمصلحة شؤون الأهالي (30 ديسمبر 1901)، وتولى قبلها مناصب إدارية بدأ من عمالة قسنطينة، ثم إدارة البلديات المختلطة ثم التحق بإدارة الحكومة العامة، كلفته الإدارة الاستعمارية بإعداد تقرير حول الهجرة التي مست منطقة الأصنام (الشلف) والمدية بين سنتي 1898-1899. ينظر: سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، مرجع سابق، ص109.

يدعون فيها إخوانهم الجزائريين للهجرة والتخلص من الحكم الأوروبي المسيحي، والإقامة في ظل الحكم العثماني الإسلامي[1].

II. تداعيات الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي وآثارها:

تنامت فكرة الفرار من الواقع الاستعماري إلى ظاهرة اجتماعية لدى الجزائريين، وتطورت بشكل ملفت على امتداد زمني طويل، على اختلاف وجهاتهم، التي أثارت مخاوف فرنسا.

II. 1. خصائص ومميزات الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي:

II. 1.1. الهجرة خلال القرن 19م:

إن المتمعن في تاريخ هجرة الجزائريين نحو المشرق، يجد نفسه غير قادر على تحديد بدايتها بفترة زمنية معلومة، إنما الأكيد أنها شهدت زيادة ملفتة مع بداية الاحتلال، ففي ظل الاستعمار الفرنسي، اتخذت الهجرة طابعا جديدا، يتمثل في الصفة الجماعية، فرارا من البطش وعدم الخضوع للقوانين التعسفية، فتدفقت موجات بشرية هائلة، وبشكل متواصل إلى غاية مشارف الحرب العالمية الأولى نحو العالم الإسلامي، كتونس وفاس ومصر وسوريا والحجاز وعدن ومسقط والكويت والبحرين وتركيا والهند[2]، وقد ربطها المؤرخون بتواريخ محددة[3]، وأحداث مرتبطة في مجملها بعوامل داخلية، وأخرى خارجية تتعلق بالعالم الإسلامي وأحداثا دولية، فقد تزامنت الهجرة الجزائرية والممارسات الاستعمارية، كعقوباتها المسلطة عقب نهاية الثورات الشعبية، كثورة الأمير عبد القادر (1847)، والمقراني والحداد (1871)، والمجاعات والخدمة العسكرية...

وكانت عملية إحصاء المهاجرين الجزائريين في الغالب مستقاة من سجلات القنصليات الفرنسية في المشرق، فعادة ما يتم تسجيل عدد الوافدين ممن تمنح لهم جوازات السفر، بدعوى مساعدتهم لتجاوز الأزمات

---

[1] محمد غالم: "من أرشيف الإدارة الاستعمارية في الجزائر: الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية"، **مجلة إنسانيات**، مج3، ع12، مركز البحث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية (RASC) سبتمبر- ديسمبر2000، ص30-31.

[2] Vagdala :Les Maghrébins en Orient, Bulletin du comite de **L'Afrique Français** , janvier 1924,p74.

[3] ربط أوغسيت بريك (Augustin Berque) هجرة الجزائريين بالسنوات التالية: (1830-1832-1854-1860-1870-1875-1888-1898-1910-1911)، بينما حدد أجرون (Ageron) تواريخ (1832-1852-1860-1864-1870-1888-1893-1911)، ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص474، وكذلك ينظر:
-(Ch.R) Ageron :**Les Algériens Musulmans et La France**, T2, OP cité, p-p 1080-1083

الاقتصادية كالمجاعة، إلا أنها لا تعبر عن حقيقة عدد المهاجرين، فهي تشمل الذين هاجروا بطريقة رسمية وبحوزتهم جوازات سفر، في حين كان أكثرهم يغادر بطريقة سرية.

واتجه نفر من المهاجرين الجزائريين، مع بداية الاحتلال إلى وجهات داخلية وأخرى خارجية، حيث فر الأعيان والعلماء والقضاة من المناطق الشرقية والغربية مع صدمة الاحتلال الأولى إلى المدن الداخلية، كما استقبلت الجارتين تونس والمغرب أعدادا منهم[1]، بينما شهد المشرق هجرات جماعية، منذ فشل مقاومة الأمير عبد القادر (1847)، حيث هاجر ما يقارب 560 شخصا في رحلة بحرية عبر ميناء دلس، كان من بينهم أحمد الطيب بن سالم خليفة الأمير عبد القادر وعائلته، والشيخ المبارك، وسي الحاج عبد الله وهو من الأعيان، والشيخ المهدي السكلاوي (1784-1862) مقدم الطريقة الرحمانية[2]، فاستقر الخليفة في لواء عجلون بفلسطين، في حين فضلت بقية عائلات الأعيان والعلماء، وبعض الحرفيين الاستقرار في مكان واحد (باب السويقة) في دمشق، ليلتحق بهم فوج ثان سنة 1855 عبر ميناء بيروت مكونا من 84 شخصا[3].

ومع مغادرة الأمير عبد القادر لسجنه (1852)، واختياره لبلاد الشام مكانا لاستقراره مع عائلته وأصهاره ورفاقه، عرفت الهجرة ارتفاعا ملحوظا[4]، وزادت معادلاتها مع الحملة التحريضية إن صح التعبير من المهاجرين الأوائل الذين عادوا إلى وطنهم لتسوية ما تركوه عالقا، كبيع أراضيهم وممتلكاتهم، في بلاد القبائل والمناطق

---

[1] فقد قصد الجزائريون في المغرب قبل الحقبة الاستعمارية، فرارا من ظلم الأتراك منذ سنة 1746، وتزامنت مع فترة الاحتلال منذ 1832، حيث هاجروا من وهران ومستغام وتلمسان صوب تطوان، وجدة، وتازة، وفاس، كما شهدت المناطق الشرقية مع سقوط قسنطينة وفشل مقاومة أحمد باي هجرة مماثلة باتجاه تونس.

-(Ch.R) Ageron :**Les Migration des musulmans algériens et l'exode de Tlemcen (1830-1911)**, Annales,Econmies Sociétés Civilisations, N5,Annee1967,p1049.

[2] سهيل الخالدي: **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، دار الأمة، الجزائر، 2016، ص51، وينظر أيضا: الهجرة الجزائرية نحو المشرق، ص197، وأيضا:

Kamel Kateb: La gestion administrative de l'émigration algérienne vers les pays Musulmans au lendemain de la conquête de l'Algérie (1830-1914), **Revue de Population**, Vol.52, N2, Mars-Avril 1997, p405-407.

[3] نادية طرشون: المرجع السابق، ص202.

[4] A. Le chatlier :Les musulmans algériens au Maroc et en Syrie, **R.H.M**, Mars-Julie 1907, Tunis, p.508.

الوسطى، ومن نتائج هذه الحملة هجرة بني عامر وأولاد سيدي خالد، من وادي بردي بالبويرة (1860[1])، قاصدين بلاد الشام، مخلفين وراءهم 2600 هكتارا من الأراضي الزراعية، كما تقدم 577 شخص بطلبات للهجرة(72% من سكان هذه المنطقة[2])، ونتساءل في هذا المقام، هل أولئك الذين عادوا لتسوية بعض حاجاتهم قد هاجروا بطريقة شرعية أو سرية؟ بحيث يمكنه العودة إلى الوطن ثم معاودة الهجرة من جديد حسب هذه الرواية في ظل رقابة وتضييق الإدارة الفرنسية؟ فالأمر ليس بالسهولة المرسومة.

وقد بلغ عدد المهاجرين إلى بلاد الشام، خلال خمسينات وستينات القرن التاسع عشر، اعتمادا على تقارير القنصليات الفرنسية، حدود 2500 شخص[3]، عن منطقة دمشق وحدها، وأحصى المستشرق الفرنسي ألفرد لوشاتليه ((A.Le chatelier)1855-1929) عددهم في سوريا، سنة (1907) حوالي 8500، من بينهم 3542 استقروا بالمدن السورية، بينما استقرت البقية في أريافها[4]، فإذا أضفنا لهذه الأعداد من المهاجرين، الذين استقروا منهم في فلسطين (قرى الجليل وطبرية) ومصر والحجاز واسطنبول[5]، نقر بالتأكيد أنه كان سيلا جارفا وزحفا بشريا من الجزائريين إلى الديار الإسلامية، وتعكس من جهة أخرى اليد الحديدية، التي سلطتها فرنسا على الجزائريين منذ بداية الاحتلال، وحتى استكمال فرض السيطرة، وأسلوبها في إجهاض كل الثورات الشعبية، إضافة لقوانينها الموهمة بعملية دمج الجزائر بفرنسا، كقانون الإلحاق (1834)، والسناتوس كونسيلت (1865)...إلا أنها في حقيقتها -كما سبق وأن أشرنا في محطات سابقة- وسّعت من الفوارق القانونية والسياسية بين المعمرين وأهالي في درجة رعية من الدرجة الرابعة بعيد كل البعد عنالعناصر السكانية الأخرى(فرنسيون، مستوطنون، يهود)، فرسخ في النفوس استبداد وظلم المستعمر، وغرس عقيدة الفرار من حكم الكافر.

---

[1] سهيل الخالدي: المرجع السابق، ص56.

[2] أرشيف ما وراء البحار (**A**.**N**.**O**.**M**) علبة رقم 98H الجزائر 14 جوان 1860. نقلا عن: نادية طرشون: المرجع السابق، ص215.

[3] نادية طرشون: المرجع نفسه، ص217.

[4] A. Le Chatlier :Art cité, p.508.

[5] لم تقتصر الهجرة على بلاد الشام، وإنما كانت صوب مصر، كما تؤكده التقارير المرسلة من القنصلية بالقاهرة، إضافة إلى الحجاز، متعلق في أذهان كل المسلمين بتأدية مناسك الحج، فبخلاف باقي الحجاج كان الجزائريون لا يعودون إلى ديارهم، بعد تأدية شعائر الحج. ينظر:

- **A**.**N**.**O**.**M**, Gouvernement générale de l'Algérie, Carton 9H100.

نقلا عن: Kateb, Art cité, p.409

كما شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر، هجرات مماثلة تضاعفت مع العقوبات المسلطة عقب فشل الثورات، على الأفراد والجماعات، فقد نشطت حركة الهجرة من بلاد القبائل وقسنطينة، عقب ثورة (1871[1]) حيث بلغ حوالي (700) شخص، وسجلت الإحصاءات ما مجموعه (16.600) مهاجرا سنة (1876)، وهو الكم الذي استقبلته تونس، على اعتبارها محطة متقدمة للمهاجرين الجزائريين، يغادرها أغلبهم صوب مناطق متعددة من المشرق[2].

وبعد استكمال فرض السيطرة الاستعمارية على كامل التراب الجزائري، شرعت فرنسا في تطبيق القوانين الاستثنائية، كقانون الأهالي والغابات، التي شكلت عبء إضافيا على كاهل الجزائريين، الذين لم يجدوا معها سبيلا، فإما الرضوخ لفرنسا أو التعرض لعقوبات صارمة، تراوحت بين الحبس والغرامة المالية، الأمر الذي جعل بعض الأهالي يفضلون الهجرة.

وعرف العقد الأخير من القرن التاسع عشر (1888-1899) توافد أعداد إضافية من المهاجرين صوب البلاد العربية، وهو ما أكدته جريدة لديباش ألجريان ((La Dépêche Algérienne) أوت 1888) بمقال تحت عنوان: (Les algériennes en Syrieالجزائريون في سورية)، أن ما يقارب 250 عائلة جزائرية، نزلت بميناء عكا، ووصفت الجريدة هذه الحركة بالنشيطة، وأشارت لما سيحصل عليه المهاجرون بعد استقرارهم هناك، كالجنسية العثمانية، والإعفاء من الخدمة العسكرية مدة عشرين سنة، بموجب مرسوم أصدره السلطان[3]، وهو إخطار بعملية الجذب التي تمارسها بالمقابل البلاد المستقبلة، كما أن عدد العائلات المذكورة، ليس بالرقم اليسير، لأن كل العائلة مكونة من عدد من الأفراد.

والحديث هنا يدور عن الذين هاجروا بطريقة شرعية، مرفقين بجوازات سفر، مما سمح بإحصائهم، في حين سافر آخرون بطريقة سرية، حيث أحصى آجرون (Ageron)، استنادا للتحقيق تم في سبتمبر من سنة 1888، مغادرة 78 عائلة، أي ما يقارب 347 شخص[4] سافروا بطرق غير شرعية.

---

[1] (Ch.R) Ageron: Les algériens musulmans, T2, **OP cité**, P.1081.

[2] نادية طرشون: المرجع السابق، ص223.

[3] نفسه، ص225.

[4] (Ch.R) Ageron :**OP cité**, T2, p1081.

بينما ركز تقرير لوسياني (Luciani)، على سنوات (1888-1893-1896-1898-1899)، الذي رأى أنها محطات شهدت حركية كبيرة من التدفقات الجماعية، وبلغت حسب المقيم العام في تونس 237 جزائريا في أكتوبر (1899) و200 آخرين بعد شهر واحد (نوفمبر) من نفس السنة[1]، ليلتحق بهم في الشهر الموالي (أكتوبر) 1200 مهاجر جزائري وصلوا لبيروت[2].

كما كانت تونس[3] من بين أهم البلدان العربية مقصدا في الهجرة، فكانت موطنا للاستقرار عند بعضهم فرارا من بطش الإدارة الاستعمارية ومنطقة عبور عند غيرهم، يتمكنون عبر حدودها الشرقية الوصول إلى مصر والمشرق عامة، مرورا بطرابلس في مسار بري بجوازات سفر تسلم لهم من الإدارة الاستعمارية في تونس[4]، فيما يختار أغلبهم التنقل سرا إلى سوريا، خاصة عقب فرض الحماية على تونس (1881)، أين تعرضوا لكثير من المضايقات، حيث خيرتهم سلطة الحماية (المقيم العام) في الفترة الممتدة منا بين 1899 و1916 بين التجنس بالجنسية الفرنسية أو البقاء كرعايا تونسيين، عليهم ما على التونسيين من حقوق اتجاه فرنسا، كدفع الضرائب والخدمة العسكرية[5].

---

[1] الأمر الذي أخطر به المقيم العام الفرنسي ميللي (Millet) في تونس، وزارة الشؤون الخارجية بتاريخ 8 نوفمبر 1898، بأن 237 جزائريا من الذين كانوا مقيمين في تونس، قد غادروها على متن باخرة انجليزية برانس لين (Prince Line) نحو سوريا في سرية تامة، وبعد مدة أسبوعين أو ثلاثة من ذلك، حدث أن أوقف أكثر من 200 جزائري، كانوا يريدون الصعود على ظهر باخرة انجليزية أخرى متجهة إلى بيروت، وتم منهم من امتطائها، غير أن السيد ميللي (Millet) سمح لهم بعد ذلك بمغادرة تونس، بعد دراسة حالة هؤلاء الجزائريين الذين عزموا على مغادرة تونس نحو بيروت، فباعوا كل أمتعتهم وما يملكون، فلم يعد لهم في تونس شيء، ومن جهة أخرى كانت دواعي أخرى في السماح لهم بالمغادرة تتمثل أساسا في الخشية إثارة هؤلاء اضطرابات سياسية في المحمية، ينظر:

A.N.T, Serie A,C278, Dossier 3, (21 oct 1898)

[2] عمار هلال: "أصداء الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي"، مقال سابق، ص150.

[3] لا اختلاف بين الجميع أن تجاور كلا من تونس والجزائر وقربهما الجغرافي، سمح بتقارب أهل المنطقتين، ويسر تنقلهم عبر محطات تاريخية كثيرة، وعرفت مع بداية احتلال الجزائر دينامية كبيرة حركت من وتيرة الهجرة، التي بدأت مع احتلال عنابة 1831 باتجاه بنزرت، واستقبلت تونس بدورها وفودا من المهاجرين الجزائريين، بصفتهم مزارعين وفلاحين، تمتعوا من الإعفاء من الضرائب والخدمة العسكرية، وعملوا كحراس عسكريين في المراكز، ومع تضاعف أعداد المهاجرين المتدفقة على تونس، شكل ذلك قلقا لدى الإدارة الاستعمارية، حيث تحولت الهجرات من الصفة الفردية الرسمية إلى جماعية سرية، للمزيد:

A.N.T, Série,C276 (BIS), Dossier 1/13, N.P324D.EX 1876-1912.

A.N.T, Série C277, Dossier 1.2.3.4, Document NP 103,89,96,18.

Mellz Marty (G) :**Les algeriens a tunis**, I.B.L.A,1984.

[4]**A.N.T**, Série C276 (BIS), Dossier.4/3, NP 342.

[5]**A.N.T**, Série C278, Dossier 3, Document 1/48, D.EX 1899-1916.

ويبدو أن فرنسا في هذه الفترة كانت في وضع حرج، حيث تصاعدت أعداد المهاجرين نحو تونس، فأرادت إيجاد صيغة قانونية لهؤلاء المهاجرين، تضبط بها حركة الهجرة في محميتها الجديدة.

أما مسألة الحصول على الجنسية الفرنسية، فإنه لم يكن بالسهولة الموصوفة، وهم في المهجر، كما أن طلبها أمر مستبعد، وقد كانت متاحة لهم في الجزائر، كانت قوانينها أحد الأسباب التي جعلتهم يفرون من ديارهم، خشية على دينهم، واعتبرت تونس بعد الحماية الفرنسية، معبرا باتجاه سوريا ولبنان بطرق سرية، فلم تظل مطمحا للجزائريين بعد أن وطأها الاستعمار هي الأخرى، واستعان الجزائريون في المرور إلى بلاد الشام، بالسفن الانجليزية والإيطالية، التي قدمت لهم يد المساعدة، دون جوازات سفر، وهو ما أخطر به المقيم العام الفرنسي في تونس، في تقرير له سنة (1888) الإدارة الفرنسية في الجزائر، بعد مغادرة أكثر من 237 جزائري، وقد أثارت المساعدات استياء فرنسا، واعتبرتها تدخلا في الشأن الفرنسي، ويبدو أن في مساعدة المهاجرين إلى المشرق، له مبررات تنافسية، فانجلترا وهي المنافس العنيد لفرنسا، لن ترضى بشكل طوعي أن تنافس حظوظها في المشرق، بينما إيطاليا التي لم تنل نصيبها بعد من الشمال الإفريقي، هدرت فرنسا حلمها في ضم تونس، وهي الأقرب إلى مجالها الجغرافي، وتعتبر الإحصاءات المتعلقة بهجرة الجزائريين، مرآة عاكسة لحياتهم البائسة في الجزائر، من جراء الاضطهاد السياسي لفرنسا، الذي جعل المسلمين الجزائريين في حالة تذمر دائمة، ما دفعهم إلى الهجرة الجماعية، خاصة في بلاد الشام (سوريا، لبنان، فلسطين)، خلال القرن التاسع عشر، بينما سجلت القنصليات الفرنسية على مستوى مصر ما يقارب 1744 مهاجر سنة (1870)، الذين تم تسجيلهم في القنصلية، على اعتبار أنهم هاجروا بشكل شرعي، وبجوازات سفر.

وشكل الحجاز بدوره موطنا استقطب المهاجرين، واستقبل أعدادا أخرى من الوافدين، قدت بـ 1000 مهاجر جزائري[1]، وهو إحصاء تقريبي[2]، لصعوبة ضبط الإحصاءات.

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص483.

[2] المصدر الوحيد لهذه الإحصاءات، هو التقارير والتحقيقات التي أجراها الموظفون الإداريون، بطلب من الإدارة الاستعمارية، في حين تسجل المصادر غياب شبة تام لإحصاءات الإدارة العثمانية، التي كانت الشام إحدى ولاياتها، ونفس الشيء يمكن قوله عن الإحصاءات المتعلقة بالمهاجرين إلى مصر، بخلاف الهجرة الجزائرية إلى فرنسا، والتي توفرت حولها مادة غزيرة، وهو ما يؤكد من جهة أخرى عدم اهتمام الإدارة العثمانية والمصرية بعملية الإحصاء، والدقة في تدوين الوافدين، وهذا ليس فقط على مستوى الهجرة بل تعداه إلى دواوين أخرى.

II. 2.1. الهجرة خلال القرن 20م:

رصدت الإحصاءات خلال العقدين الأولين من القرن العشرين نسبا عالية من الهجرة خاصة الجماعية منها، حيث شهدت فترة (1909-1910)، ارتفاع معدل حركة الهجرة من الشرق الجزائري، فعرفت مناطق كبرج بوعريريج، أم البواقي، قسنطينة، باتنة، وبجاية، هجرة غير عادية، بلغت بين عشرين إلى ثلاثين مهاجرا يوميا، قدرته إحدى المجلات الدمشقية في أوت (1910)، ما مجموعه 1200 شخص كلهم قصدوا دمشق[1].

في حين كان التدفق البشري الثاني من المهاجرين (1911) بمثابة الهلع الحقيقي، للتلمسانيين على حد تعبير ديمونت Demontes، وقد انطلقت من سبدو، الرمشي، وندرومة بتلمسان، واتجهت صوب المغرب الأقصى، ومنه إلى المشرق (دمشق والإسكندرية[2])، بلغ تعدادها حوالي 1200، يمثلون أفرادا وعائلات بأكملها، الأمر الذي أثار ضجة إعلامية كبيرة بين الصحف الفرنسية والأهلية، مثل "ليكو دوران" (L'écho D'oran) و"لوطان" (Le temps) الباريسية، و"الحق الوهراني"[3] (El Hack)، وبدورها أبدت الحكومة العامة قلقا لهذا التدفق البشري العظيم في فترة وجيزة من سنة 1911، وباشرت تحرياتها بتعيين النائب المالي (Barbedette) في بعثة إلى تلمسان للتحقيق في المسألة، وانتهت بوضع تقرير Rapport de la commission barbedette والذي ستكون لنا معه وقفة لاحقا.

وقد عبر أحد مسؤولي الإدارة الفرنسية عن منطقة عزازقة (Azazga) ما يؤكد عجز فرنسا في السيطرة على المسألة، الذي جعله يذهب بتفكيره إلى حد سجن الأهالي، ليقلعوا عن هذه الحركة، التي لم تتوقف نهائيا: "ليس هناك ما يمنع هذه الهجرة، إلا إذا اعتقلنا جميع الأهالي، ووضعناهم في السجون – وليس لدينا السجون الكافية التي بإمكانها استيعابهم-، لأن هذا الشعب حرم من العيش على أرض أجداده، زيادة على ذلك فإن الهجرة بطيئة التحرك، تكاد معالمها أن تختفي، بل يتبادر للأذهان في بعض الأحيان أنها اختفت تماما، بينما هي في الحقيقة في حركة مستمرة"[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص481.

[2] Ageron (Ch.R) :Les Algériens Musulmans.T.2, **OP cité**, p.1089.

[3] محمد غالم: "من أرشيف الإدارة الاستعمارية"، مقال سابق، ص37.

[4] عمار هلال: "الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي"، مقال سابق، ص91.

وإن عرفت الهجرة نحو المشرق تراجعا ملحوظا بعد الحرب العالمية الأولى، لعدة عوامل، كان على رأسها تراجع مشروع الجامعة الإسلامية، وصعود قوى أخرى (الاتحاد والترقي)، الرافضة لتحمل أعباء المهاجرين، وبفكرها الطوراني المناقض لفكرة احتضان العرب، دون أن تنفي اختفاء الظاهرة تماما، لكن تحول مسارها إلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط، التي جذبت الجزائريين منذ مشاركتهم في أعباء الحرب، وقد شهدت هي الأخرى تناميا في عدد المهاجرين بحثا عن مجال أوسع للرزق، وبذلك فإن المؤسسات والتشريعات الفرنسية لم تستطع احتضان الجزائريين، فمع تقادم السيطرة الفرنسية، ازدادت الفجوة والنفور من الآخر، بما يحمله من أحقاد دينية واستبداد سياسي، وفضلوا الفرار من واقعهم المؤلم.

II. 2. وجهات المهاجرين:

لم تكن هجرة الجزائريين للمشرق بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بشكل متساو من حيث التوزيع، فقد شهدت بلاد الشام (سورية، فلسطين، بيروت) توافد موجات بشرية فردية وجماعية أكبر من نظيراتها من أقطار العالم الإسلامي، على اعتبارها ولاية عثمانية، فلم يحتاج المهاجرون إلى جهد للتأقلم فيها، بتغيير عاداتهم وتقاليدهم، ولا حتى تعلم لغتها، وتباين المهاجرون الجزائريون للمنطقة (بلاد الشام) أيضا من حيث استقرارهم، فكانت سورية القبلة الأولى بأكبر نسبة، بخلاف اسطنبول وأزمير، اللتان شهدتا قلة عددية في معدلات الوافدين إليهما، لافتقار الجزائريين فيهما لوسيلة التواصل، وعدم إتقانهم للغة العثمانية، فلم تكن اسطنبول في عيون الجزائريين، سوى عاصمة سياسية للعثمانيين[1]، ولم يهاجر إليها إلا بعضا من الأعيان، خاصة أولئك الذين تم نفيهم.

وكانت مصر مركزا آخرا للمهاجرين الجزائريين، وقد ساهم قربها الجغرافي، ووقوعها في طريق الحج، واحتضانها لجامع الأزهر، في جعلها بلاد مألوفة لهم قبل معرفتهم بالعراق وسورية، فزارها الجزائريون (مصر) كطلبة العلم، منذ النصف الثاني من القرن 18، وفضلها بعضهم للاستقرار من الطلاب والتجار بعد أدائهم فريضة الحج[2]، وازداد أعداد المهاجرين إليها مع الاحتلال، فشملت عائلات عريقة، عمل أفرادها كتجار ومزارعين

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص502.

[2] عمار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916"، مقال سابق، ص119.

وملاكين، كعائلة السلاوي والعبادي والتلمساني[1]، كما كانت منفى لبعض المهجرين من البايات والدايات والذين بدورهم أخذوا بصحبتهم عائلاتهم وحاشيتهم، التي قد تقارب 50 شخصا[2].

واحتفظ جامع الأزهر، بصفته كأحد المراكز الجامعية في العالم الإسلامي، بمكانته في نفوس الجزائريين، فبادر الكثير من الآباء إلى إرسال أبنائهم إليه، للاستزادة من العلم، والبحث عن المكانة العلمية، والوظيفة بعد العودة، حاملين إجازات علمية عن أساتذتهم التي تمكنهم من بلوغ مكانة علمية واجتماعية، وقائمة أسماء الدارسين به من الجزائريين طويلة، يضيق بنا المقام هنا عن سردها، وكان العقيد قاضي الشريف بلعربي، الجزائري المتجنس بالجنسية الفرنسية، في تحقيقه المنجز بأمر من المصالح العسكرية عن وضع الطلبة الجزائريين في مصر، قد أحصى 29 طالبا سنة (1916)، ومع أن الإحصاء المقدم، يبين القلة العددية للطلبة، إلا أن هذا العدد أكثر من الطلبة المسجلين في المدارس الفرنسية الإسلامية[3]، ومن جهة أخرى فإنه أيا كان عددهم أو وضعه المادي فمجرد دخولهم إلى الديار، تسلط عليهم رقابة دقيقة، ويبدو أن قلق فرنسا قد قادها إلى تتبع أثر النخبة العربية بالمهجر قبل عودتهم، لاطلاعها على الإصلاحات المدرجة على مراحل آخرها سنة 1914، أين أدرجت بعض المواد العلمية كالرياضيات، واللغة الفرنسية، التي تعتبر نقلة نوعية في مناهج التدريس، لذلك فإنها فضلت منعهم من السفر، على اعتبارها حاجزا أمام نشاط المدارس الفرنسية الإسلامية، التي يعتقد قاضي الشريف أنها تؤدي نفس دور الأزهر، ولا تخلو سير وتراجم علماء الجزائر من ذوي التكوين العربي، في محطاتهم التعليمية عن زيارة مصر، أو الاستقرار بها خلال قرون عديدة، ولعب الرواق الخاص بهم (رواق المغاربة) دورا هاما في استمرارية نزول الجزائريين أو الاستقرار بمصر.

وكانت الحجاز، محطة أخرى لاستقبال المهاجرين الجزائريين، الذين تطلعوا له بلهفة لروحانية المكان، والأمن النفسي والطمأنينة، فرغم بعد المسافة ومشاق السفر الجسدية والمادية، وصعوبة المناخ، إلا أنه شهد هجرة أعداد معتبرة من الجزائريين، لما تمتعت بها مكة والمدينة في نفوسهم، فعلى خلاف عامة المسلمين الذين يقصدونها زوارا للبيت الحرام، والأماكن المقدسة، عرفت أواخر القرن التاسع عشر توافد مجموعة كبيرة من المهاجرين الجزائريين

[1] عمار هلال: المقال السابق، ص124.

[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص496.

[3] عمار هلال: المقال السابق، ص132.

بشكل جماعي، بلغت مائة عائلة من منطقة بسكرة (سيدي عقبة)، من بينها عائلة الشيخ الطيب العقبي[1]، كما تزامن تاريخ هجرة الجزائريين لبلاد الشام (سورية– لبنان– فلسطين) مع فرار أهله إلى أوروبا والأمريكيتين، هروبا من اضطهاد الولاة العثمانيين، وبحثا عن فرص رزق أخرى، لهذا تتساءل: ماذا وجد المهاجرون الجزائريون في بلاد الشام والمشرق العربي في ظل وضعية اضطهادية وفاقة اقتصادية طبقها العثمانيون، وهم أنفسهم الذين استقبلوا الجزائريين؟ فما الذي دفعهم للهجرة إليها؟ وهل حصلوا فيها ما افتقدوه في ديارهم؟

وقبل الإجابة عن هذه الاستفسارات، نود أن نشير إلى مسألة هامة، وهي أن حركة الهجرة كانت نتيجة للوضعية المزرية، أما كثافتها باتجاه الشام، فقد لعبت الدعاية العثمانية القائمة على فكرة الجامعة الإسلامية دورا لا يمكن إغفاله، بدليل أن معدلات الهجرة إليه عرفت تراجعا بتراجع مشروع الجامعة، المتزامن مع وصول جمعية الاتحاد والترقي، وإسقاط السلطان عبد الحميد الثاني.

II. 3. المكانة الاجتماعية للمهاجرين الجزائريين في المشرق العربي:

تمتع الجزائريون في المشرق العربي، بالحرية والسمعة الطيبة، وحظي العلماء منهم وقادة الرأي بالتبجيل والاحترام، وأتيحت لهم فرص العمل كأئمة ومدرسين بالمساجد والزوايا، وكان بعضهم من التجار وملاك الأراضي[2]، واحتفظ أهل المشرق في ذاكرتهم عن الجزائريين، على أنهم ضحية احتلال أجنبي، أخرجهم من ديارهم وحرمهم من أراضيهم وأملاكهم وسلبهم الطمأنينة، فامتزجت عواطفهم بن العطف والاحترام، فهم كونهم أبطالا رفعوا راية الجهاد ضد هذا الكافر.

ويبدو أن الصورة العامة للمهاجرين الجزائريين اقترنت بترفعهم وتعاليهم عن مدّ أياديهم للغير، فرفضوا أن يكونوا عالة منذ هجراتهم الأولى على مستقبلهم، فقد طالب أحمد الطيب بن سالم، خليفة الأمير عبد القادر المساعدة من السلطات العثمانية، ليس على اعتبارهم فقراء وضعفاء، بل كان الطلب في تمكينهم من سبل العيش بعزة أنفة، فقدم نفسه ومن معه على أنهم مزارعين وصناع، ولا يريدون أن يكونوا عالة عليهم: "نحن لا نريد أن نبقى بهذا الشكل، نريد أن نؤمن معيشتنا، منا المزارعون ومنا الصناعيين ويعرفون صناعتهم"[3].

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج5، ص483.

[2] أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي والإسلامي**، مرجع سابق، ص128.

[3] طرشون نادية: **هجرة الجزائريين**..، مرجع سابق، ص199، وسهيل الخالدي: **الإشعاع المغربي** ..، مرجع سابق، ص53.

كما اشتغل أغلب المهاجرين إلى بلاد الشام في الصناعات الحرفية، خاصة النسيجية منها، وكان لهم بحي السويقة بدمشق شبه مصنع للغزل، كما فضل بعضهم الآخر صناعة الخبز، والإسكافة والنجارة، كمصدر للرزق[1]، أما الذين منحت لهم أراضي زراعية، فقد استقروا في مناطق حوران جنوب دمشق وغوطتها واللاذقية وحلب والخليل بفلسطين[2]، ففرضوا بذلك احترامهم، ولم يكونوا يشكلون ثقلا، وساهموا بطريقة ما في إنعاش الاقتصاد حيث استقروا.

بينما اختلف كم ونوع الفئات المهاجرة إلى مصر، فإلى جانب الطلبة، كان القاصدين من كبار التجار والملاك وأصحاب الأموال والمداخيل المالية، وهو ما جعلهم يتمتعون بنفوذ قوي[3]، وهذا ما يميز بين الهجرتين الشامية والمصرية، ففيما اختارت العامة الشام ليسر الحياة المعيشية فيها وبساطتها، التي تناقلها المهاجرون وأهلهم عبر رسائلهم المتبادلة، ففي رسالة قائد واد شاولي المدعو سي لخضر، الذي جاء ذكره في تقرير باربديت (Barbadette) ذكر فيها كيفية فراره مع عائلته وإخوانه الذين بلغ تعدادهم 27 شخصا، سرا دون جوازات سفر، باتجاه المشرق مرورا بالمغرب عن طريق القطار، ومنها أبحروا باتجاه بلاد الشام، ومن دمشق أرسل برسالة إلى من تبقى من أقاربه جاء فيها: "إن دمشق مدينة تجارية تستطيع أن تبدأ حياتك فيها بفرنك أو 50 ألف، ويمكن فتح مقاهي من دون تراخيص من الحكومة"[4]، يقصد هنا، أن كل الطبقات بإمكانها العيش بدمشق، المعدوم الفقير أو متوسط الحال.

واستقرار الجزائريين بالمهجر، يطرح مرة أخرى فكرة الاحتكاك وتأثرهم بما كان سائدا هناك على مستوى الأعراف والأفكار، فلا شك من وجود علاقة تأثير وتأثر، كونهم أصبحوا جزءا من ذلك المجتمع، فقد لعب المهاجرون الجزائريون أدوار قوية في الحياة السياسية والثقافية والعسكرية، وشاركوا أهل المشرق أفراحهم وأطراحهم، وساهموا بعمق في حركة الجامعة الإسلامية والقومية العربية، عن طريق صحفهم وقيادتهم، وسمعتهم كمجاهدين، فكان للأمير عبد القادر وعائلته دورا هاما في إطفاء نار الفتنة الطائفية بالشام 1860، إلى جانب شخصيات

[1] طرشون نادية، **هجرة الجزائريين**..، المرجع السابق، ص273-274.

[2] سهيل الخالدي، **الإشعاع** ..، المرجع السابق، ص54.

[3] عمار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر"، مقال سابق، ص123.

[4] Rapport Barbedette, L'exode de Tlemcen en 1911, p.20-21.

جزائرية أخرى، كطاهر بن محمد الصالح السمعوني، المعروف بطاهر الجزائري، الذي ناهض سياسة التتريك، وساهم في تأسيس جمعيات قومية، كجمعية النهضة السرية، وسليم السمعوني، ودوره الجمعوي في جمعية العهد ومهامه العسكرية، وسنأتي للحديث عن هذا الموضوع في الفصول القادمة، وبذلك فإنهم تفاعلوا إيجابا مع وسطهم الجديد، وعكس في كثير من الأحيان حنكتهم السياسية، والعسكرية وحتى العلمية، ومع ذلك؛ فقد فضل عامة المهاجرين الجزائريين العيش في أحياء وقرى تجمعهم، كحي السويقة والخيضرية والحيواطية، من منطقة الميدان ونولة بدمشق، وأحياء وقرى بالغوطة وحوران والجليل وطبرية وحيفا[1]، كما حافظ أغلبهم على التزاوج فيما بينهم[2].

ولم ينقطع المهاجرون في غربتهم عن التفكير في الديار، فظلت قلوبهم معلقة بالجزائر، رغم أن أجسادهم قد غادرتها، فظلت معاناة أهاليهم راسخة في الأذهان، يسارعون لتقديم المساعدة متى استطاعوا، وعبروا في مهجرهم عن وعيهم بالقضية الجزائرية، بتأسيس جمعيات ومنابر تعبر عن آرائهم ومواقفهم، فقد أسست مجموعة منهم "جمعية إيالة الجزائر المحمية"، في سبعينات القرن التاسع عشر، بهدف تزويد ثورة المقراني بالمال والسلاح[3]، كما أنشأ محمد التهامي شطة[4] المنحدر من الأغواط، جريدة "المهاجر" 1912، من محرريها الأمير سعيد، حفيد الأمير عبد القادر، وهو من أبرز الداعمين لها ماديا، وأولت هذه الجريدة اهتماما بالغا للشأن الجزائري، ومعاناة أهلها في ظل الاحتلال الفرنسي، وهذا ما سنحاول رصده خلال الفصول القادمة من الموضوع.

[1] سهيل الخالدي، **الإشعاع** ..، مرجع سابق، ص80-81.

[2] طرشون نادية: المرجع السابق، ص274-276.

[3] سهيل الخالدي: المرجع السابق، ص74.

[4] محمد التهامي شطة (ت بعد 1915م) كاتب وصحفي، من دعاة الإصلاح الإسلامي، ولد ونشأ في مدينة الأغواط، التي غادرها إلى تونس بعد أن نزل بها الفرنسيون 1852 وأقام في هذه الأخيرة إلى غاية أن احتلها الفرنسيون 1881، فغادرها إلى سورية، وأنشأ بدمشق جريدة "المهاجر" بتاريخ 11 جانفي 1912، ثم جريدة الإتحاد الإسلامي في 23 جانفي 1915، ولم تعمر طويلا، لينتقل بعدها إلى تركيا التي توفي بها بعد مدة قصيرة، ينظر: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزار من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980، ص95-96.

وقد احتفظ الجزائريون في المهجر بألقابهم، التي ألحقوا بها الكنى التي تؤكد أصولهم الجزائرية، كالجزائري والمغربي، بل فيهم من حافظ على نسبه إلى منطقته الأصلية التي ينحدر منها، كالقسنطيني والبوني...، كما حافظوا على عاداتهم وأعرافهم، بما في ذلك لهجاتهم وهندامهم[1].

III. موقف فرنسا الاستعمارية من الهجرة:

تدخلت فرنسا منذ بداية الاحتلال في ترتيب علاقة الجزائريين بمحيطهم الخارجي، بما في ذلك العالم الإسلامي، فحرصت على خلق حواجز وهمية، تمنع أي تقارب يجمع الأهالي بإخوانهم في المشرق، بصياغة منظومة من القوانين، ورصد العديد من المصالح الإدارية والحكومية، تتعقب وتراقب مراقبة دقيقة كل القنوات التي تسمح بالتواصل الجزائري المشرقي، وهو ما يجعلنا نتساءل عن دوافع فرنسا في ذلك؟ هل كان لفرنسا عداء خاص اتجاه المشرق؟ أم في ذلك إستراتيجية استعمارية؟

III. 1. علاقة فرنسا بالمشرق:

من المعلوم أن فرنسا سعت مع مطلع القرن العشرين، للحصول على نصيبها من إرث العثمانيين في المشرق، وعقدت لأجل ذلك معاهدات سرية وأخرى علنية[2]، وأخفت كل ما من شأنه أن يشين سمعتها في المنطقة، فلا تبدو أقل شأنا من منافستها بريطانيا، وكانت قد باشرت في القرن التاسع عشر بسط نفوذها على المشرق في شكله التعليمي التبشيري، من خلال تأسيس مجموعة من المدارس الكاثوليكية ذات أبعاد امبريالية، وسخرت جريدتي "المبشر" و"الأخبار" اللتان قامتا بدور الدعاية المناقضة لما جاء في الصحف المشرقية، التي تروج لمأساة الجزائريين في ظل السيطرة الفرنسية، والدعوة لفكرة فرنسا أمة الإسلامية، وتأسيسها لجريدة "فرنسا

[1] أبو لقاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص128.

[2] شاركت فرنسا في اتفاقيات سايكس بيكو السرية، إلى جانب بريطانيا وروسيا، واقتسموا بموجبها المنطقة فيما بينهم، كما ساندت الشريف حسين في ثورته، بأن أرسلت بعثة عسكرية بقيادة العقيد إدوارد بريمون E.Bermond صاحب كتاب: Le Hidjaz dans la guerre 1914-1918 (الحجاز أثناء الحرب)، وبعثة أخرى دينية وسياسية بقيادة قدور بن غبريط ومصطفى الشرشالي، ختمت مهمتها بتقديم تقرير للسلطات الاستعمارية، ووعدها المبكر فرنسا لليهود بإنشاء وطن قومي لهم، للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص222، وللمزيد عن رحلة الشرشالي ينظر: دراسة أبو القاسم سعد الله: "رحلة الشرشالي إلى الحجاز والثورة العربية 1916"، على خطى المسلمين، حراك في التناقض، ط1، **عالم المعرفة**، الجزائر، 2009، ص ص66-135.

الإسلامية" 1913، ومبادرتها بتأسيس مجلة العالم الإسلامي[1] Revue du monde musulman، في مطلع القرن العشرين قبل فرض سيطرتها على سورية ولبنان، كما تقربت من المهاجرين القدامى، بمنحهم الأوسمة والمعونة وغيرت من معاملتها تجاههم، في محاولة لاستدراجهم، حتى يتخلوا عن جنسيتهم العثمانية، ومثال ذلك ما قامت به مع عمر ابن الأمير عبد القادر، عندما وجهت له دعوة من باريس لتسليمه وسام الشرف.

وإن تبدو فرنسا في هذه المبادرات مسالمة، بأن أفصحت عن تقربها للبلاد العربية في المشرق، وصورت نفسها بصورة مشرقة في معاملة أهله والاهتمام بقضاياه، إلا أنها لا تعكس بأي حال من الأحوال أهدافها الخفية وطموحها السياسي في المنطقة، فقد كانت تحيك في الخفاء ما يرسخ أقدامها، ومن جهة أخرى نجدها قد منعت الجزائريين من التواصل من إخوانهم في المشرق، واستطاعت تضليل الرأي العام، بادعائها أن الجزائر جزء من أراضيها، بان أحاطتها بجو عاتم وأسوار حديدية تفصلها عن محيطها، حتى أن بعض المشارقة صدق هذه الادعاءات، فألغى وجود الجزائر من الخريطة الجغرافية للعالم العربي الإسلامي، ظنا منهم أن الجزائر أصبحت فرنسية[2].

III. 2. سياسة فرنسا اتجاه الهجرة الجزائرية نحو المشرق:

تعتبر الهجرة أحد أهم القنوات التي سمحت باحتكاك الجزائري المسلم بشكل مباشر مع المحيط الجديد الذي فرضه الاحتلال، وهي الحدود التي ترى فرنسا أنه اخترقها وتجاوز ما رسم له، إذ أقلقت المسألة الإدارة الاستعمارية في الجزائر عقودا متتالية من القرنين التاسع عشر والعشرين، وتضاعفت هذه المخاوف مع إتمامها فرض سيطرتها العسكرية على كامل التراب الجزائري وكبحها لجل الثورات التي قادها الجزائريون، وهو ما جعلها

[1] مجلة العالم الإسلامي (1906-1925)، صدر منها 62 عدد، عن المعهد العالي للدراسات المغربية المراكشية، تولى لوشاتليه (A.Le Chatelier) تأسيسها، وهو من الشخصيات التي اهتمت في دراساتها الاستشراقية بالعالم الإسلامي، اهتمت الجريدة بحياة المسلمين في المشرق والمغرب، على امتداد انتشار الإسلام، بما في ذلك الهند والصين، والتجارة الأهلية، والطرق الصوفية، والتعليم والصحافة العربية والمؤتمرات الإسلامية، =وحياة بعض الشخصيات الجزائرية والعربية، وقد عرفها مؤسسها لوشاتليه بقوله: "إنها مجلة غير استشراقية ولا استعمارية، تعرف بالإسلام كما هو يتطور في الواقع وتبرز الحقائق الاجتماعية التي تصدرها الحياة الإسلامية".

[2] صرح أحمد شوقي الذي زارها أثناء رحلته العلاجية بقوله: "لا عيب فيها سوى أنها مسخت مسخا عهدت مساح الأحذية يستنكف النطق بالعربية، وإذا خاطبته بها لا يجيب إلا بالفرنسية"، الأمر الذي أثار ابن باديس، ورد عليه في مجلة **الشهاب**، مج10، 1934، ووقائع مشابهة لذلك من أساتذة ومدرسين، للمزيد ينظر: تركي رابح: "البشير الإبراهيمي في المشرق العربي"، **مجلة الثقافة**، ع87، 1985، ص226-227.

تقف أمام ما يمكن أن يثيرهم من جديد، خاصة مع التحولات والاضطرابات التي شهدها المشرق العربي مع مطلع القرن العشرين، فخلفت حواجز تمنع هذا التواصل، والسيطرة على منابعه وسبله، على رأس هرمها الهجرة، فصاغت قوانين رادعة، وراقبت ورصدت الحركة عبر الحدود وسخرت مصالحها الإدارية والأمنية للوقف أو التخفيف من وتيرتها.

III. 1.2. الصحافة الاستعمارية:

مع تزايد أعداد المهاجرين تحركت الدوائر الحكومية الفرنسية، وأخطرت بآثارها على مستقبل فرنسا في الجزائر، وما تتركه من انطباع سيء لدى الرأي العام العالمي، بما توحي به من الظلم والاستبداد المسلط على الأهالي، وخشيتها من تنامي عداء المهاجرين الجزائريين اتجاهها بعد عودتهم من المشرق[1].

وقد دقت الصحافة الاستعمارية ناقوس الخطر مبكرا، منبهة الميتروبول بتداعيات انتقال هذا الكم الهائل من الأهالي للمشرق، كجريدة (L'écho D'Oran) بتاريخ 17 سبتمبر 1911، التي اعتبرت الهجرة ثغرة سوداء، لابد من دراستها والاهتمام بها بشكل جدي، خاصة مع ارتفاع وتيرتها فجأة خلال هذا العام، وهو ما تحركت معه عمالة وهران وأخطرت به الحكومة العامة[2].

III. 2.2. التقارير الإدارية:

إن الهلع الذي أصاب فرنسا الاستعمارية مع تصاعد مد الهجرة، جعلها تشكل لجان تحقق في المسألة ودواعيها، خلصت إلى تقارير، احتفظ الأرشيف الفرنسي بالمئات منها، صدر بعضها بأمر من الحكومة العامة، كتلك التي تزامنت وهجرات الأصنام (1899)، وتلمسان (1911)، كتقرير لوسياني (Luciani)[3] عن الأولى وباربديت (Barbdette)[4]، وصاباتي (Sabatier)[5] عن الثانية، وتقارير أخرى صدرت على مستوى البلديات، كتقرير فارني (Varnier) عن منطقة برج بوعريرج[6].

---

[1] محمد غالم: "من أرشيف الإدارة الاستعمارية"، مقال سابق، ص27-38.

[2] L'exode de Tlemcen,p21.

[3] Rapport Luciani 1899, **A.N.O.M**, 9H102, (61/6) .

نقلا عن: عمار هلال: "أصداء الهجرة الجزائرية"، مقال سابق، ص140-141.

[4] Rapport De M.Barbadette, **op.cit**, p.23-49.

[5] Rapport de M.Sabatier (Conseil General d'Oran), **Ibid**, p-p 1-17.

[6] **A.N.O.M**, Rapport de M.Varnier,1900-1910.

كما أثارت المسألة العديد من النقاشات، أجمعت فيها كل الأطراف أن على فرنسا التحرك بسرعة لمنع الهجرة إلى المشرق، التي أضحت تمس بسمعتها في المنطقة، وذلك على مستوى المجالس الولائية والبلدية واللجان المالية، بالإضافة إلى مراسلات القناصل الفرنسيين في بلاد الشام واسطنبول، ووزارة الخارجية الفرنسية، والإقامة العامة بتونس في شكل تقارير أمنية[1]، راقبت من خلالها حركة التنقل بين القطرين (الجزائر وتونس)، وتسليم جوازات السفر، ومراقبة المهاجرين، سواء الذين استقروا في تونس أو الذين جعلوا منها معبرا لحج والهجرة إلى بلاد الشام.

وقد حاولت هذه التقارير في مجملها، حصر الأسباب التي دفعت الأهالي إلى الهجرة، فسبقت بتحقيقات ودراسات بغية الوصول إلى ما يفسر دواعيها، ففي حين ركزت بعضها على الأوضاع التي يعيشها الأهالي جراء الحرمان الاقتصادي، والعوامل السياسية الضاغطة، ركزت أخرى على الدعاية الخارجية التي تولتها الدولة العثمانية، وأشعلت فتيلها حسب نفس التقارير لبعض الصحف العربية، التي زينت للجزائريين الهجرة إلى المشرق، من خلال نشر بعض الرسائل المتبادلة، بينما عمدت تقارير أخرى إلى التركيز على عوامل أخرى، كحنين الجزائريين إلى الماضي، ورفض كل جديد واعتباره بدعة غريبة عن جسم المجتمع الإسلامي، أي التأكيد على تخلفهم ورجعيتهم، وذهبت تقارير أخرى، إلى استبعاد عامل طغيان الاستعمار الفرنسي واستبداده، كباعث على الهجرة، وحصرت المهاجرين في طبقة الكراغلة، الذين رفضوا العيش إلى جانب الجزائريين عربا كانوا أو بربرا.

بينما يشير المستشرق الفرنسي (Le chatelier)، عند حديثه عن الهجرة إلى ضرورة عدم تجاهل عامل تطور الإسلام المعاصر، كما ذهب أيضا إلى انعدام المبرر الذي يمنع فرنسا من عدم الاستفادة من حوالي أربعين ألف إلى خمسين ألف جزائري في الخارج، يعيشون في أقطار العالم الإسلامي، لذلك كان اقتراحه أولا جعل الحدود موصدة في وجه هؤلاء المهاجرين، لمنعهم من المغادرة، ثم يستدرك بان مسألة غلق الحدود لن تمنع الأهالي من تنفس الهواء الخارجي[2].

نقلا عن: محمد غالم، المقال نفسه، ص34.

[1] **A**.**N**.**T**, Série A, C276 (BIS), dossier 13/1, NP324, D ex1896-1916, et **A**.**N**.**T**, Série A, C277, dossier (1-2), Document NP 103-89.

[2] A. Le chatlier :"Les musulmans algériens", Art cit, **R**.**M**, p512.

ويبدو أن جل هذه التقارير، كانت بعيدة في تحليلها للأسباب التي دفعت الأهالي للهجرة، والفرار فرديا وجماعيا، حيث كل منها ركز على بعض العوامل وأهمل أخرى، لكن الذي يعنينا في هذا المقام هي الحلول والمقترحات التي قدمتاه التقارير، للحد من هذه الظاهرة البشرية، ومن ذلك مقترحات لوسياني في تقريره المقدم عقب الهجرة من مقاطعتي المدية والشلف (هجرة 1899)، التي تضمنت جملة إجراءات نذكر منها:

– عدم منح جوازات السفر للأهالي الجزائريين، ومنعهم من الهجرة، هذه الأخيرة التي يرى أنه لا يمكن غض الطرف عنها، وقد وصفها –لوسياني– بالآفة التي انتشرت بين الأهالي، ومن أخطر نتائجها نشر الدعاية المضادة للسياسة الفرنسية، وفقدان السيطرة والرقابة على الكثير من العناصر المتعصبة، التي تشكل خطورة على سياسة فرنسا في سوريا، أكثر مما قد يشكلونه في الجزائر.

– منع دخول صحيفتي "المعلومات" و"ثمرة الفنون" العثمانيتين إلى الجزائر، لمحتواهما المعادي للسياسة الفرنسية والدول الأوروبية في البلاد الإسلامية، ورأى صاحب التقرير –لوسياني– ضرورة تنفيذ قانون 29 جويلية 1881 في مادته 14، الذي يمنح مجلس الوزراء الحق في منع أي جريدة من الدخول إلى المستعمرات إذا لزم الأمر.

– إنشاء مطبوعات عربية، بهدف الرد على الدعاية الخارجية، بمضمونها الترغيبي في الهجرة، وإشباع نهم الأهالي لمعرفة أخبار العالم الإسلامي، فتكون هذه المطبوعات بمثابة حاجز، يمنع الجزائريين من البحث عن مصادر معرفية أخرى، يكون المشرق مصدرها في الغالب، وبالموازاة مع ذلك، حث نفس التقرير على تشجيع النشر والإنتاج الثقافي بالعربية، لمنع الجزائريين من الاعتماد على مصدر آخر للنشر، كمصر وسوريا وتركيا.[1]

ويبدو أن لوسياني في تقريره السابق قد مال في تبريره لحركة الهجرة إلى الدعاية العثمانية، وتغافل عن عوامل أخرى متداخلة، كانت في الحقيقة السبب المباشر في فرار المئات من الأهالي، وقد أشار التقرير إلى البحث عن منابع عربية تحدّ من الاعتماد على مصادر معرفية خارجية، وإن كان صاحب التقرير يرمي إلى قطع الطريق عن تأثر الجزائريين عامة والنخبة العربية بصفة خاصة بالخطابات الفكرية العربية، إلا أن الإدارة الاستعمارية قد أغفلت النخبة العربية تماما على الأقل مقارنة بمثيلتها من النخبة المفرنسة من الجزائريين، وظلت تتوجس منها خيفة، مما جعل علاقتهما تصادمية، على خلاف النخبة المفرنسة، التي كانت لينة في تعاملها، كما أن النخبة

[1] للمزيد ينظر: عمار هلال: "أصداء الهجرة الجزائرية"، مقال سابق، ص165-168.

العربية في هذه المرحلة – العقد الأول من القرن العشرين–، لازلت تنظر بعين الريبة لحداثة التي حملتها فرنسا، وفشلت هذه الأخيرة بمؤسساتها ومصالحها في احتوائها واستيعابها.

III. 3.2. التشريعات القانونية:

أصدرت المصالح الفرنسية قرارات ومراسيم، بدافع التضييق ومنع تدفقات بشرية إضافية نحو الديار الإسلامية، وخصت هذه التشريعات المهاجرين بشكل رسمي، بجوازات سفر مرخصة من الإدارة الاستعمارية في الجزائر ومختلف السفارات في البلاد العربية المستقبلة لهم، فارتبطت المضايقات بشروط تتعلق بمنح جواز السفر، وأخرى بتقديم ضمانات للعودة إلى الديار، وشروط متعلقة بالمسافر كسوابقه العدلية، وعدم ارتكابه لجرائم تمس السيادة الفرنسية، وأخرى مرتبطة بالسلامة العقلية والصحية، وبادر الحكام العامين إلى أساليب أخرى، تعدت الجانب القانوني إلى الاحتكام إلى الفتاوى الخارجية من المراكز الإسلامية التي استقبلت بلدانها المهاجرين[1]، تجاوزت المضايقات الهجرة إلى البلاد العربية فرض حصار على شعيرة روحية، بعدم منحهم جوازات سفر، لتأدية مناسك الحج خلال سنوات (1856-1858-1864-1888-1891-1906)، ومنع خروجهم من الجزائر بصفة نهائية، وشددت معها الرقابة على الأهالي، بأن عينت مراقبين من بينهم، اختارتهم من العائلات المعروفة بولائها لفرنسا، يتتبعون تحركات الأفراد والعائلات والقبائل[2].

وقد أبدت فرنسا مخاوفها من تزايد عدد المهاجرين، تحت تأثير الدعاية العثمانية، باتجاه بلاد الشام، وبصفة خاصة بيروت، التي بدأت مطلع القرن العشرين تعرف تواجدا فرنسيا، وخشيت هذه الأخيرة من تنامي عدد المهاجرين المسلمين بها، مما يخل بالتركيبة السكانية، من أغلبية مسيحية إلى أغلبية مسلمة[3]، وكان استمرار تدفق المهاجرين الجزائريين، فشل الإدارة الاستعمارية في وضع حد لهذه الظاهرة، حيث استمرت باختلاف وتيرتها، فكانت تهدأ أحيانا، وتتسارع أحايين أخرى، حتى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وهو الحدث العالمي الذي غير موازين القوى العالمية، بما في ذلك الدولة العثمانية، التي تهاوت معها فكرة الجامعة الإسلامية، تحت ضربات جمعية الاتحاد والترقي، هذه الأخيرة التي شجعت القومية الطورانية، المتناقضة مع مشروع وحدة الأمة الإسلامية،

[1] ومن ذلك الحاكم العام شانزي 1875، وجول كامبون عبر فتواه سنة 1895 التي سبق الإشارة إليها، وبدوره أقدم شارل جونار (1909-1910) على غلق الحدود.

[2] عمار هلال: المقال السابق، ص103.

[3] سهيل الخالدي: **الإشعاع المغربي** ..، مرجع سالق، ص75.

فلم تبادر لتشجيع هجرة الجزائريين، وضيقت عليهم في أرزاقهم والعطايا التي منحت لهم مع السلطان عبد الحميد الثاني، مما انعكس سلبا على معدلاتها، وتغيير مسار اتجاهها من المشرق إلى فرنسا، وبذلك، فالهجرة تعد ظاهرة إنسانية، عرفتها الجزائر منذ عهد بعيد، وارتفعت معدلاتها بشكل ملفت وسريع مع الاحتلال الفرنسي، الذي عمق من أسبابها وتداعياتها، على المجتمع الجزائري، بحيث شكل تهديدا في بنيته الاجتماعية، فكانت الهجرة بمثابة النزيف الذي أصاب التعداد العام للجزائريين بهزات متتالية، والزيادة المطردة لعدد المستوطنين.

كما يعد فرار مفكري وعلماء الجزائر، الذين تعرضوا لمضايقات عديدة، ما يصطلح عليه حديثا بهجرة الأدمغة، الذي كانت له نتائج وخيمة على الحالة الفكرية والثقافية للجزائر، بانهيارها الثقافي (La Déculturation)، وعقمها لسنوات في ظل التعتيم الفكري الفرنسي، كما كانت للهجرة أثر في ضياع الكثير من الأراضي، التي بيعت في أغلبها بأبخس الأثمان، لصالح المستوطنين الذين شكلوا إقطاعيات، وإلى جانب ذلك ضاعت الكثير من الحرف والصناعات، التي فر أصحابها بحثا عن مجالات أوسع للرزق في أوطان أخرى، ومع ذلك فإن للهجرة أيضا أدوارا إيجابية، بأن قربت بين الجزائريين في ديار الهجرة، على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم التي شملت الفلاحين والتجار والأعيان والعلماء، كما أسهم المهاجرون الجزائريون في الدعاية ضد فرنسا، والتعريف بالقضية الجزائرية في مختلف الأقطار التي استقروا بها.

ثانيا: الزيارات والرحلات العلمية:

تعتبر الزيارات والرحلات العلمية أحد أهم الوسائط التي مكنت الجزائريين من التواصل مع إخوانهم المشارقة، ومرآة عاكسة لترابط الطرفين، وعلى خلاف الهجرة، كانت الزيارات والرحلات العلمية وقتية مرتبطة بمدة زمنية محددة[1]، يرجع بعدها الزائر إلى وطنه، وهذا ما سنفصل فيه من خلال وموقف الإدارة الاستعمارية منها.

I. زيارات الجزائريين للمشرق:

رغم الحصار المفروض والستار الحديدي المضروب، لم ينفك الجزائريون عن الاتصال بإخوانهم في العالم الإسلامي، متخطين بذلك كل العقبات والحواجز التي وضعتها فرنسا لمنعهم[2]، فلأهداف عدة، شد الجزائريون

[1] أبو القاسم، سعد الله، **حصاد الخريف**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2011، ص134.

[2] نفسه.

رحالهم إلى المشرق، فمنهم من كان ينشده ابتغاء العلم والتبحر فيه، وآخرين من أجل تأدية مناسك الحج وزيارة الأماكن المقدسة.

I. 1. الرحلة العلمية:

تعد الرحلة بغية الاستزادة من العلم، من بين التقاليد التي توارثها الطلبة الجزائريون منذ قرون بعيدة، حرصوا فيها على مجالسة العلماء ومحاورتهم والتبرك بلقائهم الذي غالبا ما ينتهي بإجازات[1] شيوخهم، تسمح لهم بالتدريس أو الفتوى أو ولاية القضاء في بلادهم[2].

I. 1.1. المراكز العلمية:

تعددت المراكز العلمية والجامعيات التي قصدها الجزائريون، من أجل الاستزادة من العلم، فنهلوا من علماء الأزهر بقاهرة مصر، وعلماء المدينة المنورة، وجامع الأمويين في دمشق[3]، وقد أحصى المؤرخون خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أعدادا كثيرة ممن توافدوا على المشرق بغية طلب العلم[4]، فاستقبل الأزهر الشريف –باعتباره من أهم الجامعات جذبا– الطلبة المغاربة بما في ذلك الجزائريين، فكان لهم رواقا خاصا (رواق المغاربة) تصله الإعانات والتبرعات من التجار والملاك المغاربة المقيمين في مصر، وظلت تقليدا مستمرا ومنتظما خلال القرن التاسع عشر، وهو ما لم تتمتع به أروقة أخرى في الجامع[1].

ومما يميز الطلبة الجزائريين في هذه المرحلة، اتخاذهم لتلك الرحلات العلمية، مطية للهجرة إلى المشرق والاستقرار به، وعدم العودة إلى الجزائر في الغالب، كما تميزت تلك الرحلات بصفة الفردية، فلم تشرف عليها منظمة ولا هيئة سياسية ولا ثقافية، يغيب طالب العلم خلالها في رحلة طويلة، قد تصل إلى سنوات عديدة، أما بعد الاحتلال، فقد باشرت فرنسا سياسية تعليمية متناقضة مع رسالتها الحضارية، التي روجت لها مبكرا،

---

[1] معنى الإجازة في اللغة: هي الإذن، وتسمى أيضا الاستدعاء، يمنحها الشيخ لتلميذه الماهر المتقن لمعارفه، ويكون المجيز عالما أو مرابطا، أما المجاز فيكون تلميذا أو عالما أو مرابطا من نفس درجة المجيز، وغالبا ما تمنح الإجازة بعد حضوره لدروس الشيخ في مدة قد تطول فتصل إلى سنوات، وقد تقصر فتصل على جلسة واحدة، وتكون الإجازة شعرا أو نثرا، وقد عرف التعامل بها تراجعا ملحوظا بعد الحرب العالمية الأولى، مع تراجع التعليم التقليدي، وانتشار التعليم الحديث، الذي عوض الإجازة بالشهادة الرسمية من المؤسسة بدل الأفراد، للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، ص54 ص68. ينظر أنموذج (إجازة الشيخ المكي بن عزوز إلى محمد الجنيد بن الحسين بخط يده في الملحق I، رقم:13.

[2] أبو القاسم، سعد الله، **حصاد الخريف**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2011، ص134.

[3] عبد الرحمن إبراهيم بن العقون: **الكفاح القومي والسياسي**,، ج1، مرجع سابق، ص55.

[4] للمزيد ينظر: العيد مسعود، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق"، **مجلة سيرتا**، ع1، قسنطينة، 1979، ص46-54.

فاعتنت بتعليم الفرنسيين والمستوطنين، وتجاهلت صقل وتهذيب عقول أبناء الأهالي إلا القلة القليلة منهم، التي حالفها الحظ في التمدرس والتدرج في الدراسة، في حين توقف وانقطع أغلبهم لأسباب اقتصادية واجتماعية[2]، فلم يجد الأهالي من المؤسسات التعليمية الفرنسية إلا الاستهتار بقيمهم الروحية والفكرية، وتعنت الإدارة الاستعمارية، بوضعها لمجموعة من العراقيل للحيلولة دون انفتاح الجزائريين على آفاق تنمي قدراتهم، وهو ما دفع بهم إلى البحث عن مجالات أوسع لتثقيف أنفسهم، ومواصلة تعليمهم بعيدا عن ديارهم، في إحدى الجامعات والمعاهد الإسلامية، كالزيتونة والقرويين والأزهر، وفي الشام والحجاز، وقد أغفلت المراكز العلمية جانب الإحصاء، ووضع سجلات عن الطلبة، مما جعل رصد أعدادها من الأمور المستحيلة، لذلك لم يعلم أعداد الطلبة الجزائريين فيها بدقة، وحسب دراسة الأستاذ عمار هلال المعنونة بـ: "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916"، التي اعتمد فيها على تقرير قاضي شريف بلعربي، فغن عددهم بلغ 29 طالبا خلال السنة المعنية بالدراسة 1916، فكان الأزهر كغيره من المؤسسات التعليمية في العالم العربي بعيدة عن علم الإحصاء، وإنما المعتمد كان نظاما تقليديا، فلا يتم إحصاء عدد ولا أسماء طلابها، ويتبعون خلال تلك المرحلة نظاما تقليديا، بعيد عن الإحصاءات وتسجيل أسماء الطلبة، ولا الأماكن التي جاؤوا منها، ولم يكن الأزهر المؤسسة الوحيدة التي تستقبل الطلبة الجزائريين، رغم مكانته المتميزة في نفوسهم، فقد تدرجوا في مدارس أخرى، كالصرغماشية والمدرسة الجوهرية، والخديوية والسعدية، ورأس التين وحلوان[3]، إلى جانب أعداد أخرى من الطلبة الجزائريين في مراكز علمية بالبلاد العربية (دمشق والعراق والحجاز).

ومما ميز رحلة الجزائريين في طلب العلم مع مطلع القرن العشرين، أن زيارتهم كانت مؤقتة، نهل فيها الطلبة ما تيسر من العلم، ثم يعودوا إلى وطنهم حاملين معهم إجازتهم وشهاداتهم، وقد صقلت أذهانهم إلى جانب العلوم بالخبرات والتراكمات، واطلعوا على الأفكار، والنقاشات المثارة حول مختلف المسائل، ولم تظل رحلاتهم فردية وعشوائية، كما كانت عليه من قبل، فمع النصف الثاني من القرن الماضي، أصبحت تنظمها وتشرف عليها هيئات خاصة، كالبعثات العلمية التي أرسلتها جمعية العلماء المسلمين.

---

[1] عمار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر"، مقال سابق، ص119-120.

[2] عمار هلال: "الطلبة الجزائريون في الأزهر"، مقال سابق، ص130.

[3] نفسه، ص135.

I. 2.1. نماذج من الطلبة الجزائريين في المشرق:

إن المطلع على تراجم النخبة العربية، بما في ذلك العلماء والمصلحين، يجد أن عددا معتبرا منهم يقترن اسمه بصفة الزيتوني (نسبة إلى جامع الزيتونة)، أو الأزهري (نسبة إلى جامع الأزهر) .. بصفتهما محطة متقدمة لطلبة العلم، ولا يسعنا المجال هنا لذكر كل من أضيف لهم هذه الصفة من الطلبة الجزائريين، فمنهم من لمع نجمه وسطع، وكان فعالا في مجتمعه، ومنهم من طمس ذكره ولم نعلم عنه شيئا، ومن أهم هؤلاء الأعلام عبد الحميد بن باديس، الذي قاده حب العلم والمعرفة إلى رحلة علمية نحو الزيتونة (1908-1911)، وكانت أول إطلالة له على العالم الخارجي، وسّع فيها مداركه ومعارفه واحتك بشيوخها[1]، ونال في نهايتها شهادة التطويع بتفوق على رأس الدفعة[2]، ليتجه بعدها صوب المشرق، الذي تطلع فيه بعد تأديته لمناسك الحج (1913)، إلى الاتصال بأعلام المشرق وعلمائه، وتوسيع أفقه العلمي والإصلاحي، بالاطلاع على الإنتاج العلمي والأدبي، ومظاهر التطور الفكري والإصلاحي[3]، فكانت رحلته في البداية إلى الحجاز أين مكث به ثلاثة أشهر، نشط فيها بشكل ملفت، بإلقائه لدروس في المسجد النبوي، وجمعته الصدفة هناك بالعلماء والرفاق الذين سيكمل معهم المسيرة الإصلاحية في الجزائر[4]، كالبشير الإبراهيمي[5] الذي لازمه طيلة إقامته، وأستاذه السابق حمدان

---

[1] ومن هؤلاء: محمد النخلي القيرواني (ت1924)، الذي لقنه التفسير ومحمد الطاهر بن عاشور (1879-1973) الذي درس على يده ديوان الحماسة للبحتري، والشيخ خضر حسين، ومحمد بلحسن النجار، وهو ابن الشيخ محمد النجار، وتلقى الفقه عند الشيخ الصادق النيفر، للمزيد ينظر: ابن باديس: "شيخ الإسلام بتونس"، **البصائر**، السنة الأولى، ع6، 24 أفريل 1936، وابن باديس: "الشيخ الخضر بن الحسين الطولقي"، **الشهاب**، ج18، مج15، سبتمبر 1939، ص368.

[2] عبد العزيز فيلالي: **وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية**، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص21-25.

[3] عبد المالك مرتاض: **الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر**، ط1، دار الحداثة، بيروت، د.م.ج، الجزائر، 1982، ص79.

[4] تركي رابح عمامرة: **الشيخ عبد الحميد بن باديس**، ط5، منشورات A.N.E.P، 2001، ص165.

[5] البشير الإبراهيمي (1889-1965)، ولد في قصر الطير في قبيلة ريغة، الشهيرة بأولاد إبراهيم بن يحي بن مساهل لدائرة سطيف، زوال دراسته الأولى تحت إشراف عمه، وفي 1912 غادر الجزائر صوب المشرق مع أهله، فزار مصر والحجاز وسوريا طالبا ومعلما، وهناك التقى بالشيخ عبد الحميد بن باديس في المدينة المنورة، ويعد من بين أهم الشخصيات التي ساهمت في مسيرة الحركة الإصلاحية بالجزائر، خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين، كان له باع طويل كخطيب بليغ وعالم في الأدب والتاريخ واللغة وعلوم الدين، من بين أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، تعرض في الجزائر إلى كثير من المضايقات الفرنسية (النفي والسجن والتعذيب)، خلف إنتاج فكري معتبرا على المستوى الأدبي والاجتماعي والسياسي، للمزيد ينظر: البشير الإبراهيمي: "من أنا"،**مجلة الثقافة**، ع87، السنة 15، 1985، ص10-35، عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص13-14، عبد الكريم بوصفصاف: **رواد النهضة والتجديد في الجزائر**، (1889-1965)، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص40-60.

الونيسي، الذي كان قد سافر إلى الحجاز، واستقر به المقام هناك (1908)، وأستاذه حسين أحمد الهندي[1]، وفيما أشار عليه الأخير بضرورة الرجوع إلى الجزائر لحاجة أهلها إليه ولعلمه، عرض عليه الونيسي مجاورته في هجرته والاستقرار في الحجاز، الأمر الذي ذكره ابن باديس بنفسه أثناء تدشين دار الحديث بتلمسان (1937) حين قال: " أذكر أنني لما زرت المدينة المنورة، واتصلت فيها بشيخي الأستاذ حمدان الونيسي المهاجر الجزائري، وشيخي حسن أحمد الهندي، وأشار علي الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة وقطع كل علاقة لي بالوطن، وأشار الثاني وكان عالما حكيما بالعودة إلى الوطن وخدمة الإسلام فيه والعربية – بقدر الجهد- فحقق الله رأى الشيخ الثاني ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته، فنحن لا نهاجر نحن حراس الإسلام والعربية والقومية بجميع مدعماتها في هذا الوطن"[2]، ويبدو أن الأقدار قد رسمت له الطريق الذي نصحه به شيخه الهندي أثناء عودته عرج على بلاد الشام، فكان الشيخ ينهل في كل قطر يصله، ويتصل بالشيوخ والعلماء، ويلازمهم طيلة مدة الزيارة فأجازه بعضهم[3]، كان آخرها من شيخه محمد بخيت المطيعي[4]، الذي حمل له ابن باديس رسالة من

[1] حسين أحمد بن حبيب الله الهندي، من فيض آباد بالهند (1296هـ-1377هـ) هاجر إلى الحجاز مع أسرته سنة 1316هـ، وأقام بالمدينة المنورة ودرس بالمسجد النبوي، تعرض للعديد من المضايقات من الانجليز، فحبس مرات عديدة، كان عالما ومحدثا، قليل التأليف، ومنها نذكر: نقش الحياة، والشهاب الثاقب، وبعد عودته إلى وطنه الأصلي انتهت له رئاسة العلماء بمدينة بونيد.

[2] **الشهاب**، ج5، مج13، 1937، ص355.

[3] جدول يوضح أسماء الشيوخ الذين أجازو عبد الحميد بن باديس أثناء رحلته إلى المشرق.

محمد حمدان الونيسي	إجازة عامة في المعقول والمنقول والفروع والأصول	13 ربيع الأول 1332 / 9 فيفري 1914 المدينة المنورة
حسين أحمد الفيض أبادي الهندي	إجازة لما يجوز له روايته من كتب المنقول والمعقول وما تضمن ثبت شيوخه في مكة والمدينة وبلاد الهند	13 ربيع الأول 1332/ 9 فيفري 1914 المدينة المنورة
محمد عبد العزيز الوزير التونسي	إجازة تامة مطلقة لكل ما اقتصر بروايته لون من المعقول والمنقول وفي الفروع والأصول	14 ربيع الأول 1332 / 10 فيفري 1914 المدينة المنورة
محمد أبو الفضل الجيزاوي	إجازة عامة تامة لما تصح له روايته وتنقل عنه درايته من العلوم العقلية والنقلية	نهاية ربيع الأول 1332 / 24 فيفري 1914 الإسكندرية
محمد بخيت المطيعي	إجازة عامة في مروياته المعقول والمنقول والمؤلفات	ربيع الثاني 1332 / مارس 1914 القاهرة

ينظر: عبد العزيز فيلالي: **وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية**، ط.1، دار الهدى، بالجزائر، 2012، ص46.

[4] محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، من بلدة المطيعة بأسيوط مصر (1271-1354/1856-1936)، مر على الأزهر طالبا ومدرسا لعلم الفقه والتوحيد والمنطق ثم قاضيا، دون أن ينقطع عن تدريس العلوم النقلية والعقلية لأكثر من ستين سنة، عين مفتيا للديار المصرية، له مؤلفات عديدة منها: حقيقة الإسلام وأصول الحكم، القول الجامع في الطلاق البدعي المتتابع، تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية، ينظر: عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، ج9، ص98.

أستاذه الونيسي يزكيه فيها، وكان لهذه الإجازة قيمتها المعنوية والروحية، إلى جانب كونها شهادة تثبت مكانة صاحبها الفكرية، من شيخ تمتع بالاحترام والمكانة بعد وفاة محمد عبده، وتابع بمعية رشيد رضا مسيرة الإصلاح[1].

وقد كانت الرحلات العلمية دفعا في مسيرة الشيخ ابن باديس، الذي واصل بعدها مسيرته الإصلاحية والتعليمية، بقيادة حركة التجديد الإسلامي، وبعث العروبة والإسلام في الجزائر، ولم تكن بالمهمة اليسيرة في ظل مجتمع متخلف تعطلت عنده حركة الإبداع وتوقفت صيرورة الاجتهاد، على غرار المجتمعات العربية، زادته الوضعية الاستعمارية تراجعا وانغلاقا.

وبدوره رحل رفيق دربه البشير الإبراهيمي إلى المشرق متخفيا سنة 1912، عندما التحق بوالده المهاجر 1908 فرار من التجنيد الإجباري، فكان مقصده العلم درسا ومدرسا، فزار الأزهر وتتلمذ هناك على يد مجموعة من الأساتذة، تقاطعت أسماء بعضها مع غيره من الطلبة الجزائريين، كالشيخ زميلة (بن باديس)، محمد بخيت، ودروسا في البلاغة على يد يوسف الدجوي[2]، وعبد الغني محمود في المسجد الحسيني، ودروسا أخرى في دار الدعوة والإرشاد، التي أسسها رشيد رضا، واجتمع هناك مع أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم[3]، ليرحل بعد مدة ثلاثة أشهر قضاها في مصر إلى الحجاز، وكانت مدة نزوله (ستة سنوات) كافية لتقييم الأساتذة والمستوى التعليمي بها، حيث جاء على لسانه: "...وطفت بحلق العلم في الحرم النبوي مختبرا فلم يرق لي شيئا منها، وإن هي غثاء يلقيه رهط ليس له من العلم والتحقيق شيء"[4]، لذلك فقد تلقى الإبراهيمي دروسه على خلاف أقرانه من طلبة العلم بشكل انتقائي، يتخير من الأساتذة الأفضل والأكثر فائدة، ولا يتأتّى هذا إلا من كان على قدر من النجابة والاطلاع، فاختار أساتذته في علوم التفسير والحديث والرجال والأنساب، أمثال

---

[1] علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي (1925-1940)**، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص96.

[2] يوسف بن أحمد بن نصر بن سويلم الدجوي (1287-1365هـ/1870-1946) المالكي الضرير، عالم وناقد ولد بقرية دجوة بمصر، تعلم بالأزهر، ومن آثاره: الجواب المنيف في الرد على المدعي التحريف في الكتاب الشريف، رسائل الإسلام، مذكرات في الرد على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق، للمزيد ينظر: عمر رض كحالة: **معجم المؤلفين**، ج13، ص272-273.

[3] البشير الإبراهيمي: "أنا"، مقال سابق، ص14-15.

[4] نفسه.

العزيز الوزير التونسي، وأحمد فيض أبادي وأحمد البرزنجي[1]، ومحمد عبد الله زيدان الشنقيطي[2] ويوسف النبهاني، وربطته بهم علاقة إعجاب متبادل، دون حاجته إلى إجازة منهم[3].

والإبراهيمي كان مثالا للطالب المجدّ، إذ نهل العلم عن الكتب النادرة التي كان يطلع عليها من خلال تردده على المكتبات العامّة، كمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت، والسلطان محمود، والشيخ الوزير...والمكتبات الخاصة، كآل الصافي، ورباط سيدنا عثمان، وآل المدني وآل هشام...، وبعد ترحيله[4] من المدينة إلى دمشق 1917، عكف على التدريس بالمدرسة السلطانية، وإلقاء الخطب الوعظية الإرشادية في المسجد الأموي[5]، وإن تعينه في هذا المنصب يدل على الثقة الموضوعة في شخصه وعلمه، وهي ثقة لا تمنح إلا لمن كان أهلا لها، فقد كانت السلطاني الثانوية الوحيدة في دمشق، وقد أوكل له تدريس الأقسام النهائية فيه، وما يقال عن الإبراهيمي، يقال عن غيره من رواد الحركة الإصلاحية، كالطيب العقبي، وإن لم تكن هجرة الأخير لأهداف تعليمية، فقد هاجر بمعية أسرته فرار من القسوة السياسية الفرنسية المسلطة عليهم، فنشأ في الحجاز[6] ونهل فيه العلم على يد

---

[1] أحمد البرزنجي، هو أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين الحسيني الموسوي المدني، (ت1914)، عالم مشارك في علوم مختلفة توفي بالمدينة، من مؤلفاته: رسالة في مناقب عمر بن الخطاب، مقاصد الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، النصيحة العامة لملوك الإسلام والعامة، فتكة البراض بالتركزي المعترض على القاضي عياض، وهو رد على محمد الشنقيطي والمناقب الصديقية، ينظر: عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، ج1، ص164-165.

[2] محمد عبد الله ولد زيدان بن غالي ولد مختار فال (ت1933) عالم موريتاني متبحر في العلوم العقلية والنقلية واللغة وأصول الفقه، هاجر من شنقيط بعد أن استولى عليها الفرنسيون إلى الحجاز وجاور في المدينة ومكة المكرمة، ثم هاجر منها بعد أن استولى الانجليز على دولة الأشراف إلى السودان، فمصر أين درس بالجامع الأزهر حتى وفاته.

[3] ومن ذلك ما قاله الإبراهيمي للشيخ النبهاني: "أنا شاب هاجرت لأستزيد علما، وأستفيد من أمثالكم ما يكملني منه، وما أرى عملكم هذا إلا تزهيدا لنا في العلم، وماذا يفيدني أن أروي مؤلفاتك وأنا لم أستفد منك مسالة من العلم" كما ذكر الإبراهيمي حادثة أخرى وقع له مع الشيخ البرزنجي، حيث قال: "إنك لم تعطني علما بهذه الجمل، وأجر أن لا يكون لي ولا لك أجر، لأنك لم تتعب في التلقين، فتبسم ضاحكا يقر الشيخ من قولي ولم ينكر"، ينظر: عبد المالك مرتاض: **الثقافة العربية في الجزائر**، مرجع سابق، ص80.

[4] الترحيل كان تنفيذا لأمر الحكومة العثمانية، التي أمرت بترحيل سكان المدينة إلى دمشق، بعد استفحال ثورة الشريف حسين، وعجز الحكومة عن تموين الجيش المقدر ب50 ألف، والمدنيين البالغ تعدادهم ب80 ألف، فقررت تقريب المدنيين إلى مصدر الأقوات في دمشق، ينظر: البشير الإبراهيمي: مقال سابق، ص17.

[5] المقال نفسه، ص17-18.

[6] يقول في ذلك العقبي: أنا مسلم نشأت بأرض هي خير البلاد على الإطلاق.
ينظر: **الشهاب**، ع9، مج1، 7 ديسمبر 1925، ص197.

شيوخه، أمثال عبد الله زيدان الشنقطي، والونيسي، والطيب التمبكتي[1]...، وهم شيوخ لهم سعة في العلم والدراسة الواسعة، ليجلس بعدها مدرسا في حلقات التدريس في الحرم النبوي[2].

وكانت هجرة العربي التبسي الزيتوني الأزهري بدوره لطلب العلم، الذي انتقل إلى الأزهر 1919 قبل أن يتم مشواره التعليمي الذي بدأه في الزيتونة للحصول على شهادة التطويع، فعلى متن باخرة تجارية فرنسية قديمة متجهة إلى مصر، غادر العربي التبسي متخفيا في إحدى مقصوراتها، وهو لا يملك قرشا واحدا، ليلتحق برواق المغاربة ويبدي تفوقا واضحا على أقرانه من الطلبة الغرباء المسلمين، وسمحت له هذه الرحلة بالاحتكاك بألمع الشيوخ[3] والأساتذة، الذين أشرفوا على تدريسه اللغة العربية ومتونها، والبلاغة وشروحها، والفقه وأمهاته، والتفسير، والحديث والجرح والتعديل ورجال الحديث أسانيده ومتونه، والمنطق وعلم الكلام، لينال في ختامها الشهادة العالمية الخاصة بالغرباء 1925، ثم العالمية الكبرى 1927[4]، ليعود بعدها إلى وطنه الأم متشبعا بأفكار بأفكار ألهمته فكرة الإصلاح والتغير في بلاده.

والقائمة لا تنتهي عند شخص التبسي، بل لازالت طويلة تضم أسماء لامعة، كان لها الأثر الطيب في مسيرة الإصلاح، كالمولود الحافظي (1895-1948)، والمولود بن محمد عمر الزريبي (1897-1925)، ورضا حوحو (1912-1956)، والفضيل الورتلاني (1900-1959)، والذي لا يسعنا المجال هنا لذكر رحلاتهم العلمية كلها، وكذا الإطار الزمني للموضوع لا يسمح للخوض في رحلاتهم.

ويبدو أن النخب قد اختارت الهجرة لطلب العلم، لافتقادهم لمراكز علمية شأن المتوفرة في البلاد العربية، وإن ارتكزت العلوم التي طلبوها على العلوم النقلية واللغوية، فكانوا بمنأى عن العلوم العصرية المتفتحة على الحداثة والتقدم، وإن كانت زياراتهم لهذه الجامعات، كانت بالموازاة مع الإصلاحات الجذرية التي لحقتها، بتجديد مناهجها ومقرراتها، عقب انغلاقها على بعض العلوم، واعتمادها على مناهج تقليدية في التدريس، وكان للنخبة

[1] أحمد مريوش: **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1991-1992، الجزائر، ص12-14.

[2] نفسه، ص22.

[3] ومن هؤلاء يوسف الدجوي، والشيخ عبد الوهاب النجار، ومصطفى المراغي، ومحمد شاكر، وعبد الرحمان قراعة، وحسين مخلوف، وحسين والي، وسيد المرصفي، للمزيد ينظر: أحمد العيساوي، المقال السابق، ص30.

[4] أحمد العيساوي، المقال السابق، ص31.

العربية بصمتها في هذه الإصلاحات بأن قدم الشيخ عبد الحميد بن باديس مقترحاته لهيئة إصلاح الزيتونة، كما أن النخبة العربية المهاجرة خلال هذه الحقبة، تحملت مسؤوليتها التعليمية والإصلاحية والحضارية اتجاه مجتمعها، بأن رفضت البقاء في الديار الإسلامية.

وعموما فإن الرحلات العلمية التي قام بها الطلبة الجزائريون نحو المشرق، كانت لها ثمارا قطفتها النخبة العربية والإصلاحية منها، باكتسابهم علوم جديدة، وتوسيع مداركهم، كما سمحت لهم بالاحتكاك بالطلبة والعلماء من مختلف وجهات العالم الإسلامي، وكانت فرصة للاطلاع على التطورات الحاصلة في العالم العربي والإسلامي، وحركات التجديد المشرقية، وتفاعلوا ثقافيا وفكريا وحضاريا، وساهموا في مختلف النشاطات العلمية والتعليمية، كما استناروا بالمناهج والبرامج والمقررات التعليمية، والإفادة من النهضة الفكرية والإصلاحية في المشرق، في نهضتهم التعليمية وحركتهم الإصلاحية، فكانت هذه الرحلات العليمة بمثابة التكوين المتشبع بالروح الإصلاحية الناضجة، والأفكار لمعادية للاستعمار، وبالمبادئ الداعية إلى الرجوع إلى منابع الإسلام الصافية، وقوت لديهم الشعور بالانتماء العربي الإسلامي[1].

I. 2. زيارة الأماكن المقدسة:

من بين أهم العوامل التي ساعدت على توطيد علاقة الجزائريين بإخوانهم في المشرق، وتقوية وشائج المحبة بينهم، تلك الزيارات الروحية، التي كانوا يقصدون فيها الأماكن المقدسة، خاصة مكة والمدينة، بتأدية مناسك الحج والعمرة.

وللحج في نفس المسلم معان روحية واجتماعية، وحتى معرفية علمية، وقد نعته البشير الإبراهيمي كونه مؤتمرا اجتماعيا للمسلمين حين قال: "الحج في الإسلام ركن من أركانه التي بني عليها، يشاركها في الركينة والروح والمعنى العام للتعبد، ويزيد عليها بمعان اجتماعية حكيمة من السير في الأرض، والاطلاع على الأحوال، والاستزادة من العلم، والاختبار لأحوال الأمم والاعتبار بها، والامتزاج بالأمم المشتركة في الدين، والتعارف بين الأخوة المتباعدين في المواطن، فهو مؤتمر اجتماعي للمسلمين"[2].

[1] عايدة حباطي، التيارات ..، مرجع سابق، ص132.

[2] محمد البشير الإبراهيمي: **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج.5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص74.

وقد أبدى الجزائريون تعلقا شديدا بالأماكن المقدسة، وكانوا يتحملون مشاق السفر، الذي قد يدوم شهورا مشيا على الأقدام، وما يتبعها من تعرضهم لمخاطر الطريق والأمراض، يقطعون الفيافي والبحار بكل صبر وصدق، ومن فرط هذا التعلق، يعيد الزائرون لها ما شاهدوه، وما لاقوه في شكل مرويات شفوية، فيما يدونها بعضهم نثرا أو شعرا، وهو ما يعرف بأدب الرحلة[1]، ينقل فيها أصحابها أدق تفاصيل هذه الرحلة، من محاورات ومناظرات وآراء فكرية ومذاهب وآثار مادية ومعالم وطرقات ومسالك، وحكام، ووزراء ونظم الحكم، ويحرص فيها الأدباء على وصف أصحاب الحرف والعامة في أفراحهم وأتراحهم، وتراجم العلماء وكرامات المتصوفة والأسواق وأساليب التجارة[2].

وقد أولت الدولة العثمانية اهتماما خاصا بشعائر الحج، بما في ذلك حج الجزائريين، فكانت تسهر على تنظيمه رسميا، حيث يقوم داي الجزائر بتعيين بيت الملجي، الذي يعتبر أمير الركب يتكفل بحمل الصرة[3]، ولم يذكر أن قام العثمانيون بمنعه خارج الإطار الرسمي، وقد ارتبط الحج في هذه المرحلة أيضا بتقاليد، أهمها القافلة التي كانت مصحوبة بالمحمل (الجمال)، تحيط به مظاهر الزينة وتصاحبه الطبول والمزامير، وكان المحمل مثقلا بالهدايا وكسوة الكعبة، هذه الأخيرة التي تعرف تنافسا حادا بين القافلة المصرية واليمنية، أما قافلة المغاربة التي كان من ضمنها حجيج الجزائر، فقد كان لها طريقان تسلكهما، الطريق الأول برّي، ويسمى طريق القوافل أو المحامل بالمرور عبر تونس وليبيا، ويلتحق هذا الجمع من الحجيج بقيادة أمير الركب بالقافلة المصرية وينطلقا معا إلى الحجاز عبر عجرود والعقبة وبلاد مدين، ثم الدخول من الساحل الشرقي للبحر الأحمر، أما الطريق البحري فكن بالموازاة مع الطريق البري[4]، الذي ينطلق من تونس إلى الإسكندرية، ثم منها إلى السويس فالحجاز، وكلا

---

[1] والنماذج عن ذلك كثيرة، خاصة تلك لمتعلقة بالرحلة الحجازية، كمنظومة سعيد المنداسي 1677م، الموسومة بالعقيقية ورحلة البوني 1063-1139هـ المسماة "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"، وهي مفقودة، ورحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال عن النبأ عن النسب والحسب والآل" في عدة أجزاء، والذي فقد أغلبها، وأحمد بن عمار في رحلته: "نخلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب"، ورحلة أبي رأس الناصر التي =أسماها بعدة تسميات، "عدتي ونخلتي في تعداد رحلتي"، وأيضا "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته"، ورحلة الورتلاني، ينظر: أبو القاسم سعد الله: "الرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهدالعثماني"، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج1، مرجع سابق، ص209.

[2] أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص105.

[3] P.Boyer :L'administration Française et la réglementation de pèlerinage a la Mecque (1830-1894), **Revue de Histoire Maghrebine**,N9,Tunisie juillet 1997,p276.

[4] نواف عبد العزيز الحجمة: **رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري (12-14م)**، ط1، دار السويدي، الإمارات العربية، 2008، ص494-512.

الطريقين مقصدهما بلوغ مكة والكعبة المشرفة، في شوق ولهفة رغم مخاطر الطريق، كهجوم البدو والأمراض والتيه في الصحراء، وما يصادفهم من ظروف مناخية، كالعواصف الرملية والفيضانات، وبدأت هذه المخاطر تتقلص خلال القرن التاسع عشر بظهور السفن البخارية[1]، التي اختصرت المسافات، وقلت الكلفة والمشقة، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته سكة حديد الحجاز (1908) بعد افتتاحها، وغيرها من مستحدثات النقل، كالسيارات ذات المحركات، بالإضافة إلى تحسن الظروف الصحية بعد فرض الرقابة الصحية والحجر الصحي والتلقيح[2]، مما قلل من انتشار الأوبئة والأمراض المعدية.

إلا أن هذه التطورات لم تثن فرنسا، منذ بداية الاحتلال الفرنسي على السماح للجزائريين بتأديتها بسلام، فقد ارتبط هذا الركن الديني بشروط أخرى غير الاستطاعة الجسدية والمالية، حتى أضحى الحج مسألة سياسية، فمنذ 1830، أشرفت الإدارة الاستعمارية على الشؤون الإسلامية للجزائريين المتعلقة بالعبادات والمعاملات، واستولت على الأوقاف، كما أصدرت جملة مراسيم وقرارات تمنع الجزائريين من تأدية هذا الركن في بعض الأحيان، أو حتى التنقل إلى الحجاز، خوفا من عدم عودتهم إلى الجزائر، تزامنا مع الهجرة الجماعية التي صاحبت الاحتلال، وما تثيره هذه الهجرة من اهتزاز مكانة فرنسا في المشرق، وهي الحريصة على تزيين صورتها في إطار منافستها الاستعمارية والخوف من تأثر الحجاج الجزائريين في هذا التلاقي الاجتماعي، لمختلف الأطياف والأجناس، بالأفكار الثورية والتحررية من قيود الاستعمار[3]، وما تحمله حقائبهم من كتب وجرائد ومجلات، عدتها فرنسا من المحرمات، التي لا يسمح للجزائريين الإطلاع عليا.

وروج مسؤولو الإدارة الاستعمارية فكرة جوهرية عن حج الأهالي على أن الجزائريين إن عادوا إلى ديارهم، كانوا أكثر عداء وكرها للسيادة الفرنسية، وهو ما جعل الحاكم العام قيدون (De Gueydon) (1871-1873)، يعبر عن ارتياحه لمصلحة الشؤون الخارجية، عندما منع الجزائريون من تأدية مناسك الحج بعد ثورة المقراني بقوله: "أفضل ما قامت به الحكومة الفرنسية، أن وضعت حدا أمام التسهيلات التي تسمح للجزائريين

[1] اعتمد العثمانيون أواخر القرن 17 على السفن في نقل الحجاج، بكرائها للسفن الأوروبية حرصا منها على راحة الحجاج، كالسفينة اليونانية 1694، وأخرى هولندية 1695، وفرنسية 1715، وسفن بريطانية خلال 1718-1719-1726، ينظر: ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية**، د.غ.إ، بيروت، 2001، ص177.

[2] أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**..، مرجع سابق، ص49.

[3] Ageron (Ch.R) :**Les algériens Musulmans**,2,p898-899.

بالحج إلى مكة، والتجارب السابقة تؤكد على أنهم حين سيعودون يكونون أكثر كرها وأقل خضوعا لسيادتنا"[1]، كما وصفت جريدة"L'écho d'Alger" الحاج بعد عودته، بالانغلاق على نفسه، ورفضه لكل محاولات التقارب أو محاورات روحية أخرى، وتكد نفس الجريدة على أنه يصبح بمثابة العميل للجامعة الإسلامية، بعدما يختلط هناك الحاج الجزائري بالحجاج القادمين من الشرق ومن الجنوب، والأخطر من ذلك قيامه بعد العودة بزيارات مختلفة من زاوية أخرى، يبشر بعظمة الإسلام، يزرع معها الحقد والكراهية ضد من يزعم أنه خاضع لهم[2]، وتحججت فرنسا بمبررات مختلفة، لمنع الجزائريين من تأدية هذا الركن الروحي، وحاولت فرض سيطرتها عليه ومنعه بحجج واهية، خاصة ما يتعلق بالتنظيم الرسمي لهذه المرحلة في مسارها البحري، وغلب على منعها الطابع الدعائي، كالطاعون والكوليرا في الحجاز أو في بعض البلدان التي يمرون بها، أو تبريرات أمنية بحدوث اضطرابات سياسية، وعدم الأمن في المعابر البرية والبحرية المؤدية إليه، لكن في العموم لم يجد الحجاج الجزائريون شيئا من الدعاية التي صورت فيها فرنسا أنها تخشى على رعاياها لكن الحقيقة خلاف ذلك.

ونقل (ليون روش) صورة عن الظروف الصعبة التي يعيشها الحجاج على متن البواخر الفرنسية، فحسب رواية الأخير وشهادته الحية عن رؤيته لمركب كان يحمل على متنه 200 حاج، في حين أن حمولته لا تزيد عن 50 راكب، لا يجدون ما يأكلونه إلا الكعك، ويشترون الماء بثمن باهض حتى لا يموتوا عطشا[3]، وفي نفس المنحى أثارت الصحف الأهلية العربية نفس الموضوع، والحوادث التي لا تخلوا من سفريات الأهالي على متن بواخرها، كتلك التي شهدتها الباخرة الفرنسية (مندوزة)، وأثارت استياء الحجاج الذين دفعوا مبالغ كبيرة، لكنهم لم يجدوا من العناية والخدمات التي تعكس المبالغ المدفوعة، حيث تم حشدهم في الباخرة بأعداد تفوق قدرتها الاستيعابية مع انعدام قوارب الإغاثة، تلسعهم أشعة الشمس الحارة[4]، وهو الانشغال الذي أثاره الطيب المهاجي (1882-1969) عندما أشار إلى السفينة التي أقلته ومن معه أثناء تأديته للمناسك سنة 1931، فيؤكد على أنها لم تكن لنقل المسافرين، وإنما كانت مستعملة لنقل حبوب الحنطة والبقر والأغنام، وعمد أصحاب السفينة

[1] P.Boyer, **Art cité**, p.283.

[2] Paule Laffitte, Le pèlerinage a La Mecque, Echo d'Alger, 1913.

[3] Léon Roches :**Trante ans a travers L'islam (1832-1864)**, T2, Mission a La Mecque Le Marechal Bugeaud en Afrique, Librairie Frimin Dibot, Paris, 1885, p.65.

[4] "حول رحلة الباخرة مندوزة إلى الحجاز، ينظر: **مجلة البصائر**، ع54، السنة الثانية، 24 ذو القعدة 1355هـ/5 فيفري 1937، ص29-31.

لغسلها بماء البحر، ورغم ذلك ظلت بقايا الحبوب وروث الحيوانات في زوايا وشقوق المركب حسب نفس المصدر، كما أشار أيضا أن الغداء المقدم لا يرتقي لما دفعه الحاج مسبقا كثمن لهذه الخدمة، فكانت اللحوم مثلجة متغيرة الرائحة والطعم[1]، لكن هذه العقبات عدها الحاج من مشاق السفر، الذي يكابد نفسه على تحملها زيادة في الأجر، ولم تثن شوقه عن زيارة البقاع المقدسة، التي يغمر المسلم بعدها صفاء روحين، وقد تشبعت نفسه وعقله روحيا وفكريا، وحملت حقائبه كتبا ومجلات، اعتبرتها فرنسا من المحظورات، فمع المبررات التي اعتمدتها فرنسا في منعها لحج الجزائريين، إلا أنهم لم يتوقفوا عن تأديته بطرق غير شرعية وسرية، خاصة في مسلكه البري أو طريق القوافل الصحراوي، الذي يمر بقورارة ثم توات فتيدكليت ثم غات وصولا إلى مصر، حيث ظلوا يعتمدون عليه حتى مطلع القرن العشرين، كما دفعهم ذلك الشوق إلى بيع وشراء الجوازات، وحتى تزويرها، باستعمال تلك التي توفى أصحابها، خاصة قبل اعتماد فرنسا على الجوازات المرفقة بصور شخصية، والاعتماد على التذكرة التي تمنحها الدولة العثمانية، وتعتبر بمثابة جواز سفر للدخول إلى الحجاز[1].

I. زيارة المشارقة للجزائر:

بادر المشارقة بدورهم بزيارة الجزائر مع وضعها الاستثنائي في ظل الاحتلال الفرنسي، فتعدت العلاقة بين هؤلاء وأولئك المجال الجغرافي بين المشرق والمغرب إلى التواصل التاريخي الذي يربط شقي العالم العربي، وقد كانت لهذه الزيارات على قلتها، دورا هاما في إثراء التفاعل الفكري والثقافي بين المشرق والمغرب، منذ مطلع القرن العشرين إلى قبيل الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التاريخية المقصودة بالدراسة، التي سمحت فرنسا فيها للجزائريين بالتواصل مع العالم الخارجي، الذي ظلوا معزولين عنه، بفعل الهيمنة الفرنسية، فكانت تلك الزيارات بمثابة نافذة للأهالي، احتكوا من خلالها بشكل مباشر مع هؤلاء القادمين، الذين زاروا الجزائر فرادى وجماعات، وشملت زياراتهم العملاء والساسة والفنانون، وتركوا أثرا في نفوس الجزائريين.

II. 1. زيارة العلماء:

لم تستقبل الجزائر المحتلة العديد من العلماء، فكانت زياراتهم تعد على أصابع اليد، بعد أن كانت مدنها (بجاية، قسنطينة، تلمسان) قبلة لهم في قرون سابقة، وعلى خلاف جاراتها تونس والمغرب.

[1] الطيب المهاجي: **أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق عليه في الماضي والحاضر**، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص79.

II. 1.1. زيارة محمد عبده:

نالت زيارة الإمام عبده 1903، الكثير من الاهتمام[2]، مع أنه لم يكن الشخصية المشرقية الأولى التي زارت الجزائر خلال الفترة المدروسة، إلا أننا قدمناه عن غيره لمكانة الإمام وأثر زيارته على الجزائريين، فقد عرفوه قبل زيارتهم لهم على اعتباره مفتيا وشيخا للأزهر وداعية إصلاح، وهي الشهرة التي حملتها ورسختها مجلة "المنار" التي نشرت مقالاته وتفسيره أجزاء من القرآن العظيم برؤية عصرية، وعند مقدمه إلى بلادهم تتبع الجزائريون باهتمام تنقلاته ودروسه ومحاضراته التي خص بها أهل العاصمة وقسنطينة، وفيما يلي سنعرج على أهم محطات هذه الزيارة وظروفها.

– ظروف الزيارة:

ينفرد الدكتور أبو القاسم سعد الله على حدّ علمنا دون باقي المؤرخين، الذين أرخوا لزيارة الإمام عبده للجزائر، بالقول أنها كانت مبادرة فرنسية في عهد حاكمها العام شارل جونار (1900-1911)، الذي وجه له دعوة للمجيء للجزائر[3]، والظاهر أن مقصده من هذه الدعوة، إبعاد الإمام عن أي تقارب يجمعه مع بريطانيا، العدو التقليدي لفرنسا، وعلى اعتبار أنها شخصية لها مكانة في العالم الإسلامي، وفي كسبها لصالح فرنسا، ما قد يجعلها تبيض وجهها في العالم الإسلامي على حساب بريطانيا، في حين تذهب مجلة "المنار"، على تأكيد الرغبة الشخصية للإمام لزيارة الجزائر وتونس، للوقوف على أحوال الإسلام والمسلمين، وهو ما أكدته وثائق الإدارة الاستعمارية، التي تشير إلى اتصال الإمام بالسيد دو لابولينيار (De La Bouliniere) الوزير المفوض المكلف بالقنصلية الفرنسية العامة بالقاهرة، واطلاعه برغبته في الزيارة[4]، وابتعد الإمام في كتاباته ومقالاته

---

[1] هواري قبايلي: **مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، 1894-1962**، رسالة دكتوراة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص161.

[2] ومن ذلك رشيد رضا في مجلة المنار، وتاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، وعلي مراد في بحثه:

Ali Merad, L'enseignement politique de Muhammed Abduh, **Art cit**.

وأبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص583-591، وأحمد صاري في مقاله: "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، ع2، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، مارس 2003، ص-ص7-25. ينظر كذلك:

Ageron :Les Algériens Musulmans, T2, OP cité, p-p 916-917. Rachid Bencheneb, Le séjour de Abduh en Algérie 1903, Studio Islamique, LIII, 1981, p-p 121-135.

[3] أبو القاسم سعد الله: "الاتجاه العربي في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين"، **مجلة الثقافة**، ع31، مارس 1976، ص26.

[4] أحمد صاري: "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، مقال سابق، ص13.

المختلفة، عبر "العروة الوثقى" و"المنار"... عن إبداء أي مظهر من مظاهر العداوة لفرنسا، فلم يهاجمها بشكل مباشر، وهي التي استقبلته في منفاه، وسمحت له بالنشاط من عاصمتها باريس بنشر جريدة "العروة الوثقى" بمعية أستاذه الأفغاني.

وكانت مدينة باريس بالنسبة إليه تعني التحرر من قيود الانجليز، وهو ما جعل موقف فرنسا المعادي لبعض مصلحي المشرق يتغير بعض الشيء، وفي نفس الوقت كانت فرنسا ترغب في الاستفادة أبر قدر ممكن من عداوته للإنجليز، وقد مهدت "المنار" من جهتها للمسألة –الزيارة– بمقال: "فرنسا والجزائر"[1]، دعت فيه الجزائريين للثقة في فرنسا، والمطلع على عبارات هذا المقال، يلمس ألفاظا دبلوماسية بعيدة عن الاصطدام المباشر لها، ومن ذلك قولها: "لو أطلقت فرنسا لأهل الجزائر حرية اعلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم آدابها وساعدتهم على ترقية بلادهم وعمرانهم وأقامت فيهم العدل وأباحت لكل أحد أن يمازحهم ويرى ما هم فيه حينئذ من غبطة ونعيم، لكانت هذه المعاملة الحسنى أقوى جاذب يجذب جيرانهم المراكشيين إلى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبيلا بعد قبيل لا سيما إذا جعلت للولاية حاكما مسلما يصدر الأحكام الشرعية وينفذها".

ونبّه في نفس المقال فرنسا من مغبة الثورة عليها في حال استمرار سياسة التضييق على الجزائريين في التعليم وحرية تأسيس الجمعيات والجرائد، وتضيع رسائلهم أو اختزالها، لكن إلى جانب ذلك عبرت عن علاقة فرنسا بالإسلام والمسلمين، وأنها ليست عنصرية ولا متعصبة، لكن كتابها يثيرون الأحقاد والضغينة، ومن جهتهم كان الجزائريون يرون في نهج المجلة لهذه السياسة أمرا يخدم مصلحتهم، حتى لا تمنعها فرنسا عنهم، في مرحلة كانوا بأمس الحاجة لما يربطهم بالمشرق، وعبروا عن ذلك بقولهم: "إننا نعده (المنار) مدد الحياة لنا، فإذا انقطعت انقطعت الحياة عنا"[2]، كما أن وصول شخصية إسلامية، بمكانة الإمام عبده إلى الجزائر، في مثل هذا التاريخ (1903) دون غيره، يعكس الجو السياسي العام[3]، خاصة وأن الجزائر كانت حينها تحت ولاية الحاكم العام "شارل جورنار"(Ch.Jonnart)، الذي شهد عهده انفتاحا على مستوى التعليم والقضاء والصحافة،

[1] **مجلة المنار**، مج5، ج8، ربيع الثاني 22/1320 يوليو 1902، ص292-297.

[2] رشيد رضا: **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، مج3، ط.2، دار الفضيلة، القاهرة، 2006، ص872.

[3] Ali Merad : **l'enseignement politique de Muhammed Abduh**, Art.cit, p92.

بخلاف لويس تريمان (L.Triman)، الذي ضيق على الجزائريين سياسيا وتعليميا، مما حال دون زيارة الإمام إلى الجزائر في الوقت الذي تمكن من زيارة تونس لأول مرة في 1884 بفضل الشيخ محمد السنوسي، وكان حصول محمد عبده على الرخصة لزيارة الجزائر، مشروطا بعدم التدخل في شؤون فرنسا، أو الخوض في المسائل السياسية التي قد تألب الأهالي عليها[1]، وتثيرهم ضدها.

– إقامته في الجزائر:

بمجرد وصول الإمام إلى الجزائر لمس عن قرب أن له مريدين وتلاميذ، يتبعون أخباره ودروسه عبر مجلة "المنار" و"العروة الوثقى" و"رسالة التوحيد"[2]، رغم بعد المسافة الجغرافية،وحظي منذ قدومه (27 أوت 1903)، وإلى غاية مغادرته، في مدة دامت عشرة أيام قضاها في العاصمة وقسنطينة باستقبال يليق بمقامه[3]، فالتفت حوله نخبة المجتمع، ومنهم من لازمه ليلا ونهارا، وقد صنفهم رشيد بن شنب إلى ثلاثة أصناف، المحافظون والعصريون والمتفرنسون.[4]

وكانت إقامة الإمام في منزل السيد مصطفى بن لكحل، وهو المكان الثاني بعد بيوت الله الذي تسنى له أن يجتمع فيها بالنخبة الجزائرية، في سهرات علمية متكررة، جمعت إحداها ما يقارب 150 شخصية، من بينهم النخبة من أعيان العاصمة، كالقاضي المالكي المفتي محمد بوقندورة، بن سيام، وعلي الشريف (مستشار عام ونائب مالي)، وعمر قلاتي وأبناء المنصالي، الذين طرحوا خلالها قضايا تخص العبادات، كالصيام والصلاة والحج

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص585.

[2] رسالة التوحيد: هو في الأصل مجموع محاضرات ألقاها الإمام عبده في لبنان التي نفى إليها بعيدا عن مصر، طرح فيها قضايا عقائدية وفي علم الأصول، وبطريقة مخالفة لمن سبقه.

[3] وهو ما نوه إليه حافظ إبراهيم في قصيدة من ثلاثين بيتا، نظمها بمناسبة عودته من الجزائر، جاء فيها:

وسرى لبرق للجزائر بالبشرى بقرب المطـــــهر الأواب
فسعى أهلها إلى شاطئ البحر وفودا بالبشر والترحـــــاب
أدركوا قدر ضيفهم فأقامـــوا يرقبون الإمام فـــوق السحاب

=ينظر: حافظ إبراهيم: **ديوان حافظ إبراهيم**، ج1، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، 1409هـ-1989م، ص23.

[4] فمن الصنف الأول: ابن زكري والمجاوي وابن سماية وبوقندورة وابن راكور وابن الحاج موسى، ومن العصريين مصطفى الكمال (محمد بن الخوجة) ومحمد كحول ومصطفى الشرشالي وعبد الرزاق الأشرف، ومحمد بن أبي شنب، إلى جانب عمر راسم وعمر بن قدور، ومن الصنف الثالث ابن التهامي وأحمد بن بريهمات وأحمد بوضربة وهم ممن تجنسوا بالجنسية الفرنسية، بالإضافة إلى الأعيان كحمو بوعلام وحمدان بوركايب، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج5، ص590.

ومواضيع فلسفية أخرى كالحديث عن الفكر الحر[1]، الذي أثار نقاشا حادا بين (بن بريهمات) المترجم العسكري المتقاعد والإمام عبده، فكانت شخصية الإمام ملمة وجامعة للجزائريين، فإلى جانب المحافظين من النخبة العربية، كان (العصريين) من مزدوجي الثقافة، إلى جانب كذلك النخبة المفرنسة التي كان حضورها يثير أكثر من استفسار، لتباين فكرهم، وقد مثلها المتجنسون ودعاة التفرنس (بن بريهمات، ابن التوهامي، بوضربة)، ومن الاحتمالات التفسيرية، أن تكون الرغبة في ملاقاة شخصية ذاع صيتها والاجتماع معها في جلسات فكرية، وتأكيد ما ذهب إليه سعد الله بأن زيارة الشيخ عبده كانت بدعوة من الحكومة الفرنسية، فكانت الزيارة حدثا فكريا وثقافيا بامتياز، إلى جانب ذلك فقد اعتبروا أنفسهم نخبة المجتمع، والقلة المتميزة، وكان حضورهم قد بعث في الجلسات العلمية المقامة، روحا أخرى من النقاش، غير النقاش العقائدي والتعبدي، وكان من الحضور بعض وجوه الطرقية في الجزائر، رغم تباين فكرهم هم كذلك مع فكر الإمام.

والأكيد أن الجلسات العلمية للإمام لم تخلوا من المراقبة الإدارية والأمنية، التي رصدت تحركات الأستاذ، واكتفى فيها الإمام بتفسير سورة العصر، وحث فيها الحاضرين على الصبر والصلاة والتعلق بالله والتمسك بالإيمان والأخلاق الفاضلة[2]، وتجنب ولوج القضايا السياسية[3]، رغم ما كانت تعانيه الجزائر حينها في ظل الاحتلال من ظلم مسّهم في دينهم وقوميتهم، فقد أثيرت مثلا مسألة التجنس على حساب الأحوال الشخصية، كما عرف القضاء الإسلامي هزة عنيفة، وتم فرنسة التعليم، وهدمت المساجد وصدرت أوقافها، لذا نتساءل أين هو الإمام عبده من هذا الوضع؟ هل كان التزاما منه بالمنهج الإصلاحي السلمي الذي مقت فيه السياسة، أم أنه وفيّ بما تعهد به لفرنسا كشروط للسماح له بالزيارة، وهي عدم التدخل في شؤون فرنسا أو تأليب الأهالي الجزائريين ضدها!!

وقد بدا الإمام عبده في تفسيره لسورة العصر، منشغلا بالواقع المتردي للجزائريين، عنه بالتفسير في حد ذاته، وكان واقعيا يختار من النص القرآني ما يلاءم غايته، ويدعم رأيه ودعواه الإصلاحية، ويتأكد هذا في النصائح التي توجه بها إلى أهل الجزائر وتونس، وهي الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية، والجد في الكسب

[1] أحمد صاري: "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، مقال سابق، ص17.

[2] هو التفسير الذي نشرته المنار بعد عودته، ينظر: **مجلة المنار**، ج5، مج6، شعبان 1321هـ/22 أكتوبر 1903، ص571.

[3] فمن قسنطينة في الفاتح من سبتمبر صرح بالقول: إن السياسة شرّ كل بلية.

وعمران البلاد، والابتعاد عن السياسة أو الخوض فيها، دون التنازل عن توجيه أنظار الحكومة الفرنسية لما يضرهم[1].

وتجدر بنا الإشارة هنا أنّ اللهجة التي خاطب بها الإمام عبده فرنسا لم تتغير، فقد كان بإمكانه بعد مغادرته للجزائر أن يهاجمها، ويفضح سياستها في مستعمراتها الإسلامية، لكنه آثر نصح من يعيشون تحت سلطتها بسلام، فهم بحاجة إلى العلم والإخلاص في العمل.

– أثر الزيارة في نفوس الجزائريين:

لعل الأهم من بين ما قلنا سابقا، هو وقوفنا عند الأثر الذي خلفته الزيارة على الجزائريين عامة، والنخبة المتعلمة والعلماء خاصة، وهي المسألة التي أثارت اهتمام المؤرخين، بين مؤكد وناف لهذا الأثر، ففيما هوّن المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان من أثر هذه الزيارة على الجزائريين، مبررا ذلك أن خطاب عبده كان موجها لقلة عددية، وعبر عن ذلك بقوله: "(أن) الجزائر ظلت أكثر البلاد الإسلامية انغلاقا أمام الأفكار الجديدة"[2]، وبخلاف ذلك يرى علي مراد في أكثر من دراسة أن زيارته تركت أثرا كبيرا على الجزائريين، على المدى القريب والبعيد[3].

ومما لا شك فيه، أن لزيارة عبده الآثار الواضحة والبصمات البارزة على حياة الجزائريين في مداها القريب والبعيد، فأما القريب فكان أثره على تلاميذه ومؤيديه، أو ما أسمتهم جريدة لوطان (Le Temps) حزب عبده[4]، الذين بدأت تسري إليهم الأفكار الإصلاحية، وأثمرت في ظهور ذهنيات جديدة، تجمعها كلمة مفتاحية واحدة (الإصلاح)، فكان محمد السعيد بن زكري في من أوائل هؤلاء، عند إبدائه الرغبة في إصلاح المنهج

---

[1] **مجلة المنار**، المصدر السابق، ص608.

[2] شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**، مرجع سابق، ص103.

[3] Ali Merad :La Formation de La presse Musulmans en Algérie 1919-1939, **I.B.L.A**, XXVII, p15. et :

L'enseignement politique de Muhammed Abduh, Art.cit,p75-123.

[4] أبو القاسم سعد الله: **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص116.

التعليمي الكلاسيكي في زوايا بلاد القبائل، وهو بمثابة مشروع إصلاحي أفصح عنه في كتيب صغير الحجم (1904)[1].

وكرّر محمد بن مصطفى، تدريس وتفسير سورة العصر أكثر من مرة على الطريقة العبدوية (المقصود طريقة محمد عبده)، وهو ما صرح به في رسالته إلى جلة "المنار" قائلا: "... وقد اطلعت في المنار الأنوار على تفسير سورة العصر بقلمكم البديع فراقني أسلوبه الفائق العجيب...ولشدة شغفي به قرأته على ملأ عظيم من العلاء والطلبة والأعيان عشر مرات في مجالس متفرقة، فاستحسنوه جدا، واستجزلوا فوائده، وأبدوا السرور ما لا مزيد عليه، وأثنوا على جنابكم السامي بما أنتم أهله، ودعوا لكم من صميم الفؤاد بسعادة الداريين"[2]، ويبدو أن مصطفى بن خوجة من أشد الجزائريين إعجابا وتعلقا بالإمام، فقد كرر تفسيره عديد المرات، وهو ما يؤكد الأثر البالغ الذي تركه الرجل في نفسه على درجة التقليد.

ولم يتوقف تأثير الإمام على الجزائريين بوفاته، فقد هزهم رحيله ورثوه في أكثر من موضع، وأصدروا جرائد سارت في ركب فكره ونهجه الإصلاحي، فابتداء من مطلع القرن العشرين صدرت جريدتي "ذو الفقار" (1913)[3] لعمر راسم، و"الفاروق" (1913) لعمر بن قدور، اللتان ساهمتا في نشر مصطلحات إصلاحية، ونقد سلوك المجتمع الجزائري، من الخرافات والبدع والانحلال الأخلاقي، كما كانتا تعيدان نشر بعض مقالات مجلة "المنار".

وقد كانت زيارة الإمام فتحا على الجزائر في اعتقاد محبيه ومرديه، بعثت المشهد الفكري والديني والثقافي بنفس مشرقي إصلاحي، أعاد الجزائر إل أحضان المشرق بعد طول انقطاع بفعل الحركة الاستعمارية، وأحيى بها الإسلام المعاصر، الذي يمجد العقل والروح، بنقي ما علق به من شوائب، ويكسر لغة السكون التي عطلت الأمة لقرون، وهو ما أشار إليه علي مراد في قوله: ".. وكان لهذا السفر بعد معنوي هائل خاصة بالنسبة لعلماء

[1] محمد السعيد بن زكري: **أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل**، عرض وتقديم وتعليق: محمد أرزقي فؤاد، دار هومة، الجزائر، 2015.

[2] **مجلة المنار**: ج23، مج6، ذي الحجة 1321هـ/18 فبراير 1904، ص917.

[3] مما جاء في افتتاحيتها: "أنشئت ذو الفقار للدفاع عن السنة المحمدية، ومحاربة البدع الشيطانية التي أدت إلى هلاك المسلمين والمسلمات، إن جريدة ذو الفقار، جريدة إصلاحية تتبع نزعة محمد عبده، ولن تحيد عن السبيل الذي رسمها لها المصلحون الحقيقيون، وتلتزم مبدئيا بالابتعاد عن السياسة، لأن السياسة تحول الخير إلى شر"، ينظر: علي مراد: **الحركة الإصلاحية**..، مرجع سابق ص39.

الدين والمثقفين الذين كانوا يشكلون حزب محمد عبده في الجزائر، ففي الجزائر المحرومة منذ أمد بعيد من كل تأثير مفيد للشرق جاءت زيارة مفتي مصر بنفس منعش..، فبفضل زيارة محمد عبده الجزائر ألفت العروة الهشة، ومن ثم الضعيفة التي كانت تشكلها مجلة المنار نفسها معززة تعزيزا خاصا، وحينئذ بدى وكأن فرصة جديدة قد لاحت للإسلام الجزائري ..".

ويقول عن موضع آخر: "... إنّ الإسلام في الجزائر في حاجة إلى دفع تاريخي للانتقال من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين للخروجمن السبات السدمي، والتكيف مع العالم الجديد عن طريق الاهتمام النشيط... ومحمد عبده كان بالضبط الرجل الذي جعلهم يشعرون بإيقاع الشرق الإسلامي، وساعدهم على استيعاب التوجه الإصلاحي للإسلام المعاصر بشكل سريع ..."[1]، وقد تجاوز أثر الزيارة تلاميذه الذين عاصروه إلى جيل لاحق، ما جعل من منهجه منارة في ميلاد الحركة الإصلاحية في الجزائر على يد مصلحين تربوا ونهلوا عنه وعن الأفغاني ورشيد رضا... وغيرهم، فكانوا دعامة استندوا إليها، وأفضت إلى ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

II. 2.1. زيارة محمد فريد بك:

كان محمد فريد[2] زعيم الحزب الوطني، من القلائل الذين مدوا جسور التواصل والتفاعل مع الجزائريين في فترة حاسمة من تاريخها الاستعماري، فكانت زياراته مع مطلع القرن العشرين، عبر فترات متقطعة (1901-1902-1905)، وقد كانت الزيارتان الأخيرتان، تقريبا في نفس تاريخ زيارة الإمام عبده، لذلك فقد صاحبتهما نفس الظروف خلال عهد الحاكم العام جونار (1900-1911).

ولم تذكر المصادر مستقبليه من النخبة والأهالي، عدا الاستقبال الرسمي الذي خصه به شعيب بن عبد الله الجليلي قاضي تلمسان، ومدير الشؤون الأهلية دومنيك لوسياني، والمستشرق الفرنسي موليراس[3] وبعض الضباط[1].

---

[1] علي مراد: المرجع السابق، ص36-37.

[2] محمد فريد (1868-1919)، سياسي وحقوقي مصري من أصول تركية، يعد من الزعماء الوطنيين المصريين، صاحب كتاب: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ومن مصر إلى مصر، رحلة في بلاد الأندلس ومراكش والجزائر، ينظر: الزركلي: **الأعلام**، ج6، مصدر سابق، ص328-329.

[3] موليراس من أوائل المستشرقين الذين أشرفوا على حلقات تدريس الفرنسيين مدنيين وعسكريين اللغة العربية، فكان المشرف على حلقة وهران، كما أشرف على ترجمة الكثير من المخطوطات وأسهم في تأسيس المتحف الأثري والفني بوهران.

وكانت زيارته الأولى للجزائر ضمن رحلة طويلة دامت أزيد من ثلاثة أشهر (5 جوان-10 سبتمبر 1901)[2]، وقف خلالها على واقع العرب والمسلمين المؤلم وعبر عن استيائه لوضعهم، وقد لمس في زيارته للجزائر عن قرب ما آل إليه وضعها، وتأسف لما يعيشه الجزائريون من كبت، بدت فيه فرنسا حسب رأيه متناقضة مع مبادئها، وهو الذي درس في جامعاتها، فاستطاع أن يميز بين فرنسا الديمقراطية بشعاراتها المنادية بالحرية والعدالة والمساواة، وفرنسا الاستعمارية.

وقد أوجز محمد فريد الوضع، بتصريح له بجريدة "اللواء" بتاريخ 03 أكتوبر 1901، وأعاد نشره في كتابه "من مصر إلى مصر" قال فيه: "إن الأهالي هناك يعاملون بقوانين مخصوصة غاية في الشدة والصرامة، فهم محرومون من حرية الكتابة وحرية الاجتماع وحرية السفر وحرية مطالعة الكتب والجرائد، نعم يصعب على الذي يعرف حب الفرنساويين للحرية والمساواة أن يصدق ذلك، ولكن من يتكلف مشقة زيارة الجزائر يتحقق أن ما هو جائز في بلاد فرنسا غير مباح للمسلمين في المستعمرات وإن كان مباحا للفرنساويين فلا يجوز لهم أن يؤلفوا جمعية ولو لفتح المدارس ونشر التعليم المجرد وهذا الإذن لا يمنح مطلقا، كما أنهم لا يجوز لهم تأسيس مطبعة أو جريدة، ولا يوجد في جميع إقليم الجزائر غير جريدة المبشر وهي جريدة رسمية تتحدث في فضل فرنسا على العرب والحض على التعامل بولاء"[3].

والمتفحّص لهذه الرحلة، وما يتعلق فيها بالشأن الجزائري، تتجلى أمامه شخصية محمد فريد الوطني القومي، الذي آلمه حال الإسلام والمسلمين، فلم تكن دراسته في الغرب -وهو خريج الجامعة الفرنسية- حاجزا أمامه لرؤية حقيقة فرنسا الاستعمارية في الجزائر، فكان خطابه أكثر اعتدالا، فعبر عمّا يعانيه أهلها في ظل هذا الاحتلال بعبارات صريحة تعكس معاينته الشخصية للوضع، فمن سمع ليس كمن رأى، فقد أثار مسألة في غاية

---

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص580.

[2] انطلق محمد فريد بك في رحلته من القاهرة بحرا باتجاه مرسيليا، التي ظل بها أياما ثم اتجه صوب اسبانيا، وزار فيها في الأخرى العديد من المدن والآثار التي تدل على مرور المسلمين بها أيام الأندلس، وقد عبر خلالها عن حزنه وألمه لما آل إليه حال هذه الديار، ولم تمر رحلته إلى اسبانيا دون انتقاده لبعض العادات التي كان يقوم بها الإسبانيون، من أجل التسلية والمتعة لا أكثر، بقتلهم للثيران، ثم مر عقب هذه الزيارة إلى شمال إفريقيا، بأن زار طنجة ومليلة المغربيتان، وصولا إلى وهران وتلمسان فمدينة الجزائر، وفي طريق العودة بتاريخ 11 أوت زار كلا من مرسيليا وباريس وفيشي وصولا في الأخير إلى الإسكندرية، للمزيد ينظر: محمد، فريد بك، **من مصر إلى مصر (رحلة سنة 1901)، بلاد الأندلس (اسبانيا) ومراكش(المغرب) والجزائر**، مراجعة وتصحيح وتعليق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2011.

[3] محمد فريد بك: المصدر السابق، ص92.

الأهمية مرتبطة أشد الارتباط بالفعل الاستبدادي وهو كبت الحريات التي كانت إحدى ركائز شعارات ثورتها (فرنسا) على الإقطاعية، ولقنتها للأجيال الثائرة على الظلم والاستبداد، إلا أنها حرمت الجزائري منها في أبسط حقوقه بقوانينها الشاذة عن العرف القانوني.

ولا يمكننا هنا إهمال العامل الذاتي، الذي دفع محمد فريد لإصدار هذه الأحكام في حق فرنسا، فقد تعرض شخصيا لمضايقات الإدارة الاستعمارية في كل من تلمسان والجزائر العاصمة، وكانت زيارته الأخيرة (1905) مصحوبة بدعوة لحضور مؤتمر المستشرقين[1] إلى جانب عبد العزيز جاويش[2] عن الوفد المصري، ولهذه الزيارة أهميتها في تنوير الحاضرين الذي كان من بينهم علماء جزائريين في اطلاعهم على واقع الثقافة العربية الإسلامية وجديدها، والإصلاحات التي أدخلتها مصر على نظام التعليم، وأساليب اللغة العربية، والقضاء والطرق الصوفية[3]، كما نجح الوفد المصري في كشف الممارسات العنصرية للمنظومة الاستعمارية، التي اضطهدت اللغة العربية، وأوجدت عقبات أمام تعلمها، وهو ما أثار غضب فرنسا، التي اعتبرت المسألة تدخلا في شؤونها الداخلة، لتتعدى هذه النقاشات أروقة المؤتمر إلى صفحات الجرائد، التي نقل تفاصيلها محمد فريد في مقال بعنوان "التعليم والمدارس" في كتابه "من مصر إلى مصر".

II. 2. زيارة الفرق المسرحية والفنية:

شهدت الجزائر زيارة فرق فنية ومسرحية في وقت مبكر، فمع مطلع القرن العشرين، حلت بالجزائر فرقة الجوق المصري للرقص والتمثيل (1908)، وفرقة القرداحي، التي خصت الجزائر وتونس بزيارة مماثلة، في نفس

---

[1] مؤتمر المستشرقين الرابع عشر 1905: هو مؤتمر من سلسلة المؤتمرات التي دأب المستشرقون على عقدها في مختلف بقاع المعمورة، ويدعى لها كبار المستشرقين المهتمين باللغات الشرقية، وقد أثمر المؤتمر 14 الذي حضره 500 مشارك، معظمهم من فرنسا وأوروبا في إصدار بحوث في عدة مجلدات، ينظر:

-Le XIV Congres International des Orientalistes, **R.A**, Vol49, Année 1905,pp303-347.

وسعد الدين بن أبي شنب: **النهضة العربية بالجزائر**، مقال سابق، ص74-75.

[2] عبد العزيز جاويش (1876-1929م) مغربي الأصل، إسكندري المولد، تعلم بالأزهر 1892، وتخرج من جامعة دار العلوم 1897، أرسل إلى بعثة إلى جامعة بزورود بانجلترا، بعد عودته 1901، عين مفتشا بوزارة المعارف ثم أستاذا للعربية بجامعة أكسفورد، وترأس تحرير جريدة اللواء خلفا للزعيم الوطني مصطفى كمال، صدرت في حقه عدة أحكام بين السجن والنفي، تنقل بعد الحرب العالمية الأولى بين عدة عواصم لأغراض وطنية نضالية، وأصدر عدة مجلات بالاشتراك مع رجالات الحزب الوطني، من آثاره الأدبية "الإسلام دين الفطرة"، و"أثر القرآن في تحرير الفكر البشري"، "خواطر في التربية والسياسة"، "أبحاث عن المرأة المصرية"، الزركلي: الأعلام، ج4، ص17.

[3] أبو القاسم سعد الله: **حصاد الخريف**، مرجع سابق، ص136.

السنة، وقد استقر المقام برئيسها في تونس، الذي ظل بها إلى غاية وفاته، ويعود له الفضل في النهضة المسرحية في تونس.

تذهب بعض الدراسات الحديثة، أن جورج أبيض (1880-1959) قبل قدومه مع فرقته للجزائر كانت تربطه علاقة صداقة بالأمير خالد، حيث دعاه لحضور حفل تخرجه من كونسرفتوار بباريس سنة (1910)، أين كان يدرس هناك (1904-1910) على نفقة الخديوي عباس حلمي، ومن جهته طلب من الأمير خالد، موافاته ببعض المسرحيات، كمسرحية "ماكبث" لشكسبير، و"المروءة والوفاء" لخليل اليازجي، و"شهيد بيروت" لحافظ إبراهيم، التي سلمها الأمير إلى جمعيات كان قد أسسها في الجزائر العاصمة والبليدة والمدية[1]، وتولت كل جمعية عرض تلك المسرحيات، بحضور النخبة المتعلمة.

أما عن زيارته للجزائر (1921) فكانت بمعية فرقته المكونة من ثلاثة وعشرين ممثلا، جالت في العاصمة وقسنطينة وتلمسان[2]، وتأتي هذه الزيارة ضمن جولتها في الشمال الإفريقي، بدأ من ليبيا وصولا إلى المغرب، أين قدمت في الجزائر مسرحيتين من التاريخ العربي باللغة الفصحى، "صلاح الدين الأيوبي" و"ثارات العرب" لجورج حداد[3]، ومسرحية "مجنون ليلى" لأحد شوقي، ولم تلق هذه العروض الكثير من النجاح الجماهيري، فلم تجلب إلا خمسمائة متفرج، وربما تكون اللغة الفصحى المستعملة من طرف الممثلين، إحدى أسباب عزوف الجزائيين عن مشاهدتها، بالإضافة إلى عدم تعود هؤلاء على المسرح الأدبي البعيد عن الفرجة الشعبية بالنسبة للعامة، وعدم اهتمام النخبة المفرنسة لعروض جورج أبيض، وتفضيلها للمسرح الفرنسي[4]، لذلك لا يمكننا أن ننكر أثر المسرح الفرنسي على المسرح الجزائري خاصة من حيث التقنيات الفنية، في حين يشير محي الدين باشتارزي إلى (700) متفرج في العرض الأول من مسرحية "مجنون ليلى"، ونصف هذا العدد في العرض الثاني لنفس المسرحية، وقد كانت للأمير خالد جهود معتبرة في بيع وتوزيع التذاكر على الطلبة والمثقفين والتجار، كما يؤكد من جهة أخرى المسرحي باشتارزي على جهود الأمير أثناء عرض المسرحيتين الباقيتين بتوزيعه لما يقارب

[1] Ahmed Hammoumi,Hassen Remaoun et autres :**L'Algérie**, **Histoire**, **Société et culture**, Editions casbah, Alger, 2000, p.216.

[2] عبد المالك مرتاض: **الثقافة العربية**، مرجع سابق، ص89.

[3] علي الراعي: "المسرح في الوطن العربي"، **عالم المعرفة**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1999، ص373.

[4] J.Desparmet :"la Réaction linguistique en Algérie ",**B**.**S**.**G**.**A**,1er,Trim,N°125,1931,pp1-34.

(1048) تذكرة[1]، كما حاولت فرقة عز الدين المصرية أثناء زيارتها للجزائر سنة (1922) جذب الجماهير لهذا الفن، بإدخالها لمواويل وأغاني سلامة حجازي[2].

وكان لزيارة هذه الفرق تداعياته على الطبقة المستنيرة من المجتمع، الذين بادروا بإنشاء فرقة تمثيلية، سميت "جمعية الآداب والتمثيل العربي"، المعروفة بالمهذبية بتاريخ (5 أفري 1921)، وقدمت هذه الأخيرة عدة مسرحيات[3]، بطابع هزل ولغة عامية، من تأليف علالو ودحمون، لحقتها تجارب رشيد القسنطيني ومحي الدين باشتارزي[4]، وقد لعبت الجمعيات والنوادي دورا هاما في تشجيع هذا الفن.

III. موقف الإدارة الاستعمارية من الزيارات:

لم تمر زيارات الجزائريين إلى المشرق العربي دون رقابة الإدارة الاستعمارية، فمنعتها في أطوار، وراقبتها مراقبة دقيقة أطوارا أخرى.

III. 1.مراقبة الطلبة:

تعد الرحلة في طلب العلم باتجاه المراكز العلمية المختلفة من العالم العربي، من أهم الأسباب التي دفعت الجزائريين لزيارة المشرق، بحثا عن المعرفة والاستزادة في العلوم العقلية والنقلية، بعد أن ضيقت فرنسا الاستعمارية عليهم بسياستها التعليمية.

وقد حظي العائدون منهم بتقدير وتبجيل مجتمعاتهم، وتمتعوا بسلطة روحية، فيما حرمتهم فرنسا الاستعمارية من أبسط حقوقهم، فلم تسمح لهم بالتدرّج في الوظائف، كالطلبة المتخرجين من المدارس الشرعية الفرنسية[5]، ونظرت إليهم نظرة الشكّ والرّيبة، واعتبرتهم كالبركان الهادئ الذي يؤدي انفجاره إلى تهديد مصالحها، وفرض عليهم الحكام الإداريون والعسكريون رقابة دقيقة، ترصد تحركاتهم وتضيق عليهم.

---

[1] Mahieddine Bachetarzi : Les Memoires 1919-1939, **T.I.S.N.D**, Alger, 1968,p41.

[2] عبد المالك مرتاض: مرجع سابق، ص90.

[3] من هذه المسرحيات: "الشفاء بعد العناء" 1921، و"خديعة الغرام" 1932، و"بديع"1924، للمزيد ينظر:
Seededdine Benchneb :"Le théâtre Arabe D'Alger", **R.A**, Vol 77, Année 1935,p73.

[4] محمد طمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1983، ص272-273.

[5] أبو القاسم سعد الله، **حصاد الخريف**، مرجع سابق، ص134.

III. 2.التضييق على الحجاج:

صاحبت زيارة الأهالي المسلمين إلى الأماكن المقدسة الكثير من المضايقات، فبنفس الأسلوب تقريبا الذي منعت به هجرة الجزائريين باتجاه المشرق، أقامت فرنسا حواجز تمنع الحجاج الجزائريين عن تأدية هذا الركن الإسلامي، ففي وقت مبكر من الاحتلال، أصدرت السلطات الفرنسية مراسيم قرارات تقضي بمنع الجزائريين هذا الركن الديني، فكان مرسوم أوت (1838)، والمؤكد بمرسوم أفريل (1856).

وقد أثار هذا القرار استياء الأهالي الذين استنكروه، وقرروا تأدية المناسك مهما كانت النتائج المترتبة والعقوبات المفروضة، ما أجبر فرنسا على تخفيفه بمرسوم (15 أكتوبر 1858)، الذي قيد الحصول على رخصة الذهاب للحج بشروط، تتعلق بأصول طالبه وأعماله وأملاكه وسلوكه وأخلاقه[1]، وإن توالي إصدار قرارات قانونية يعكس حيرة فرنسا، وحتى تخوفها من ثورتهم على هذه الضغوطات، وحرصت على منح رخصها لمن تضمن فرنسا عودته، وعدم تأثره بالأفكار السائدة في المشرق، حتى لا يؤلب عليها الأهالي، وكان في منعها لمغادرة الجزائريين البلاد تأدية هذه الفريضة له ما يبرره من حججها الواهية، حيث منع الحج ما بين (1881-1886) بذرائع أصبحت مألوفة للأهالي، بعيدة عن الحقيقة، كالتعلل بالأوبئة المنتشرة في المنطقة، كالطاعون والكوليرا (الحمى الصفراء)، والأوضاع السياسية في المشرق وتداعياتها على الحجاج، وأسباب أخرى مالية[2]، والحقيقة أن فرنسا قد صادرت موارده، ورأت في تنظيمه إهدارا للخزينة الفرنسية، وهو جزء من سياستها اتجاهالإسلام الجزائري وشأن العبادات والمعاملات، فكان تقديم الترخيص للتوجه صوب الحجاز أو عدمه يرجع لمزاج الحكام العامين، ولمقتضيات الظروف الدولية.

وإذا كانت الحكومة العامة بالجزائر عادة ما تنفذ قراراتها السلطة العسكرية، التي قد منعت الجزائريين من تأدية مناسك الحج، فإن وزارة الخارجية الفرنسية اتخذت موقفا مناقضا لها، ورأت ضرورة حماية الرعايا الفرنسيين، الذين كان من بينهم الأهالي الجزائريين، أمام التدخلات العثمانية، التي تعتبرهم هي الأخرى من ضمن رعاياها[3]، وهي المسألة التي أثارتها أيضا جريدة المبشر (15 فيفري 1858)، عندما تدخل الإمبراطور الفرنسي وإعلانه

[1] إبراهيم، لونيسي، **القضايا الوطنية في جريدة المبشر 1847-1870**، رسالة ماجستير، جامعة الجزار، (1993-1994)، ص310.

[2] P.Boyer, **Art-cit**, p.277.

[3] Ibid.

حماية جميع من هو خاضع لطاعته في سائر البلاد، بعد قيام بعض أهل الحجاز بتعبير الجزائريين والانتقاص من شأنهم كونهم خاضعين لطاعة فرنسا[1].

فشجعت وزارة الخارجية من جهتها الإدارة الفرنسية للإشراف على الحج، وترغيب الأهالي لأداء المناسك تحت إشرافها، بتأسيس اللجنة الوزارية لشؤون الدين الإسلامي (C.I.A.M) وفق مرسوم (25 جانفي 1911)، التي صرحت عن أهدافها في ترقية وتمدين الشعوب الإسلامية، لكن في حقيقتها عملت على منع وصول التأثيرات الفكرية والسياسية القادمة من الشرق، والنزعات القومية العربية Panarabisme، وأفكار الجامعة الإسلاميةPanislamisme، وانبثقت عن هذه اللجنة (جمعية حبوس الحرمين)، التي أصبحت المسير والمنظم لشؤون الحج، برئاسة قدور بن غبريط[2]، كما وضعت للحجاج جوازات سفر، تجعل الأهالي يحظون بالاحترام والأمن في الحجاز، حسب نفس الوزارة[3]، وتعاقدت مع شركات للنقل البحري، حددت أسعار سفنها والطرق التي تسلكها بواخرها[4]، وهو الحرص الذي حاولت فرنسا أن تظهر فيه بمظهر المحترم والمقدر للإسلام والمسلمين، غير أنه واجهة أخفت وراءه حقيقتها، ولم توف بوعودها منذ معاهدة الاستسلام باحترام المسلمين وديانتهم، فانعكست سياسة الإدارة الاستعمارية بالدرجة الأولى على عدد حجاج الجزائر[5]، الذي يبينه الجدول الموضح أدناه، وتجلت فيه مظاهر الإجحاف والتدخل السافر في الشأن الديني:

---

[1] إبراهيم لونيسي: المرجع السابق، ص311.

[2] هواري قبايلي: **مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر 1894-1962**، مرجع سابق، ص97 وما بعدها.

[3] إبراهيم لونيسي: المرجع السابق، ص309.

[4] ينظر الجدول التالي:

الطريق	أجرة السفر		
	الدرجة الأولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة (سطح الباخرة)
طريق الإسكندرية	84.5 فرنك	313.5 فرنك	146.5 فرنك
طريق بيروت	495.5 فرنك	338.5 فرنك	153.5 فرنك
طريق يافا	522.5 فرنك	349.5 فرنك	158.5 فرنك
طريق مارسيليا	/	/	/

إبراهيم لونيسي، الرجع السابق، ص10.

[5] للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج4، مرجع سابق، ص409-413، وكذلك:

Ageron :**les Algériens Musulmans**, T2, **OP cité**, p.898-899.

السنوات	1900	1904-1901	1905	1906	1907	1908	1909
عدد المهاجرين	600	منع	1300	1125	1601	منع	1791

وفي قراءة بسيطة لهذه الإحصاءات يتبين، أنه خلال عشر سنوات (1900-1909) تم منع الجزائريين من تأدية الحج تقريبا خمس مواسم (من 1901 إلى 1905) وخلال سنة 1908، كما أن أعدادهم ظلت في حال اضطراب، ولم تعبر عن عدد الراغبين حقا في زيارة الحرم المكي أو المدينة المنورة، إنما اقتصرت هذه الأعدادمع قلتها على بعض المقربين من الإدارة الاستعمارية، ومع ذلك تحدى الجزائريون كل العراقيل المنصوبة أماهم، ولم تنقطع زيارتهم للبقاع المقدسةتماما، فكانوا يغادرون أحرارا بعيدا عن رخص الإدارة الاستعمارية.

وظلت مسألة زيارة الأماكن المقدسة حسرة في نفوس الأهالي عقودا طويلة، وهو ما عبر عنه الإبراهيمي في قوله: "يتحكم الاستعمار الفرنسي في الحج ويجري عليه ألاعيبه حتى يخرج عن حقيقته الدينية، التي هي معاملة بين المسلم وربه إلى مساومة تجارية سياسته أحد طرفيها الدين والضمير وإلى معاملة استبدادية بين حاكم مسيحي مستبد بيده الباب ومفتاحه ورخصة الذهاب والمركب وطرق السفر في البر والبحر والجو بين مسلم مغلوب على أمره ليس له إلا الإيمان في قلبه وامتثال لأمر ربه"[1].

أما بالنسبة لزيارة المشارقة للجزائر (علماء أو فرق فنية)، فكانت بترخيص وعلم من الإدارة الاستعمارية، إلا أنها لم تخلو من رقابتها في نفس الوقت من مخبرين ورجال بوليس الذين عدوا على زوار الجزائر حركاتهم، ووقفوا على تصريحاتهم وخطبهم، ومن ذلك زيارة الإمام محمد عبده التي سبق الإشارة إليها، وصاحب زيارة محمد فريد الكثير من المضايقات، فلم يسمح له بالنزول من الباخرة عند وصوله إلى تلمسان إلا في اليوم التالي بعد إجراء بعض الاتصالات، كما منع من إرسال بريده، بالإضافة إلى ذلك أشار محمد فريد إلى صعوبة التعامل مع الجزائريين، في قوله: "أن المسلمين يحذرون من مقابلة من يأتي بلادهم من إخوانهم من البلاد الأخرى، إلا إذا علموا أن الحكومة ورجالها غير ناقمين من وجود هذا المسلم الأجنبي وبالأخص إذا كان تركيا أو مصريا"[2].

[1] البشير الإبراهيمي: **آثار البشير الإبراهيمي**، ج3، مرجع سابق، ص75.

[2] محمد فريد: **من مصر إلى مصر**، مصدر سابق، ص90.

ثالثا: المراسلات:

وهي إحدى أهم القنوات التي سمحت بمد جسور التآخي والمحبة بين الجزائريين والمشارقة، حيث تبادل الطرفان فيها الأفكار والمناقشات والتهاني والخواطر التي تجمع بين الأصدقاءوالإخوان، وإن الدارسين لفن المراسلة يجعلونها بين ديوانية وإخوانية[1]، ورغم اختلاف وجهاتها ومتبادليها، إلا أننا سنقتصر في هذا المقام على الرسائل المتبادلة بين الجزائريين والمشارقة دون غيرهم، ومنها الرسائل الإخوانية، التي اختلفت أغراضها ومناسباتها، بين دينية استشارية لتوضيح مسائل شرعية، ومنها ما كانت ودية لحفظ العلاقات الأخوية والإنسانية بين المتراسلين، وما كان منها للتهنئة بمناسبة سعيدة، أو للتعزية في فقيد، أو لأغراض أدبية، يتبادل فيها الأدباء المعلومات وجديد المؤلفات والتقرير وبعض القضايا.

ونماذج المراسلات بين الجزائريين والمشارقة كثيرة ومتنوعة، رصدتها العديد من المصادر وبطون الكتب والمذكرات، فكانت مراسلات البعض نتيجة اجتماعهم معا عن طريق الهجرة أو الرحلة بغية طلب العلم والحج، أو عن طريق الزيارات المتبادلة، في حين كانت مراسلات آخرين دون اجتماعهما أو تلاقيهما، وإنما كانا يتراسلا بدافع المحبة والثقة والشهرة التي حملتها التآليف الأدبية والفكرية والإصلاحية والسياسية، وكانت الصحف العربية أفضل واسطة في هذا التعارف، إضافة للكتب التي كانت تعكس الأفكار والمشاعر وعواطف مؤلفيها.

I. المراسلات الإخوانية:

هي تلك الرسائل التي تبادلها العلماء والأعيان مع أشقائهم من المشرق، تبادلوا فيها عبارات الود والمحبة، فشملت التهاني والمراثي والإشادات بالإنجازات خاصة التأليف منها، وقد كان لهذا النوع من الرسائل دورا فاعلا في حفظ العلائق الودية والأخويةوالإنسانية بين الطرفين.

[1] عرف العرب على غرار بقية الأمم والشعوب هذا الفن منذ القديم، إلا أنه ازدهر بعد الفتح الإسلامي، تبادل المتراسلون فيما بينهم رسائل شعرية أو نثرية، أطلق على كل نوع تسميات متعددة (الرسالة والكتاب والخطاب والمكتوب والتحرير...)، وتختلف من حيث مواضيعها إلى: رسائل ديوانية، الصادرة عن الخلفاء والولاة وقادة الجيش، وتتعلق بالشؤون السياسية، الحربية، الاقتصادية، الاجتماعية والدينية، وأخرى إخوانية، وهي تلك التي يتبادلها الأفراد في مختلف المناسبات والأغراض، وقد لقي هذا الفن الأدبي الكثير من الاهتمام بجمع الرسائل، كابن قتيبة في "أدب الكاتب"، والقلقشندي في "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، وحديثا أحمد زكي صفوت في "جمهرة رسائل العرب"، والذي جمع فيه رسائل العرب في عصورهم الزاهرة من الجاهلية إلى فتح الأندلس، وحاليا يحرص الكتاب والشعراء والمفكرين والعلماء على نشر رسائلهم الشخصية بأنفسهم، أو يتولى ورثتهم وأتباعهم ذلك من بعدهم.

I. 1. بين النخبة الجزائرية والنخبة المشرقية:

I. 1.1. محمد عبده:

كانت شخصية الإمام محمد عبده، من بين أهم الشخصيات التي راسلتها النخبة العربية بالجزائر منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وقد تمتع الأخير بمكانة علمية وإصلاحية[1]، لما كان له من إرث ديني وفكري، ورصيد علمي، وقد عززت زيارته للجزائر أواصر وروابط الأخوة بينهم، وكان تبادل الرسائل بينهم أفضل واسطة، على اختلاف أغراضها ومناسباتها.

– رسائل المدح:

تبادل الإمام عبده مع أعلام من النخبة العربية بالجزائر، مراسلات قيمة على قلتها، إذا ما قارناها بباقي مراسلاته التي جمعته بالنخبة في العالم العربي، فقد كانت من العوامل التي وطدت علاقة الصداقة، بين الطرفين، فقد أرسل الإمام من بلرم (صقلية)، وهو في طريق العودة بعد رحلته إلى الجزائر، برسالة لعبد الحليم بن سماية، المؤرخة بتاريخ (03 جمادى الثانية 1321هـ/جويلية 1903)، تضمنت عبارات المدح والثناء لعلمه وفضله وأخلاقه جاء فيها: "لا يزال يؤنسني مثال من علمك وفضلك، ويعجبني رفيق من كمالك ونبلك، وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة مني، ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لي منها لعلمت مقدار ما أتاك الله من نعمة العقل والأدب"[1].

وأردف الإمام كلامه بجملة توصيات لمرسله (ابن سماية)، بعد أن تنبأ بأن يكون إمام قومه، فكانت وصاياه تنصب حول الاستمرارية في مزاولة كلام البلغاء من أهل اللسان العربي، والاستمرار في تعلم اللغة الفرنسية، ودراسة أخلاق الناس، وتاريخ الأمة الإسلامية، والتطور الديني، وعلله وأسبابه التي تسمح له بالوقوف على داء

---

[1] فقد كانت رسائل الإعجاب والمدح تصله قبل زيارته للجزائر، وهو ما أشارت إليه مجلة المنار، عدد نشرها لقصيدة من اثني عشر بيتا، مدح فيها السد كمال الدين المرغناني، الإمام وعلمه، وعبر فيها صاحبها عن شوقه للقائه، ولم نجد عن هذا الشاعر الجزائري شيء من حياته أو مكانته الاجتماعية ولا حتى رصيده الأدبي، ما عدا هذه الأبيات التي أشارت إليها المنار، ومما جاء فيها:

هل من طريق إلى مصر وأزهرها أم هل من وصول إلى الأستاذ مفتيها
محمد عبده فذ المشارق بل شيخ المغارب دانيها وقاصيها

وختمها بقوله:

والله والله والله لرؤيته أشهى إلي من الدنيا وما فيها

ينظر: **مجلة المنار**، مج.3، ج16، 11 ربيع الثاني 7/1318 أوت 1900، ص377-378.

النفوس، ووصف الدواء الشافي لها، وطلب العلم والجد في الكسب الحلال، كما طلب منه الاستعانة بمحمد بن مصطفى الخوجة، الذي وصفه بدوره بوصف ينم عن القرابة بينهما، حين قال: "ولدنا" إلى جانب مفتي الحنفية بوقندورة، والابتعاد عن السياسة لكونها كبيرة الخطر قريبة الضرر، والسعي للعيش بسلام مع من يجاورهم من الأممالأخرى[2]، يقصد بها فرنسا.

ومن خلال هذه الرسالة نستنبط علاقة الأخوة التي ربطت بين الرجلين، وقد دلت عليها عبرات المودة والنصائح، التي لا تصدر إلا ممن تخاف عليه وتخشى أن تلحقه المضرة، وأفضل دليل على هذا التقارب الذي جمعه والنخبة الجزائرية عبارة "ولدنا" التي تبين مدى ترابطهم وتعلقهم، كما حملت معها رسائل أخرى تقرأ ما بين السطور، تتمثل في الدعوة إلى العصرنة، وعدم الاكتفاء بالتعليم الكلاسيكي، بالتفتح على العالم الخارجي من خلال تعلم لغة المستعمر، التي مثلت حينها الحداثة، والابتعاد عن السياسة والاهتمام بالعلم، الذي من شأنه أن يمحو ظلمات الجهل، ويبطل عقم المجتمع، يدفعه إلى مسايرة العلم والتقدم.

ومن جهته أرسل ابن سماية بقصيدة مدح في حق الإمام، بعد ما عاد إلى القاهرة، بلغ عدد أبياتها خمسين بيتا، نشر منها صاحب "المنار" في مجلته عشرين بيتا فقط، قدم لها رشيد رضا بقوله:"اطلعنا على قصيدة تزيد على الخمسين بيتا للشيخ عبد الحليم بن سماية، أشهر علماء الجزائر، مدح بها الأستاذ الإمام وأرسلها إليه في القاهرة من عهد قريب، فسرنا منها آية من آيات صلة علماء أهل الشرق من قدر الأستاذ الإمام"[3] ومما جاء فيها[4]:

فأنت لنا شمس تنير على المـــدى أتى نورها من غير أن نتطلعـــــا
أدبر بذكراك الذي منك قـد مضـى فأشرب كأسـا بالصفـاء مشعشعا
بذكرنيك المجـــد والعلـــم فانظر من علياك عرشـا مرفعـا

[1] رشيد رضا: **تاريخ الأستاذ الإمام**..، ج2، مصدر سابق، ص617.
[2] رشيد رضا: **تاريخ الأستاذ الإمام**..، ج2، مصدر سابق، ص617-618.
[3] رشيد رضا: **مجلة المنار**، مج6، ج23، ذي الحجة 1321هـ/18 فيفري 1904، ص917.
[4] نفسه، مج6، ج23، ص917-918.

ويبدو أن ابن سماية كان شاعرا مجيدا في قرض الشعر فقد كانت قصيدته من الشعر العمودي، أو شعر التفعيلة على منهج القدماء، كما أنه أحسن اختيار بحرها، فقد نظمها على بحر الطويل، الذي يناسب الغرض الشعري وهو المدح، وبقافية موحدة وهي حرف العين، وأسلوب سلس دون تملق أو تصنع في اللفظ، كانت عباراته وألفاظه تنم عن صدق مشاعره وعواطفه التي يكنها للإمام.

– رسائل الرثاء:

لم تقتصر مراسلات الإمام عبده مع النخبة الجزائرية، على المسرات فحسب وإنما تواسوا في لحظات الحزن، تعبيرا عن التعاطف والتآزر في لحظات المحن، فقد عزّى الإمام عبده الجزائريين وأبناء الأمير عبد القادر بوفاة هذا الأخير، الذي قال رشيد رضا أنه ربطته بالإمام صلة مودة: "وكانت صلة المودة بينهما محكمة العرى، كما أشير إليه في بعض المكتوبات الإصلاحية"[1]، وهي إشارة إلى كثرة مراسلاتهم الإخوانية.

ومما جاء في تعزيته: "..."إنما الصبر عند الصدمة الأولى" اليوم غشيتني غاشية الغم ودهتني داهية الهم، اليوم بلغنا ما أصابنا وأصاب المسلمين، ولم يخص الأقربين حتى عم جميع المحبين، ولم يمس ذوي الأرحام حتى زعزع مجد الإسلام...كل قول يقال فهو دون محيط الفكر والنظر ومقام الأمير، اجل من أن تصل إلى سرادقاته أشعة البصائر والفكر وليس من كلمة أجمع لكلماته ولا قول أوفى بفضائله، سوى أنه الأمير عبد القادر الجزائري فهي منتهى وصف الواصفين..."[2].

وحزن الجزائريون من جهتهم لوفاة الإمام عبده، وهزهم هذا المصاب، وعبروا عن أسفهم لموته بأن أرسلوا رسائل التعزية لتلميذه رشيد رضا على غرار علماء وأدباء المشرق العربي، فكانت الرسالة التي بعث بها أحد الجزائريين رمز لنفسه بـ (ع.ز)، قد عزّى فيها تلميذه محمد رشيد رضا وإخوان الإمام وأبنائه وأحبائه، مستذكرا في تعزيته زيارته الجزائر وملازمة النخبة له "على أن من الله علينا برؤية حضرته الغراء وطلعته الزهراء في السنة الماضية[3]... وكشف لنا دقائق السائل والناس حوله بين مصغ وسائل"، واقترح في الأخير نشر كل مؤلفاته لتعميم الفائدة[4].

---

[1] رشيد رضا: **تاريخ الأستاذ الإمام**، ج2، مصدر سابق، ص634.

[2] نفسه، ص634-635.

[3] جاءت بهذا اللفظ في الرسالة المنشورة في تاريخ الأستاذ الإمام، ولسنا ندري إن كانت سهوا من كاتبها أم ماذا، لأن الأستاذ زار الجزائر سنة 1903، وتوفي سنة 1905، فلفظة العام الماضي هنا إذن تعني 1904.

[4] رشيد رضا: المصدر السابق، ج3، ص297-298.

كما رثاه في رسالة أخرى محمد بن القائد علي، الإمام بالجامع الجديد في مدينة الجزائر، الذي وصفه رشيد رضا بمعدن الإخلاص والفضل، واختصر قصيدته بنشر خمسة عشر بيتا من مرثيته التي قال في مطلعها:

غاض بحر العلوم ابن العــزاء وعيون الأنام سحب دمـــاء

فبكى المسلمون حزنا عليـــه وبكى الدين والتقى والحياء

وبكى الفضل والفضائل طــرا عن إمام الورى يحق البكاء[1]

أما محمد بن الخوجة، المعروف بفكره العبدوي الطرقي، ولشدة تأثره بالإمام، فقد رثاه في قصيدة عنونها "مرثية الجزائر"، التي نشرت بمعية مرثيات الإمام التي وصلت من كل بقاع الكون، وعلى خلاف مرثيات الجزائريين يبدو أن مرثية بن خوجة لم يقلص عدد أبياتها، إذ جاءت في خمس وأربعين بيتا، افتتحها بقوله:

مصاب جسيم عم كل العشـــــائر وأسلمنا قهــرا لحكـم المقـادر

رمينا بخطب لا يقـــاس بغيـــــره فجعنا بــرزء مالــه من مناظــر

وأكبــادنا ذابت أســـى وكآبـــة وأعيننا مثل العيــون الهوامـــر

على موت مفتي المسلمين فخرهم ومن كان للإســلام نور البصائر

ويواصل بقوله:

تآليفه تنسيك ما حيك قبـــلا وتغنيك عن جل الطـروس الكبـائر

أفاده من التحقيق كل يتيمـــة تقاصر عنها كابــر إثر كابـــــر

وحلت بتدقيق عويصا ومشكلا بحيث غدا كالبدر يبدو للناظـــر

إلى أن يقول:[2]

مناقب لم يبلغ مداهن ناثـــر فصيـح ولم يستوفها نظم شـــاعر

علمه سلام الله ما عبره همـت ومـــا وفـاه بالتأبين عبد جزائـــري

[1] رشيد رضا: **تاريخ الأستاذ الإمام**، ج3، المرجع السابق، ص303-304.

[2] نفسه، ج2، ص349-351.

I. 2.1. شكيب أرسلان:

يعد شكيب أرسلان[1]، تلميذ الإمام عبده ومن بين أعلام النخبة في المشرق، الذي جمعته بالنخبة الجزائرية علاقات وروابط ودية وأخوية، عبروا عنها في رسائلهم المتبادلة كأحد الوسائط التي تواصلوا بها، وإن لم نتمكن من الاطلاع على هذه الرسائل، التي كانت ستمدنا بمادة علمية تاريخية، تثري إشكالنا البحثية، من حيث علاقة النخبة الجزائرية بهذا العلم المشرقي، والقضايا التي تقاطعت فيها أفكارهم أو تنافرت، ومرد ذلك، لعدم نشر أصحابها لها، والاكتفاء بالإشارة إلها في بعض المذكرات والكتب، أو التقصي عنها في الأرشيف الفرنسي، الذي احتفظ بجزء هام من هذه المراسلات، ضمن الوثائق المحجوزة من المصالح الإدارية أو الأمنية على البريد الجزائري.

– بين أرسلان وتوفيق المدني:

أكد توفيق المدني في مذكراته، وثوق الصلة بينه وبين شكيب أرسلان، وتبادلهما للرسائل لمدة طويلة، ما زاد في أخوتهما، حيث قال: "وقد اعتبرني الأمير أخا صادقا وصفيا نجيا"[2]، وقد عبر محمد الهادي السنوسي في كتابه "شعراء الجزائر"، عن العلاقة التي ربطتهما بأنها كانت صداقة خاصة من نوعها، فقد بعث العقبي له بيتين من الشعر ردا على الصورة التذكارية التي أرسلها له قال فيهما:

رسم صغيـــر الحجم لكـــنه شكل أبي غالب الأكبـــــــــر

ذكـــــرني لما تبدى قولـــــه ليس على الله بمستنكـــــــــــر

وكانت مراسلات الرجلين تعتريها أحيانا شيء من الدعابة، بأن كنى العقبي أرسلان "أبا الحارث" لدلالات لقبه –أرسلان– في اللغة التركية معنى الأسد، فضم هذه الكنية لبيتين من الشعر وأرسلهما إليه قائلا:

يا أبا الحارث العظم الهمـــــام أنـــت والله أرســـلان وليـــث

أنت في الحرب من أسود الثرى فعلا وفي السلم بحر جود وغيث

---

[1] شكيب أرسلان (1869-1946)، سياسي وأديب مفكر، من مواليد الشويفات بلبنان، ترعرع في أسرة علم وأدب وسياسة، تتلمذ على يد العديد من العلماء، كالإمام محمد عبده في المدرسة السلطانية (1887)، وبعدها في بيروت، ولحق به إلى مصر (1890)، أتقن الانجليزية والفرنسية والتركية، انشغل بأوضاع العالم الإسلامي مشرقه ومغربه، كسورية وفلسطين، والجزائر وتونس وطرابلس الغرب والمغرب الأقصى...أصدر لمجلة الأمة العربية ((La Nation Arabe)1930) كمنبر للدفاع عن العرب والتعريف بقضاياهم، خلف آثار أدبية نثرا وشعرا، وأخرى فكرية وإصلاحية، للمزيد ينظر: سامي الدهان: **الأمير شكيب أرسلان، حياته وآثاره**، مكتب الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، 1960، ص ص64-101.

[2] توفيق المدني: **حياة كفاح، (مذكرات)**، ج2، (1925-1954)، م.و.ك، الجزائر، 1988، ص232.

وشملت مراسلاتهما قضايا شخصية وعائلية، بأن أطلع أرسلان مراسله أن الله وهبه ولدا أسماه غالبا، وتمنى أن يكون لحزبه الغلبة والنصر في الحرب، فأجابه العقبي بقوله:

أبا غالب لا زلت في الناس غالبا ونجم العدى للشؤم والنحس غـــاربا

ولا زلت ترقى للمعالي بهمــة بها تمتطي من صهوة المجـــد غاربــا.[1]

– تقريظ الكتب والمجلات:

تابع شكيب أرسلان الشأن الجزائري وحرص على التواصل مع النخبة الجزائرية، فتبادل مع العلماء عبارات المدح والإشادة، وتقريظ الكتب والتآليف الجديدة، فنشرت الشهاب إشادة لأحد الكتاب لم يصرح باسمه، بكتاب أرسلان "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم"، وصفه بالقول: أنه أفضل رسالة ألفها مسلم على الإطلاق[2].

كما أشاد بدوره أرسلان في رسالة منه للشهاب، بالجزء الأول من كتاب مبارك الميلي "تاريخ الجزائر القديم والحديث"، كما مدح المجلة –الشهاب– وهي الرسالة التي حرصت مجلة "الشهاب" على نشرها بعنوان "ذرة غالية من درر أمير البيان" مما جاء فيها نذكر: "وأما تاريخ الجزائر فوا الله ما كنت أظن في الجزائر من يفري هذا الفري"، قم عبر عن إعجابه بكتابات عبد الحميد بن باديس والميلي والعقبي والزاهري وعدهم حملة عرش الأدب الجزائري[3].

ووجه أرسلان برسالة تقريظ من جنيف، عبر مجلة الشهاب، خص بها محمد العيد آل خليفة[4]، (26 شعبان 1355هـ)، عبر فيها عن إعجابه بأدباء وشعراء الجزائر، وقد نشرتها المجلة بط يده لمكانة مرسلها، مصحوبة بصورته بلباسه المغربي، شبه أرسلان فيها محمد العيد بالشاعر المكي البهاء زهير، في سلاسة النظم وخفة الروح ورقة الشعور، ومما جاء فيها: "كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري، تأخذني هزة طرب تملك عليّ

[1] محمد الهادي السنوسي: **شعراء الجزائر**، ج1، ص148.

[2] **مجلة الشهاب**، مج7، ج3، مارس 1931، ص211.

[3] **الشهاب**، المصدر نفسه، مج6، ج8، سبتمبر 1930، ص468.

[4] محمد العيد بن محمد علي خليفة (1322-1399هـ/1904-1979م)، ولد بعين البيضاء بأم البواقي، من أسرة محافظة دينية متصوفة تنتمي للطريقة التيجانية، حفظ القرآن الكريم وأصول التعليم الأولى في بلدته، ثم انتقل إلى الزيتونة، شارك في الحركة الإصلاحية بأن تولى إدارة مؤسسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة منذ 1907، وأسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، كما أشرف على العديد من المدارس في باتنة وعين مليلة، دعم الثورة التحريرية، وتعرض خلالها لكثير من المضايقات الفرنسية، من آثاره أنشودة الوليد، ورواية بلال بن رباح، (مسرحية شعرية)، ديوان شعرية (ديوان محمد العيد)، محمد العيد الخليفة، **ديوان محمد العيد محمد علي خليفة**، ش.و.ن، الجزائر، (المقدمة).

ميع مشاعري بأنه سيكون من طليعة شعراء الجزائر، بل شعراء العرب كافة"[1]، وهي شهادة قيمة، صدرت من أحد أقطاب الأدب وأمير البيان في العالم العربي، وقد عكست رسائله الاهتمام والمتابعة، ولم تقتصر على الجانب السياسي فحسب، بل تعدته إلى مجالات أوسع شملت الجانب الفكري والأدبي لشعراء الجزائر وأدبائها ومؤرخيها، بالإضافة إلى ذلك فإن رسائله، كانت تعتبر دعم وتحفيز يشجع بها النخبة الجزائرية للمضي قدما في الحركة العلمية والأدبية، بعد أن بدأت أقلامها تجف تحت ضغط الاستعمار الكامن على الصدور والسطور، أما من حيث مضمونها، فتعتبر تحفة أدبية، استخدم فيها أرسلان ومراسليه، لغة بسيطة بعيدة عن التصنع، ينساق فيها كلامه المسجوع البليغ سجية، دون أن نلمح فيه تكلفا.

I. 3.1. ابن أبي شنب وكرد علي:

جمعت المراسلة أيضا، بين علمين من أعلام الجزائر والمشرق، وهما كرد علي[2] وابن أبي شنب، انحصر مضمون مراسلتهما في المسائل العلمية والأدبية، اعتراها شيء من الأخوة والصداقة، وهي الرسائل الخمس التي أشار إليها أبو القاسم سعد الله[3]، إلا أنه اكتفى بنشر تلك المتعلقة بابن شنب، بصفته أحد المرسلين للمجمع العلمي، الذي انتخب له سنة (1921)، في حين لم ينشر أجوبة محمد كرد علي، الذي تولى رئاسة المجمع العلمي للغة العربية، لفقدانها على حد تعبيره، ولم نعثر بدورنا عليها، فحرمنا من الإطلاع عليها، ومعرفة أسلوبه في هذه الرسائل.

ونستشف من خلال مضمون رسائل ابن أبي شنب، أنها كانت رسائل علمية تميزت في البداية ببرودة تعبيرها، والبعد عن عبارات الأخوة والمودة، والذي نلمحه في أولى رسائله، إلا أننا نلمس بعد لقائهما

[1] نشرت هذه الرسالة في أكثر من موضع، ينظر: **الشهاب**، مج13، ج1، 1محرم 14/1356 مارس1937، والبصائر، ع63، 30 أفريل 1937، كما جعلها محمد العيد في مقدمة ديوانه الشعري، محمد العيد آل خليفة، **ديوان محمد علي خليفة**، المصدر السابق (في مستهل الديوان).

[2] كرد علي، هو محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد (1293-1372هـ)، كردي الأصل دمشقي المولد والمنشأ، أتقن التركية والفرنسية، اتصل بالطهر الجزائري، ومحمد المبارك، وسليم البخاري وأخذ عنهم، وتولى تحرير العديد من الجرائد، جريدة الشام الأسبوعية، الرائد المصري، ومجلة المقتبس في مصر، =وجريدة المقتبس في دمشق، الطاهر اليومية، عين رئيسا لديوان المعارف بعد الحرب العالمية الأولى الذي أصبح يعرف بالمجمع العالمي للغة العربية، ثم وزيرا للمعارف، له تصانيف كثيرة، "خطط الشام" في ستة أجزاء، "الإسلام والحضارة العربية" من مجلدين، "غرائب العرب"، و"أمراء البيان والمذكرات".

ينظر: الزركلي: **الأعلام**، ج6، ص202-203.

[3] أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، ص81-87.

الشخصي[1] في المؤتمر السابع عشر للمستشرقين المنعقد بأكسفورد (1928)[2]، أن اللهجة تغيرت ولانت ألفاظهما، فإلى جانب عبارات التقدير والاحترام (سيدي الرئيس الهمام) -رئيس المجمع العلمي- وفي أخرى (جناب الوزير الخطير) و(رئيس التحرير) و(العلامة الولي) خاطبه بعبارات المدح والثناء: "...أما بعد فإني لا أنسى أوقاتا كنتم لي فيها أنسا، وإن كانت قليلة، فقد دلتني على سجياتكم السنية، وبرهنت على مزياكم الألمعية وعوارف معارفكم الأصمعية، وأرى من الواجب أن أعيد لحضرتكم الشكر الكثير والدعاء لكم فضل وخير"[3]، كما لامه على عدم اطلاعه على تصدره للوزارة –وزارة المعارف- بعتاب لطيف قال فيه: "لوم الأحباب من العتبة إلى الباب"[4].

وتبادلا خلال هذه الرسائل مطالبا، تدرج في إطار المهام الموكلة إليهما في المجتمع العلمي، كطلب كرد علي من أبين أبي شنب مجموعة من مؤلفاته، من ضمنها كتابه "مثلث قطرب"، وبالمقابل طلب من ابن أبي شنب تزوده بالعدد الثالث من مجلة المجمع العلمي، ومن جهته طلب كرد علي في رسالة أخرى من أبي شنب أن يقوم بدور الوساطة للاتصال بهيئة تحرير المجلة الإفريقية (Revue Africaine) من أجل المبادلة الأدبية، وحرص أن ابن أبي شنب على أن لا تضيع الرسائل المرسلة إليه، بحجة عدم فهم خطها من مصالح الإدارية في بريد الجزائر، فطالبه بتجنب كتابة عنوانه بالخط المشرقي، وزوده بعنوان آخر باللغة الفرنسية[5].

أما عن أسلوب ابن أبي شنب في هذه الرسائل، فكان يكتب بطريقة مباشرة، بعيدة عن أسلوب القدماء، الذي يتضمن ديباجة مطولة ومتن، فلم يهتم بن شنب بالتفاصيل والاستطراد، وإنما يذهب مباشرة لصلب

---

[1] وصف محمد علي كرد علي بن أبي شنب عند مشاهدته وهو يلقي أحد بحوثه بالقول: "شهدته يخطب بالفرنسية...وهو في لباسه الوطني، عمامة صفراء ضخمة، وزنار عريض وسراويل مسترسلة ومعطف من صنع بلاده، فأخذت بسحر بيانه واتساعه في بحثه، وظننتني أستمع عالما من أكبر علماء السلف، جمع الله له بلاغة القلم، وبلاغة اللسان ووفر له قسطا من العلم والبصيرة، وقد فطر على الذكاء...وقبض له أن يجمع بين ثقافتين ينبغ ويفصح في كل لغة بمعانيها"، ينظر: محمد كرد علي: كتاب المعاصرون، إشراف وتعليق: محمد المصري، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1980، ص341، وما بعدها، ينظر: مأمون الجنان: "العلامة محمد بن أبي شنب، أول دكتور جزائري في الوطن العربي، عضو مجمع اللغة العربية في دمشق"، **مجلة التراث العربي**، ع104، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ص289.

[2] هو المؤتمر الذي مثل فيه ابن شنب فرنسا، عقد بمدينة أكسفورد (Oxford)، حضره مجموعة من أساتذة السوربون، كالأستاذ ماسي، وقودفروا دو نبين ومحمد كرد علي مندوب سورية، ورئيس مجمع العلمي العربي بدمشق، وطه حسين مندوب مصر، والمستشرق مارقوليوتو ناليليو، قدم خلالها بن أبي شنب بحثا حول الأدب الأندلسي، وجعل شخصية أبا جعفر أحمد نموذج عن ذلك الأدب، مأمون الجنان: المقال نفسه، ص287.

[3] أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983، ص85.

[4] نفسه، ص87.

[5] أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المرجع السابق، ص81.

الموضوع، الذي يكون إما ردا على طلب أو مستفسرا عن مجلة، متأثرا في ذلك بأسلوب المستشرقين، وقد علق على ذلك عبد المالك مرتاض بقوله: "...أسلوبه ليس مشرقا إشراقه أسلوب ابن باديس والإبراهيمي والزاهري وأضرابهم ممن لقنوا ثقافة عربية أصلية...ونجد الأستاذ ابن أبي شنب يعاني بعض المعاناة بالكتابة العربية...".[1]

I. 2. بين المهاجرين الجزائريين وأهاليهم:

من الرسائل الإخوانية المتبادلةتلك التي جمعت العامة من الجزائريين، ونقصد بها رسائل المهاجرين إلى المشرق وإخوانهم الذين ظلوا في الجزائر، ورغم أن المتراسلين في هذا النوع كانوا جزائريين، لا مشرقين في أصولهم، إلا أننا أدرجناها بحكم أن أولئك المهاجرين استقروا في تلك الديار الإسلامية، وأرسلوا رسائل لأهلهم وإخوانهم في الجزائر، يعبرون فيها عن أشواقهم ويدعونهم للالتحاق بهم، وما سيجدونه هناك بعيدا عن ظلم واستبداد فرنسا، وقد استعمل مرسلوها في بعض الأحيان لغة فصحى،وفي أخرى لغة عامية بسيطة قريبة جدا للفهم، كتلك الرسائل التي نشرتها جريدة "المهاجر" لمحمد بن التهامي شطة، إذ نشرت رسالة لأحد المهاجرين من عنابة، الذي أفصح فيها عن سبب هجرته لموطنه واستقراره في بلاد الشام، تعبيرا عن استيائه لحكم المستعمر، وعبر من جهة أخرى عن أمله في الحكومة العثمانية المسلمة، ومما جاء فيها قوله: "لقد تركنا بلادنا واستقرارنا وعائلاتنا، تعبيرا منا عن استيائنا من الدولة التي تحكمنا، ومحبتنا للحكومة العثمانية، فتقدمنا لها بطلب لاستقبالنا، وكلنا أمل بأنها ستفتح لنا أراضيها لنعيش بين من يفهمون لغتنا ونفهم لغتهم، فبمجرد أن لمست أقدامنا الأراضي السورية وجدنا أنفسنا بين أناس لم نشعر معهم بأننا أجانب"[2].

ومن الرسائل أيضا ما جاء على لسان أحد المهاجرين بلغة دارجة، لم يذكر اسمه فيها، ولا تاريخ المراسلة، لكن يبدو أنها كانت متزامنة وهجرة التلمسانيين بعد التجنيد الإجباري، فبعد الحمد والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ذكر تفاصيل الرحلة التي قادته ومن معه إلى الإسكندرية بالقاهرة، فبور سعيد ثم الوصول إلى دمشق سوريا، وحاول المرسل ترغيب الجزائريين في الهجرة بما سرده خلال هذه الرسالة من الحفاوة التي استقبلوا بها من طرف والي الشام، والوعود المقدمة لهم، مما جاء فيها: "وقال لنا (الوالي): لا تخافوا ولا تحزنوا فإنني قريب

[1] عبد المالك مرتاض: **الثقافة العربية**، مرجع سابق، ص125.

[2] L'exode de Tlemcen en 1911,p133. . نقلا عن: **جريدة المهاجر**: 7 ماي 1912.

نعطيكم ما طلبتموه مني من البلاد[1]، وغيرها وما تحتاجوه من حبوب وبقر ونبني لكم الديار ونعطيكم المعاش والمصروف حتى تدرسون[2]، مازرعتم والغرامة لا تجب عليكم إلا بعد مضيي ثماني سنين، ومن استطاع القدوم فليقدم ويصحب معه السريح[3]، وورقة التعريف، ومن أراد القدوم إلى الشام فإنه مخصص للجزائريين والتونسيين[4]...من أراد أن يكاتبنا بجواب فيكون بتبليغه إلى سيد محمد بن التهامي شطة الجزائري بسوق سروج بدمشق الشام والسلام علينا وعليكم، آمين"[5]، وهي رسائل مؤثرة، حاول فيها أصحابها ترغيب أهلهم وأصحابهم في الهجرة إلى الشام، وهي إحدى الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية، وإن كانت الرسالة الأولى مترجمة عن الفرنسية، نقلا عن الرسالة الأصل المكتوبة باللغة العربية، فلم نتمكن من معرفة لغة كتابتها، أكانت بالفصحى أو بالعامية، وبالتالي لم نعرف معها المستوى العلمي لصاحبها، بينما نشرت الرسالة الثانية باللغة التي كتبت بها، ويبدو أن كاتبها كان من عامة الناس، ولم يكن على قدر كبير من العلم، فقد كتبها بلغة عامية مهذبة تميل إلى الفصحى، فلم يستعمل ألفاظا غريبة هجينة لا يمكننا فهمها، لكن مع كثرة الأخطاء الإملائية، كما أشارت الرسالة للوساطة التي يمكنهم بها التواصل مع صاحب الرسالة، وهو محمد بن التهامي شطة الجزائري الذي سبقهم إلى الهجرة، وأنشأ جريدة المهاجر في سوريا، وهو دليل آخر على تضامن الجزائريين فيما بينهم في ديار الغربة.

II. المراسلات الاستشارية:

نعني بها تلك المراسلات المتبادلة بين العلماء والأعيان، للاستفسار عن مسائل استعصت من حيث جوازها أو حرمتها، وتأكيد لأمر وتصحيح لرأي، غالبا ما يكون شرعي، أو مناقشة قضاياي سياسية تخص العالم العربي.

II. 1. الاستشارات الدينية:

كان افتقاد الجزائريين لمركز ديني بمكانة الأزهر والقرويين والزيتونة، ومع المضايقات الفرنسية المفروضة على الخاصة من العلماء والمشايخ قبل عامة المجتمع، ارتأوا اعتماد سبل ووسائط أخرى لإبلاغ انشغالاتهم عن طريق

[1] يقصد بها الأرض.

[2] بمعنى يحصدون.

[3] أي التسريح.

[4] ينظر الملحق الأول، رقم 14: تقرير حول إسكان المهاجرين الجزائريين في لواء عكا من طرف السلطة العثمانية، ومنحهم الجنسية العثمانية.

[5] أبو القاسم سعد الله: **حاطب أوراق**، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2010، ص319.

المراسلة، فقد اعتبر الجزائريون علماء المعاهد والمراكز الإسلامية في العالم الإسلامي، مرجعية دينية افتقدوها في بلادهم، وليس في هذا إنقاصا من مكانة علمائهم، بقدر ما كان اهتزاز ثقتهم في من تولوا الفتوى الشرعية عقب الاحتلال، بعد أن أحكمت الإدارة الاستعمارية قبضتها على الشأن الديني، فنفت أجل علمائه، وصادرت موارده، وأنشأت مدارس تمد القطاع بأئمة يتوافقون مع الإسلام الفرنسي.

وكان الأمير عبد القادر أحد الجزائريين الذين استأنسوا بعلماء مصر عندما تعتريه قضايا شائكة ويود تأكيد حكمها أو نفيها،[1] فالرجل كان عالما وفقيها، يصوغ رسائله الاستشارية مدعمة بالحجج والأدلة الشرعية، ويسترسل في ذكر نصوص من الكتاب والسنة، ومسترشدا بمذاهب العلماء، وكانت مسألة تعدي السلطان المغربي، وقد أثارت حفيظة الأمير واهتمامه، ودفعته لمراسلة علماء مصر، استفتى فيها عن حكم تصرفات الأخير، التي رأى الأمير أنها كانت تقوية للكافر على الإسلام والمسلمين، وإضرارا كبيرا بالأمير، ووفاه محمد عليش (1802-1882) مفتي المالكية بالديار المصرية بالإجابة الوافية عن هذا الاستفسار[2]، كما لجأ الأمير مرة أخرى لعلماء مصر، فراسلهم عند تأديته لمناسك الحج، متقصيا عن بعض المسائل الدينية المتعلقة بالحج وأركانه، وتبيان مسألة بناء البيت الحرام وعددها، كما استفسر واجبات الحج وسننه، وفضل الحرم المدني وزيارة النبي صل الله عليه وسلم[3]، وكانت الإجابة عن طريق المراسلة أيضا، تلقى فيها ردا مطولا عن الاستفسارات[4].

وكانت الرسائل المتبادلة قد اعتمدت لغة علمية جافة، استعمل فيها المتراسلون مصطلحات فقهية، مع استدلالهم بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية، مع الاستعانة بالمذاهب الأربعة، وإن كان محور الرسالتين الأساسي البحث عن فتوى شرعية، كما في الرسالة الأخيرة، التي كان الاستفسار فيها عن مسائل دينية بحتة، تتعلق بالجانب التعبدي، بينما تندرج الرسالة الأولى ضمن السياسة الشرعية التي استفسر فيها الأمير عن النظرة الدينية في مسألة سياسية، التي قد تضعف قوته وقوة جيشه، بسبب تعدي وتحرشات سلطان المغرب، ويقوي مقابل ذلك شوكة الأعداء عليهم، والشيء المميز في هذه الرسائل، طول متنها على نفس أسلوب القدماء، بحيث

[1] محمد بن عبد القادر: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903، ص306-309.

[2] نفسه، ص306-309.

[3] محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر** ..، ج2، المصدر السابق، ص124.

[4] حول الموضوع، ينظر: نفسه، ص-ص125-142.

احتوت على الكثير من التفاصيل، فبعد ديباجة طويلة، كان المتن بألفاظ كثيرة السجع، يخيل لقارئها أنها تعود للقرون الأولى من الإسلام، كما خلت الرسائل عن ذكر التاريخ الهجري أو الميلادي الذي يبين تاريخ الإرسال أو تلقيها.

ولم تكن المراكز والجامعات وحدها التي راسلها الجزائريون، بحثا عن حلول لمسائلهم الدينية، فقد جذبتهم أيضا المجلات التي يسمح بدخولها إلى الجزائر، كمجلة "المنار" وصاحبها رشيد رضا، الذي بعث له أحد الجزائريينرامزا لنفسه بغويشم مجموعة أسلة يستفسر فيها عن الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم، ومسألة إثبات هلال شهر رمضان اعتمادا على قول المنجم حسب استفساره، وصلاة النساء في المساجد وذنوب الخطيب الذي يبث الكسل والخرافات[1]، وهي قضايا تبين أن سائلها لم يكن من العامة، بل على قدر من العلم، إذ يستفسر عن قضايا دقيقة من الفقه الإسلامي، كما احتكم الجزائريون لعلماء المشرق بمراسلتهم لحل المسائل المختلف فيها، فعلى سبيل المثال تضمنت مراسلة للشيخ البوجليلي إلى علماء المالكية في مصر (1861) استفسارا توضيحيا حول مسألة اختلف فيها مع أهل مدينته (بوجليل)، في جواز بناء جامع ثان لأداء صلاة الجمعة في المدينة الواحدة، إذا ضاق المسجد الوحيد بالمصليين، وتلقى الرد على استفساره من الشيخ البشري، الذي أجاز له ذلك[2].

II. 2. القضايا السياسية:

تفاعل الجزائريون مع علماء ومفكري المشرق حول القضايا والمسائل السياسية التي تخص الأمة الإسلامية أو تلك المتعلقة بالجزائر، وكانت الرسائل المتبادلة تتم بطرق سرية في الغالب، وهي أحد أهم الأساليب التي سمحت بالتواصل بين الطرفين.

II. 1.2. مراسلات شكيب أرسلان وعلماء الجزائر:

أولى شكيب أرسلان الجزائر اهتماما خاصا في كتاباته[3]، دون أن يخصها بالزيارة، كما فعل مع جارتها المغرب أثناء زيارته للمنطقة المحايدة الخاضعة للقانون الدولي، وقد تراسل أرسلان مع توفيق المدني، وتعددت محاور

[1] **مجلة المنار**: مج8، ج16، 16 شعبان 1323هـ/15 أكتوبر 1905م.

[2] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص596.

[3] خصها بمقالين في كتاب حاضر العالم الإسلامي لمؤلفه لوثرب استودارد، وشاركه أرسلان في فصول منه وتعليقات وحواشي وعربه عجاج نويهض، فعنون مقاله الأول: "الجزائر والأمير عبد القادر وفرنسا". ينظر: استوارت لوثرب، **حاضر العالم الإسلامي**، مج1، ج2، ص-ص 166-174،

المواضيع التي أثارتهما وتباينت مواقفهما واختلف أسلوبهما في المعالجة، فاتفقا في بعضها واختلفا في بعضها الآخر، وأشار المدني إلى علاقته بأرسلان قائلا: "كنت وثيق الصلة بالكاتب العظيم والمفكر الإسلامي الكبير شكيب أرسلان، وكانت المراسلات الأدبية والسياسية والاجتماعية تترى بيننا منذ أمد طويل..."[1].

وجمعت المراسلة أيضا بين أرسلان والطيب العقبي أحد أقطاب النخبة العربية، وإن كنا نجهل حقيقة لقائهما الشخصي، إلا أنه من المؤكد أنهما تراسلا مبكرا، بدليل ما جاء في كتاب "شعراء الجزائر" لمحمد الهادي السنوسي الذي نوّه فيه بهذه العلاقة[2].

كما كان للأمير أرسلان علاقات مميزة مع الشيخ البشير الإبراهيمي، وتواصل أيضا مع مناضلي نجم شمال افريقيا، وخاصة مع "مصالي الحاج" (1898-1974)، إلا أنّه اتصال متأخر مقارنة بالنخب الوطنية[3]، وهي بعيد عن فترة دراستنا.

ويتبين مما سبق أن شخصية أرسلان كانت شخصية ملمّة، جذبت لها العديد من المعجبين بأفكاره، كما كان لاهتماماته بقضايا بلاد المغرب العربي ومحاولاته توحيد الشعوب العربية، ولمّ شملها، واستنكاره للممارسات الاستعمارية أثرا طيبا في نفوس النخبة الجزائرية الذين تواصلوا معه عن طريق قنوات مختلفة، ومن جهة أخرى مثلت النخبة الجزائرية التي تواصل معها الصفوة ليس في الجزائر وحسب، وإنما حتى الجزائريين بالمشرق العربي أمثال الأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر والشيخ محمد الخضر وحسين وغيرهم.

كما تراسل الجزائريون "مع محب الدين الخطيب"[1] الذي أبدى بدوره اهتماما بقضايا بلاد المغرب العربي بما في ذلك الجزائر، الأمر الذي دلت عليه أوراقه وقصاصاته التي خلفها من بعده، ومع أن فرنسا قد وضعته في

والمقال الثاني بعنوان: "الجزائر وقبائل البربر"، ص-ص 175-187، كما استعان بمؤلفات الجزائريين كمصادر لمقالاته، كإسماعيل حامد في كتابه عن **التسامح الإسلامي** عند حديثه عن التعصب الإسلامي ومائة مشروع لتقسيم تركيا. ينظر: المصدر نفسه، مج2، ج3، ص211، وفي موضع آخر =استعان بكتاب توفيق المدني، **كتاب الإسلامي**"، مج2، ج4، ص105، وعند حديثه عن خطر التنصير في الجزائر ينظر: المصدر نفسه، مج2، ج3، ص361، كما كانت لشكيب أرسلان حضورا آخر في الجزائر كالوساطة بين الإباضية والمالكية في مسألة الآذان، والتي أشارت لها الصحف آنذاك. ينظر: **جريدة النجاح**، 15 جويلية 1930.

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، ص 335-336.

[2] محمد الهادي السنوسي، **شعراء الجزائر**..، ج1، مرجع سابق، ص148.

[3] حسب تقرير الشرطة الفرنسية (1934) الذي أكد أن مراسلات أرسلان ومصالي يعود تاريخها إلى (1932). ينظر: بن يامين سطورا، **مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية الجزائرية (1898-1974)**، تر: الصادق عماري، مصطفى ماضي، القصبة، 1998، ص133.

خانة الخطيرين الذين لم تسمح للجزائريين بالتواصل معه، إلاّ أنه كان من بين الشخصيات التي راسلته النخبة الجزائرية وتواصلت معه، فقد تعرف عليه الشيخ العقبي أثناء إقامته في أرض الحجاز، وكان أبو يعلى الزواوي قد نشر أحد كتبه في مطبعته (الأميرية).[2] ومراسلات أخرى خارجة عن فترة دراستنا ومنها مراسلاته مع مفدي زكريا.

II. 2.2. مراسلات الجزائريين مع الصحف المشرقية:

تعدّت مراسلات النخبة الجزائرية مع أعلام المشرق العربي إلى مجلاتهم وجرائدهم، وقد سمح لهم هذا النوع من التواصل بإقامة علاقات علمية وأدبية عبر صفحات الجرائد، ووجدوا فيها مجالا أرحب بعيدا عن الرقابة الاستعمارية، وكان محمد السعيد الزاهري من بين النخبة العربية التي راسلت أكثر من مجلة؛ فقد راسل "المقتطف"[3] ومجلات أخرى فيما بعد "كالفتح"[4] و"الرسالة"[5]، وبذلك ساهمت المراسلات والصحف والجرائد في إثارة المسائل الشائكة الشرعية والفكرية والسياسية والأدبية، وحاول مراسلوها إيجاد مخارج تيسر صعوبتها، وتجعلها بسيطة غير مستعصية، كما قربت المسافات بين الأفراد والجماعات، وبين الأفراد والمؤسسات، وكسرت الحواجز الإدارية الإستعمارية المفتعلة، وقد جمعت الرسائل بين الجزائريين ونظرائهم المشارقة، فكانت مصدرا هاما من مصادر التواصل والتأثير الفكري والثقافي بين العلماء والأعيان، وقد لعبت دورا هاما في رسم صورة عن الحالة السياسية والاجتماعية في ميادين الدرس الأدبي والتاريخي والسياسي، ومرآة عاكسة عن النضج الفكري،

---

[1] هو محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر الخطيب (1886-1969)، بغدادي الأصل، دمشقي المولد، نشأ في أسرة ذات علم وخلق، لازم العلماء، منهم طاهر الجزائري وأحمد النويلاتي وجمال القاسمي، شارك في تحرير بعض الصحف كـ: "المؤيد" و"الأهرام"، وأصدر أخرى كـ: "القبلة" و"الفتح" و"الأزهر" و"الزهراء"، أسس المطبعة الأميرية، ترك زادا كبيرا من المؤلفات، بين تأليف وتعاليق وإعادة طبع كتب تراثية. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج5، مصدر سابق، ص282.

[2] وهو كتاب تاريخ الزواوة، دمشق، 1927، وأعادت وزارة الثقافة الجزائرية نشره سنة 2005، بمراجعة وتعليق من سهيل الخالدي.

[3] المقتطف: مجلة علمية أصدرها يعقوب صروف ونمر فارس (1876-1952)، بدأت في بيروت ثم انتقلت سنة 1884 إلى مصر، تختلف مواضيعها كالصناعة والزراعة وتدابير تخص المنزل والمسائل العلمية والأخبار. للمزيد ينظر: الفيكونت فليب دي طارزي، **تاريخ الصحافة العربية**، مصدر سابق، ص125.

[4] جريدة الفتح: (1926-1947)، جريدة إسلامية علمية وأخلاقية، تولى عبد الباقي سرور نعيم رئاسة تحريرها خلال العامين الأولين ثم محب الدين الخطيب، غطت في مواضيعها كل ما يتعلق بالعالم الإسلامي، واهتمت بقضايا الاستعمار والمغرب العربي، وتناولت التغريب والغزو الفكري وأعمال دعاة الإلحاد. للمزيد ينظر: أنور الجندي، **تاريخ الصحافة الإسلامية**، ج2، (الفتح – محب الدين الخطيب) دار الأنصار، مصر.

[5] مجلة الرسالة: أنشأها أحمد حسن الزيات (1885-1968) عام 1933، كتب فيها رموز الأدب العربي مشرقا ومغربا، أمثال "العقاد"، "سيد قطب"، أحمد أمين" ..، دام ظهورها 21 سنة، اعتنت بالمواضيع الأدبية والعلمية والفنية، وكان ظهورها أسبوعي، وصل تعداد أعدادها إلى 1025 عدد.

ونرى أنه من الضروري بنا أن ندرج وسائط أخرى وقنوات اتصال إضافية سمحت بالتقارب الجزائري المشرقي كالكتب والصحف والمجلات التي تتابع وصولها إلى الجزائر سواء المحضورة منها أو المسموح بها من طرف الإدارة الاستعمارية، فقد كانت لها طرق مباشرة من مصر وأخرى غير مباشرة عن طريق تونس والمغرب، أو في حقائب الحجاج عند عودتهم[1].

كما عمدت الصحف الجزائرية المعربة خاصة على تخصيص ركن لعرض مؤلفات المشارقة، وما جاء في الصحف المشرقية من مقالات، وإما أن تقتبس من تلك المجلات المشرقية مقالات وتعيد نشر ما تم نشره في "المنار" أو "الشورى" أو "الفتح" أو "الأهرام" أو "الأيام" ..، والتي في الغالب يحملها البريد في إطار المبادلة الصحفية، إلى جانب ذلك، وجدت الكتب سبيلا آخر للوصول إلى الجزائريين في شكل هدايا مصدرها الأفراد أو المؤسسات المشرقية.

III. موقف السلطات الاستعمارية من المراسلات:

لم تغفل فرنسا عن هذه القناة التواصلية التي بإمكانها أن توطد علاقة الجزائريين بعروبتهم وإسلامهم، وتفتح عيونهم على حقيقة فرنسا الاستعمارية، وإطلاعهم على أوضاع الأمة العربية والإسلامية والأمم المتحررة، فشددت على منابع هذا التواصل بفرضها لرقابة إدارية وأمنية.

III. 1. مراقبة البريد:

ضيقت فرنسا أشد التضييق على المراسلات المتبادلة بين النخبتين الجزائرية والمشرقية، فأخضعت الوارد والصادر للرقابة المشددة، وتجريم كل من يثبت في حقه مراسلاته لأشخاص تعتبرهم فرنسا أعداء لها بعقوبات صارمة، فقد عزلت إدارة "المبشر" محمد بن مصطفى خوجة، الذي اشتغل في الجريدة كمحرر بسبب تواصله مع محمد فريد بك[2]، زعيم الحزب الوطني المصري الذي خلف مصطفى كمال، كما اعتبرت فرنسا شكيب أرسلان من الشخصيات غير المرغوب فيها، وعدّته خطرا على فكر الجزائريين بدعوته للوحدة العربية، التي ولا شك تهدّد مصالحها في الجزائر وأهدافها الاستعمارية في العالم العربي والإسلامي، فأخضعت اتصالاته بالجزائريين للرقابة

[1] محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها**، مج1، ص57.

[2] محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**، ج1، ص129.

المشددة،[1] كما لجأت للضغط على اسبانيا لتشدد بدورها على بريده الذي كان يراسل منها النخبة في المغرب الأقصى، كما لاحقته الرقابة الفرنسية في سويسرا[2].

III. 2. التضييق على الصحف المشرقية:

طالت رقابة الإدارة الاستعمارية المنشورات والمطبوعات من الصحف والجرائد والكتب الواردة من المشرق، وكان تقرير جان ميرانت (Mirante) المكلف بشؤون الأهالي بالولاية العامة 1913 يؤكد الرقابة المسلطة على الجزائريين، والذي كان (التقرير) بناء على مراسلة وصلته من قنصل فرنسا بمصر، والذي يبين حجم الصادرات المصرية من الكتب إلى مختلف البلاد الإسلامية، بما في ذلك مستعمرات فرنسا، وهو ماجعل ميرانت يتصل بالحكومة العامة بقيادة شارل ليتو (Lutaud) ويقنعها بالتوقيع على منشور حرره ميرانت بنفسه، ووزع على الأقاليم الثلاث (الجزائر العاصمة، قسنطينة، وهران)، من أجل التحقيق الدقيق عن مدى انتشار الكتاب العربي، وحصة كل إقليم من المبلغ الذي جاء في مراسلة القنصل (438107150 فرنك)، [كذا]، المخصص للمستعمرات الفرنسية، وضبط عناوين الكتب التي شملها الاستيراد[3]، وفي هذا ما يؤكد السياسة الاستعمارية اتجاه النخبة العربية، كفكر تستمده هذه الأخيرة من أطراف خارجية من العالم العربي، على رأسها مصر.

وتوالت لقوانين والمراسيم التي أصدرتها السلطة الاستعمارية، لمنع بعض الصحف من دخول الجزائر، على اعتبارها خطرا يهدد مستقبلها الاستعماري، خاصة تلك الصحف التي أبدت معارضتها لسياستها، وكشفت الكبت السياسي الممارس على الجزائريين والحالة الاجتماعية والدينية، كجريدة"اللواء"، "المؤيد" "البلاغ"، "كوكب الشرق" و"الفتح"...وقد أحصى محمد القورصو في إحدى دراساته عن الصحف الممنوع دخولها الجزائر بـ67 عنوانا، استعانت الغدارة الاستعمارية في منعها على التقارير الصادرة عن مراكز البريد، التي كانت تذكر فيها اسم وعنوان المرسل ونوعية ومحتوى الصحف والمنشورات التي تصل إلى الجزائر[4].

---

[1] **A.N.T**, Rapport du Ministère des Affaires politique et commerciales, 26 Janvier, 1934.

[2] **A.N.T**, S.A, C.268, D.6/2, Rapport du Ministère des Affaires Etrangères Françaises, Direction des Affaires politique et commerciale.

[3] أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، مرجع سابق، ص-ص 147-149.

[4] محمد القورصو: "إشكالية انتشار الصحافة المغاربية والمشرقية في الجزائر ما بين 1920-1954، تلمسان وضواحيها أنموذجا"، **مجلة أفكار وآفاق**، ع3، جامعة الجزائر3، جانفي-جوان 2012.

في حين تساهلت فرنسا في دخول بعض الصحف والمجلات العربية، خاصة المصرية منها لبلاد المغرب (تونس، والمغرب الأقصى) اللتان تأخر احتلالهما، وحتى بعد فرض الحماية عليهما لم يعرفا نفس التضييق الذي مارسته فرنسا على الجزائر، حيث كانت الرقابة الفرنسية أقل وطأة، منها جريدة "الأهرام"، و"صحف دار الهلال" اللتين لم تتعرض لسياستها الاستعمارية بالنقد[1]، وكانت الصحف العربية الممنوعة تتسلل إلى الجزائر بطرق تمويهية متعددة، ضمن متاع وحقائب المهاجرين العائدين، خاصة الحجاج، وبين أغراض التجار والمسافرين، أو إدراجها ضمن كم هائل من الصحف المرخص لها بالدخول إلى الجزائر، أو البعثات الطلابية، وحتى الفرق الفنية، وعمال الموانئ الذين كانت تربطهم علاقات مع البحارة الأجانب القادمين من مختلف البقاع، تفاديا للرقابة المسلطة على بعض الصحف، فبقرار إداري صادر بتاريخ (20 جوان 1900)، تم منع جريدة "المؤيد" وصاحبها الشيخ علي يوسف من دخول الجزائر، وسبق هذا بقانون يمنع دخول هذه الجرائد إلى البلاد منعا باتا[2]، كما منعت الحكومة الفرنسية جريدة "اللواء" في أوت 1902 بسبب الجرأة التي فضح بها محمد فريد السياسة الفرنسية، نتيجة معاينته للواقع الجزائري، أثناء زيارته لها، بعد أن كان يشكك فيما يقال عنها، واعتبره مبالغات مصدرها كراهية الغازي الأجنبي، فكانت لهذه التصريحات التي نشرها عبر "المؤيد" و"اللواء"، وكتابه "من مصر إلى مصر" سببا مباشرا في منع دخول هاتين الجريدتين[3].

كما شدّدت فرنسا قبل الح.ع.I، رقابتها على الصحف العربية الواردة إلى الجزائر، بإصدار قرارات منع أخرى طالت هذه المرة "القبس" و"المشكاة" الدمشقية، و"الشعب" المصرية، و"الرأي العام" البيروتية و"الحق يعلو" من الأستانة[4]، وإصدار حكومتها العامة بعد الحرب العالمية الأولى، لأوامر إلى مصالحها الإدارية والأمنية بمقاطعة قسنطينة، لتشديد الرقابة على البريد القادم من تونس، وحجز كل الصحف الممنوعة[5]، فمنعت جريدة "القبلة" بقرار من النائب العام للمحكمة، وفتح التحقيق في حق الطيب العقبي بسبب نفس الجريدة[6].

[1] محمد ناصر: المقالة الصحفية، مج1، ص56.

[2] زبير سيف الإسلام: **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج4، م.و.ك، الجزائر، 1985، ص23.

[3] أنور الجندي: **الفكر والثقافة المعاصرة**، مرجع سابق، ص112.

[4] محمد ناصر: المرجع السابق، مج1، ص59.

[5] G.G.A.Constantine, B3,282-283.17 Mai 1922.

[6] Ibid :Septembre 1921.

وقد كانت الكتابة بالخط المشرقي، إحدى الحجج لعمال البريد الفرنسي بالجزائر، في أنهم يجدون صعوبة في قراءتها، فلا يتم تسليم الرسائل المكتوبة بهذا الخط[1]، وهو ما حرم مستلميها في الجزائر من تسلم رسائلهم ومجلاتهم وصحفهم المشرقية، وفي حالات أخرى تذبذب وصولها وعدم انتظام أعدادها، وهو ما أشارت إليه جريدة "البصائر" في قولها: "تصل إلى البصائر باسم المبادلة الصحفية أعداد متفرقة من مجلات الشرق العربي وجرائده، فيصل إليها العدد الرابع مثلا ولا يصل ما قبله وما بعده ثم السابع وهكذا..."[2]، وهو ما يضيع على القراء عمدا أو دون قصد، تتبع أخبار العالم العربي، وتتبع جزئيات القضايا السياسية، والسجالات الفكرية، بمحتواها النهضوي وفوائدها العلمية والمعرفية، وألقت جريدة "البصائر" باللائمة على البريد الذي يعبث بهذه المراسلات التي تصل مكتوبة باللغة العربية، وهو ما دفع إدارة "البصائر" لتوجه نداء للمشارقة قصد تذكيرهم بضرورة كتابة العناوين بالفرنسية، ولم تجد تلك المحاولات العبثية نفعا، فلم تفلح فرنسا في مساعيها لعزل الجزائريين ومحاصرة نخبتهم عن العالم الخارجي بجدار حديدي، ببتر امتدادها العربي الإسلامي، بدليل عدم انقطاع تواصلهم بالمشرق، الذي ظل في عيونهم موطن الأمان والاطمئنان، وموردا من موارد معرفة للنخبة العربية، بمحتواها السياسي والاجتماعي والفكري، فرغم المضايقات الإدارية والأمنية، فإنها لم تمنع دخول واحدة من بين 117 جريدة عربية تصدرها مصر فقط في مطلع القرن العشرين إلى الجزائر[3]، إلى جانب صحف أخرى تصدر في البلاد العربية، فظلت الجرائد المشرقية مصدرا إعلاميا للعديد من الصحف العربية والإصلاحية منها، تستقي منها مادتها، وإن كان بعضها ممنوعا دخوله إلى الجزائر، كما ظلت هذه الصحف تستقبل بلهفة وشوق فيتداول على قراءة العدد الواحد أكثر من قارئ.

خلاصة الفصل:

في الأخير وليس آخرا، استطاع الجزائريون عبر قنوات متعددة، كسر الحواجز التي اصطنعتها فرنسا لمنعهم من التواصل مع المشرق، وقد ازداد تعلقهم به عقب الاحتلال، فالمسألة لم تعد تقتصر على امتداد جغرافي، فقد أضحى نهاية القرن التاسع عشر ومع مطلع القرن العشرين انتماءا سياسيا وهوية قومية، في ظل واقع استعماري،

[1] كان محمد بن أبي شنب قد اشتكى من ضياع بريده القادم من المشرق في رسالته التي وجهها لمحمد علي كرد، وحذر الأخير من نوع الكتابة في خط العنوان.

[2] **جريدة البصائر**: "صحف الشرق العربي"، ع149، السنة الرابعة، 2 أفريل 1951.

[3] محمد ناصر: **المقالة الصحفية**، مج1، مرجع سابق، ص59.

حمل معه للجزائريين كل منغصات الحياة، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وحرمهم من العيش في سلام، ومن جهتهم تمسّك الجزائريون بعرى التواصل الحضاري والتاريخي الذي ربطهم بالمشرق، بما يمثله من قداسة واطمئنان في عيون عامتهم، هدأت إليه نفوسهم، عندما حرموا الأمان والرزق والعلم في وطنهم.

وقد لوحت فرنسا بمشاريع وإجراءات من شأنها أن تثني الجزائرين على التواصل مع الضفة الشرقية للعالم العربي والإسلامي، لكن كل مساعيها باءت بالفشل، وأثبتت هذه السياسة عقمها في استقطاب أعداد كبيرة من الجزائريين، ويعود الفضل في ذلك إلى الأفكار التي غذّتها الجامعة الإسلامية والقومية العربية، كما كانت الأوضاع السائدة في المشرق العربي، وخاصة الثقافية منها تشدّ النخبة الجزائرية إليها، خصوصا بعد استقرار الأمير عبد القادر وعائلته فيها منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

الفصل الرابع

• النشاط الفكري والإصلاحي للجزائريين في المشرق العربي •

أولا: وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية.

ثانيا: جهودهم الإصلاحية والتربوية.

ثالثا: نشاطهم العلمي والثقافي.

تمهيد:

المميز في الفترة المدروسة (نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين) بمنطقة الشرق العربي، أنها شكلت حدا فاصلا بين مرحلتين: مرحلة التقهقر العلمي والثقافي، ومرحلة إدراك الذات، أي الصحوة، التي يمكن تحديد بدايتها بشكل أدق في نهاية القرن 18م، بحيث برزت في المنطقة مؤشرات جديدة دينية وسياسية واجتماعية وعلمية تكونت نتيجة اتصالهم بالفكر الغربي في الفترة الواقعة ما بين حملة نابليون على مصر عام 1798 وقيام الح.ع.I عام 1914، بحيث شكلت القاعدة المتينة التي بنيت عليها الاتجاهات الفكرية المعاصرة، والتي تمثلت في بروز عناصر تثقفت أولا وتشبعت بالثقافة العربية الإسلامية، ثم اهتمت ثانيا بتعلم لغة الغرب المتقدم والإطلاع على حضارته، الأمر الذي مكنها من إدراك وبوعي ما كانت تتخبط فيه الشعوب العربية والإسلامية من جهل وتخلف، مما جعل هذه الفئة من المثقفين تهتم بقضايا الإصلاح بمفهومه الواسع الديني والإجتماعي والأخلاقي والتربوي.

وفي هذا الصدد عبرت النخبة الجزائرية بدقة عن موقفها العام الذي اتخذه العلماء المصلحون في تلك الفترة، والذي يتلخص في الحفاظ على ثوابت الإسلام وأسسه، وعلى التمسك بالشخصية العربية الإسلامية، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الغرب والانتفاع بثمرات علومه الحديثة، وقد تمثل هذا الموقف على الصعيد السياسي من خلال الدعوة إلى المحافظة على الخلافة العثمانية، لكن في الوقت نفسه الدعوة إلى إجراء إصلاحات دستورية وإدارية وفكرية جذرية فيها.

وعلى الرغم من المشاكل والصعوبات التي واجهت الجزائريين في بلاد المشرق، وما تترتب عنها من انعكاسات سلبية على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، فإنها كانت أيضا إيجابية في بعض جوانبها الثقافية العلمية، وقد تمكنوا أن يتعرفوا فيما بينهم وأن يحتكوا احتكاكا مباشرا بالآخرين[1]، ولعبوا بتتابع أجيالهم، وبالخصوص دورا معترفا به في جميع المصادر، حيث أخذ الجزائريون على عاتقهم رفقة إخوانهم المشارقة مقاومة سياسة التتريك ونشر اللغة العربية على أوسع نطاق ممكن، فقد كانت اللغة العربية والعلوم الدينية في أدنى مستوياتها، إذ شنت الحكومة العثمانية الطورانية على العرب وخاصة في بلاد الشام حملة اجتثاث قومي واسعة

[1] عبد الله مقلاتي وصالح لميش، **سوريا والثورة التحريرية الجزائرية**، دار شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 43.

سواء في السياسة أوالدين أوالثقافة مرفوقة بحملة قمع وتهميش، ولم يكن بمقدور هؤلاء المهاجرين أن يفعلوا شيئا، حيث لم يكن في حسبانهم أن الأمور في المشرق العربي وصلت إلى هذا الحال.

أولا: وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية:

مما لا شك فيه أن العلماء والطلبة الجزائريين الذين شدوا الرحال إلى المشرق العربي، كانت لهم أوضاعهم الخاصة بهم، وأن استقرار العديد منهم كان متباينا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ميلادي، حيث بلغت بلاد الشام النسبة الأكبر، تليها مصر وأخيرا الحجاز، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:[1]

البلد	الشام	مصر	الحجاز	المشرق عامة
النسبة %	45,71	25,71	17,14	11,42

وسبب تمركز الجزائريين في بلاد الشام نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وخاصة من فئة النخبة من العلماء والمثقفين نعزوه إلى عاملين أساسيين. الأول يتمثل في دعاية حركة الجامعة الإسلامية التي انتشرت خلال هذه الفترة، أما العامل الثاني فيرجع إلى إقامة الأمير عبد القادر وعائلته هناك منذ 1856، والمتتبع لتاريخ الهجرة الجزائرية نحوالمشرق العربي في العهود السابقة، يجد أنها تختلف من مرحلة إلى أخرى، حيث ترتكزت في العهود الأولى على العراق كمقر للخلافة الإسلامية، ثم على مصر بعدها لقربها وتواجد مراكز علمية بها على غرار جامع الأزهر، وكونها ممر نحوالأماكن المقدسة، أما في الفترة الحديثة فارتكزت على بلاد الشام أكثر.

والحقيقة أن هذا التباين لا يكمن في العدد فحسب، بل حتى المادة التاريخية المتوفرة عنها، فبينما نجد مادة تاريخية هامة عن الهجرة نحوسورية، تكاد هذه الأخيرة أن تنعدم بالنسبة لمصر والحجاز، كما نلاحظ الفرق في نوعية المهاجرين نحوهذه البلدان، بحيث هاجر لمصر والحجاز المثقفون وكبار التجار، بينما هاجر إلى بلاد الشام في نفس الفترة فئات من الجزائريين شملت مختلف الشرائح الاجتماعية.

وقد كان العلماء والطلبة الجزائريين بالمشرق عموما وبالقاهرة خصوصا يشكلون شريحة هامة في الجالية الجزائرية، وكانوا على وعي سياسي كبير، لأن معظمهم عانوا من ظلم الإدارة الاستعمارية، التي كانت سببا في

[1] عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلاد العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 353.

غربتهم عن أرض الوطن، وفيما يلي نحاول أن نرصد الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين، خاصة الطبقة المثقفة منهم في تلك البلاد، وبناءا عليه نرصد مساهماتهم ونشاطاتهم الفكرية والاصلاحية في تلك الأقطار.

I. في بلاد الشام:

لم يعتمد المهاجرون الجزائريون في بلاد الشام طويلا على مساعدات الحكومة العثمانية التي تقدمها من خلال لجنة المهاجرين، بل تقدموا سريعا بقيادة أحمد بن سالم بعريضة لمنحهم أراضي زراعية، فاستجابت الدولة العثمانية لطلبهم وأعفتهم فترة من الضرائب والخدمة العسكرية أيضا، فكانت الزراعة هي مصدر الرزق الرئيسي للغالبية من المهاجرين، وأما العلماء ورجال الدين الذين لا يجيدون حرفة الفلاحة، فأعطوا تلك الأراضي لإخوانهم المهاجرين وحتى للشوام حسب نظام المرابعة، وهوما يعرف عندنا في الجزائر بنظام الخماسة، وظلوا هم في دمشق مدرسين في مساجدها، وكان البعض منهم يعمل في مهن مختلفة مثل نسخ الكتب أوتجليدها، وقد برز الشيخ المبارك كواحد من مجلدي الكتب المشهورين في دمشق، كما اشتغل بعضهم في كتابة الحروز، والمداواة بالطب الشعبي، وهكذا كان العمل الثقافي هوالمصدر الاقتصادي الثاني للدفعة الأولى من المهاجرين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي.

ومع توالي الدفعات احترفوا عدة مهن يتطلبها المجتمع الدمشقي، فعملوا في صناعة الحلوى وخياطة الملابس، وتطور الأمر إلى التجارة الخفيفة، وفي كل الأحوال لم يبرز منهم رجال أعمال بارزين أواقتصاديين كبار، باستثناء عدد محدود جدا، وربما يعود السبب إلى الظروف الإقتصادية السائدة في البلاد آنذاك عموما نتيجة تدخلات الدول الأوربية والضغوط التي مرستها على المنطقة من القرن التاسع عشر حتى النصف الثاني من القرن العشرين، سواء على مستوى الزراعة أو الصناعة أو التجارة[1].

I. 1. مناطق تمركز وانتشار أشهر العائلات الجزائرية في بلاد الشام:

I. 1.1. في دمشق:

تعتبر دمشق قلب بلاد الشام النابض، والتي كانت مصدر إشعاع الحركة القومية العربية والنهضة العلمية والاجتماعية، والرافد القوي للحركات الوطنية في الوطن العربي شرقا وغربا، فالعديد من الرموز والشخصيات والعائلات الجزائرية التي هاجرت في النصف الثاني من القرن 19م إلى بلاد الشام كانت في معظمها من الطبقة المثقفة السياسية والدينية والثقافية، والتي أسهمت في الحياة العلمية والفكرية في دمشق وبلاد الشام، ويمكن تعداد

[1] سهيل الخالدي، **الجزائر وبلاد الشام** ..، مرجع سابق، ص296.

حوالي مائة عائلة من أصول جزائرية موزعة على أحياء دمشق مثل حي السويقة والعمارة والمزّة، وكانت عائلة الأمير عبد القادر سواء من إخوانه أوأولاده وأحفاده أهم هذه العائلات، وهناك عائلات لا زالت إلى اليوم مثل: عائلة لمبارك، خليفاوي، يعقوبي، المرابط، مزيان، الهاشمي الينيوي، آمراو، يماش، يلّس، طواهري، الطيب، المبارك، الفضيل، الحسني، الحسيني، الهاشمي التلمساني، جمعه الهاشمي، السمعوني، العربي، زروق، الدرقاوي، شرفاوي، التلمساني، لمجد، قشطوني، رباح، فرحات، يحلم، ساريج، شوبان، الهلالي، عمارة، علام، محجوب، جابر فريحة، جمعه ساريج، سايغي، عبو، الدراجي، عبد المؤمن، القاضي..، وغيرها[1]، ومن أشهر هذه العائلات والتي كان لها تأثير في المجتمع الدمشقي وسائر بلاد الشام:

- **عائلة الأمير عبد القادر الحسني الجزائري**، الذي كان لها دور بارز في جميع المجالات، وخاصة ابنه "الأمير علي" الذي كان عضوا في مجلس (المبعوثان) في البرلمان التركي عن مدينة دمشق.
- **عائلة المبارك**: التي مثل بعض أفرادها –فيما بعد– وتحديدا "محمد المبارك" مدينة دمشق في البرلمان السوري أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن العشرين.
- **السمعوني**: التي كانت وراء تأسيس الفكر القومي العربي الإسلامي الإستقلالي في بلاد الشام على يد كل من طاهر السمعوني المعروف بطاهر الجزائري وابن أخيه العقيد سليم الجزائري الذي أعدمته تركيا.
- **يعقوبي**: العائلة التي برزت في التعليم المسجدي.
- **خليفاوي**: التي قاد أحد أفرادها وهوالجنرال عبد الرحمن خليفاوي الحكومة السورية أكثر من مرة في سبعينيات القرن العشرين.
- **بن يلس والتلمساني**: وهما العائلتان اللتان اشتهرتا في مسائل التصوف وإنشاء الزوايا الدينية في النصف الأول من القرن العشرين.
- **الهاشمي الينيوي**: التي قاد أحد أفرادها وهوأحمد جودت مسيرة التعليم المعاصر في سورية.

بالإضافة إلى دمشق نجد مناطق أخرى سكنها الجزائريون ومنها منطقة الغوطة (غوطة دمشق)، المعروفة بطابعها الفلاحي والزراعي، وقد حظي الأمير عبد القادر بقدر كبير من الترحيب، واشترى الكثير من الأراضي وأسكن فيها بعض جماعته، وتذكر لنا بعض المصادر التاريخية أنه لا تكاد توجد قرية من قرى الغوطة لم يسكنها

[1] سهيل الخالدي، **الجزائر وبلاد الشام** ..، المرجع سابق، ص 190-191.

الجزائريون، بل أن بعض العائلات الجزائرية ما تزال موجودة حتى يومنا هذا، فهناك قرى مثل: دير العصافير ومرج السلطان ودوما وسقبا وحمورية والقابون وغيرها، سواء من الغوطة الشرقية أوالغربية التي لا تزال تضم عائلات من هؤلاء المهاجرين[1]، ولعلّ أهمها قرية نولة التي تقع في الغوطة الشرقية على بعد 18 كلم من العاصمة دمشق، وتشتهر بزراعة الحبوب والخضر، سكنتها 25 عائلة جزائرية في الفترة ما بين 1910-1912، ومعظمهم من قرى ولاية بجاية وتيزي وزو، والملاحظ أن المهاجرين في هذه الفترة كانوا يحملون جوازات سفر فرنسية واعتبروا مسلمين فرنسيين وسجلوا في القنصلية الفرنسية، كما منحت الدولة العثمانية أراض للجزائريين في عدة قرى ومداشر في منطقة حوران[2] -التي كانت تعتبر أهم مصادر القمح الصلب في العالم القديم- مثل: نوى، إزرع، غباغب، عالقين، معرية، كوية، بيت إرا، عابدين، الشجرة، وكانت العائلات الجزائرية في دمشق مثل المبارك واعراب والخالدي وشرفاوي تملك العديد من الأراضي في حوران، أما عائلة الأمير عبد القادر ففضلت أن توكل أمر فلاحة أراضيها لبعض هؤلاء المهاجرين، ولبعض العشائر من أبناء المنطقة وخاصة منها عشيرة المناظرة (المناذرة)، وقد أشار أحمد وصفي زكرياء في كتابه (عشائر الشام) عن وجود مغاربة جزائريين في منطقة حوران، وأن لعائلة الأمير عبد القادر أراض فيها[3]، كما تحدثت جريدة المقتبس الدمشقية قبل الح.ع.I عن منح أراض للمهاجرين الجزائريين في تلك المنطقة، كما تحدث عن ذلك أيضا محمد كرد علي، وهويترجم لمحمد المبارك.

إضافة إلى هذه المناطق التي سكنتها العائلات الجزائرية توجد كذلك مناطق أخرى كالجولان في منطقة التليل والحسينية، وقرية كفر ناسج التي تربط وسط الجولان بحوران، كما فضلت بعض العائلات التمركز في درعا وبلدة مزيريب، مثل عائلة الشريف التي لا تزال فيها إلى اليوم[4].

I. 1. 2. في فلسطين:

تحتل فلسطين والقدس مكانة خاصة في قلوب الجزائريين لما تضمّه من مقدسات دينية أهمها المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وقد بدأ التواجد الجزائري في فلسطين في عهد صلاح الدين الأيوبي بعد

[1] سهيل الخالدي، **الجزائر وبلاد الشام** ..، ص190-191.

[2] التي تشمل آنذاك الهضبة الواقعة بين حوض دمشق في الشمال، ومنخفض وادي اليرموك وجبال عجلون ومنخفض وادي الأزرق ووادي السرحان في الجنوب والجنوب الشرقي، كما يمتد بين جبل الشيخ وهضبة الجولان في الغرب والجنوب الغربي وبادية الشام من الشرق، وسميت حوران نظرا لسواد تربتها الخصبة، وأسماها بهذا الإسم العرب السبئيون. ينظر: سهيل، الخالدي، **الجزائر وبلاد الشام** ..، مرجع سابق، ص 198-199.

[3] أحمد وصفي زكرياء، **عشائر الشام**، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1983، ص 98. نقلا عن: الخالدي، المرجع نفسه، ص201.

[4] نفسه، ص-ص 201-202.

مشاركتهم رفقة إخوانهم المغاربة في تحرير بيت المقدس، وأشير هنا إلى أملاك الجزائريين والمغاربة في القدس، حيث نجد حارة باسم المغاربة وفي جوارها بلدتي عين كارم[1]، وإيوان، وفي مدينة الخليل وجوارها بلدة الدوايمة، وكذلك في عكا وحيفا ويافا والناقورة، وهي مناطق منحتها الدولة العثمانية للمهاجرين الجزائريين في أراضيها بالمشرق العربي[2]؛ ومن العائلات الجزائرية هناك نذكر عائلة الخالدي، وأصلهم من قرية سيدي خالد ولاية البويرة الجزائرية.

I. 2. مظاهر التلاحم لدى الجزائريين في بلاد الشام:

عمل القناصل الفرنسيون على الدوام في اتجاه التعرف أكثر على وضعية المهاجرين، وكيفيية استقرارهم واختلاطهم مع الأهالي، وتعددت التقارير القنصلية بهذا الشأن، ولكنها لم تكن عامة وشاملة، إذ أن الكثير من المهاجرين رفضوا أن تكون لهم علاقات أواتصال بالقنصليات الفرنسية، وفضلوا من أول إقامتهم إعلان تبعيتهم للدولة العثمانية مثلما حصل مع جماعة "أحمد الطيب بن سالم" وغيرهم كثير من العلماء والوجهاء من العائلات الكبرى على مر سنوات الهجرة، ويفيدنا أحد السجلات الذي وضعته القنصلية الفرنسية في دمشق عام 1892 في إعطائنا معلومات وافية عن مستوطنة دمشق حيث تم تسجيل 317 رب عائلة وتاريخ أول تسجيل في القنصلية الفرنسية ومكان الولادة والحالة العائلية والمهنة وحسب ما ورد في السجل أحترف الجزائريون كما ذكرنا سابقا العديد من المهن.

واذا تساءلنا هل حافظ الجزائريون في بلاد الشام وفي غيرها من مدن المشرق العربي التي قصدوها واستوطنوها على تلاحمهم وعاداتهم ولهجتهم؟ نجد أنفسنا غير قادرين على تقديم إجابة جازمة لمثل هذا السؤال، خاصة وأن تقارير القنصليات الفرنسية تضاربت حول هذا الموضوع ، فمن القناصل من يقول أن الجزائريين اكتسبوا لغة ولباس وعادات الشاميين، ومنهم من يعارض ذلك، ويقول أن المجموعات الجزائرية انفردت عن الأهالي بدليل مثلا: إقامة غالبيتها في حي واحد في دمشق هوحي السويقة، وإقامة المزارعين منهم في قرى خاصة بهم، أصبحت مع مرور الوقت مستوطنات جزائرية بحتة مثل قرى ديشوم، عموقة وحسينية في فلسطين

[1] التي تسمى اليوم جبل هرتزل، والتي تبلغ مساحتها بـ: 15000 هكتار، اشتراها المجاهد الشاعر المتصوف سيدي أبي مدين شعيب الإشبيلي الأندلسي دفين منطقة العباد في تلمسان الجزائرية المقرّب من صلاح الدين الأيوبي قائد عملية تحرير القدس من الصليبيين، وبعد شرائها أوقفها على أهل المغرب الإسلامي والأندلس الذين يأتون إلى القدس للزيارة وطلب العلم والتجارةومجاورة بيت المقدس ولفقرائهم..، وثيقة إقرار هذا الوقف المحبس من طرف أبومدين شعيب مؤرخة بشهر رمضان 720هـ/ الموافق 1320م، ومسجلة بالمحكمة الشرعية بالقدس الشريف برقم: 194 ضمن الصحيفة رقم 395. نقلا عن: فوزي سعد الله، أملاك الجزائريين في فلسطين.. حارة المغاربة الجزائرية البحتة. **جريدة الوطن**، 2017/11/07.

[2] ينظر أنموذج عن قرار بالإسكان لفائدة مهاجرين جزائريين من طرف السلطة العثمانية في المنطقة في الملحق الأول، رقم: 16.

ونولة في ضواحي دمشق، ورغم هذه التناقضات، هناك من العوامل ما يسمح لنا باستخلاص نتائج أكثر صحة عن التجمعات الجزائرية في بلاد الشام وبقية بلاد المشرق العربي.

وعلينا الاعتراف هنا بأن وجود الأمير عبد القادر في المنطقة بين المهاجرين الجزائريين كان من أهم العوامل التي ساعدت على تماسك الجزائريين وتلاحمهم وكان مرجعا لكل النزاعات التي تخص هؤلاء المهاجرين سواءا بين بعضهم البعض، أوبينهم وبين أهالي البلاد التي يقيمون فيها وحتى بينهم وبين السلطات العثمانية، كما حافظ الجزائريون على التزاوج فيما بينهم مما زاد في تماسكهم واستمرارهم على عاداتهم وتقاليدهم، وعن هذه النقطة بالذات يبن لنا السجل السالف الذكر أن من بين 158 جزائريا تزوجوا في دمشق نجد 112منهم تزوجو جزائريات و46 تزوجوا دمشقيات، كما لم يمانع بعضهم وخصوصا الميسورين منهم عن تزويج بناتهم للأتراك والدمشقيين، كما اهتم الجزائريون بإخوانهم المهاجرين، فكانت الزكاة والمعونات توجه دوما إلى حي السويقة وزاوية المغاربة التي كانت تأوي الفقراء من المغاربة، كما لم يكن المهاجرون الجزائريون بحاجة للاتصال بالسلطات المدنية أوالقضائية، فكل معاملاتهم من زواج وطلاق وميراث وشراء وبيع كانت تتم برعاية مشايخهم وعلمائهم، الذين توزعوا في مختلف المناطق وكانوا بمثابة سلطات مدنية وقضائية متنقلة[1].

II. النخبة الجزائرية في مصر وموقف السلطات الفرنسية الاستعمارية منها:

هاجر العديد من الطلبة والعلماء الجزائريون إلى مصر لطلب العلم أولطلب الرزق؛ ولوقوع مصر في طريق الحج واحتضانها لجامع الأزهر ذو الشهرة الواسعة، كان الجزائريون يتوقفون بها للدراسة أو التدريس وهم ذاهبون لأداء فريضة الحج، ومنهم من يستقر بها بعد رجوعه من الحجاز مدة قصيرة طلبا للعلم أو للتجارة هناك، ومنهم من يتخذها مستقرا له لمدة طويلة حتى يجد ضالته ثم يرجع إلى وطنه، ومنهم من يطول به المقام ولا يرجع ويموت في مصر.

II. 1. خصائص ومميزات النخبة الجزائرية في مصر:

يعتبر موضوع هجرة العلماء والطلبة الجزائريين ونشاطهم في مصر خلال الفترة المدروسة، من المواضيع التي تكاد الوثائق تكون منعدمة حوله، إلاّ أننا نجد بعض الوثائق النادرة المحفوظة بالأرشيف التونسي، والتي تتعلق

[1] ينظر: نادية طرشون، **الهجرة الجزائرية ..**، مرجع سابق، ص-ص 273- 280.

بالموضوع، إذ نجد هناك وثيقة[1] هامة تعطينا بعض أسماء العائلات الجزائرية التي هاجرت إلى مصر واستقرت بها، كما أنها تتكلم عن مكانتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وإذا كانت الهجرة الجزائرية نحوبلاد الشام خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر قد شملت كل الطبقات الاجتماعية وبالأخص طبقة العمال والفلاحين، فالهجرة الجزائرية نحومصر، وفي نفس الفترة الزمنية، تكاد تكون مقتصرة على طبقة معينة من الطلبة والعلماء وأصحاب الأموال وهم في أغلب الأحيان من كبار التجار والملاك، وذوي المداخل المادية على مختلف أنواعها ومصادرها أمثال عائلة السلاوي العيادي والحاج محمد التلمساني وغيرها، وذلك ما جعل المهاجرين الجزائريين في مصر حسب شهادة القنصليات الفرنسية تتمتع بنفوذ قوي في البلاد، وكان الجزائريون محل احترام وتقدير بسبب وضعيتهم المادية والاجتماعية، ليس من قبل المصريين فحسب، ولكن أيضا من طرف القنصلية الفرنسية العاملة في مصر.

ومن العائلات الجزائرية العريقة التي كانت تقيم في مصر في هذه الفترة، والتي كان لها تأثير هام اجتماعيا واقتصاديا نذكر عائلات: حاج علي مفتاح، الذي كان هونفسه صاحب أملاك ورجل أعمال ذومكانة اجتماعية لائقة، والحاج محمد التلمساني، وهورجل أعمال كذلك، والعيد محمد بن الشيخ، وعائلة العيادي والسلاوي وعائلة محمد قريبة وابن ساحلية وغيرها، ونلمس بكل وضوح من خلال الوثائق الفرنسية أن هذه العائلات الجزائرية عريقة، وقد يرجع انحدارها إلى أصل أونسل شريف، بدليل أن القنصليات الفرنسية في مصر تسميها ((العائلات الشريفة الجزائرية المسلمة))[2].

وقد عاش المهاجرون الجزائريون في مصر في جوا ملؤه التفاهم والطمأنينة والوئام، ليس فيما بينهم وحسب، ولكن كذلك مع جيرانهم ومع كل الذين كانوا يتعاملون معهم، ولم تسجل عليهم المصالح القنصلية الفرنسية أوغيرها أية مخالفة قانونية تستحق الذكر، أوما يشبهها من مشاكل أخرى سواء جماعية أوفردية، وذلك على خلاف اليهود الذين كانوا يعيشون في الجزائر، والذين هم في نظر الإدارة الفرنسية خلال هذه الفترة التاريخية ((يهود الجزائر)) الذين تسببوا في كثير من المشاكل فيما بينهم، والتي كانت كل مرة تؤدي إلى تدخل السلطات القنصلية الفرنسية لحلها.

[1] **A.N.O.M**, 9 H 102 (61/1) et 14 H 41 (42).

[2] عمار، هلال، **الهجرة الجزائرية نحوبلاد الشام (1847–1918)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1912، ص168.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النفوذ القوي الذي تمتع به الجزائريون بسبب الوضعية المادية الجيدة فرض علاقة احترام وتقدير ليس من المصريين فحسب، ولكن أيضا من طرف القنصلية الفرنسية العاملة هناك، والتي كانت في بعض الأحيان تدافع عنهم وتحمي مصالحهم، وهوما جعل الجزائريين يتقربون من المؤسسات الدبلوماسية الفرنسية في مصر ويطلبون حمايتها، وذلك خلافا للمهاجرين الجزائريين الذين اتجهوا في نفس الفترة الزمنية إلى الشام، إذ كان هؤلاء يرفضون بمجرد وصولهم إلى ميناء بيروت الحماية الفرنسية والدخول تحت لواء فرنسا بأي شكل من الأشكال، ويعتبرون أنفسهم من رعايا الدولة العثمانية، وقد أثارت هذه القضية غضب السلطات الفرنسية في كل من الجزائر وباريس، وطرحت عدة مرات على بساط المناقشة بين الدولتين الفرنسية والعثمانية[1].

وتقدر الوثائق التاريخية والمتوفرة في الأرشيف الفرنسي، والتي اعتمدنا عليها من طرف الأستاذ عمار هلال، والمشار إليها سابقا، أن عدد المهاجرين الجزائريين في مصر في الربع الأخير من القرن 19م يقدر بحوالي 1744 نسمة[2]، مسجلين في القنصليات الفرنسية المنتشرة عبر مصر العليا والسفلى، وزيادة عن هذا الرقم –أي المسجلين في القنصليات الفرنسية بمصر– هناك من لا يرغب في تسجيل نفسه لأسباب سياسية ربما أوغيرها، فضلا على أن القنصليات الفرنسية في مصر –حسب مراسلاتها– كانت ترفض تسجيل الكثير من الجزائريين في دفاترها، وذلك (لعدم ثقتها في الوثائق الإدارية التي تثبت امتلاكهم للعقارات أوغيرها من الموارد التي يستطيعون العيش بواسطتها في مصر، ولولا هذا الإجراء لتضاعف تعدادهم[3].

II. 2. وضعية الطلبة الجزائريين في الأزهر خلال الربع الأول من القرن العشرين:

أدى التدهور الخطير الذي ساد قطاع التعليم في الجزائر بسبب تعنت الاستعمار الفرنسي إزاء تعلم الجزائريين وعرقلة تثقيفهم في أية لغة كانت وخاصة بلغتهم بالطلبة الجزائريين إلى البحث بعيدا عن ديارهم عن مجالات أوسع لتثقيف أنفسهم ولمواصلة التعليم، ولم يكن مع بدايات القرن العشرين أمام الجزائريين الراغبين في تعليم أبنائهم إلا حلين، الأول هوأن يكتفوا بتعليم أبنائهم اللغة الفرنسية، فيرسلونهم إلى إحدى المدارس المختصة في تعليم الأهالي الجزائريين –مدرسة لانديجان– (L'école indigène)، والتي لا تؤهل إلا عددا ضئيلا منهم لبعض المناصب الإدارية البسيطة، أما الحل الثاني فهو أن يرسلوا أبناءهم ليكملوا تعليمهم في إحدى

[1] **A.N.O.M**, 9 H 102 (61/1), 9 H 103 (61/1), 9 H 104 (62).

نقلا عن: عمار، هلال، **الهجرة**..، مرجع سابق، ص 168-169.

[2] نفسه، ص 169.

[3] عمار هلال، المرجع السابق، ص 169.

الجامعات الإسلامية، كالزيتونة أو القرويين أو الأزهر، ومقارنة بزملائهم الذين درسوا محليا بالعربية أو الفرنسية، فالطلبة الذين درسوا خارج البلاد يكتسبون سمعة طيبة عندما يعودون إلى وطنهم مزودين بثقافة إسلامية عالية[1]، فيشقون طريقهم في الحياة معززين مكرمين، دون حاجة للوظيفة في الإدارة الفرنسية، وحتى إذا احتاجوا إليه، فيتحصلون عليها قبل زملائهم الذين درسوا محليا، فالإدارة الفرنسية والمجتمع الجزائري على السواء ينظران إلى الطلبة الذين تخرجوا من الزيتونة أو القرويين أو الأزهر بغير المنظار الذي ينظران به إلى الطلبة الذين درسوا محليا مهما كانت كفاءتهم ومهما كان مستواهم التعليمي ومقدرتهم الثقافية[2].

أما عن عدد الطلبة الجزائريين في الأزهر فليس لنا إلا تقديرات عامة لا تستند إلى إحصائيات من أي نوع كانت قبل سنة 1916، بل ليس لدينا أية فكرة واضحة عن تعدادهم، ومن ذلك ما أشار إليه آجرون بأن (عدد الطلبة الجزائريين في الأزهر في سنة 1910 يفوق بكثير عدد الطلبة المسجلين بأكبر مدرسة (فرنسية-إسلامية) في الجزائر)، وهو تحليل يوحي بكثرة الطلبة الجزائريين الذين يدرسون في هذه المؤسسة التعليمية، إلا أن الدكتور عمار هلال يشير إلى وجود عدة وثائق هامة تتعلق بالموضوع، منها وثيقة عبارة عن تقرير رسمي قدمه الكومندان كادي في 1916 إلى رئيس البعثة الفرنسية الكولونيل بريمون (Brémond)، الذي أحاله بدوره إلى السلطات الفرنسية في الجزائر وفرنسا[3]، وتكمن أهمية الوثيقة في أنها تعطينا معلومات هامة، ليس فقط عن الطلبة الجزائريين في الأزهر، ولكن أيضا عن تعداد الطلبة الإجمالي، وعن برامج الأزهر الدراسية، وعن الوضعية الاجتماعية والاقتصادية لهم، وأهم من ذلك كله، هوأن التقرير ألحق بقائمة الطلبة الجزائريين الذين كانوا يزاولون دراستهم في الأزهر عام 1916، وعددهم 29 طالبا[4]، ومن هؤلاء نذكر: "الشيخ أرزقي الشرفاوي الأزهري"، و"الشيخ مولود بن صديق الحافظي" و"محمد علي شرفاوي"، وهو ما تسنى لي التعرف عليهم.

[1] ففي المجتمعات الريفية خاصة إذا حدث أن درس طالب في إحدى الجامعات الإسلامية التي ذكرناها، وتخرج منها، ثم عاد إلى قريته، فلا ينازعه في السلطتين الروحية والعلمية منازع، وكل شيء طبعا متوقف على ذكاء وثقرفة الطالب، فمنهم من بلغ شأوا عظيما بعد رجوعه إلى بلاده، ومنهم من أثر في محيطه كليا أوجزئيا، ومنهم من لم يكن له أي أثر يذكر.

[2] عمار، هلال، **الهجرة الجزائرية**..، المرجع السابق، ص 177.

[3] ينظر إلى التقرير في الملحق الأول، رقم: 24.

[4] ينظر قائمة هؤلاء الطلبة في الملحق نفسه.

وإذا كنا نعرف على عدد الطلبة الجزائريين في الأزهر إبان الح.ع.I، فإننا لا نعرف عددهم في باقي المعاهد العليا والمدارس المصرية التي التحق بها الطلبة الجزائريون بون شك، مثل المدرسة الصرغماتشية، والمدرسة الجوهرية وغيرهما من المؤسسات التعليمية التي اشتهرت في مصر منذ زمن بعيد[1].

II. 3. موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية من النخبة المثقفة بالعربية في مصر:

المؤكد أن عدد الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون باللغة العربية داخل الوطن أو خارجه كان ضئيلا جدا في الفترة التي نحن بصدد دراستها، ورغم ذلك اعتبرت الإدارة الفرنسية في الجزائر هؤلاء الطلبة المعربين، وخاصة منهم الذين يدرسون في خارج البلاد بمثابة ((بركان هادئ)) قد ينفجر فجأة وفي أي لحظة ليلحق أضرارا بمصالحها ويهدد كيانها في الجزائر، وقد عكف الساسة الفرنسيون على مختلف مستوياتهم على دراسة وتحليل وضعية الطلبة الجزائريين الذين يدرسون في العواصم الإسلامية، وأجمعوا على أن الجامعات الإسلامية سواء في المغرب أو المشرق العربيين تشكل خطورة سياسية كبيرة بالنسبة للإستعمار الفرنسي في الجزائر، ذلك لأن الطلبة يحتكون قطعا بزملائهم العرب والمسلمين ويقفون بأنفسهم على تطور الأحداث ونتائج النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي، وعندما يرجعون إلى وطنهم سيعملون في إطار خارج عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر، إن لم يعملوا ضده مباشرة، وكان تنبؤ الساسة الفرنسيون وبعض كتابهم في محله[2].

ففي تقاريرهما المتعددة حذر كل من "دو فرانس" (DE France) القنصل الفرنسي المقيم في مصر، والكومندان "كادي" الحكومة الفرنسية من المشاكل التي قد يسببها الاستعمار الفرنسي في الجزائر هؤلاء الطلبة الذين كانوا يدرسون في الأزهر، وللحد من الخطر الذي يهدد السلطة الفرنسية في الجزائر، وبإيعاز من الكومندان "كادي"، كتب "دو فرانس" إلى وزير الخارجية الفرنسي يطلب منه البحث في مسألة (عودة) الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في الأزهر في عام 1916 مقترحا عليه وضع حد نهائي لهجرتهم إلى مصر، ذلك أن للأزهر وأساتذته وطلبته تأثير كبير على المدارس (الفرنسية – العربية) التي كانت موجودة في الجزائر (الجزائر العاصمة –

[1] منها المدرسة الخديوية الموجودة بدرب الجماميز–ميدان العتبة–باب الخلق، والمدرسة السعيدية في الجيزة–غرب النيل–جوار جامعة القاهرة الحديثة، مدرسة رأس التين في الإسكندرية ومدرسة حلوان الثانوية (حي البرجوازية). ينظر: عمار، هلال، **الهجرة**...، المرجع السابق، هامش ص 184.

[2] من يتتبع المراسلات الفرنسية المتعلقة بهذا الموضوع وما استهلك من حبر من أجله، يدرك الأهمية الكبيرة التي أولتها الإدارة الإستعمارية للطلبة الجزائريين الذين درسوا في الجامعات الإسلامية، حيث يحتوي الملف على تقارير هامة ركزت على مدى تأثير الطلبة الذين درسوا في الزيتونة والقرويين والأزهر في مجتمعاتهم، ومدى تأثير هذه الجامعات في الجزائر. ينظر: نفسه، هامش ص 185.

تلمسان – قسنطينة)، ويلخص كادي تقريره بالتأكيد على منع هجرة الطلبة الجزائريين إلى جامعة الأزهر بكل الطرق والوسائل (طالما أنهم في الجزائر يجدون كل ما يصبون إليه لتحقيق رغباتهم الدينية والدنيوية[1]، وهي إشارة إلى المدارس الفرنسية–العربية التي كانت تعمل في الجزائر.

III. في الحجاز:

لم تكن الهجرة إلى مكة والمدينة نشيطة كالهجرة إلى الشام –كما رأينا– فقد كان الحجاز منطقة فقيرة[2] لا يقصدها المسلمون إلا لأغراض دينية[3]، ولذلك كانت في الغالب مؤقتة ومرتبطة بما ذكرناه سابقا، إلا أن ذلك لم يمنع من الهجرة إليها ولو بأعداد قليلة، سواء بصورة مباشرة أوعبر بلاد الشام، وتتحدث أرقام عن وجود ألف جزائري مهاجر في الحجاز نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، وذكر هذا الرقم بمناسبة هجرة مجموعة من العائلات (حوالي مئة عائلة) من سيدي عقبة بنواحي بسكرة، ومنها عائلة الشيخ الطيب العقبي، ولا شك أن الهجرة نحو الحجاز قد ازدادت في السنوات التالية، سيما بعد قوة الدعاية للجامعة الإسلامية من جهة وفرض التجنيد الإجباري من جهة أخرى، وبالرغم من ظروف الح.ع.I ووجود الدولة العثمانية وفرنسا في معسكرين متحاربين فإنّ ذلك لم يمنع الجزائريين من التوجه نحو الحجاز، سيما بعد هزيمة العثمانيين وقيام الشريف حسين بثورته التي أيدتها فرنسا، وللإشارة فإن فرنسا منذ 1916 لم تعد تخشى تأثير (دعاية) الجامعة الإسلامية والخلافة على الجزائريين[4].

ونحن إذا كنا لا نعرف الأرقام عن الجزائريين العاديين في الحجاز، فإننا نعرف بعض المشاهير من العلماء ورجال التصوف والضباط والثوار الهاربين من المنافي الفرنسية، ومنهم الشيخ محمد السنوسي وقدور بن رويلة

[1] تقرير كادي إلى الكولونيل بريمون رئيس البعثة الفرنسية إلى الحجاز التي توقفت بمصر سنة 1916. الملحق الأول، رقم: 24.

[2] كان الحجاز يعيش على ما تجود به أيدي الحجاج كل عام، ونحن نعلم أن الجزائر كانت تخصص أوقافا تسمى أوقاف مكة والمدينة، وكانت أوقافا كبيرة بمداخيلها، وقد استولى عليها الفرنسيون فور الاحتلال، ووضعوا مداخيلها في خزانة الدولة الفرنسية، وراحوا يتصرفون فيها كما لوكانت أملاكا مصادرة من أي جهة أخرى، فحرموا منها بذلك فقراء الجزائر كما حرموا منها فقراء مكة والمدينة، وراحوا يتصرفون فيها كما لوكانت أملاكا مصادرة من أي جهة أخرى. سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سايق، ص482.

[3] لا شك أن أرض الحجاز وما تحتويه من أماكن مقدسة يأتي في مقدمتها المسجد الحرام والكعبة المشرفة بمكة، وكذلك المسجد النبوي وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم تستهوي أفئدة المسلمين عامة والجزائريين خاصة خلال موسم الحج والعمرة.

[4] أبوالقاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 472-473.

كاتب الأمير عبد القادر[1]، الذي كان من الأوائل الداعين إلى الهجرة عندما كانت المقاومة على أشدها ضد الفرنسيين، ومنهم خليفة الأمير أحمد الطيب بن سالم، وحل بالحجاز الشيخ عزيز (عبد العزيز) الحداد، وهوابن الشيخ الحداد زعيم ثورة 1871 الرحمانية، فقد فر إلى الحجاز من كاليدونيا الجديدة، واختار الحجاز أيضا كلا من محمد وعلي السحنوني الذي أبعدته فرنسا إلى (كايان) بغويانا الفرنسية، قبل أن توافق على إقامته بمكة والمدينة، وقد اشتهر في هذه الأخيرة (بشيخ العرب)، وذلك حتى وفاته، ودفن في البقيع.

كما تظهر بعض الجرائد الحجازية كجريدة (القبلة) وصول أعداد من الجزائريين خلال سنة 1916 فارين من الألمان والأتراك برفقة بعض الضباط الجزائريين وانضموا للشريف حسين أثناء زيارته لثكنة من الثكنات[2]، ولعل الخبر الذي ساقه "لويس ماسينيون" يفسر ما ذكرته مجلة العالم الإسلامي عن وجود ضباط جزائريين رفقة الشريف حسين في إحدى الثكنات، فقد جاء في نفس المجلة سنة 1919 أن أحد الضباط الجزائريين واسمه "رحو" قد قتل أثناء حمايته للشريف عبد الله في الحرب التي جرت في الخرمة قرب الطائف، بين خالد بن لؤي وغيره من الوهابيين وفرق الحجاز، والغريب أن "ماسينيون" يقول أن الفرنسيين فقدوا في الحرب المذكورة (فرنسيا جيدا ومسلما جيدا)، وهو يعني بذلك النقيب (رحو) الذي يعتقد أنه كان في خدمة الأمير عبد الله بن الشريف حسين[3]، ومن الذين هاجروا إلى الحجاز واستقروا فيه "قدور بن سليمان" أحد شيوخ التصوف، وكان قد أخذ الطريقة الشاذلية والتيجانية قبل هجرته، ولا نعرف متى كان ذلك بالضبط، ولكنه قد يكون هاجر في أواخر القرن التاسع عشر (حوالي 1889)، وكان كثيرا ما يراسل أهل بلدته في مستغانم، وفي تاريخ 1903 كان ما يزال بالمشرق[4].

ومن مشاهير الجزائريين بالحجاز نذكر: حمدان لونيسي ومحمد البشير الإبراهيمي وأحمد رضا حوحو وعمار بن الأزعر، وقد استوطن الأول والأخير الحجاز وهاجرا هجرة دائمة، أما الثاني والثالث فقد رجعا إلى الجزائر بعد إقامة دامت سنوات، وحملا معهما أفكارا جديدة، ولا نتكلم الآن عن الزيارات إلى مكة والمدينة، سواء من

---

[1] خاطبه الأمير عبد القادر بأبيات شعرية منها:

أخي نلت الذي قد كنت تطلبه وفزت دوني بما ترجوا وترغبه

[2] Bouvat (L), La presse musulmante, **" Al-Kibla "**, journal arabe de la mecque, R.M.M, T. 34, 1917-1918, p-p 320-328.

[3] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص 485.

[4] نفسه، هامش ص 485.

المشهورين كابن باديس أوالمغمورين الذين تطول قائمتهم، ومنهم أيضا "حميدة بن الطيب بن علال الجزائري" (1871-1943)، يبدوا أنه من الجنوب الجزائري، تعلم في زاوية الهامل، كانت له مواقف من الإستعمار الفرنسي في الجزائر، فاضطهد وشدد عليه الخناق، فرحل إلى المشرق ودخل بلاد الشام، واستقر نهائيا بالمدينة المنورة، حيث مات، له بعض الكتب التي ألفها وهوهناك، منها ما نشر ومنها ما يزال مخطوطا إلى اليوم[1].

IV. في استانبول:

نقصد باستانبول هنا عاصمة الخلافة العثمانية عندئذ، وكذلك المدن الرئيسية التابعة لهذه الدولة والتي لا تدخل ضمن بلاد المشرق العربي التي ذكرناها، وهكذا فإن بروسة وأزمير وأناضوليا عموما (آسيا الصغرى) كلها داخلة في هذا المجال، ذلك أن منطقة المشرق العربي تعتبر عندئذ ضمن الرقعة الجغرافية للدولة العثمانية، وعليه نرى من الواجب الإشارة إلى هذه المناطق.

وعلى الرغم من الروابط الوثيقة والعلاقات المباشرة التي ربطت الجزائر بالعثمانيين منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، فإننا نلاحظ تراخي حبل العلاقات بين البلدين، وقد يكون السبب في ذلك العامل اللغوي الذي وقف حاجزا وحال دون إقامة علاقات بين الجزائريين والأتراك والعثمانيين، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كانت الدولة العثمانية تتخبط في مشاكل اقتصادية واجتماعية حادة إذ لم يكن لديها مساحات من الأراضي الصالحة للزراعة، ولا حتى المواد الغذائية الكافية لهذا السيل من المهاجرين الذي اجتاح الولايات العثمانية، كما عرف التواجد الجزائري في استانبول خلال الفترة المدروسة عهدين متباينين وهما: عهد السلطان عبد الحميد الثاني وعهد الاتحاديين الطورانيين، وقد اختلفت سياسة كل منهما اتجاه المهاجرين الجزائريين المتواجدين في تركيا آنذاك، والملاحظ أن السلطة العثمانية لم يكن يهمها شيء من المهاجرين الجزائريين سوى جنسينهم وتجنيسهم بالجنسية التركية.

وبوفاة الأمير عبد القادر 1883، فسح المجال واسعا أمام العثمانيين لبسط سلطانهم على المهاجرين الجزائريين في ولاياتهم، خاصة وأن الدولة العثمانية قد قررت في 1882 أن تمنحهم نفس الإمتيازات التي تمنحها

[1] عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلاد العربية الإسلامية**..، مرجع سابق، ص338.

للمهاجرين الآخرين غير المسلمين الذين هاجروا إلى تركيا والولايات العثمانية الأخرى في 1857 و1878 وغيرهما.

وتشير العديد من الوثائق والتقارير التي تحصلنل عليها من الأرشف العثماني باستانبول، أن الدولة العثمانية سعت إلى استقبال المهاجرين الجزائريين بعد الاحتلال الفرنسي وإسكانهم في أراضيها كاستانبول وأدنة وعكا وبيروت وعجلون، وتقديم المعونات المادية لهم، فضلا عن منحهم الأراضي والحيوانات والتجهيزات المطلوبة، لغرض تشجيعهم على ممارسة الزراعة وإعفائهم من الخدمة العسكرية لمدة محددة، ومنح الطالبين منهم الجنسية العثمانية، وتأمين تمتعهم بالحقوق المدنية والوضع القانوني الذي يخضعون له، وإعفائهم من الضرائب والخدمة العسكرية[1].

ثانيا: النشاط العلمي والتربوي للجزائريين في المشرق العربي:

منذ أن وصلت الطليعة الأولى من المهاجرين الجزائريين إلى المشرق العربي والتي تتكون من علماء بقيادة الشيخ المهدي السكلاوي وأحمد بن سالم ومحمد المبارك، قاموا بفتح المدارس والزوايا القرآنية التي كانت مغلقة منذ عهد المماليك، ومنذ تواجدهم قاموا بأدوار مختلفة وبارزة في المدارس والمساجد والزوايا، حيث نشطوا في تلقين العلوم فمنهم من كان له أكثر من حلقة تدريس مثل الأمير عبد القادر الذي كان يعطي دروسا في المسجد الأموي، وفي المدرسة الجقمقية، وفي دار الحديث وفي منزله أيضا.

وقد شرع المهاجرون الجزائريون في إعادة الاعتبار لتلك المدارس التي خلت من تلاميذها ومدرسيها بل وصارت تستعمل لغير العلم، ومن أمثلة ذلك أن الأمير عبد القادر فض نزاعا كان قائما حول إحدى المدارس التي اشتراها رجل نصراني وحولها إلى خمارة، فاعترض شيخ يدعى يوسف المغربي فوقفت السلطة العثمانية إلى جانب الشاري رغم تهديد هذا الشيخ بالهجرة من البلاد إذا تم الأمر، فقام الأمير عبد القادر بشراء المدرسة من النصراني بأضعاف سعرها وتم فتحها من جديد، وصار مدرسا فيها[2]، ويذكر أيضا أن زاوية الصمادية التي تحولت إلى مخزن للتبن وهوما أوردته جريدة المقتبس، فمنحتها السلطات العثمانية إلى الشيخ محمد بن يلس الذي

[1] ينظر التقرير في الملحق الأول، رقم: 14.

[2] سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص 308.

أعادها مدرسة دينية تخرج منها الكثيرون[1]، كما برزت العديد من الشخصيات الجزائرية في المشرق العربي في المجال العلمي، وبرعت في شتى العلوم، سواء العقلية منها أوالنقلية، أوحتى علم التصوف، وفيما يلي نسوق نماذج منها:

I. الفئات النخبوية الجزائرية في المشرق العربي وإسهاماتها الفكرية والعلمية:

I. 1. الفئة الأولى من العلماء (خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر):

عرفت حركة الهجرة الجزائرية نحوالمشرق العربي تكاثفا في الفترة ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بسبب السياسة الاستعمارية التي تقضي بإفراغ الساحة الاجتماعية والسياسية والثقافية من البلاد، أبعد إلى المشرق قدور بن رويلة (ت 1855)، ومحمد الخالدي بن عبد الله (1813-1866)[2]، كما أبعد إلى مصر ابن الكبابطي سنة 1860[3]، ومن رجال العلم في دمشق محمد بن الخروبي القلعي (ت 1862) ومحمد السعيد بن محي الدين الحسني (ت 1861)، وهو أخ الأمير عبد القادر، وصالح بن أحمد السمعوني (1824-1868)، والد الشيخ طاهر الجزائري، ومنهم أيضا مصطفى التهامي المعروف بالمغربي (ت 1867) الذي تولى إمامة المالكية بالجامع الأموي بدمشق، وقد تخرج على يده كثير من علماء دمشق، منهم "عبد السلام الشطي" المشهور وقتئذ[4]، ومن العلماء الجزائريين المناهضين للاستعمار الفرنسي، والذين دخلوا الحجاز ثم عادوا "علي بن الحفاف" (ت. 1890)[5].

ومن علماء هذه الفترة في عمان "ابراهيم بن يوسف بن عيسى أطفيش (ت. نحو1893)، وهو عالم إباضي له اهتمامات بالغة بعلم الكيمياء، وكان قد أكمل تعليمه في الأزهر الشريف، واتجه إلى (عمان) أين

---

[1] سهيل الخالدي، **الإشعاع..**، مرجع سابق، ص 221-222.

[2] يراجع عنه: هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، تح: أبوالقاسم سعد الله، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

[3] حول الهجرات العلمية الجزائرية إلى جامع الأزهر يراجع، عبد الرحمن السيد الشوكي، **مصر والحركة الوطنية في الجزائر منذ الح.ع.I حتى الإستقلال**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، مصر، 1991، ص-ص 86-88، وص-ص 150-155، وعن مكانة الأزهر لدى الجزائريين ص-ص 150-153، وعن البعثات العلمية ص-ص 153-155.

[4] عمار هلال، **العلماء..**، مرجع سابق، ص321-322.

[5] ينظر عنه: الحفناوي، **تعريف الخلف..**، مصدر سابق، ج1، ص 260.

كرس حياته للتدريس، فانتفعت بعلمه أجيال كثيرة، ومن أهل ميزاب أيضا "محمد بن عيسى أزبار"[1] الذي رحل إلى المشرق واستقر بعمان مدة طويلة، وبعد عودته إلى وادي ميزاب فاز بمشيخة علمائها، حيث توفي[2].

كما هاجر أيضا "محي الدين بن مصطفى الحسني" (1776-1834)، وهووالد الأمير عبد القادر، حيث تعلم بمصر والحجاز والعراق، وكذا "الصادق المازوني" (ت.1838) والمهدي السكلاوي (السقلاوي)، الصوفي الرحماني و"أحمد الأغريسي (الوغريسي)، الذي تولى خطة القضاء في عدة مدن بالمشرق... الخ.

ومن علماء الجزائر الأوائل الذين دخلوا القسطنطينية في القرن التاسع عشر ميلادي عثمان بن حمدان خوجة، وهوأديب، كاتب، سياسي، من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، ولد ونشأ وتعلم بمدينة الجزائر، درس القانون على يد والده، وخلفه بعد وفاته في منصبه كأستاذ في الحقوق بمدينة الجزائر سنة 1784، سافر سنة 1820 إلى فرنسا، حيث تعلم اللغة الفرنسية، واحتك هناك برواد الفكر والثقافة والأدب، وبعد احتلال الجزائر سنة 1830، كان حمدان خوجة من أوائل المعارضين للسياسة الاستعمارية، وأسس ما عرف تاريخيا (بلجنة المغاربة) لمقاومة سياسة الإضطهاد والتعسف التي فرضها الاستعمار على أهل البلاد، الأمر الذي أدى بنفيه نحوفرنسا سنة 1833، وفي سنة 1836 غادر باريس واستقر بالقسطنطينية، حيث انصرف للتأليف والترجمة وأسس صحيفة هناك باسم (تقويم وقائع)، ومات هناك[1].

I. 2. الفئة الثانية (مطلع القرن 20م):

في هذه المرحلة، وبحكم الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أشرنا إليها سابقا، برزت عناصر مثقفة عصرية منها الصحفي والسياسي والمصلح الاجتماعي والديني، وهي عناصر لا نكاد نجد لها أثرا في العصور السابقة، وهذه الفئة من المثقفين الجزائريين خلال هذه الفترة أغلبها درست في المشرق، ولكن بنسب متفاوتة، وكما رأينا سابقا، فقدكانت بلاد الشام وسورية أكثر استقطابا لهؤلاء تليها مصر ثم الحجاز.

فإذا رتبناهم حسب تاريخ وفاتهم نجد في مقدمتهم في بلاد الشام من بيت الأمير عبد القادر ابن أخيه "محمد المرتضى الحسني الجزائري" (1827-1901)، الذي ولد وتعلم بالقيطنة، وهاجر إلى بلاد الشام، وسكن بيروت، حيث نشر العلم والمعرفة هناك، وتخرج على يديه كثير من علماء الشام، منهم "محمد الحصني"

[1] دبوز، **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**، مرجع سابق، ج2، ص 284.
[2] ينظر: نفسه، ج1، ص 283.

صاحب كتاب (منتخبات التواريخ)، وغيره[2]، و"أحمد بن محي الدين بن مصطفى الحسني" (1833-1902)، وهو عالم فاضل، له اهتمام بالفقه والحديث، رحل إلى دمشق، وأخذ من كبار علمائها من بينهم شقيقه "محمد سعيد" وابن أخيه "محمد مرتضى"، وعن شقيقه الأكبر الأمير عبد القادر، ثم اقرأ في داره علوما متنوعة، وكذلك في (جامع العناية)، يقول عنه أحدهم: "... كان عالما زاهدا... حسن السيرة والسريرة، محبوبا عند العام والخاص، ألوفا متواضعا..."[3]، وكان إلى غاية آخر أيامه يجنح إلى التصوف..، ومات بدمشق[4].

ومن رجال الصحافة والسياسة نجد في مصر محمد الشريف بك الجزائري، الذي كان حيا سنة 1904، وهو أديب وكاتب وصحفي من رجال السياسة البارزين في أواخر القرن (19م)، عاش في مصر ومنح لقب البكوية تقديرا لجهوده وجهاده في خدمة الدولة العثمانية والعالم الإسلامي، أصدر في القاهرة صحيفة (البوستة) سنة 1896، نفي من مصر إلى فرنسا سنة 1903، استمر يراسل صحيفته من منفاه حتى توقفت عن الصدور سنة 1904[5]، ومن أوائل المصلحين الجزائريين الذين تعلموا في مصر "صالح بن مهنا" (1854-1910)، وهوعالم سلفي مصلح ولد في نواحي القل، ونشأ بقسنطينة وتعلم بها وبتونس، رحل إلى المشرق طلبا للعلم، فدخل القاهرة وأخذ عن أكابر علمائها، وجلس إلى التدريس بقسنطينة، وبقي هكذا إلى أن مات بها[6].

ومن طلبة العلم الجزائريين بدمشق في مطلع القرن العشرين "محمد المبارك بن محمد الجزائري" (1847-1912)، أديب وشاعر صوفي، أصله من دلس، هاجر والده إلى دمشق بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولد في بيروت، نشأ وتعلم في دمشق ومات بها، ومن طلبة وادي ميزاب الذين دخلوا الحجاز "محمد أطفيش بن يوسف" (1820-1914)، عالم بالفقه والتفسير والأدب، ولد في بني يزجن، وبها نشأ، خرج إلى الحج مرتين وفي كلتيهما اغتنم الفرصة للإستزادة والإطلاع، جلس للتدريس والتأليف والوعظ والإرشاد إلى أن مات في مسقط رأسه، له أكثر من خمسين مؤلفا، في عدة فنون، بعضها طبع والبعض الآخر لا يزال مخطوطا، ومن الطلبة

---

[1] عمار هلال، **العلماء**..، مرجع سابق، ص 447.

[2] ينظر: فليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، ج2، مصدر سابق، ص 119

[3] عمار هلال، **العلماء** ..، المرجع السابق، ص 331-332.

[4] خير الدين شترة، **قضايا تاريخية في الإسهام الفكري والحضاري للنخب الجزائرية بالمهجر وأبحاث في قضايا فكرية معاصرة**، ج1، دار الصديق للنشر والتوزيع، 2015، ص 77.

[5] فليب دي طرازي، مصدر سابق، ص 178.

[6] عادل نويهض، مرجع سابق، ج2، ص23.

الجزائريين الذين تبنوا العمل السياسي والصحفي في دمشق "محمد التهامي شطة"، والمتوفى سنة 1915، وهوكاتب وصحفي من دعاة اللإصلاح الإسلامي، ولد ونشأ في مدينة الأغواط، ولما احتلها الفرنسيون سنة 1852، انتقل إلى تونس، وعندما احتل الفرنسيون تونس سنة 1881، غادرها إلى سورية، أنشأ جريدة (المهاجر) بدمشق في 11 جانفي 1912، ثم جريدة الإتحاد الإسلامي) في 23 جانفي 1915[1]، انتقل بعدها إلى استانبول حيث واصل نضاله السياسي دفاعا عن القضية الإسلامية، مات بتركيا، وقد خلف ولدين، هاجرا فيما بعد إلى تونس واستقرا بها[2]، ويذكر سعد الله بحسب ما ذهب إليه سهيل الخالدي إلى أن عائلة (شطة)، قد تكون انقرضت من دمشق، وأن ثلاثة منها استشهدوا في صفوف الثورة السورية، وقال عن جريدته (المهاجر)، أنها كانت يومية سياسية، أدبية علمية تجارية فكاهية، تخدم الدولة العثمانية والإسلام[3].

ومن علماء الجزائر في دمشق شهيد القضية العربية "سليم بك بن محمد سعيد الحسيني الجزائري" (1879-1916)، قائد عسكري، منطقي رياضي، وشاعر، يجيد عدة لغات، كالتركية والفارسية، وهوينحدر من عائلة الأمير عبد القادر، ولد ونشأ وتلقى تعليمه في دمشق، ثم التحق بالمدرسة الحربية في استانبول، تدرج في السلك العسكري إلى أن بلغ رتبة عقيد، ثم قائد أركان، ثم تولى قيادة اللواء السابع خلال الحرب العالمية الأولى، كان له ولع بالرياضيات، فألف كتابا في المنطق سماه (ميزان الحق)، شغل منصب أستاذ بالمدرسة الحربية،[4] ومن نفس العائلة في دمشق أيضا يوجد: "عبد الباقي بن محمد السعيد بن محي الدين الجزائري" (1850-1916)، "محي الدين باشا" ابن الأمير عبد القادر (1843-1918)، "أحمد بن محي الدين" (1833-1902)، "السعيد بن محي الدين" (1851-1916)، "عز الدين بن محي الدين" (1898-1927)، "الأمير عبد المالك (ت 1924).[5]

وأشهر علماء الجزائر في المشرق العربي على الإطلاق الشيخ "طاهر الجزائري" (1852-1920)، كان من وجوه الإصلاح الديني واللغوي في سورية، وواضع الأسس الحديثة البيداغوجية والعلمية للمدرسة السورية، وكان

[1] عبد الحفيظ الفاسي، **رياض الجنة**، ج1، الرباط، 1350هـ، ص 72.

[2] BARDIN (Pierre), **Algériens et Tunisiens dans l'empire Otman de (1848 à 1914)**, Ed: C.N.R.S , paris, 1979, p 170-171.

[3] عمار هلال، **العلماء**..، مرجع سابق، ص 334.

[4] مجاهد زكي، **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية**، ج2، ب.ت.ص.ص، مصر، د.ت، ص- 19-25

[5] خير الدين شترة، **قضايا تاريخية**..، مرجع سابق، ص 77.

متقنا للكثير من اللغات الشرقية، هوأصلا من زواوة (أوغليس)، وقد خصصنا له عنصرا هاما من هذا الموضوع لدراسة منهجه الفكري والإصلاحي.

وإذا كان دور كل من مصر وسورية معروفين في احتضانهما للطبقة المثقفة الجزائرية عبر العصور، فإن دور الحجاز غير معروف، وطبيعي أن يضم قائمة من المهاجرين الجزائريين سواء من طلبة العلم أوبقصد زيارة الأماكن المقدسة، ومنهم: "احميدة بن الطيب بن عليوة الجزائري" (1871-1943)، وهوباحث تاريخي، وعالم بالحديث والفقه المالكي، ويبدوا أنه من الجنوب الجزائري، تعلم في زاوية الهامل (بالقرب من بوسعادة)، وبسبب اضطهاد الاستعمار الفرنسي رحل إلى الشام ثم استقر نهائيا بالمدينة المنورة حيث مات هناك[1]، ومن المهاجرين في طلب العلم شخصيات كان لها أثر كبير في الحياة الجزائرية، من كل النواحي الأدبية والفكرية، مثل الطيب العقبي، حمدان لونيسي...الخ، ومن المعلوم أن العقبي كان مقيما في المشرق العربي (الحجاز) في هذه الفترة، وكان العقبي فيما يبدوا قد نهل من علوم دينية وأدبية أكسبته التحليل العلمي، وأوصلته إلى الجلوس لحلق التدريس في الحرم النبوي[2]، إلا أننا نجهل ما إذا قد تحصل على إجازة، وما نوعها ومن الأساتذة قد أجازه ؟ والظاهر أن العقبي قد حصل على الإجازة العلمية بعد ملازمة دروس الحرم النبوي الشريف وإلاّ كيف نفسر امتهانه حرفة التعليم في أكبر مجمع ثقافي كالحرم النبوي[3] الذي عادة ما يعين فيه المدرسون المعينون من قبل جهات رسمية، ومن دون شك فإن الوظيفة في مثل هذه المؤسسات التي يؤمها الطلبة من بقاع عديدة من العالم الإسلامي تتطلب الخبرة والكفاءة العلمية العالية، ولذلك لا يستبعد أن يكون العقبي قد تحصل على الإجازة.

وفي مقابل ذلك تعتبر دراسة العقبي النظامية في المعاهد التعليمية محدودة، إذا ما قورنت بدراسة بعض أترابه من رجال الإصلاح أمثال ابن باديس والإبراهيمي والمولود الحافظي والعربي التبسي وغيرهم، فالعقبي بالإضافة إلى قسوة ظروفه الاجتماعية عاش أشبه بالسائح لكثرة ترحاله، ولعل نجاح العقبي في التحصيل من علوم شتى، يكمن بالدرجة الأولى في مواهبه وقدراته الفكرية، ومدى قدرته على التكيف مع ظروفه الخاصة، وهوالشيء نفسه الذي صاحبه دوما في مراحل حياته، وقد عرف العلماء له هذه الميزة فأعطوه من أجلها ما يستحقه من التبجيل

[1] نويهض، المرجع السابق، ص 294.
[2] أحمد مريوش، مرجع سابق، ص 42.
[3] نفسه، ص 43.

والاحترام[1]، وتجدر بنا الإشارة هنا أن الدروس في الحرمين الشريفين نوعان، نوع حر ونوع رسمي، ولذلك فالمؤكد أن العقبي علم العلوم الشرعية واللغوية وأفاد إفادة كبرى سواء عن طريق الدروس الحرة أو الرسمية.

وتشاء الصدف أن يتعلم العقبي على حمدان الونيسي أستاذ ابن باديس في قسنطينة، وأن يتعلم الإبراهيمي على زيدان الشنقيطي أستاذ العقبي بالمدينة المنورة، ولعل جامع الثقافة هوما أهل العلماء الثلاثة لخوض مسيرة إصلاحية مشتركة في أرض الجزائر مع مطلع العشرينات، ومما لا شك فيه أن الونيسي الذي كان في الحجاز في هذه الفترة أحاط العقبي بالشيء الكثير عن معاناته في الجزائر وترحاله بين عواصم جديدة عديدة، وقد أفاد بذلك العقبي الذي كان يجهل الشيء الكثير عما هوموجود في الجزائر. وحسب رواية أحد أقارب العقبي فان هذا الأخير كانت له ارتباطات وثيقة بشيخه الونيسي قبل رجوعه إلى الجزائر، كما درس العقبي على الشيخ الحبيب التونسي،[2] وهذا الشيخ كان لا يختلف في فكره عن الشيخ الونيسي بحكم ثقافتهما الإسلامية الواحدة، وارتباطهما بظروف استعمارية وتاريخية واحدة جعلتهما يفضلان الهجرة. ولا يستبعد أيضا أن الحبيب التونسي أثر هوبدوره على تلميذه العقبي.

أما عن النخبة الجزائرية في استانبول مركز الخلافة العثمانية، فنجد محمد المكي بن عزوز، وهوقاض، أديب، شاعر، فقيه، محدث، له اهتمامات بالسياسة، وأصله من طولقة (بسكرة) في الجنوب الجزائري، رحل والده مصطفى بن عزوز إلى نفطة بالجريد التونسي واستقر هناك، حيث أسس زاوية رحمانية لنشر العلم والدين، التي نشأ وتعلم بها، وبجامع الزيتونة، ولي الإفتاء بنفطة، ثم قضاءها، زار الجزائر في أواخر القرن 19م، ووقف بنفسه على المظالم الاستعمارية في البلاد، فدعا أهلها لمقاطعة فرنسا اقتصاديا، فلاحقته في الجزائر وتونس، فرحل إلى القسطنطينية، حيث رحب به السلطان عبد الحميد الثاني وأكرمه، وعينه أستاذا للفقه والحديث في دار الفنون، وهناك طارت شهرته وانتشرت أفكاره في العالم العربي الإسلامي كمفكر ومدافع عن القضية الإسلامية، وبقي هكذا إلى أن مات هناك سنة 1916، وله العديد من المؤلفات[3]، ومن الجزائريين الذين نزلوا باستانبول في بداية القرن 20م، محمد التهامي شطة المتوفى سنة 1915، ومثله سليم بك بن محمد الحسني، رياضي، منطقي،

---

[1] محمد الطاهر فضلاء، من أعلام النهضة الوطنية الشيخ الطيب العقبي، **مجلة ثقافية**، ع: 66، نوفمبر-ديسمبر 1981، ص 41.

[2] دبوز، **نهضة الجزائر**..، ج2، مرجع سابق، ص107.

[3] عمار هلال، **العلماء**..، مرجع سابق، ص 447-448. ينظر عنه كذلك: هشام ذياب، **محمد المكي بن عزوز "حياته، مواقف وآثار" (1854-1916)**، رسالة ماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014/2013.

شاعر، كان يحسن عدة لغات، شهيد حركة القومية العربية، ويضاف إليهم الأمير عبد المالك، وهوسياسي، عسكري،، تلقى تعليمه العام في دمشق، انخرط في الجيش العثماني، وحصل على رتبة عقيد، ومن العلماء الجزائريين الذين دخلوا تركيا خلال هذه الفترة أحمد بن عليوة المستغانمي، وهوطرقي، مصلح، شاعر، أديب وكاتب، ولد ونشأ وتعلم بمستغانم بالغرب الجزائري، دخل المغرب وتونس، ثم رحل إلى المشرق، فأدى فريضة الحج، ومن هناك دخل تركيا ثم عاد إلى مستغانم، وتوفي بها[1]، وخلال الح.ع.I، كان الطيب العقبي منفيا في تركيا، وهوخطيب بليغ، كاتب صحفي شاعر مصلح، كان في المدينة المنورة، حيث شارك في الحياة السياسية بها، فاتهمه الأتراك بالمساهمة في الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين ضدهم سنة 1916، فنفوه إلى الأناضول، وبقي بها إلى نهاية الحرب[2].

II. دور الجزائريين في دعم الحركة التعليمية في المشرق العربي (طاهر الجزائري أنموذجا):

قام الجزائريون في المشرق العربي وخاصة في بلاد الشام بأدوار بارزة في المجال العلمي والتربوي، من خلال عملهم كمدرسين في مختلف المؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس والزوايا، حيث نشطوا في تلقين مختلف العلوم، ومنهم من كان له أكثر من حلقة تدريس مثل الأمير عبد القادر الذي كان يعطي دروسا في المسجد الأموي والمدرسة الجقمقية وفي دار الحديث، وفي منزله أيضا، وأحدثت النخبة الجزائرية أثرا ثقافيا وفكريا واسعا فمثلا تجمع الدمشقيون حول الشيخ محمد السكلاوي في الزاوية الخضيرية لأخذ علوم الدين ثم خلفه تلميذه محمد المبارك ومن بعده الشيخ عبد الله الخالدي في دار الحديث ، كما أسس محمد المبارك مدرسة الريحانية التي أصبحت إحدى المدارس المشهورة في دمشق، وبهذا لقب بناشر العلم والتعليم ثم أسس ولده محمد بن المبارك مدرسة النهضة العلمية الصباحية والمسائية، التي كانت تدرس اللغتين الفرنسية والتركية والعلوم الحديثة، كما أنشأ محمد الشريف اليعقوبي عدة مدارس في دمشق بالإشتراك مع آل المبارك، وكذلك الشيخ الهاشمي الذي فتح مدرسة الإرشاد والتعليم وغيرهم كثير من العلماء الجزائريين المهاجرين اللذين كان لهم الأثر البالغ فيالحياة العلمية والثقافية وخاصة في بلاد الشام، ولعل اكثر هذه الوجوه تأثيرا ونشاطا وحضورا طاهر الجزائري، الذي كان له دور

[1] عمار هلال، **العلماء**..، مرجع سابق، ص 448-449.

[2] نفسه، ص 450.

في النهضة العلمية والفكرية في المشرق عامة وفي بلاد الشام خاصة، وهو ما دفعنا لتخصيص مساحة من هذه الأطروحة للتعرف على جهوده في مجال الاصلاح العلمي والتربوي.

II. 1. جهود طاهر الجزائري في إنشاء المؤسسات التعليمية:

ولأننا منذ البداية ذكرنا أنه من غير المعقول أن نلمّ بأدوار جميع الشخصيات الجزائرية التي نشطت في بلاد المشرق العربي خلال الفترة المدروسة، وأننا سنقتصر على ذكر أهمها والتي خلفت آثارا عميقة في المجتمع المشرقي، وخاصة في بلاد الشام التي تضم أكبر عدد منهم، ولعل أشهر هؤلاء في المجال التربوي والإصلاحي على الإطلاق هو الشيخ طاهر الجزائري، الذي خصصنا له هذا الحيز من بحثنا.

II. 1.1. إنشاء المدارس:

سمحت العلاقة المتينة التي كانت تربط الشيخ طاهر الجزائري بالوالي (مدحت باشا) بتأسيس وفتح عدة مدارس تعليمية على مستوى مدينة دمشق، وأسند الأمر للطاهر الجزائري عن طريق الجمعية الخيرية بالإحتواء على المدارس الموقوفة وعلى طلب العلم[1]، وعلى ملحقات بعض الجوامع والتي يهيمن عليها أفراد من أصحاب النفوذ لترميمها وتجهيزها لتكون مدارس على شاكلة مدارس الحكومة، وبعد بضعة أشهر وبالتقريب مع بداية سنة 1979 تم افتتاح نحوعشر مدارس في مدينة دمشق، اثنين منها للإناث[2]، ويذكر هاني مبارك أن الطاهر الجزائري لما بدأ بتأسيس المدارس أنشأ في دمشق أول ثانوية وأسس أول مدرسة لتعليم البنات[3]، وتعتبر تلك المدارس أولى الخطوات الميدانية في مجال العمل الإصلاحي الذي تبناه طاهر الجزائري وبذل في سبيله جهدا كبيرا بمساعدة الوالي مدحت باشا، حيث كان عملهما خاضعا لخطة مدروسة وفق رؤية إصلاحية عصرية وأصبح التعليم من الأولويات وفي مؤسسات الدولة وله مناهج مستحدثة؛ مستفيدين في ذلك من النمط التعليمي الغربي، ويمكن أن نتعرض لأهم المدارس الرسمية التي افتتحها طاهر الجزائري على مستوى مدينة دمشق في زمن قصير لنبين مدى حرصه على إنجاح مشروعه الإصلاحي والتعليمي، وهي كالتالي:

---

[1] سيد بن حسين العفاني، **زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين**، ج2، دار العفاني، القاهرة، ص467.

[2] سيد بن حسين العفاني، المرجع السابق، ص467.

[3] هاني المبارك، الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المربي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، **مجلة التراث العربي**، ع108، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، السنة السابعة والعشرون، مركز تحقيقات كامنتور، دمشق، سوريا، ديسمبر 2007، ص19.

- أول مدرسة تم افتتاحها في جامع "السباغورشيه"، حيث انضم إليها مائة وإحدى عشر تلميذا وكان ذلك في 5 فيفري عام 1879.
- بعد عشرين يوما تم افتتاح المدرسة الثانية في بناء جامع "الكردي" والتحق بها مائة وسته تلميذا.
- في 03 مارس 1879 افتتح مدرسة "الحبال" التي انتسب إليها مائة تلميذا.
- في 08 مارس 1879 تم افتتاح مدرسة "السباهية" التحق بها سبعة وأربعون تلميذا.[1]
- أما مدرسة "الشامية" التي انتسب إليها مائة واثنان وخمسون تلميذا تأسست في ستة 10 مارس من نفس السنة.
- وفي الثامن عشر من مارس 1879، تم افتتاح مدرسة "الخانكية" وقد انتسب إليها سبعة وتسعون تلميذا.
- أما مدرسة "السليمانية" الخاصة بتعليم البنات فتأسست في 24 مارس 1879.
- وفي أول أفريل 1879 تم افتتاح مدرسة "الصالحية" وقد انتسب اليها واحد وخمسون تلميذا.
- وفي 11جوان 1879 تم افتتاح المدرسة الثانية الخاصة بالبنات مدرسة "المغيريبة".[2]
- وفي 16 جوان 1879 تم افتتاح آخر مدرسة في هذه السنة وهي مدرسة "البزوري"[3].

وفي هذا الإطار ألف طاهر الجزائري عدة كتب مدرسية للصفوف الإبتدائية في جميع الفروع حسب مقررات التعليم البيداغوجي للمدارس العصرية متجاوزة بذلك الطرق التقليدية الجامدة، ومن هذه المؤلفات التي وزعت على عدة تخصصات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب "مدخل الطلاب إلى علم الحساب"، وهو كتاب في مادة الرياضيات والحساب و"رسالة النحو" و"منية الأذكياء في قصص الأنبياء" و"الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام"و"إرشاد الألباب في معرفة ألف-باء"... وغيرها من مصنفات وفق المقررات المدرسية الحديثة[4]، وكتابه في التعليم الإبتدائي من مبتكراته، لم يقلد فيه أحدا من علماء البيداغوجيا، فقد ألفه من خلال

[1] عدنان الخطيب، **الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وأعلام من خريجي مدرسته**، معهد البحوث والدراسات العربية، الجامعة العربية، 1971، ص 107.

[2] عدنان الخطيب، المصدر السابق، ص 108.

[3] حازم زكريا محيي الدين، المرجع السابق، ص 35.

[4] رغداء، محمد أديب زيدان، طاهر الجزائري وحلقة دمشق الكبرى، **التراث العربي**، ع 108، اتحاد الكتاب العرب، مركز تحقيقات كامنتور – دمشق، سوريا، السنة السابعة والعشرون، ديسمبر 2007، ص 31.

خبرته وسعة إطلاعه[1]، وبذلك بدأ الشيخ طاهر يبذل جهودا إضافية مستغلا في ذلك منصب مفتش عام للمدارس في سبيل إصلاح التعليم، بتقديم يد المساعدة للمعلمين وتعليمهم أصول التدريس وإعانتهم على حل المشاكل التي تواجههم أثناء تعليمهم.

II. 1. 2. إنشاء المكتبات وتصنيفها:

يعد طاهر الجزائري من أبرز الشخصيات العلمية والثقافية البارزة في العالم العربي في العصر الحديث التي عملت في أبحاث الكتب والمخطوطات والتراث، وفي فك رموز المخطوطات العربية القديمة من أمثال علي مبارك، وأحمد زكي، وأحمد تيمور، وكرد علي[2]، وكان دائم البحث عن الكتب ونوادر المخطوطات في المكتبات وخزائن الكتب، يرحل في طلبها ويقتنيها، فتجده إذا زاد دخله عن حاجته أسرع إلى الوراقين يشتري بما عنده من مال ما ينتفع به من الكتب[3]؛ فالكتب عنده أعز أصدقائه لا يمل من مجالستها والإطلاع عليها واكتشاف خباياها، يقرأها ويعيد قراءة الكتاب الذي يراه مفيدا أكثر من مرة، وقد هيأت له معرفته الواسعة بالكتب واطلاعه عليها سواء المخطوطة منها أوالمطبوعة بأن يكون علماً من أعلام الببليوغرافيا في عصره، وكان يرشد كل واحد من طلابه على ما يجب مطالعته من الكتب وفق استعداده، كما كان يدرك أهمية الضبط الببيلوغرافي ويدعوا إلى الإهتمام بتسجيل أسماء الرجال الذين يرجع إليهم عند الخاصة فحين "اشتد به المرض كان يردد: "اذكروا من عندكم من الرجال الذين ينفعونكم في الشدائد، ودونوا أسماءهم في جريدة لئلا تنسوهم"[4].

وقد أدرك الشيخ الطاهر الجزائري أن لا سبيل إلى إعادة الروح لهذه الأمة إلا بنشر العلم بين الناس وإحياء تراثهم العلمي، ومن ذلك كان اهتمامه بإحياء وإنشاء المكتبات العامة وجمع لها المخطوطات والمطبوعات والمحافظة عليها وتصنيفها بطريقة عصرية، وذلك من خلال إطلاعه الواسع وقراءاته المتنوعة لما تحتويه الخزانات ودور الكتب المختلفة الموجودة في بلاد الشام وغيرها من مناطق الدولة العثمانية في ذلك الوقت، فسعى جاهداً

[1] محمد سعيد الباني، **تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر**، ط.خ، وزارة الثقافة، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص76.

[2] أنور الجندي، **تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي**، مرجع سابق، ص 165.

[3] عدنان الخطيب، المصدر السابق، ص 96.

[4] نفسه، ص 116.

في سبيل الوصول إلى هدفه[1]، وقد كان له الفضل في إنشاء الكثير من المكتبات الخاصة والعامة في دمشق والقدس وطرابلس وحلب وغيرها من الديار الشامية، ففي دمشق كان له فضل في إنشاء (المكتبة الظاهرية)، وفي القدس كانت له مساعدة وجهود كبيرة، في إنشاء (المكتبة الخالدية)[2] وهي أول مكتبة عامة في القدس في القرن التاسع عشر.

وفي سنة 1879، تمكن الجزائري وبدعم من الوالي مدحت باشا، ثم من بعده أحمد حمدي باشا، من تأسيس دار الكتب الظاهرية، فبدأ بجمع الكتب المخطوطة والنادرة في مكان واحد، والتي كانت متفرقة في المساجد والزوايا وفي البيوت الخاصة، ودفعه في ذلك خشيته عليها من الضياع والتلف والسرقة والنهب من طرف سماسرة الكتب النادرة وتجارتها، ومن ورائهم قناصلة الدول الأجنبية[3]، وقد تحمل مسؤولية ذلك العمل، فكان لا بد من اتخاذ خطوة جادة للحفاظ على البقية الباقية من الكتب والمخطوطات قبل أن تتلاشى تلك المكتبات وتنطمس معالمها، والتي لم يبق منها سوى بعضها بعد ما كان عدد تلك الخزائن أيام عزها يقدر بأكثر من الخمسين خزانة في سورية وحدها، فتراجع العدد إلى العشرة خزائن،[4] وكان المكان الذي اختاره الشيخ طاهر الجزائري لجمع الكتب والمخطوطات النادرة مدروسا وهوالمدرسة الظاهرية الموجودة في باب البريد بالقرب من الجامع الأموي وبفضله تحولت إلى المكتبة الظاهرية[5]، والتي أصبحت فيما بعد من أهم المكتبات الإسلامية في المشرق العربي[6]، وهكذا تأسست (المكتبة الظاهرية) كمكتبة عامة، وجعلت لها الحكومة إدارة خاصة وسنّت لها قانوناً يضمن صيانتها على غرار المكتبات الكبرى في دول العالم، فجمعت لها ما يقارب 3453 كتاباً متنوعا، عدا الكراريس والأوراق المتفرقة[7]، وجمعت لها من عشر مدارس، ثم اتسعت حتى صارت من أعظم المكتبات في

[1] Adil Salahi , Scholar of renown: **Tahir Al–Jazairi**, Arab News Staff, Monday 2 September 2002.

http://www.arabnews.com/node/223865

[2] ينظر الملحق الثاني، رقم01. صورة لافتتاح المكتبة الخالدية سنة 1900 في القدس، ويظهر من اليمين كل من: الحاج راغب الخالدي، الشيخ طاهر الجزائري، الشيخ موسى شفيق الخالدي، الشيخ خليل الخالدي، الشيخ محمد الحبال (البيروتي).

[3] حازم زكريا محيي الدين، المرجع السابق، ص 37.

[4] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج1، دار الكتب اللبنانية، بيروت 1956م، ص 136.

[5] حازم زكريا محيي الدين، المرجع السابق، ص 38.

[6] مرزوق العمري، المرجع السابق، ص 52.

[7] محمد كرد علي، **خطط الشام**، ط2، ج6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،، ص 305.

البلاد العربية[1]، ومن أشهر الخزائن التي جمعت منها هذه الكتب والمخطوطات هي: المدرسة العمرية، مكتبة عبد الله باشا العظم، مكتبة سليمان باشا العظم، مكتبة الملا عثمان الكردي، مكتبة الخياطين، مكتبة المرادية، مكتبة الشميصانية، مكتبة الياغوشية، مكتبة الأوقاف، مكتبة بيت الخطابة، بالإضافة إلى مكتبات أخرى لا تتعدى المصنفات المأخوذة منها خمسة أوستة مصنفات من المكتبة الواحدة مثل المكتبة الأحمدية ومكتبة الكزبري، بالإضافة إلى ما جمعه الشيخ نفسه لها من خزائن الكتب، فقد عمد إلى تزويدها بالكتب النافعة والمهمة مما نُشر في الغرب. ففي زمن "رؤوف بك باشا" والي دمشق أوائل القرن العشرين جمع لها بإعانة صديقيه الأستاذين الجزائري والبخاري نحوخمسمائة ليرة إضافة إلى تزويدها بمجموعة من الكتب[2].

– منهجه في إنشاء المكتبات:

لقد هيأت له معرفته الواسعة بالكتب واطلاعه عليها إضافة إلى خبرته في مجال جمع الكتب أن يكون علماً من أعلام الببليوغرافيا، فكان يدرك أهمية الضبط الببليوغرافي حيث كان لا يدانيه أحد في علم الكتب ووصفها ومؤلفيها وأماكن وجودها[3]، فوضع الشيخ الطاهر الجزائري أسلوبا خاصا لإنشاء المكتبات ويمكن الإشارة إليه في في النقاط التالية:

1- جمع الكتب والمخطوطات والكراريس الموزعة في المكتبات المختلفة في مكتبة وطنية عامة وإعادة توزيع المقتنيات بحسب النسخ المكررة لتقديمها إلى المكتبات الأخرى كما جاء في اقتراحه بشأن مكتبات استانبول في إحدى رسائله[4].

2- تطوير وتحديث المكتبات وخزائن الكتب، وخاصة المكتبة الظاهرية، وإعطائها طابع المؤسسات العصرية، سواء من الناحية الإدارية أوالفنية، وتكليف رجالا أكفاء وأمناء يحسنون التعامل مع المكتبات، وتنظيمها وتسييرها للإشراف عليها من أجل تحقيق الأهداف المرجوة منها[5].

---

[1] طاهر الجزائري، **تذكرة الطاهر الجزائري**، تح: محمد خير رمضان يوسف، ط.خ، وزارة الثقافة الجزائرية، مج1، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 11.

[2] فيليب دي طرازي، المصدر السابق، ص135.

[3] طاهر الجزائري، **تذكرة الطاهر الجزائري**، المصدر سابق، ص 11.

[4] عدنان الخطيب، المصدر السابق، ص 156.

[5] محمد كرد علي، المصدر السابق، ص 200.

3- الإبقاء على المكتبات القريبة من التجمعات السكانية، على أن تنشأ مكتبة مركزية وسط المدينة، تنقل إليها الكتب النادرة الموجودة في المكتبات الصغرى[1].

4- القيام بعمليات تحسيسية وتوعية الناس على إنشاء المكتبات في مدنهم وبلدانهم، والإشادة بتجارب المدن التي سبقت غيرها في إنشاء مكتباتها.

5- عدم الإقدام على تنفيذ مشروعاته في إنشاء المكتبات قبل تهيئة المجتمع لقبول الفكرة باستشارة ذوي الرأي والعلم منهم وأخذ موافقتهم.

6- الاستفادة من مؤازرة الحكام والولاة وأصحاب النفوذ في السلطة ممن يتفقون معه في التوجه لتنفيذ برامجه، فلولا مساعدة مدحت باشا ومؤازرته، وكذلك دعم بهاء بك لما استطاع تنفيذ برنامجه في جمع كتب خزائن المدارس والمساجد.

7- العمل على ضمن فريق ومجموعة لإنجاز المهام المرسومة، فالجمعية الخيرية وفريقها العامل من العلماء ومعاونة صديقه سليم البخاري كان لهم الفضل في المساعدة لإخراج فكرة المكتبة الظاهرية إلى الوجود[2].

8- كان يطلب من سلطات المدن ومسؤوليها التي يتنقل إليها بإنشاء المكتبات، فقد كان يوقظ الهمم ويقدم لهم الاستشارات والنصائح فيما يتعلق بعلم الكتب مثل: إعداد نظام للمكتبة منذ بدء إنشائها لضمان حسن سير العمل فيها واستمرارها، وتوفير الأطر البشرية القادرة على أداء العمل والأمينة عليه وإعداد الفهارس المنظمة للمكتبة[3].

9- حث الميسورين على إنشاء المكتبات في مدنهم لإيمانه بأن هذه المسؤولية من الواجبات التي لابد من تظافر جهود الأفراد مع حكوماتهم لإنجاحها.

10- عمل الفهارس التحليلية للكتب والمخطوطات إلى جانب الفهارس الوصفية[4].

- مساهمته في إثراء المكتبة العربية:

كان طاهر الجزائري يسافر بحثا عن الكتب النادرة والقديمة المخطوطة فيشتريها ويعيد إصلاحها وترميمها وتجليدها، فجمع مكتبة عظيمة، وقد عينته الحكومة العثمانية مفتشا على مكتبات في الشام، وأسس خلال هذه

[1] عدنان الخطيب، المصدر السابق، ص 156.
[2] محمد كرد علي، المصدر السابق، ص 205.
[3] محمد سعيد الباني، مصدر سابق ، ص 42.
[4] نفسه، ص 42-43.

الفترة مكتبة الخالدية في القدس وهي مكتبة كبيرة لعائلة الخالدي وتوارثتها جيل بعد جيل فأعاد تنظيمها، وفي عام 1919م حين عاد الشيخ طاهر إلى دمشق، بعدما هاجر منها إلى مصر التي مكث فيها مدة 15 سنة هروبا من الأتراك العثمانيين، استطاع إقناع الملك فيصل بن الحسين بضرورة تأسيس مكتبة وطنية عامة، تمكن الطلاب والباحثين من القراءة والمطالعة فأعطوه مكانا في أحد أحياء دمشق القديمة كانت مدرسة تدعى "الظاهر بيبرس"، ومغلقة منذ مئات السنين، فحولها إلى مكتبة وطنية إذ نقل إليها كتبه ومخطوطاته التي كان يجمعها أو يشتريها، أو يتبرع بها بعض العلماء لتحفظ في دار الكتب الوطنية هذه، وظلت مكتبة الظاهرية هي المكتبة الوطنية للجمهورية العربة السورية حتى سبعينيات القرن العشرين، حيث لم يعد المكان كافيا لاستيعاب المستجدات من الآلات والكتب فيها.

ولم تقتصر جهود الشيخ على إنشاء المكتبات ورعايتها ووضع البرامج والأنظمة لها، بل تعدت إلى المساهمة في إثراء المكتبة العربية بأساليب وطرق مختلفة تتمثل أساسا في عملية التأليف، حيث ألف ما يزيد عن أربعين كتاباً، إلا أن تلاميذه يرون ذلك غير كاف ويعتبرونه تقصيرا في التأليف نظراً لإحاطته الواسعة في مختلف العلوم، ويرجع تلميذه محمد سعيد الباني السبب في قلة تأليفه أنه كان مشغولاً بالتعليم وبناء المدارس وتكوين الناشئة، والإعداد للندوات الفكرية، إضافة إلى نشاطه في التنقل بين المدن، حيث أكثر مؤلفاته كانت في صباه، وهي كتب تعليمية لطلاب المدارس بسبب ما لاحظه من نقص في هذا المجال وعدم توافر الأدوات الضرورية لتعليم الطلاب علوم الدين وتدريبهم على اللسان العربي بالأسلوب الحديث، أما تلميذه محمد كرد علي، فيرجع السبب إلى عدم انتشار الطباعة، وربما إلى الرقابة التي فرضها السلطان عبد الحميد على المطبوعات التي يصفها محمد كرد علي بأنها "رقابة دقيقة ولا يسمح بنشر جريدة ولا كتاب على الأكثر إلا إذا طرز باسمه واختلقت له فيه الأماديح.."[1]، ويقول عنه أنه كان يؤلف الكتاب الممتع في أسبوع في موضوع صعب يحتاج غيره فيه إلى سنة[2].

ومن جانب آخر فإن التأليف كان في نظره عملاً إبداعياً متميزاً بما يضفيه إلى سجل المعرفة الإنسانية، فلا داعي للتأليف إن لم يأت المؤلف بشيء جديد أويقدم مادته بإبداع جديد ولذا كانت مؤلفاته من الكتب

[1] محمد كرد علي، مصدر سابق، ص 103

[2] نفسه، ص 300.

القليلة في عصره التي تستحق العناية مما أخرجته المطابع في النصف الأول من القرن التاسع عشر[1]، وطبعت معظم مؤلفاته في حياته وبإشرافه في مطبعة الجمعية الخيرية أيام كان مفتشاً على المدارس الأميرية، فصنف كثيراً من الرسائل لتعليم المبتدئين بأسلوب مبتكر لم يكن شائعاً حينئذ.

II. 2. مجالات الإصلاح التعليمي لدى طاهر الجزائري وأساليبه:

لقد ساهم الشيخ الطاهر الجزائري بكل ما امتلك من مؤهلات علمية وخبرته الواسعة في مجال الإصلاح بمفهومه العام وفي قدرته على الترجيح بين استرجاع التاريخ العربي الإسلامي والإفادة من الآراء الحديثة التي توصل إليها الغرب، ومن ملاحظته لحالة المجتمع المتدهورة استطاع أن يحدد لمشروعه الإصلاحي إلى ألأولويات التي كان يراها ضرورية لمعالجتها. ويمكن أن نتطرق إلى هذه الأولويات التي حددها من خلال مجالات الإصلاح التالية:

II. 1.2. الإهتمام بالتعليم:

أولى طاهر الجزائري اهتماماته للتحصيل العلمي معتبرا إياه السلاح المنيع أمام تحديات الغرب، فقد كان يقول: "تعلموا كل ما تيسر لكم تعلمه، ولولغة مالطة، فقد يجيء زمان تحتاجون إليها، وإياكم أن تقولوا إنها لا تدخل في اختصاصنا، فالعلم كله نافع، والمرء يتعلم ما حسنت به الحياة "[2]، فاهتم بتعليم الناشئة وبتشجيعهم على طلب العلم وتيسيره لهم مع عدم تنفيرهم، ونقل عنه أنه كان يرشد تلاميذه قائلا: "إن جاءكم من يريد تعلم النحو في ثلاثة أيام فلا تقولوا له إن هذا مستحيل بل علموه، فلعل اشتغاله هذه الثلاثة أيام بالنحو يحببه له "[3]، فقد كان هدفه الأساسي هو تحسين مكانة العرب المسلمين داخل الدولة العثمانية، وكانت طريقته الأساسية للقيام بذلك هي التعليم بأوسع معانيه.

وقد انتقد طاهر الجزائري السياسيات العثمانية، واتهمها بأنها وراء تدهور الحضارة العربية في أرض العرب وآذت البنى الأخلاقية لهذه المناطق أيضا، وكان من الضروري للعرب أن يعيدوا اكتشاف قيمتهم من خلال إعادة اكتشاف تاريخهم ومزايا لغتهم، ومزايا الإسلام، فهذه الوسائل هي التي ستدفع العرب إلى موقع أفضل في

[1] فيليب دي طرازي، مصدر سابق، ص .97

[1] حازم زكريا محيي الدين، مرجع سابق، ص 96.

[1] علي الطنطاوي، **رجال من التاريخ**، ط8، دار المنارة، جدة، 1990، ص 377.

العالم، وما أكد عليه أكثر هو أهمية التعليم الابتدائي، وكان ناقدا للكتب المدرسية المستخدمة في دمشق، وآملاً في أن استخدام الكتب الجديدة التي ألفها بنفسه ستجعل من الأجيال القادمة من العرب المسلمين فخورين بعروبتهم، مما سيدفعهم لتبني رؤية إصلاحية للإسلام.

ووفقاً لما ذكره محمد كرد علي بأن طاهر الجزائري كان مهتماً بشكل خاص بإصلاح الأعيان أوالطبقات العليا، الذي كان يرى أن أفضل الطرق للقيام بذلك كانت تعليم أولادهم بشكل ملائم؛ وأنه أضاف عنصرا جديدا لنظرية التعليم من خلال دعوة كل تلميذ يدرس العلوم الإسلامية بأن يدرس معها مهنة أومهارة تجارية، لكي يكون مستقلاً لا يعتمد على توسل النقود من الكبار والنافذين، أوعلى إعانات بعض الأوقاف، وتعليم المهارات العملية والتجارية للتلاميذ في مرحلة مبكرة من التعليم سيجعلهم أكثر انضباطا[1].

II. 2.2. الاهتمام بالمؤسسات التعليمية والتربوية:

إلى جانب العلم والتعليم بمختلف تخصصاته كان طاهر الجزائري يولي اهتماما كبيرا بالمدرسة والكتب، وذلك ما يثبت أن طاهر الجزائري كان يملك رؤية جديدة وعصرية، حيث اهتم بمجال تأسيس المدارس المعاصرة وحفظ الكتب والمخطوطات القديمة –كما ذكرنا– وكان أيضا أكثر أكاديمية كما يظهر من كتبه في التفسير والحديث واللغة العربية، ومن قيامة بتحقيق ونشر مطبوعات عن المخطوطات التي تعود لعصور ازدهار الحضارة الإسلامية، ويتميز الشيخ الطاهر الجزائري في مجال جمع الكتب والمخطوطات وحفظها عن غيره من أمثال علي المبارك بمصر بأنه كان "كاتبا" أصيلا واسع المعرفة في فنون الكتب والمخطوطات[2]، كما كان لا يدخر جهدا في تقديم المساعدة في هذا المجال وخاصة أصحاب النفوذ في السلطة، فقد أشار على الخيديوي عباس حلمي والي مصر أن يؤسس مدرسة للغة العربية تكون مقصودة من كل جهة، وينشئ دارا ومطبعة للترجمة[3].

II. 3.2. الاجتهاد:

دعا طاهر الجزائري إلى الاجتهاد ونبذ روح التعصب المذهبي كما جاء على لسان أحد تلامذته قوله: "... هذا وليس الشيخ في مذهبه على الحقيقة حنبليا ولا مالكيا ولا حنفيا بل مسلما يأخذ من أصل الشريعة باجتهاده الخاص، ويحسن ضنه بأئمة المذاهب المعروفة، ويتجهم لمن يتجرأ على النيل من أحد العلماء عامة،

[2] اسكوفيتز جوزيف، محد عبده السوري: http://kassariyat.blogspot.com/2014/05/TahirAl-Jazairi.html

[3] أنور الجندي، مرجع سابق، ص 165.

[4] محمد مطبع الحافظ، نزار أباظة، مرجع سابق، ص 372.

ويعمل بما صح له من الدليل في الكتاب والسنة "[1]، فهو لم يتقيد بمذهب واحد بل تحدث عن العودة لجذور الشريعة واستخدام الاجتهاد، وكان يتبع كل ما بدا له صواباً من القرآن والسنة، ولم يكن يتردد في نسب الحقيقة إلى علماء الشيعة أوالمعتزلة أوالفلاسفة[2]، وكان ينقل من ابن عربي في مواضع كثيرة، وكذا الحلاج، ونقل من إخوان الصفا ودرس لابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية ونقل عنهما الكثير من مؤلفاتهما[3]؛ وعليه فإن فكرة التطوير والتجديد الفعال لحالة الأمة المتردية كانت شغله الأكبر، وأن الخلافات القديمة بين المذاهب والعلماء والفلاسفة والمتكلمين لم تعد مهمة.

II. 4.2. الوحدة:

كان موضوع الوحدة بين فرقاء الوطن على مختلف انتماءاتهم الدينية والمذهبية والطائفية من اهتمامات طاهر الجزائري فقد كان يدعوا للتسامح وبث روح الوحدة تحقيقا للمصلحة العليا للوطن وللأمة وكان مسترشدا بقوله تعالى: **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**[4]، وكان حريصا على درء الفتنة بين المذاهب والفرق الإسلامية وباذلا جهدا كبيرا للتقريب بينهم، لتعود للأمة وحدتها وتماسكها ولتتمكن من حشد طاقاتها ورصها على طريق تحقيق مصالح المسلمين امتثالا لقوله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**[5]، وما اشتهر عنه قوله: "الحمد لله لقد سالمنا جميع الفرق"[6].

II. 3. أساليبه التربوية:

عرف على الشيخ طاهر الجزائري سرعة الحركة والعصبية في المزاج، ولم يعهد منه فحش أوهراء أوسب بما ينافي الأدب ويقدح في المروءة، وعندما أقيل من منصبه في التفتيش التربوي، الذي كان يؤدي إلى الاحتكاك بالناس، عرضت عليه وظيفة تكون خالية من ذلك، فرفض وظل حتى آخر أيامه يعيش من بيع الكتب، وأبى في

[5] سيد بن حسين العفاني، مرجع سابق، ص 473.

[1] اسكوفيتز جوزيف، محد عبده السوري: http://kassariyat.blogspot.com/2014/05/TahirAl-Jazairi.html

[2] طاهر الجزائري، **تذكرة طاهر الجزائري**، مصدر سابق، ص 9.

[4] سورة آل عمران، الآية: 64

[5] سورة الحجرات، الآية: 10.

[5] حازم زكريا محيي الدين، مرجع سابق، ص 99.

مصر أن يأخذ مرتبا دائما مما كان يهيئه الخديوي للعلماء والأدباء، ولو وافق على ذلك فلن يكون حرّا فيما يقول...[1].

ومن أساليبه في الإصلاح ما ذكره أحد تلامذته، من أنه كان له مهارة فائقة في حروبه الأدبية، وكان ينسخ كتب ابن تيمية أوابن القيم الجوزية أوأبي شامة المقدسي، وأمثالهم ممن لهم اليد الطولى في محاربة البدع والخرافات، ويبيعها بواسطة السماسرة في سوق الوراقين بثمن بخس، ثم يذيع للناس بذلك مؤملا أن يقع في أيدي مناوئيه بالرأي فيطلعوا عليه ويهتدوا بنبراسه، وكان حريصا على الوقت[2]، وعلى التفيق بين حلقاته العلمية التي كان ينتقل بها من بيت وجامع أوبين بيت وبيت.

وجعله بعضهم –أي الشيخ– في عداد حلقات السلسة التي تصل الشرق بالغرب، كما شهد له بذلك علماء الشرق المسغربون، وعلماء الغرب المستشرقون، وكانت بينه وبينهم صداقة، يراسلهم ويراسلونه، على اختلاف قومياتهم من انجلترا وفرنسا والمجر وإيطاليا واسبانيا والنمسا وهولندا والسويد، كما كان له صداقة مع اليهودي جولدزيهر، ووسع طاهر الجزائري من اتصالاته العلمية بغير المسلمين، وكان يصاحب جميع علماء الفرق ويجالسهم من (المطارنة – الحاخامات – النصارى – الشيعة...) مثلما يجالس إمام السنية والمفتي والفقيه والصوفي، ويناقشهم ضمن دائرة آداب البحث، ويفيد ويستفيد منهم، وهوالذي كان يقول: "لوطلب مني اليهود أن أعلمهم ما تأخرت ساعة عن إجابة طلبهم، لأن تعليمهم تقريبا لهم منا، مهما كانت المباينة والفوارق بيننا وبينهم[3]، وقد شهد له تلميذه محمد كرد علي بأنه صحب بعض الزنادقة، وكان يصبر على أذاهم حتى يعيدهم إلى حضيرة الدين.

كما نجد للشيخ طاهر العديد من المؤلفات المختلفة، والتي كان بعضها ذوطابع مدرسي بسيط يتلاءم مع مستوى الطلبة، وقد نشرت بعض مؤلفته في حياته ولا يزال بعضها مخطوطا[4]، ونذكر منها مؤلفاته المطبوعة:

– مدخل الطلاب إلى فن الحساب.

---

[1] طاهر الجزائري، **تذكرة طاهر الجزائري**، مصدر سابق، ص 12.

[2] حازم زكرياء محي الدين، **الشيخ طاهر الجزائري، رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث**، ط1، دار القلم، دمشق، 2001، ص 21.

[3] طاهر الجزائري، **تذكرة طاهر الجزائري**، المصدر السابق، ص 13-14.

[4] عمر بن قينة، **صوت الجزائر في الفكر العربي (أعلام وقضايا ومواقف)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 85.

- مد الراحة إلى أخذ المساحة.
- تمهيد العروض إلى فن العروض.
- التمرين على البيان والتبيين.

وبذلك يكون الشيخ طاهر الجزائري قد أسس لمدرسة تقول برأيه وتسير وفق منهجه، وهي مدرسة ضمت الكثير من الأعلام، والتي مهدت لنهضة دمشق الفكرية والعلمية، تلك النهضة التي تمتع بثمارها أبناء الجيل الذي جاء من بعده، وبعد نهاية الح.ع.I، عاد الشيخ طاهر الجزائري إلى دمشق، حيث تم تأسيس مجتمع اللغة العربية بدمشق تحت اسم المجمع العربي العلمي في 08 جوان 1919م الذي يعتبر أول مجمع علمي لغوي عربي، مؤسسه محمد كرد علي تلميذ الشيخ الطاهر الجزائري، وقد ضمت الهيئة الأولى كلا من الشيخ الطاهر الجزائري والشيخ عبد القادر المبارك، وكان المجمع يشغل مكانا قرب مكتبة الظاهرية[1].

وإلى جانب الشيخ طاهر الجزائري، برزت شخصيات جزائرية أخرى، كان لها دور تعليمي وإصلاحي كبير نذكر منهم عبد القادر المبارك، الذي قام رفقة أبنائه بفتح عدة مدارس، وكان أول من فتح مدرسة للبنات في دمشق، وبرز أبناؤه في اللغات العربية والأمازيغية والتركية، وكان مدرسا في "مدرسة عنبر"، ثم عضوا في المجلس العلمي العربي الذي أسسته حكومة الملك فيصل سنة 1919، كما قام بترجمة معظم كتب التراجم الصادرة في دمشق مثل: رجال الأمة، معجم المؤلفين السوريين[2].

III. دراسة في المنهج العلمي والفكري للنخبة الجزائرية بالمشرق العربي (طاهر الجزائري أنموذجا):

منذ بدايات القرن التاسع عشر، كان المشرق العربي، وبخاصة بلاد الشام، وكغيرها من الولايات العثمانية متخلفة، يعمّها الجهل والجمود على المستوى الثقافي والتعليمي، حتى أن اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، كانت في مدارس الحكومة، وفي المدارس الدينية القديمة مهملة، وكانت علوم الدين واللسانيات تدرس في دمشق وحلب على الطريقة القديمة العقيمة[3]، وكان المستوى الثقافي والفكري متدنيا، والمدارس يغلب عليها الطابع الابتدائي، سواء كانت إسلامية أم مسيحية، والتعليم فيها منحصرا في القضايا الهامشية للعلوم الدينية، وكان تدريس هذه

[1] سهيل الخالدي، **الجزائر وبلاد الشام** ...، مرجع سابق، ص-ص 497-499.
[2] نفسه، ص-ص 500-503.
[3] عدنان عمر الخطيب، المصدر السابق، ص 22

النواحي متدنيا في مستواه، وضيقا في أفقه، كما كانت اللغة العربية في حالة سيئة[1]، وعلى العموم لم تعرف دمشق قبل سنة 1874م حياة تعليمية بالمعنى المعاصر لهذه العبارة سوى التربية والتعليم في الجوامع والزوايا والكتاتيب والكنائس، ولأن معظم الذين هاجروا إلى المشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين كانوا من العلماء والمثقفين، لذلك نجد مجموعة منهم حملوا لواء الإصلاح في شتى الميادين، واعتمدوا في ذلك على منهج علمي وفكري يتوافق مع ما يلزم لاستنهاض الهمم، والوقوف بالوضع التعليمي والثقافي المزري الذي تعيشه المنطقة، ولأنه لا يمكننا أن نتناول بالدراسة فكر كل هؤلاء الأعلام سنختصر نموذجا فريدا وهوالشيخ طاهر الجزائري.

III. 1. منهجه في التعليم والتأليف:

في ظل ذلك الوضع المتردي تميز الشيخ الطاهر الجزائري بتجديده في أساليب التعليم، مواكبا التطور الايجابي الذي عرفته الأمم وتوصلت إليه آنذاك من رقي وتقدم في مناهج التعليم إذ وضع الأسس الحديثة البيداغوجية والعلمية للمدرسة السورية وهذا من خلال ما قام به في تأسيس المدارس والمكتبات العصرية[2]، كما يعد عند بعض الباحثين واضع الأسس الحديثة البيداغوجية والعلمية للمدرسة السورية[3].

وقد أخذ على نفسه أثناء توليه منصب أمانة التفتيش على المدارس، تعليم المعلمين أصول التدريس، وابتكار أنجح الوسائل لتعليم الطلاب في مختلف العلوم الدينية والأدبية والعلمية وكما قدم للمعلمين مفاهيم جديدة وبرامج تعليمية حول كيفية حل المشاكل، التي كانت تواجههم أثناء قيامهم بالتدريس[4]، وفيما يتعلق بالأساليب التعليمية فإن الشيخ الطاهر الجزائري يعتبر أول من وضع مناهج علمية وقواعد تربوية تضاهي ما كان موجودا في المدارس الأوروبية بحيث تعتمد على الاختصار والتبسيط والتدرج في تلقين العلوم والمعرفة للطلاب، لأن الأساليب القديمة كانت تعتمد التقليد والحشو، كما وضع طرقا جديدة تتعلق بمراحل التعليم، حيث يضع الطلاب في أقسام على حسب المراحل التعليمية وعلى حسب استعدادهم، وعلى قدر عقولهم، لأنه يحب تقريب العلم إلى الناشئة المبتدئين أكثر مما يحب تضخيم تأليفه وتفخيمه والحشد فيه من النقول والفروع

[1] محمد أحمد، الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني 1876 – 1918، **مجلة جامعة دمشق**، ع1، مج27، 2011، ص 317.

[2] صالح لميش، المرجع السابق، ص 69.

[3] عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلدان العربية**..، المرجع السابق، ص 337.

[4] عدنان خطيب، المصدر السابق، ص 36.

والمناقشات والردود[1]، ويقول عنه أحد تلامذته بخصوص ذلك: " يختصر المطولات من كتب الفنون ليسهلها على المبتدئين"[2]، وكان يحض التلاميذ والطلاب على تعلم العلوم الرياضية والطبيعية والسياسية والتاريخية ويؤلف لهم كتبا متخصصة[3] مثل:

- "التقريب لأصول التعريب" متخصص في أصول الإعراب والنحووالصرف.

- "الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام" طبع في مطبعة معارف ولاية سوريا سنة 1300هـ/1883م، وهو كتاب في العلوم الطبيعية.

- "مدخل الطلاب إلى فن الحساب" طبع ثلاث مرات لطلاب المدارس الابتدائية، وهوكتاب في الحساب والرياضيات[4]، وغيرها من الكتب المتخصصة، ويمكن أن نشير هنا إلى أن الشيخ طاهر الجزائري كان يقوم بإقناع الآباء بوجوب إرسال أولادهم إلى المدارس، ولا يخفى في هذا الأمر من تنشيط للحركة التعليمية في سوريا[5].

III. 2. منهجه في إصلاح العقيدة:

لقد كان من أهداف العمل الإصلاحي في النهضة العربية والإسلامية الحديثة إحياء المرجعية الإسلامية. وهذا ما استدعى من العلماء والمصلحين في البحث على مناهج تجديدية تختلف عن الأساليب القديمة وذلك بوضع مقررات لهذه العلوم التي تلقى على طلبة المدارس الشرعية في أقطار عديدة من بلاد الإسلام، وإذا ذكر هذا العمل الإصلاحي والعلمي يذكر الشيخ الطاهر الجزائري باعتباره نموذجا في هذا المجال، مجال وضع المقررات المدرسية وخاصة في مقررات علم العقيدة لمكانة هذا العلم عند المسلمين.

إن ما كتبه شيخ الطاهر الجزائري في باب العقيدة لم يكن تأليفا تأسيسيا ولا ردا لشبهات كما كان يفعل علماء العقيدة في القديم، بل هي كتب مدرسية تهدف إلى تعليم التلاميذ مسائل العقيدة، ومن أجل معرفة نظرته في إصلاحها أقتضى منا الرجوع إلى ما كتبه الشيخ طاهر في هذا المجال، فقد ترك لنا كتابين اثنين: أحدهما "الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية"، والثاني هو"الجوهرة الوسطى في قواعد العقائد". وكلاهما من كتبه المطبوعة، أما الجواهر الكلامية فقد طبع مرات عديدة، منها طبعة جزائرية صدرت عن دار المعرفة الدولية، أما

[1] محمد سعيد الباني، المصدر السابق، ص 82.

[2] طاهر الجزائري، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، المصدر السابق، ص 23.

[3] محمود الأرنؤوط، الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة الفكرية في بلاد الشام، **الأصالة**، ع 67،س 8، مارس 1979م، ص 76.

[4] حازم زكريا محي الدين، المرجع السابق، ص-ص 65-67.

[5] نفسه، ص 36.

"الجوهرة الوسطى"، فهووإن كان كتابا مستقلا فهوإضافة إلى الجواهر الكلامية، وقد تضمن مسائل مختلفة في العقيدة، ومن خلال هذين الكتابين يمكن الوقوف على ملامح نظرة الشيخ طاهر الجزائري لتدريس علم العقيدة وتتجلى معالم هذه النظرة فيما يلي:

III. 1.2. تعريف العقيدة عند طاهر الجزائري:

حينما نعود إلى كتب العقيدة لدى علماء الإسلام في القديم لا نجد لديهم تعريفا اصطلاحيا للعقيدة، وقد تضمنت تسميات متعددة لها مثل: علم التوحيد، علم الكلام، علم أصول الدين... وغيرها[1]، فرغم الجدل الذي دار بين علماء الإسلام حول: هل علم الكلام هوعلم العقيدة؟ إلا أنهم لم يتطرقوا إلى تعريف العقيدة تعريفا اصطلاحيا، وإنما تطرقوا للتسميات الأخرى كعلم التوحيد وعلم الكلام وتعريفاتها، أما علم العقيدة، فلم يوضع له تعريف اصطلاحي، وهذا رغم وجود بعض الكتب تضمنت كلمة عقيدة، مثل كتاب ابن تيمية: "العقيدة الواسطية" أوكتاب الغزالي: "الاقتصاد في الإعتقاد"، لكن بالنسبة للتعريف فليس هناك تعريف للعقيدة اصطلاحيا، باستثناء إشارة لابن خلدون في معرض التمييز بين العقيدة وعلم الكلام[2].

وبناء على ما تقدم يمكن القول أنّ تسمية علم العقيدة بهذه التسمية حديثة وليست قديمة، حيث تضمنتها كتب بعض المعاصرين وقدمت تعريفا لها مثل: "مقتضيات منهجية لتطبيق الشريعة الإسلامية" لعبد المجيد النجار، و"تعريف عام بالعلوم الشرعية" لمحمد الزحيلي و"الوجيز في العقيدة الإسلامية" لعبد الرحمن حسن حبنكه الميداني (1927-2004)، هذا الأخير تطرق إلى تعريف العقيدة بكيفية تعليمية فقال بأن: "العقيدة هي الإيمان بالشيء إلى حد أن يصبح ذلك الشيء هوالمحرك للعواطف والموجه للسلوك"[3]، وهذا التعريف كان مسبوقا بتعريف آخر هو تعريف طاهر الجزائري، الذي يقول فيه: "العقيدة الإسلامية هي الأمور التي يعتقدها أهل الإسلام أي يجزمون بصحتها"[4]، وبين هذين التعريفين، يوجد تعريف للشيخ طاهر الجزائري الذي يعتبر أقدم من تعريف غيره، وعليه يمكن اعتباره أول من وضع تعريفا اصطلاحيا للعقيدة في العصر الحديث، وقد بدأ

[1] مرزوق العمري، مرجع سابق، ص 53.

[2] نفسه، ص 45.

[3] عبد الرحمن حسن حبنكه، **الوجيزة في العقيدة الإسلامية**، ط1، دار القلم،دمشق، 1403هـ-1983م، ص8.

[4] طاهر الجزائري، **الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية**، تح:حسن السماحي سويدان، ط خ وث، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع،2011م، ص 36.

طاهر الجزائري كتابه الجواهر الكلامية بتعريف العقيدة، بطريقة بسيطة وبيداغوجية، ومعدة في متناول الطلاب والتلاميذ وهذا لأهمية التعريف من الناحية المنهجية، إذ لا يمكن أن يبدأ الإنسان الكلام في موضوع معين أثناء التدريس دون التطرق لتعريفه، وهذا ما صارت تركز عليه المناهج الحديثة، في الجامعات والمعاهد، مما يدل على أن هناك مراعاة للجانب المنهجي عنده، وهذا إذا ما قورنت كتابات طاهر الجزائري بغيرها من كتب العقيدة في عصره التي ارتبطت بالعمل الإصلاحي كرسالة التوحيد لمحمد عبده، أو العقائد الإسلامية للشيخ عبد الحميد بن باديس، أو كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب... إذ لم يرد في هذه الكتب تعريف العقيدة[1].

III. 2.2. مكانة العقل عند الشيخ الطاهر الجزائري:

إن مسألة مكانة العقل في تراثنا الإسلامي لا يجهلها أحد، حيث أن للعقل منزلة عظيمة عند القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذلك لما خص به القرآن الكريم العقل بآيات كثيرة منها قوله تعالى: **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**[2]، وعلى الرغم من النزعة النقلية –مدرسة النقل– والإشادة بموقف السلف في كتابات طاهر الجزائري، إلا أنه كان يطرح أهمية العقل ودوره في فهم القرآن الكريم وسنن الله في الطبيعة، وهوما أشار إليه بثنائية النقل والعقل، وقد جاءت مقدمة كتابه "الجوهرة الوسطى" عند إحصائه الكلمات الدالة على العقل توصل إلى أن العقل والنقل متلازمان فهوعنده: "جوهرة نفيسة من جواهر الملإ الأعلى لا تعادلها جوهرة من جواهر الملإ الأدنى، وهبها إياه العليم الحكيم، فضلا منه ومنّة، ليعرف قدرها ويضعها في منزلتها التي تستحقها، وإلا كان مخلاّ للحكمة غير مجل للنعمة"[3]. ولذلك كما نجده يعرفنا بحقيقة ملكة العقل نجده أيضا يعرفنا بوظيفتها وهي معرفة الحقائق، ولهذا حينما نجده يتحدث عن وسائل المعرفة يذكر بأنها ثلاثة: "الحواس والعقل والخبر الصادق"[4].

والملاحظ أن مصادر المعرفة عند المسلمين تختلف من حيث وجود القرآن الكريم، فمصادر المعرفة في الفكر الغربي تعتمد على الحس – أوالتجربة – والعقل، بينما يضيف طاهر الجزائري الوحي كمصدر أساسي للمعرفة، وهذا وإن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على قدرته العلمية والمنهجية في الترجيح بين الفكر الغربي والتراث الإسلامي، وقد انتقد الحس ورأى عدم الاعتماد عليه في الكثير من الأمور فيقول: "الحكم بمقتضى الحس كثيرا ما يكون

---

[1] مرزوق العمري، المرجع السابق، ص 54-55.

[2] سورة يوسف، الآية: 02.

[3] طاهر الجزائري، **الجوهرة الوسطى في قواعد العقائد**، تع: حسن سماحي سويدان، ط وزارة الثقافة، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011م، ص 33.

[4] طاهر الجزائري، **الجواهر الكلامية**..، مصدر سابق، ص 57.

غلطا، فإن أقوى الحواس هوالبصر وهويرى الظل ساكنا ثم بعد حين يظهر له أنه لم يكن ساكنا بل متحركا، ولم تظهر حركته في البداية لعدم حصولها بل بدأت بالتدريج".

كما أشار طاهر الجزائري -في معرض حديثه عن المقارنة بين الحس والعقل-إلى الإنسان في حالة تركه للحس ولجوئه إلى العقل بأنه: "إذا نظر في العقل تراءى له نور من عالم القدس، تسموبه النفس، وهو يسمو على الحس، ثم إذا رأى إشراقه على كل كلي وجزئي، ومرئي وغير مرئي، ازداد إقبالا عليه وركونا إليه"، ورغم هذه الأهمية التي يتوفر عليها العقل إلا أنه قد لا يوثق به هوالآخر، لأنه إذا لم يكن له ضابط يقيده قد يؤدي إلى الخطأ، فقال عنه: "إذا أنشط من عقاله عرف أنه غلا في مقاله، وتجاوز حده ولم يقف عنده، وأنه نظر بعين الهوى فهوى فيما فيه هوى"، فهو يرى أن هذا العقل لا بد له من سند يستند إليه وهو الخبر الصادق المتمثل في الوحي، لهذا يقول: "أول ما يلزمه في هذا الطريق أن يكون عنده محك للنظر، ومعيار للعلم ليزن بالقسط، ولئلا تدخل عليه الشبهة، فيلتبس عليه ما هو كالذهب بما هو كالشبه"[1].

وهنا يتميز طاهر الجزائري بمنهجه التوفيقي بين العقل والنقل، وأن تدريس العقيدة يحتاج إلى استعمال المبادئ العقلية للاستدلال على صحة مسائل العقيدة، وهذا ما يحتاج إليه الطالب والمعلم والداعية في خطابه، ولذلك فهو يرى تكامل النظر العقلي مع الوحي[2]، ويؤكد ذلك في قوله: "إعلم أن العقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل... ممثلا لذلك بالأساس والبناء، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء، ولن يغني أساس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس".

III. 3.2. التبسيط وعدم التعقيد:

تميز طاهر الجزائري في عرضه لقضايا العقيدة بطريقة تعليمية تربوية بعيدة عن الطابع التنظيري والفلسفي المعقد وهذا راجع إلى وضيفة الكتب المدرسية التي ألفها، فلم نجده يثير الجدل في مسائل اجتهد في مناقشتها سواء في كتب السلف أومع بعض العلماء في عصره، بل اكتفى بعرض أصول الإيمان في كتابه "الجواهر الكلامية"، فجاء هذا الكتاب في شكل سؤال وجواب، لكون كتاباته كتابات مدرسية بالدرجة الأولى وهي طريقة نادرة في الكتابة في العقيدة على هذا النحو خاصة في عصره.

[1] طاهر الجزائري، **الجواهر الكلامية**..، مصدر سابق، ص-ص 60-65.

[2] مرزوق العمري، المرجع السابق، ص 56.

ومن المعلوم أن الكتابات المدرسية يراعى فيها الطابع البيداغوجي التربوي والأكاديمي، مثل ما يعرف في المناهج الحديثة، وقد جاء على هذا النحو كتابه الجواهر الكلامية، فهو كله سؤال وجواب، فعلى سبيل المثال نجده يسأل "ما أركان العقيدة الإسلامية؟.. ويجيب: أركان العقيدة الإسلامية ستة أشياء، وهي: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بملائكته، والإيمان بكتبه، والإيمان برسله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر"[1]، وفي هذه الإجابة دليل على بعد طاهر الجزائر عن التنظير والتعقيد في دراسة مسائل العقيدة، فمن المعلوم عند علماء العقيدة أن مسألة القضاء والقدر من أصعب المسائل وأعقدها، إذ أنها أثارت جدلا كبيرا عند القدامى وأسفرت على بروز ثلاث نظريات في هذا الموضوع هي: نظرية الجبر التي قالت بها الجهمية، ونظرية الخلق التي قالت بها المعتزلة، ونظرية الكسب التي قال بها الأشاعرة[2].

وإذا عدنا إلى طاهر الجزائري فلا نجد الحديث عن هذه النظريات، ولا إلى طرحها من وجهة نظر جديدة، فنجده يسأل مرة أخرى: "كيف الاعتقاد بالقضاء والقدر؟ ويجيب: بأن نعتقد أن جميع أفعال العباد، سواء كانت اختيارية مثل القيام والقعود والأكل والشراب، أواضطرارية مثل طول الإنسان، وقصره، وبياضه وسواده، فهي كائنة بإرادة الله تعالى وتقديره في الأزل وعلمه بها قبل وقتها"[3]، والملاحظ هنا أن التبسيط إحدى خواص منهج الشيخ الطاهر في تعاطيه مع مسائل العلوم بشكل عام، بل اعتبر من أهم أعماله الإصلاحية فمن أجلّ أعماله تبسيط العلوم الشرعية، وعرضها على الناشئة بأسلوب جذاب، يدفع العقول إلى التفكير[4]، وعن هذه الخاصية – تبسيط الكتب– التي طبعت كتابات الشيخ الطاهر الجزائري بشكل عام ومنها كتاباته في مجال العقيدة عن هذه الخاصية قال عبد الفتاح أبوغدة: "إن الشيخ رحمه الله كان بارعا في رسائله وكتبه التعليمية، ومن حيث قدرته على تذليل صعاب العلم وتقريبه للمبتدئين، ولا يحسن هذا كل كاتب، وكان محققا في كتبه الكبيرة ولم يكن كغيره كحاطبي ليل"[5].

[1] طاهر الجزائري، **الجواهر الكلامية**..، المصدر سابق، ص 73.

[2] مرزوق العمري، المرجع السابق، ص 57.

[3] طاهر الجزائري، **الجواهر الكلامية**..، المصدر سابق، ص 91.

[4] طاهر الجزائري، **الجوهرة الوسطى**، مصدر سابق، ص11

[5] عبد الفتاح أبوغدة، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، ج1، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، 1995م، ص 41

ومن وجوه هذا التبسيط الذي تميزت به طريقته في عرضه لقضايا العقيدة الابتعاد عن أساليب المتكلمين ومصطلحا تهم التي تستدعى تخصصا نوعيا لفهمها، لقد كان بعيدا عن ذلك واكتفى بالتركيز على أصول الإيمان وأركانه، وهذا نجده خاصة في كتابه الجواهر الكلامية إذ أنه لم يزد عن أركان الإيمان التي تضمنها حديث جبريل[1] وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

لقد اكتفى بهذه الأركان، أما غيرها فقد كان يرغب في الابتعاد عنه وتركه، ولذلك حينما تحدث عن مسألة جوهر الفرد، وهي من أهم المسائل التي ناقشها المتكلمون، استحسن عدم الخوض في مثلها خشية القول بغير علم وذكر القاعدة النفيسة عند أهل النظر: "خذ من زمانك ما صفا ودع الذي فيه الكدر"[2].

III. 4.2. تجاوز الخلاف:

من ملامح نظرته في فهم ودراسة العقيدة الإسلامية تجاوز الخلاف؛ هذا ما فعله طاهر الجزائري حينما تجاوز الخلافات المذهبية وقدم أصول الاعتقاد كما هي مستوحاة من نصوص القرآن والسنة، دونما خوض في هذه الخلافات، وهذا تماشيا مع المنحى التربوي الإصلاحي الذي كان الإطار العام الذي جاءت فيه كتاباته، فلم نجد ذكره لفرقة معينة وتصويبها وتخطئة الفرق الأخرى، ولم نجد ذكره للمسائل التي شذت فيها بعض الفرق وخالفت فيها غيرها، ولم نجد أيضا توظيف الأحكام من تفسيق، أوتبديع، أوتكفير... أوغير ذلك، بل كان نقده موجها لغير المسلمين[3].

فمثلا حينما تكلم عن ثنائية الوحي والعقل لم نجده يذكر طائفة من الطوائف الإسلامية ممجدة للعقل وأخرى مناوئة له، بل ذكر غير المسلمين من يثير هذه الشبهة التي تزعزع يقين المسلم ويرد عليها فيقول: ".. وطائفة قالت تتبعنا الشرائع فوجدناها مشتملة على ما ينبوعنه العقل فعلمنا أنها ليست من عند الله، والجواب على ذلك أنهم: "إن أرادوا بما ينبوعنه العقل ما يدل برهان العقل على استحالته كخلق الله تعالى مثله والجمع بين ضدين فهذا ما لا يرد به الشرع، وإن أرادوا به ما يقصر العقل عن إدراكه، ولا يستقل بالإحاطة بكنهه فهذا

[1] حديث جبريل –عليه السلام– رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان والإسلام. ينظر: **صحيح مسلم**، ج2، ط1، دار ابن حزم، بيروت (1416هـ/1995م)، ص46-47.

[2] مرزوق العمري، مرجع سابق، ص57.

[3] نفسه، ص 58.

لا يوجب هذا الإنكار، فليس كل ما يدركه العقل محالا في نفسه.."[1]، وهذا تماشيا مع طبيعة العمل الإصلاحي الذي جاءت في إطاره المقررات الشرعية التي وضعها طاهر الجزائري، لأن من أهم أهداف العمل الإصلاحي الحفاظ على وحدة المسلمين وعلم العقيدة أول العلوم التي يعول عليها في ذلك.

III. 5.2. منهجه في تأويل النصوص:

من ملامح نظرة طاهر الجزائري في تدريس العقيدة وتبسيطها تركه للتأويل، اقتداء بمذهب السلف من أمثال ابن تيمية، معتبراً مذهبهم هو المذهب الحق، ولذلك نجده حينما تحدث عن الصفات مثل صفة الاستواء الواردة في قوله تعالى: **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (5) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (6)**[2] بين موقفه فقال: "والأصل في هذا الباب أن الصفات كالذات، فكما أن ذات الحق سبحانه ثابتة حقيقة من غير أن تكون مشابهة لذوات الخلق، كذلك صفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون مشابهة لصفات الخلق"[3].

واستدل طاهر الجزائري على ذلك من خلال قياسه الصفات على بعضها بعضا فقال: " فإن قال قائل: لا أعقل استواء ولا نزولا إلا في الأجسام بناء على ما أدركه في الشاهد، قالوا له: كيف أدركت علما وقدرة في غير الأجسام وأنت لا ترى في الشاهد غير الأجسام؟ فإن كنت لا تبني إلا على ما تشاهد فالحال في النوعين واحد، فكيف أولت الاستواء والنزول، ولم تؤول العلم والقدرة، فإما أن تؤول في النوعين، أوتترك التأويل فيهما مثبتا لهما على وجه يليق بكمال ذي الجلال وجلال ذي الكمال "[4].

والأمر نفسه حينما تحدث عن صفتي الرحمة والغضب وعرض فيهما رأي الخلف وانتقده ثم عرض رأي السلف ورجحه واعتبر أن ذلك هوالطريق الموصل إلى الحقيقة فقال: "من عرف الدخول في هذه الطريقة نجا من غوائل المجاز، ووصل إلى الحقيقة.."[5].

---

[1] طاهر الجزائري، **الجوهرة الوسطى**، المصدر سابق، ص 111.

[2] سورة طه، الآيتين: 5-6.

[3] طاهر الجزائري، **الجوهرة الوسطى**..، المصدر سابق، ص 100.

[4] نفسه، ص 110.

[5] نفسه، ص 103.

IV. الإسهام الفكري والعلمي للجزائريين في المشرق:

ساهم العديد من الجزائريين بإنتاجهم الفكري والعلمي في المشرق العربي، وبرعوا في التأليف في مختلف العلوم النقلية منها والعقلية، وكانت لهم جملة من المؤلفات، أثروا بها المكتبات العربية والإسلامية، منها ما تم نشره، ومنها من بقي مخطوطا لم يتم نشره، وفيما يلي نسوق بعضا من أشهر المؤلفين، ونذكر بعضا من مؤلفاتهم:

– **أحمد بن محي الدين بن مصطفى**، شقيق الأمير عبد القادر، ألف كتاب: نثر الدرّ وبسطه في بيان كون العلم نقطة، تم طبعه بالمطبعة الأهلية في بيروت سنة 1324هـ، على نفقة نجله محمد بدر الدين الحسني الجزائري.

– **محمد سعيد بن محي الدين الحسني الجزائري**، ألف كتاب إتقان الصنع في شرح رسالة الوضع، طبع في مطبعة جريدة بيروت، في بيروت، دون سنة طبع.

– **محمد بن محمد المبارك**: ألف كتاب غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء، سنة 1884 بدمشق، وكذلك كتاب: نظرة النهار في محاورة الليل والنهار، تم طبعه في بيروت، سنة 1893.

– **طاهر الجزائري**، جاءت مؤلفاته متنوعة، وذلك لتنوع اهتماماته العلمية، فبالإضافة إلى العناوين التي ذكرناها سابقا التي تخصصت في المناهج التعليمية للمتمدرسين، نجد له العديد من المؤلفات، نذكر منها:

01/ إتمام الأنس بعروض الفرس.

02/ أشهر الأمثال، أو أمثال العرب، لعله نفس الكتاب.

03/ الإلمام بأصول سيرة النبي عليه السلام (خ) (أي المخطوط منها).

04/ أمنية الألمعي (؟)

05/ التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، الذي جاء مقدمة لتفسيره (حققه عبد الفتاح أبو غدة).

06/ تدريب اللسان على تجويد البيان.

07/ التذكرة الطاهرية، وهذا الكتاب يحتوي (25) دفترا، وذكر أن مجموعها هو 100 دفترا ؟

08/ تفسير القرآن الكريم: جاء في أربع مجلدات، وهو مخطوط في المكتبة الظاهرية[1].

– محمد سعيد بن علي بن عبد القادر: كان الأمير محمد سعيد مولعا بالشعر والأدب، وكان مولعا بالكتابة والتأليف، وكان بينه وبين العديد من الأدباء مراسلات نشرت بعضها في الصحف اللبنانية، وعلى سبيل المثال أرسلت إليه الأديبة "مي زيادة" سنة 1921 رسالة عن مزايا جده الأمير عبد القادر، وله العديد من المؤلفات نذكر منها:

01/ تاريخ حياة طيب الذكر الأمير علي بن الأمير عبد القادر (ملك الأقصاع المغربية وسلطان الأرباض الجزائرية)، صدر عن مطبعة الترقي، دمشق، 1918.

02/ مذكراتي عن القضايا العربية العالم الإسلامي، تم إصداره عن مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.

– سليم الجزائري: ترك سليم الجزائري كتابين، يدلان على عمق ثقافته، وعلى أصالته تفكيره، فقد كان إلى جانب ثقافته السياسية والأدبية والعسكرية فيلسوفا منطقيا ومؤرخا، والكتابين هما:

01/ الأول بعنوان: ميزان الحق، عثر عليه في المكتبة الظاهرية بدمشق، المكتبة التي أسسها عمه طاهر الجزائري، وهو كتاب في علم المنطق، تحدث عن نفسه في مقدمة سريعة يشير فيها إلى أصوله الجزائرية القبائلية، وقد طبع الكتاب في دمشق بعد وفاته سنة 1920.

02/ أما الكتاب الثاني، فقد طبع في القاهرة، وهو كتاب يؤرخ لحادثة رمضان في المسجد الأموي، ولم يتم العثور عليه بعد[2].

بالإضافة إلى هؤلاء من بلاد الشام، هناك جزائريين أسهموا بمؤلفاتهم في البلاد العربية والإسلامية، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم: محمد المكي بن عزوز الذي كان مهاجرا في استانبول، وقد برع ابن عزوز في مختلف العلوم والفنون، وحوى صدره معارف جمة، فكان أشبه بموسوعة علمية حوت بين دفتيها كل عجيب وطريف ونادر، وإذا ما أردنا وصف مؤلفاته فقد شهد المترجمون له بالبراعة في التأليف والإكثار منه، ويقول عنه الأستاذ محمد محفوظ في كتابه تراجم المؤلفين التونسيين: "... وهو من أكثر المؤلفين تأليفا في القديم والحديث،

[1] للمزيد حول مؤلفاته، ينظر: طاهر بن صالح السمعوني الجزائري، **تذكرة طاهر الجزائري**، تح: محمد خير رمضان يوسف، مج1، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص-ص 14-16.

[2] سهيل الخالدي، **دور الجزائريين..**، مرجع سابق، ص 68.

ولا يقاربه في كثرة الإنتاج من المعاصرين إلا الشيخ محمد المرزوقي وتآليفه استقصاها البغدادي في كتابه إيضاح المكنون[1]، وعليه المعول في حصرها، وذكر له الأستاذ محمد محفوظ ستة وثمانون مؤلفا.

ويقول محمد الخضر حسين –وهو ابن أخت المكي بن عزوز– في كتاب (الرحلات): " ولفضيلة الأستاذ الشيخ سيدي محمد المكي بن عزوز تآليف في مواضيع متعددة أطلعني على بعضها، ومن أنفسها رسالة في العمل بالحديث، وأنه حجة وفي تقرير الأحكام ".

أما عن أسلوبه في الكتابة والتأليف فيصف ذلك تلميذه محسن زكريا قائلا: " أما تحاريره، تحارير عالم أديب مفكر، لا يرتكب الكلفة والتعقيد، ولا يلقي بنفسه في محسن السجع والتجنيس، بل يأخذ فيشرحه تشريحا، ليس هو بالمضل ولا الممل، حتى يختل للسوقي أن في استطاعته الإتيان بمثله، وهذا بعينه الحدّ الذي حدّ به ابن المقفع عندما سئل عن الفصاحة إذ قال فيما معناه: " هي أن يأتي المتكلم أو الكاتب بكلام فيحسب الجاهل أنه يحسن مثله ".

ويقول عن ذلك الشيخ الحفناوي –وهو خال المكي بن عزوز–: " وتآليفه تكتب بماء الذهب، ولهذا كان الطلب إلى كتاباته قويا[2]، وما يدل على ذلك مثلا ما قاله ابن عزوز في مقدمة كتابه (هيئة الناسك): " وقد سئلت عن هذه المسألة مرارا، فتأكدت الإجابة صدعًا بالحق إن شاء الله، أما كتابه (الأجوبة المكية) فكان سبب تأليفه سؤال منظوم من بعض علماء البلد الحرام جاء فيه:

من نرتجي للدين يكشف غمه عمت على الإسلام بالإغماء

غير (ابن عزوز) إمـام الهـــدى بالحق يفتي لا بأخذ رشـــــاء

وفي كتابه (النفحات الرّحمانية) فيقول: "... فذاع ذكره بين الإخوان إلى أقاصي البلدان، حتى ألحّ علي في الطلب جمّ غفير من فضلاء الزمان، من العلماء والأدباء والمشايخ ومن لهم رغبة في الذكر والتذكير لأهل الإيمان

[1] ينظر: إسماعيل البغدادي، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تصحيح: محمد شرف الدين، ج2، طبعة بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ت، ج1، ص150.

[2] محمد بلقاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مصدر سابق، ج1، ص455.

..."، أمّا كتابه (السّيف الرّباني) فقال الشيخ في خاتمته: " وقد حالت أعذار بين تأليفه وتبيضه، حتّى اشتاقت الأصحاب إلى إتمامه، وكاتبوني عليه من أفاضل الزّمان وأعلامه "[1].

كما ألّف ابن عزوز في فنون العلم المختلفة، كالحديث وعلوم القرآن والفقه والتوحيد والتصوف والفلك والأدب والشعر والسيرة والتاريخ وغيرها، وبذلك يكون قد أثرى الثقافة العربية والإسلامية بعدد وافر من التّصانيف القيّمة في علوم شتّى[2]، غير أنّ أغلب تآليفه جاء على شكل منظومات وجيزة وفتاوى مفردة ورسائل قصيرة في فنون العلم المختلفة، وهذا هو الطابع العام على المؤلفات في عصر المؤلف[3]، وفيما يلي قائمة ببعض من مؤلفاته، التي اعتدنا فيها على ورقة بخط يده تحمل عنوان التآليف المكية، عثرنا عليها بزاوية الهامل – بوسعادة–[4]، وكان معروفا على المكي بن عزوز أنه غزير التأليف –كما ذكرنا–، وقد بلغ عدد مؤلفاته التي أمكنني معرفتها مائة وعشرين مؤلّفا، بين رسالة وكتاب، سواء المطبوع منها أو المخطوط، فهو من المكثرين في التأليف في العصر الحديث، وهناك إشارة إلى وجود مؤلفات أخرى لابن عزوز لم يتم العثور عنها، ومن ذلك ما ذكره الأستاذ علي الرضا الحسيني عندما قال: "... ولم أتصل بالمؤلفات المخطوطة رغم البحث والمتابعة والمراسلات العديدة مع المؤسسات المختصة ..."، ولعل فقدانها الآن يعود إلى غربة الشيخ في استانبول بتركيا ووفاته هناك دون أهل أو ولد إلى جانبه يحفظ التراث من الضياع، وفيما يلي نسوق بعضا منها[5] على سبيل المثال:

01/ بطاقة العقائد: منظومة ألفها الشيخ سنة 1298هـ، تتكون من خمسة عشر بيتًا، نشرها رضا الحسيني في كتابه عن حياة المكي بن عزوز.

02/ ديوان ابن عزوز "شعاع الأدب": أوّل من ذكر أن للشيخ المكي بن عزوز ديوانا شعريا مجموعا هو إسماعيل باشا البغدادي، وقد يكون هذا الدّيوان من جمع الشيخ نفسه أودع فيه اغلب قصائده خشية التناثر والضياع، وقد طبع كتابان في جمع شعره، الأول (ديوان محمد المكي بن عزوز) للأستاذ علي الرضا الحسيني، دار الفرابي،

[1] ينظر: هشام ذياب، **محمد المكي بن عززوز، حياته–مواقفه وآثاره**، مذكرة ماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف –المسيلة، الجزائر، 2014/2013، ص 111–112.

[2] هشام ذياب، المرجع السابق، ص 112.

[3] محمد بن عزوز المكي، **هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك**، دراسة وتحقيق د. نقل بن مطلق الحارثي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص18.

[4] ينظر صورة للمخطوط في الملحق الأول، رقم 07.

[5] للمزيد حول مؤلفات المكي بن عزوز، ينظر: هشام ذياب، المرجع السابق، ص–ص 113–124.

والثاني كتاب (الديوان البرجي) للأستاذ عبد الحليم صيد، دار الخليل القاسمي، وقد بلغ مجموع الأبيات فيه نحو 2063 بيت بين قسم التّصوف – الرثاء – المدح – الإخوانيات – التقاريظ وقسم المتفرقات[1].

03/ هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك[2]: طبعت الرسالة بمطبعة روشن باستانبول عام 1910م، وطبعت للمرة الثانية ضمن كتاب "مرشد الخائض في صلاة السّادل والقابض" بمصر عام 1963م.

04/ عمدة الإثبات في الاتصال بالفهارس والإثبات، يعلق عليه عبد الحي الكتاني قائلا: " وعمدة الإثبات التي هي أفيد وأوسع ما كتب في هذه الصناعة ألفها باسمنا عام 1330هـ بالآستانة[3] –ولعلها آخر ما ألف–.

بالإضافة إلى العديد من المؤلفين والمؤلفات التي لا يتسع المقام لذكرها جميعا، إلا أن النماذج التي سقناها تعبر عن الرصيد المعرفي والفكري والعلمي للجزائريين في بلاد المهجر، وتؤكد مدى إسهاماتهم في مجال حركة التأليف والتعليم في المشرق العربي.

ثالثا: النشاط الثقافي والأدبي للجزائريين في المشرق العربي:

لا ريب أن نوعية الشخصيات والأسر التي غادرت الجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين باتجاه المشرق العربي، كانت في الغالب على مستوى من العلم والثقافة والرقي والمنزلة، وقد صادف وجودها هناك حالة من الركود الثقافي والعلمي، خاصة في بلاد الشام، رغم أن المنطقة كانت تشهد حركة إصلاحية، قادها العديد من رجال الإصلاح، وظهور ما يعرف بحركة التنوير، أوما يعرف باليقضة العربية، التي كانت بوادرها واضحة في مصر، وعليه وجدت النخبة الجزائرية نفسها تتفاعل مع الأحداث، فكان لها دور كبير في الحركة العلمية والثقافية في المشرق، فبرزت العديد من الشخصيات التي أسهمت بإنتاجها العلمي والثقافي الحياة الفكرية في المنطقة، وفيما يلي سنتعرض إلى نماذج من تلك المساهمات.

---

[1] حول الموضوع يراجع: عبد الحليم صيد، **ديوان البرجي**، دار الخليل القاسمي، الجزائر، ص39-57.

وأورد أبو القاسم سعد الله رواية مفادها أن ديوان الشيخ المكي بلغ حوالي ثلاثة آلاف بيت، غير أنه اعتمد على رواية شفوية غير محددة المصدر، والظاهر أنه استسقاها من محمد علي دبوز في كتابه:" نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة".

[2] الكتاب طبع في حياة المؤلف وأحدث ضجة كبيرة عند أصحاب التعصب والتقليد من أهل المذهب المالكي الذين يرون أن السدّل في الصلاة هو مذهب الإمام مالك – رحمة الله تعالى–

[3] محمد المكي بن عزوز، **مخطوط عمدة الإثبات**، مكتبة زاوية علي بن عمر (الزاوية العثمانية)، طولقة، دون رقم. ينظر كذلك: عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات**، تح: إحسان عباس، ج.3، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص477، وكذلك: علي الرضا الحسيني، **المكي بن عزوز، حياته وآثاره**، الدار الحسينية، سوريا، 1997، ص28

I. نشاط الجزائريين ودورهم في الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية:

عرفت فترة نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين نشاطا جمعويا كثيفا في المشرق العربي، ولأن المجال الذي فتحته المنطقة للنخبة الجزائرية رحبا وواسعا، فقد انضم الجزائريون للعديد من هذه الجمعيات، وإن كان بعضها ظاهره ثقافي اجتماعي، وحقيقته سياسية تعبر عن توجه معين، ولعبت النخبة الجزائرية دورا هاما في تأسيس هذه الجمعيات وتوجيهها، ونشاطهم من خلالها، من أهمها:

I. 1. الجمعية الخيرية الإسلامية:

بدأ الشيخ طاهر الجزائري حياته العملية معلماً في المدرسة الظاهرية الابتدائية وهوفي سن الثانية عشر من عمره، وفي هذه المدرسة بدأ الشيخ يطرح آراءه الداعية إلى الإصلاح، والأخذ بأسباب العلم كخيار لا بديل عنه لإنهاض المجتمع الإسلامي المشدود إلى الخلف، والذي عم فيه الجهل والتخلف[1]، ولإحساسه بمسؤوليته بالحياة العامة، وإيمانه الشديد بالقضايا التي تمسّ المجتمع الإسلامي؛ أسس جمعية علمية اجتماعية بالإشتراك مع الشيخ "علاء الدين عابدين" و"بهاء بك" مكتوبجي الولاية (أمين السر العام للوالي) وبعض العلماء والوجهاء في دمشق وأطلقوا عليها اسم (الجمعية الخيرية الإسلامية) دفعا لشبهة العمل السياسي، وكان ذلك سنة 1876، وقد ترأس هذه الجمعية "علاء الدين عابدين" وكان لهذه الجمعية أثرها في نشر اللغة العربية وافتتاح العديد من المدارس والرد الواضح على الدعوات التبشيرية التي كانت لها أصداؤها في بلاد الشام وقتئذ[2].

وفي تلك الأثناء شهدت ولاية سورية في عهد "مدحت باشا" حركة إصلاحية شملت كل نواحي الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية، وكانت فكرة الإصلاح نقطة الوصل التي أدت إلى اللقاء بين الوالي مدحت باشا والشيخ الطاهر الجزائري وذلك عندما استقر الوالي مدحت باشا في وظيفته على رأس الولاية وبدأ يبحث عن رجال أقوياء يشاركونه في مشروعه الإصلاحي[3]، وكان أمين سر الولاية "بهاء بك" قد سمع بالشيخ الطاهر الجزائري فقدمه إلى الوالي مدحت باشا فأعجب بأفكاره الإصلاحية وطلب منه أن يشاركه في وضع دعائم نهضة

---

[1] محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة، **علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري**، ج1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991، ص367.

[2] عدنان عمر الخطيب، المرجع السابق، ص69.

[3] الغالي غربي، **المساهمة الفكرية للمهاجرين الجزائريين في بلاد الشام –الشيخ طاهر الجزائري نموذجا–**، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830م_1962م، فندق الأواسي 30_31 أكتوبر 2006م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007م، ص115.

المسلمين وأساليب الإصلاح في الدولة العثمانية[1]، فلم يتأخر طاهر الجزائري في ذلك واقترح على الوالي الاعتماد على الجمعية الخيرية، فكتب لهذه الجمعية –بسبب أهميتها ونشاطها وانجازاتها– أن تتحول إلى (ديوان معارف) الذي أصبح جزءا من الإدارة العثمانية في ولاية سورية، وعين الشيخ الطاهر الجزائري مفتشاً عاماً لهذا الديوان نظراً لجهوده في تلك المرحلة من عمر الجمعية، فقام بعدة أعمال جليلة حيث قام بحملة تحسيسية وتوعوية من أجل إقناع الأولياء بتعليم أبنائهم وبناتهم فكانت النتيجة أن زاد الإقبال على التعليم وهذا كان سببا في إنتعاش الحركة التعليمية في بلاد الشام، كما أنشأ مطبعة حكومية قامت بطبع مئات المؤلفات العامة والكتب المدرسية التي اعتمدت كمقررات للتلاميذ والطلبة، وكان الشيخ مؤمناً –بشدة– أن مفتاح المواجهة مع الغرب هو"العلم"، وهكذا كان يجتهد في دفع المسلمين إلى العلم الذي يجمع بين العلوم الدينية والعلوم الطبيعية والعصرية[2]، فحظيت الجمعية التي أسسها الشيخ الطاهر الجزائري فيما بعد بدعم الوالي العثماني مدحت باشا، نظراً للدور المهم الذي تضطلع به، إذ زاد نشاطها وافتتحت العديد من المدارس في أنحاء البلاد لصد التبشير النصراني الاستعماري[3]، إذ كانت الجمعية تلعب دورا في مواجهة تحدي النشاط التعليمي للإرساليات التبشيرية الأجنبية التي بدأت تتوالى على دمشق بدءاً من إرسالية الآباء العازاريين سنة 1755 التي أسست مدرسة تابعة لها بعد عشرين سنة من وصولها إلى المنطقة.

I. 2. حلقة الفكر والأدب الكبرى:

كان للشيخ الطاهر الجزائري نخبة من أقرانه النبهاء والمفكرين يجتمعون حوله ويعقدون حلقات العلم والدراسة، وتألفت باجتماع أولائك الشباب أكبر حلقة أدبية وفكرية كانت تدعوا إلى تعلم العلوم العصرية، ودارسة تاريخ العرب وتراثهم العلمي وآداب اللغة العربية والتمسك بالمحاسن الدينية والأخذ بالصالح من المدنية الغربية، وكانت تلك الحلقة تدار أسبوعيا بعد صلاة الجمعة في منزل رفيق العظم التي اشتهرت بحلقة دمشق الكبرى[4].

[1] عدنان الخطيب، المصدر السابق، ص104-105.

[2] مرزوق العمري، المرجع السابق، ص51.

[3] سيد بن حسين العفاني، المرجع السابق، ص467.

[4] رغداء محمد أديب زيدان، المرجع السابق، ص 40.

لقد أوجدت الحلقة جوا من الوعي العربي وانتشرت مفاهيم التحرر والاعتزاز بالأمة العربية وبماضيها وتراثها العريق، وفي ذلك الجو تألفت حلقة ثقافية سياسية سرية بدمشق سنة 1903، واشتهرت بحلقة دمشق الصغرى، والتي تعتبر امتداد لحلقة الشيخ الكبرى، وكان الهدف الظاهري لتلك الحلقة دراسة تاريخ العرب وقواعد اللغة وآدابها ونشر العلم والمعرفة، أما الهدف الحقيقي فكان يتمثل في بعث الوعي بالعربي[1].

وقد تجاوز الشيخ طاهر الجزائري أسلوب علماء عصره في نشر العلم والدعوة إلى الإصلاح الذي يتميز بالتقليد والجمود الفكري والتأثر بالكتب الصفراء وإلقاء الدروس أوقراءة بعض الكتب الدينية في حلقات المساجد أوفي البيوت الخاصة، بل اعتمد أسلوب الحلقة الفكرية أوالندوة الفكرية ذات الطابع التجديدي العصري[2]، وبتلك المفاهيم تعتبر حلقة الطاهر الجزائري واجتماع النخبة المثقفة العربية من حوله نواة لتأسيس الجمعيات التي كانت تتبنى دعوات التي تطالب الدولة العثمانية باتخاذ نظام لا مركزي يضمن للعرب حقوقهم ويجعل اللغة العربية في الولايات العربية لغة رسمية في مدارس الحكومة ودواوينها ومحاكمها[3].

I. 3. حلقة دمشق الصغرى:

مما جاء في بعض المصادر التريخية أن الجمعيات التي تشكلت في المشرق العربي، كان وراءها دعوة الكواكبي وحلقة الشيخ الطاهر الجزائري اللتان كانتا قد مهدتا الطريق لتشكيل الجمعيات والمنظمات السرية لمقاومة الاستبداد التركي)؛ وأولى هذه الجمعيات كانت حلقة دمشق الصغرى، التي تعتبرها سليلة حلقة طاهر الجزائري الكبرى، وهي ذات طابع سياسي وثقافي سري وذلك منذ نشأتها سنة 1903، ومن بين أعضائها الأساسيين رفيق العظم وعبد الحميد الزهراوي وسليم الجزائري ومحب الدين الخطيب، وهؤلاء الشباب وغيرهم من أتباع وتلامذة الشيخ الطاهر الجزائري، حيث انتقل البعض منهم إلى بيروت واتصلوا بكل من عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني والأمير عادل أرسلان[4]، فكانت وجهتهم الحقيقية مطالبة الدولة العثمانية باتخاذ نظام لامركزي يضمن للعرب حقوقهم[5].

[1] عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص 195-196.
[2] حازم زكريا محيي الدين، مصدر سابق، ص 41.
[3] عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص 196.
[4] علي الحافظة، مرجع سابق، ص 133-134.
[5] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 196.

ويصف محب الدين الخطيب الدوافع التي دفعت به وبإخوانه في إنشاء الجمعيات السياسية والأحزاب وخاصة جمعية النهضة العربية بأنهم كانوا يؤمنون بأن العروبة أكرم عناصر الجامعة العربية، وأن الدولة العثمانية ارتكبت خطأين أولهما التفريط في اللغة العربية كلغة رسمية، والثانية تجاهل ما كان يقع في الغرب من نهضة[1]، وهي الأفكار نفسها التي نادى بها الشيخ الطاهر الجزائري.

I. 4. مشاركة الجزائريين في الجمعيات النشطة بالمشرق العربي:

- جمعية النهضة العربية:

تأسست سنة 1906 بإستانبول من طرف عبد الكريم قاسم الخليل وشكري الجندي، وانتخبت محب الدين الخطيب رئيسا لها في الأستانة ثم دمشق، وتعتبر جمعية النهضة العربية أول جمعية قومية كانت أعمالها تصدر عن اتجاه وطني راسخ، وكان لها أكبر الأثر في بث الشعور العربي، نقل مقرها سنة 1907 إلى دمشق بعدما اكتشفتها السلطة العثمانية، وكان تأسيسها بتشجيع من الشيخ طاهر الجزائري، وضمت الجمعية أولئك الرجال الذين تربوا في المدرسة القومية للأمير عبد القادر وتلامذته من أمثال "جمال الدين القاسمي" و"عبد الرزاق البيطار"، فكانت تلقى فيها دروس اللغة العربية كل أسبوع، وكانت غايتها إحياء اللغة العربية، ومن أعضاء الجمعية البارزين محب الدين الخطيب، وعارف الشهابي، وعثمان مردم، ولطفي الحفار، وصالح قنباز[2]، وصلاح الدين القاسمي، ورشيد الحكيم، وجورج حداد، وسامي العظم، وصلاح الدين العظم، ومحمد جمال الحفار، وفائز الشهابي، وعارف الشهابي، وسليم السمعوني الجزائري، وعبد الرحمن الشهبندر، والضابط أسعد الطرابلسي، ورشيد الشمعة.

فكان الجزائري "الشيخ طاهر السمعوني" من أصحاب الفكرة ومن الذين شجعوا الشباب، وكانت أهداف جمعية النهضة العربية في دمشق هي رفعة العرب ومجدهم ونشر اللغة العربية، ويقول في ذلك د. علي سلطان: "... ومن الإتجاه العربي الإسلامي ظهرت الحلقات حول بعض الشيوخ من رجال الدين والمفكرين منهم الشيخ طاهر الجزائري في دمشق، وقد كان الشيخ يعمل على نشر فكرة القومية العربية الإصلاحية والتعريف بها .. ومن رجال هذه الحلقات جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار وسليم الجزائري وشكري العسلي وعبد الوهاب

[1] عدنان الخطيب، مصدر سابق، ص 45.

[2] للمزيد ينظر: الشهابي، **القومية العربية**، مرجع سابق، ص54.

المليحي ومحمد علي مسلم وعبد الرحمن الشهبندر وفارس الخوري،.. وكانوا يجتمعون بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع في دار رفيق العظم.."، ويضيف ذات المصدر: ".. وأخذت العيون تنفتح على الحقائق القومية، وخاصة.

- **جمعية الإخاء العربي–العثماني:**

تعتبر هذه الجمعية من الجمعيات القومية العربية في العهد الدستوري بين 1908–1914، فإضافة إلى الجمعيات التي ذكرنا سابقا تشكلت مجموعة من الجمعيات في الفترة الواقعة بين إعلان الدستور العثماني (الثاني) في 10 جويلية 1908 وقيام الح.ع.I، فبعد الإعلان عن الدستور في الدولة العثمانية، استقبل العرب كغيرهم من شعوب الإمبراطورية العثمانية الدستور العثماني الجديد بفرح وحماسة عظيمين، والتفوا وراء "جمعية الإتحاد والترقي" التي كانت تضمّ عددا من كبار الضباط العرب، وشارك العرب في الإنتخابات النيابية التي أعقبت إعلان الدستور، وأنشأ بعض النواب والأعيان العرب "جمعية الإخاء العربي–العثماني" في الآستانة يوم 1908/09/02، وافتتحوا ناديا يحمل هذا الإسم، فكانت أول جمعية علنية عربية تأسست بعد إعلان الدستور، أمّا أعضاء الهيئة الإدارية للجمعية فهم: "الأمير محي الدين الجزائري" و"أحمد ظافر" و"إلياس رسام" و"الشريف جعفر" و"زكي مغامز" و"شاكر الأتاسي" و"شبيب الأسعد، و"شفيق المؤيد العظم" و"شكري الأيوبي" و"شكري الحسني" و"صادق المؤيد العظم" و"عارف المارديني" و"عبد الله الحيدري" و"عمر أشرف" و"محمد عبود" و"محمد المخزومي" و"مسعود الكواكبي" و"منشئ أفندي" و"ندره المطران" و"الدكتور يوسف رامي" و"يوسف شتوان".

ويقول صاحب كتاب "تاريخ جبل عامل" عن هذه الجمعية: "... تألفت هذه الجمعية في الآستانة عقب إعلان الدستور سنة 1908، ومؤسسها الأمير "محي الدين الجزائري" ومعه "صادق باشا المؤيد" و"شفيق بك المؤيد" و"شكري باشا الأيوبي" و"يوسف بك شنوان" و"شكري باشا بك"[1]، وعن أهداف الجمعية فهي:

- المحافظة على القانون الأساسي ووقايته من كل خلل.
- تفهيم أبناء العرب وسائر العثمانيين أن الوطن العثماني لا يقبل التجزئة ومقاومة التفرقة.
- تمتين الروابط بين العرب وسائر الأقوام العثمانية.
- التمسك بالعرش العثماني والإخلاص لمقام الخلافة الإسلامية.

- السعي لإعلاء شأن العرب والعربية ضمن الجامعة العامة العثمانية وإنالة أبناء العرب على اختلاف مذاهبهم ما منحتهم المساواة الدستورية من حق إحراز الوظائف والمناصب وغير ذلك من الحقوق المشروعة.
- السعي لنشر المعرفة بين أبناء العرب، وذلك بتأسيس المدارس وطبع الكتب والرسائل والصحف.
- حث أبناء العرب على التعاون مع سائر العثمانيين لتأسيس الشركات التجارية والصناعية والزراعية.
- مساعدة أبناء العرب وإغاثة فقرائهم ومرضاهم وأيتامهم وأراملهم[2].

ورافق تأسيس هذه الجمعية في شهر سبتمبر 1908 الإحتفال بوصول الخط الحديدي الحجازي إلى المدينة المنورة، وتعيين "الشريف حسين بن علي" أميرا على مكة[3]، ومن خلال أهداف الجمعية يتضح أنّها ركزت في مبادئها على المحافظة على الدستور، وتمتين الروابط بين العرب والعثمانيين، وإعلان شأن العرب والعربية، ونشر المعرفة وتأسيس المدارس وطبع الكتب والرسائل والصحف، وحصول العرب على الوظائف والمناصب، ونشر روح الإخاء والتعاون بينهم وتأسيس الشركات التجارية والصناعية والزراعية.

ومن الواضح أن هذه الجمعية كانت على قيد خطوة من استعمال كلمة الاستقلال، وكان ذلك من خلال نشاطها بالتركيز على التنمية العربية وتهيئة الظروف لتلك الخطوة..، وهي مأخوذة من فكرة الأمير عبد القادر في القرن التاسع عشر ((امبراطورية عثمانية بتاجين عربي وتركي))، ولذلك كانت مثلها مثل الأمير عبد القادر تثق في السلطان ولا تثق برجاله، وخاصة الطورانيين، ومع أنها استفادت في تأسيسها من إعلان الدستور في 1908، إلا أنها وقفت مع السلطان عبد الحميد ضد الطورانيين..، ومع أنها كانت تعلن الولاء للخلافة الإسلامية في الآستانة، إلا أنّ الأتراك الطورانيين من جماعة "الإتحاد والترقي" جاؤوا ومعهم برنامجهم الذي يذلّون به العنصر العربي، ويمكّنون للصهيونية وأوربا في البلدان العربية، ونجد معظم المنتسبين إلى جمعية الإخاء العربي-العثماني قد أيدوا حركة عصيان 31 مارس 1909 التي قام بها أنصار السلطان عبد الحميد لإلغاء الدستور، فما كان من الإتحاديين بعد أن قمعوا العصيان إلا أن أغلقوا الجمعية وجميع فروعها في البلاد العربية[4]، ورأى

---

[1] محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1998، ص146.

[2] نص بلاغ الجمعية، "**العمران**"، م2، ج5، السنة12، عدد 382،، 1908/10/3، ص90-93. نقلا عن: علي المحافظة، **الاتجاهات** ..، مرجع سابق، ص136

[3] Antonius G, **The Arab Awakening**, p 30.

نقلا عن: علي المحافظة، المرجع نفسه، ص137.

[4] أحمد، قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت، 1956، ص10.

(الاتحاديون) في العرب خطرا على سيادة العنصر التركي، فسلكوا -بعد انقلاب عام 1909- طريق الشّدّة والعنف في معاملتهم معهم، فأصيب العرب كغيرهم من شعوب الإمبراطورية بخيبة أمل كبرى، وضاعت الآمال التي كانوا يعقدونها على إعلان الدستور، فتحول العرب إلى العمل في ((علنية مقنّعة))، ولجأوا إلى الجمعيات السرية بغية تحقيق مطالبهم[1]، الشاعر "سليمان التاجي الفاروقي" مخاطبا السلطان العثماني:

العرب لا شقيت في عهدك العرب سيوف ملكك والأقـلام والكتب

كنّـــا نعلل بالدستـــور أنفسنـــا بفارغ الصـــبر ذاك اليوم نرتقـب

حتى إذا جـاء لم يحدث لنا حدث ولا استجيب لنا في مطلب طلـب

وقال "عبد الحميد الرافعي" منددا باستبداد "جمعية الاتحاد والترقي":

لا تصلح الدنيـــا ولا ناسهـــا ما لم يل الأقـــوام أجناسهـــا

هبوا بني العـــرب إلى لم الكـرى وقد دها الآمـــال دهاسهـــا

طلبتم الإصـــلاح من عصبـــة توتر بالإفســـاد أقواسهـــا

تزعم حب الـــدين لكن كمـــا يروج السلعـــة دلاســـها

لـــوتألف القـــرآن ما حاربـــت لسانـــه حتى التوى فاسهـــا

وانحصرت مظالم العرب آنذاك فيما يلي:

- اقصاء عدد كبير من الموظفين العرب من المناصب الهامة التي كانوا يحتلونها في وزارتي الداخلية والخارجية.
- عدم دعوة العرب إلى أي اجتماع للتأليف بين العناصر العثمانية.
- الحيلولة دون وصول أي عربي من أعضاء "جمعية الاتحاد والترقي" إلى اللجنة المركزية للجمعية.
- عدم مشاركة الأعضاء العرب في الجمعية المذكورة في تقرير الأمور السياسية العليا والهامة.
- تحويل "جمعية الاتحاد والترقي" من جمعية عثمانية إلى جمعية تركية بحتة.
- انتزاع وزارة الأوقاف من العرب وإسنادها إلى وزير تركي بحيث لم يبق أحد من أبناء العرب في الوزارة.
- استبدال الولاة والمتصرفين والقضاة من أبناء العرب بولاة ومتصرفين وقضاة من الترك.
- معارضة الاتحاديين لكل مشروع علمي أوأدبي في البلاد العربية.

[1] لبيب، عبد الساتر، **التاريخ المعاصر، لبنان**، ط4، دار المشرق، بيروت، لبنان، ص32.

- مناهضة اللغة العربية[1].

- الجمعية القحطانية:

إزاء هذا الموقف المتعنت من الاتحاديين لجأ العرب إلى إنشاء الجمعيات السرية، فكانت أول جمعية سرية أنشأها بعض المثقفين والضباط سنة 1909 الجمعية القحطانية التي تأسست الجمعية في الآستانة في أواخر سنة 1909، وهناك خلاف بين الباحثين حول اسم مؤسسها، فيقول بعضهم أنه "عبد الكريم الخليل"، ويقول آخرون أنه "خليل باشا حمادة"، وأنه أسّسها حينما كان وزيرا للأوقاف بالاتفاق مع "عبد الحميد الزهراوي"، ويقول غيرهم بأن مؤسسها الحقيقي هو"سليم بك الجزائري"؛ وهي جمعية سرية وطنية، غايتها بث المبادئ الصحيحة بين أبناء الأمة، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف[2]، وكانت تهدف إلى نوع من الاستقلال العربي بتحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين، وهي الفكرة التي عمل لها المهاجرون الجزائريون الأوائل بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري.

ويشير "جورج انطونيوس في كتابه (يقظة العرب) إلى هذه الجمعية قائلا: "... وفي الوقت نفسه قامت الجمعيتان السريتان، أنشئت الأولى وهي (القحطانية) في أواخر سنة 1909 بعد إنشاء (المنتدى الأدبي)، وكان مؤسسوها من ذوي الجرأة والاقدام، وكان هدفها تحقيق مشروع جديد جريء وهوتحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين، وكانت هذه محاولة أخرى لحل المشكلة التي أوجدتها سياسة الاتحاديين المركزية، وذلك بأن تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية، وتكون اللغة العربية لغة معاهدها ومؤسساتها على أن تصبح هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركية – عربية، تشبه في تكوينها الدولة النمساوية المجرية...[3]، كما يشير ذات المصدر في هامش الصفحة إلى "سليم الجزائري" كمؤسس للجمعية القحطانية، وتتحدث الموسوعة السياسية عن الجمعية قائلة: "... بعد مدة وجيزة من تاريخ إنشاء المنتدى الأدبي، قامت الجمعية القحطانية السرية على يد جماعة أشد جرأة من جماعة المنتدى الأدبي، أما أهداف القحطانية فكانت إقامة

[1] علي، المحافضة، **الاتجاهات الفكرية..**، مرجع سابق، ص 138.

[2] كانت الإشارة الرمزية بين أعضاء الجمعية هي أن يضع المسلم على أحد أصابع يد المسلم ثم يضع السبابة والوسطى على الذراع الأيسر، ويخفي بقية الأصابع، ويهجئ كلمة ((هلال)) عند المحادثة، فإذا قال الأول (هاء) قال الثاني (لام)، ثم يقول الأول (ألف) فيقول الثاني (لام). ينظر: أمين سعيد، مرجع سابق، ص18.

[3] جورج أنطونيوس، **يقظة العرب – تاريخ حركة العرب القومية–**، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، بيروت، 1987، ص186.

امبراطورية تركية – عربية.. وكانت الجمعية متشددة في اختيار الأعضاء وفي التزام السرية لأنها أدخلت الضباط العرب كقوة فاعلة في الحركة الومية..."[1]، وأما أدهم الجندي فيقول عنها: "... تأسست الجمعية القحطانية في الآستانة سنة 1909، وقد أسسها عبد الحميد الزهراوي وعزيز علي المصري وسليم الجزائري، ثم انضم إليهم "حقي العظم" و"حسين حمادة" و"الدكتور عزة الجندي".. وانبثق منها ثلاث جمعيات مهمة في فترات مختلفة؛ فأسس عزيز المصري (جمعية العهد)، وانتمى إليها فريق من ضباط العرب، ومنهم "سليم الجزائري"، وبعد ذهابه إلى مصر أسس (جمعية الثمرية العربية)، كما أسس كل من "عبد الحميد الزهراوي" و"الشيخ محمد رشيد رضا" و"رفيق العظم" و"حقي العظم" و"الدكتور عزة الجندي" (حزب اللامركزية العثماني) في مصر، وقد انتشرت مبادئ الجمعية القحطانية بين شباب العرب وضباطهم في الجيش العثماني، وكثر عدد الداخلين فيها، وكان لكل واحد منهم أن يدخل عضوا بدون استئذان إلى المركز العام، وقد عاشت الجمعية حتى الح.ع.I

– جمعية "المنتدى الأدبي":

لم تعش جمعية الإخاء العربي – العثماني طويلا لأنها ولدت ضعيفة، ولأن التجانس كان مفقودا بين أعضائها، ولأن غاية بعضهم لم تكن خالصة لوجه الله والوطن، فاضمحلّت وحل المنتدى الأدبي محلها[2]، الذي أنشئ في خريف عام 1909 في الآستانة[3]، ومؤسسوه هم: "عبد الكريم قاسم الخليل" و"سيف الدين الخطيب" و"جميل الحسيني" و"يوسف سليمان حيدر" و"رفيق رزق سلوم –وهومسيحي– من حماه[4]، و"سليم الجزائري"، الذي يعتبر رجل الجمعيات السياسية الهامة في بلاد الشام والوطن العربي، حيث أسس ورفاقه –وأهمهم رئيسه "علي المصري"– عدة جمعيات في الآستانة هدفها تحقيق الاستقلال العربي، ومن أبرز الناشطين في المنتدى: "معين الماضي"، "عاصم بسيسو"، "رشيد ملحس"، "عزة الأعظمي"، وأيضا "عزة الجندي" و"سعيد الصلح" و"أحمد قدري" و"الأمير عبد القادر الجزائري" –الحفيد–، وجميعهم كانوا طلابا في الآستانة.

ومن المتعاطفين مع المنتدى يوجد كبار القوميين العرب منهم: "خليل حمادة" وزير الأوقاف، و"طالب النقيب" الزعيم العراقي، و"عزيز المصري" الضابط المصري المعروف في الجيش العثماني وهو صديق "سليم

[1] عبد الوهاب، الكيلاني، **الموسوعة السياسية**، ج1، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990، ص20

[2] أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى**..، مرجع سابق، ص16

[3] علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية**..، مرجع سابق، ص140.

[4] أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى**..، المرجع السابق، ص16.

الجزائري"، ومن النواب "رضا الصلح "و"رشيد الشمعة" و"شفيق المؤيد" و"شكري العسلي" و"عبد الحميد الزهراوي"[1].

وعن نشاط سليم الجزائري ضمن جمعية المنتدى الأدبي، فقد نشرت المقتبس في الصفحة الثانية من عددها رقم 37 تاريخ 13 فيفري 1909 عنه ما يلي: "... عين الكاتب البليغ البكباشي سليم أفندي الجزائري، أحد نوابغ ناشئتنا من رجال أركان الحرب مدرسا في المكتب الحربي في الآستانة..."، فكان أن تحدى الترك عي عاصمتهم، فأخذ يدرس تلاميذه في المكتب الحربي المذكور المعارك التي خاضها القادة العرب مثل خالد بن الوليد وغيره، كما كان يلقي محاضراته في المنتدى الأدبي عن الأدباء والمثقفين العرب القدامى، فزرع الشعور بالاعتزاز القومي بين الطلبة العرب في الوقت الذي كان فيه الأتراك يحقرون العرب، ويبدوا أن سليم الجزائري كان قبل ذلك عضوا في حزب "الاتحاد والترقي" ثم انفصل عنه حين ظهرت طورانية هذا الحزب وكراهيته للعرب، حيث يقول محمد جابر آل صفا: " كانت الجمعيات السرية التي تأسست قبل إعلان الحكم النيابي الثاني لمقاومة الاستبداد الحميدي تعمل كل واحدة منها منفردة عن الأخرى، وأهم هذه الجمعيات وأعظمها أثرا جمعية الاتحاد والترقي، وهي في الأصل جمعيتان، تأسست قبل الدستور بخمس عشرة سنة، أي سنة 1894، وضمت فريقا من الأحرار العثمانيين، منهم الكثير من ضباط العرب وأفذاذهم، أخصهم سليم بك الجزائري ((رئيس ألف)) أركان حرب، وعزيز بك علي المصري، وأمين بك لطفي، وكلاهما برتبة (بينباشي أركان حرب) وغيرهم[2].

هذا وكان المنتدى يشهد حفلات ومناسبات، تنشد فيها الأناشيد القومية والحماسية، وتلقى فيها المحاضرات في مآثر العرب وحقوقهم، فكان ذلك مما جعل الفكرة العربية جياشة في شباب العرب في الآستانة وخارجها، كما أصدر المنتدى مجلة باسمه، رئيس تحريرها "عزة الأعظمي"، وكان يكتب فيها الأدباء والشعراء والعلماء العرب عن كلّ ما يتصل بالعروبة، وكان له مكتبة ضخمة ومنزل ملحق به يأوي إليه الزوار العرب وملتقى للموظفين والنواب والأدباء والطلبة في العاصمة العثمانية، وأنشئت له فروع في سوريا والعراق، فساعد ذلك على توعية الناشئة، وبث روح القومية بينهم، وكان على اتصال وثيق برجال القومية العربية[3]، فكان (المنتدى) فوق الإقليميات والطائفيات، ومثالا للجمعية العربية والعنصر العربي، فقد التقى فيه السني والشيعي

[1] سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص150.

[2] جابر آل صفاء، مصدر سابق، ص147.

[3] علي المحاظة، **الاتجاهات الفكرية**..، مرجع سابق، ص140.

والدرزي والمسيحي والسوري واللبناني والفلسطيني والعراقي والحجازي والمصري والمغربي إخوانا هدفهم مجد العروبة، كما كان مركزا للنشاط القومي العربي ضد سياسة التتريك الطورانية، وضد الحركة الصهيونية المسيطرة على حزب الاتحاد والترقي الحاكم، فطارته السلطات العثمانية فيما بعد وأغلقت أبوابه عام 1915، وكان معظم الذين أعدمهم "جمال باشا" عام 1916 هم من أعضاء المنتدى والمنتسبين إليه[1].

– جمعية العربية الفتاة:

تعتبر الجمعية من أشهر الأحزاب أوالجمعيات السياسية العربية التي سعت للتخلص من الحكم العثماني، فقد رأى بعض الطلبة العرب الذين كانوا يدرسون في العاصمة العثمانية ضرزرة إنشاء منظمة سرية عربية إلى جانب (الجمعية القحطانية)، وفي عام 1909-1910 انتقل "عوني عبد الهادي" و"محمد رستم حيدر" والدكتور "أحمد قدري" من الآستانة إلى الشام ومنها إلى باريس من أجل التخصص، وتبعهم "رفيق التميمي" و"عبد الغني العريسي" و"جميل مردم" و"توفيق السويدي"، وكان فيها آنذاك "توفيق الناطور" و"محمد المحمصاني"، واستطاع هؤلاء أن يؤسسوا في باريس جمعية العربية الفتاة عام 1911.

وكانت الجمعية متشددة في تنظيمها السري، وكانت هيئتها الإدارية مؤلفة من ستة أشخاص، وتختار من قبل الهيئة العاملة التي تتألف بدورها من جميع الأعضاء الذين أضوا مدة التجربة وهي ستة أشهر، أما الأعضاء المنضمون حديثا إلى الجمعية فلهم هيئة ثالثة خاصة بهم، وبالنسبة لبرنامج الجمعية في أول تكوينها كان النهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحيّة، واغتنام الفرص لتحقيق هذه الأمنية، وعدم الانفصال عن الدولة العثمانية، وقد تغير هذا البرنامج بعد إعلان الح.ع.1، وأصبحت الجمعية تسعى إلى تحرير البلاد العربية من النير التركي واستقلالها التام، وفي عام 1912 انتقل مركز الجمعية إلى بيروت ثم إلى دمشق، وانضم إليها قبل الحرب، نسيب البكري والأمير عارف الشهابي ومحمد الشريقي وعمر حمد وتوفيق البساط ورفيق رزق سلوم وسيف الدين الخطيب وصالح حيدر وابراهيم حيدر والشيخ كامل القصاب[2]، وضمت بين أعضائها من الجزائريين الأمير عمر والأمير علي وابنه الأمير عبد القادر وكذا الأمير طاهر بن أحمد.

[1] سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، المرجع السابق، ص150-151.

[2] علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية**..، مرجع سابق، ص134.

وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى اتصلت إدارة الفتاة في دمشق بالأمير فيصل بن الحسين، فانتسب إليها وتبنى فكرتها، وأخبر فيصل والده بهذه الجمعية ونشاطها، وكان صلة الوصل بينهما[1]، ونجحت الجمعية بتحقيق هدفها، بضم الأمير فيصل بن الحسين (شريف مكة) إلى صفوفها، وأعلنت الثورة العربية 1916-1918، وقد كانت بمثابة التجمع السياسي الذي انتهت إليه جلّ التجمعات العربية السابقة..، ولذلك فإن جميع الكتب التي تحدّثت عن هذه الفترة من تاريخ الشام تحديدا، تشير إلى هذه الجمعية، وتعرضت الجمعية إلى ملاحقة السلطات التركية إلا أن شدة تكتمها حال دون البطش بها، إلاّ أن عددا من أعضائها كانوا ضمن القافلة الأولى من الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا عام 1915.

- حزب اللاّمركزية العثماني:

بعد مجيء السلطان "عبد الحميد الثاني" على رأس السلطة في الدولة العثمانية عام 1878، مني المصلحون العثمانيون بفشل ذريع، وذلك بعدما عطل العمل بالدستور الذي أعلن عام 1876، وعلق الحياة النيابية لمدة ثلاثين سنة، وحكم الدولة حكما فرديا مستبدا، وتعرض رجال الإصلاح للقتل والنفي والملاحقة، فترك العديد منهم البلاد إلى أروبا، ليستأنفوا من هناك النضال ضد الحكم الفردي المطلق الذي انتهجه السلطان عبد الحميد، وفي المهجر انقسم رجال الإصلاح إلى فريقين: أحدهما بزعامة الأمير صباح الدين الذي يدعوا إلى الإصلاح على قاعدة اللامركزية في الادارة والحكم، والفريق الثاني بزعامة أحمد رضا وينادي بالصلاح على أساس المركزية في الحكم. وأشأ الفريق الأول (جمعية عدم المركزية) التي تدعوا إلى اللامركزية في مختلف الصحف الأوربية، وتؤسس الفروع التابعة لها في الولايات العثمانية بصورة سرية، كما أنشأ الفريق الثاني (جمعية الاتحاد والترقي) التي دبرت بالتعاون مع جمعية (تركيا الفتاة) المؤلفة من الضباط المتنورين في الجيش العثماني انقلاب 1908، ومن الفروع التي تأسست للجمعية الأولى في البلاد العربية فرع دمشق وفرع اللاذقية وفرع بيروت، ومن المثقفين العرب الذين انضموا إلى هذه الفروع "رفيق العظم" و"محمود العلايلي" و"محمد رشيد رضا"[2].

ولما كانت مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ملجأ لأحرار العرب الذين تعرضوا للاضطهاد الحميدي، فقد لجأ إليها كثير من المفكرون والسياسيون العرب، هربا من الملاحقة، ومنهم الشيخ طاهر الجزائري،

[1] محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة**، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1949، ص32.

[2] محمد عزة دروزة، **نشأة الحركة العربية الحديثة**، مرجع سابق، ص102-103.

الذي قرر الهجرة إليها سنة 1907[1] بعد أن تأكد من تعذّر استمرار إقامته في دمشق، فقد توجّس في نفسه خيفة عندمت فتشت السلطات العثمانية داره وغرفته في (مدرسة عبد الله باشا العظم) أكثر من مرة، ونبشوا كتبه وأوراقه وهوغائب يتجول في أنحاء سورية[2]، لأنها كانت ترى في دعوة الشيخ إلى إدخال بعض الإصلاحات السياسية والإدارية على الدولة من أجل الحفاظ عليها، وضمان بقائها واستمرارها أمرا يتنافى مع أمنها ومصالحها[3].

وقد أسست هذه النخبة عام 1912 حزبا علنيا في مصر هو(حزب اللامركزية العثماني)[4] برئاسة "رفيق العظم" أحد رجال الحلقة الكبرى للشيخ طاهر الجزائري في دمشق، ومن مؤسسي الحزب "محمد رشيد رضا" صاحب مجلة (المنار)، و"اسكندر عمون" و"داود بركات" رئيس تحرير الأهرام، و"حقي العظم" و"سامي الحريديني" و"محب الدين الخطيب" –الذي كان معتمد جمعية (العربية الفتاة) في القاهرة والدكتور "شلبي شميل"، وكان اسكندر عمون نائبا للرئيس، وحقي العظم سكريتيرا عاما، وتأسست للحزب فروع في بلاد الشام والعراق، وانضم إليه عدد من النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني – ولعل الأمير علي واحد من هؤلاء، رغم أني لم أقف على ذلك – ولم يتوقف الحزب عن العمل إلا بعد انتهاء الح.ع.I.

وقد نصت المادة الثانية من دستور الحزب على أهدافه وهي: " القصد من تأليف هذا الحزب بيان محسنات الإدارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات أجناس ولغات وأديان وعادات

---

[1] سجل الشيخ جمال الدين القاسمي بعض تفاصيل هجرة الشيخ طاهر الجزائري إلى مصر في إحدى مذكراته اليومية المؤرخة بتاريخ 1907/04/27: " .. وودّع جميع أصحابه قبل السفر، وداع التكتم، بحيث لا يشعر به، وكلما سئل عن سفره يشير إلى السواحل، فودعنا مرارا، بل كان كل ليلة عندي في السنة الماضية كلها، ثم ودع الأمير علي (ابن الأمير عبد القادر) في (دمّر)، ونام عنده ليلتين، وكنا معه، ثم ودع الشيخ أبا الخير أفندي عابدين في (بعلبك)، وكان قاضيا فيها، ثم عرج على بيروت، ثم صيدا، ثم يافا، ثم القدس، فأقام في كل هذه البلاد أسابيع يودّع الجميع، ثم عاد إلى يافا، ومنها سافر إلى مصر..". ظافر القاسمي، **جمال الدين القاسمي وعصره**، دمشق، 1965، ص437-438.

[2] ينظر: كرد علي، **كنوز الأجداد**، ط1، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1950، ص17. وكذلك: محمد سعيد الباني، **تنوير البصائر بسيرة الشيخ الطاهر**، ط1، مكتبة الحكومة العربية السورية، 1920، ص114.

[3] محمد عزة دروزة، **نشأة الحركة العربية الحديثة**، مرجع سابق، ص102-103.

[4] كانت الجالية السورية بمصر والتي تضم نخبة طيبة من المفكرين ومنهم الشيخ طاهر الجزائري أول من تنبه إلى ما قد يولده انكسار الدولة في البلقان من نتائج سيئة، فزار بعض أعضائها رؤوف باشا المفوض العثماني في مصر يومئذ منبهين إلى الخطر الذي يستهدف سورية من غارة تغيرها فرنسا على شواطئها، كما فعلت إيطاليا بطرابلس الغرب، وطلبوا إليه أن يكتب إلى الباب العالي لاتخاذ الأهبة والتدابير اللازمة للدفاع عن البلاد، واقترحوا إنشاء مستودعات للأسلحة، توزع على الأهالي عند الغارة، فيسرعون إلى الدفاع والنضال، وبعد أخذ ورد بين أعضاء هذه الجالية اتفقوا على إنشاء حزب سياسي سموه (حزب اللامركزية العثماني)، يسعى لأى أن تتولى كل ولاية إدارة شؤونها الداخلية، لأن ذلك أدعى إلى النجاح، وإدخال الإصلاح ودرءا للخطر..." حول برنامج الحزب ينظر: أمين، سعيد، **الثورة العربية الكبرى**..، مصدر سابق، ص–ص 22-26

مختلفة، والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الإدارية في جميع ولايات الدولة العثمانية ".

– جمعية العهد:

لعلّ أخطر جمعية أسسها العرب في هذه الفترة هي "جمعية العهد" التي انبثقت عن جمعية "العربية الفتاة" وقاسمتها دورها القيادي في حركة القومية العربية وحكم سورية والعراق فيما بعد، أنشأها البكباشي عزيز علي المصري يوم 28 أكتوبر 1913، بعدما ضمت إليها نخبة من ضباط العرب في الجيش العثماني وهذه أسماؤهم: "سليم الجزائري"، "محمد اسماعيل الطباخ"، "مصطفى وصفي"، "نوري السعيد"، "يحي كاظم أبوالشرف"، "عارف التوام"، "محي الدين الجبان"، "علي النشاشيبي"، "ياسين الهاشمي"، "طه الهاشمي"، "جميل المدفعي"، "تحسين علي"، "إسماعيل الصفار"، "علي رضا الغزالي"، "مولود مخلص"، "أمين لطفي الحافظ"، "علي جودت الأيوبي"، "عبد الله الدليمي" و"الدكتور عبد القادر سرى"[1]، وهذه الجمعية سرية في الأصل، وقد أقسم أعضاؤها على أن لا يبوحوا بشيئ عنها، وأن يعملوا لإدراك أغراضها، تقول عنها الموسوعة السياسية: ".. قامت جمعية العهد السرية بمبادرة من بعض أعضاء الفتاة، وضمت عددا كبيرا من الضباط العرب في الجيش التركي، وكانت أخطر المنضمات العربية على الإطلاق..."[2].

وبالنسبة لسليم الجزائري، فيورد علي سلطان اسمه كأحد مؤسسي هذه الجمعية، ويقول عنها: "... يبدوا أن فكرة العهد على إنشاء دولة عربية – تركية تشبه امبراطورية المجر والنمسا قد شاعت على ألسنة العرب المهتمين بالقضية العربية.."، وهوذات الطرح الذي أطلقه الأمير عبد القادر عام 1877 كما أسلفنا سابقا، ويتحدث أدهم الجندي في كتابه (تاريخ الثورات) عن هذه الجمعية فيقول: "... انبثقت جمعية العهد من الجمعية القحطانية، وتشكلت في 28 تشرين الأول (أكتوبر) سنة 1913 ومن مؤسسيها عزيز علي المصري بعد عودته من طرابلس الغرب للآستانة، وكانت عسكرية لا يدخلها إلا ضباط الجيش..."، ويضيف الجندي قائلا: "... لقد أحدث تأسيس هذه الجمعية أثرا عظيما، وبدأ الأتراك ينظرون إليها بخطورة بالغة لما عرف به مؤسسوها من الصلابة والعقيدة الوطنية والقوة والنفوذ.

[1] أمين، سعيد، **الثورة العربية الكبرى**..، مرجع سابق، ص51-52.

[2] الكيلاني، **الموسوعة السياسية**، مرجع سابق، ص 20.

كما لقيت هذه الجمعية تأييد الشبان والضباط العرب الأحرار، في وقت كانت العلاقات بينهم وبين الاتحاديين تعرف توترا شديدا، كما أنشئ لها فرعين في بغداد والموصل، كما كان لأعضائها اتصال دائم بأمراء العرب العسكريين، وهذا ما دعا الحكومة الاتحادية إلى تفريق رجالها خشية توسعها وتأثيرها وتخوفا من أن يشتد ساعدها، ففي 24 جانفي 1914 عقد اجتماع خاص في دار وزارة الحربية بالآستانة حضره الصدر الأعظم "سعيد حليم باشا"، ومحافظ الآستانة العسكري "أحمد جمال باشا، وذلك قبل أن يعين على وزارة البحرية، ومدير الأمن العام "عزمي بك"، فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية عامة وجمعية العهد خاصة، وفي مجمل ما تقرّر إقصاء ضباط العرب المقيمين في الآستانة – وعددهم كما ظهر في كشوف وزارة الحربية 490 ضابطا، ينتمي 315 منهم لجمعية العهد– إلى المناطق التركية، وهي تراقية والأناضول، فلا يعود في إمكانهم القيام بأي عمل يساعد على زيادة الجفاء بين العرب والترك، كما تقرر إلغاء الأحزاب العربية كلها، وتأليف شعبة سياسية في وزارة الداخلية تشرف على الشؤون العربية، وتدبّر الخطط اللازمة لمقاومة دعاة الانفصال، وترقب تحركاتهم بدقة زائدة[1]، كما كان "شكري العسلي"مبعوث دمشق في (مجلس النواب العثماني) يهاجم الاتحاديين ويلومهم لأنهم شتتوا شمل ضباط العرب في أنحاء الدولة دون استخدامهم في بلادهم[1]، وقد وقفت وزارة الداخلية التركية على نشييد عربي من نظم "سليم الجزائري"، فبعثت به إلى ديوان الحرب ليكون حجة على أعضاء الجمعية في أهدافهم القومية العربية، وهذه بعض من مقاطعه:

لتدم هذه البنيـــة تنمـــووتغـــدوا صبيـــة
أزفافها شجاعـــا فلا تـــرى مسبيـــــة
تلدان كل همـــام من فـارس مقـــــدام
يمزق الطغـــــام بهمة عربيـــــــة
تلدن كل عزيـــز يجود بالنفيـــــس
يدق هـام خسيس بشجـاعة وحميـــة
يشعل نار الحـرب لتـدق عنـق الكلـب
ونيل عزّ العـــرب من أمـــة تركيـــــة

[1] أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، مرجع سابق، ص52-53.

ويضيف أدهم الجندي: "... وقد استاء الأتراك من "سليم الجزائري" الذي هاجر والده من الجزائر وتربى في مدارسهم ومنحوه الرتب وجعلوه من أمراء الجيش التركي أن يجابههم بهذه الكراهية وكفران النعمة، فلقي حتفه شهيدا، هذا وكانت الجمعية تعتبر نفسها أقوى الجمعيات العربية، لأن القوة الإجرائية العسكرية بيدها، وقضت مصالحها ومصالح القومية العربية أن تتقرب إلى اللامركزية، فاتفقت معها على الأهداف العربية..."[2].

- جمعية العلم الأخضر:

نشأت هذه الجمعية بصورة علنية في الآستانة في سبتمبر سنة 1912 لتقوية الروابط بين الطلبة العرب في المدارس العليا العثمانية، وبث الروح الوطنية فيهم، وكان وراء إنشائها سليم الجزائري، الذي أثر في "داود الدبوني" الذي كان يدرس الطب وأقنعه بأن كثرة الجمعيات العربية فيه فائدة، فأسس الدبوني هذه الجمعية وكانت تضم كلا من: الدكتور اسماعيل الصفار، والدكتور فائق شاكر، وعلي رضا الغزالي، وعبد الغفور البدري، وأحمد عزة العظمي، وعاصم بسيسو، ومسلم العطار، ومصطفى الحسيني، وشكري غوش، وكان سليم الجزائري بمثابة الروح المحركة لهذه الجمعية، وأصدرت الجمعية مجلة (لسان العرب) لتكون لسان حالها، ثمّ أبدل اسمها فصارت لسان حال (المنتدى الأدبي) واتخذت اسمه، واستمرت الجمعية حتى الح.ع.1.

- المؤتمر العربي الأول:

نشأت فكرة انعقاد مؤتمر عربي لدى بعض السياسيين والمفكرين والطلبة العرب المقيمين في فرنسا، على أساس دعوة المنظمات العرلابية العلنية منها السرية، فقام الشباب المنضمون إلى جمعية العربية الفتاة بالإعداد للمؤتمر المذكور، واتصل هؤلاء بشخصيات عربية في باريس مثل: شكري غانم وندره المطران، ودعوا الجالية العربية هناك إلى اجتماع عام، والتي وافقت فيه على فكرة المؤتمر، وتم انتخاب لجنة تحضيرية من ثمانية أشخاص وهم: شكري غانم وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وندره مطران وعوني عبد الهادي وشارل دباس وجميل مردم وجميل المعلوف[3].

---

[1] سهيل الخالدي، **الإشعاع..**، مرجع سابق، ص156.

[2] ينظر: أدهم الجندي، **شهداء الحرب العالمية الكبرى**، مطبعة العروبة، دمشق، 1960، ص14.

[3] علي الحافظة، **الاتجاهات الفكرية..**، ص148. نقله عن: اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، **المؤتمر العربي الأول**، ص5.

وفي 04 أفريل 1913، وجهت اللجنة التحضيرية الدعوة إلى اللجنة العليا لحزب اللامركزية العثماني في مصر[1]، ولبى حزب اللامركزية الدعوة لحضور المؤتمر، وقرر إرسال مندوبين عنه للمشاركة في أعماله، كما لبت الجمعيات والأحزاب الأخرى تلك الدعوة.

وبالنسبة لمشاركة الجزائريين في هذا المؤتمر فتحيلنا بعض المراجع إلى أن الجزائر لم تكن غائبة عنه، فقد تلقى الأمير خالد دعوة لحضوره، لكنه اعتذر عن المشاركة بسبب تزامن انعقاده باستعداده للسفر إلى دمشق، ورغم ذلك فقد سجل موقفه من خلال الرسالة التي بعث بها إلى المؤتمر والتي تليت في جلسته الختامية[2]، والذي تمثل فيما يلي:

1/ عدم معارضة الأمير خالد لانعقاد المؤتمر، وتمنياته له بنجاح مسعى المؤتمرين ما دامت مقاصده وأهدافه شريفة.

2/ التأكيد على التمسك بالوحدة والتضامن، وذلك بعدم الخروج من تحت مظلة الدولة العثمانية وعدم الانفصال عنها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمير خالد كان قد تنبأ منذ 1914 بثورة العرب ضد الأتراك في حديث أجرته معه صحيفة (الأمة الإيطالية)، وأعادت نشره سنة 1922 جريدة (صدى الجزائر) الناطقة بالفرنسية[3]، وقد يكون تحفظ بعض النخب الجزائرية من المؤتمر يرتبط بخصوصية المكان –باريس– وظروف انعقاده[4] والسجل الأسود لفرنسا في الجزائر، وهذا عكس زعماء وقيادات الجمعيات الثقافية والأحزاب السياسية العربية، الذين وجدوا في باريس الحرية في طرح أفكارهم وتصوراتهم لانتقاد الدولة العثمانية، ولذلك كتب أحمد توفيق المدني ما نصه: "... كنا نستريب من انعقاد مؤتمر باريس ولا نتوقع من ورائه خيرا، وكنا –ونحن قلة– نرى فيه تبييضا لوجه فرنسا المغبر.. فرنسا التي حطمت الجزائر وكبلتها، وقضت بالحديد والنار على النصف من سكانها، فرنسا

[1] حول نص الدعوة ينظر: علي الحافظة، **الاتجاهات الفكرية**..، ص148-149.

[2] حول نص الرسالة ينظر الملحق الأول، رقم: 22

[3] جورج الراسي، **الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر**، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص108.

[4] فقد تزامن انعقاد المؤتمر بظروف حرجة، وتحديات صعبة كانت تمر بها الدولة العثمانية، فقد استكملت إيطاليا احتلالها ليبيا، وفرضت فرنسا حمايتها على المغرب، واستمرت حرب البلقان التي أخذت أبعادا خطيرة بفضل الدعم والمساندة التي تلقونها من الدول الأوربية الاستعمارية، وبالتالي فإن الضغط على العثمانيين من خلال المؤتمر يعني إلهائهم عما يجري في البلقان. ينظر: العجيلي، التليلي، **صدى حركة الجامعة العربية الإسلامية في المغرب العربي**، (1876-1918)، كلية الأدب والفنون والإنسانيات، دار الجنوب للنشر، منوبة، 2005.، ص181.

التي أذلت تونس وفرضت عليها الحماية واستحوذت فيها على كل شيء من سلطة واقتصاد وأرض.. فرنسا تلك يعقد فيها مؤتمر عربي؟ فرنسا تلك ملجأ الأحرار وموطن العمل العربي؟[1] وحسب المدني فالجزائريون والمغاربة كانوا ضحايا لسياسة فرنسا الاستعمارية القمعية والوحشية، بينما العرب المشارقة فكانوا ضحايا سياسة التتريك الثقافي والتهميش السياسي التي كان وراءها جماعة الاتحاديين، وإن مواقف الجزائريين الداعمة لانعقاد المؤتمر بشرط الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية تبرز لنا مدى تمسكهم بوحدة الأمة، والتفافهم حول دولة الخلافة رمز وحدتهم.

وتأسيسا لما سبق ذكره، يمكن القول أن موقف الجزائريين كغيره من الوطنيين العرب من الدولة العثمانية خلال هذه الفترة كان نابعا من الإخلاص والولاء لدولة الخلافة، ولذلك حاولوا أن يتناسوا شخصيتهم في سبيل الاندماج في الدولة بشرط التمتع بالحقوق والحريات والاستفادة من الإدارة المحلية، وبشكل يرضي تطلعاتهم ويتماشى مع النهضة الفكرية والثقافية..، إلا أن سياسة الاتحاديين وعدم قدرتهم على مواكبة التغيرات وعدم فهمهم لحركة التاريخ حال دون ذلك، مما دفع العرب إلى إسداء النصح لهم وتحذيرهم من النتائج التي قد تؤول إليها الأمور، وهوما حدث بالفعل وتجسد في الثورة العربية عام 1916-1918.

II. النشاط الصحفي والأدبي للجزائريين بالمشرق العربي:

II. 1. النشاط الصحفي والإعلامي:

غادر العديد من الجزائريين بلادهم نحوالمشرق الإسلامي منذ 1830، وعرّفوا بقضايا بلادهم، وساهموا في النشاط الإصلاحي العام هناك[2]، -كما رأينا سابقا-، وتعتبر الصحافة أهم الميادين التي اهتم بها المهاجرون لنشر أفكارهم بين الجالية المغاربية بالبلدان العربية، ورغم أن الدولة العثمانية عملت على عزل البلاد العربية عن الأحداث التي تجري خارجها، خاصة في عهد الاتحاديين، وحاولت قطع الاتصال بين الشام ومصر التي كانت تشهد زخما إعلاميا كبيرا، وكذلك مع أوروبا التي تشهد النهضة والثورة الصناعية، إلا أن هذه السياسة في حدّ ذاتها كانت عاملا مشجعا على كسر جدار العزلة، فشارك الجزائريون بقوة في هذا المجال من خلال إنشائهم

[1] توفيق المدني، **حياة كفاح**، مصدر سابق، ص55-56.

[2] محمد بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي...**، ج1، مرجع سابق، ص29.

للصحف والمجلات بالمشرق، لكن من الصعب الإحاطة بجميعها، سواء التي أسسها المهاجرون أنفسهم، أو ما كان من إنشاء غيرهم.

وعند المقاربة نجد أن ما أنشأه الجزائريون لا يتجاوز جريدة ومجلة، والجريدة الوحيدة هي (المهاجر) التي ظهرت في دمشق جانفي 1912، وكان رئيس تحريرها "محمد بن التهامي شطة"، وهومهاجر أصله من الأغواط، ولكن ممول الجريدة هوالأمير علي بن الأمير عبد القادر[1]، وكان من كتابها الأمير سعيد بن علي، ويبدو أنه المالك الفعلي لهاته الجريدة التي صدرت في 11 جانفي 1912، أما "محمد بن التهامي شطة"، فكان مديرها المسؤول، الذي أصدر جريدة أخرى باسم في جانفي 1915م، ونستدل من هذا بأن المهاجر توقفت في سنتها الثالثة لتخلفها الإتحاد الإسلامي، وتبقى هناك نقاط استفهامية حول هذه الجريدة، كوننا لم نعثر على معلومات حولها، فهل كانت أسبوعية أويومية ؟ وقد اختصت أسبوعية المهاجر بالجالية العربية عموما والجزائرية خصوصا فهي دائمة الإشارة إليهم، كما أنها ضلت على الدوام لواء القضية الجزائرية وهي بذلك سجل ومصدر مهم عن أوضاع الجزائريين في المشرق العربي، وكذا النضال وتطور الحركة الوطنية الجزائرية.

وبالرغم من ظهور الصحافة في المشرق عقودا قبل ذلك، وظهور أهميتها الإعلامية والسياسية، فإننا لا نعرف أن الجزائريين، وفيهم أبناء الأمير عبد القادر، وعدد من المهاجرين المتنورين، قد أنشأوجريدة قبل ذلك التاريخ، ولا ندري إن كان لظروف التجنيد الإجباري في الجزائر، وتوتر العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا يد في إنشاء جريدة المهاجر، ولكن الأكيد أنها أصبحت أداة فعالة للسياسة المعادية لفرنسا في المشرق، حيث اتهمت وزارة الخارجية الفرنسية الجريدة بأنها كانت ممولة أيضا من السلطات المحلية (العربية والعثمانية)؟ وأنها كانت تهاجم السياسة الفرنسية في الجزائر، وقد تشددت في ذلك أكثر من السابق عشية الحرب العالمية، وعليه نفهم ما قامت به السلطات الفرنسية من منع لهذه الجريدة من التداول في الجزائر، ولكن ربما تكون تهرب إليها من الحجاج والزوار والبريد، كما اهتمت الجريدة بأحوال ليبيا وتونس والمغرب[2]، ولا ندري كم دامت بالضبط، ولعلها استمرت إلى حوالي 1916.

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص 604.

[2] نفسه، ص 604-605.

أما الجرائد التي كانت من إنشاء غيرهم، وساهم الجزائريون فيها فهي عديدة، نذكر على سبيل المثال منها: (جريدة الجوانب) العثمانية، والتي اهتمت بالأوضاع في الجزائر، وكانت تنشر أخبارها كالثورات والمحاكمات والهجرة، مثل ثورة 1871، وثورة 1881، وقد ساهم بعض الجزائريين في هذه الجريدة، وكانوا على صلة بصاحبها أحمد فارس الشدياق[1].

وقد ساهم الجزائريون في ذلك أيضا من خلال إنشاء الصحف مثل صحيفة (المفيد) التي تعتبر من أقوى الصحف في بلاد الشام المناوئة للإستعباد التركي الطوراني، التي أسسها الشهيد عبد الغني العريسي في بيروت، وهو تلميذ الشيخ طاهر الجزائري، والمعروف أن أبرز كتاب الإفتتاحية في هذه الجريدة كان سليم السمعوني الجزائري.

ولم تكن إفتتاحيات سليم السمعوني هي النشاط الصحفي السري الوحيد للمهاجرين الجزائريين في بلاد الشام، فكان لهم نشاط صحفي سري وعلني دؤوب في العديد من صحف بلاد الشام... لذلك ظهر منهم العديد من الصحافيين فالأمير سعيد كان على صلة واسعة بصحفي عصره ليس في الشام فقط بل في مصر وبلدان المغرب العربي وخاصة الجزائر، وكان يكتب المقالات في العديد من هذه الصحف، وهوبالمناسبة كاتب رفيع المستوى نظر لثقافته، كذلك أصدر مجلة الوحدة الإسلامية التي ذاع صيتها في البلاد العربية، وقد صادرتها السلطة الفرنسية ببيروت بعد أن صدرت منها كتابات معادية لفرنسا.

وهناك جرائد ظهرت في مصر أيضا، ووجدت في حرية الصحافة مجالا واسعا، فعبرت عن قضية الجزائر دون تردّد، ومنها: جريدة العصر الجديد، والمؤيد والحق..، فبالنسبة للأولى تحدثت مصادر أن أحد الجزائريين كان يكتب فيها باسم إبراهيم خالد، ويهاجم السياسة الفرنسية في الجزائر، ولعله اسم مستعار، لأننا لا نعرف حتى الآن شخصية تاريخية بهذا الإسم، وكان علي يوسف من المثقفين العرب والمسلمين القلائل الذين اهتموا بشؤون الجزائر والمغرب العربي، ومع أنه لم يكن يهاجم السياسة الفرنسية مباشرة، فإن جريدته طالما تعرضت للمنع من دخول الجزائر، لأنها كانت تنتقد الأوضاع والقوانين الجائرة، وتدعوا إلى الإصلاح واليقضة بطريقة سياسية أكثر حدة من مجلة المنار لصاحبها رشيد رضا.

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق، ج5، ص 605.

ومن الجرائد أيضا (الإعلام)، التي أسسها في مصر "محمد بيرم الخامس"، وقد كان هذا الأخير من الذين زاروا الجزائر عدة مرات وكتب عن أحوالها، وقد يكون هناك كتابا جزائريون كتبوا في هذه المجلة، كما ذكر أبو يعلى الزواوي في مرحلة أخرى أنه كان ينشر مقالاته في جريدة (البرهان) التي كان يصدرها الشيخ عبد القادر المغربي في المشرق، وربما استقطبت هذه الجريدة إليها كتابا آخرين من المهاجرين مثل طاهر الجزائري، وكذلك جريدة (المقتبس) وجريدة (المفيد)، وكلاهما صدرت في بلاد الشام، واهتمت بشؤون الجزائر وتونس[1].

كما كان للصحفي الجزائري المحامي "محمد بن قدري الجزائري" دور هام في إقليم طرابلس الغرب حيث هاجر والده، وفيها أكمل دراسته وتعليمه، ومنها انتقل إلى استانبول، حتى تخرج من كلية الحقوق، ولما عاد إلى طرابلس أصدر جريدته التي كانت تنطق باللغة التركية وعنوانها (تعميم حريت)، ذلك أن القراء الموجودين في الولاية يتقنون اللغة التركية، وكانت تهتم في نشاطاتها بخدمة القضية الجزائرية، وقد توقفت عن الصدور خلال نوفمبر 1911، بسبب الغزو الإيطالي للبلاد[2].

وخلال الح.ع.I، أصدر عبد العزيز جاويش مجلة (العالم الإسلامي)، وكانت تصدر في ألمانيا، وكان من شركائه فيها عبد الملك بن حمزة، وممن كتب في هذه المجلة الحاج عبد الله الجزائري – وهو اسم مستعار دون شك–، الذي كان يسكن في برلين، ففي إحدى مقالاته، هاجم الحاج عبد اللع الآباء البيض الذين كونهم الكاردينال لافيجري، وألبسهم لباسا شبيها بلباس المسلمين[3]، وكانوا يدخلون في كل ناد ويتصلون بالعائلات.

ونشير كذلك لجريدة (الحضارة)، التي كانت تصدر باستانبول، وقد كتب فيها العديد من الجزائريين واهتمت بشؤون الجزائر، وكانت قد نشرت مقالات لعمر بن قدور حول التجنيد الإجباري أوائل القرن العشرين، ولعل زميله عمر راسم هوالآخر قد كتب فيها، أما في الحجاز فتظهر شخصية صحفية بارزة، وهي شخصية الطيب العقبي، الذي كانت له إسهامات في جريدة (القبلة)، ولا يستبعد أن يكون قد تولى مسؤولية المطبعة الأميرية والإشراف على تحرير القبلة، والواضح أن الشريف حسين وضع ثقته في العقبي، وأسند إليه تحرير جريدة

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص 606.

[2] نصر الدين، سعيدوني، **دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبوالقاسم سعد الله**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 289–290.

[3] استودارد، لوثروب، **حاضر العالم الإسلامي**، مج.2، ج.4، تعر: شكيب أرسلان، عجاج نويهض، ط.4، دار الفكر، لبنان، 1973م، ص 358–359.

القبلة[1]، والإشراف على إدارة المطبعة الأميرية[2]، وكتبت القبلة في المواضيع السياسية، واهتمت بتتبع حركة الشريف حسين، ولعل أسلوب القبلة الذي غلب عليه الطابع السياسي، هوالذي جعل العقبي لا يكشف عن اسمه في كتاباته للمقالات، وكانت الجريدة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر رئيس تحريرها، بقدر ما كانت تعبر عن وجهة نظر حركة الشريف حسين نفسه[3]، ويذكر الدكتور سعد الله الذي تصفح جريدة القبلة، ووجد بها مقالات عديدة باسم "العقبي المدني"، أنه خلص إلى أن هناك تشابه كبير في أسلوب الكتابة وطرح المواضيع ونوعية المعالجة فيما هو مكتوب باسم العقبي المدني، وكتابات العقبي في الجرائد الجزائرية كالإصلاح والمنتقد والشهاب والبصائر[4].

والظاهر أن كتابات العقبي لم تتوقف عند جريدة القبلة[5]، بل كتب كذلك بجريدة أم القرى[6] لصاحبها الشيخ الطيب الساسي، كما تولى العقبي الإشراف عليها، ولعل ما يوضح ذلك مدى الاهتمام البالغ الذي أولته جريدة (أم القرى) لسفر العقبي إلى فلسطين في ربيع 1950، إذ كتبت عن رحلته وأخذت له صورا تذكارية[7] مع صاحب الجريدة وجمع من العلماء[8]، ومهما يكن فالأكيد أن العقبي كانت له معرفة وارتباطات بكتاب

---

[1] جريدة القبلة أول جريدة عربية ظهرت في العهد الهاشمي، صدر عددها الأول يوم 10 اوت 1916 بمكة المكرمة، كانت تصدر مرتين في الأسبوع، والجريدة دينية سياسية اجتماعية، جاءت لخدمة الإسلام والعروبة، وأخذت شعارها من الآية الكريمة: (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا من يتبع الرسول ممن ينقل على عقبته)، وكان مديرها المسؤول هو محب الدين الخطيب، ومن كتابها الشريف حسين نفسه، وفؤاد الخطيب، وعبد الملك =الخطيب، مصطفى فهمي، وكانت الجريدة تصدر في أربع صفحات، واستمرت في صدورها حوالي ثماني سنوات، واحتجبت عن الصدور بتاريخ 25 سبتمبر 1924. للمزيد ينظر: محمد عبد الرحمن الشامخ، **الصحافة في الحجاز 1908–1941**، ط 1، دار الأمانة، 1971، ص 87.

[2] الزاهري، المصدر السابق، ص 128.

[3] الشامخ، المرجع السابق، ص 89.

[4] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 55.

[5] سعد الله، **افكار جامحة**، ط1(المؤسسة الوطنية للكتاب 1988)، ص 108.

[6] جريدة أم القرى تأسست في مكة المكرة بظهور دولة ابن سعود في الحجاز وذلك سنة 1923، وهي اول جريدة رسمية للمملكة السعودية، كما تعتبر من أقدم صحف المملكة، كانت تصدر اسبوعيا لكنها اصبحت تصدر ثلاث اوأربع مرات في الاسبوع. للمزيد انظر: أديب مروة، **الصحافة العربية نشأتها وتطورها قديما وحديثا**، ط1، بيروت، 1961، ص367.

[7] الطيب الساسي (1892-1959): أديب حجازي من مشايخ الصحافة في العهدين الهاشمي والسعودي، من أصل مغربي. ولد وتعلم بالمدينة المنورة. ولما قام الشريف حسين بالثورة سنة 1916 في مكة تسلل الطيب مع ابيه اليها. وتولى بها إدارة المدرسة الراقية، وآلت إليه إدارة الجريدة الرسمية "القبلة" وتحريرها، فكان يهتم بإنشاء افتتاحيات ويمضيها بقلم الملك حسين، وإذا حان موعد خروج العدد من المطبعة حمله الطيب إلى الملك ليلا. وأمره هذا الأخير بقراءة المقال حتى يصحح من الخطأ. وبعد الثورة الشريفة سافر الطيب إلى حضرموت والهند واندونيسيا. لكنه عاد إلى الحجاز وأكرمه الملك السعودي عبد العزيز وعينه في مجلس المعارف، وأولاه إدارة الجريدة الرسمية "أم القرى" إلى أن توفي في حادث سيارة، للمزيد ينظر: الزركلي، **تراجم الأعلام**، ج3، مصدر سابق، ص 234.

[8] **جريدة عصى موسى**، عدد2، السنة الأولى، 20 جويلية 1950، نقلا عن: أحمد مريوش، مرجع سابق، ص 56.

جريدة القبلة، وأثناء عودته إلى الجزائر نشرت القبلة خبر العودة بعنوان "سفر فاضل" تأسف فيه كاتب الخبر عن فراق العقبي وتركه لهم وذلك في قوله: "في مساء هذا اليوم برح العاصمة رصيفنا الفاضل الهمام أرب الغيرة والشهامة الكاتب القدير والشاعر الكبير الأستاذ الطيب العقبي قاصدا جدة بعائلته، ومنها إلى وطنه الأصلي الجزائر، ونكتب هذه السطور ونحن في اشد الأسف والأسى عن فراق رصيفنا الماجد النبيل، ونتمنى له النجاح في قضيته. رافقته السلامة في الظعن والإقامة..."[1]، إضافة إلى جرائد أخرى صدرت في تونس وغيرها، على غرار جريدة (الحاضرة)، التي أظهرت الكثير من الاهتمام بتطورات الجزائر، التي كان يصدرها علي بوشوشة، كما أوردت جريدة الأخبار التي كانت تصدر في الجزائر[2]، أن صاحب جريدة (المؤيد) المصرية "علي يوسف" كان له حديث مع الحاكم العام "جونار" سنة 1902، حول قانون الأهالي، وعزا الكاتب وهو"علي زكي" التحويرات التي حدثت في القانون المذكور إلى تدخل صاحب المؤيد[3].

أما المجلات؛ فنجد مجلة (المنهاج) التي أسسها إبراهيم أطفيش في مصر سنة 1924، وقد اهتمت بالقضايا الإسلامية عامة، وقضايا المغرب العربي، ولا سيما ناحية ميزاب[4]، وقامت بعمل مشرف في المشرق العربي، وكانت تطبع في القاهرة، وتوزع بالمغرب العربي وجميع أقطار البلاد العربية[5]، وكان الشيخ أطفيش من المهاجرين، بعد أن درس في تونس، وله آراء متنورة في الإصلاح الإسلامي، وكان قد مثل الجزائر في عدة مناسبات عربية، منها مؤتمر القدس الذي انعقد سنة 1931، كما أسس الخضر حسين مجلة (الهداية الإسلامية) في القاهرة سنة 1928، وكانت لسان تونس والجزائر والمغرب في المشرق العربي[6]، قال عنها أنور الجندي: "أنها كانت مجلة مغربية واضحة الدلالة في كتاباتها وأبحاثها ودفاعها عن مختلف المواقف الوطنية والإسلامية والعربية"[7].

والعربية"[7].

[1] خرفي، **الجزائر والاصالة الثورية**، مرجع سابق، ص 82.

[2] **جريدة الأخبار**، (القسم العربي)، عدد 12 فيفري 1905.

[3] سعد الله، المرجع السابق، ص 608.

[4] مفدي، زكرياء، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، تح: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003، ص 135.

[5] نفسه، ص 605.

[6] خرفي، **الجزائر والأصالة**..، مرجع سابق، ص 84..

[7] وزارة الشؤون الدينية، **آثار الإمام عبد الحميد بن باديس**، ج.3، دار البعث، الجزائر، 1984، ص 114.

ومن الصحافيين الجزائريين في بلاد الشام الصحفي "سعيد بن قاسم الجزائري" محرر في عدة صحف في دمشق مثل: الاستقلال، الجزيرة، الأيام، الكفاح، النظام، النقاد، هنا دمشق، دمشق المساء،... وغيرها من الصحف، وكذا الأمير سعيد الجزائري الذي يعتبر إذاعي وصحفي محترف، له عدة برامج إذاعية من بينها: أسس عصبة الساحرين في الأدب الساخر، كما أنه قام بترجمة العديد من الكتب وقام بالتأليف كذلك، ونجد أيضا في هذا المجال الصحفي محمد بوغرة[1].

ونجد من الصحفيين البارزين عمر بن قدور، الذي اعتمده مصطفى كامل مراسلا لجريدة (اللواء المصرية) من الجزائر سنة 1906، وهوفي العشرين من عمره، كما نشر في جريدة (التقدم) التونسية سنة 1908، وفي جريدة (الحضارة) التركية سنة 1911، وفي عشر دوريات عربية أخرى[2]، وكان ينادي من خلالها بالوحدة لكل لكل الأمة العربية، حيث نادى سنة 1911 بتأسيس جامعة الصحافة الإسلامية، ونادى في سنة 1914 بتأسيس جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا، وأسس سنة 1923 مدرسة الشبيبة الإسلامية[3]، وبذل وبذل جهدا مستميتا في استنهاض الشرق وبعث نخوته، وله قصيدة (يا شرق)، أبدى فيها عاطفة جياشة ومناداة صارخة وتحفيز اتجاه قضايا العروبة والإسلام، يقول فيها:

يا شرق ما لعقــول قومــك لا تعـــي أوينتهي الغليان من ذا المرجـــل
يا شرق هل هاذي المصــائب تنجلي نصحا من الماضي إلى المستقبـل
صالت عليك مطامع الغــرب الــذي أرضعته لبـــن الترقـــي الأكمل
فانهض فديتك واتخـــذ لكل قــوة مقرونـــة بالسعي دون تمهـل[4].

وفي المجال الإذاعي برز عدد كبير من الإذاعيين من بينهم عدنان الراشدي الذي شغل منصبا هاما في الإذاعة السورية، وعبد الهادي المبارك الذي عرفته إذاعات دمشق والجزائر ودبي وبغداد...وآخرون.

II. 2. النشاطات الأدبية والفنية:

استمر عمل المهاجرين الجزائريين وأجيالهم في شتى أنواع النشاط المعرفي والاجتماعي والسياسي وبالخصوص المجال الثقافي، حيث لم يتوقف نشاطهم عند اللغة العربية فحسب بل امتد إلى العلوم والآداب والفنون وفي هذا

[1] سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص 229.
[2] صالح خرفي، **عمر بن قدور الجزائري**، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص 08.
[3] محمد ناصر، **المقالة الصحفية**..، مرجع سابق، ص-ص 80-83.
[4] صالح خرفي، المرجع السابق، ص 52.

المجال ظهرت شخصيات عديدة ذات أصول جزائرية مثل المنشد الجزائري المهاجر " أحمد زروق" وكان هذا الرجل صاحب صوت رخيم وصاحب براعة في الإنشاد الديني، ويقول سهيل الخالدي خلال بحثه عن المصادر في تدقيق معلومات والدته، كان لهذا الشيخ أكثر من ترجمة في أعلام الأدب والفن، وأعلام دمشق وغيرها، فإذا به أستاذ للموسيقى في مكتب عنبر بدمشق وفي مدارس القدس، حيث قضى أكثر من عشرين عاما يدرس الموسيقى في سوريا وفلسطين وأن شيخ الإسلام في الأستانة أبو الهادي الصيادي استضافه لرخامة صوته لمدة شهرين عام 1898م.

– التاريخ والآداب:

برزت العديد من الشخصيات الجزائرية في مجال التاريخ والآداب، حيث تذكر لنا المصادر أربعة من أشهر المؤرخين، وهم: صالح السمعوني[1]، والثاني أحمد بن محي الدين شقيق الأمير عبد القادر الذي طبع له التاريخ: "كيف دخل الفرنسيون الجزائر"، وأما المؤرخ الثالث فهو: محمد بن الأمير عبد القادر الذي أنجز كتاب عن والده بعنوان " تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر"، وهو أحد أهم الكتب التي تؤرخ للأمير عبد القادر والمقاومة الجزائرية، وأما المؤرخ الرابع، فيمكن اعتبار الأمير محمد سعيد بن علي بن عبد القادر من المؤرخين، حيث اهتم بإصدار كتاب عن والده الأمير علي، ثم كتب مذكراته التي جاءت تحت عنوان: مذكراتي عن القضايا العربية، التي صدرت في طبعتها الأولى ببيروت والثانية في الجزائر.

ويمكن إدراج اسم آخر، له اهتمام بجانب الآثار والتاريخ، وهو الأمير جعفر بن الأمير طاهر بن الأمير أحمد، الذي درس علم الآثار في فرنسا، وتولى منصب مدير الآثار والمتاحف في سورية، وقدم في مجاله عدة دراسات آثرية، واكتشف آثارا في تدمر وبصرى، وأنشأ ثلاثة متاحف في دمشق وحلب وتدمر، كما أنه حقق ونشر مخطوطا مهما، وهو (كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي. [2]

– التمثيل والمسرح:

ظهر هذا اللون من الآداب والفنون فيما بعد، فبرز في ميدان التمثيل والمسرح الشقيقتان" سامية وصباح " في التمثيل المسرحي التلفزيوني، ولهما في ذلك شهرة خاصة مع الفنان السوري المعروف "دريد اللحام"، حيث

[1] لم أعثر له على كتابه في التاريخ الذي تحدث عنه عبد الرزاق البيطار في كتابه: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دار صادر، بيروت، 2006. وأشار إليه كذلك: سهيل الخالدي في كتابه: الإشعاع المغربي. ينظر: سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص 316.

[2] سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، ص316.

مثلت صباح مع دريد مسرحية "كاسك يا وطن " التي اشتهرت على مستوى الوطن العربي، كما نجد المنتج السنمائي الكبير "صبحي" الذي أنتج الكثير من الأفلام العربية.

– القصة والأدب:

أما في كتابة القصة القصيرة والرواية فقد برز "يحي يخلف"، الذي قدم عملا قصصيا بعنوان: "نورما ورجل الثلج"، وقدم مجموعة من الروايات، مثل: رواية "نجران تحت الصفر"، "تقاح المجانين"...، وغيرها، كما أثرى الصحافة العربية بمقالاته الأدبية والسياسية الكثيرة.

– مجال الشعر:

أما في مجال الشعر، فيمكن القول أن معظم المهاجرين الجزائريين الأوائل وعلى رأسهم الأمير عبد القادر هم من الشخصيات الجزائرية المهاجرة التي برعت في الشعر، وكذلك الأجيال اللاحقة، من بينهم الأمير عز الدين الجزائري، والأمير محي الدين، والشيخ طاهر... وغيرهم كثير، ومن هؤلاء كذلك الطيب العقبي، الذي تعاطى الشعر منذ شبابه بالمدينة المنورة، ونظم القصائد العديدة التي هي بدون شك آلام وآمال بيئته، غير أن تعاطي العقبي للشعر في وقت مبكر من حياته لم يرتق إلى مصف الشعراء الفحول في عصره، وقد حكم العقبي على شعره بالضعف بقوله: " تعاطيت نظمه قبل الحلم... وقبل أن أتمكن من أساليبه، فكنت أخلط الغث بالسمين والصحيح بالسقيم..."، ومهما يكن فإن ذلك لم ينقص من شاعرية العقبي، بل أن ذلك يعبر عن طموحه وتعجيله بالإهتمام بالآداب واللغة وفنونها، وكان ارتقاء العقبي في أخذ العلوم ومعرفة فنون الأدب وتذوقه، قد جعله يحكم على شعره بالضعف والركاكة، ولعل ذلك هوما دفع بالعقبي إلى تعاطي الشعر من جديد ونظم منه قرابة الديوان[1]، وهو الديوان الذي ضاع منه بعد إبعاده عن أرض الحجاز.

خلاصة الفصل:

كان للمهاجرين الجزائريين دور كبير في النهوض بالحياة الثقافية في بلاد المشرق العربي عموما وبلاد الشام خصوصا، وذلك بإنشائهم للمراكز الثقافية وتشييدهم للمساجد وفتح العديد من المدارس الجديدة وإحياء المدارس القديمة التي كانت على العهد المملوكي وأغلقت في العهد العثماني أوحولت إلى خانات مثل مدرسة

[1] الزاهري، **شعراء الجزائر**، ج1، مصدر سابق، ص 129.

البدرائية وغيرها، وتسبب هذا في وصول الحركة الفكرية الثقافية في بلاد الشام إلى أدنى مستوياتها خصوصا اللغة العربية، فاهتم هؤلاء المهاجرين الجزائريين بالحياة العلمية بكافة اتجاهاتها.

حيث كان منهم العلماء والأدباء والفقهاء اللذين أضافوا على الحياة الثقافية نوعا من الحركة والنشاط بفضل التعاون والتبادل بين المشرق والمغرب من أبناء الجزائر الذين هاجروا إلى بلاد المشرق، كما أسدى بعض العلماء الدور البارز في تلقين الدروس والتعاليم لأفراد المجتمع المشرقي كمحمد المبارك والصالح الوغليسي والشيخ الطاهر الجزائري الذي قام بتحديث التعليم في الشام وإدخال المدرسة العصرية ولم يتوقف الشيخ طاهر الجزائري عند إنشاء المدارس بل راح يؤلف الكتب،وكذا فتح المكتبات وجمع الكتب المختلفة المواضيع كاللغة والأدب والحساب والهندسة والفقه وسائر العلوم الدينية والدنيوية.كما شجع المعلمين على تأليف الكتب وطبعها ونشرها، وأن نشاطهم لم يتوقف عند التعليم وهونشاط واسع كما بيننا في الفصل، والذي تعدى إلى التاريخ والعلوم الإنسانية وإلى الصحافة والأدب والترجمة، وبرزت من خلاله العديد من الأسماء الكبيرة.

الفصل الخامس

- النشاط السياسي والعسكري للجزائريين في المشرق العربي -

أولا: النشاط السياسي.

ثانيا: النشاط العسكري.

تمهيد:

ما يثير الاهتمام في حياة الجزائريين في المشرق العربي، هو مشاركتهم في كل معارك حركات التحرر القومي العربي والإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، سواء كانت معارك فكرية أو سياسية أو عسكرية، فقد اعتبر الجزائريون بصفتهم الطليعة المغاربية في المشرق العربي أول من أسس هياكل سياسية تضمّ أبناء المغرب العربي جميعا، فكانت ممارساتهم السياسية والعسكرية في المشرق العربي تدل على عمق انتمائهم العربي الإسلامي، فهم يناضلون من أجل القضايا العربية والإسلامية في المشرق العربي دون الالتفات إلى القطرية الإنفصالية.

وكانوا في الوقت نفسه يناضلون من أجل قضايا المغرب العربي دون اهتمام بالحدود والحواجز، فلا تونس ولا المغرب ولا ليبيا كانت بعيدة عن نضالهم إلى جانب نضالهم للقضية الجزائرية، فقاموا بتأسيس العديد من الجمعيات السياسية والخيرية التي تهتم بالمغرب العربي كقضية أساسية، ولم يفصلوا هذه الجمعيات ونضالها عن نضالهم في الشام سواء في سورية أو فلسطين، وقد ساهموا بعمق في حركة القومية الإسلامية والقومية العربية، ومارسوا هناك الوحدة العربية في أصفى وأنبل معانيها وبرهنوا على أرض الواقع أن قيام الدولة العربية الواحدة مشرقا ومغربا ليس حلما بعيد المنال، كما أنّ النشاط السياسي والنضال الوحدوي للمغاربة في المشرق العربي كانت قيادته معقودة اللواء للجزائريين وخاصة في منطقة الشام، باعتبارهم الأكثر عددا والأقدم وجودا، كما أن عائلة الأمير كانت الأشهر هناك، والظاهر أنه لم يكن أيّ خلاف على قيادتها في تلك الفترة.

أولا: النشاط السياسي للجزائريين في المشرق العربي:

سنتعرض خلال هذا العنصر بالدراسة والتحليل إلى النشاط السياسي للجزائريين في المشرق العربي، خاصة وأن المنطقة –كما أسلفنا– شهدت اتجاهات سياسية مختلفة، أهمها تيار الجامعة الإسلامية، وتيار القومية العربية، وبشكل أقل تيار الرابطة العثمانية الذي يعتبر ضمنيا جزءا من تيار الجامعة الإسلامية، وكذا تيار القطرية الوطنية الذي اقتصر على مصر، وعليه سيكون هذا العنصر ضمن جزئيتين أساسيتين، وهما: نشاط الجزائريين في إطار حركة الجامعة الإسلامية، ونشاطهم ضمن تيار القومية العربية، وارتأينا أن ندرج نشاطهم ضمن تيار الرابطة العثمانية الذي هو في حقيقته جزء من تيار الجامعة الإسلامية، ولأن الجزائريين في هذه الفترة لم يكونوا يؤمنوا بتيار القطرية الوطنية، وليس لهم أي نشاط ضمن هذا التيار، لم ندرجه ضمن عناصر هذا الموضوع.

I. النشاط السياسي للجزائريين في إطار حركة الجامعة الإسلامية:

كان من نتائج التكالب الاستعماري على الجزائر والمغرب العربي أن تعلق جيل الربع الأخير من القرن التاسع عشر بفكرة الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني في الفترة ما بين (1876-1909)، فتابعوا تطوراتها وعلقوا عليها آمال عدة، فانطلق مغاربة ومنهم جزائريون متعاونين ومرتبطين بالهياكل الإدارية والعسكرية لدولة الخلافة الإسلامية، ومن عاصمة الخلافة (استانبول) انطلقوا مهاجرين إلى الدول الأوربية وبخاصة إلى ألمانيا وسويسرا، وكانت هجرتهم أسلوبا من أساليب الكفاح ووسيلة من وسائل تجميع القوى في جبهة خارجية[1] من أجل القضية الإسلامية، ومجابهة التحديات الخطيرة التي يواجهها المسلمون.

I. 1. الجزائريون أول من نادى بالتضامن الإسلامي:

إن الإعتقاد الشائع بأن حركة الجامعة الإسلامية ظهرت في الشرق الأدنى في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي يحتاج إلى مراجعة[2]، فمن المؤكد أنّ أصله مبني على سوء فهم أوربي، وقد قبله الكتاب والمؤرخون العرب والجزائريون أيضا حتى الآن دون مناقشة، والظاهر أن هناك عاملان أساسيان قد ساهما في سوء الفهم هذا، أوّلهما ربط حركة النهضة الإسلامية بالمسألة الشرقية، أي بالصراع بين الدولة العثمانية المتداعية وبين ميزان القوة الأوربي في شرق البحر المتوسط، وبناءا على هذا الفهم، فإنّ ظهور الجامعة الإسلامية كان يعني حملة مقاومة ضد التأثير الأوربي في المنطقة وتدعيم تضامن ووحدة المسلمين، ، أما العامل الثاني فهو قبول الكتاب الفرنسيين والعرب أيضا لفكرة وحدة الجزائر وفرنسا واقعيا وقانونيا، وعلى أساس هذه الفكرة فإن افريقيا الشمالية عامة والجزائر خاصة قد أهملتا كعاملين في تطور الجامعة الإسلامية والقومية العربية[3].

فإذا كانت حركة الجامعة الإسلامية كما ذكرنا تدعوا إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوربي، ووسائلها تقوم على الإصلاح الديني والإجتماعي وذلك بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف، أي العصر الذهبي للإسلام على عهد النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- وصحابته والتابعين، فإنه وجب علينا البحث عنها حسب تعريفها وإسقاطها على المقاومة الجزائرية للإحتلال الفرنسي،

---

[1] محمد أبو القاسم كرو، **المهاجرون التونسيون من سنة 1860 إلى الحرب العالمية الأولى**، ن/م.د.ألأ، ع2، جوان 1975، ص33.

[2] من الشائع أن هذه الحركة قد بدأت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأصحاب هذه الحركة هم جمال الدين الأفغاني (1838-1897) وتابعه محمد عبده (1849-1905) ورشيد رضا (1865-1935)، وآخرون.

[3] سعد الله، **الحركة الوطنية** ..، ج2، مرجع سابق، ص109.

فهذا الإعتداء مع كلّ ما صاحبه من مظاهر العنف ومحاولات القضاء على الشخصية الجزائرية كان أوّل مجابهة من نوعها بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي في التاريخ الحديث، ولكن غالبا ما ينسى الباحثون أن هذه المجابهة قد أنتجت عواطف حادة، وأدّت إلى ظهور قيادة جديدة، وفتحت حدودا كانت مجهولة لكل من الإسلام وأوربا.

ولذا فإننا نجد أنّ الجزائريون هم أول من نادى بالتضامن بين المسلمين وبإصلاح الإسلام مستفيدين من التجربة الأوربية وبقيادة جديدة في العالم الإسلامي، وعلينا أن نذكّر هنا بأن الجزائر قد بادرت إلى ريادة الجامعة الإسلامية بزعامة حمدان خوجة والأمير عبد القادر وبن إسماعيل والشيخ الحداد والونيسي وابن الموهوب ..، وعندما وصلت النسخة الشرقية من الجامعة الإسلامية إلى الجزائر أوائل القرن العشرين كانت الجزائر قد طوّرت نسختها الخاصة بها، والتي بدأت في الحقيقة منذ الثلاثينات من القرن الماضي، فحمدان خوجة الجزائري كان أول من نادى بالتفاهم بين الحضارتين الإسلامية والأوربية، وتحدى الأوربيين في زمانه مصرا على أن الإسلام لا يتعارض مع المبادئ الأساسية للتجربة الأوربية، كما برهن الأمير عبد القادر كمحارب ومفكر أنه كان مصلحا إسلاميا في اتجاهه؛ وكلا الزعيمين الجزائريين نفته السلطات الإستعمارية، ومات في الشرق الأدنى، الأول في استانبول والثاني في سورية، وبعد نفيهما استمرّ كلاهما في عمله الإسلامي مصلحا وكاتبا، وبذلك أثّر كلّ منهما تأثيرا كبيرا على معاصريه[1].

I. 2. النشاط السياسي الجمعوي للجزائريين الداعم لتيار الجامعة الإسلامية:

أتيح للمهاجرين الجزائريين المشرق الذين استقبلوا "بأذرع مفتوعة" أن ينضموا إلى لجان الجامعة الإسلامية التي أنشئت لتمثيل المسلمين الذين كانوا تحت الحكم العثماني، كما تمتعوا في المشرق العربي بحرية وبسمعة طيبة وعظيمة، وتولوا المناصب العالية، فقد قرب السلطان إليه مجموعة من الجزائريين منهم الفريقان "محمد باشا" و"محي الدين باشا" ولدا الأمير عبد القادر، وكانا ياورايّ[2] السلطان، وكذا الشيخ محمد المكي بن عزوز الذي كان مستشارا في قصر السلطان، وعين صالح الشريف في عهد الاتحاديين مستشارا بورزارة الحربية.

[1] نفسه،، ص110.

[2] مفردها (ياورا) أي من قادة الحرس السلطاني.

ولعلهم حصلوا على هذا الإمتياز لشهرتهم كأنصار للجامعة الإسلامية و(مجاهدين) حاربوا ((الكفار)) الفرنسيين، ثمّ ابتعدوا مهاجرين طالبين الملجأ في المشرق العربي كمثال للمسلمين الحقيقيين، وقد تمتع هؤلاء الجزائريون ببعض السمعة المعنوية بين مسيحيي الشرق الأدنى ولا سيما في سورية ولبنان نظرا لموقف الأمير عبد القادر سنة 1860، حين أنقذ الآلاف منهم من مذبحة أثناء أزمة طائفية، وكانت سورية وحدها تضمّ (3342) جزائريا يعيشون في المدن، أما الباقي فقد كانوا يعيشون في القرى والمدن الصغيرة، ويقال أن أسرة الأمير عبد القادر وحدها كانت تجمع حوالي (3000) فرد[1].

وبذلك يكون تولي عبد الحميد الثاني شؤون الدولة العثمانية مصدر تدعيم لنشاطات الجامعة الإسلامية، ونتيجة لذلك شارك الجزائريون في تأسيس جمعيات دينية وسياسية أسهمت في نضالهم لصالح القضايا العربية والإسلامية ضمن تيار الجامعة الإسلامية، وهذا ما تشير إليه الوثائق العثمانية التي تحصلنا عليها، ومن هذه الجمعيات:

I. 1.2. نشاط الأمير محي الدين الجزائري في الجمعية الخيرية الإسلامية لإيالة الجزائر المحمية:

كشف الأستاذ يحيى بوعزيز عن رسالتين في الأرشيف العثماني باستانبول تدلان بأن هناك علاقة بين السلطات العثمانية وزعماء ثورة 1871، وهؤلاء الزعماء ينتمون إلى (الجمعية الخيرية الإسلامية لإيالة الجزائر المحمية)، وكتب على هامش الرسالتين: إلى محمود نديم باشا الصدر الأعظم، الأولى في أواخر 1871، والثانية في أوائل 1872، وتوحي الرسالتان أن للدولة العثمانية دور في هذه الثورة، وعليه تكون هذه الجمعية قد تأسست في إطار حركة الجامعة الإسلامية لدعم ثورة المقراني 1871، ولكنها لم تعمرا طويلا لأن الثورة نفسها لم تعمر، ويبدو أن مؤسسها هو "الأمير محي الدين باشا" بن الأمير عبد القادر، وبقيت نشاطات هذه الجمعية غير معروفة إلا قليلا، فقد حاول الأمير محي الدين –وهو من أبناء الأمير عبد القادر الذين تركوا إسما قويا في التاريخ– تثوير الجزائر من جهة تبسة وسوف، وجمع الأنصار من الغاضبين الجزائريين في تونس وليبيا، وراسل أعيان الطرق الصوفية، وأعيان الأجواد والعلماء داعيا إياهم للجهاد منذ خريف 1870[2].

---

[1] مارشاند ((ك.د.ك)) م 33 (1912)، ص86–87. نقلا عن: سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج2، ص125.

[2] كان محي الدين قد اختفى من دمشق وسار نحو المغرب العربي متخفيا في زي تاجر عبر مصر ومالطة وتونس، ثم دخل إلى الجزائر من الجهة الشرقية ناحية تبسة، يرافقه بعض الأوفياء، وكان ذلك في خريف سنة 1870، ولم تكن ثورة المقراني ولا الشيخ الحداد قد بدأت بعد، وتحدثت قرى زواوة والهضاب العليا عن وجود ختم الأمير عبد القادر على الرسائل الواصلة إلى الأعيان وشيوخ الطرق الصوفية، كما تحدثت بأن الخليفة العثماني قادم

I. 2.2. نشاط الأمير علي في جمعية مهاجري شمال افريقيا:

تفيد الوثائق أن "الأمير علي" ترأس في دمشق جمعية مهمة اسمها "جمعية مهاجري شمال افريقيا"، ولعلها تكون إحدى فروع "جمعية الأخوة والمساعدة والدعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين"، والتي تأسست في استانبول، والتي ذكرتها جريدة "المقتبس" في عددها 462 فقالت عنها: "... اجتمع الجزائريون والتونسيون المقيمون في الأستانة وقرروا تأسيس جمعية مختصة بهم، وقد خطب كثيرون منهم وأبانوا شكرهم للأحرار العثمانيين..."، والأكيد أن جمعية مهاجري إفريقيا الشمالية كانت في واقع الحال حزبا سياسيا يدعوا علنا لاستقلال الجزائر ويتحالف مع الألمان ضد فرنسا، وأن رئيسها الأول "الأمير علي" الذي كان يزور الأسرى الجزائريين الذين يساقون إلى الخدمة في الجيش الفرنسي، فيأسرهم الجيش الألماني، وكان هؤلاء الأسرى ينظرون إلى "الأمير علي" بن عبد القادر كأمير وطني.

ولعلّ أهم وثيقة حتى الآن تدلنا على نشاط هذه الجمعية هي الجريدة الأسبوعية التي كانت تصدر باسم "المهاجر" في 1912/01/21 كما يقول "فليب دي طرزي"، وكان رئيس تحريرها كما هو وارد في صفحتها الأولى "التهامي شطة" الأغواطي، وكان مقرها نفس مقر جمعية مهاجري شمال افريقيا، ويبدو أن الأمير سعيد بن علي ترأس الجمعية اعتبارا من سنة 1915 كما أشار جورج فارس في كتابه، ويبدو أن هذه الجمعية ظلت قائمة إلى ما بعد سنة 1946[1].

ونعتقد بأن دراسة هذه الجمعية دراسة تفصيلية هي أمر ضروري لدارسي الحركة الوطنية الجزائرية خصوصا والمغاربية عموما، ذلك أن من أعضائها الأمير خالد والأمير عبد المالك وغيرهما، ومنها انبعثت الجمعيات

=لنجدة الجزائريين، وكانت فرنسا عندئذ محتلة وباريس تحت براثن خيول بسمارك، ففضلت الحكومة الفرنسية الهروب إلى بوردو بدل البقاء في باريس، إنها إذا الفرصة المنتظرة لكي يضرب المظلوم ضربته، وفي هذا الجو اندلعت الثورة سنة 1871 باسم المقراني في البداية، لكن هل تلقى المقراني رسالة من محي الدين باسم الأمير عبد القادر ؟ لأن دعاية ذلك الوقت قالت أن المقراني وعد بأن الخليفة العثماني سيدعم الثورة وكذلك ((السلطان)) عبد =القادر، وتبدو دراسة أوراق هذه الجمعية ضرورية جدا للباحثين الجزائريين خاصة، ولست أدري لماذا لا نجد من يهتم بها وبتفاصيلها، ذلك أن ثورة المقراني تكاد تقدّم للأجيال على أنها حرطة معزولة، قام بها موظف لدى السلطات الاستعمارية الفرنسية غضب من أسياده، أو أنها ثورة القبائل البربر بعيدا عن الأمير عبد القادر، بل إن المقراني شخصية منافسة للأمير، في حين تشير الوثائق التي تحدث عنها عبد الجليل التميمي في بحوث ووثائق مغربية أن هذه الجمعية كانت تدعم المقراني في ثورته، وأنها أجلرت اتفاقيات مسبقة مع الجهات السياسية في مصر وفي استانبول وجزائريي المشرق العربي – بل لعلها حسب تلك الأوراق– قد تكون الثورة العربية الأولى التي أعد لها في المشرق والمغرب سياسيا وشعبيا. ينظر: سهيل الخالدي، **الجزائر وبلاد الشام** ..، مرجع سابق، ص272–273، نقلا عن: عبد الجليل، التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ط1، الدار التونسية للنشر، 1972، وكذلك: سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ..، ج5، ص 558–559.

[1] يذكر الخالدي أنه توجد وثيقة تحمل تاريخ هذا العام (1946)، –لم نطلع عليها– عبارة عن خريطة لجميع بلدان المغرب عليها صور الملوك والأمراء على موقع كل قطر ووضعت صورة الأمير عبد القادر على موقع الجزائر، ينظر: سهيل الخالدي، **الإشعاع** ..، مرجع سابق، ص220.

المغاربية الأخرى في الشام التي تعتبر امتدادا لها مثل: جمعية الدفاع عن إفرقيا العربية التي أنشئت في دمشق سنة 1946 بترخيص من وزارة الداخلية السورية بتاريخ 1946/08/14 تحت رقم 591 ، وجمعية مجاهدي افريقيا الشمالية التي تأسست بتاريخ 1948/01/12، وجمعيتا تحرير المغرب العربي في دمشق وبيروت وغيرها من الجمعيات، وهي خارجة عن نطاق الفترة الزمنية التي ندرسها.

I. 3.2. نشاط محمد شرعي باشا في جمعية الاتحاد المغربي (المغاربي):

تأسست في القاهرة سنة 1910، وترأسها "محمد شرعي باشا" –الذي قد يكون من أصول جزائرية مهاجرة– ويعتبر الشيخ "علي يوسف" صاحب جريدة (المؤيد) صاحب فكرة تأسيسها وأحد أعضائها[1]، بالإضافة إلى "جميل رفعت" و"عزت الحبيب" و"الشيخ محمد العالم"، أما أمين مالها فهو الجزائري "أمين باي المغربي"[2]، وقد شارك العلماء الجزائريون في مصر داخل هذا التنظيم الذي كان يتبع سياسة الجامعة الإسلامية ومقره كان في الإسكندرية، ومن الذين نشطوا من خلاله النقيب "عريف طاهر باي"، الذي حلّ بمصر خلال سنة 1911 وأجرى اتصالات مع الوطنيين المصريين ومع الطلبة المغاربة بالأزهر الشريف بهدف تكوين معارضة ضد أطماع فرنسا في المغرب الأقصى، وكان انطلاق عمله هناك من خلال هذه الجمعية[3]، وكان الاتحاد مدعّما من طرف الخديوي "عباس حلمي"، الذي كان على علاقة بالدبلوماسية الألمانية.

ورغم أن أغلب أعضائها كانوا مصريين فإن أهداف الجمعية قد ارتبطت بمحاولة إثارة المغرب العربي في حالة نشوب حرب بين ألمانيا وفرنسا، والوقوف في وجه هذه الأخيرة بالمغرب الأقصى، وأرسل الاتحاد موفدين إلى المغرب العربي، وبخاصة إلى المنطقة الوهرانية بالجزائر للإتصال بضباط جزائريين كانوا يؤمنون بأفكار الجامعة الإسلامية[4]، ولعلّ ذلك ما أشار إليه الوزير الفرنسي المفوض بالقاهرة المدعوا "دو فرانس" حيث قال بأن ألمانيا تعهدت في الاجتماع الذي عقدته في الإسكندرية سنة 1911 بدفع 600.000 فرنك لها[5].

---

[1] BARDIN, **op-cit**, p.230

[2] العجيلي، **صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي**، دار الجنوب للنشر، تونس، 2005، ص206.

[3] CAGNE, **R.H.M**, N°39-40, op-cit, p.223

[4] ينظر: كرو، **المهاجرون** ..، مرجع سابق، ص35، وكذلك: Bardine,**op-cit**, p-p 230-231

[5] العجيلي، **صدى**، مرجع سابق، ص207.

I. 4.2. نشاط المكي بن عزوز في جمعية "الشرفاء" أو "الأشراف":

أسسها الشيخ المكي بن عزوز سنة 1913 في المدينة المنورة، وكان ابن عزوز من الشخصيات ذات الأصول الجزائرية التي حلّت باستانبول، والظاهر أن هجرته إلى المشرق وبالتحديد إلى عاصمة العثمانيين السياسية كان الهدف منها تجنيد التأييد العثماني لقضية الجزائر والمغرب العربي عموما[1]، وأثناء إقامته في استانبول، انتقل إلى الحجاز للتدريس في الجامعة الإسلامية بها، وأسس بالمدينة المنورة "جمعية الشرفاء"[2] سنة 1913، وهي جمعية إسلامية، كانت تعمل على خدمة مبادئ الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م)، وضمت في صفوفها مجموعة من الجزائريين والتونسيين والمراكشيين، واتهمتها الإدارة الفرنسية بأنها كانت تعمل على إثارة الجنوب الجزائري ضدّها، وقد عقدت اجتماعا لها في القاهرة، ومن الجزائريين الذين حضروا هذا الاجتماع السيد الأخضر (؟)، الذي قيل أنه كان قائدا سابقا لتلمسان، والسيد محمد بن الزاوي جلول، وهو من قسنطينة، لكن فعالية هذه الجمعية غير واضحة، وربما وجدت محاربة قوية من القنصليات الفرنسية في المشرق العربي[3].

وبالنظر إلى تاريخ تأسيس هذه الجمعية، تجدر الإشارة إلى أن الشيخين حمدان الونيسي والبشير الإبراهيمي كانا بالمدينة المنورة عندئذ، كما أن الشيخ الطيب العقبي كان مهاجرا فيها منذ صغره، وكان ابن باديس قد زار المدينة، ورجع منها إلى الجزائر في هذه السنة (1913م)[4]، فهل كان الشيخ المكي بن عزوز على صلة بجميع هؤلاء؟ وهل شملت جمعيته بعضهم؟ ولا نعلم فيما التقى المكي بن عزوز بهؤلاء الأعلام أو هل كانت بينهم اتصالات أو مراسلات..، ولقلّة مصادرنا لا نملك أي معطيات حول الموضوع، وأيضا عن العضوين الأخضر ومحمد بن زاوي، وفيما يخص الجمعية يروى أنها قامت بحملة دعائية مناهضة للفرنسيين بتونس وبالجزائر، وقد اشتبه في الشيخ ابن عزوز نفسه بأنه يقوم بزيارات سرية إلى صهره الشيخ مصطفى بوخريص في تونس وإلى ابنه الكامل بن عزوز الشيخ الأكبر للطريقة الرّحمانية في سوق اهراس؛ وخلال أحد اجتماعاتها، تقرر إرسال مبعوثين

[1] سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، **موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، (ط.خ)، وزارة المجاهدين، 2007م، ص503-504.

[2] ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص603.

[3] ينظر أنموذج من التقارير الفرنسية حول شخصية المكي بن عزوز في الملحق الأول، الرقم: 11.

[4] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، المرجع السابق ، ص404.

إلى الجزائر والمغرب الأقصى بغية تحقيق أهداف الجمعية[1] ولا ندر، لقلّه مصادرنا مصير هذه الجمعية ولا عن استمرار نشاطها أو ما آلت إليه ؟

ولكن يبدو أنها كانت تسعى لأهداف مشتركة واحدة، وهي الرّعاية والعمل لتحرير المغرب العربي ومناهضة الاستعمار، وخدمة الخلافة الإسلامية، ومساعدة المهاجرين المغاربة، وما يمكن استنتاجه هنا أن الشيخ المكي بن عزوز كان متأثرا بالحركة الإصلاحية، ومن المؤمنين بفكرة الجامعة الإسلامية.

كما كان بن عزوز وغيره من الجزائريين والمغاربة في المهجر يعملون على إعداد حملات تحرّرية ضدّ الاحتلال الايطالي والفرنسي في المغرب العربي، وكان يتحرك بكثرة بين الحواضر وله اتصالات سرّيّة منظّمة وأنصاره كثيرون، كما كانت له صلة وثيقة بزعماء العالم الإسلامي مثل الشيخ حسن ظافر ومحمد باشا بن عبد القادر.. وعلى اتصال دائم بالسلطان العثماني، لكن قلة المصادر في هذا الموضوع حالت دون التعرف أكثر على النشاط السياسي للشيخ خاصة أمام التطورات والأحداث الخطيرة التي شهدتها منطقة المغرب العربي والعالم بأسره، كأحداث مقبرة الجلاز (أو الزلاج) في 1911 في تونس ونفي زعماء الشبان، واحتلال ايطاليا لليبيا إلى التّدخّل الفرنسي بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء (جانفي- جويلة 1906) واحتلاله لوجدة (مارس 1907) والدّار البيضاء (أوت 1907) إلى الاستيلاء على المغرب الأقصى وفرض الحماية عليه[2] سنة 1912، كلّ ذلك للأسف لم نتمكن من معالجته، ونتمنى أن يأت من يبحث أكثر في هذه المسألة، ويعثر على وثائق تفيد الموضوع، وكما تشير لنا بعض المذكرات الفرنسية إلى أن السفير الفرنسي باستانبول حاول في مناسبات عديدة ربط علاقات معه مستعينا ببعض القناصل الفرنسية في الجزائر وتونس، ولكن الشيخ كان دائم الرّفض لدعواتهم[3]، وإنّ مثل هذا الاهتمام البالغ من فرنسا بشأن الشّيخ لدليل واضح على تخوفها الشديد من نشاطه وجهاده المتواصل

[1] Bardin Pierre, **OP cité**, P-P 232-233.

[2] Ali Merad, " La Turcophilie dans le débat national en Algérie an début du siècle (1911-1918)" In **R.H.M**, N° 31-32, Décembre 1983, Tunis, P-P 338-340.

[3] علي الزيدي، **الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904-1945**، مرجع سابق، ص212.

ضده، ولا شكّ أن ما ناله الشيخ من حظوة عظيمة لدى الدولة العثمانية[1]، ما يسّر له أداء نشاطاته السياسية والإصلاحية خدمة لمبادئ الجامعة الإسلامية ودعما للقضية المغاربية، وخاصة الجزائر[2].

هذا واعتبر الشيخ "بن عزوز" من مجموعة المغاربة " الخطرين النشطين " –بحسب السلطات الفرنسية– فقد كان وراء انتفاضة منطقة الشرق الجزائري التي شملت منطقة الأوراس وبسكرة، والتي عزاها الكتاب الفرنسيون إلى أسباب اقتصادية واجتماعية مختلفة[3]، في حين أنّ انتفاضة الأوراس التي انطلقت من عين التوتة، وقادها الحاج أحمد لوذيني –الذي كانت السلطات الفرنسية اختارته قائدا عل المنطقة لمكانته– هذا الأخير كان قد أدى فريضة الحج سنة 1908م، ومرّ أثناءها باستانبول لزيارة الشيخ المكي بن عزوز الذي درس عليه في نفطة من بلاد الجريد التونسي، وقد أوصى الشيخ تلميذه الاوذيني ناصحا ومرشدًا: " ... إن الحرب ستندلع قريبا بين فرنسا وألمانيا وعليكم انتهاز هذه الفرصة (...) ولتكن انطلاقة الثورة من جبال الأطلس الوعرة، ولتمتد من شرق البلاد إلى غربها ... " وحفظ لوذيني الوصيّة، ولما عاد إلى الجزائر عمل بها، إذ حضّر للثّورة، وهاجم القوات الفرنسية بعين التوتة (باتنة) في عام 1916م[4].

I. 3. النضال الوحدوي المغاربي للجزائريين في المهجر ضمن تيار الجامعة الإسلامية:

صحيح أن خطة أطروحتنا تدور حول نشاط الجزائريين في المشرق العربي وليس في غيرها، لكننا نعتقد أنه من الضروري التطرق إلى هذا العنصر المهم بالنسبة لموضوعنا، ذلك أن منطقة المشرق العربي كانت خاضعة للحكم العثماني الذي لا يزال يمثل مركز الخلافة الإسلامية وتمثل جزءا منه خلال الفترة المدروسة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ألمانيا كانت حليفة لتركيا في الح.ع.I، وطبيعي أن ينشط الجزائريون ضمن هذا النطاق.

---

[1] ومن دلائل حظوته أن الدولة العثمانية كانت تثق في ابن أخته الإمام الحضر حسين حيث تعهد بمهمة سياسية في ألمانيا، ينظر: محمد الأمين بلغيث، **قضايا ومواقف في الأدب والتاريخ**، دار البصائر، الجزائر، 2012، ص185، أبو القاسم محمد كرو، **محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق**، دار الغرب العربي، تونس، 1973م، ص74–75، محمد مواعدة، **محمد الخضر حسين، حياته وآثاره**، مرجع سابق، ص25.

[2] ذكر لي أحد الأساتذة في ملتقى وطني في جامعة محمد بوضياف المسيلة أن ابن عزوز كان مستشارا لدى السلطان عبد الحميد، وكان ممّن يثق بهم، ولكنه لم يذكر لي المصدر الذي أخذ منه هذه المعلومة، حوار مع الدكتور بوكسيبة على هامش الملتقى الوطني: **دور الدبلوماسية الجزائرية في المحافل الدولية**، ،بجامعة محمد بوضياف –المسيلة–، 2018.

[3] ينظر مثلا: Ageron, " **L'Algérie Algérienne** " **Op–Cit**. PP 97–122.

[4] **مذكرات الشيخ محمد خير الدين**، ج2. نقلا عن: محمد بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي**، مرجع سابق، تهميش ص69 ، ذكر أنه نقلها بعن مسودة أطلعه عليها في لقاء تم يوم 27–03–1986م بمنزله.

وعيه سنتعرض في هذا العنصر إلى نشاط النخبة الجزائرية في المهجر (المشرق العربي وعاصمة الخلافة)، ودورهم النضالي جنبا إلى جنب مع إخوانهم المغاربة في سبيل القضية الأم (القضية المغاربية)، فلا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نفصل نشاط النخب المغاربية عن بعضها البعض في هذه الفترة بالذات، فمن المعلوم أنه وخلال هذه الفترة غادرت الجزائر أفواج عديدة من العلماء الوطنيين بدءا بفوج المكي بن عزوز وأمزيان التلمساني والخضر حسين ..، الذين عاشوا متنقلين بين المشرق العربي وتركيا وألمانيا، لتلتحق بعدهم أفواج أخرى من الوطنيين المسلمين، وكان شعارهم في ذلك "إما النصر أو الشهادة"[1]، وقد تعالت أصواتهم جريئة تهزّ آفاق الجزائر والمغرب العربي كلّه، فلم تستطع بنادق المستعمر الفرنسي إخماد ثورتهم، فقد عاهدوا الوطن على الموت ما دام في أرضه موطأ لقدم مستعمر في البلاد العربية والإسلامية.

I. 1.3. نشاط الجزائريين ضمن الجمعيات المغاربية المساندة لتيار الجامعة الإسلامية:

من أعمال المهاجرين الجزائرين تكوين جمعيات مغاربية، والتي كانت لها نشاطات معتبرة في مجالات مختلفة من علمية واجتماعية ودينية، وكانت نشاطاتها هذه في الغالب غطاء لنشاطها السياسي لمناهضة الاستعمار في بلادها، وكثيرا ما كانت أعمالها تبرز المسألة المغاربية وتدعوا لها في إطار الخلافة الإسلامية، ومشروع الجامعة الإسلامية، وعليه أنشأت جمعيات كانت تدعم تيار الجامعة الإسلامية.

- جمعية الإتحاد الإسلامي (1906):

نشأت بمبادرة من الجزائري "خوالدية صالح"[2] سنة 1906 الذي دعا من خلالها المسلمين إلى الإتحاد في إطار الجامعة الإسلامية، ففي البيان الذي نشره يوم 01 جانفي 1906 تحت عنوان "نداء الثورة"[3]، ذهب فيه

[1] عبد الله الطاهر، **الحركة الوطنية التونسية**، ط2، دار المعارف للطباعة، تونس، 1990، ص25.

[2] هو صالح بن سعيد عمر الخالدي الحسني، المدعو "خوالدية صالح"، أصله من "قالمة"، ولد حوالي 1876، لأنه كان سنة 1906 يبلغ 20 سنة، تخرج من ثانوية قسنطينة في 28 ديسمبر 1905، ربطته علاقات صداقة مع الكثير من أصدقاء الأهالي مثل "روزي"، ووصفه الكاتب المصري "خليفة أفندي" في جريدة "المؤيد سنة 1906 "شاب شجاع"، زار العديد من الأقطار الأولربية، وعبر الصحاري الإفريقية والعربية، وأقام أشهر عديدة في القسطنطينية أين كان ضيفا، لدى السلطان. للمزيد حول نشاطه، ينظر: سلسلة تقارير عن صالح خوالدية: **الأرشيف الوطني التونسي**، العلبة (E)، صندوق 550، ملف 30/12-(78-81).

[3] صدر بعدد يوم الإثنين 1 جانفي 1906، من جريدة (La Dépèche Tunisienne)

إلى أن أوربا تتبع خطة محكمة هدفها تقويض ركائز الإسلام[1]، الأمر الذي يحتم –حسب رأيه– على العرب والمسلمين تكوين جبهة موحّدة للوقوف في وجهها، ويختم دعوته الموجهة إلى بني جلدته في الجزائر بحثهم على الثورة ضد الاحتلال الفرنسي مؤكدا لهم أنه عند المعركة الحاسمة سيجدون في مقدمتهم "الشرفاء المكونين للجنة المركزية للاتحاد الإسلامي لتحمل المسؤولية[2]، مبرزا أن كلّ قضية عادلة لابد من شهداء لها[3]، مؤكدا في الختام أن على أن أوربا تعلم بأن الأمة الإسلامية تمتلك قوة رهيبة تمكنها من تقرير مصيرها[4]، وفي مقال آخر بعنوان "الإسلام"[5]، أوضح خوالدية تعلقه الشديد بالجامعة الإسلامية موضحا ما تقوم به القوى الإستعمارية من مساعي لتشتيت المسلمين قصد إضعافهم، مؤكدا أنّه ليس لهؤلاء من حلّ سوى الوقوف كرجل واحد ضد المحتلين الغاصبين[6]، وحسب تقرير "مصالح الصحافة العربية" فإن "خوالدية" تردّد على كثير من الأقطار العربية مثل تونس وبنغازي في ليبيا، أين اتصل بالسنوسيين لبثّ فكرته، كما زار القسطنطينية ومكث بها شهورا، أين استضافه السلطان العثماني "عبد الحميد"، والظاهر أن سبب زيارته يتمثل في التباحث مع السلطان لإيجاد السبل الكفيلة لتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية عمليا، والتصدي لمخططات فرنسا وبريطانيا التي تعمل جاهدة من أجل "تلاشي الرابطة الإسلامية"[7].

كما تصدى "خوالدية" لطروحات القوميين العرب ذوي الأصول المسيحية، الذين كانوا يدعون إلى انفصال العرب عن دولة الخلافة، من بينهم "نجيب عازوري"[8] الذي نشر سنة 1905 كتابا تحت عنوان "يقظة الأمة العربية"، اعتبر فيه الأتراك سبب خراب العرب المتفوقين عليهم –على حدّ قوله– في كل شيء، لذلك حرّضهم على الإنفصال عن العثمانيين، وتكوين دولة عربية مستقلة متكونة من سورية والعراق ولبنان وفلسطين، على أن

---

[1] **A.N.O.M**, GGA1F6.

[2] عمار هلال، مساهمة الخالدي صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية مغربيا وعربيا وإسلاميا، **الثقافة**، ع:99، الجزائر، 1987، ص120.

[3] وجدتها مكتوبة كما يلي: "... لابد من وجود شهداء ((كذا)) مؤكدا في الختام ..."

[4] عمار هلال، المرجع السابق، ص120.

[5] نشرته له جريدة: (L'Egyptien Gazette) ليوم 1906/04/02.

[6] عمار هلال، المرجع السابق، ص121.

[7] **A.N.O.M**, GGA1F6.

[8] نجيب عازوري (ت 1916)، من مسيحيي لبنان ويعتبر من رواد القومية العربية، أسس سنة 1904 حزبا قوميا أطلق عليه "جامعة الوطن العربي"، وفي باريس أصدر مجلة أطلق عليها اسم "مجلة الإستقلال العربي" ما بين 1907–1908، نشر عدة مقالات في الصحف الفرنسية، انتقل إلى مصر واشتغل في الصحافة التي كان يدعوا من خلالها إلى القومية العربية. للمزيد حوله وحول مرتكزات فكره القومي ينظر كتاب: نجيب عازوري، **يقظة الأمة العربية**، تر: أحمد بوملحم، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ص20 وما بعدها.

تكون الحجاز مقرا لخلافة إسلامية عربية، فاعترض "خوالدية" على هذه الدعوة، متّهما "عازوري" بالعمالة لبريطانيا والتحرك لصالحها، وصرّح علنا بأن مقر "اللجنة العربية" يوجد في مقرّ وزارة الخارجية البريطانية، فهدف "عازوري" حسب ما ذكره "خوالدية" هو مناهضة سلطان المسلمين في لقب أمير المؤمنين، متسائلا في ذات الوقت عن تدخل "عازوري وهو مسيحي في قضية تعتبر من أعقد قضايا المسلمين، فمن حق علمائهم فقط تقرير هل أن الخلافة من حق الأتراك أم لا، وهل أن أمير المؤمنين الحالي أهل للمنصب الذي يشغله، كما أن لهم وحدهم –وليس للسياسيين الغربيين– تقرير إمكانية تغييره أم لا[1]، وفي نهاية احتجاجه دعا "خوالدية" الشعبين الجزائري والتونسي إلى عدم الإنسياق وراء "اللجنة العربية" التي يمثلها "نجيب عازوري" لأن مبادئها ستؤدي إلى سقوط المسلمين في هاوية سحيقة[2].

وإلى جانب "خوالدية" كان "توفيق المدني" من بين الداعين إلى تبني حركة الجامعة الإسلامية، فتشير الوثائق التي ضبطتها الشرطة الفرنسية في بيته، والتي كانت سببا في اعتقاله سنة 1915 عن وجود علاقات بينه وبين السلطات العثمانية في استانبول، وهي عبارة عن مراسلات وبطاقات مرسوم عليها العلم العثماني، وبها الختم الرسمي للدولة العثمانية، ومن بين ما ضبط عنده منديل أحمر عليه رسوم لشخصيات دستورية[3] مهمة وهم: وهم: "أحمد رضا بك"، "أنور بك"، "نيازي بك"، "كمال بك"، يتوسطهم "مدحت باشا" الذي يعلوه العلم العثماني (نجمة وهلال)[4].

ورغم الظروف التي كابدها "المدني" في السجن إلا أنه ظل مؤمنا بفكرة الجامعة الإسلامية التي قال عنها: "... لا يريد المسلمون الجامعة الإسلامية لاتخاذها آلة حرب وخراب وتدمير، بل يريدونها ويسعون إليها لتكون لهم وسيلة تعارف واتصال ورقيّ وعمران، يريدون جامعة إسلامية أخلاقية توطد دعائم الإتحاد والتآلف بين المسلمين حول مركز الخلافة العظمى، لا جامعة إسلامية حربية تجعل العالم الإسلامي كلّه من أقصاه إلى أقصاه امبراطورية واحدة لا يمكن أن تتألف ولو في عالم الخيال ..."[5].

---

[1] التليلي، مرجع سابق، ص115-116.

[2] نفسه، ص116.

[3] ينظر صورة المنديل في الملحق الثاني، رقم: 05.

[4] El Madani, In: **A**.**N**.**T**, op-cit.

[5] ناصر، **المقالة الصحفية** ..، ج1، مرجع سابق، ص173.

- جمعية الأخوة والمساعدة والدعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين (1910):

أسسها الشيخ "صالح الشريف" رفقة الشيخ "إسماعيل الصفائحي"[1] والمسلم البولوني "ضادي غازتوت" الملقب بسيف الإسلام (Thadee Gastowt) سنة 1910 باستانبول، واقتصرت مهمة الجمعية على تقديم المساعدات للمهاجرين والتوسط لهم لدى الحكومة العثمانية، وتشجيعهم على الهجرة من خلال الترويج للحقوق والامتيازات المغرية التي سوف يحصلون عليها[2]، وكان لها فروع من أهمها فرع دمشق، ومن أعضائه "الشيخ الحسين" و"محمد بن الصغير"، وكلاهما من مدينة سدراتة (الجزائر)، و"الدراجي بن الحسين" و"الحاج إسماعيل بن محمد" وكلاهما من قسنطينة، و"الجازولي باش تارزي" من تونس، و"محمد بن شطة"[3]، ويبدو أن هذا الأخير هو "محمد التهامي"، كما كانت تتلقى الدعم من بعض الجزائريين المقيمين في دمشق والمدينة وحتى من الجزائر، ورغم الوجه الاجتماعي الظاهري للجمعية، إلاّ أنها مثلت وسيلة تأطير ودعاية للجامعة الإسلامية، ومما يؤكد على ذلك حضور الجزائريين والتونسيين المقيمون بالقسطنطينية للحفل الذي أقيم بمناسبة وصول المدرعتين "خير الدين بربروس" و"درغوث رايس" اللتين اقتنتهما الدولة العثمانية من ألمانيا سنة 1910 إلى المياه التركية، والخطب التي ألقاها الحاضرون، وأكدوا فيها على عثمانية الجزائريين والتونسيين.

- الجمعية الخيرية الإسلامية:

مقرها الآستانة، كان هدفها مساعدة المهاجرين المغاربة الوافدين على تركيا، إضافة إلى أهداف أخرى سياسية، ولقد كانت اللجنة المسيرة للجمعية تحت رئاسة "محمود شوكت"، وتضم بين أعضائها "يوسف ستوان" أصيل طرابلس الغرب، إلى جانب صالح الشريف وإسماعيل الصفائحي، وكذلك "عبد العزيز جاويش"، ولقد أصدرت الجمعية جريدة (عالم الإسلام) الناطقة بعدة لغات كالتركية والفارسية والهندية فضلا عن العربية، وقد دأبت على حث مسلمي شمال افريقيا على رفض دفع الضرائب[4]، ولا ندري لقلة مصادرنا مصير هذه الجمعيات وعن استمرار نشاطها، وما آلت إليه ؟ والواضح أنها كانت تسعى لأهداف مشتركة واحدة، وهي الدعاية

---

[1] اسماعيل الصفائحي (1853-1918) من شيوخ الزيتونة، تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة، ينظر عنه: محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، ص-ص 233-235، وكذلك:

=BARDIN Pièrre, **OP cité**, p-p 190-195

[2] BARDIN Pièrre, **OP cité**, p-p 190-195.

[3] هناك تضارب في أعضاء فرع دمشق بين نادية طرشون، مرجع سابق، ص208، وباردان: BARDIN, op-cit, p.230

[4] **Centre de documentation National**, B: 3-6, Le panislamisme en Tunisie.

والعمل لتحرير المغرب العربي ومناهضة الاستعمار، وخدمة الخلافة الإسلامية ومساعدة المهاجرين المغاربة، وقد تعاظم نشاط هذه الجمعيات منذ وصول علي باش حامبة إلى استانبول[1]، وتذكر بعض المصادر أن هذه الجمعيات انصهرت في حركة جماعية مغاربية واحدة عشية اندلاع الح.ع.I سميت بجماعة المغاربة وأنها كانت مقربة من "جماعة الاتحاد والترقي" ولسانهم جريدة "الشباب التركي"، وأن "عبد العزيز جاويش"[2] الذي كان له نشاطات معتبرة في الحركة الإسلامية كان وراء هذا التقارب، كما تدلنا الوثائق الأرشيفية العثمانية إلى تأسيس جمعية باسم "المهاجرين الأفارقة" في بيروت مؤرخة بتاريخ 14 أكتوبر 1914 تحت إدارة الأمير خالد الجزائري، وذلك بهدف تقديم المساعدات إلى المهاجرين القادمين من إفريقيا ومتابعة الأمور المتعلقة بهم[3].

I. 2.3. نشاط الجزائريين ضمن محور (استانبول – جنيف – برلين) خلال الح.ع.I:

كان للجزائريين رفقة الكثير من الوطنيين العرب والمسلمين تنقلات كثيرة بين الحواضر الأوربية واستانبول وغيرها من البلدان كالحجاز ومصر وبلاد الشام، وتحديدا أولئك الذين كانوا في تيار الجامعة الإسلامية، وذكرنا سابقا أن عددا من المغاربة ومنهم جزائريون انطلقوا عشية الح.ع.I إلى استانبول متعاونين ومرتبطين بالهياكل الإدارية والعسكرية لدولة الخلافة الإسلامية، ومن عاصمة الخلافة (استانبول) انطلقوا مهاجرين إلى الدول الأوربية مع بداية الحرب، وبخاصة إلى ألمانيا وسويسرا، وكانت هجرة هؤلاء أسلوبا من أساليب الكفاح ووسيلة من وسائل تجميع القوى في جبهات خارجية[4]، من أجل القضية المغاربية الإسلامية.

---

[1] كرو، مرجع سابق، ص35.

[2] عبد العزيز جاويش (1876–1929)، ولد بالاسكندرية بمصر، وهو من أصول تونسية (استقر جده بالاسكندرية في الثلاثينات من القرن 19)، درس بالأزهر وكان من المتأثرين بالحركة الإصلاحية التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومن المؤمنين بفكرة الجامعة الإسلامية، انتقل إلى بريطانيا ودرس بجامعة برورد واكسفورد وعاد إلى مصر سنة 1901، وعين مفتشا بوزارة المعارف، وأصبح من أبرز عناصر الحزب الوطني المصري، ثم عاد إلى بريطانيا فيما بين 1902–1906 ليدرّس اللغة العربية بجامعة اكسفورد، وخلال سنة 1908 تولى رئاسة تحرير جريدة (اللواء) ثم جريدة (العلم) وكتب في مجلة (الهداية) المصرية، كما تولى إدارة كلية المدينة المنورة بعد أن شارك في إنشائها، ثم انتقل إلى استانبول سنة 1912، وانتمى إلى جمعية "الاتحاد والترقي" وعمل خلال الح.ع.1 إلى جانب الوطنيين المصريين والمغاربة، وعاد إلى مصر سنة 1923. ينظر عنه: أنور الجندي، **عبد العزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والاجتماع**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة أعلام العرب، ع: 44، د.ت، ينظر كذلك: BARDIN, OP cité, p.196

[3] ينظر تقرير حول الموضوع في الملحق الأول، رقم: 20.

[4] محمد أبو القاسم كرو، **المهاجرون التونسيون من سنة 1860 إلى الح.ع.1**، ن/م.د.أأأ، ع: 2، جوان 1975، تونس، ص33.

وكان في طليعة النخبة الجزائرية المهاجرة والتي حلت باستانبول مع مطلع القرن العشرين الشيخ المكي بن عزوز الذي أشرنا إليه سابقا، هذا الأخير كانت له علاقات طيبة مع الشيخ "حسن ظافر" و"الأمير محمد باشا" اللذان استقبلاه في استانبول ومكناه من الوصول إلى قصر السلطان ليعين مستشارا فيه[1]، وكذلك الشيخ "صالح الشريف"[2]، الذي هاجر إلى دمشق سنة 1905، واهتم بالمهاجرين المغاربة في بلاد الشام، وكانت له علاقات طيبة مع أسرة الأمير عبد القادر، وبخاصة مع "الأمير علي باشا"، ثم انتقل إلى استانبول وشارك في الحرب الطرابلسية – الإيطالية مع "أنور باي" و"الأمير علي[3]، وابنه الأمير عبد القادر[4]، وحلّ بألمانيا في نوفمبر أو ديسمبر من سنة 1914[5]، والذي اصطحب الشيخ "الصالح الشريف" إلى ألمانيا وأوصله إلى برلين هو "الأمير علي باشا"[6]، وعاد إلى "استانبول" حيث كلفه الخليفة بمهمة سياسية كبرى، وهي السعي بالصلح بين أمراء نجد من آل سعود وآل الرشيد الذين دخلوا في قتال قبلي، ومنذ سنة 1916 أصبحت أسفاره متعاقبة المرة تلوى المرة إلى برلين[7]، ويبدو من خلال كثرة تنقلاته بين استانبول وبرلين أنه كان المنسق بين الجماعة المغاربية في برلين وجنيف وعلي باش حامبة المتواجد في استانبول.

وقد تدعم نشاطهم بشخصية فذة، كان لها دورها في النشاط الوحدوي المغاربي وهي شخصية الشيخ "محمد الخضر حسين"[8]، الذي كان يعيش في دمشق مدرسا بالمدرسة السلطانية، منذ أن حل إليها من تونس

---

[1] يراجع حول نشاط المكي بن عزوز: هشام ذياب، **محمد المكي بن عزوز، حياته، مواقفه وآثاره**، مرجع سابق.

[2] الشيخ صالح الشريف التونسي (1862-1920)، من أصول جزائرية ولد بتونس، وتخرج من جامع الزيتونة، ودرّس به بداية من سنة 1893. ينظر عنه: بيتر هاين، "**قومي من شمال افريقيا في برلين أثناء الح.ع.1، (صالح الشريف التونسي)**، محاضرة ألقاها صاحبها على طلبة معهد التاريخ بالخروبة، الجزائر، يوم 1985/03/05، ينظر ملخصها بمجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، العدد الأول سنة 1986. ينظر عنه أيضا: BARDIN, op-cit, p-p 190-195.

[3] BARDIN, op-cit, p-p 190-195.

[4] شارك الأمير عبد القادر بن الأمير علي في الحرب الطرابلسية إلى جانب أبيه، وكان عبد القادر من أصدقاء صالح الشريف، يراجع: هاين، "**قومي من شمال إفريقيا..**، مرجع سابق.

[5] ينظر: آنده، مرجع سابق، ص57.

[6] ينظر: هاين، المرجع السابق.

[7] شارك قابل الشيخ "صالح الشريف" الشريف حسين ومكث بالدينة المنورة، وذهب مرتين إلى نجد لمقابلة الأمير ابن الرشيد. ينظر: الطيب بن عيسى، "حياة الشيخ "صالح الشريف"، **جريدة الوزير**، ع:16-17 ذي القعدة 1338هـ، الموافق لـ: 1920/08/02، بملف صالح الشريف.

- Salah cherif, Dos. B.2.24.C.D.N. Tunis.

[8] محمد الخضر حسين (1873-1958) علم من أعلام المغرب العربي، ولد بتونس من أصول جزائرية، تلقى تعليمه بنفطة وبجامع الزيتونة وتخرد منه منه ودرّس به، أصدر سنة 1904 مجلة (السعادة العظمى)، كما عمل قاضيا، ودرّس بالمدرسة الصادقية، زار الجزائر، وهاجر من تونس إلى المشرق العربي واستقر بدمشق واشتغل مدرسا بالمدرسة السلطانية إلى سنة 1917، استدعي إلى استانبول، وسافر بعدها إلى ألمانيا، أسس بمصر سنة

سنة 1912 مع إخوته الأربعة، من بينهم "زين العابدين" و"محمد المكي"، وقد زار أثناء إقامته بالشام عدة بلدان عربية وإسلامية، وقام بنشاطات علمية معتبرة إلى سنة 1917، حيث سجنه القائد التركي "أحمد جمال باشا" بتهمة علمه بالحركة السرية العربية المعادية للأتراك، ومكث في السجن مدة ستة أشهر وأربعة عشر يوما[1]، وعند خروجه من السجن عاد إلى التدريس وإلقاء المحاضرات بالجامع الأموي، لكنه سرعان ما تلقى دعوة من حكومة الخلافة العثمانية باستانبول للعمل منشئا عربيا بوزارة الحربية[2]، وعملية استدعاء الشيخ محمد الخضر حسين إلى استانبول يكتنفها كثير من الغموض لانعدام الوثائق المتعلقة بهذه الفترة من حياة الرجل[3]، ومع ذلك فهناك فرضيات واحتمالات تاريخية مقبولة لتعيين الخضر حسين في منصبه الجديد باستانبول، منها تناسب الظروف السياسية التي كانت تدور فيها رحى الح.ع.I.

وهنا قد يكون الشيخ محمد الخضر حسين هو الذي سعى بنفسه للخروج من جحيم دمشق وحكم "جمال باشا"، كما يحتمل أن يكون "علي باش حامبة" ورفقائه في استانبول هم الذين سعوا في هذا التعيين، ليكون الشيخ محمد الخضر حسين قوة ودعما لهم في العمل من أجل تحرير المغرب العربي، حيث كان علي باش حامبه[4] وغيره من المغاربة يعملون في استانبول وأوربا على إعداد حملات تحررية ضد الاحتلال الإيطالي والفرنسي في المغرب العربي، وكانوا يتحركون بكثرة بين الحواضر ولهم اتصالاتهم السرية المنظمة وأنصارهم كثيرون[5]، وقد يكون التعيين لمساع شخصية من زعماء العالم الإسلامي مثل "الشيخ حسن ظافر" الذي كان على اتصال دائم بالسلطان العثماني وعلى صلة وثيقة بالشيخ المكي بن عزوز خال الشيخ محمد الخضر حسين، وكان الشيخ بن عزوز قد توفي سنة 1916[6].

1923 "جمعية تعاون تعارف جاليات شمال افريقيا"، وأسس خلال الح.ع.2 "جبهة الدفاع عن شمال افريقيا"، سمي شيخا للجامع الأزهر ما بين (1952-1954)، له العديد من المؤلفات منها: بلاغة القرن – الحرية في الإسلام – الخيال الشعري العربي – رسائل الإصلاح ..، ينظر عنه: محمد مواعدة، **محمد الخضر حسين، حياته وآثاره**، الدر التونسية للنشر، تونس، 1974، وكذلك: كرو، محمد الخضر حسين، **جريدة العمل**، ع: 4181، 12 ذي القعدة 1388هـ، الموافق لـ: 1969/02/28. ومحفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج2، مرجع سابق، ص-ص 126-135.

[1] محمد أبو القاسم كرو، **جريدة العمل**، المرجع السابق.

[2] نفسه، ص24، وكذلك: مواعدة، المرجع السابق، ص71.

[3] ينظر: مواعدة، المرجع السابق، ص71-72.

[4] كان علي باش حامبة في هذه السنة 1917 مستشارا للصدارة العظمى، ينظر: علال الفاسي، **الحركات**، ص45..

[5] ينظر: كرو، محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص24.

[6] لم يتحدث الشيخ محمد الخضر حسين من خلال وثائقه عن مسؤوليته بإستانبول، لكن يفهم أن عمله تمثل في متابعة التقارير العسكرية والسياسية التي ترد وتصدر من وزارة الحربية إلى البلدان العربية، ينظر: مواعدة، المرجع السابق، ص72.

ولما كانت الدولة العثمانية حليفة لألمانيا، وكانت تهدف إلى بعث ثورات شعبية في شمال افريقيا، فقد كلفت الشيخ محمد الخضر حسين لإخلاصه وثقتها فيه بمهام جديدة في ألمانيا[1]، فغادر استانبول باتجاه برلين رفقة عدد من الشيوخ العلماء منهم "صالح الشريف" وإسماعيل الصفائحي[2]، المترددين على استانبول وبرلين والمشرق العربي، ومكث مع جماعة المغاربة زهاء تسعة أشهر، قام بمهمة إلى جانب إخوانه المغاربة، وتردد ما بين استانبول وبرلين إلى سقوط استانبول في أيدي الحلفاء مع أواخر الحـ.ع.I[3]، وفي صيف نفس السنة التي انتقل فيها الشيخ محمد الخضر حسين إلى ألمانيا، وصل إليها الأمير "شكيب أرسلان" في زيارة رسمية، وكان أرسلان على صلة بالمغاربة في استانبول، ويعد من أبرز المكافحين من أجل الوحدة والاستقلال العربي—الإسلامي، كما دخل استانبول مع بداية الحـ.ع.I منفصلا عن الوطنيين العرب المتطرفين الداعين إلى استقلال سورية عن الدولة العثمانية، وعارض كل فكرة لانفصال العرب والأتراك، ولئن أوردنا اسم الأمير شكيب أرسلان كأحد القوميين العرب المسلمين، فذلك لأنهم تعاونوا مع إخوانهم المغاربة، كما أن حركة الوحدة المغاربية في هذه الفترة كانت تدور في فلك العالم الإسلامي، وكان ينظر للمغرب العربي على أنه جزء من العالم العربي والإسلامي، الذي يدين بالولاء للخلافة العثمانية[4].

ومن الشخصيات الجزائرية المثيرة التي قامت بأعمال جليلة ضمن حركة الجامعة الإسلامية لرفع صوت المغرب العربي الشيخ "محمد مزيان التلمساني" و"حمدان بن علي الجزائري" و"محمد الشبي التونسي"[5] و"محمد بيراز"[6] (أبو بويراز) الجزائري وهو خال "أحمد توفيق المدني"، وهو الشخص الذي راسله "المدني" قبل سجنه سنة

---

[1] كرو، الشيخ محمد الخضر حسين ..، مرجع سابق، ص24.

[2] ينظر: مواعدة، مرجع سابق، ص73-74، وكرو، محمد الخضر حسين ..، المرجع السابق، ص25.

[3] مواعدة، المرجع السابق، ص74-75، وكرو، محمد الخضر حسين ..، ص25.

[4] ينظر: آندة، مرجع سابق، ص62.

[5] لم نقف لهم على تراجم لهؤلاء الثلاثة، ولا كيف هاجروا إلى المشرق، ولا متى التحقوا بعاصمة الخلافة، ولا كيف التحقوا بالعواصم الأوربية كجنيف وبرلين ؟ مع أننا نجد أسماءهم مقترنة بنشاطات زملائهم المغاربة الآخرين، وبخاصة في "لجنة استقلال الجزائر وتونس"، أما بالنسبة لمحمد مزيان التلمساني، فقد ذكر الأستاذ محمد بلقاسم أنه كان أستاذا بمدينة تلمسان، وأخبره عنه السيد: محمد قنانش، وأنه فعلا من تلمسان، وبمتّ بصلة قرابة إلى عائلة السيد: عبد المجيد مزيان وزير الثقافة السابق، وذلك في لقاء جمعه به بتاريخ 1986/01/16 بمنزل الدكتور أبو القاسم سعد الله –رحمه الله–، وأكد صلة القرابة هذه كذلك: الأستاذ زهير مزيان، وهو زميل للأستاذ محمد بلقاسم، غير أنه ذكر أنه لا يعرف عن "محمد مزيان" شيئا، وطلب منه استقصاء أخبار عنه من أخيه السيد: عبد المجيد مزيان، أما بخصوص "محمد الشبيي التونسي فيذكر عنه كاتب فرنسي أنه "جزائري" رغم اسمه الذي يوحي بأنه من تونس. ينظر: محمد بلقاسم، **الإتجاه الوحدوي** ..، مرجع سابق، هامش2 صفحة 41.

[6] محمد بيراز أو (بويراز) جزائري من أصل تركي، هاجر أبوه عمر بويراز من الجزائر إلى تونس، وكان من رجال الثورة الإسلامية الوطنية في تونس أثناء أثناء الإحتلال الفرنسي لها، وقد هاجر بعائلته إلى استانبول بعد سنة 1909، وكان لمحمد بيراز أخ اسمه "الحبيب" سبق له أن فر من تونس إلى

سنة 1915[1]، وقد هاجر مع عائلته من الجزائر إلى تونس، ولما لحق بهم الاستعمار هناك، رحلوا إلى استانبول بعد سنة 1909، وقد عاد "بويراز" إلى تونس حوالي (1911-1912) بلباسه العسكري العثماني[2]، حيث يذكر توفيق المدني أنه التقى خاله في تونس وهو في عمر الحادية عشر من عمره، ويبدو أن "محمد بويراز" كان ضمن القوات العثمانية التي أتت لنجدة طرابلس الغرب (ليبيا).

كما قام الجزائريون رفقة إخوانهم المغاربة بتأسيس العديد من الجمعيات واللجان في المهجر أثناء الح.ع.I في إطار العمل الوحدوي المغاربي، وتحت غطاء حركة الجامعة الإسلامية، ومنها "لجنة استقلال الجزائر وتونس" التي تأسست في برلين في 07 جانفي 1916[3]، برئاسة الشيخين صالح الشريف[4] وإسماعيل الصفائحي ومحمد مزيان التلمساني[5]، وكانت مهمتها تتمثل في تحرير المنشورات والكتيبات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية[6] لصالح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي، وتفرعت هذه اللجنة عن لجنة تحمل نفس الإسم، أسسها الشيخ علي باش حامبة في نفس السنة بإستانبول[7]، وظهرت لجنة أخرى فرعية بجنيف برئاسة محمد باش حامبة[8]، وكانت أعمال هذه اللجنة ونشاطاتها تبرزها "مجلة المغرب" الناطقة باللغة الفرنسية التي أسسها محمد باش حامبة

استانبول =قبل هذا التاريخ، وانضمّ إلى جماعة "الإتحاد والترقي" وهو لا يعلم ماذا يريدون ؟ فاستخدموه وألقت عليه الشرطة السرية القبض أيام السلطان عبد الحميد الثاني، وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر سنة، وبناءا على ذلك ذهب الأب "عمر" إلى استانبول يسعى لإطلاق سراح ابنه، وتمكن من مقابلة السلطان بمساعدة أبي الهدى الصيادي، فأمر السلطان تبديل الحكم من سجن إلى نفي إلى جزيرة قبرص، وأطلق سراح "الحبيب" بعد ذلك، فالتحق بكلية الطب العسكري، وتخرج منها، وكان له دور في الحركة الكمالية بقيادة "مصطفى كمال باشا". ينظر: أحسن أوغلي، مرجع سابق، ص36-37.

[1] ينظر عنه: المدني، **حياة كفاح**، ج1، مرجع سابق، ص73.

[2] ينظر: أكمل الدين حسن أوغلي، "هذا ما حدثني به المدني، صفحات مجهولة من حياة المغفور له الأستاذ: أحمد توفيق المدني، **مجلة التاريخ**، ع:18، النصف الأول من سنة 1985، الجزائر، ص36-37، نقلا عن: محمد بلقاسم، مرجع سابق، هامش ص41.

[3] ذكر آجرون أن اللجنة لم تشمل أي جزائري، ينظر:

Charles-Robert AGERON, **Histoire de L'Algérie contem poraire**, **de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de L'iberation**, T.II, p.u.f, 1979, p 264.

[4] كان الشيخ صالح الشريف قد عيّن عضوا في الجمعية الوطنية باستانبول سنة 1915. ينظر: هاين، "قومي من شمال افريقيا ..، المرجع السابق.

[5] MAHDJOUBI, **op-cit**, p 140.

[6] AGERON, **op-cit**, T.II, p 263.

[7] SRAIEB, **R.O.M.M**, N°9, op-cit, p 98.

[8] ينظر: سعد الله،**الحركة الوطنية**، ج2، ص220-221، وكذلك: SRAIEB, **R.O.M.M**, N°9, op-cit, p 98

في نهاية شهر ماي 1916 بجنيف[1]، وكان الناشر –الخفي– للمجلة هو جمعية عالمية إسلامية مقرها في لوزان[2]، لوزان[2]، لم تذكر لنا المصادر ما اسم هذه الجمعية.

وفي إطار المطالب التي رفعتها اللجنة من خلال "مجلة المغرب" فإن وفدا باسم "لجنة استقلال الجزائر وتونس" شارك في أشغال المؤتمر الثالث للقوميات المنعقد بلوزان بتاريخ 27 جوان 1916 وقدم مطالب تترجم طموحات الشعب الجزائري والتونسي، وقد ترأس الوفد الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفائحي[3]، وتعرضت العريضة المرفوعة للمؤتمر إلى الوضعية الاجتماعية والقافية التي يعيشها الشعبين الجزائري والتونسي وإلى النظام السياسي المسلط عليهما من قبل الاستعمار الفرنسي[4].

كما أرسل صالح الشريف في نفس السنة رسالة إلى القيصر الألماني يطلب منه فيها تصفية جميع مستعمراته، حتى يستطيع أن يقدّم إلى العالم الدليل على حسن نواياه[5]، والظاهر أن هذه الرسالة لم يكن لها أي أي صدى ولا حتى وعودا كالتي تلقتها "لجنة استقلال الجزائر وتونس"، وتبين للجزائريين والمغاربة أنّ المساعدة التي كانوا يأملونها من ألمانيا لها حدود لا يمكن تخطيها، ولذلك نجدهم قد لجؤوا إلى الإعتماد على أنفسهم وعلى الهيئات الدولية والدول الحيادية في الحرب، مغيّرين من لهجة مطالبهم التقليدية الإصلاحية إلى المطالبة بالإستقلال في إطار الخلافة العثمانية.

وقد أصدرت "اللجنة" نشرية بعنوان "شكاوى الشعوب المضطهدة (الجزائر وتونس)، أظهرت من خلالها –بعبارات عنيفة– الإبتزازات والتعسفات القانونية وإجراءات التفرقة المتولدة عن النضام الإستعماري الفرنسي في القطرين، وطالبت بالإستقلال الكامل والفوري قائلة: "... إن هذا الشعب الجزائري والتونسي لم يتخلّ عن حريته وتعلقه بالخلافة وحبه وتقديره لها مغروس في أعماق قلبه ..."، وأن الكثير من الوطنيين قد هاجروا وطنهم لترصّد الغاية عند أول فرصة، وقد جاءت الفرصة ليطالب الشعب الجزائري والتونسي بالعدالة ضد مضطهديه

[1] كان محمد باش حامبة يسكن في الطابق (05) من العارة رقم (03) بنهج مارل دوبيني (Marle d'Aubigné) في أحد أحياء جنيف الشعبية، وكان بيته مقرا للجمعية. ينظر: الجناحي، مرجع سالق، ص44.

[2] كانت الجمعية العالمية الإسلامية برئاسة الخديوي "عباس حلمي" وهي عبارة عن لجنة تابعة لجمعية الإتحاد والترقي التركية، ويذهب البعض إلى أنها كانت ممونة من المصالح الألمانية السرية. ينظر:

- AGERON, **Histoire de L'Algérie**, **T.II**, p 263. et GOLDSTEIN, op-cit, p 267.

[3] Noureddine SRAIEB, "**Politiques culturelles nationales et unité Maghrebine**",**in Annuaire de L'afrique du Nortd**", 1970, C.N.R.S, paris, 1971, p 104.

[4] للمزيد حول الموضوع، ينظر: محمد بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي** ..، مرجع سابق، ص54-55.

[5] ينظر: آندة، مرجع سابق، ص58.

وبحقه في الحياة والحرية والإستقلال .."[1]، لذلك نجد أنّ الوطنيين الجزائريين والمغاربة رفقة الوطنيين العرب المقيمين في سوسرا وألمانيا يشاركون في "المؤتمر الإشتراكي" الدولي الذي أقيم في استوكهولم بالسويد في صيف 1917، كما شاركوا في "مؤتمر الشعوب الإسلامية"[2] في شهري أكتوبر ونوفمبر من نفس السنة[3].

وفيما يتعلق بالمؤتمر الإشتراكي، فمن الواضح أن غالبية الوطنيين العرب الذين شاركوا فيه –ومنهم جزائريين– لم يكونوا اشتراكيين، لمنهم انتهزوا فرصة عقد المؤتمر لعرض القضية العربية على أعضاء المؤتمر الإشتراكي العالمي[4]، أما مؤتمر الشعوب الإسلامية، فقد حضره ممثلوا بعض الشعوب الإسلامية من افيقيا وآسيا، وعقد بقاعة فكتوريا (Viktoria) باستوكهولم تحت رئاسة شيخ البلدية السيد ليندهاغن (Lindhagen)، وقد وجه الحاضرون نداءا إلى شعوب العالم الحيادية والمتقاتلة على السواء مناشدين "مؤتمر السلام" الذي سيعقد لتعديل خريطة العالم، أن يلبي آمالهم، ويأخذ بعين الإعتبار مطامحهم إذا كان يريد فعلا إقامة "سلام دائم"[5].

وخلال المؤتمر قدّم الشيخان "صالح الشريف" وإسماعيل الصفائحي عرضا تاريخيا عن وضعية الشعب الجزائري–التونسي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المزرية، في ظل نظام استعماري جائر، متعرضين إلى دفاع الأهالي على الدوام عن استقلالهم بوسائلهم الهينة الخاصة .. وإلى النعم التي يحظى بها المعمرون الأوربيون واليهود و"الواجبات المفروضة على كاهل الأهالي، والتي منها الدفاع عن فرنسا بالقتال في الخنادق الأمامية لجبهة القتال قائلين: " ... إن أهالي الجزائر وتونس لم يتخلوا أبدا عن حقهم في الحرية وأنهم يعملون في هدوء لحريتهم، وأنّ الوقت أصبح مناسبا ليطالبوا بحقوقهم في الحرية والإستقلال...".

وبذلك يظهر أن جماعة المغاربة وعلى رأسهم جزائريين قد طرحوا فكرة "الإستقلال" خلال سنة 1917، بخلاف ما ذهب إليه معظم الكتاب والمؤرخين على أنها طرحت مع مطلع سنة 1918 أو 1919، والواقع أن جماعة المغاربة أصبحت تلوح بكثرة بفكرة استقلال المغرب العربي من بداية سنة 1918 متشجعة بظروف سياسية أخرى طرأت، كنقاط الرئيس ويلسون الأربعة عشر (جانفي 1917)، وميل كفة القوة لصالح الحلفاء[6]،

[1] ينظر: LEJRI, TI, op-cit, p 163.

[2] يذكر علال الفاسي أن المؤتمر الإسلامي تكوّن في استانبول، وانضم إليه مجموعة من المغاربة، وكوّن المؤتمر وفدا جاب عدة بلدان حيادية منها السويد والدنمارك والنرويج للدعاية للقضايا التي يعمل لها، ينظر: **علال الفاسي، الحركات ..**، مرجع سابق، ص148.

[3] للمزيد حول الموضوع ينظر: محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص57-58.

[4] ينظر: آندة، مرجع سابق، ص61.

[5] TLILI, **Les C.T**. n°101-102, P70.

الحلفاء[1]، فطالبت الجماعة بحسم مسألة حق شعوب شمال افريقيا في تحديد مصيرهم المستقبلي[2]، متمنية تحقيق هذه الغاية، وأن تكون لويلسن السلطة الضرورية لفرض مبادئه أمام الحكومة الفرنسية[3].

وللأسباب السابقة، تكونت أواخر سنة 1918 "اللجنة الجزائرية–التونسية" متألفة من الشيخ "صالح الشريف" و"محمد الخضر حسين"، و"محمد مزيان التلمساني" و"محمد الشيبي التونسي"و"محمد بيراز الجزائري" و"حمدان بن علي الجزائري" و"محمد باش حامبة"، أرسلت هذه اللجنة برقية إلى الرئيس "ويلسون" أثناء مروره بروما في 02 جانفي 1919[4]، ترجمت مشاعر "الشعب الجزائري والتونسي اتجاه ما صرح به الرئيس "ويلسون" وطالبت بإرسال "مفوضين" إلى مؤتمر السلام، ليمثلوا الشعب الجزائري – التونسي، ويطالبون بحقه في تقرير مصيره بكل حرية، كما وجهت اللجنة بعد ذلك عريضة طويلة إلى مؤتمر السلام قبل انعقاده في فرساي في 18 جانفي 1919[5]، ومهما يكن من أمر، فإن نشاط المغاربة في المهجر أقلق الحكومة الفرنسية، فتابعت باهتمام هذا النشاط بواسطة بعثاتها الدبلوماسية وقناصلها.

II. النشاط القومي العربي للجزائريين في المشرق العربي:

إذا كنا قد أشرنا فيما سبق إلى الدور الذي لعبه الجزائريون في إطار الجامعة الإسلامية للمحافظة على الخلافة الإسلامية وخدمة الدولة العثمانية التي عملت مع حليفتها ألمانيا على استقطاب المهاجرين الجزائريين والمغاربة، والإستفادة من خدماتهم في الدعاية إلى الجهاد، وكذا توظيفهم لمصلحتها من خلال إثارتهم ضد الحلفاء في شمال افريقيا، فإنّنا فيما يلي سنحاول التعرف على الدور المعاكس –إذا صح التعبير– والمتمثل في دور النخبة الجزائرية في إطار ما يعرف بالحركة القومية العربية وبالتحديد في بلاد الشام والحجاز، كونهما من مثلتا هذا

[1] MAHDJOUBI, op-cit, p 145, et GOLDSTEIN, op-cit, p 269-270

[2] GOLDSTEIN, op-cit, p.269-270.

[3] كتبت في هذا الصدد "مجلة المغرب" عدة مقالات خلال 1918 تطالب من خلالها بالإستقلال والحرية للمغرب العربي، منها مقال بعنوان (حقوق الشعوب والمعمرون) في جانفي – فيفري، (استقلالنا) ماي – جوان، (المبادئ) و(تحريرنا) جويلية – أوت. ينظر:

- TLILI, **Les C.T**, n°101-102, p-p 101-103, et MAHDJOUBI, op-cit, p145.

[4] نشرت البرقية في آخر عدد من مجلة المغرب، ينظر:

Télégramme au président Wilson envoyé par le comité Algéro-Tunisien, (le peuple Algéro-Tunisien et la paix), **La revue du Maghrèb**, n° 9/12, 1918, In l'Action, Tunis, 20/02/1968, Dos, B.I.28, Doc 56, C.D.N, Tuni.

[5] طبعت البرقية والعريضة في جنيف حسب تقرير العقيد"بارون"، ينظر:

- "Laffaire d'Abdel-AZIZ Thaalbi", Rapport du colonel Baron, Dos B.313, **C.D.N**, Tunis.

الاتجاه، والمعروف أن فكرة العروبة في شكلها المعاصر بدأت على يد جمعيات ثقافية في الشام خصوصا في لبنان، وكان الكثير من أعضاء هذه الجمعيات من النصارى، ممّا أعطى الفرصة لفرنسا لمحاولة استيعاب هذه الحركة الفكرية السياسية الناشئة والإدّعاء بأنّ الفكرة فكرتها والرجال رجالها، وهذا ما منح للأتراك حجّة للقول بأنّ القوميّة العربيّة فكرة نصرانية أوربية هدفها القضاء على الإسلام، لذلك نجد عددا معتبرا من علماء المسلمين السنة والشيعة وحتى الدروز وقفوا موقفا حذرا من الفكرة.

وبالنظر إلى الأحداث التاريخية، تشير مصادر تاريخية إلى أن فكرة العروبة دخلت عن طريق الأمير عبد القادر الجزائري ونخبة من العلماء ذو الأصول الجزائرية من أمثال الشيخ "المهدي السكلاوي" و"محمد الصالح السمعوني" و"الخروبي القلعي" و"محمد بن عبد الله الخالدي"، الذين كان لهم الفضل في تعديلها لتكون مقبولة، وجميعهم كانوا يلقون الدروس في المسجد الأموي أو في المدرسة الجقمقية أو مسجد العنابة أو دار الحديث وكان جلهم شخصيات عربية إسلامية مجاهدة، لا يرقى شك إلى عروبتها وإسلامها وجهادها، والذين كان معظمهم جزائريون ومغاربة[1].

II. 1. المشروع القومي العربي لدى الأمير عبد القادر (1877–1883):

يعتبر الأمير عبد القادر رائد حركة الكفاح القومي الإسلامي ضد الغزو والاستعمار الأوربي، وموقظ الشعور القومي العربي ضد الاستبداد، وبالرغم فإنه يعتبر مؤسس أول دولة عربية حديثة ومقاومة وصاحب أول مشروع استقلالي عربي، إلاّ أننا لا نكاد نجد حتى اللحظة من كتب عن فكره القومي العربي الإسلامي الحديث، وقبل التطرق إلى المشروع القومي للأمير عبد القادر بالمشرق العربي وجب علينا التذكير بالانتكاسة التي تعرضت لها القومية العربية في بدايات القرن التاسع عشر، إذ خاب رجاء التيار العربي الإسلامي في الجزيرة العربية وبلاد الشام بمحمد علي ودولته، كما خاب رجاء التيار العربي الإسلامي في سلطان المغرب، وأن هذه الإنتكاسة في حقيقتها لا تتفق أبدا مع منجزاتها على أرض الواقع، فقد كانت "الحركة الوهابية" تتقدّم، وكان الجزائريون يتقدمون ...، لكن في الأربعينيات نجد محمد علي ينسحب من بلاد الشام، ويتخلى سلطان المغرب عن الأمير عبد القادر، وقد يكون ذلك تمّ بإبرام صفقة بين كلّ من باريس ولندن واستانبول وفاس..، ولا ندر حقيقة لما تمّ ذلك، ومع النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت الحركة القومية العربية في المشرق والمغرب العربيين قد

[1] سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي** ...، مرجع سابق، ص24-25.

تلقت ضربات قاتلة، فدولة محمد علي صارت لعبة بيد البريطانيين والفرنسيين، وليس هناك سوى الحركة السنوسية في عسير وقبيلة "حرب" في بعض مناطق نجد، وأما في الشام فلم يبق سوى جمعيات علمية بسيطة بدأت عام 1846[1] بسيطرة فرنسية وبريطانية.

وبالعودة إلى موضوعنا حول المشروع القومي العربي للأمير عبد القادر، نجد أنّ الرّجل أتيح له ملامسة أوضاع وطنه العربي في المشرق والمغرب لمس اليد، وأن يلتقي بالنخب في الأقطار التي زارها[2]، من خلال رحلة الحج التي قادته رفقة والده، والتي أسهمت بتشكيل فكره الديني والسياسي، ولا شكّ أنّ هذا الاضطلاع الواسع والمفصل على حال الأمة العربية لم يحظ به أيّ قائد أو مثقف عربي في تلك الفترة من القرن التاسع عشر، ممّا جعله يتميّز عن غيره بتحليل الوقائع، وربّما هذه القدرة هي التي جعلت والده يرشحه لقيادة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، كما أنّ المدة التي عاشها الأمير في دمشق من عام 1856 حين قدم إليها من (بروسة) التركية حتى تاريخ وفاته في 1883/05/24 هي مدة طويلة ولا شك (27 سنة)، وعدا عن موقفه من الفتنة الطائفية بدمشق سنة 1860 لا نكاد نجد له عند معظم الباحثين نشاطا سياسيا متميزا، وبدا الأمير في بلاد الشام في نظر معظم المؤرخين المعاصرين كأنه رجل تخلّى عن أيّ طموح سياسي، فهو يتابع تدريسه في المسجد الأموي وله علاقاته مع رجال الدين والمتصوفة الذين لا حول لهم ولاقوة بعد القمع الذي سلط عليهم، وهذا الأمر في حقيقته يتنافى مع واقعين: أولهما شخصية الأمير الميّالة إلى الحركة والنشاط، حيث نجده كثير الأسفار، سواء إلى الحج أو إلى مصر أو إلى استانبول، أو إلى قرى أتباعه داخل بلاد الشام، وهذه الحقيقة لم يقف أحد من المؤرخين –حسب علمنا– ليؤرخ إلى الأمير في هذه الفترة ويتحدث عن تفاصيل هذه الزيارات، وخاصة من

[1] نفسه، ص25.

[2] تذكر المصادر التاريخية أن السيد "محي الدين" تحرك مع ابنه الأمير عبد القادر إلى الحج عن طريق البرّ والبحر، فكانت بدايتهم من وهران مرورا بوادي الشلف وبرج حمزة فقسنطينة، ثم محطة الكاف ومنها إلى مدينة تونس، وكانوا في كل محطة ينزلون عند إخوانهم وأحبائهم الذين فرحوا بمقدمهم ومقامهم عندهم، ومن تونس ركبوا البحر متجهين إلى الإسكندرية، وانتقلوا بعدها إلى القاهرة وزاروا بالمقطم مقام مرشد السالكين الشيخ "ابن عطاء الله السكندري" أحد شيوخ الطريقة الشاذلية، كما زاروا مساجدها العريقة وتعرفوا على أعيان المدينة وكبراءها وجالسوا علماءها، وأعجبوا شديدا بما وصلت إليه الحياة في مصر من تقدم وازدهار، وبعد هذه الإستراحة في مصر سافروا مع الركب المصري، ووصلوا إلى قناة السويس فركبوا البحر الأحمر نحو جدّة ثمّ مكّة المكرمة، وبعد أداء فريضة الحج زاروا المدينة المنورة، ومن المدينة رحلوا إلى دمشق بصحبة الركب الشامي ومكثوا فيها عدة شهور، وتعرفوا على مشاهير العلماء الأعلام، وكانوا يقضون جلّ وقتهم في الجامع الأموي دائبين على القراءات وحضور حلقات الدروس العلمية التي كان يدرّس فيها كبار العلماء، ثمّ توجهوا إلى بغداد واستقر بهم المقام فيها، وزاروا مقام عبد القادر الجيلاني، وجدّدوا العهد مع نقيب الأشراف وشيخ الجادة القادرية الشيخ "محمود القادري الجيلاني، وبعد مقام دام عدة شهور غادرو بغداد نحو الشام ثم توجهوا إلى المدينة المنورة ثم إلى مكة وأدوا مناسك الحج للمرة الثانية وكان ذلك عام 1828. ينظر: علي بن محمد الصلابي، **سيرة الأمير عبد القادر، قائد رباني ومجاهد إسلامي**، دار المعرفة، بيروت، ص106-107.

مؤرخيه الأساسيين[1]، أما ثاني هذين الواقعين يتعلق بالمنطقة، وأعني بالدرجة الأولى بلاد الشام التي لم تقف فيها الحياة عند 1860، فالمنطقة كانت تتطور بها الأحداث تحت القمع العثماني التركي، الذي سلط عليها من جديد، فهل يعقل أن يكون الأمير عبد القادر الذي أجمع العرب مسلموهم ونصاراهم على احترامه أن لا يكون مطّلعا على سرائر الأمور ودقائقها، وهو الرجل الذي يأتيه أتباعه وتلامذته بكل الأخبار .. وبالتالي هل يعقل أن لا يكون له مواقف منها إن لم يكن له دور فاعل فيها أساسا، وهذا ما نسعى إلى التعرض إليه وتوضيحه في هذا العنصر.

وفي هذا الصدد نشير إلى أنّ فكرة (المملكة العربية) التي كانت قد برزت إلى الوجود خلال الستينات من القرن التاسع عشر ترجع إلى اسم الأمير عبد القادر الجزائري، فقد أظهرت تفاصيل فتنة الشام سنة 1860 ودور الأمير في إطفائها وحمايته للنصارى وإنقاذه الآلاف منهم[2] مدى معرفته بالحقائق السياسة من حوله[3] ومدى رجاحة عقله، كما كان لاعتراف عقلاء الشام بدوره وتنويه المجتمع الدولي بفضله قد سلط الأضواء على

[1] الأول صديقه "هنري تشرشل" الذي لم يعايش هذه الفترة بكاملها، ولعلها لم تكن تهمه بعد 1860، والثاني ابنه "محمد، وهو مصدر أساسي وهام عن والده، فلا نجده بعد ذكره لحادثة 1860 يولي اهتماما لتفاصيل حياة والده ما عدا سرد سطحي لأسفار والده ومراسلاته الإخوانية، دون تعمق في هذه الأسفار الطويلة والرسائل الكثيرة، وهذا يعني أن كلا المؤرخين الصديق والإبن لم ينتبها إلى أن النشاط السياسي لا يؤخذ بظاهره فقط، فكيف إذا كان نشيطا وكثيفا، فالإبن "محمد" لم يطرح أسئلة مثل: لماذا يزور الأمير حمص وحماه، وهما قلب سورية والشام، والنقطة الجغرافية التي =تتعايش فيها الطوائف الدينية العربية الإسلامية والمسيحية، كما لم يتوقف عند زيارته لفلسطين، وغور الأردن الشمالي، وليس لنا أن نبرّر سكوتهما سوى أن كلاهما كتب من وجهة نظره، فشارل هنري تشرشل كتب من وجهة نظر بلاده "انجلترا"، و"محمد" الإبن الأكبر للأمير كتب من وجهة نظر ولائه للدولة العثمانية.

[2] الواقعة مشهورة في المراجع التي تناولت تلك الفترة من الحياة الدمشقية، للمزيد حول الموضوع ينظر، سهيل الخالدي، **الإشعاع المغربي في المشرق** ..، مرجع سابق، ص-ص 95-99.

[3] المعروف أن الدول الأوربية احتجت وهددت بالتدخل، ففي 2 أوت 1860 اتفقت الدول الأوربية على الوقوف بجانب النصارى وحمايتهم عن قرب، وكانت ذريعة مباشرة لاحتلال الشام، فتطوعت فرنسا لداعي قربها المذهبي من المسيحيين في لبنان ولكونها المشرفة على الكنائس في بيت المقدس، وراحت بعد أسبوع واحد ترسوا بسفنها وأسطولها الحربي في ميناء بيروت وتنزل قواتها وتهدد الدروز بتأديبهم وقصف دمشق، وبذل الأمير عبد القادر كل ما في وسعه لتفادي الاحتلال، فبعد أن تأكد الأمير أن القوات الفرنسية وصلت إلى "رياق" في طريقها إلى دمشق، امتطى صهوة جواده خفية وأخذ بقطع الجبال والوديان، وعندما وصل إلى قرية "قب الياس" أرسل من يخبر الجنرال"بوفور" قائد الحملة العسكرية بوجوب الإجتماع به وعين المكان، وكان مشهدا للقاء جزائري-فرنسي على مستوى سياسي وعسكري وطلب الأمير من الجنرال أن يخبر حكومته بأن دخول قواتها دمشق أو قيامها بأي تحركات عدائية يلغي كل تعهد من قبل الأمير للإمبراطور الفرنسي "لويس فليب" بعدم العودة إلى الجزائر، وأن الأمير سيكون أول المقاومين لأي حملة عسكرية تهاجم البلاد، وكان على الجنرال أن يخبر حكومته التي أعادت حساباتها بعد هذا الإنذار، لأن إلغاء التعهد يعني احتمال عودة الأمير إلى الجزائر وعودة الحرب الضروس إليها، هذه الفتنة التي كان من المحتمل أن يذهب ضحيتها عشرات الآلاف من أبناء دمشق في سبيل مخطط استعماري كان هدفه احتلال سورية ولبنان بحجة الدفاع عن المسيحيين وإنقاذهم. ينظر: علي بن محمد الصلابي، **سيرة الأمير عبد القادر**، دار المعرفة، بيروت، ص340-341.

شخصه على أنه ليس مناضلا قديما فحسب، ولكنه أيضا رجل تسامح ديني وسموّ إنساني، فتهاطلت عليه إثر ذلك رسائل الإعتراف بالجميل والتقدير والأوسمة من قادة العالم الإسلامي والأوربي والأمريكي عندئذ، كما وردت عليه رسائل الشكر والتمجيد من الجمعيات الإنسانية والماسونية والفلسفية، وبالطبع كان ذلك التعامل مع الحدث قد سلط الأضواء على بلاد الشام أيضا، ممّا جعل بعض الدول الأوربية تطرح مشاريع للمنطقة، منها إقامة إمارة عربية في بلاد الشام يكون الأمير على رأسها، فهو رجل تتوفر فيه شروط الزعامة العربية من نسب شريف ونضال قومي وغيرة دينية وأصول هاشمية.

ويبدو أن الأمير كان يعرف أهداف السياسة الفرنسية والبريطانية في المنطقة، وموقف الدولة العثمانية من هذا التدخل، كما كان يعرف مدى استعداد أهل الشام لتقبل فكرة الإمارة العربية آنذاك، فترك المشروع دون التزام منه إلى أن حدثت الحرب السبعينية وسقوط نابليون الثالث، وتغيرت السياسة البريطانية، وظهرت ألمانيا بقيادة بسمارك، ودخلت الدولة العثمانية في حرب غير متكافئة مع روسيا سنة 1877 وفي هذه السنة بدأت جولة أخرى من النشاطات لإنشاء مملكة عربية بقيادة الأمير عبد القادر، وكانت هزيمة الدولة العثمانية أمام روسيا سنة 1878 قد بررت لأصحاب المشروع الجديد ودعوتهم، وكانت هذه المرة من بلاد الشام، وليس من خارجه، وقد أرّخ عادل الصلح لهذه الحركة الإستقلالية العربية، وبرزت أسماء عديدة لهذه الحركة، نذكر منها: أحمد الصلح – يوسف كرم – حسين بيهم – محمد الأمين العاملي – الشيخ تقي الدين الحصني – الحاج إبراهيم آغا الجوهري، ... ولكن الإسم الذي ردّدته الألسنة واجتمعت عليه القلوب والآمال في تحقيق "الكنفدرالية العربية" هو اسم الأمير عبد القادر الجزائري.

وقد كتب الصلح وزين وتوبير (E.Tauber) عن هذه الحركة، ولكن بعض المعاصرين أهملوا الحديث عنها لأسباب قد تعود إلى جو الاستبداد والإرهاب (العثماني) الذي كان سائدا حينها، مما جعل صاحب كتاب (تحفة الزائر) المطبوع سنة 1903 يغفل الإشارة لتلك الحركة تماما لأنه (الأمير محمد) وأخواه الأمير محي الدين والأمير علي كانوا موظفين سامين في الدولة العثمانية[1].

كما لخص مؤهلات الأمير عبد القادر لتولي الملك في سورية في الغبارات التالية: " .. شرف النسب والبطولة والجهاد السياسي والقومي، وكونه رجل علم وأخلاق، وكونه قد سبق له تأسيس دولة عربية في الجزائر،

أما كونه ليس من أهل المشرق فلم يخطر على بال أحد، لأن المشاعر الإقليمية كانت غائبة عندئذ[2]، وكان أول من قدّم اسم الأمير في المؤتمر الذي عقد في بيروت ثم في دمشق هو "أحمد الصلح"، ولم يعترض عليه أحد.

II. 1.1. مبايعة الأمير عبد القادر في المشرق العربي:

في القرون الماضية بايع أهل المغرب العربي الزعيم الأموي[3] الهارب إليهم من دمشق أميرا عليهم، فأسس الدولة الأموية في المغرب العربي والأندلس، تلك الدولة التي قدمت للحضارة البشرية ولأوربا الشيء الكثير، والذي لا يستطيع أحدنا أن ينكره، وفي 1877 كادت أن تتكرر الحادثة بطبعة شرقية هذه المرة مع الأمير عبد القادر.

وتبدأ هذه الصفحات التي كشف عنها مؤرخون وكتاب من خارج عائلة الأمير ومن خارج مؤرخيه التقليديين أنّ القوميّين العرب عقدوا مؤتمرين سريين في كل من بيروت وصيدا وتدارسوا أمر انفصالهم عن الدولة العثمانية وتأسيس دولة عربية مستقلة، وكان هؤلاء من الوجهاء الذين ليست لهم أدنى علاقة بالإرساليات الأوربية أو الجمعيات الثقافية، ومنهم "أحمد الصلح"، "محمد الأمين"، "علي عسيران"، "علي الحر"، "شبيب الأسعد"، ... وغيرهم، ولعل عدم وجود علاقة هؤلاء الزعماء بهذه الإرساليات هو السبب الذي جعل مؤرخي الإستعمار وتلامذتهم من العرب يقفزون هن هذه الحركة الإستقلالية العربية، ويحاولون طمس معالمها، ثمّ قرّر هؤلاء عقد اجتماع موسّع في دمشق يضمّ القيادات الدمشقية لتدارس الأمر، وبالفعل عقد الاجتماع على الأرجح في منزل نقيب الأشراف بدمشق الشيخ "تقي الدين الحصني"، وقرروا ترشيح الأمير عبد القادر الجزائري لقيادة حركتهم، وأن يكون ملكا على بلاد الشام، وذهبوا إليه في قصره بضاحية "دمر" واقترحوا عليه الأمر، فوافق على ذلك من حيث المبدأ، ويقول في ذلك قدري قلعجي: " ... وقد اتصل "أحمد الصلح" بعدد كبير من زعماء سورية، وتنادى الجميع إلى عقد مؤتمر في بيروت، ثم تلاه مؤتمران في دمشق، وقرر المؤتمرون العمل لتحقيق استقلال البلاد الشامية، وترشيح الأمير عبد القادر الجزائري ليتولى الملك على هذه البلاد..."[4]، ويقول عبد العزيز الدوري في كتابه: "التكوين التاريخي للأمة العربية" عن هذه الحركة وموقف الأمير منها: "... اتجهت الحركة

---

[1] عادل الصلح، مصدر سابق، ص147.

[2] عادل الصلح، مصدر سابق، ص98.

[3] المقصود به هو عبد الرحمن الداخل.

[4] نقلا عن سهيل الخالدي، **الإشعاع المغربي** .. ، مرجع سابق، ص132.

إلى استقلال سورية في حالة تعرض البلاد لخطر استيلاء دولة أوربية، وبخلاف ذلك يكون الإتجاه نحو الحكم الذاتي في إطار الدولة العثمانية، ورأت الحركة في الأمير عبد القادر رئيسا للدولة الجديدة.

ويبدو أن الوجهاء كانت لهم أسباب قوية في اختيار الأمير عبد القادر لهذا المنصب، حيث ربطوا بين هذه الدولة العربية التي ينشدونها والتي يسعون إليها، وبين الدولة التي أقامها في الجزائر، كما ربطوا كفاحه في هذه الدولة وبين الكفاح الذي ينتظرهم آملين تحقيق الوحدة الشاملة على يديه دون أن يتوقفوا عند كونه من مواليد الجزائر في المغرب العربي، وأنهم من مواليد الشام والمشرق العربي[1]، والظاهر أن الأمير قبل برنامج الوجهاء من حيث المبدأ، ولكنه نصح أن يؤجل الموضوع إلى أن يتيقّن كيف ستخرج الدولة العثمانية من الحرب مع روسيا، كما أن "يوسف كرم" –الذي سنأتي على ذكره لاحقا– كان يعيش في أوربا (روما)، تبادل رسائل مع الأمير حول مشروع سياسي، يبدو وكأنه يتلاءم مع مشروع الوجهاء، وهكذا فإنّ حركة الوجهاء سارت على أسس وطنية لا طائفية، وأنها تحركها الفكرة العربية[2]، ويقول في ذلك أحد الذين كشفوا هذه الصفحة وهو "عادل الصلح" حفيد "أحمد باشا الصلح": "... ولقد اختار أهل الديار الشامية الأمير عبد القادر الجزائري ليكون رأس حركتهم ورئيسا للدولة التي عزموا على إنشائها، وذلك لشرف نسبه، ولأنه بطل قومي ومجاهد وسياسي قدير فذّ، ورجل علم وأخلاق ومكارم، ولأنه سبق وأنشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الأوسط، وناضل في الدفاع عنها ضد الاستعمار نضالا كان أسطورة ذلك الجيل، واحتل بذلك في الأمة العربية مرتبة عزّ نظيرها..."[3].

ويتابع الصلح قائلا: "... وقد اصطفاه أهل الديار الشامية دون أن يخطر لأحدهم أنه ليس من أهل المشرق، وأن المشرقي أولى منه بهذه الولاية، لأن النزاعات الإقليمية لم يكن لها أي اعتبار في ذلك الزمن، فكان

[1] سهيل الخالدي، **دور الجزائريين ...**، المرجع السابق، ص31.

[2] عبد العزيز الدوري، **التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي**، ط1، 1984، ، نقلا عن: سهيل الخالدي، **الإشعاع ...**، المرجع السابق، ص132.

[3] حين جاء الأمير عبد القادر إلى المشرق العربي عام 1856 من "بروسة"التركية، رست سفينته في ميناء بيروت واستقبله أهلها وعلى رأسهم الوجهاء من آل الصلح وآل يموت وغيرهم استقبال الأبطال، واضطرّ وهو في طريقه إلى دمشق إلى أن يتوقف في منطقة الدروز في مدينة "العلية" بناءا على طلبهم ليكون ضيفا عزيزا عليهم، ممّا جعل الرحلة من بيروت إلى دمشق تستغرق عدة أيام، أما في دمشق ذاتها، كان استقبالها له منقطع النظير، والمتتبع لوصف هذا الاستقبال كما أورده صديقه وتلميذه الشيخ "عبد الرزاق البيطار" في كتابه "حلية البشر" في تاريخ القرن الثاني عشر" يدرك أن دمشق لم تستقبل في تاريخها أحدا كما استقبلت صلاح الدين الأيوبي والأمير عبد القادر الجزائري. وتتفق نظرتهم للأمير عام 1877 مع نظرتهم له عام 1856، بل زاد تعلقهم به وبأفكاره، فقد كانت نظرة 1856 مبنية على السماع وعلى الحس العفوي، أما نظرة 1877 فقد بنيت على تجربتهم واحتكاكهم بالرجل مدة أكثر من عشرين سنة، مما يدل على أن الأمير لم يكن منعزلا، ولم يكن مستسلما. ينظر: نفسه.

ابن الجزائر وابن دمشق وبغداد وبيروت وسائر بلاد العرب مواطن عربي قبل أي شيء آخر ..." [1]؛ وتعتبر شهادة "عادل الصلح" هذه التي رواها عن طريق جده هي شهادة المسلمين السنّة، فكيف هي شهادة المسلمين الشيعة ؟

إن شهادة الشيعة المسلمين حول هذه الواقعة تأتي من أهم علماء الشيعة، إذ يقول "محسن الأمين"[2] في ترجمته لجدّه "محمد الأمين" تبدوا أشدّ وقعا من شهادة أهل السنة إذ يقول: "... وحدّث خبير أن سبب نفيه إلى طرابلس أنّه اجتمع جماعة من عظماء سورية، منهم المترجم وأحمد باشا الصلح وغيرهما، وقرروا إنشاء دولة عربية، واختاروا لها الأمير عبد القادر الجزائري، وخابروه بذلك واجتمعوا ...، وكانت كتب السيد "محمد الأمين" ترد إليه من دمشق، ويكتب في أعلاها دار الإمامة، فعلمت بذلك الدولة العثمانية، فكان ذلك الأمر سببا في نفيه إلى طرابلس ..."[3].

وإن التحليل هنا يقودنا إلى الإقرار بالفكر العربي لدى الأمير عبد القادر وبعبقريته الفذة في تفاصيل هذا المشروع، ذلك أنه وجد طريقا لإدخال شيعة لبنان في قلب المشروع القومي فحضروا لأول مرة في تاريخهم مؤتمرا سياسيا ينظر في استقلالهم، فهم يقطنون منطقة الجنوب الجبلية والتي تسمى "جبل عامل"[4]، وهم أكثر الشيعة في العالم الإسلامي عروبة، إذ هم أنفسهم قبيلة بني عاملة المهاجرة من اليمن، وبسبب تشيّعهم من جهة وعروبتهم ذات الأصول اليمنية من جهة أخرى همّشتهم الدولة العثمانية التي فشلت على مدى قرون في احتلال اليمن وضمه إليها، ولم تستطع دخوله، ويقول في ذلك المؤرخ الشيعي "محمد جابر آل الصفا"[5] أن ذلك المؤتمر

---

[1] عادل الصلح، **سطور من الرسالة، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877**، دار الملايين، بيروت، 1966، ص102.

[2] محسن الأمين (1867-1952) هو محسن الأمين العاملي من شقراء، أحد كبار ورجال الدين الشيعة في لبنان، أكمل جزءا من دراسته في مدينة (النجف) كما هو الحال بالنسبة للعديد من رجال الدين الشيعة، له مؤلفات كثيرة تجاوزت المئة مؤلف في العقيدة والتاريخ والحديث والمنطق والأصول والفقه والنحو والصرف والشعر والأدب والقصة، كما أن له ردود مختلفة وكتب في الرحلات. وفيما يأتي بعض مؤلفاته: رسالته العملية سماها الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين، أبو تمام الطائي، أبو فراس الحمداني، أو نواس، الاجرومية الجديدة ولعل أشهرها كتاب "أعيان الشيعة"، للمزيد حول حياته ينظر: آغا بزرك الطهراني، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، منشورات دار الأضواء، بيروت، لبنان، 1984.

[3] محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، ط1، بيروت، 1958، ص432.

[4] جبل عامل أو جبل الجليل أو جبل الخيل أو بلاد بشارة أو بلاد المتاولة أو البشارتين، ي المنطقة التي يطلق عليها اليوم اسم لبنان الجنوبي أو جنوب لبنان، وقد ضمت إلى لبنان بعد إنشاء دولة لبنان الكبير سنة 1920. ينظر: ياسين سويد، **التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الإمارتين**، ط1، 1980، ص34.

[5] محمد جابر آل صفا (1870-1945) هو محمد جابر بن طالب بن محمد آل صفا العاملي، مؤرخ وأديب وشاعر لبناني من أهل النبطية في جبل عامل (جنوب لبنان)، وهو صاحب كتاب تاريخ جبل عامل، وهو من أشهر الكتب التي تذكر تاريخ تلك المنطقة. ينظر: عمر كحالة، **معجم**

هو بمثابة مؤتمر لبيعة الأمير عبد القادر ملكا على العرب، كما أن ذلك المؤتمر كان أول مؤتمر اشترك فيه الشيعة للنظر في استقلال سورية وفصلها عن جسم الدولة العثمانية[1]، وما ينبغي الإشارة إليه هنا أن العرب بعد انتهاء الدولة العثمانية أبقوا على سياستها اتجاه شيعة لبنان، لأنهم فشلوا في فهم العروبة نفسها رغم ادّعائهم بها، وها هي إيران تستقطبهم باسم الدين والمذهب، وهنا تتّضح عبقرية وثورية الأمير عبد القادر في فهم التفاصيل، فالثوري لا يقف عند العناوين، أليس "فلاديمير لينين" هو الذي قال في خضم ثورته "لا بدّ من التفاصيل"؛ وإذا اعتبرنا شهادة الشيعة في نهاية المطاف هي شهادة مسلم لمسلم، فما هي شهادة المسيحي؟

هنا نقف عند صفحة في التاريخ لم يقف عندها الباحثون الجزائريون، وهي علاقة الزعيم الماروني "يوسف كرم" الذي نفته فرنسا من لبنان إلى الجزائر، والظاهر أن هذا الأخير انتقل بعدها إلى إيطاليا وكان يرسل من هناك برسائل إلى الأمير يقترح فيها أن يكون عبد القادر ملك المملكة العربية المنتظرة، ولا يكتف بذلك بل يدخل في التفاصيل ويقترح أن تكون مملكة كنفدرالية .. ويؤكّد أنّ المسيحيين العرب لا يعترضون على قيام دولة عربية إسلامية تحفظ حقوقهم.

وفيما يخص مراسلات يوسف كرم مع الأمير فنوجزها فيما يلي: في إحدى رسائله دعا كرم إلى التحرك نحو الفعل وإعلان استقلال العرب تحت راية الأمير عبد القادر على أن تحتفظ الأقاليم العربية بميزاتها الخاصة ضمن الوحدة الشاملة، وكان "كرم" يؤمن بأنّ الأمير هو الذي أرسلته العناية الإلهية لينقذ العرب من براثن الإستعمار[2]، ومن رأيه أنّ نوع الحكم يكون اتحاديا (كونفدراليا)، وفي رسالة مغفلة، يشير الكاتب (الوسيط) إلى أنّه على اتصال بالأمير وأنّ هذا الأخير مستعد لإرسال ابنه "الأمير علي" لمساعدتنا للحصول على المطلوب[3].

وقد كرّر "كرم" –الذي كان يقيم في روما–[4] دعوة الأمير إلى بثّ فكرة الاستقلال والاتحاد بين العرب، وإرسال وفود إلى العواصم الأوربية لتحقيق هذه الفكرة والاتصال برجال الدولة العثمانية للوصول إلى حلّ يرضي

المؤلفين، ج9، منشورات إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص145، كذلك ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج6، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ص68.

[1] محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ط2، دار النهار للنشر، بيروت، 1981، ص299.

[2] عادل الصلح، مرجع سابق، ص113.

[3] نفسه، ص121.

[4] لم أعثر على مراجع تذكر كيف انتقل يوسف كرم من الجزائر إلى أوربا، وبالتحديد إلى إيطاليا.

العرب والأتراك، فإذا أخفقت المساعي، فإنه لم يبق للأمير إلاّ سلخ البلاد العربية عن جسم الدولة العثمانية[1]، وقد وصلت إلى الأمير أربع رسائل على الأقل من "يوسف كرم" في الموضوع نفسه كما أرسل إليه الأمير عدة رسائل بواسطة صديق ثالث[2]، وفي نفس الفترة نجد أن جهة عربية أخرى امتدت إلى الأمير عبد القادر في دمشق وهي مصر، إذ وصلته رسالة من حزب "مصر الفتاة" ليكون رئيسا لهذا الحزب الوطني العربي موقعة من أحد قادة هذا الحزب، وهو الكاتب السوري المعروف "أديب إسحاق" يقول فيها: " ... أيّد الله الأمير الأعز، ونحن عصبة تذكر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، رأينا ما ألمّ بهذه الأقطار من الأضرار ناشئة عن تحالف القلوب وتنافر الأفكار حتى صار الودّ مدجاة للحب عدوانا، فقلنا يا قوم لا تتنافسوا (ولا تحاسدوا) ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ... ورأينا أنوار فضل الأمير على طور تجلى الحكمة وتوقظ الراقد وتنبه الغافل من هاته الأمة، فتكشف عنها كل كلمة، فعلمنا أن لا بدّ من التماس مساعدته في هذه المهمة، فرفعنا إليه الصحيفة التي هي لسان حالنا لتنوب لديه عن لسان مقالنا أمل الحصول على القبول شأن الأمير .. ورجاء ورود الجواب بما يراه في أمر هذه الخدمة وله، فيشرفنا بذلك رأيه العالي سؤددا وأمره الكريم مؤيدا إن شاء الله ..."[3].

وفيما يلي نسوق بعض الشهادات لمعاصريه، والذين يؤكدون من خلالها تزعم الأمير لتيار العروبة والإسلام، ومنها ما كتبه أديب إسحاق صاحب "مجلة الجوانب" في رثائه له –وهو من أصدقائه وتلامذته: "... إنّا رأيناه بحرا منظم لفظه درّا، وعرفه الناس برّا، تنشر كفه بترا، وكان في السلم غيثا، وفي الحرب لينا، وفي المهمات منارا، وفي الملمات نارا، وللعارفين ملاذا، وللخائفين منعا، ولطلاب العلوم أستاذا ..."، ثم يوجز قوله عن الأمير، ويلخصه بكلام لا يدع مجالا للشك بأن الأمير رائد العروبة والإسلام آنذاك، فيقول: "...وجملة القول أنّه بضعة الشرف العربي، وبقية المجد الشرقي، وصورة من صور السؤدد والفضل، ومظهر من مظاهر الإقدام والنبل، وتجلّ من تجليات الكرم في الفرع والأصل ..."، فالمشارقة رأوا فيه شرفهم العربي ومجدهم الشرقي، وهو ما لا يناسب

[1] عادل الصلح، المرجع نفسه، ص105-106.

[2] ينظر: وميض نظمي، **ملامح الفكر العربي في عصر اليقضة وعلاقته بفكرة القومية العربية**، دراسات في القومية العربية والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، رقم 5، بيروت، 1984، ص131.

[3] أديب إسحاق، **الكتابات السياسية والاجتماعية**، جمع وتقديم: ناجي علوش، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1978. نقلا عن: سهيل الخالدي، **الإشعاع ..**، مرجع سابق، ص138.

إنجلترا وفرنسا وحتى تركيا[1]، فالأمير لم يكن في جيب الأتراك رغم علاقته الممتازة بالباب العالي، ولم يكن في عبّ الفرنسيين رغم محاولاتهم الإستحواذ عليه، فالرجل فيه مرونة بلا ضعف وفيه قوة بلاغرور، ويبدو أنّ الحركة الاستقلالية وترشيح الأمير عبد القادر لقيادتها قد تجاوزت بلاد الشام إلى البلدان المجاورة، فقد روى "جمال بيهم" أنّ "حسن بيهم" كان على اتصال مع "شريف مكة" (عبد المطلب) الذي كان متداخلا مع حركة ثورية ضد الدولة العثمانية بالتنسيق مع الأمير عبد القادر الجزائري بدمشق.

II. 2.1. موقف الأمير من المشروع القومي العربي:

قد يتساءل البعض إذا كانت هذه آراء أهل المشرق العربي واقتراحاتهم ومواقفهم، فما هو موقف الأمير؟ وهل أجابهم إلى طلبهم؟ وما هي علامات تجاوبه واستجابته؟ فالمعلوم أن الأمير القادر ومجموعته كانوا يبثون الوعي العروبي في المساجد والمدارس، ولكن الأمير بدأ يفقد أفضل رجالاته من المهجرين الجزائريين، إذ شهدت الفترة وفاة العديد منهم، غير أن طبقة ثانية من المريدين الشاميين والجزائريين كانت قد اشرأبّت أفكاره الدينية والقومية وأساليبه في العمل السياسي المنظم، وبدأ الوعي القومي العربي يتجه إلى الأساليب العملية والموجهة فيما بعد ضد الحكومة الطورانية دون محاولة الإساءة إلى السلطان نفسه، ولعلّ أولى هذه الأساليب تمثل في رفض أهالي الشام المشاركة في الجيش الذاهب لاحتلال اليمن سنة 1872، حيث يقول صاحب يقضة العرب: "... كان احتلال الجيوش العثمانية لتلك الولاية مرّة ثانية بداية لعهد من العداء بين الترك والعرب..."[2].

كما نلاحظ أنّ الفترة ما بين 1877-1883 قد شهدت بداية التخطيط الفعلي من طرف الأمير عبد القادر للإعلان عن المشروع، فأخذ يزور عساكره في وسط بلاد الشام والجليل وحوران، ويقول عادل الصلح في ذلك: "... وخشية من أن تلفت هذه الجولات المفاجئة أنظار السلطة وتثير تساؤلاتها، وخوفا من تنبه رجالها للغرض الحقيقي منها، اتخذ المتجولون زيارة الأمير لمواطنيه الجزائريين ذريعة لتنقلاتهم ورحلاتهم، وكان هؤلاء الجزائريون قد هاجروا من الجزائر مع الأمير، وخلال غيابه في منفاه، وبعد قدومه إلى دمشق؛ وفدوا إلى الديار

[1] هناك إشارة في ما كتبه الأمير محمد ابن الأمير عبد القادر بأن الأمير في آخر حياته لم يعد يثق بالمحيطين به، خاصة في تناول الدواء في فترة مرضه، ولم يعد يتناوله إلاّ من يد ولده هذا ... ورغم أن محمد يعتبر ذلك من رضا والده عليه ولا يعزوه لشيء آخر، لكننا نعلم أنه كان للعثمانيين جنودهم في المنطقة، وخاصة أن علاقة الأمير مع "حمدي باشا" والي دمشق آنذاك لم تكن جيدة منذ سنوات قبل وفاته. ينظر: الخالدي، **الإشعاع** ...، مرجع سابق، ص581.

[2] جورج انطونيوس، **يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية**، مرجع سابق، ص160.

الشامية وانتشروا فيها جماعات جماعات، وقدر عددهم بستة آلاف، وكان الأمير ورجال الحركة يعتبرون هذه الجماعة المدربة على القتال نواة لقوة محاربة يستعان بها عند الإقتضاء[1].

وتذكر لنا بعض المصادر أن في هذه الفترة، كاد الأمير أن يفقد أحد رجاله السّرّيين في عكّا وهو الشيخ "علي بن أحمد اليشرطي" شيخ الطريقة الشاذلية، وهو من مواليد بنزرت في تونس[2]، ونذكر هنا أن الدولة العثمانية أخذت تبثّ الدعايات ضد الطريقة الشاذلية وتتّهمها بالكفر والفجور والزندقة، وهذا يعني أنّ الصراع العربي التركي قد وصل إلى الطّرق الصّوفية ذاتها، ممّا يكشف الغطاء الديني عن الأتراك، كما وجدنا الأمير يكثر من السفر، فزار مصر أكثر من مرّة، وكذا شبه الجزيرة العربية واستانبول وفرنسا وبريطانيا، وفي اعتقادي أنّ هذه الزيارات لم تكن للسياحة والفرجة التي يقوم بها رجل صوفي بلغ من العمر سبعين عاما، كما عمل على تنظيم علاقاته العربية في مصر مع جماعة "العربية الفتاة" و"الخديوي"، وفي ليبيا مع الطريقة السنوسية وفي تونس، وكذا في الحجاز والعراق، وبذلك نجده قد اقترب كثيرا من هدفه كرائد للقومية العربية الحديثة، وهذا الفصل من حياة الأمير لا نكاد نجد فيه أبحاثا أو دراسات، لذلك نرى أن الموضوع يستحق البحث والتنقيب فيه، فهو بحاجة إلى بحث وتنقيب، وكذلك موضوع الصراع العربي التركي داخل الطرق الصوفية ومؤسساتها.

وبالنظر إلى كل ذلك، تظهر لنا تجربة الأمير وحنكته السياسية التي تتجلى في أدقّ صورة، فالرجل قد وافق على الفكرة من حيث المبدأ والإعداد لها، أما من حيث التجسيد والإعلان عنها فارتأى ضرورة انتظار نتائج الحرب التي تخوضها تركيا مع روسيا من جهة، ومن جهة أخرى كان الأمير يرى أن الحلّ الأمثل هو عدم الدخول في نزاع مع الدولة العثمانية المسلمة وإضعافها أمام الدول الأوربية التي تنتظر الفرصة لاحتلال البلاد العربية، ولذلك كانت فكرته تقوم على جعل الدولة العثمانية بتاجين عربي وتركي على طريقة امبراطورية النمسا والمجر في ذلك الحين.

وعليه نتساءل هنا، ماذا بقي من هذه الحركة السّرية لإعلان المملكة العربية تحت راية الأمير عبد القادر؟ يبدو أن مؤتمر برلين 1878 ويقظة عيون العثمانيين في سورية قد جمد الحركة (الاستقلالية العربية) إلى حين،

[1] عادل الصلح، مصدر سابق، ص102.

[2] الذي كانت طريقته قد انتشرت في منطقة عكا، وأخذت تعمل ضد الدولة العثمانية، فنفته وجماعته إلى قبرص.. فتوسط له الأمير فأعيد من المنفى، ولكنه واصل معاداته للسياسة العثمانية فقرّر الوالي مجددا نفيه إلى "فزان"، ويذكر عبد الرزاق البيطار هنا أن الأمير تدخل مرة أخرى وحبسه عنده في منزله، ثمّ بعد مدّة أطلقه من حبسه وأرجعه إلى محلّه مشمولا بسروره وكمال أنسه. ينظر: عبد الرزاق البيطار، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، ج2، بيروت 1993، ص1065.

وكان وجود "مدحت باشا" على رأس ولاية سورية ومحاولته تغيير صورة الحكم العثماني واطلاعه على أنشطة رجال الحركة وتشتيتهم بدون ضجة، قد ساهم في عملية التجميد، ومن جهة أخرى كان الأمير يعاني من مرض لازمه إلى وفاته سنة 1883، وقد تركت وفاته فراغا لم يستطع غيره أن يملأه في ذلك الحين، فقد كان السوريون يعتبرون الأمير (فخرا للبلاد ورمزا لأمجاد الأمة العربية)[1]، فمشوا في جنازته في 26 ماي 1883، كما مشى فيها ممثلوا الدول الأجنبية بلباسهم الرسمي، بينما لم تشارك فيها السلطات العسكرية والمدنية العثمانية، واكتفى الباب العالي بإرسال تعازيه إلى الأمير محمد، نجل الأمير عبد القادر، وقد ادعى القنصل البريطاني أن السلطات العثمانية كانت تحسد الأمير عبد القادر على هذه المكانة التي كان يتمتع بها بين أهل سورية، ولأفكاره التحررية[2].

والملاحظ أن الأمير ومنذ سنة 1860 كان يدرك أن الدول الكبرى تتحيّن الفرصة لاحتلال المشرق العربي، وقد أبلغ أعيان الشام وخاصة الدروز بذلك، كما أدرك أن الدولة العثمانية إن فقدت هذه البلاد العربية التي تحكمها بالظلم والجور والاستبداد ستتضاءل وتنكمش، وبالتالي فإن أجهزة الجوسسة[3] من كل صنف ولون ستخترق هذه البلاد، فكان حريصا على السرية وعلى نفي علاقته بهذا المشروع، ومن وجهة نظر أخرى للأمير وحنكته السياسية رأى أن المشروع ستتناهشه الدول الكبرى وستسعى لطيّه تحت إبطها، ولأجل ذلك ستتحالف

[1] عادل الصلح، مرجع سابق، ص134.

[2] زين، مرجع سابق، ص134.

[3] كتب "ديلابورت" (Delaporte) قنصل فرنسا في بيروت إلى وزارة الخارجية الفرنسية عن وجود (مؤامرة) عربية تشترك فيها عدة أطراف في حلب والموصل وبغداد ومكة والمدينة، وهي تهدف إلى إقامة مملكة عربية، وأن اسم الأمير عبد القادر الجزائري قد ورد على أنه قد يكون الملك عليها، وفي هذا الشأن يرى (توبير) أن السلطات العثمانية علمت بالمشروع، لكن يبدوا أن المشروع ذاع صيته، وعلم به الفرنسيون والبريطانيون، خاصة وأنه امتد إلى العراق والحجاز، فالقنصل الفرنسي في بيروت أرسل برقية لخارجيته بأخبار هذه الحركة بتاريخ 1879/10/19 يقول فيها: "... **يشاع هنا أنّ ثمّة مؤامرة عربية تدبّر في سورية .. هدفها إنشاء مملكة عربية يرأسها حاكم عربي .. وقد ذكر اسم عبد القادر الزعيم الجزائري الشهير الذي يقيم في دمشق ليكون السلطان المقبل لهذه المملكة** ..." كما أن القنصل البريطاني هو الآخر أبرق بالخبر إلى وزارته بتاريخ 1880/06/28 هذا نصها: "... **ظهرت في بيروت منشورات تحضّ على الثورة يشكّ في أنّ مدحت باشا هو منشؤها، ومع ذلك فالهدوء يسود البلاد، التفصيلات في البريد القادم** ..." لتبدأ الدولتان بالتقرب من الأمير أملا في أن تكون المملكة العربية المنشودة تابعة لها، ففرنسا تعتبر أنها الأحق بحكم علاقتها مع الأمير، وبريطانيا تعتبر أنها الأحق بذلك فلا خصومة لها معه، وكلاهما تخشيان أن تمتد هذه الدولة العربية، ولا تكتفي بالشام؛ ففي الحجاز وفي عسير بالذات هناك السنوسيون الذين طالبوا الأمير أن يكون ملكا عليهم، بل إن بعض نواحي الخليج العربي سترحب بهذا الملك ما دام على المذهب المالكي الذي كان منتشرا فيها، وأمّا في العراق، فلن يتأخر شيعته على الإنضمام إلى مملكة يشارك في تأسيسها شيعة لبنان،[3] كما أن للأمير علاقات طيبة مع أهل العراق، فمؤسس الطريقة القادرية هو الشيخ عبد القادر الجيلاني من العراق، ومن جهة أخرى فإن كلا فرنسا وبريطانيا =المتنافستان على مصر رأتا أن مصر نفسها تكاد تخرج من أيديهم بعدما عرض أعضاء "حزب مصر الفتاة" –الذي كان تحت التأسيس– على الأمير عبد القادر رئاسة الحزب –كما ذكرنا–. ينظر: زين نور الدين زين، **نشوء القومية العربية**، بيروت، 1968، ص197.

مع العثمانيين أنفسهم لوأده كما فعلت من قبل مع "محمد علي" ومشروعه، وهكذا طوى الأمير عبد القادر المشروع، ولم يعرض البلاد إلى خطر كبير مقابل إغراء التاج، وظلّ في واقع الحال ملك الشام غير المتوّج بنظر أهلها، ولكن يمكن القول أنّه من زرع البذرة لهذا المشروع.

II. 2. نشاط الجزائريين ودورهم في تبلور الوعي القومي العربي:

يحفظ التاريخ العربي المعاصر للشعب الجزائري أنه أول شعب من الأمة العربية اصطدم بقوة ولمدة طويلة مع الغزو الاستعماري الأوربي في القرن التاسع عشر للميلاد، فأعلى ذلك من الرّوح الوطنية والقومية له وأكسبه خبرة جديدة، وكشف له عن عمق تخلف الدولة العثمانية عن الركب العالمي، ومدى كراهيتها للعنصر العربي واتّخاذها الدين ذريعة لقهر العرب والتفريط بديارهم مغربا ومشرقا، ولعلّ ما يؤكد تلك الخبرة للجزائريين وتلك الروح القومية العالية هو ما عاناه الاستعمار نفسه في الجزائر، فهو لم يعرف الاستقرار، ولم يخلع عساكره أحذيتهم طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بل إنّه لم يتمكن من الوصول إلى مناطق الصحراء بها قبل العشرية الأولى من القرن العشرين[1].

ومما سبق، نجد أنّ مدرسة الأمير عبد القادر قد ربّت جيلا من القوميين الذين تشربوا هذا الفكر، وقد برهنوا على أن العروبة ثقافة وليست عرقا، وأمّة كاملة وليست طائفة، فهي أمة متكاملة المكونات، ولا فرق بين طوائفها ولا بين إثنياتها، أمّة تكونت من كل القبائل العربية التي عرفت في المشرق والمغرب منذ ما قبل الفينيقيين بكل أديانها ومعتقداتها، ثمّ توحدت بالإسلام وانطلقت به إلى العالم من حولها .. وهذه الوحدة الثقافية بين مكونات الأمة هي التي سعى الغربيون ولا يزالون يسعون إلى تمزيقها دينيا وجغرافيا وسياسيا[2].

وفي كل الأحوال فإنّه بعد عام 1903 بدأت الحركة الجمعوية للعرب تتكثف في المشرق العربي وخاصة في بلاد الشام، وكانت النخبة الجزائرية في صلبها ومن مؤسسيها، بل أنه بدأت تتشكل الحركة الوطنية الجزائرية وأسهم فيها جزائري آخر من من مواليد المشرق (دمشق) وهو "الأمير خالد" حفيد الأمير عبد القادر –سيأتي الحديث عنه في الفصل القادم–، ولا شك أنه تأثر بأفكار الشيخ طاهر الجزائري القومية، ومن الواضح أنه كان

[1] زين نور الدين زين، المرجع نفسه، ص144.

[2] سهيل الخالدي، **دور الجزائريين** ..، مرجع سابق، ص45.

جزءا من التحرك القومي العربي الذي أعلنه إلى العالم تلاميذ الشيخ طاهر في العشرية الثانية من القرن العشرين عبر الجمعيات السياسية التي شارك في تأسيسها جزائريو الشام، بعد أن حققت مقاومة سياسة التتريك نجاحا باهرا، ومن علامات هذا النجاح إعادة اللغة العربية إلى المدارس والإدارة رغم محاولة الحكم الطوراني تهميش هذه اللغة.

ولا نريد أن نقول هنا بأن المهاجرين الجزائريين كانوا وحدهم فرسان الميدان، أو أن لهم الفضل كله، فهذا كلام شوفيني، لا يشرّف أحدا، لأنّه كلام غير علمي وغير صحيح، فالنخبة الجزائرية وجدت نفسها تتفاعل مع الأحداث بالمنطقة، وتؤثر وتتأثر كباقي النخب في بلاد الشام والوطن العربي .. ولذلك كانت تمشي جنبا إلى جنب مع النخبة الطلائعية في المشرق العربي خطوة بخطوة، وعلى رأس هذه النخب نذكر الشيخ "عبد الرحمن الكواكبي" صاحب كتاب "طبائع الإستبداد" و"أم القرى"، وهو الداعية القومي الشهير، وإلى جانبه نجد الشيخ "طاهر الجزائري السمعوني".

ويقول في ذلك أحد الباحثين: "... كانت دعوة الكواكبي وحلقة الشيخ طاهر الجزائري قد مهدتا الطريق لتشكيل الجمعيات والمنظمات السرية لمقاومة الاستبداد التركي في مطلع القرن العشرين .."[1]، ولأن تيار القومية العربية ظهر أكثر في بلاد الشام وتجسد في أرض الحجاز، سنأخذ نماذج لجزائريين عملوا ضمن هذا التيار، ونبدأ بمنطقة الشام، حيث نشطت شخصيتات جزائرية ضمن هذا الاتجاه، وأشهرهم: طاهر الجزائري، وشهيدي القضية العربية الأمير عمر نجل الأمير عبد القادر وسليم الجزائري ابن أخ الشيخ طاهير الجزائري، أما في الحجاز فنجد الشيخ الطيب العقبي الذي كان يعيش هناك عنئذ، ونضيف أحد الزائرين من الجزائر الذي زار المشرق العربي لنقدم نشاطه ورأيه في مسألة القومية العربية وهو الشيخ الزواوي.

II. 1.2. نماذج عن النشاط السياسي الجمعوي للجزائريين ضمن تيار القومية العربية:

– نشاط طاهر الجزائري القومي:

صحيح أن محاولات القوميين العرب في الاستقلال عن تركيا سنة 1877 لم تصل إلى مداها، إلا أن ذلك لم يهن من عزيمتهم، فقد واصلوا بث الوعي القومي العربي، خاصة في صفوف الجيل الذي جاء بعدهم، فالأمير

[1] علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية** ..، مرجع سابق، ص133.

لم يكن إلاّ نموذجا بارزا في المجال الذي نعالجه، وهناك أعلام آخرون لهم أهميتهم في خدمة التيارات الفكرية في المشرق العربي، وهنا يبرز دور شاب جزائري نشيط هو "طاهر الجزائري" الملقب بالسمعوني[1]، وكان طاهر الجزائري من مواليد دمشق لأبيه صالح السمعوني البجائي، والحقيقة أنه لم يكن ظاهرا في المجال السياسي ظهور الأمير عبد القادر، ولكنه كان نشطا في حزب اللامركزية مما أجبره على الهروب سنة 1905 إلى مصر، حيث بقي أكثر من خمسة عشر عاما، وقد كان قبل ذلك على صلة بالأمير عبد القادر.

أنشأ الشيخ مع بعض من زملائه (جمعية المقاصد الخيرية) بدمشق، وكانت مهمتها نشر العلوم وفتح الكتاتيب وطبع الكتب المدرسية بالجهود الشعبية والشخصية لهذه المجموعة، أمّا عن مؤسس هذه الجمعية فهو محب الدين الخطيب، ومن أعضائها زملاؤه في المدرسة: "صلاح الدين القاسمي" و"عارف الشهابي" و"صالح قنباز" أما خارج المدرسة فكان من أعضائها "لطفي الحفار" و"رشيد الحكيم"[2]، كما أنشأ المكتبة الظاهرية بمساعدة الوالي الجديد "حمدي باشا" على إنشاء المكتبة الظاهرية التي جمع لها الآلاف من الكتب والمخطوطات التي كانت مهملة ومتفرقة[3]، وكان تركيزه على تدريس اللغة العربية وآدابها وفنونها وتدريس التاريخ العربي، هذا التاريخ الذي تجاهلته الدولة العثمانية، وفرضوا نسيانه، وهو الأمر الذي كانت تركيا قد منعته، وفرضت تدريس اللغة التركية في الكتاتيب القليلة التي كانت موجودة، فهذه السياسة استعملتها فرنسا المستعمرة في الموطن الأصلي للشيخ طاهر، وكان الشعب الجزائري يقاومها، وها هو الشعب العربي في بلاد الشام يقاومها كذلك تحت قيادته، وقد سجل التاريخ أن هذا الجزائري الأمازيغي هو الذي علم الشوام العروبة، وبذلك يكون الجزائريون قد أدخلوا إلى المشرق العربي وخاصة دمشق أسلوب العمل الجمعوي، هذا الأسلوب الذي بدأته في لبنان الإرساليات الأوربية على مستوى نخبوي وطائفي، فظلّ مشبوها ومحصورا[4]، وتشاء الأقدار أن يأتي

[1] ينظر عنه: عدنان الخطيب، **الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام**، القاهرة، 1971. كما كتب عنه تلاميذه أمثال: كرد علي ومحب الدين الخطيب ومعاصروه.

[2] سهيل الخالدي، **الإشعاع** .. ، مرجع سابق، ص143

[3] أبو القاسم سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، ط.خ، وزارة المجاهدين، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص132-133.

[4] بدأت اليقضة القومية عند العرب مع بداية النهضة الفكرية العامة، وقد سبق المسيحيون العرب المسلمين إلى التحسس بالشعور القومي وإلى المجاهرة به، ففي بداية القرن التاسع عشر دخل المذهب البروتستنتي إلى البلاد العربية، وترجم الإنجيل للغة العربية، وأخذت طوائف الروم الأرثوذكس في بلاد الشام تطالب بتعريب كنيستها، وكانت الكنائس الكاثوليكية بما فيها الموارنة، قد استقلت عن روما وصار لها بطاركة ومطارنة من العرب، وتخرج من المعاهد التي أنشأتها الإرساليات التبشيرية والطوائف المختلفة رواد الحركة القومية، ومنهم سليم البستاني الذي تساءل عام 1870: هل يصطلح العرب؟ هل يرد الزمان إليهم الاتحاد؟ هل يقيم لهم الدهر عزّا؟ .. وعلى يد العرب المسيحيين نشكلت أولى الجمعيات السرية التعريبة التي نددت بالحكم التركي، وطالبت باستقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية، إلا أنها اقتصرت على آسيا العربية دون غيرها من البلاد العربية، ونكر منها:

"مدحت باشا" صديق الشيخ طاهر واليا على دمشق، وسرعان ما يقنع الشيخ هذا الوالي المحب للتجديد والتطور بتحويل تلك الجمعية إلى مجلس للمعارف، لتبدأ حركة واسعة في فتح المدارس العصرية، وهو ما سنتحدث عنه في الفصل القادم.

وكان الشيخ طاهر الذي عين مديرا للمعارف يتحرك إلى جانب هذا الخط التربوي – التعليمي العلني في خطّ سياسي – ثقافي سرّي، وليس بعيدا عن فكر الأمير عبد القادر، حيث أقام ما عرف بحلقة دمشق الكبرى، إذ تقول الدكتورة خيرية قاسمية في ذلك: "... كما ظهرت في دمشق نهضة مماثلة في حلقة الشيخ طاهر الجزائري عام 1878 الثقافية الأدبية التي تكونت إلى جانبها حلقة سياسية سميت "بحلقة دمشق الصغيرة ..."[1].

وتدرج الدكتورة سهيلة الريماوي أسماء بعض رجال هذه الحلقة، فمن كبار السن مثل: "جمال الدين القاسمي"، "عبد الرزاق البيطار"، "سليم البخاري"، ومن الشباب: "رفيق العظم"، "محمد كرد علي"، "فارس الخوري"، "عبد الحميد الزهراوي"، "شكري العسلي"، "عبد الوهاب المليحي"، "عبد الرحمن شهبندر" و"سليم الجزائري"، ولا بد لي هنا أن أذكر أن فارس الخوري هو نصراني! وعن أعمال هذه الحلقة تضيف د. سهيلة الريماوي قائلة: "... وقف الشيخ طاهر يندد بالحكام واستبدادهم، وينتقد سوء الإدارة ويدعوا إلى الحرية والعدل والنظام، فاتهمه خصومه بالخيانة الوطنية والعمل على فصل البلاد السورية عن بقية الخلافة، فألغت الحكومة منصبه الحكومي وعرقلت أعمال الجمعية الخيرية ..."[2].

ويشير الدكتور علي سلطان إلى شيئ من عمل هذه الحلقة ونتائجه فيقول: " ... في هذا الجو الثقافي-السياسي للتيار العربي – الإسلامي، وبالذات من حلقة الشيخ طاهر الجزائري، كان يقرأ الرجال سرّا دون علم من السلطة من الصحف المصرية كالمقطم والأهرام والمؤيد، ويتداولونها فيما بينهم، وكان "محب الدين الخطيب" و"عثمان مردم بك" ممّن يأتون بهذه الجرائد إلى دمشق.."، ويضيف في ذات السياق: "... وأخذت العيون تتفتّح على الحقائق القومية، وخاصة ما بين 1903-1906، حيث كانت سنة 1906 فجرا جديدا

(جمعية بيروت السرية) سنة 1875 على يد بعض الطلاب في الكلية الأمريكية السورية البروتستانتية، و(جمعية حقوق الملة العربية التي أنشأت سنة 1881 من المثقفين العرب في بيروت ودمشق وطرابلس الشرق وصيدا. للزيد حول الموضوع ينظر: علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية** ..، مرجع سابق، ص-ص 129-135.

[1] خيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق 1918**–1920، ط2، بيروت، 1982، ص16.

[2] سهيل الخالدي، **الإشعاع** ..، مرجع سابق، ص141-142، نقلا عن: سهيلة الريماوي، **جمعية العربية الفتاة**.

للجمعيات السياسية التي ولدت لتدعوا إلى العصبية العربية وإلى الأمجاد العربية وإلى تعليم وتعلم اللغة العربية، وفيها تأسست "جمعية النهضة العربية" من طرف مجموعة من أولئك الرجال من حلقة "الشيخ طاهر الجزائري" و"جمال الدين القاسمي" وزملائهم وبتشجيع منهم .."[1]، وتقول الأستاذة وداد سكاكيني عن حلقة الشيخ طاهر الجزائري: "... فكانت حلقة الشيخ طاهر الجزائري أسبق من حلقات المسيحيين إلى المشاركة في إيقاظ الفكرة العربية ..."[2].

وإذا كانت حلقة الشيخ طاهر الجزائري تضم شيوخا وشبابا، فقد كان لها أيضا تنظيمها الطلابي من بين طلبة مدرسة "عنبر" –التي سيأتي الحديث عنها في الفصل اللاحق–، وقد عرف هذا التنظيم باسم "حلقة دمشق الصغرى" وتقول عنه سهيلة الريماوي:"... أما حلقة دمشق الصغرى فقد قام على إنشائها بعض طلاب الفصول النهائية في المدرسة الثانوية المعروفة "بمكتب عنبر"، فكان هؤلاء الطلاب يترددون على حلقة الشيخ طاهر الجزائري لحضور الإجتماعات والندوات، فاتفقوا فيما بينهم على تأسيس جمعية سرية في دمشق سنة 1903، وشملت نشاطات الشيخ طاهر الجزائري مجالات عديدة منها التركيز على التلازم بين العروبة والإسلام، فقد كان يعلم تلاميذه « أنه إذا وضع حاجز بين الإسلام والعروبة، فإن العروبة تصبح كالبدن بلا روح، والإسلام يصبح كروح بلا بد » ، كما تزعم الشيخ جمعية النهضة العربية –التي سنشير إليها لاحقا– وكان لها فروع في دمشق وبيروت وغيرهما، وعندما ضاق عليه الخناق في سورية هاجر بجمعيته إلى مصر،[3] ويقول محب الدين الخطيب –وهو أحد تلاميذه– إن الشيخ طاهر كان يعتقد أن الإسلام والمسلمين، ولا سيما العرب، لا تصلح أحوالهم إلا إذا ساروا على نهج التابعين، ولعلّ ما أورده أمين سعيد عن "طاهر السمعوني الجزائري" يهزّ ضمائر الجزائريين المعاصرين والعرب عموما إذ يقول: "... وكان الشيخ طاهر الجزائري بطل هذا الكبرياء في ذلك العصر بما نشره من مبادئ الحرية، وبما أرشد إلى طرق الإصلاح، وبما أشار إلى وسائل الثورة على الظلم على طريقته التي عرفها معاصروه ودونها مؤرخوه ...".[4]

---

[1] علي سلطان، **تاريخ سورية 1908–1918 نهاية الحكم التركي**، ط1، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ص23.

[2] وداد السكاكيني، زعماء العروبة والفكر الإسلامي – الشيخ طاهر الجزائري، **مجلة نهج الإعلام**، دمشق، ع 23، مارس 1986، ص94.

[3] توبير، مصدر سابق، ص49.

[4] من بين أهم المصادر التاريخية التي أرخت "للشيخ طاهر الجزائري" كتاب: **"تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر"**، الذي ألفه الشيخ "محمد سعيد الباني بعد وفاة شيخه الجزائري، و"**كنوز الأجداد**" و"**المعاصرون**" لمحمد كرد علي، وهما من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد وثق الأستاذ "كرد علي" نتيجة صحبته الطويلة للشيخ الجزائري معظم أحداث حياته الرئيسية، وعرض آراءه، وكذا كتاب "**الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة**

وفي عام 1903 تأسست حلقة سياسية سرية في دمشق من طلاب السنة النهائية في المدرسة الحكومية الثانوية فيها، وكان معظمهم من الذين يترددون على حلقة الشيخ طاهر الجزائري، وجعلت الحلقة الجديدة هدفها بعث التراث العربي وإيقاظ العرب من سباتهم وجعل لغتهم اللغة الرسمية في بلادهم، وانتقل بعض أعضاء هذه الحلقة إلى بيروت، واتصلوا بطلاب الكلية الأمريكية، وكلية الشيخ "عباس الأزهري"، ومنهم "عارف النكدي" و"عبد الغني العريسي" و"محمد المحمصاني" و"الأمير عادل أرسلان"، وفي عام 1905 انتقل بعض أعضائها إلى الآستانة، واتصلوا هناك بالطلبة العرب[1]، وبعد ذلك بعام أسس "محب الدين الخطيب" جمعية النهضة العربية رفقم مجموعة من الوطنيين العرب.

– نشاط سليم الجزائري القومي العربي:

ولد سليم الجزائري سنة 1879 بدمشق، وتوفي والده وهو طفل، فكفله عمه الشيخ طاهر الذي توسم فيه موهبة عسكرية نادرة فتركه يكمل دراسته الأولية في سوريا، ثم سجله في الأكاديمية العسكرية بإستانبول، ثم مدرسة الضباط والمدرسة الهندسية، وحين التحق الشاب باستانبول كشفت مواهبه ودخل المدرسة الحربية، وتخرج ضابطا في الهندسة وشارك في عدة معارك في اليمن وسالونيك وحصل على عدة أوسمة، وترقى إلى رتبة بكباشي (عقيد) ثم عاد إلى استانبول مدرسا في ذات المدرسة التي تخرج منها، وهناك كان يلقي محاضرات على طلبته عن عبقرية "خالد بن الوليد" العسكرية، وبذلك يكون أول من أدخل دراسة خطط العسكريين العرب إلى هذه المدارس، ثم شارك في تأسيس المنتدى الأدبي في استانبول، وهو منتدى ثقافي يجمع الطلبة العرب، ومن هذا المنتدى تخرجت كوكبة من المثقفين القوميين العرب الذين انضموا إلى جمعية "العربية الفتاة" في وقت لاحق، وفي 1906 انضم سليم إلى المعارضين لنظام السلطان عبد الحميد بحجة الاستبداد، وبعد ثورة الشبان الأتراك أصبح سليم عضوا في جمعية (الاتحاد والترقي)، وكان يعلم تلاميذه في الأكاديمية العسكرية نماذج البطولة في التاريخ

العلمية في بلاد الشام"، للدكتور عدنان الخطيب أمين مجمع اللغة العربية في دمشق، وهو من محاضرات في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة التابع لجامعة الدول العربية، وقد نشره المعهد عام 1971.

[1] حول الموضوع يراجع: كتاب: **"تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر"**، الذي ألفه الشيخ "محمد سعيد الباني بعد وفاة شيخه الجزائري، و"**كنوز الأجداد**" و"**المعاصرون**" لمحمد كرد علي، وهما من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد وثق الأستاذ "كرد علي" نتيجة صحبته الطويلة للشيخ الجزائري معظم أحداث حياته الرئيسية، وعرض آراءه، وكذا كتاب "**الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام**"، للدكتور عدنان الخطيب أمين مجمع اللغة العربية في دمشق، وهو من محاضرات في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة التابع لجامعة الدول العربية، وقد نشره المعهد عام 1971.

الإسلامي والعربي، وتفوق القادة المسلمين في الاستراتيجيات العسكرية، ولعل هذا هو الذي حدا بالأتراك إلى الحذر منه، والحد من نشاطه، ونتيجة خيبة أمله في جمعية الاتحاد والترقي غادرها مع آخرين، وشعر بالحاجة إلى إنشاء جمعية عربية سرية توقظ العرب وتشجعهم على التعاون[1].

وعليه تأسست الجمعية القحطانية نهاية 1909 باستانبول، وكان سليم من أعضائها المؤسسين، ورغم أن طابعها لم يكن ثوريا، فقد انضم إليها العسكريون العرب، وقد اختلف سليم الجزائري مع زميله عزيز المصري حول إنشاء الجمعيات السرية وأهدافها، فكان المصري يرى عدم التكثير منها، بينما يرى الجزائري العكس، فقد كان يرى ضرورة الإكثار منها ولو كانت تخدم نفس الهدف، لأنها الطريقة الوحيدة للتنافس مع الأتراك الذين أنشأوا لأنفسهم جمعيات كثيرة، وكان الزهراوي قد انضم إلى القحطانية أيضا، وحاولت هذه الجمعية بث أفكارها وسط أعضاء (المنتدى الأدبي)، وكان جناحها العسكري يقوده سليم الجزائري ويساعده لطفي حافظ، ولم تتبنّ القحطانية توزيع المناشير محافظة على السرية، بل كانت تعطي تعليماتها شفويا، كما أنها استعملت كلمات السر ورموزا وإشارات أخرى، ولكنها انحلت فيما بعد دون إعلان رسمي عن السبب، وكان ذلك سنة 1910، وخاصة بعد أن أرسل "سليم الجزائري" للحرب في اليمن، وغادر "الزهراوي" استانبول، وتوجه "حقي العظم" إلى سوريا.

كما شارك سليم الجزائري في المنتدى الأدبي الذي ضم عددا من الطلبة العرب في استانبول، وكذلك أعضاء من البرلمان أمثال الزاهراوي، وبعض العسكريين أمثال عزيز المصري وجعفر العسكري، وقد أثر سليم الجزائري في "داود الدبوني" الذي كان يدرس الطب، وأقنعه بأن كثرة الجمعيات العربية فيه فائدة، فأسس الدبوني (جمعية العلم الأخضر) سنة 1912، وكان سليم الجزائري الروح المحركة لهذه الجمعية، وبالإضافة لذلك كان سليم عضوا في جمعية (العهد) السرية التي تأسست في استانبول، وكانت تضم أعضاء من العراق وسورية، وكان الضباط من خلالها يخططون لثورة في العراق وسورية عند احتلال إيطاليا لليبيا وهزيمة الدولة العثمانية في البلقان، كما عبر سليم الجزائري عن رأي مختلف فيما توصل إليه مؤتمر باريس سنة من 1913 من نتائج، إذ كان ما يزال يعتقد أن جمعية الاتحاد والترقي يمكن التعاون معها، وتساءل: ماذا نفعل؟ هل نقول بأن الزهراوي كان

[1] توبير، مرجع سابق، ص98.

مخطئا، وننقده على الاتفاق الذي خرج به من مؤتمر باريس؟ إني لست من هذا الرأي، إذ لم يتوصل الزهراوي إلى اتفاق مع الحكومة فسنكون في أسوأ الأحوال[1].

وتدخل مرة في نقاش بالمنتدى الأدبي، فقال إن هناك أناسا مندسين في المنتدى، ولذلك فإن العشرين أفضل من الخمسين، والخمسين أفضل من المائتين، وهذا يوضح أنه كان يميل إلى العمل السري والانضباط واستعمال الشيفرة والرموز في المراسلات حتى تنجح أهدافه[2]، وإزاء ذلك تخلى سليم الجزائري عن الخطة التي رسمها، ورجع إلى عمله في الجيش العثماني، وشارك في تحرير(أدرنة) من البلغار في صيف 1913.

كما أسّس "سليم السمعوني" مع "عزيز المصري" الضابط المصري في الجيش العثماني جمعية "العهد" السرية، وهي جمعية سياسية كانت تضم عددا من الضباط العرب في الجيش العثماني، والذين كان عددهم محدودا جدّا لأنّ السلطة العثمانية لم تكن تسمح للعرب أن يكونوا ضباطا في جيوشها إلا في حالات استثنائية، وكانت جمعية العهد البالغة السرية تمثل الجهاز العسكري لجمعية العربية الفتاة، وكانت تعدّ الخطط العسكرية لإعلان الثورة ضد الأتراك، وفي سنة 1913 كان لسليم الجزائري محاولة ثورية بالتعاون مع الصحفي اللبناني "إبراهيم النجار" ضمن جمعية العهد السرية، فقد عقد اجتماعا سريا برئاسته حضره حوالي أربعين ضابطا عربيا، ووضعوا خطة للعودة إلى سورية عند نهاية حرب البلقان، والبدء في حركة عسكرية تهدف إلى طرد الأتراك، وكان هدفهم إعلان سورية إمارة (Principality)، تحت حكم "عمر طوسون المصري"، وقد صاغ المجتمعون بيانا لإذاعته في الوقت المناسب، وربما كان الزهراوي ورشيد رضا ورفيق العظم على علم بهذه الخطة، وفي 17 جانفي 1913، غادر سليم الجزائري وإبراهيم النجار وأربعة ضباط استانبول متجهين إلى بيروت، ومنها إلى دمشق لاختبار الجو العام هناك ومدى استعداد الأهالي للانقلاب ومساعدتهم بالمال والرجال والسلاح، ويقول (توبير) أن إبراهيم النجار توجه إلى قنصل فرنسا في بيروت، وسأله عن موقف بلاده، فأخبره القنصل بأن مسألة سورية تحلّ في باريس ولندن وبرلين، فخاب أمل الضباط ورجعوا إلى استانبول[3]، وقد تخلى سليم الجزائري عن الخطة السابقة ورجع إلى عمله في الجيش العثماني، وشارك في تحرير (أدرنة) من البلغار في صيف 1913.

[1] توبير، مرجع سابق، ص211.

[2] حول الموضوع، ينظر:توبير، المرجع نفسه، ص-ص 268-313.

[3] توبير، المرجع السابق، ص214.

ويبدو حسب بعض المصادر أنّ القنصلية الأمريكية في دمشق سلمت أسماء رجال هذه (جمعية العهد) إلى "جمال باشا" –والي الشام– في صفقة مفادها أن يحكم هو الشام منفصلا عن الدولة العثمانية، وفي المقابل يسمح بإقامة دولة لليهود في فلسطين، إلا أن مصادر أخرى ذكرت أنّ الذي أفشى أسماء هذه المجموعة هو مفتي الجيش الرابع العثماني الشيخ "أحمد الشقيري" لأنهم دعوه للإنضمام إليهم، وكان يعتقد أنهم يعملون ضد الإسلام.

ولما تسلم جمال باشا القائمة اعتقل هؤلاء وتمت محاكمتهم بسرعة نادرة، وتم تنفيذ حكم الإعدام فيهم قبل أن يقرّه السلطان العثماني، وكان ذلك في شهر ماي 1915م[1]، وكان ممّن أعدم "سليم الجزائري"[2] ومعه "الأمير عمر بن الأمير عبد القادر الجزائري"[3]، ولا تزال سوريا تحيي ذكراهم كل عام، حيث اعتبر يوم إعدامهم يوم الشهداء، كما تم سجن "الأمير طاهر بن أحمد"[4]، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤقتة لأنه اشتغل بحركات تدعوا للقيام ضد الحكومة العثمانية، وقد قام "جمال باشا" خلال التحضير لعملية الإعدام بنفي الكثير من عائلات الجزائريين القاطنين بدمشق إلى تركيا ومنهم عائلة الأمير عبد القادر، مثل ولده "علي" وابنه "عبد القادر الحفيد" و"الأمير سعيد" وغيرهم، وقد تمكن "عبد القادر بن علي" من الفرار من منفاه، والتحق بجيش فيصل بن الحسين مع مجموعة من الجزائريين، وخاض معارك ضد العثمانيين[5].

---

[1] من الذين صدر بحقهم حكم الإعدام: شفيق بن أحمد العظم، **والأمير عمر بن عبد القادر الجزائري** وعمر بن مصطفى حمد ورفيق بن موسى رزق سلوم ومحمد بن حسين الشنطي وشكري بن بدري علي العسلي وعبد الغني بن محمد العريسي وعارف بن محمد الشهابي وتوفيق بن أحمد البساط وسيف الدين بن أبي النصر الخطيب والشيخ أحمد بن حسين طبارة وعبد الوهاب بن حسين الإنجليزي وسعيد بن فاضل عقل وبارترو باولي وجرجي بن موسى حداد **وسليم بن محمد سعيد الجزائري** وعلي بن محمد حاج عمر ورشدي بن أحمد الشمعة وأمين لطفي بن محمد حافظ وجلال بن سليم البخاري. ينظر: نص البلاغ الذي أصدره أحمد جمال، قائد الجيش الرابع وناظر البحرية في الملحق رقم: ..، نقلا عن: أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى** ..، مرجع سابق، ص76.

[2] تذكر المصادر التاريخية أن سليم الجزائري كان آخر من أعدم من شهداء 6 ماي 1916 رفقة الضابط أمين لطفي في (عالية) ببيروت – وكان الإثنان من كبار ضباط الجيش العثماني ومن أركان حرب الجيش. حول الموضوع ينظر: أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى** ..، المرجع نفسه، ص95-96.

[3] كان الأمير عمر قد أعدم مع الذين أعدموا في دمشق، بينما أعدم سليم الجزائري في عالية ببيروت. ينظر: نفسه.

[4] اتهم جمال باشا الأمير طاهر بن أحمد أنه أخبر المعتمد الفرنسي بما يتعلق بالسوقيات العسكرية، وهو الذي سهل فرار عبد الغني العريسي، وأنه اشتغل بحركات تدعوا للقيام ضد الحكومة التركية، وقد تم القبض عليه حيث كان مختبئا مع آخرين عند شيخ عشيرة الرولة نوري الشعلان الذي خانهم وسلمهم للأتراك مقابل خمسمائة ليرة ذهبية. ينظر: أدهم، الجندي، **تاريخ الثورات السورية** ..، مرجع سابق، ص100.

[5] ينظر: نادية طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الإحتلال**، ط.خ، وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007، ص-ص 298-301.

– النشاط السياسي القومي للأمير عمر بن عبد القادر الجزائري:

ولد الأمير عمر في دمشق عام 1871، ودرس على يد كبار علماء الشام، وبعد وفاة والده الأمير عبد القادر اختار رفقة أخويه الهاشمي وأحمد الولاء (أي التبعية والحماية السياسية) لفرنسا، انضمّ إلى جمعية العربية الفتاة وإلى جمعية العهد السرية، وعندما اتضحت نية جمال باشا في استئصال الأحزاب والحركات الداعمة للقومية العربية شعر بالخطر، ففر إلى منطقة الزوايا، غير أن الأمير شكيب أرسلان استطاع أن يقنع ابن أخيه الأمير سعيد بتسليم عمّه وأنه سيتوسط له عند جمال باشا، وفعلا رافق الأمير سعيد عمّه إلى القدس، حيث التقى هناك بجمال باشا الذي أمّنه عليه، ليساق بعدها إلى الديوان العرفي بعالية (لبنان) سنة 1916، وحكم عليه بالإعدام[1]، بتهمه أنه كان واسطة التعارف بين شكري العسلي وعبد الوهاب الإنجليزي وقنصل فرنسا، وأنه تقاضى أموالا من المعتمد الفرنسي[2].

وعلى الرغم من أن علاقة الأمير عمر مع القنصل الفرنسي كانت تدخل في إطار اعتباره أحد رعاياها، وتدفع له راتبا عن أملاكه في الجزائر، كما اتهم بتأييده للمؤتمر العربي الأول في باريس سنة 1913، وقد حاول أخوه الأمير علي –الذي كان يشغل منصب نائب في البرلمان العثماني– إنقاذه من الإعدام بتدخله ولكن دون جدوى، وبالعكس فقد زج به هو الآخر في السجن رفقة ابنه الأمير سعيد في 14 مارس 1916، حتى يتم تنفيذ الحكم، وبعد إعدامه صادر جمال باشا أملاكه ومنها قصر العائلة في (دمر)، وحوله إلى مشفى عسكري.

II. 2.2. نماذج عن دور الجزائريين ونشاطهم في دعم القومية العربية خارج بلاد الشام:

– النشاط القومي للشيخ الطيب العقبي:

من المعلوم أن الشيخ العقبي كان مقيما في المشرق العربي (الحجاز) قبل 1920، وكان قد نهل من علوم دينية وأدبية أكسبته التحليل العلمي وأوصلته إلى الجلوس لحلق التدريس في الحرم النبوي، وقد عاصرت دروس العقبي مرحلة ساخنة من عمر القومية العربية والجامعة الإسلامية، ومما لا شك فيه أن العقبي لم يكن بعيدا عن

[1] تذكر مصادر تاريخية أن الأمير عمر كان مختبئا عند أحد المهاجرين الجزائريين في حوران، وكان من الصعب على جمال باشا وأعوانه معرفة مكانه أو القبض عليه، فلجأ جمال باشا إلى شكيب أرسلان الذي جمعته به صداقة، فقام هذا الأخير بالاتصال بابن أخيه الأمير سعيد بن علي الجزائري وطمأنه بأن عمه لن يعدم، فذهب سعيد إلى جمال باشا بنفسه فأكد له ذلك، إلا أن جمال باشا قام بإعدامه وقبل ذلك نفى الأسرة كلها إلى الأناضول، ونسف قبر الأمير عبد القادر وخرب قصره في دمر، بل أنه قام بتسليم بيت الأمير في زقاق النقيب بحي العمارة إلى الآرمن، حيث كان يواصل سياسة حكومته الطورانية في تتريك البلاد وإضاعة معالمها. نقلا عن: الخالدي، **الإشعاع ...**، مرجع سابق، ص 158–159.

[2] فوزي الخطبا، **شهداء النهضة العربية**، مطبعة الصفدي، عمان، 1988، ص 102.

إرهاصات الثورة العربية ودعاة النهضة، علما أن لا أحد من أفراد عائلة العقبي قد مارس السياسة، والمرجح أن يكون أخوه مصطفى قد عمل للقضية السعودية، ودعا إلى تعزيز الحركة الوهابية، ولعل كل ذلك قد أتاح الفرصة للعقبي أن يتابع القضايا السياسية ويتحرى أبعادها[1]، والظاهر أن العقبي لم يرتق إلى مصاف الزعماء السياسيين، ورغم ذلك فقد كانت له نشاطات شبه سياسية، وقد أسهم بكتاباته في تدعيم اليقظة العربية التي تألق نجمها في الحجاز بعدما عرفت المنطقة ركودا في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية قبل الثورة العربية[2].

وفي الوقت الذي أصبحت النهضة العربية تنذر بقيام الثورة والانسلاخ عن جسم الدولة العثمانية بعد أن تبلورت سياسة التتريك، ومحاولة تهميش العنصر العربي، كان العقبي يخوض في الكتابات السياسية[3]، ويبدو أن نشاطاته وكتاباته حول القضية العربية قد لفتت الأنظار إليه، وتعاون العقبي مع قادة النهضة العربية، فكان أرسلان ومحب الدين الخطيب والمكي بن عزوز وغيرهم من أصدقائه، وكانوا يعدونه من بينهم[4]، وقد يكون لأسلوب السرية التامة الذي انتهجه دعاة النهضة في عملهم السياسي هو الذي ترك نشاط العقبي غير معروف في الحجاز باستثناء ما أشار إليه في ترجمته بقلمه، كما تعتبر كتابات العقبي في الصحف الشرقية قبل قيام الحرب إسهاما منه في بعث اليقظة، والظاهر أن مقام العقبي بالمدينة المنورة هو الذي جعله يتبنى اتجاها سياسيا، وأصبح بذلك عضوا في جماعة أحرار المدينة المنورة[5]، وكان العقبي صحفيا في الحجاز[6]، وعبر عن هويته السياسية في تناوله للمقالات والأشعار، كما يعتبر العقبي من أكبر المؤمنين بدور الصحافة في الحياة الإصلاحية والسياسية، وقد نظر إليها على أنها خير وسيلة لإيصال المفاهيم إلى العامة، وجسد ذلك بعد رجوعه إلى الجزائر، وكتب سلسلة من المقالات حول دور الصحافة في نهضة الشعوب وبعث وعيها بعنوان "الصحافة ومن هم رجالها"، أبرز من خلالها دور الصحافة في تثقيف الشعوب وتهذيب السلوك وإحياء الشعور، وأن الصحافة تولد في

---

[1] A.G. Bouvreuil (Agitation politique et religieuse chez les Musulmans d'Algérie) in: **A.F.** novembre 1936, p.583.

[2] أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ج2، ط4، دار الطباعة والنشر والتوزيع، 1979، المملكة العربية السعودية، ص452.

[3] صالح خرفي، **الجزائر والاصالة الثورية**، ط1، مرجع سابق، ص 80.

[4] دبوز، **نهضة الجزائر**...، ج2، مرجع سابق، ص 108

[5] سعد الله، **شاعر الجزائر محمد آل خليفة**، ط.3، الدار العربية للكتاب/ المؤسسة العربية للكتاب، 1984، ص 38

[6] Jacques Berque, **Maghreb Histoire et société de l'impérialisme à la décolonisation**, édition, Duclot et SNED, 1974, p.83

النفوس الرغبة في المواظبة[1]، شريطة أن يتولى الكتابة في الصحافة الهادفة أولئك الذين آمنوا بما للصحافة من الأثر البليغ على حياة المجتمعات[2]، والظاهر أن معاصرة العقبي لإرهاصات القومية العربية بالمشرق[3]، قد أكسبته حماسا وتطلعا لمصير الأمة العربية الإسلامية، خصوصا وأن العقبي كان متفتحا الذهن متوثب الفكر، شديد الطموح، يشارك في القضايا السياسية والاجتماعية كما ذكرنا.

وسواء أكان العقبي قد خدم القضية العربية الإسلامية بلسانه أو بقلمه، فإنه احتل بذلك مكانة مرموقة زادته سمعة وشهرة بين الأمراء العرب[4]، وأصبح اسم العقبي معروفا ولامعا ضمن الشخصيات المشرقية الهامة التي التي ساهمت في إذكاء روح القضية العربية وبعثها من جديد، فأصبح من الشخصيات المزارة، والتي تستقبل الوافدين من أقطار العالم الإسلامي، ويتضح ذلك جليا في رحلة التميمي القيرواني والتقائه بعدة شخصيات مشرقية وجزائرية[5]، وقد نزل في ضيافة العقبي، وقال عنه: "...كما اجتمعنا بالفاضل سيدي محمد الطيب بن العقبي، فوجدناه رجلا أخلاقه طيبة ..."[6]، وإن دلّ هذا على شيء فإنه يدل على سمعة العقبي في المشرق ومدى ومدى حرصه واهتمامه بالقضايا العربية، ولذلك فإننا لا نقلل من دوره في تكوين خميرة الثورة العربية بزعامة الشريف حسين[7].

---

[1] La justice، N° 9 , 1ére année , 18 mars 1935.

[2] **جريدة البرق**، الأعداد من 2 الى 5، السنة الأولى ،14 مارس–4 أفريل 1927.

[3] كونت الحركة القومية عدة جمعيات، لعبت دورا بارزا في اليقظة العربة منها: جمعية الإخاء العربي العثماني سنة 1908 وجمعية القحطانية في الأستانة سنة 1909، والمنتدى الادبي وجمعية العربية الفتاة، وكل هذه الجمعيات تقريبا اخذت طابعا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا. للمزيد ينظر: على المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798–1914**، ط.3 (المطبعة الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1983) ص 135. وكذلك: الأمير مصطفى الشهابي، **القومية العربية: تاريخ–مراحلها–قوامها**، ط2، مطبعة الرسائل، 1961، ص68.

[4] شارل أندري جوليان، **افريقيا الشمالية تسير، القوميات الاصلاحية والسيادة الفرنسية**، تر: المنجي سليم وآخرون، ط1، الدار التونسية للنشر، ش.و.ن.ت. 1976، ص 135.

[5] يذكر صاحب الرحلة انه التقى بالعديد من علماء الجزائر امثال حمدان الونيسي والإبراهيمي وابن باديس وغيرهم من المساهمين في إحياء النهضة العربية الاسلامية. للمزيد ينظر: أحمد الجاسر، رحلة التميمي لتونسي إلى الحج، **مجلة العرب**، الأعداد 7–8، السنة 16، محرم–صفر 1402هـ، ص 763.

[6] أحمد الجاسر، المرجع السابق، ص 561.

[7] الثورة العربية قامت بزعامة الشريف حسين، شريف مكة سنة 1916 واستهدفت الانسلاخ عن الدولة العثمانية، وقد تحالف الشريف حسين مع الحلفاء ضد آل عثمان ومن أسباب الثورة العربية: 1–ظهور المسألة الشرقية وبروز الحركات الانفصالية كما حدث في البلقان.

2–تراخي الدولة العثمانية وفشلها في التصدي للأطماع الأوروبية.

3–اشتداد الصراع الطوراني وفكرة التتريك.

وإذا كانت جمعية النهضة العربية تعتبر أول تنظيم عربي مناضل في سبيل التحرير والاستقلال[1]، فالمرجّح أن نشاطات هذه الجمعية لم تكن مجهولة بالنسبة للعقبي، علما وأن مؤسس جمعية النهضة هو محب الدين الخطيب الذي كانت له صداقة مع العقبي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن محب الدين الذي حظي بمكانة راقية في البلاط الشريفي قبل الثورة العربية وهو التقدير الذي حظي به العقبي أيضا عند الشريف حسين بعد نهاية الح.ع.I.

وقد صادف اندلاع الثورة وجود العقبي بالمدينة المنورة، وبعد استفحال الثورة وتوسعها أمرت السلطة العثمانية بترحيل سكان المدينة المنورة إلى دمشق، ولعل ذلك يعود أساسا إلى عجزها عن التحكم في زمام الأمور سواء بتموينها للجيش، أو السهر على راحة المدنيين بالمدينة المنورة، فكان من الجزائريين المقيمين بالمدينة آنذاك العقبي والإبراهيمي وغيرهما، وقد لبى الإبراهيمي دعوة السلطة العثمانية، وخرج مع أبيه سنة 1917 إلى مدينة دمشق[2]، أما العقبي فالمرجّح أنه رفض ذلك النداء وظل رابضا بالمدينة المنورة، وعارض فكرة الترحيل، ولعل سبب ذلك يعود إلى سابق معرفة بدعاة الثورة العربية من جهة، وإلى معرفته وصداقته مع الأمير عبد الله، أحد أبناء شريف مكة من جهة ثانية، حيث درس العقبي أيام الدراسة مع الأمير عبد الله، وأصبح من أعز أصدقائه[3]، وحسب رواية الشيخ الأخضر أحد مشايخ مدرسة الشبيبة الإسلامية، فإن تعرف العقبي على الأمير عبد الله مكّنه من التقرب أكثر من أسرار الثورة العربية، وعندما شعرت السلطة العثمانية بازدياد خطر دعاة النهضة العربية قامت بشن اعتقالات واسعة النطاق في صفوف دعاة القومية العربية، ومن بينهم العقبي، فقد اعتبرته من دعاة الانفصال ومن الداعين لتأسيس الدولة العربية المستقلة. وسؤالنا المطروح: هل كان العقبي قوميا؟ وفي هذا الصدد يبدو أن نشاط العقبي السياسي لم يكن متطرفا، بل كان أكثر اعتدالا في مفهوم القومية، وكانت القومية التي يراها العقبي هي إنقاذ العالم العربي من الزوال بعد ضعف الدولة العثمانية، وبالتالي كانت حركته تهدف إلى

=وبرغم بداوة جيش الشريف حسين المكون من حوالي 2000 مقاتل، فإنه تمكن من مقاومة الجيش العثماني الذي كان أكثر خبرة وأكبر عددا والذي وصل تعداده إلى نحو 150.000 مقاتل. للمزيد ينظر: أنيس صايغ، **الهاشميون والثورة العربية الكبرى**، ط.1، دار الطليعة، بيروت 1956، ص 13، وكذلك:

Jean Albert Fustel, (L'aventure de Laurence d'Arabie) in : **Miroir de l'histoire**, N° 316, mars-avril, 1980, p. 38.

[1] صالح خرفي، **صفحات من الجزائر، دراسات ومقالات من 1962 الى 1972**، ط1، و.ن.ت، 1973، ص113.

[2] أحمد، مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، دار هومة، الجزائر، الجزائر، 1912، ص 48.

[3] الشيخ الأخضر، أحد المعاصرين المهتمين بنشاطات العقبي، درس في مدرسة الشبيبة الإسلامية منذ سنة 1944 الى غاية 1970، كان يعلم القرآن ويعطي الدروس الوعظية بمسجد الفضيل الورتلاني بالعاصمة.

التواصل الحضاري للأمة الإسلامية، ولم يدع إلى التواصل العرقي، ولذلك يصح تسمية نشاط العقبي بالدعوة إلى القومية (الجامعة) الإسلامية أكثر منه دعوة إلى القومية العربية بمفهومها الحالي.

وفي ذات السياق نجد الإدارة الفرنسية في الجزائر قد باركت حركة القومية العربية الإنفصالية، وأرادت استثمار هذه الخطوة، فأرسلت بعثة جزائرية متكونة من 290 حاجا، اختيروا من بين موظفي السلك الديني وزعماء الطرقية، وبعثت بهم إلى مكة المكرمة، وقصدت بذلك إقامة حوار فرنسي عربي مع الشريف حسين، فمن جهة عملت على استدراجه لخدمة مصالحها، ومن جهة ثانية تأكيد فصل مسلمي الجزائر عن السلطة العثمانية، وقد أشاد بذلك الحاكم العام "شارل لوتر" واعتبرها خطوة دبلوماسية ناجحة وانتصارا سياسيا ودينيا[1]، ولا يستبعد أن يكون العقبي قد التقى بالبعثة الجزائرية، أو على الأقل قد سمع بها، والجدير بالملاحظة أن اعتقال العقبي من قبل الأتراك يوحي بصحة علاقة العقبي بدعاة النهضة العربية، وقد عدّه بعض رجال تركيا الفتاة من السياسيين الخطرين، وأشار العقبي نفسه إلى إبعاده عن المدينة المنورة بقوله: " .. وأخرجوني في جملة أنصار النهضة العربية مبعدا عن المدينة المنورة على إثر قيام الشريف حسين بن علي في وجوههم بعد الحرب إلى المنفى في ضهم "الروم ايلي" " فالأناضول ثانيا .."[2].

ولم يصادف خروج العقبي تاريخ 1914 كما ذهب إليه أحد الباحثين[3]، بل يرجّح أن تاريخ خروجه من المدينة كان سنة 1916، والظاهر أن العقبي لم يتم نفيه لوحده، بل كان رفقة أصحابه الداعين للنهضة العربية من المصريين والعراقيين والسوريين، وقد عانى العقبي لوعة فراق الحجاز والأصدقاء، كما أثر ذلك في التقليل من انتاجه الفكري والأدبي، بل وضياع ما كتبه آنفا، وأشار العقبي إلى ذلك بقوله: "فطوحت بي طوائح الحرب والأبعاد عن تلك البلاد بغتة ودون استعداد منا لمواجهة ذلك البعد والبين فحالت بيني وبين كتبي..."[4].

والظاهر أن مأساة المنفى قد تركت بصمتها على شخصية العقبي وأثرت سلبا على معنوياته وأبرز ذلك بقوله: "فسحقا لها سحقا وبعدا لما ابقته من آثارها السيئة بعيدا..."[1]، والأكيد أن حسرة العقبي لم يقصد بها ذاته، بقدر ما قصد بها تأسفه على الأعمال الشنيعة التي ارتكبتها السلطة العثمانية في حق الأحرار العرب،

---

[1] Ali Merad, **Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940**, essai d'histoire religieuse et sociale (monton, Paris 1967) p. 37.

[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري، **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، ج2، ط1، مطبعة النهضة، تونس، 1927، ص 129.

[3] Mahfoud, Kaddache، **La vie politique à Alger 1911–1951**, t1-t2, SNED, 1980, p.237.

[4] الزاهري، المصدر السابق، ص 130.

الذين بدون شك كانت للعقبي علاقات معهم، ولم تكتف السلطة العثمانية بإبعاد العقبي وصحبه عن البلاد العربية، بل تعدت ذلك إلى تغيير مكان المنفى بين إلى الأناضول ثم منطقة أزمير، وكانت السلطة العثمانية تهدف من وراء استبدال مكان المنفى شن حرب نفسية على هؤلاء المنفيين حتى لا يتمكنوا من إقامة العلاقات مع شعوب الأمصار التي حلوا بها، وطالت مدة المنفى ودام بقاء العقبي بها أكثر من سنتين[2]، وساعده ذلك في الاحتكاك بالمجتمع التركي والجالية العربية المقيمة هناك، إذ تعلم العقبي اللغة التركية، وكان يجيدها كاللغة العربية حتى خاطب بها أحد الضيوف الأتراك المدعو "مصطفى إحسان" أثناء زيارته لنادي (الترقي) بالجزائر[3].

وفي 11 نوفمبر 1918 بعدما هدأت رحى الحرب واستتب الأمن، رجع العقبي وعائلته من المنفى بأزمير إلى أرض الحجاز، وحسب بعض الروايات فإن العقبي التقى بشكيب أرسلان في المنفى وكان هذا الأخير وراء عودته إلى الحجاز ثم إلى الجزائر[4]، وقد فضل العقبي إثناء عودته الاستقرار بمكة المكرة بدلا من المدينة المنورة، ولعل السبب الرئيسي لهذا الاختيار يتعلق بعلاقته الجديدة بالأسرة الشريفة.

وقد استقبل العقبي استقبال الأبطال في ضيافة الشريف حسين، وترك ذلك الاستقبال الأثر العميق في نفسيته، ولعل ذلك هو ما يكشف عن شدة اهتمام العقبي بالقضية العربية، وعبر العقبي عم حفاوة الاستقبال بقوله: ".. وما وصلت أنا إلى مكة المكرمة حتى لقينا من لدن جلالة (الملك حسين) كل ما هو اهل له من الإكرام والإجلال..."[5]، والظاهر أن مثل هذه الحفاوة من ملك كالشريف حسين الذي تألق نجمه بالحجاز لمهاجر جزائري كالعقبي لها أكثر من دلالة. وأن حرارة اللقاء تعكس مصداقية التجارب بين الرجلين حول القضايا العربية المطروحة وقتئذ.

وإذا كان الشريف حسين قد فتح الباب لاستقبال العقبي، فإن بعض الروايات تذهب إلى أن العقبي وهو في طريقه من المنفى عرج على البلاط الشريفي[6]، في حين تقول رواية ثانية أن الشريف حسين هو الذي تأثر لوضعية العقبي المأساوية وما لحق به من اجل القضية العربية، فلاق قلبه لحاله واهتم بأمره إلا أن الروايتين

---

[1] الزاهري، المصدر السابق، ص 127

[2] نفسه، ص 128.

[3] سعد الله. **شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة**، ط3، الدار العربية للكتاب. المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 38.

[4] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 52.

[5] الزاهري، المصدر سابق، ص 128.

[6] La Justice, 18 mars, 1935

كلتيهما لا تستند إلى حقائق واقعية ولعلها تقلل من مساهمة العقبي في النهضة العربية أكثر من اعترافها بالمجهود الذي بذله، وقد طاب عيش العقبي في البلاط الشرفي، وتنفس الصعداء، ولعل وجوده بالقرب من الملك أكسبه النفس الجديد في تقوية القضية العربية، كما أصبح العقبي من شعراء البلاط، ومدح الشريف حسين بالقصائد الكثيرة[1].

والظاهر أن العقبي وجد في شخصية الشريف حسين العضد المساعد له بعد عودته من المنفى، وقصد العقبي من وراء ذلك التخلص من الآثار السلبية التي ظلت عالقة بذهنه بعد المنفى من جراء تبنيه القضية العربية. وقد أبرز العقبي ذلك بقوله: " بعدما وقع من الحوادث المقلقة السالبة لكل أسباب الراحة (بل المنفذة للحياة) وبعدما مر على رأسي من الليالي المزعجات..."[2]، والواضح أن الشريف حسين وضع ثقته في العقبي، واسند إليه تحرير جريدة القبلة، والإشراف على إدارة المطبعة الأميرية.

وكتبت القبلة في المواضيع السياسية، واهتمت بتتبع حركة الشريف حسين، ولعل أسلوب القبلة الذي غلب عليه الطابع السياسي، هو الذي جعل العقبي لا يكشف عن اسمه في كتاباته للمقالات، وكانت الجريدة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر رئيس تحريرها، بقد ما كانت تعبر عن وجهة نظر حركة الشريف حسين نفسه.[3]

ويذكر الدكتور سعد الله الذي تصفح جريدة القبلة، ووجد بها مقالات عديدة باسم "العقبي المدني"، وقد خلص سعد الله إلى أن هناك تشابه كبير في أسلوب الكتابة وطرح المواضيع ونوعية المعالجة فيما هو مكتوب باسم العقبي المدني، وكتابات العقبي في الجرائد الجزائرية كالإصلاح والمنتقد والشهاب والبصائر[4]، والظاهر أن كتابات العقبي لم تتوقف عند جريدة القبلة، بل كتب كذلك بجريدة (أم القرى)[5] لصاحبها الشيخ الطيب

[1] سعد الله، **محمد العيد ..**، مرجع سابق، ص 38.

[2] الزاهري، **شعراء الجزائر..**، ج1، مرجع سابق، ص 128.

[3] الشامخ، المرجع السابق، ص 89.

[4] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 55.

[5] جريدة أم القرى تأسست في مكة المكرة بظهور دولة ابن سعود في الحجاز وذلك سنة 1923، وهي اول جريدة رسمية للمملكة السعودية، كما تعتبر من أقدم صحف المملكة، كانت تصدر اسبوعيا لكنها اصبحت تصدر ثلاث او أربع مرات في الاسبوع. للمزيد انظر: أديب مروة، **الصحافة العربية نشأتها وتطورها قديما وحديثا**، ط1، بيروت، 1961، ص367.

الساسي[1]، كما تولى العقبي الإشراف عليها[2]، ولعل ما يوضح ذلك مدى الإهتمام البالغ الذي أولته جريدة أم القرى لسفر العقبي إلى فلسطين في ربيع 1950، إذ كتبت عن رحلته وأخذت له صورا تذكارية مع صاحب الجريدة وجمع من العلماء[3].

ومهما يكن فالأكيد أن العقبي كانت له معرفة وارتباطات بكتاب جريدة القبلة، وأثناء عودته إلى الجزائر نشرت القبلة خبر العودة بعنوان "سفر فاضل" تأسف فيه كاتب الخبر عن فراق العقبي وتركه لهم وذلك في قوله: "في مساء هذا اليوم برح العاصمة رصيفنا الفاضل الهمام أرب الغيرة والشهامة الكاتب القدير والشاعر الكبير الأستاذ الطيب العقبي قاصدا جدة بعائلته، ومنها إلى وطنه الأصلي الجزائر، ونكتب هذه السطور ونحن في اشد الأسف والأسى عن فراق رصيفنا الماجد النبيل، ونتمنى له النجاح في قضيته. رافقته السلامة في الظعن والإقامة..."[4].

– أبو يعلى الزواوي ومسألة القومية العربية:

لم يأت الزواوي إلى المشرق العربي مهاجرا ولا زائرا، وإنما جاء موظفا في القنصلية الفرنسية سنة 1912، ولكن وظيفته لم تمنعه من ربط علاقات قوية مع المهاجريز الزواويين الذين سبقوه لإلى سورية وبقية المغاربة، وقد كان الزواوي من المقربين إلى الشيخ طاهر الجزائري، ولكن هذا كان قد خرج من سورية وتوجه إلى مصر هروبا من اضطهاد الأتراك –كما ذكرنا–، فكان الزواوي يراسله على البعد، ثم التحق به في القاهرة حيث أقام معه حوالي خمس سنوات، وكان الزواوي على صلة وطيدة بالشيخ عبد القادر المغربي، وقد كتب في جريدة (البرهان) للمغربي، كما كتب في جريدة (المقتبس) لمحمد كرد علي، وكان المغربي قد سأل الزواوي رأيه في مطامع بعض الدول في سورية فأجابه بمقال طويل جاء فيه عن العرب والترك ((أرجوكم لا تحسبوا كل من ذكر العرب مع الترك

[1] الطيب الساسي (1892-1959): أديب حجازي من مشايخ الصحافة في العهدين الهاشمي والسعودي، من أصل مغربي. ولد وتعلم بالمدينة المنورة. ولما قام الشريف حسين بالثورة سنة 1916 في مكة تسلل الطيب مع ابيه اليها. وتولى بها إدارة المدرسة الراقية، وآلت إليه إدارة الجريدة الرسمية "القبلة" وتحريرها، فكان يهتم بإنشاء افتتاحيات ويمضيها بقلم الملك حسين، وإذا حان موعد خروج العدد من المطبعة حمله الطيب إلى الملك ليلا. وأمره هذا الأخير بقراءة المقال حتى يصحح من الخطأ. وبعد الثورة الشريفة سافر الطيب إلى حضرموت والهند واندونيسيا. لكنه عاد إلى الحجاز وأكرمه الملك السعودي عبد العزيز وعينه في مجلس المعارف، وأولاه إدارة الجريدة الرسمية "أم القرى" إلى أن توفي في حادث سيارة، للمزيد ينظر: الزركلي، **تراجم الأعلام**، ج3، مصدر سابق، ص 234.

[2] سعد الله، **أفكار جامحة**، ط1(المؤسسة الوطنية للكتاب 1988)، ص 108.

[3] **جريدة عصى موسى**، عدد2، السنة الأولى، 20 جويلية 1950.

[4] خرفي، **الجزائر والأصالة الثورية**، مرجع سابق، ص 82.

يعد مفرقا بما أن الكلام الذي يدور في هذه المسألة يحتاج إلى التفصيل والجدل بالتي هي أحسن، أما الذي يريد التفريق فظاهر، أما الذي ينبه إلى الخطأ أو يرشد إلى الصواب فلا يليق أن يدعى مفرقا، وإذا كان كلما ذكر أحد العرب والترك يعد مفرقا فكأنه يقال: لا تذكروا العرب وهذا باطل))[1].

وقد تداخل الزواوي في قضية العرب والترك أوائل القرن العشرين، وقال إنه كتب كتابا سماه (الخلافة قرشية)، ونحن نجد له آراء صريحة ضد الأتراك في كتابه (جماعة المسلمين)، وقد انتصر فيه للعرب واللغة العربية، ولا شك أنه شاهد ألوانا من اضطهاد الأتراك للعرب أيام إقامته في دمشق، ومن رأيه أن المسلمين كلهم عرب، إذ قال في مقال نشرته جريدة (المقتبس) عدد 5 صفر 1331 (1912): "أنه لا يوجد مسلم إلا وهو عربي قحطاني أو مستعرب اسماعيلي، والمسلم مضطر إلى الاستعراب والبيان –حسب رأيه– لأن الصلاة عندنا لا تصح بغير الألفاظ العربية وبالأخص فاتحة الكتاب"[1]، كما كان للزواوي مراسلات واتصالات مع الأمير شكيب أرسلان حتى بعد رجوعه للجزائر، وربما يكون واصلها أيضا مع صديقه عبد القادر المغربي وغيره.

ويلاحظ مما سبق أن تيار القومية العربية الذي ظهرت نواته الأولى في الربع الأخير من القرن التاسع عشر اتخذ أربع اتجاهات وهي:

1/ اتجاه يدعوا إلى الحكم اللامركزي في الدولة العثمانية، بحيث تحصل الولايات العثمانية على شيء من الاستقلال الذاتي الذي من شأنه أن ينمّي الشخصية العربية، ويحافظ على اللغة العربية ويضمن ادخال الاصلاحات الحديثة في الإدارة والتعليم والمواصلات والحياة الاقتصادية والاجتماعية، وقد تبنى هذا الاتجاه حزب اللامركزية العثماني وجمعيتا بيروت والبصرة الاصلاحيتين.

2/ اتجاه ينادي بإنشاء مملكة عربية تتمتع بالاستقلال الذاتي، وترتبط بالمملكة العثمانية ارتباط المجر بالنمسا في الإمبراطورية النمساوية—المجرية في تلك الفترة من الزمن، ويمثل هذا الاتجاه جمعيتا القحطانية والعهد السريتان.

3/ اتجاه يرفض الخلافة العثمانية ويعتبرها غير شرعية، ويدعوا إلى خلافة عربية قرشية، ويمثل هذا الاتجاه عبد الرحمن الكواكبي ونجيب عازوري.

4/ اتجاه يدعو إلى الثورة على الأتراك والانفصال التام عن الدولة العثمانية وإنشاء دولة عربية مستقلة في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية، ويمثل هذا الاتجاه جمعية العربية الفتاة.

[1] نقلا عن: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص163، من مشروع كتاب تاريخ الزواوة، ص–ص 145–167.

وبالنظر إلى هذه الاتجاهات التي ذكرنا، يتضح لنا أن النخبة الجزائرية كانت تميل أكثر للاتجاه الثاني الذي ينادي بإنشاء مملكة فديرالية، تتمتع بالاستقلال الذاتي دون الانفصال عن الخلافة الاسلامية، وذلك ما أقره المشروع القومي للأمير عبد القادر سنة 1877، وحاول الشيخ طاهر الجزائري تجسيده من خلال الحلقات التي ضمت مجموعة من القوميين العرب البارزين، وليتأكد مع نشاط الجزائريين ضمن الجمعيات والأحزاب التي هدفت بالدرجة الأولى إلى السعي لإعلاء شأن العرب والعربية ضمن الجامعة العامة العثمانية، وذلك من خلال الاستقلال الداخلي لبلاد العرب على أن تكون متحدة مع الدولة العثمانية اتحاد المجر مع النمسا.

ثانيا: النشاط العسكري للجزائريين في المشرق العربي:

قام الجزائريون في المشرق العربي بدور عسكري مميز نسبيا، إذ كانت الأنظار مسلطة عليهم باعتبارهم مجاهدين ومقاتلين أشداء، ولهذا السبب كانت الدولة العثمانية تنظر إليهم بكثير من الريبة والشك، فلم تشجع على انخراطهم في صفوف جيشها، ولكنها كانت تستفيد منهم لصالحها عند الاقتضاء[2]، وقد بدأ ذلك خلال فتنة 1860م، حين حملوا السلاح بقيادة الأمير عبد القادر ودافعوا عن المسيحيين، فأرادت أن تسحب من الأمير ورجاله سلاحهم، ولما عجز الوالي "فؤاد باشا" في الأمر طلب من الأمير أن يمدّه ببعض الفرسان ليشكل منهم قوة تحفظ الأمن بدمشق، فأمده بأربعمائة رجل، لكن سرعان ما طلبت عاصمة الخلافة الإستغناء عنهم لئلا يكونوا نواة لجيش الأمير عبد القادر في المشرق العربي فتم تسريحهم[3].

وكان قبل ذلك للجزائريين مشاركة في حرب القرم (1853)[4]، التي شاركت فيها فرنسا إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا، وكانت فرصة لتجديد الصلات والعلاقات بين الجزائريين والمشرق وبينهم وبين العثمانيين، والتقى خلالها الجنود الجزائريون ببعض آبائهم وأجدادهم الذين هاجروا إلى المشرق وتطوع بعضهم للدفاع عن

---

[1] سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص141.

[2] نادية طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي –أثناء الاحتلال–**، مرجع سابق، ص299.

[3] نفسه

[4] اندلعت حرب القرم أو الحرب الشرقية كما يسمّيها الروس، بين كلّ من روسيا والدولة العثمانية بمشاركة العديد من الدول التي وقفت إلى جانب الدولة العثمانية كفرنسا، وبريطانيا، ومصر، وإيطاليا، وغيرها، وكان ذلك في عام 1853م، واستمرّت هذه الحرب حوالي ثلاث سنوات، واندلعت =على أراضي شبه جزيرة القرم في شمالي البحر الأسود، وانتهت بانهزام روسيا وتوقيع معاهدة باريس في 30 مارس 1856. حول الموضوع يراجع: يلماز أوزتونا: **تاريخ الدولة العثمانية**، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1990. وكذلك:

الدولة العثمانية، وقد بقي الجنود الجزائريون في المشرق نحو عشرين شهرا، وكان عددهم حوالي 2200 جندي، فكانت فرصة لاستعادة الذكريات لقربها من الاحتلال الفرنسي (ربع قرن فقط)، ولا شك أن آباء المتطوعين قد حدثوهم عن الجزائر قبل مجيء الفرنسيين والعلاقات السابقة بين المسلمين ببعضهم البعض.

ومن حيث الممارسة القتالية فقد كان الجزائريون المشارقة أقدم من أي طرف آخر في ذلك، ومثل ذلك من أسرة الأمير عبد القادر أبناؤه: "محي الدين" الذي التحق بثورة المقراني عام 1871[1]، والأمير علي التحق مع كوكبة من المهاجرين لقتال في ليبيا عام 1911 وقاوم الغزو الإيطالي، ورافقه ابنه الأمير عبد القادر (الحفيد)، وانضم إليه هناك جزائريون من داخل الجزائر نفسها، كما أن أخاه الأمير عبد المالك أعلن ثورته في المغرب وأعلن استقلال فاس عام 1914، وفي ذات الوقت كان ابن أخيهما الأمير خالد بن الهاشمي يقود الحركة الوطنية في الجزائر ضد فرنسا ..، ومن خارج أسرة الأمير ظهرت شخصية عسكرية قوية هي شخصية سليم الجزائري الذي كاد أن يقود ثورة عربية ضد الطورانية العثمانية، وفي الح.ع.I نجد مجموعة من الجنود الجزائريون يفرون من الجيش الفرنسي للالتحاق بإخوانهم في المشرق العربي، وعليه سنتطرق خلال هذا العنصر إلى هذه النماذج التي كان لها دور عسكري بارز سواء في نصرة القضية الإسلامية أو القضية العربية، وهؤلاء يمثلون نماذج للنشاط العسكري للجزائريين في المشرق، حيث سنسلط الضوء عليهم في هذا العنصر من الموضوع، فلا يمكننا —كما ذكرنا– بأي حال من الأحوال الإحاطة بكافة جوانبه، أو الحديث عن جميع الجزائريين الذين كانت لهم أدوار عسكرية، أو غيرها، وعليه سنكتف بذكر نماذج من هؤلاء.

- Mara, Kozelsky, "**The Crimean War**, **1853–56**", Kritika: Explorations in Russian and Eurasian History 13.4 (2012), p-p 903–917

[1] لما نشبت الحرب البروسية الفرنسية سنة 1871 استغل الأمير محي الدين ظروف فرنسا السياسية والعسكرية، وحاول إشعال ثورة عارمة ضدها في الجزائر، فاستقر في الجريد التونسي، واتصل بزعماء المقاومة المسلحة آنذاك كبوشوشة، ومحمد بن عبد الله الشريف والحداد وغيرهم، وبعث إليهم بنحو 200 رسالةيدعوهم فيها للإستعداد للثورة، ثم انتقل إلى مالطة، ومنها دخل إلى الجزائر متنكرا في زي درويش، فالتفّت حوله الجماهير ووقعت بينه وبين الاحتلال الفرنسي معارك، ولكن شأنه شأن الشيخ المقراني يبدوا أنه انتظر كثيرا فكان الوقت أسرع منه بحيث ما لبثت فرنسا أن استرجعت أنفاسها وجمعت قواتها العسكرية المتشتتة بعد توقف الحرب بينها وبين بروسيا، واستعدت لسحق محي الدين ومن كان يؤازره في الثورة، وتحت ضغط والده الأمير عبد القادر وباي تونس والظروف الدولية التي لم تكن في صالحه تراجع محي الدين وغادر الجزائر نحو مدينة صيدا فأقام بها نحو سنة ثم التحق بدمشق ولما مات والده دخل في خدمة العثمانيين فأنعم عليه السلطان عبد الحميد الثاني برتبة فريق في الجيش العثماني ثم عضو في مجلس التفتيش العسكري. ينظر: عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلاد العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص337.

I. نماذج عن النشاط العسكري للجزائريين تحت لواء الدولة العثمانية:

قام الجزائريون في المشرق العربي بدور عسكري مميز نسبيا، إذ كانت الأنظار مسلطة عليهم باعتبارهم مجاهدين ومقاتلين أشداء، ولهذا السبب كانت الدولة العثمانية تنظر إليهم بكثير من الريبة والشك، فلم تشجع على انخراطهم في صفوف جيشها، ولكنها كانت تستفيد منهم لصالحها عند الاقتضاء، وقد بدأ ذلك خلال فتنة 1860م، حين حملوا السلاح بقيادة الأمير عبد القادر ودافعوا عن المسيحيين، فأرادت أن تسحب من الأمير ورجاله سلاحهم، ولما عجز الوالي "فؤاد باشا" في الأمر طلب من الأمير أن يمدّه ببعض الفرسان ليشكل منهم قوة تحفظ الأمن بدمشق، فأمده بأربعمائة رجل، لكن سرعان ما طلبت عاصمة الخلافة الإستغناء عنهم لئلا يكونوا نواة لجيش الأمير عبد القادر في المشرق العربي فتم تسريحهم[1].

وكان قبل ذلك للجزائريين مشاركة في حرب القرم (1853)[2]، التي شاركت فيها فرنسا إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا، وكانت فرصة لتجديد الصلات والعلاقات بين الجزائريين والمشرق وبينهم وبين العثمانيين، والتقى خلالها الجنود الجزائريون ببعض آبائهم وأجدادهم الذين هاجروا إلى المشرق وتطوع بعضهم للدفاع عن الدولة العثمانية، وقد بقي الجنود الجزائريون في المشرق نحو عشرين شهرا، وكان عددهم حوالي 2200 جندي، فكانت فرصة لاستعادة الذكريات لقربها من الاحتلال الفرنسي (ربع قرن فقط)، ولا شك أن آباء المتطوعين قد حدثوهم عن الجزائر قبل مجيء الفرنسيين والعلاقات السابقة بين المسلمين ببعضهم البعض.

ومن حيث الممارسة القتالية فقد كان الجزائريون المشارقة أقدم من أي طرف آخر في ذلك، ومثل ذلك من أسرة الأمير عبد القادر أبناؤه: "محي الدين" الذي التحق بثورة المقراني عام 1871[3]، والأمير علي التحق مع

---

[1] نادية طرشون، **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي –أثناء الاحتلال–**، مرجع سابق، ص299.

[2] اندلعت حرب القرم أو الحرب الشرقية كما يسمّيها الروس، بين كلّ من روسيا والدولة العثمانية بمشاركة العديد من الدول التي وقفت إلى جانب الدولة العثمانية كفرنسا، وبريطانيا، ومصر، وإيطاليا، وغيرها، وكان ذلك في عام 1853م، واستمرّت هذه الحرب حوالي ثلاث سنوات، واندلعت على أراضي شبه جزيرة القرم في شمالي البحر الأسود، وانتهت بانهزام روسيا وتوقيع معاهدة باريس في 30 مارس 1856. حول الموضوع يراجع: يلماز أوزتونا: **تاريخ الدولة العثمانية**، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1990. وكذلك:
=Mara, Kozelsky, "**The Crimean War, 1853–56**", Kritika: Explorations in Russian and Eurasian History 13.4 (2012), p-p 903–917

[3] لما نشبت الحرب البروسية الفرنسية سنة 1871 استغل الأمير محي الدين ظروف فرنسا السياسية والعسكرية، وحاول إشعال ثورة عارمة ضدها في الجزائر، فاستقر في الجريد التونسي، واتصل بزعماء المقاومة المسلحة آنذاك كبوشوشة، ومحمد بن عبد الله الشريف والحداد وغيرهم، وبعث إليهم بنحو 200 رسالة يدعوهم فيها للإستعداد للثورة، ثم انتقل إلى مالطة، ومنها دخل إلى الجزائر متنكرا في زي درويش، فالتفّت حوله الجماهير ووقعت بينه وبين الاحتلال الفرنسي معارك، ولكن شأنه شأن الشيخ المقراني يبدوا أنه انتظر كثيرا فكان الوقت أسرع منه بحيث ما لبثت فرنسا أن استرجعت أنفاسها وجمعت قواتها العسكرية المتشتتة بعد توقف الحرب بينها وبين بروسيا، واستعدت لسحق محي الدين ومن كان يؤازره في الثورة، وتحت ضغط

كوكبة من المهاجرين لقتال في ليبيا عام 1911 وقاوم الغزو الإيطالي، ورافقه ابنه الأمير عبد القادر (الحفيد)، وانضم إليه هناك جزائريون من داخل الجزائر نفسها، كما أن أخاه الأمير عبد المالك أعلن ثورته في المغرب وأعلن استقلال فاس عام 1914، وفي ذات الوقت كان ابن أخيهما الأمير خالد بن الهاشمي يقود الحركة الوطنية في الجزائر ضد فرنسا ..، ومن خارج أسرة الأمير ظهرت شخصية عسكرية قوية هي شخصية سليم الجزائري الذي كاد أن يقود ثورة عربية ضد الطورانية العثمانية، وفي الح.ع.I نجد مجموعة من الجنود الجزائريون يفرون من الجيش الفرنسي للالتحاق بإخوانهم في المشرق العربي، وعليه سنتطرق خلال هذا العنصر إلى هذه النماذج التي كان لها دور عسكري بارز سواء في نصرة القضية الإسلامية أو القضية العربية، وهؤلاء يمثلون نماذج للنشاط العسكري للجزائريين في المشرق، حيث سنسلط الضوء عليهم في هذا العنصر من الموضوع، فلا يمكننا –كما ذكرنا– بأي حال من الأحوال الإحاطة بكافة جوانبه، أو الحديث عن جميع الجزائريين الذين كانت لهم أدوار عسكرية، أو غيرها، وعليه سنكتف بذكر نماذج من هؤلاء.

I. 1. النشاط العسكري لسليم الجزائري:

لم يلتحق بالخدمة العسكرية من الجزائريين في العهد التركي سوى عدد ضئيل جدا، ومن هؤلاء نذكر "سليم السمعوني الجزائري" وهو ابن شقيق الشيخ طاهر الجزائري، ولد سليم الجزائري سنة 1879 بدمشق، وتوفي والده وهو طفل، فكفله عمه الشيخ طاهر الذي توسم فيه موهبة عسكرية نادرة فتركه يكمل دراسته الأولية في سوريا، ثم سجله في الأكاديمية العسكرية بإستانبول، ثم مدرسة الضباط والمدرسة الهندسية، وحين التحق الشاب باستانبول كشفت مواهبه ودخل المدرسة الحربية، وتخرج ضابطا في الهندسة وشارك في عدة معارك في اليمن وسالونيك وحصل على عدة أوسمة، وترقى إلى رتبة بكباشي (عقيد) ثم عاد إلى استانبول مدرسا في ذات المدرسة التي تخرج منها[1].

ولما حدث الانقلاب الاتحادي عام 1908، اعتقد الجزائري أن له دوراً جديداً يلعبه هو وزملاؤه في مسيرة الحياة التي بشر بها الاتحاديون والدستور، فكان في مقدمة الضباط السوريين حيث أسندت إليه الشؤون

والده الأمير عبد القادر وباي تونس والظروف الدولية التي لم تكن في صالحه تراجع محي الدين وغادر الجزائر نحو مدينة صيدا فأقام بها نحو سنة، ثم التحق بدمشق ولما مات والده دخل في خدمة العثمانيين فأنعم عليه السلطان عبد الحميد الثاني برتبة فريق في الجيش العثماني ثم عضوا في مجلس التفتيش العسكري. ينظر: عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلاد العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3/14هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص337.

[1] أدهم الجندي، **شهداء الحرب العالمية الأولى**، دمشق، 1960، ص14.

العسكرية في دائرة أركان الحرب، وحقق انتصارات كبيرة في مقدونيا، وكلف بالقضاء على (إبراهيم باشا الملا) الذي كان يدبر مع جنوده مؤامرة، وبعد الانتهاء من هذه الفتنة كان هناك مؤامرة أخرى تحاك لهم في الخفاء، حيث اتهم الجزائري ورجال العهد الجديد بأنهم يطالبون برفع الحجاب عن النساء، فحصلت بلبلة مما دعا إلى اجتماع حافل في حي الميدان من أجل إطفاء هذه الفتنة، وألقى الجزائري خطبة أذهل فيها الحاضرين بما يتمتع به من ثقافة وبلاغة وحسن منطق. وعندما زار الشيخ رشيد رضا دمشق وألقى دروساً في الجامع الأموي، جعل ذلك سبباً للطعن بالجزائري لأنه على حد زعمهم هو الذي كان يشجعه على إلقاء دروسه المخالفة لما اعتادوا عليه، وقد خرج الجزائري من سورية بعد هذه الفتنة وهو يؤمن أن الاتحاديين وأعوانهم كانوا وراء إخراجه حتى يضعفوا الصوت العربي في الجيش العثماني، لسافر الجزائري بعدها إلى استانبول وعين مدرساً لمادة الجغرافيا في المكتب الحربي، وكان لدروسه صدى كبير في نفوس الضباط العرب، وكان يضرب الأمثلة على القيادة العربية من تاريخ العرب المضيء أمثال خالد بن الوليد ونبوغه في القيادة العسكرية، مما جعل مدير المكتب يتعرض له أكثر من مرة، وكان جواب الجزائري: (إن الأمم التي ليس لها أبطال في القرون الخالية تفتخر بهم يجوز لها أن تستعير الأبطال الغرباء وتتغنى بأسمائهم، وهذا من صفات الأقوام الحقيرة التي لا يؤبه لها. والعربي الذي يغفل (خالد بن الوليد) ليتغنى بنابليون هو صعلوك ما ذاق الأنفة ولا عرف عزة النفس[1].

وعندما خرج الجزائري من دمشق ما لبث أن رأى السياسة الاتحادية على حقيقتها التي ترمي إلى إذلال العنصر العربي، وازدادت هذه الصورة وضوحاً لدى الجزائري عندما زار ولاية (أضنة) واطلع على المذبحة الأرمنية التي حدثت هناك في أفريل سنة 1909، فتتبع حركات رجال الثورة هناك، واطلع على أناشيدهم الحماسية وهناك نظم أول نشيد عربي حماسي أقبلت عليه المدارس العربية والشارع العربي إقبالاً كبيراً حتى كاد يصير النشيد الوطني أنشودة تغنى على كل لسان عربي آنذاك.

كما شغل سليم الجزائري في أواخر حياته الكثير من المناصب منها: رئاسة أركان الحرب؛ الفرقة التي استرجعت أدرنة من البلغاريين بعد حوادث في الحرب البلقانية الثانية، وكان الجزائري أول ضابط عربي دخل تلك المدينة بعد وقوعها بيد البلغاريين، ثم صدر أمر تعيينه قائداً لإحدى الآليات فيها. ثم انتخب عضواً في هيئة أركان الحرب في الدردنيل، وساهم مساهمة فعالة في رسم الخطط الحربية من أجل الدفاع عن المضائق ثم تقرر نقله

[1] محمد فاروق الإمام، **المفكر والمناضل السوري سليم الجزائري**، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية- لندن، www.asharqarabi.org.uk :2015/02/08

إلى ولاية أزمير بوظيفة لا تتناسب مع مؤهلاته وخبراته بسبب مجاهرته بآرائه التي عالج فيها سياسة العرب والترك، وتصعيده للروح القومية في نفوس الضباط العرب في الجيش العثماني، وكان من مؤسسي الجمعية القحطانية وجمعية العهد وجمعية فتيان العرب والتي تقوم جميعها بالمطالبة بالمساواة بين العرب والترك، والحقيقة أن سليم الجزائري كان عمله سياسي في إطار القومية العربية من خلال مشاركته في العديد من الجمعيات القومية، أما عمله العسكري فكان يتمثل في محاولة ثورية فاشلة، قادته إلى حبل المشنقة، هو ومجموعة من القوميين العرب، وكان الجزائري رفقة بعض القوميين العرب ينشطون ضمن جمعيات تنادي بالقومية العربية، ويسعون من خلالها إلى إعادة الاعتبار للعنصر العربي، ويطالبون بإصلاح الأوضاع في البلاد العربية، وخاصة في بلاد الشام، وقد كان أهمها (جمعية العهد) التي كانت تمثل الجهاز العسكري لجمعية (العربية الفتاة)، والتي تقول عنها الموسوعة السياسية: ".. قامت جمعية العهد السرية بمبادرة من بعض أعضاء الفتاة، وضمت عددا كبيرا من الضباط العرب في الجيش التركي، وكانت أخطر المنضمات العربية على الإطلاق ...".

وكانت الجمعية تعتبر أقوى الجمعيات العربية، لأن القوة الإجرائية العسكرية بيدها، وقضت مصالحها ومصالح القومية العربية أن تتقرب إلى اللامركزية، فاتفقت معها على الأهداف العربية ..."[1]، وكانت الجمعية تسعى لضم الأمير فيصل بن الحسين إليها، حيث كانوا ينظرون إلى والده الشريف حسين كزعيم عربي مرتقب، وظلت على اتصال وثيق به وبوالده، ويبدو أن السلطات العثمانية قد عثرت على وثائق تفيد بتحرك القوميين العرب، فاحتفظ جمال باشا بتلك الوثائق، وهذا ما دعا الحكومة الاتحادية إلى تفريق رجالها خشية توسعها وتأثيرها، وتخوفا من أن يشتد ساعدها، وعليه عقد اجتماع خاص في دار وزارة الحربية بالآستانة في 24 جانفي 1914 حضره الصدر الأعظم "سعيد حليم باشا"، ومحافظ الآستانة العسكري "أحمد جمال باشا، وذلك قبل أن يعين على وزارة البحرية، ومدير الأمن العام "عزمي بك"، فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية عامة وجمعية العهد خاصة، وفي مجمل ما تقرّر إقصاء ضباط العرب المقيمين في الآستانة إلى المناطق التركية، وهي تراقية والأناضول، وعددهم كما ظهر في كشوف وزارة الحربية 490 ضابطا، ينتمي 315 منهم لجمعية العهد، فلا يعود في إمكانهم القيام بأي عمل يساعد على زيادة الجفاء بين العرب والترك، كما تقرر إلغاء

[1] أدهم الجندي، **شهداء الحرب العالمية الأولى**، المرجع السابق، ص14.

الأحزاب العربية كلها، وتأليف شعبة سياسية في وزارة الداخلية تشرف على الشؤون العربية، وتدبّر الخطط اللازمة لمقاومة دعاة الانفصال، وترقب تحركاتهم بدقة زائدة[1].

في حين تذكر لنا مصادر تاريخية أخرى أن سليم الجزائري رفقة زملائه اتصلوا بالقنصل الفرنسي في بيروت، وعرضوا عليه فكرة الثورة ضد الأتراك، فأجابهم بأن هذا الأمر تقرره كل من فرنسا وبريطانيا، فخاب أملهم في ذلك، ورجع سليم إلى الآستانة، واستمر في عمله العسكري، حيث بقي في ولاية أزمير حتى عام 1916 أين صدر أمر تعيينه قائداً لسواحل سورية، فسافر على عجل، ولما وصل إلى عالية في لبنان أبلغه ضابط المحطة أن الديوان العرفي يحتاجه في مسألة بسيطة فذهب معه، وهناك تم تجريده من أسلحته، وبلغ الأمر بتوقيفه، فشعر حالاً بالحيلة وبالموت الذي ينتظره هو وأصحابه رواد القومية العربية وأعلام الحرية والفكر والأدب الذين وجدوا داخل السجن، فأخذ ينظم الأناشيد الحماسية في الأمة العربية.

I. 2. دور (الأمير علي) في الحرب الإيطالية–الطرابلسية 1911:

تعرضت ليبيا سنة 1911 للغزو الإيطالي لأراضيها[2]، والتي لم تكن الأمور فيها بصفتها ولاية عثمانية أفضل من باقي الولايات العثمانية الأخرى سواء العربية أو غيرها، وقد كانت الدولة الطورانية رغم ألقابها المتعددة (العلية–السنية–الخلافة الإسلامية) قد شارفت على نهايتها المحتومة، لذلك لم يستطع الجيش العثماني أن يحقق شيئا يذكر في مواجهة الإيطاليين، فقامت الجماهير بقيادة الحركة السنوسية تدافع عن الوطن، ولم تجد السلطة العثمانية شخصية مؤثرة في صفوف الليبين، وتكون موالية لها في الوقت نفسه أفضل من "الأمير علي" بصفته من المنطقة أولا (المغرب العربي)، وثانيا بصفته نجل الأمير عبد القادر الجزائري، الذي ينظر إليه الجميع كمجاد وبطل، وبأنه سلطانا وشريفا من السلالة النبوية، فكلفته بالالتحاق بصفوف المقاتلين في طرابلس الغرب

[1] أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، مرجع سابق، ص52–53.

[2] كانت ليبيا قبل الغزو الايطالي لأراضيها تابعة للدولة العثمانية، وتدار شؤونها السياسية من استانبول مباشرة من 1835، أي فترة العهد العثماني الثاني، حيث كان السلطان العثماني يعين واليا عثمانيا، ويرسله بفرمان إلى ليبيا"ولاية طرابلس الغرب"، وقد تناوب على حكمها 33 واليا في مدة لا تزيد عن 76 سنة ما بين (1835–1911)،[2] لم تشهد البلاد خلالها أية إصلاحات كبيرة، وإن تحسنت الحالة الأمنية بعض الشيء بعد القضاء على الانتفاضات الداخلية، كما اهتم بعض الولاة ببناء المساجد والمدارس والزوايا القرآنية، هذا وكانت سلطة الإدارة الفعلية مقتصرة في معظم الأحوال على المدن الساحلية. ينظر: مصطفى حامد ارحومة، **المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الايطالي أكتوبر 1911**، م.ج.ل.ط، 1988، ص29. وكذلك: صلاح العقاد، **ليبيا المعاصرة**، المطبعة الفنية الحديثة، بيروت، لبنان، ص–ص 27–29.

إلى جانب "أنور باشا"، فانتقل "الأمير علي" إلى الإسكندرية ثم إلى طرابلس الغرب[1]، ورافقه ابنه "الأمير عبد القادر" ومعهما نحو عشرون من المهاجرين الجزائريين والمغاربة للمشاركة في الحرب كما توضحه الرسالة الخطية التي وجهها لأبناء عمه[2] في دمشق، والتي تفيد كذلك بأن مجموعة من المقاتلين من الوطن الأم (الجزائر) لما سمعوا بقدومه ونتيجة لسمعته التحقوا به وحملوا معه راية الجهاد[3]، رغم محاولة فرنسا لمنعهم، حيث يقول: "... أما الآن فيسير في صحبتي كثير من الضباط والقادة وعدد كثيف من المتطوعين المغاربة..."[4].

ويذكر الأمير "سعيد الجزائري" النجل الأكبر "للأمير علي" في مذكراته عن الأمر قائلا: "... وكان واجب الأسرة القادرية أن تساهم في هذا الجهاد بنصيبها، وهي التي أوقفت حياتها وأموالها خدمة لقضايا المسلمين العامة، فجهز والدي المرحوم "الأمير علي باشا" حملة من الجزائريين سار على رأسها إلى طرابلس، ولحق به ابنه الثاني الأمير عبد القادر أخي الأصغر، وطلب إليّ البقاء في دمشق الشام، لا ليمنع عني شرف الجهاد، وإنما لمساعدة المحاربين وإمدادهم بحاجتهم من ذخيرة ومال وهو ما لا يقل عن عمل المجاهدين في ساحة القتال"، ويضيف قائلا: " وكان الأمير علي باشا يعتمد عليّ اعتمادا كليا، ويأمل لي أن أكون زعيم الأسرة القادرية، فكلفني بالإشراف على شؤون الأسرة والاتصال بجميع الجالية الجزائرية، وإمدادهم بآرائي وتنظيم قواتهم، وإرسالهم للعمل في ساحة القتال بطرابلس، فكنت دائم الاتصال بوالدي وبأخي، وبأخبار المجاهدين، وكنت أنتقل بين دمشق وبيروت لنشر الدعاية والأخبار وتهيئة وسائل المعونة للطرابلسيين.."[5].

وهنا يبرز لنا دور "الأمير علي" ونجليه الأميرين عبد القادر (الحفيد) ومحمد سعيد في المقاومة الليبية، وفي تنظيم المجاهدين وتحريضهم على الجهاد، والتمسك بالدفاع عن البلاد ..، وقد استمد "الأمير علي" تأثيره هذا من مجموعة العوامل التالية: فهو أولا يعتبر من أكثر أبناء الأمير عبد القادر شهرة وموالاة للدولة العثمانية، ودعما لقضايا العالم العربي والإسلامي من خلال المواقف التي اتخذها والأحداث التي شارك فيها. يضاف إلى

[1] في الرسالة التي كتبها بخط يده يذكر "الأمير علي" أن المسافة بين الاسكندرية وطرابلس الغرب استغرقت شهرين ونصف،[1] ونتيجة لسمعته الطيبة في الجزائر التحق به مجموعة من الجزائريين وحملوا معه راية الجهاد. يراجع: محمد سعيد بن علي الجزائري، **حياة طيب الذكر علي**، مطبعة الترقي، دمشق، 1918.

[2] محمد أبو طالب ومحي الدين.

[3] سهيل الخالدي، **الإشعاع** ..، مرجع سابق، ص207.

[4] نفسه.

[5] محمد، سعيد الجزائري (الأمير)، **مذكراتي** ..، مصدر سابق، ص41-42.

ذلك، أنه تزوج من أخت "عزت باشا العابد"، الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد[1]، كما أصبح رئيسا لفرع جمعية "الاتحاد والترقي" في دمشق، وعندما غزت إيطاليا ليبيا كلّف بتنظيم مقاومة القبائل العربية بالنظر لسمعته ووزنه السياسي وتاريخ والده النضالي، كما تم تكليفه من قبل الحكومة التركية بتوزيع الأموال التأتية من دعوة الجهاد في العالم الإسلامي لنصرة القضية الليبية.

وعندما وصل "الأمير علي" إلى ليبيا قام بإبلاغ الطرابلسيين والمغاربة المتطوعين بأنه مكلف من مجلس الأعيان والوزراء والسلطان العثماني بالمجيء إلى طرابلس والدفاع عنها[2]، ويبدو أن معظم هؤلاء المغاربة كانوا من الجزائريين سواء من الوطن الأم أو من المشرق العربي، إذ يقول الباحث الليبي محمد الهاشمي بالخير في ذلك: "... جاء من الجزائر المجاهد مصطفى عوني الجزائري، كما جاء الأخوة: محمد، ومولاي، وعلي بن حميدة بن الخير من وارغله (ورقلة)، والحاج أبو خطوة، وأبناء بن جلول وأبناء عائلة جبارة..، وقد كان الأمير علي باشا الجزائري وابنه "عبد القادر" بصحبة عشرين جزائريا في طليعة الذين جاؤوا للجهاد في سبيل الله ..."[3]، ومعظم هؤلاء كانوا من جهات الشرق الجزائري وجنوبه.

كما لقي الأمير علي ترحيبا حارا من المجاهدين الليبيين بقيادة الطريقة السنوسية وزعيمها "أحمد بن شريف السنوسي" الذي كانت تبرطه معه مراسلات من قبل، ومن السلطات التركية التواجدة في ليبيا، ويقول الكاتب في تاريخ حياة الأمير علي: "... كان الأمير علي الذي انتقل من الشام إلى سيرت، قد وصل من سيرت قادما من بنغازي ليعرج على طرابلس ورغبته أن يستنفر القبائل للجهاد، ويبعث في قلوبها حماسة الذّود عن الوطن الذي يضحي العرب في سبيله..."[1].

ويؤكد الأمير علي نفسه على مشاركة الجزائريين بالقول: "... فقد جاؤوا هنا رجالا من الجزائر وتونس، ولولا المنع لجاؤوا كثيرين"، وبناءا على ما ورد فإنه من الصعب علينا معرفة عدد الجزائريين الذين انخرطوا في

[1] خرفي، **الجزائر ودورها** ..، مرجع سابق، ص30

[2] يورد الخالدي ما مفاده أن أهل طرابلس المجاهدون كانوا ينتظرون قدوم ابن السلطان (أي الأمير علي) إليهم، فلما أطل عليهم هتفوا له، فبلغ هتافهم عنان السماء .. ومن ثم وقف الجميع حوله بانتظام ونكسوا أسلحتهم إجلالا واحتراما، وهرع زعماؤهم إلى تقبيل راحة يديه، وذهب بعضهم إلى التبرك بعباءته ..، ثم ما لبث أن عاد مصحوبا بولده الأمير عبد القادر وقد تكاثف الزعماء من حوله، فوقف ولده إلى يساره، وحاكم سيرت محمد آغا إلى يمينه، وكرر المجاهدون إطلاق النار من بنادقهم. ينظر: الخالدي، **الإشعاع** ..، المرجع السابق، ص210.

[3] محمد بلخير الهاشمي الهاني، **الغزو الإيطالي وبداية المقاومة المسلحة**، ليبيا، 1985، ص73.

الجهاد في ليبيا بالنظر إلى الآلاف الذين لبوا النداء[2]، وكان دور "الأمير علي" يتمثل أساسا في التوفيق بين الحركة السنوسية والسلطة العثمانية، وقد نجح في ذلك إلى حدّ كبير، وقبل أن يبدأ معاركه عقد اجتماعا حضره الشريف "أحمد السنوسي" وزعماء القبائل، فدعاهم إلى الجهاد والصبر والثبات، وكانت أولى معاركه هناك في أكتوبر 1911، انتصر فيها على الإيطاليين، وتوالت انتصاراته مع المقومين للغزو الإيطالي هناك[3]، وأمام بسالة ومهارة الجزائريين والسنوسيين والانتصارات التي حققوها، بدا واضحا أن المقاومة باستطاعتها التغلب على الجيش الإيطالي.

وبينما الحرب على أشدها، إذ بالدولة العثمانية تعلن اضطرارا انسحابها واستسلامها وعقد الصلح مع إيطاليا لحماية مناطقها في البلقان التي كان يتهددها الأسطول الإيطالي، ونفهم من الرسالة التي بعث بها الأمير علي إلى أقاربه في دمشق أن إيطاليا أرسلت سفنا تقصف بيروت لتخفف من ضغط المقاومين عليها في طرابلس، وهذا ما أرغم تركيا الطورانية على الدخول في مفاوضات الصلح مع إيطاليا، وعقدت معها معاهدة (لوزان) بتاريخ 1912/12/09[4]، وبموجبها سحبت الدولة العثمانية قواتها من طرابلس الغرب، فخذلت بذلك جميع العرب المسلمين[5]، ومنهم "الأمير علي" الذي عبر عن ذلك قائلا: "... بينما كانت أنظار العالم الإسلامي شاخصة إلى ساحة القتال في طرابلس الغرب مترقبة جلاء الأيطاليين .. إذ بحادث جلل قد وقع فأدمى قلوب المسلمين وثخنها جراحا، وهذا الحادث هو عقد الصلح بين إيطاليا والدولة العلية على قاعدة

---

[1] محمد الصالح الجابري، **يوميات الجهاد في الصحافة التونسية 1912–1932**، مج2، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1962، ص248.

[2] سعد الله، **هموم حضارية**، مرجع سابق، ص123.

[3] الأميرة بديعة، الحسني، **أصحاب الميمنة إن شاء الله**، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، 1997، ص–ص 303–309.

[4] صالح، خرفي، الجزائر **والأصالة الثورية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص103.

[5] وكنموذج لهذا التذمر والسخط، وبعد عجز الدولة العثمانية في الدفاع عن ليبيا، وتوقيعها لمعاهدة لوزان 1912 وقف "ابن قدور" موقف المتأسف والمتعجب في نفس الوقت من امتثال الدولة العثمانية "للصلح" والإيطاليون لم يتمكنوا من غزو كامل البلاد، ويتساءل "بن قدور" عن سبب هذا التخاذل بعدما أظهره المقاومون من حماس في الدفاع عن ليبيا في بداية الغزو، وبين أن سبب ذلك إنما هو الملل وعدم استمرارية المثابرة من طرف المسلمين، لذلك كانوا فريسة سهلة للاستعمار الغربي فقال: "... إن الحرب لم تزل في هيئتها وكيفيتها الابتدائية، فلم ينقل القتال من سواحل اليم، فلماذا سكنت يا ترى تلك الحركة القلمية والفكرية والشعرية والحماسية والاجتماعية والعلمية التي كانت تجول كلما جال الليوث المجاهدون في دار الحرب، كأني أرى أن الإنسان مجبول على الملل، والشرقيون من دون الخلق يسأمون كثيرا من المثابرة على نسق واحد، ولولا مثابرة مجاهدي طرابلس الغرب لقلنا سلام على الشرق والشرقيين إلى الأبد..." كما اعتبر أن "الصلح" هو ضعف ومذلة للدولة العثمانية، وللعالم الإسلامي، فعبر عنه قائلا: "... عار، وإمضاؤه بوار، ونتيجته انذعار، وحاصلة وبال واندحار، وكيف لا ؟؟ والعدو لم يتمكن من شبر خارج منطقة حماية أسطوله ..."، وفي =نظره أن الصلح مجرد (خدعة الصبي عن اللبن) على حد تعبيره. ينظر: ابن قدور، "ليتقوا الله في طرابلس"، **الحضارة**، ع 132، 17 أكتوبر 1912، نقل وتعليق: خرفي، **الثقافة**، ع 01، مارس 1971، ص–ص 82–86.

غريبة .."[1]، وعبر عن رفضه قائلا: "إنما جئت للجهاد وليس لعقد الصلح"، ورغم ذلك انسحب الأمير علي من ساحة المعارك استجابة لأوامر السلطة العثمانية.

وبسبب الدور الكبير الذي لعبه "الأمير علي" في حرب طرابلس الغرب اقترح عليه قائد القوات الإيطالية البقاء في طرابلس مقابل التمتع بامتيازات مريحة، ويبدو أن هذا العرض أرادت إيطاليا من خلاله دفعه إلى الضغط على القبائل التي واصلت الجهاد بعد انسحاب الأتراك[2]، كما حاول الفرنسيون جرّه للإستفادة من نفوذه في المشرق[3].

وقد دفع الدور الكبير الذي لعبه "الأمير علي" بحكومة الاتحاديين إلى إرسال برقية تشيد ببطولاته وتؤكد له على ضرورة مواصلة الإخلاص للدولة العلية، وقد جاء في تلك البرقية التي أرسلها وزير الداخلية المؤرخة في 1912/2/4: "... إن الخدمات الوطنية التي أظهرتموها في طرابلس الغرب توجب الشكران، وأنا أشاطركم الحزن لحصول النتائج بشكل مؤلم بصورة تعاكس ما تودون على أن أرجوا دوام حسن خدماتكم الجديدة، وبهذه المناسبة أثبت لكم أن خلوصي ومحبتي الصحيحة باقية ومؤبدة سيدي ...".[4]، كما تم تعيينه نائبا لمقاطعة دمشق تقديرا لجهوده في خدمة الدولة العلية، وهو ما سمح له بمساعدة جمعية المجاهدين التي كانت تقدم دعما للثوار بليبيا[5].

وبالنسبة للأمير علي فبرز دوره أكثر أثناء الح.ع.I كواسطة ومتكلم باسم أخيه الأمير عبد المالك، الذي أعلن الثورة على الفرنسيين في المغرب الأقصى، فكان يتنقل خلال ذلك بين استانبول وبرلين ودمشق، وهو النشاط الذي أشرنا إليه سابق في نشاط النخبة الجزائرية في تيار الجامعة الإسلامية ضمن محور (استانبول-برلين-جنيف)، ويبدو أن علاقة الأمير علي قد توترت مع الدولة العلية بعد عودته إلى دمشق في مهمة بألمانيا، والذي وجد أمورا كثيرة قد تغيرت من بينها ولاية الشام التي أصبحت بيد أحد المتشددين الاتحاديين المعادين للعرب وهو "جمال باشا" الذي نكّل بالقوميين العرب وشدّد على سياسة التتريك، وهو الأمر الذي غير من نظرته

[1] ينظر النص كاملا في: سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص211-212.

[2] BARDIN, OP cité, p.182.

[3] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، مرجع سابق، ص552.

[4] الخالدي، **الإشعاع** ..، المرجع السابق، ص212.

[5] الأميرة بديعة الحسني، **أصحاب الميمنة** ..، مصدر سابق، ص-ص 317-319.

للدولة العثمانية، وتأكد أن فكرة الجامعة الإسلامية خرافة في ظل حكم الاتحاديين الطورانيين، فاستقال من مجلس الأمة واحتج على سياسة الاتحاديين، مما أدى إلى نفيه إلى مدينة بروسة بتهمة التآمر على أمن الدولة العثمانية[1]، وبقي هناك حتى وفاته سنة 1917[2]، أما الأمير عبد القادر (الحفيد) الذي قاتل إلى جانب والده، فبعد الإنسحاب التركي عاد إلى الشام، ثم نفي مثل بقية أفراد أسرته إلى بروسة، وبعد وفاة والده، قرر الهروب من منفاه حيث كانت العائلة تعامل معاملة سيئة سواء من قبل الأتراك أو من قبل القناصل الفرنسيين في العاصمة العثمانية، والتحق بالثورة العربية مع بعض الجزائريين في منطقة حوران بالأمير فيصل كمقاتل في الجيش العربي ضد الجيش العثماني[3]، وهذا ما سنتعرف عليه في عنصر لاحق حول دور الجزائريين في الثورة العربية.

I. 3. نشاط الأمير عبد المالك العسكري، وثورته بالمغرب الأقصى:

سبق وأشرنا بأن الجزائريين والمغاربة المهاجرين في المشرق، وخاصة منهم العاملين بمحور (استانبول–جنيف–برلين) قد حاولوا خلال الح.ع.I اشعال فتيل الثورة في المغرب العربي من جهته الشرقية عن طرابلس الغرب، أما جهته الغربية في المغرب الأقصى فقد انطلقت حركة الأمير عبد المالك بن عبد القادر الجزائري، وكانت تشكل عملا ثوريا موازيا لنشاط حركة الجامعة الإسلامية وللمقاومة المغاربية الوحدوية، الذي قام به المهاجرون الجزائريون في المشرق العربي ضمن حركة التحرير الإسلامية.

وكانت حركة الأمير عبد المالك بالمغرب الأقصى عن طريق محور آخر هو محور (برلين–مدريد–طنجة–تطوان)، وهو امتداد للمحور السابق، وتبدو أسباب حركة الأمير عبد المالك بالمغرب الأقصى ضد التواجد الفرنسي في انطلاقتها غامضة لقلة وثائقها عنها، لكن وبالرغم من ذلك لايمكن اعتبارها حركة عفوية منعزلة عن أحداث العالم الإسلامي، كما أن ثمة مؤشرات تجعلنا ندرجها كحركة تحررية وحدوية مغاربية، مرتبطة بحركة جماعة

[1] رغم أن الأمير علي كان قد اختار الحماية العثمانية وخدم في الجيش العثماني، وكان عضوا في مجلس المبعوثان نائبا عن سورية، وكان الأمير علي قد تولى شؤون الدروز بمنطقة حوران، وحارب إيطاليا في ليبيا إلى جانب أنور باشا، وكان من أنصار جمعية الاتحاد والترقي، كل ذلك لم يشفع له عند جمال باشا الذي استدعاه في 04 ماي 1916، ثم أبعده مع عائلته إلى بروسة، رغم كبر سنه واعتلال صحته، وتوفي بالمنفى سنة 1918، وكان دوره سياسي وعسكري، إضافة إلى أنه كان صهرا لأحمد عزت العابد –الكاتب الثاني للسلطان العثماني) وعاملا مؤثرا في شؤون سورية، وكان الأمير علي على صلة بالشريف حسين، وبينهما مراسلات، وتشير المصادر إلى أن الأمير علي وأخاه الأمير عمر تدخلا لإنقاذ أهل الكرك وأهل القدس في الفتنة الطائفية سنة 1910. ينظر: سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص136–137.

[2] جميلة، معاشي، المهاجرون الجزائريون في بلاد الشام بين فكرة الجامعة الإسلامية والقومية العربية، **مجلة الحوار الفكري**، العدد الأول، جويلية، 2001، ص87.

[3] الأميرة بديعة، الحسني، المصدر السابق، ص–ص369–371.

المغاربة المهاجرين والمتواجدين بالمشرق العربي العاملين في إطار تيار الجامعة الإسلامية، وكذا الخطة (العثمانية– الألمانية) لإثارة المستعمرات الإسلامية ضد الاستعمار الأوربي، وذلك ما نحاول معالجته في هذا العنصر من خلال إلقاء الضوء على حياة الأمير عبد المالك ونشاطه العسكري واتصالاته المختلفة ضمن الفترة الزمنية المدروسة.

فالأمير عبد المالك الجزائري هو الإبن الثاني للأمير عبد القادر[1]، ولد بدمشق سنة 1868، وهناك تعلم، وتأثر بحركة الجامعة الإسلامية، وتعلم إلى جانب اللغة العربية اللغتين التركية والفرنسية[2]، وكان عبد المالك طموحا ومغامرا في مجرى حياته، التحق بالكلية العسكرية الملكية باستانبول، ومنذ التحاقه بها لم يتوان في الاستفادة من الدروس التي كان يتلقاها في الفنون العسكرية، النظرية منها والتطبيقية لضمان نجاحه وتفوقه على أقرانه، وإلى جانب ذلك كان منكبّا على قراءة القرآن وتفسيره، ومطالعة مختلف الكتب التي تتوفر عليها مكتبة الكلية، ولقد كانت ثمرة هذا الجهد نجاحه بتفوق كبير وتخرجه برتبة عقيد في الجيش العثماني، ونظرا لخصاله الحميدة وتفوقه في الفنون الحربية، يكون قد لفت إليه انتباه السلطة العثمانية، فاهتم به السلطان وقربه إليه، ومقابل ذلك فإن الأمير كان يكنّ له كل الاحترام والتقدير، ومن الوظائف التي أسندها السلطان عبد الحميد للأمير عبد المالك منحه رتبة مقدم (Lieutenant-colonel)[3]، مع مرتبة "مساعد في معسكر السلطان"[4]، وكان عبد المالك على اتصال بحركة الشبان الأتراك باستانبول، ويبدو أنه خاف بطش السلطان العثماني، وعندما رأى أن حياته في خطر هرب إلى مصر[5]، ومنها سافر إلى طنجة سنة 1903[6] عندما سمع بثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي الجزائري، وحربه ضد الفرنسيين.

[1] ينظر جدولا بأبناء وبنات وأحفاد الأمير عبد القادر في: BARDIN, op-cit, p 245.

[2] أبو القاسم سعد الله، "وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب"، **المجلة التاريخية المغربية** ، عدد 1، جانفي 1974، تونس، ص54.

[3] الأميرة بديعة الحسني، المصدر السابق، 1997، ص405.

[4] BARDIN, OP cité, p.179.

[5] Ibid, P. 179-180

[6] ذكر باردان أن الأمير عبد المالك غادر دمشق هاربا إلى مصر، ثم التحق بطنجة سنة 1902. ينظر: BARDIN, OP cité, p.179

وعندما ألقى بوعمامة السلاح سنة 1904، انظم إلى الثائر المغربي (المراكشي) بوحمارة[1]، وبعدها عمل الأمير عبد المالك إلى جانب السلطان عبد العزيز[2] الذي عينه قائدا لجيوشه في القصر الكبير سنة 1906، وكان السلطان عبد العزيز المساند من فرنسا في صراع مع أخيه مولاي عبد الحفيظ على العرش، وقد تمكن هذا الأخير من إلقاء القبض على عبد المالك[3]، لكنه أطلق صراحه بتدخل ممثل المصالح الفرنسية في طنجة السيد رينيولت [4] (Regnault) وعين الأمير عبد المالك بعدها نائبا لوزير الحربية المغربي (المراكشي) ثم قائدا للشرطة[5] الدولية بطنجة[6]، ويبدو أن عبد المالك قد أظهر الولاء لفرنسا أثناء عمله بالشرطة في طنجة، إذ مع بداية الح.ع.I بعث برقية ولاء إلى رئيس الجمهورية الفرنسية[7]، ويبدو أنه وجهها أثناء تواجده بفرنسا، حيث كان يتداوى من مرض الربو[8]، لكنه عندما عاد إلى المغرب الأقصى مرورا بإسبانيا أعلن الثورة ضد الفرنسيين.

كان عبد المالك قد عاش أحداث المشرق العربي والقضية المغربية (المغاربية)، وكان مؤمنا بالجامعة الإسلامية، وبفكرة الجهاد ومتعلقا بنضال أجداده[9]، ولذلك أراد أن يلعب "دورا من الدرجة الأولى" في الحوادث الحوادث التي كانت تجري في العالم الإسلامي، وهناك عدة عوامل كانت تؤيد طموحاته، منها ماضي أسرته التاريخي وتعلمه في الشرق الأدنى خلال عهد النهضة العربية، وتدريبه العسكري وعمله في الجيش (العثماني المراكشي) والشرطة، ثم خبرته بأبعاد " المسألة الشرقية والمسألة الغربية قد زودته بمعرفة كاملة لمشاكل وقته[10].

---

[1] سعد الله، **م.ت.م**. عدد 1، مرجع سابق، ص 54

[2] توجد رسالة بتاريخ 17 رمضان 1323هـ (1905) من الأمير عبد المالك إلى ابن عمه محي الدين بن مصطفى، مما جاء فيها أن الأمير عبد المالك كان لدى المخزن بفارس، وأن السلطان قد أظهر له "الالتفات والإكرام .. والإعتناء .. وكذلك وزرائه .. وأنه أسكنه في دار، وسمع عبد المالك من حاشية السلطان، أن السلطان " مراده استخدامي عنده ... وأني في حيرة "، وكان محي الدين بن مصطفى متزوجا من ابنة عمه الأمير عبد القادر الثانية: زينة، ويبدو من خلال الرسالة أن الأمير عبد المالك، كان على صلة بعائلته ببلاد الشام عن طريق " علي أبو طالب"، وكانت عائلة أبي طالب مرتبطة بأسرة الأمير بالمصاهرة.

[3] سعد الله، **م.ت.م**، عدد 1، مرجع سابق، ص 54

[4] BARDIN، op-cit, P.180

[5] حسب باردان عين الأمير عبد المالك (حوالي سنة 1909) مفتشا عاما للشرطة الشريفة بطنجة.

[6] سعد الله، **م. ت. م**، المرجع السابق، ص 54

[7] BARDIN، op-cit, P.180

[8] سعد الله، **م.ت.م**، المرجع السابق، ص.54

[9] نفسه، ص 57

[10] سعد الله، **الحركة الوطنية** ..، ج2، مرجع سابق، ص 243

ولما كان الوضع مشجعا مع انطلاق الح.ع.I، خاصة بعد التأييد الألماني – العثماني له أثناء عودته من فرنسا، حيث اتفق في مدريد مع سفير ألمانيا الكونت دي راتبور على "خطة مشتركة" لفتح جبهة ضد الفرنسيين، وتعهدت له ألمانيا والدولة العثمانية بالمساندة إذا نجحت الخطة في المقابل تسمح له بإقامة مملكة واحدة تضم المغرب والجزائر[1]، ففتحت هذه الظروف آفاقا لامعة أمام مطامحه التي كانت تحدوه، لأن يصبح أمير افريقيا الشمالية[2]، ولذلك نادى بتحريرها[3]، وأعلن ثورته، مختارا الجبهة الغربية للمغرب العربي.

وعندما انطلقت حركة الأمير عبد المالك الجزائري، أرسل الرّسل والمناشير إلى المغرب الأقصى والجزائر مبشرا بثورته، ولم يكن عمله مقتصرا على هاذين القطرين فحسب، بل أرسل الرّسل والمناشير إلى جنوب تونس "لدعوة أهلها إلى الجهاد المقدس"[4] –كما عبر عنه–، كما حاول ربط صلته بابن أخيه الأمير خالد بالجزائر، وكان من جهة أخرى، على علاقة مع أخيه الأمير علي باشا[5]، وعلى علاقة بأفراد عائلته ببلاد الشام، وكانت صلته بأخيه بأخيه الأمير علي باشا –الذي كان قد عين نائبا بالمجلس الوطني العثماني قبل انطلاق حركته، والذي أصبح المتحدث باسم حركة الأمير عبد المالك في المشرق وموضع سره هناك[6].

وخلال سنة 1916، دخل الأمير عبد المالك في مواجهة حقيقة ضد القوات الفرنسية، فقاد معركة سوق الأحد[7] في 27 جانفي بمنطقة غزناية ضد العقيد الفرنسي سيمون[8]، (Simon) واستطاع أن يفتح ثلاث

---

[1] سعد الله، **م.ت.م**. عدد1، المرجع السابق، ص. 54

[2] سعد الله، **الحركة الوطنية** ..، ج2، المرجع السابق، ص 243

[3] نفسه، ص 249

[4] محمد بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي** ..، مرجع سابق، ص 77.

[5] بهذا الخصوص، ينظر رسالة الأمير عبد المالك إلى أخيه الأمير علي، مؤرخة في 28 ذي الحجة سنة 16/1333 نوفمبر 1914. ينظر: نفسه، ص57.

[6] سعد الله، **م. ت. م**. ع1، المرجع السابق، ص57.

[7] كان سوق الأحد مركزا لقيادة الأمير عبد المالك، وقد انسحب الأمير إثر المعركة من المركز، وترك حسب المصادر الفرنسية وثائق لا تترك مجالا للشك عن علاقته بالزعماء الثائرين ضد فرنسا وعن علاقته بالألمان، وبخاصة مع قنصل ألمانيا بتطوان. ينظر:

– «Sur le front marocain – La défaite d'Abd-el-Malek et la faillite d'un plan d'action Germano-Islamique » , In **A**.**F**. n° 3, mars 1916, P.77

[8] Ibid.

جبهات: الجبهة الأولى، وكانت بقيادة الشريف محمد بن الصديق[1] في غمازة، أما الجبهة الثانية، فكانت على وادي الورغة بقيادة الشنقيطي، أما الجبهة الثالثة والتي كانت أكثر خطورة وفعالية، فكانت بقيادة الأمير عبد المالك بنفسه، وكانت بمنطقة غزناية، ثم انتقلت بعد معركة سوق الأحد إلى الجبهة الشرقية لصنهاجة[2]، ولا شك شك أن الأمير عبد المالك كانت تحدوه الرغبة في تحرير المغرب العربي ككل، انطلاقا من المغرب الأقصى بالتعاون مع الألمان والأتراك، وباتصالاته ورسائله إلى القبائل الثائرة[3]، التي اقتنعت بضرورة "الجهاد"[4] في إطار الخلافة الإسلامية ضد فرنسا، وكانت الرسائل والمنشورات توجه باسمه أو عن طريق المتعاونين معه مع الثائرين المراكشيين[5].

وإذا كانت أخبار الأمير عبد المالك المباشرة تنقطع عنا ابتداء من سنة 1921[6]، فإنّ الكتابات الفرنسية تورد لنا، أنه لجأ إلى مليلية، ثم انتقل إلى تطوان، وحاول بعد هذه السنة، أن يناهض عبد الكريم الخطابي لحساب اسبانيا[7]، ويبدو أن عبد المالك قد عاود النضال خلال هذه السنة ضد فرنسا، واستقر على ضفة وادي الورغة الأيمن، وانضمت إليه قبائل المنطقة، إلا أن فشله في ضم "بني زروال"، الذين كانوا يخضعون لنفوذ الشريف الدرقاوي مولاي عبد الرحمن، الموالي للفرنسيين، الأمر الذي قد قلل من خطره وتراجع دوره.

II. النشاط العسكري للجزائريين الداعم للقومية العربية:

II. 1. محاولات جزائرية ثورية ضد الأتراك الطورانيين:

لما حدث الانقلاب الاتحادي عام 1908 ضد السلطان عبد الحميد الثاني توسم الجزائريون كغيرهم من سكان السلطنة في الاتحاديين الخير ورأوا أن عهد الاستبداد قد ولى وستحل مكانه الحرية والديمقراطية مع جمعية

[1] كان الشريف محمد بن الصديق، مقدما لزاوية الطريقة الدرقاوية بطنجة، واستطاع الهروب إلى قبيلته غمارة من طنجة، كانت له صلات صداقة بالأمير عبد المالك أثناء عمله بطنجة، وعبد المالك هو الذي دبر هروبه مع قنصل ألمانيا بتطوان، ينظر: Ibid

[2] Ibid, P. 75

[3] ينظر إحدى رسائل الأمير عبد المالك إلى قبيلة مزياط بتاريخ 28 جمادي الأولى 1336، (1918)

-**A**.**F**. n°7 et 8, 1918, P. 165-166

[4] ينظر رسالة (رد) من قبيلة بني وريان المقتنعة بالجهاد إلى السلطات الفرنسية، المصدر نفسه، ص.166-167.

[5] ينظر المنشور المشترك بين عبد المالك والريسوني، الذي كان يوزع بين القبائل لحثها على الجهاد باسم السلطان محمد رشاد الخامس. ينظر: **A**.**F**. n°7 et 8, 1918, OP cité, P.166

[6] سعد الله، **م. ت. م**، عدد1، المرجع السابق، ص59

[7] **A**. **F**, n° 8, 1924, OP Cité, P.471

الإتحاد والترقي التي انظم إليها العديد منهم، وأشهرهم سليم الجزائري الذي كان قد رأى السياسة الاتحادية على حقيقتها التي ترمي إلى إذلال العنصر العربي، فكان نشاطه ضمن تيار القومية العربية الرافض للسياسة الطورانية.

أسس سليم الجزائري رفقة زملائه جمعية العهد التي كانت تمثل الجناح العسكري لجمعية العربية الفتاة، وتذكر بعض المصادر أنهم اتصلوا بالقنصل الفرنسي في بيروت، وعرضوا عليه فكرة الثورة ضد الأتراك، فأجابهم بأن هذا الأمر تقرره كل من فرنسا وبريطانيا، فخاب أملهم في ذلك، ورجع سليم إلى الآستانة، كما عقد رجال القومية العربية مؤتمرا قوميا في باريس عام 1913م يخططون لثورة عربية كبرى ضد الدولة العثمانية، وكانت لهم لجنة سرية لم يعرف عنها الكثير بعد ...

وقد شارك عدد من الجزائريين في هذه الخطة، وخاصة بعض أولاد الأمير عبد القادر وأحفاده، فنجد تنسيقا بين القوميين العرب والأمير خالد بن الهاشمي بن عبد القادر في الجزائر – الذي أسس حزب (الجزائر الفتاة) على غرار (العربية الفتاة)، ودعي لحضور المؤتمر القومي العربي، فإذا كان "الأمير علي" بن عبد القادر قد شارك في محاربة الاحتلال الإيطالي في ليبيا –كما أشرنا–، والأمير عبد المالك بن عبد القادر نجده في المغرب الأقصى يحارب الفرنسيين، فإن الأمير محي الدين بن عبد القادر –بعد أن رأيناه يلتحق بثورة المقراني في الجزائر 1871– نجده في المشرق العربي يؤسس مع مجموعة أخرى من المشارقة (الشاميين) حزب (الإخاء العربي–العثماني)، وهو أول حزب في التاريخ يحمل اسم "العربي"، وكان يتفق مع فكر الأمير عبد القادر وعدد من القوميين العرب من أنّه لا ضرورة لانفصال العرب عن الدولة العثمانية، لكن في المقابل يحصل العرب على حقوقهم، وتتخلص الدولة العثمانية من الطورانيين –مجموعة حزب الاتحاد والترقي– التي اعتمدت سياسة القمع والعنصرية اتجاه العرب والآرمن وغيرهما من القوميات المكونة للإمبراطورية العثمانية...[1].

وإذا كانت بلاد الشام مهد القومية العربية الانفصالية، فإن الحجاز كانت المنطقة التي جسدت هذا الاتجاه ممثلة في ثورة الشريف حسين 1916، التي يصطلح عليها بالثورة العربية، وعليه تظهر لنا شخصيات جزائرية عسكرية مدافعة على القضايا القومية العربية الإسلامية، قامت بدور كبير، منها من شارك القوميين العرب في بلاد الشام وتركيا، وهو سليم الجزائري في بلاد الشام وتركيا، وهناك الأمير عبد القادر(الحفيد) في ثورة الشريف حسين، رفقة أخيد الأمير محمد سعيد.

II. 2. النشاط العسكري للجزائريين الداعم لثورة الشريف حسين ضد الأتراك (1916-1918):

يطلق العديد من المؤرخين تسمية الثورة العربية الكبرى على ثورة شريف مكة 1916-1918م، وهي تسمية فيها الكثير من التجاوز، فلم يكن حسين شريف مكة ولا أولاده فيصل وعبد الله وعلي وغيرهم على علاقة بحركة القوميين العرب المتمثلة في جمعيات "العربية الفتاة" و"القحطانية" و"العهد" وغيرها من الجمعيات التي انبثقت عن جمعية النهضة التي كان وراء تأسيسها طاهر الجزائري، بل كان هو وأولاده مواليا للأتراك، وكان ولده فيصل -العضو في البرلمان التركي- مترددا في قبول العرض الذي عرضه عليه الثوريون العرب لمنح اسم والده شريف مكة لثورتهم التي يعدّون لها، وذلك بعد أن أعدم "جمال باشا" قيادات هذه الثورة وأفرغ الساحة من الأسماء ذات الوزن الثقيل.

ولم يزل تردّد الشريف وولده فيصل إلا بعد أن تأكّد أن الحكومة التركية الطورانية أرسلت بتعليمات لوالي المدينة المنورة للتخلص من الحسين بن علي وأولاده وعائلته بقتلهم، وقد حالت ظروف قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914م دون تنفيذ هذه التعليمة التي عثر عليها شريف مكة في الحقيبة السّرية لوالي المدينة التركي[2]، فقبل الحسين عرض الثوريين العرب، لكنه قام بحركة التفافية حيث كان يخشى من مناوئه عبد العزيز بن سعود الذي سيطر على معظم نجد بتأييد من الإنجليز، فسافر ولده عبد الله إلى القاهرة، والتقى بممثل بريطانيا في مصر اللورد مكماهون واتفق معه على أن تقوم بريطانيا بتأييد حركة شريف مكة، وبدأت المراسلات المعروفة بين مكماهون والحسين، وانتهت المراسلات بتسليم إنجلترا باستقلال العرب، ووعدت بعدم عقد صلح ما لم يحو شروطا تضمن حرية الشعوب العربية، وذلك مقابل قيام العرب بثورة ضد تركيا وتسخير جميع قواتهم ومواردهم في سبيل النصر، ورغم مشاركة الكثير من الجزائريين إخوانهم العرب والمسلمين العثمانيين فرحتهم بالانقلاب الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي، إلاّ أن السياسة العنصرية التي مارسها الاتحاديون الطورانيون تعمدت إهانة العرب، وإضعاف لغتهم ونعتها باللغة الميتة، وعدم مسايرتها للتطورات العلمية، ورغم الاعتراف بدور العرب في محاربة الإستبداد، ونضالهم من أجل الدستور إلا أن الحكومة الطورانية أسرفت في عزل أبناء العرب من وظائفهم وتصفيتهم من

---

[1] سهيل الخالدي، **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي في المشرق 1847-1948م**، دار هومة، الجزائر، ص-ص110-112.

[2] بينما كان الأمير علي بن الحسين مسافرا رفقة وهيب باشا -قائد الحجاز ووالية- في شهر يناير 1915 ووجهتهما قناة السويس للاشتراك في حملة جمال باشا ..، إذ بأحد رجال الأمير علي يعثر على محفظة الأوراق السرية لوهيب باشا، وعندما اطلع على ما فيها من مكاتبات سرية، كانت تدور بين حكومة الآستانة والولي للفتك بالشريف وأولاده والقضاء على استقلال الحجاز ((النوعي)). حول الموضوع ينظر: أمين، سعيد: **الثورة العربية الكبرى** ..، مصدر سابق، ص-ص 109-111.

المراكز المهمة في العاصمة والولايات، مما دفع بالمفكرين والسياسيين والمصلحين إلى الانخراط في مقاومة تلك السياسة من خلال الجمعيات والأحزاب القومية التي تم تأسيسها، والتي كان دور الجزائريين فيها واضحا.

وبالنسبة لتسمية الثورة العربية الكبرى التي تشمل كل البلدان العربية فقد كان التخطيط لها سابقا من طرف رجال القومية العربية، والذين عقد بعضهم مؤتمرا قوميا في باريس عام 1913، وكانت لهم لجنة سرية لم يعرف عنها الكثير بعد، وقد شارك الجزائريون في هذه الخطة ومنهم الأمير عمر وسليم السمعون والأمير طاهر بن أحمد..، وعلينا الإعتراف هنا أن دور الجزائريين وإسهامهم في الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك 1916-1918 يستحق بحثا مستفيضا، فهو ما زال مهمشا ولم يتعمق الباحثون والدارسون فيه كما يجب، ولم يكشفوا غوامضه، مع أننا نجد عدة قنوات لإسهام الجزائريين ودورهم في هذه الثورة، سواء كانوا من الجزائريين في الوطن نفسه أو الجزائريين المهاجرين في المشرق العربي، فقد تعددت إسهاماتهم بين الإسهام الفكري الواسع الذي ساعد في الوعي القومي العربي والإعداد الذهني للثورة ضد الأتراك الطورانيين بتكوين الجمعيات السياسية والثقافية، وهو الدور الذي برز فيه الشيخ طاهر الجزائري وابن أخيه الضابط سليم الجزائري كما بينا ذلك سابقا[1].

أما الإسهام الإعلامي فتمثل في التحاق الشيخ الطيب العقبي بجريدة (القبلة) التي كان يصدرها شريف مكة كناطق رسمي باسم الثورة العربية، وكان رئيس تحريرها "محب الدين الخطيب" الصديق المقرب للشيخ طاهر الجزائري، وأحد رواد الحركة القومية العربية، أما الإسهام العسكري فتمثل في التحاق الأمير عبد القادر (الحفيد) مع مجموعة من المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام بالثورة في مكة، كما نجد اسهاما دبلوماسيا يتمثل في دور الأمير "محمد سعيد" بن الأمير علي وأخو الأمير عبد القادر (الحفيد) الذي سعى لإبرام اتفاقية صلح بين العرب والأتراك، وإسهاما آخر يتمثل في الوفد الرسمي للحج الذي أرسلته الحكومة الفرنسية وأسندت رئاسته لقدور بن غبريط مدير التشريفات السلطانية بالمغرب الأقصى كرئيس للوفد، وشخصيات إدارية ودينية من المغرب العربي، وقد مثل الجزائر مصطفى شرشالي مدرس بمدرسة الجزائر وقاضي ذراع الميزان، والآغا صحراوي قائد جبل الناظور، وأعضاء وآخرين من تونس والمغرب وإفريقيا الغربية، ووجدنا بن غبريط في التقرير الذي يرفعه إلى وزارة

[1] العجيلي، **صدى** ...، مرجع سابق، ص440.

الخارجية الفرنسية يوم 02 ديسمبر سنة 1916[1]، يلفت النظر إلى أن أيّ خلاف لفرنسا مع شريف مكة قد يعرض مصالحها للخطر، وينبههم إلى المشاكل التي قد تواجه أطماع فرنسا في سورية من جراء اشتداد ساعد الحركة العربية واتساع نطاقها[2]، وأضاف التقرير أن الشريف حسين له طموح في بلاد الشام التي تسعى فرنسا للسيطرة عليها، ولذلك كان على فرنسا أن تعقد معه اتفاقا يحدّد فيه مطامعه التي لا تتعارض مع مصالحها.

وسنحاول من خلال هذا العنصر إبراز الدور الذي لعبه الجزائريون حسب القنوات التي ذكرت، هذا الدور الذي تعمد إهماله مؤرخو العائلة الهاشمية التي أرادت احتكار الفضل كله، كما أن الباحثين الجزائريين لم يهتموا بدراسته متأثرين بالنهج الفرنسي بعدم الخوض في العلاقات الجزائرية العربية والإسلامية مهما كانت أهميتها وتأثيراتها، مما أسهم في جهل الجزائريين بتاريخهم وقوميتهم العربية والإسلامية كمكونات لحضارتهم ووطنيتهم التي سعت فرنسا إلى طمسها وإلغائها، وقد تباينت الآراء واختلفت بين النخبة الجزائريين في المشرق العربي حول ثورة الشريف حسين بين مؤيد ومعارض لها، على أساسا أنها مدخل للتحرر والانعتاق، وبناء الدولة العربية المنشودة ولو بدعم خارجي، ورفضها البعض الآخر على أساس أنها موجة صد دولة إسلامية كانت خلالت تلك الفترة تمثل الخلافة، وسقوطها سيكون حتما بداية حقيقية لاحتلال المنطقة (المشرق العربي) وتجزئتها إلى دويلات مرتبطة ارتباطا عضويا بالأجنبي المحتل.

والملاحظ أن فرنسا قامت بالدعاية لثورة الحجاز بهدف الدعاية المضادة للأتراك والألمان خلال الح.ع.I وحركة الجامعة الإسلامية، على اعتبار أن ثورة الشريف حسين، كانت ضد الدولة العثمانية، مركز الخلافة الإسلامية، العثمانية المتحالفة مع ألمانيا، غير أن الوثائق تكشف رفضهم للثورة العربية ورجالها، سواء في مراكش أو فارس، ومعاداتهم للاستعمار البريطاني والفرنسي وسياستهما في الشرق الأوسط في معادتهما للإسلام.

II. 1.2. نشاط الأمير عبد القادر (الحفيد) في ثورة الشريف حسين:

لا شك أن الجزائريين كان لهم نشاط في ثورة الشريف حسين –شريف مكة–، ذلك أن المهاجرين الجزائريين في بلاد الشام لم يكونوا بمنأى عن الأحداث التي تجري في المنطقة، ومن جهة أخرى نعلم أن فرنسا كانت تساند هذه الحركة وهذه الثورة، إلا أن جلّ المصادر لا تذكر لنا هذا الدور، وتقفز عن هذه المرحلة من تاريخ

[1] ينظر ملخص التقرير: أمين سعيد، **الثورة العربية** ...، مرجع سابق، ص296-297.

[2] العجيلي، **صدى** ...، المرجع السابق، ص441.

الجزائر وعلاقتها بالمشرق العربي، إلاّ أننا نجد شخصية جزائرية تساهم بشكل ملفت في هذه الثورة، شخصية من عائلة الأمير عبد القادر، وهو حفيده عبد القادر بن علي، الذي كان له دور رفقة أخيه في ثورة الشريف حسين، وكان الأمير عبد القادر (الحفيد) في طليعة من شملهم غضب جمال باشا سنة 1916م، فقد قبض عليه رجال جمال باشا في ماي من هذه السنة وحققوا معه، ولكن تدخل أخيه (الأمير سعيد) لدى جمال باشا أنقذه من الموت، حيث ادعى جمال باشا أن القبض على الحفيد كان خطأ ووعد بإطلاق سراحه[1]، وفي نفس الشهر اعتقل جمال باشا (الأمير علي) ، وكان ابنه عبد القادر المشهور بين أقرانه بالفروسية والشجاعة قد أحس أن جمال باشا ينوي الشر بوالده، فقاد تمردا بالغوطة على رأس بعض أنصاره فأرسل إليه جمال باشا من يقول له: أن حياة والده ستكون في خطر إذا استمر في تمرده ، فرجع إلى دمشق وسلم نفسه وسلاحه للشرطة، مشترطا فقط اطلاق سراح والده، غير أن جمال باشا لم يف بالوعد، هذا وكان جمال باشا قد نفى "الأمير علي باشا" وأسرته إلى بروسة رغم مرضه وخدماته الجليلة للدولة العثمانية، وكانت الأسرة تتألف من نساء وأطفال، وكان ضمن المنفيين الأمير عبد القادر (الحفيد)[2] دون أخيه الأمير محمد سعيد الذي كان في استانبول، ولم يكن والده (الأمير علي) بصحة جيدة إذ توفي في منفاه سنة 1917[3].

وعن عبد القادر (الحفيد)، لا نجد معلومات هامة عن حياته بين 1912-1916، أي بعد عودته من الحرب في ليبيا مع والده الأمير علي، ونرجح أنه كان نشطا في الحياة السياسية العربية سيما الجمعيات السرية التي تتبنى القومية العربية، فوالده كان نائبا في مجلس الشورى بإستانبول، وكان على صلة بالشريف حسين (شريف مكة)، وهناك رسائل متبادلة بينهما، وحوالي سنة 1917 التقى الأمير عبد القادر (الحفيد) في دمشق بالبشير الإبراهيمي[4]، الذي كانت السلطات العثمانية قد نفته من المدينة المنورة إلى دمشق أثناء الحرب متهمة إياه بموالاة القوميين[5].

---

[1] الأمير سعيد، **مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي**، مكتبة الشركة الجزائرية، 1968، ص 104.

[2] كان عبد القادر (الحفيد) قد قاتل الإيطاليين إلى جانب والده "الأمير علي" في ليبيا سنة 1911، وبعد الإنسحاب من ليبيا عاد إلى الشام، وبعدما تم القبض على عمه الأمير عمر تم نفي العائلة إلى بروسة التركية. ينظر: الأميرة بديعة، الحسني، **أصحاب الميمنة إن شاء الله**، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1997، ص-ص 369-371.

[3] سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص308.

[4] يذكر الشيخ الابراهيمي أنه كان صديقا لعبد القادر الحفيد، وفي خبر قصير وعابر ذكر أن عبد القادر الحفيد حدثه عن إقامتهم في بروسه وأن بنتا لهم (ربما هي ابنته) كانت تبكي عندما يحين وقت الذهاب للروضة ثم تغير حالها فأصبحت نتيجة حسن التربية ، تبكي عندما يحين وقت العودة للبيت ينظر: محمد البشير الابراهيمي، **آثار الشيخ الامام**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 133.

[5] نفسه

ولم يطب المقام للأمير عبد القادر في المنفى، فقد كان شابا نشطا يفور حيوية، فكيف يصبر على حياة المنفى، ومن جهة أخرى اعتقد أن جمال باشا قد ارتكب حماقة بشأن أخيه سعيد عندما سجنه، فقرر الخروج من بروسة متخفيا، وقصد الشام، قاطعا الأناضول على فرسه، ويقال أنه كان ينوي إثارة الأهالي ضد جمال باشا لو حدث لأخيه مكروه، وفي الشام سمع أن الشريف حسين قد أعلن الثورة ضد الأتراك، فتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، ولا ندري كيف خطرت بباله هذه الفكرة، وهل تحركت فيه النوازع القومية وقرر الإشتراك في الثورة العربية من سورية؟ ومهما كان الأمر، فقد توجه من الشام إلى الحجاز ممتطيا صهوة جواده متنكرا –كما قيل– في لباس أبيض ونعل حجازي[1].

حلّ عبد القادر بمكة المكرمة، وتعرف على الشريف حسين الذي أصبح رمزا للثورة، وبايعه واختار دوره في هذه الثورة وهو التطوع للعودة إلى دمشق وقتل جمال باشا بنفسه للثأر لمقتل عمه الأمير عمر، ونفيه الأسرة كلها إلى بروسة، وهكذا حضر عبد القادر موسم الحج إلى جانب الشريف حسين الذي أخرج علم الثورة العربية ليصلي عليه آلاف الحجاج الذين حضروا ذلك العام، ثم طاف الشريف بعلم الثورة حول الكعبة سبع مرات، ثم سلمه إلى الأمير عبد القادر ليرفعه على سراي دمشق باسم الحسين ملك العرب، كما طلب إليه أن يتوجه إلى العقبة ليكون إلى جانب ابنه فيصل[2]، وهذه رواية أخ عن أخيه، ولا يبدو أن هناك داعيا يدعوا الأمير سعيد للمبالغة في وصف رحلة أخيه إلى مكة ولقائه الشريف حسين وما حدث بينهما في مكة، غير أن هناك بعض التساؤلات قد يطرحها الباحث: هل كان عبد القادر على اتصال من قبل منذ استانبول أو منذ الشام؟ هل كانت الثورة في الحجاز هي التي دفعت الأمير عبد القادر إلى التوجه إلى مكة المكرمة ليلتقي قائدها الشريف حسين؟ وهل كان له طموح في القيام بدور بارز في أحداث الثورة العربية مما يساعدنا على تفسير ما حدث بينه وبين لورنس في وقت لاحق؟

إن الباحث لا يستبعد كل هذه الأفكار وهو يتتبع مسيرة عبد القادر من مكة إلى العقبة ثم إلى دمشق التي لقي فيها مصرعه على يد أعوان لورنس ونوري السعيد، وإن كلّ الدلائل تشير إلى أن فيصل كان يعرف عبد القادر قبل لقائهما في العقبة، ولا شك أن تعارفهما كان في المجال القومي، وربما كانا ينتميان إلى تنظيم واحد

[1] يذكر الأمير سعيد في مذكراته، ص109 أن الأمير فيصل كان في ضيعة (آل بكري) بالشام عند إعدام الشهداء، فلما علم بذلك قال قولته (طاب الموت يا عرب)، ويضيف ذات المصدر: أن فيصل ((خدع)) جمال باشا ورجع إلى الشام.

[2] الأمير سعيد، **مذكراتي**..، المصدر السابق، ص 109.

قبل الثورة، وكان الأمير عبد القادر قد وصل إلى العقبة والتحق بالأمير فيصل –قائد الجيش العربي–[1]، وكان معه كوكبة من رجاله المتطوعين الذين وصلوا حسب رواية لورنس إلى 700 فارس، ونتساءل هنا كيف جاء عبد القادر بهذا العدد؟ ومن كان يمونهم؟ وفي هذا الصدد يقول لورنس بأن رجال عبد القادر هم جزائريون، ولكن لا دليل معه على ذلك، والظاهر أنهم ضموا متطوعين عرب من الحجاز وسورية والعشائر التي كان يعرفها بحكم علاقة أسرته بأهل حوران.

سارت الحملة إلى قلعة الأزرق وتوقفوا عندها ليضعوا خطتهم المقبلة، وكان الأمير يسير برجاله، وانضم إليه ثلة من المتطوعين الذين أعجبوا ببطولته وشهامته، وكانت خطة لورنس تتمثل في نسف الجسر الحديدي في وادي خالد الواقع بالقرب من تل الشهاب، ولما علم عبد القادر بهذه الخطة انتقدها بشدة ورفضها قائلا أن مهمة الثورة هي التخلص من جمال باشا،[2] أما نسف الجسر فإنه سيقطع خط الرجعة على آلاف المسلمين الذين يتكون منهم الجيش العربي العثماني، وليس ذلك في نظره من الإيمان في شيء، وأن أولئك المسلمون مستعدون للإنضمام إلى الثورة لأن أغلبهم عرب، ولا يجوز جعلهم أسرى عندكم لتقتلوهم برصاصكم. وهذا خلاف جذي بين رؤية عبد القادر ورؤية لورنس، وسنجد صداه عند لورنس نفسه في تكراره القول أن عبد القادر كان مسلما ((متعصبا))، وأنه كان ينقم عليه مسيحيته، وقد أورد الباحث ستيرارت هذه الأفكار في حديثه عن العلاقة بين لورنس وعبد القادر[3].

إن لقاء قلعة الأزرق رغم أهميته الحربية، لم ينجح في وضع خطة موحدة مقنعة للرجلين، وأصبح كل منهما يرى في الآخر عقبة في طريق هدفه، فقد كان لورنس يرى نفسه أنه هو منقذ الخطة الإنجليزية (أو لنقل الحلفاء) للاستيلاء على دمشق وطرد الأتراك منها، وقطع خطط الإمداد عليهم بنسف جسر وادي خالد، وهو لذلك يملك المال والسلاح والدعم الحربي والدبلوماسي من دولته (بريطانيا)، وكان لا ينفك عن الإتصال بقادة الإنجليز وزيارة مراكزهم للتنسيق معهم، كما أنه كان محل ثقة كبيرة لدى فيصل الذي كان يرى –كما أعلن لعبد القادر– أن لورنس ضروري لإنجاح التقدم نحو دمشق، وأن الحاجة إليه هي التي تملي علينا قبول آرائه، في حين

[1] الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص 162.

[2] قال الأمير عبد القادر الحفيد: "إن مهمتي أنا هي قتل جمال باشا الذي شنق أحرار العرب وأبرياءها، وهزئ بعائلاتنا وكرامتها، وأهانها بشنق الأمير عمر." نقلا عن: الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص 162.

[3] سعد الله، **بحوث في التاريخ الإسلامي**..، مرجع سابق، ص 310.

أن الأمير عبد القادر كان يشك في نوايا لورنس ويرى فيه عميلا بريطانيا يجب أن لا يكون له أي رأي أو دور في شأن يعتبره عربي محض، وقد صارح بهذا الرأي لفيصل نفسه، وكان عبد القادر لا يطمئن إلى خطط لورنس ولا إلى مظهره الذي كان يوحي له بالعجرفة والتسلط الاستعماري الذي شاهده في ليبيا مع الإيطاليين وسمع به في الجزائر عن الفرنسيين، وكان عبد القادر معتمدا على نفسه جريئا وخطيبا مفوها ويتمتع بمظهر ملكي أو فلنقل ارستقراطي، فما الذي يجعله يخضع لأوامر لورنس الغريب عن البلاد وأهلها؟

لقد أخبر لورنس في كتابه (أن عبد القادر كان حديث رجال الحملة بعد انفصاله عنهم في الأزرق، وأن عبد القادر قدم إلى فيصل عددا كبيرا من الجزائريين الأقوياء المنفيين الذين كانوا يعيشون على الشاطئ الشمالي من اليرموك)، ولم يقل لورنس كيف تدبر عبد القادر هذه القوة الكبيرة ولا أسباب اعتماده عليها للوصول إلى هدفه، وأضاف أن لا قائدا يستطيع تجنيد هذا العدد (700) فارس في ظرف قصير دون أن يكون له مال ولا حلفاء، وعلى تحدي لورنس في قيادة الحملة على دمشق، يضاف إلى ذلك أن عبد القادر هو ابن الشام البار المتمرس، فهو يعرف مدنه وقراه وجباله وأهله، بل ويعرف نقاط القوة عند الأتراك ونقاط ضعفهم.

انفصل عبد القادر عن لورنس وجماعته باتفاق مع الأمير فيصل دون علمهم، وسار نحو جبال الدروز حيث رفع علم الثورة العربية هناك، واتصل برجال الجبل وخطب فيهم، واجتمع بالقائد التركي هناك، ثم واصل تقدمه على رأس جيشه نحو دمشق.

ويقول لورنس أن انفصال عبد القادر عنهم بأنه كان مفاجئة لهم، وأثناء الطريق وصلتهم برقية من العقيد (بريمون Bremond) قائد البعثة الفرنسية في الحجاز يحذرهم من عبد القادر، وأنه "جاسوس" للأتراك الذين يعطونه أموالا بانتظام[1]، ولكن لا فيصل ولا لورنس نفسه صدق رواية بريمون، ولا ندري ما مصدر هذه الرواية؟ أو لماذا قام (بريمون) باتهامه بهذا الاتهام؟ غير أن الخبر في حد ذاته جعل الحملة في اضطراب كبير، وقد علق فيصل على ذلك بقوله أنه لا يشك في أمانة عبد القادر، أما لورنس فقد أعلن أن عبد القادر لم يكن جاسوسا، وإنما كان مسلما شديد التعصب للإسلام، وكان مخدوعا بنفسه يقدرها أكثر من قدرها، وأقر لورنس أيضا أن عبد القادر غضب لأن لورنس كان يعمل مع العرب وأنه يخفي مسيحيته"[2]، فهل قال لورنس هذا

[1] توماس ادوارد لورنس، **الثورة العربية**، تعريب شعبان بركات، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1990، ص 159.
[2] نفسه، ص 111.

الكلام لإظهار نفسه أمام قارئه الإنجليزي بأنه رغم اختلاطه بالعرب المسلمين لم يتخل عن دينه ؟ كما أن البعثة الفرنسية لدى الشريف حسين لم تكن تثق في الأمير عبد القادر الحفيد، رغم أنها حاولت وأصرت واستنجدت بالشريف حسين لكي يكتب عبد القادر رسالة إلى عمه عبد المالك لعقد الصلح مع الفرنسيين في المغرب، وقد فعل عبد القادر ذلك عن مضض[1].

وقد كان فيصل وكذلك لورنس يعرفان أن علاقة عبد القادر بالأتراك كانت علاقة إسلامية، أما علاقته بجمال باشا وبعض رجاله فكانت علاقة عداء لأسباب ذكرناها ولكون جمال باشا اتهم أسرة الأمير عبد القادر كلها بالعمالة لفرنسا، وقد اعترف لورنس أن عبد القادر كان بالنسبة إليه " لغزا من الألغاز التي لا تحل ولا تدرك"، ووصفه بعدم اللياقة والثقل والغرور والتعصب والحماقة"[2].

وفي هذا الصدد لم يفصّل الأمير سعيد وصول أخيه إلى جبال حوران وتوقفاته عبر الطريق إلى دمشق وتعامله مع الأهالي، واكتفى بالقول أن عبد القادر رفع علم العروبة في جبل الدروز حيث اتصل برجالهم، وظل رافعا للعلم طول الطريق إلى دمشق، وحين وصل إلى (قرحته)، وهي قرية العائلة، رفع العلم على الدار وطلب من تحسين بيك والي دمشق مقابلته ليلا، أما لورنس فيفصّل الخبر، ويتناقض مع نفسه في روايته للعلاقة بين عبد القادر والأتراك، والأهالي، فقد قال لورنس أن رجال الحملة علموا وهم في الأزرق، أن عبد القادر قد توجه نحو الشمال صوب جبال الدروز، وأن الحزن قد استولى على رجال الحملة، لأنه حسب قوله (يستحيل علينا الاستيلاء على وادي خالد دون الاستعانة بعبد القادر)، ولم يوضح لورنس سبب هذه الاستحالة، هل يرجع إلى معرفة عبد القادر بالمنطقة وأهلها؟ أو للقوة العسكرية (المتطوعة) التي كانت معه؟ أو لمؤهلات أخرى؟ واكتفى لورنس بقوله إنه لم يبق أمامهم إلا نسف الجسر الواقع على تل شهاب والمرور في الأراضي الواقعة بين الرمثا ودرعا. ويفهم من هذا أن نسف الجسر لم يكن من مخططاتهم بينما يتضح من خطة لورنس الأولى أن نسف الجسر كان ضروريا لقطع خطوط المواصلات على الجيش العثماني، وهو الأمر الذي جعل عبد القادر يختلف معه. ويتضح من كلام لورنس انه كان لا يثق في بعض العشائر العربية التي مروا بها ولا سيما عشيرة السرحان[3].

[1] نقلا عن: سعد الله، **بحوث في التاريخ الإسلامي**..، مرجع سابق، هامش ص 311.

[2] لورنس، **الثورة العربية** ..، مصدر سابق، ص 116.

[3] نفسه، ص 117.

وأما عن العلاقة مع الأتراك، فإن الأمير فيصل ينفي أن يكون عبد القادر عميلا للأتراك، ومع ذلك يقول لورنس أن عبد القادر "هرب" منهم " ليبلغ الأخبار للأعداء" أي الأتراك، ولكنه يناقض نفسه عندما يصف حراس السكة بأنهم كانوا ينعمون بالراحة عندما اقتربوا منهم، وكان في وسع الأتراك ايقاعهم في الفخ عندما وصلوا إلى الجسر، لماذا لم يفعل الأتراك أي شيء لحماية الجسر وحماية أنفسهم من الهجوم المتوقع – ما دام عبد القادر – كما توقع لورنس، قد أخبرهم بما سيحدث لهم؟ لقد اكتفى لورنس بقوله أن ذلك يعني أن "الأخبار التي نقلها إليهم عبد القادر لم تلق الروع في القلوب"[1]، فكيف حكم بأن عبد القادر قد أوصل الخبر إلى الأتراك؟ إنه يبدو مجرد ظن أملاه الخوف الذي كان لورنس يشعر به في بيئة غريبة عنه، أما واقع الأحداث فقد عبر عنه لورنس نفسه في وصفه لعلاقة عبد القادر بالأتراك إثناء الطريق إلى دمشق.

فقد قال لورنس أن عبد القادر قصد قرحته (قرية العائلة كما قال الأمير سعيد)، ورفع العلم العربي وكان وراءه سبعمائة فارس "لا ينقطعون عن إطلاق الرصاص في الهواء"، ورغم احتجاج الحاكم التركي على هذه الإهانة فإن عبد القادر أمره بالمجيئ، وقد فعل الحاكم ذلك وقدم فروض الطاعة لعبد القادر الذي كان جالسا وسط مظاهر الأبهة"[2] وكل ذلك من اتهام عبد القادر بالعمالة للأتراك[3]، ولكن عندما تحدث لورنس عن وصول عبد القادر إلى جبل الدروز، ذكر أن عبد القادر هدد الحاكم التركي بسيفه الملكي ذي القبضة الذهبية وأعلن أنه لن يتأخر عن قتل جمال باشا نفسه، وأضاف لورنس أن الأتراك اعتبروا عبد القادر مجنونا فتركوه وشأنه، ولم يبالوا بتهديده بأنه سينسف جسر اليرموك لكنهم أرسلوه إلى دمشق تحت الحفظ عندما وقع نسف الجسر فعلا، وعدوا عبد القادر من الخطرين الذين يلعبون (على الحبلين)[4].

وعلى كل حال فقد تابع عبد القادر تقدمه نحو دمشق مرورا بدرعا، وصلخد، وأذرع التي يقول عنها لورنس أن عبد القادر قد احتلها مع خدمه وحشمه المتطوعين، ويذهب لورنس إلى أن عبد لقادر قد اضطر إلى مغادرة أذرع، دون ذكر السبب[1]، ولكن سعيد أوضح السبب فقال أن الأخبار وردت إلى دمشق أن الجيش التركي واجه هزائم عديدة، وأن دمشق على وشك السقوط، فكلف جمال باشا الصغير الأمير سعيد بتأليف قوة

[1] لورنس، **الثورة العربية**..، المصدر السابق ، ص 116.

[2] نفسه.

[3] نشير إلى أن الأمير علي والد عبد القادر وسعيد قد مات في الأستانة (في منفاه) سنة 1917م قبل وصول عبد القادر إلى دمشق. ينظر: الأمير سعيد، **مذكراتي** ..، مصدر سابق، ص 114.

[4] لورنس، **الثورة العربية** ..، المصدر السابق، ص 125.

من المغاربية[2] في سورية لحفظ الأمن ومساعدة الجيش التركي، وأعطى قيادة هذه القوة إلى عبد القادر، الذي أخذ بعض هذه القوة وسار بها إلى أذرع ليحول دون اتصال بالجيش العربي بجبل الدروز، أما الجزء الثاني من القوة فقد أبقاه حول دمشق[3]، وأمام تقدم الجيش العربي والجيش الإنجليزي (الحلفاء) تراجع الجيش التركي إلى الكسوة بينما تراجع عبد القادر إلى دمشق التي كانت تعاني من فوضى عارمة كادت تؤدي إلى فتنة.

II. 2.2. إعلان الأمير سعيد الاستقلال العربي في بلاد الشام باسم الشريف حسين:

لا يهمنا هنا من رفع العلم العربي، ولكن الأكيد أنه أحد الأخوين: إما الأمير عبد القادر (الحفيد) أو الأمير سعيد؟ وهنالك روايات متضاربة في هذا الشأن، حيث يقول الأمير سعيد أنه هو الذي فعل ذلك وأنه هو الذي أصبح حامي المدينة (دمشق) والمسؤول عنها، وأن أخاه عبد القادر لحق به في السراي على رأس كوكبة من الفرسان المغاربة (نحو ثلاثين)، كانوا يحمون المدينة، وأن عبد القادر وجد أخاه سعيد قد أعلن استقلال سوريا ولبنان باسم الثورة العربية والشريف حسين، وبعد ذلك خرج عبد القادر الذي كان معروفا بالفروسية والشجاعة والخطابة والجاذبية إلى الناس وطلب منهم الهدوء واعدا إياهم بحفظ الأمن[4]، وفي هذا التسلسل للأحداث المتسارعة مع الإضطرابات، فالمرء يفهم من كل ما سبق أن الأخوين قد توزعا الأدوار، أحدهما للشؤون السياسية (إعلان الاستقلال، ورفع العلم، وإرسال البرقيات، واستقبال الأعيان)، والآخر لحفظ الامن والنظام داخل المدينة وضواحيها بواسطة مفرزة المغاربة، وهكذا فان عبد القادر لم يكن حاظر الاعلان الاستقلال وبالطبع لم يرفع العلم العربي بنفسه[5].

وفي غياب التواريخ الدقيقة تبقى هناك علامات استفهام، لماذا لم يحضر عبد القادر مراسيم رفع العلم العربي على سراي دمشق؟ أليس هو الذي استلم العلم من الشريف حسين في مكة ووعده برفعه بنفسه في

---

[1] نفسه، 203.

[2] لعل المغاربية أرادوا إعادة الدور الذي قاموا به سنة 1860 م بقيادة الأمير عبد القادر الجد، أيام ما يعرف بفتنة الشام ولكن الظروف الداخلية والدولية هذه المرة قد اختلفت. ومما يذكر أن الاميرين الاخوين عمر وعلي ابني الأمير عبد القادر الجد، قد كررا نفس التدخل في الكرك، سنة 1910.انظر حياة طيب الذكر. هذا وجمال الصغير غير جمال باشا.

[3] وعليه يذكر ريتشارد الدبختون في كتابه لورنس في البلاد العربية أن لورنس عندما بلغ المجلس البلدي في دمشق، وجد أن جمال باشا الصغير قد سلم مقاليد الحكم لاثنين من الجزائريين هما عبد القادر ومحمد سعيد اللذين خدعا لورنس قبل ذلك بوقت طويل بالرغم من تحذيرات بريموند. ينظر: ريتشارد الدبختون، **لورانس في البلاد العربية**، تر: محمود عزت موسى، مراجعة: محمد أنيس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966، ص 246.

[4] لورنس، المصدر السابق، ص 130.

[5] يقول الأمير سعيد أن جريدة المقتبس وصفت ما حدث ذلك اليوم، وهو الثلاثاء، تشرين الأول، 1918م.

دمشق؟ وقد فعل ذلك في المدن والطريق الذي قطعه من الأزرق إلى دمشق، وعندما وصل قرية العائلة (قرحته) رفع ذلك العلم على دارهم (دار والده)، وعندما نزل دمشق ظل محتفظا بعلم الشريف حسين في دارهم، ويشهد الأمير سعيد نفسه بأن العلم ظل محفوظا في دار الأسرة بحي العمارة إلى يوم استقلال سورية ولبنان[1]، أما لورنس فيؤكد أن عبد القادر هو الذي رفع العلم العربي بنفسه، وفي عبارة تفيض بالتشفي من الأتراك يقول لورنس رفع عبد القادر العلم العربي قبل الغروب (أي يوم قبل دخول لورنس ومن معه إلى دمشق)، وأن رفع العلم العربي كان خاتمة للعصر الماضي الملوث وفاتحة عصر جديد مشرق منير"[2].

ويمكننا أن نفهم هنا أن العهد الجديد قد دشنه عبد القادر الحفيد برفع العلم العربي باعتراف لورنس نفسه، ويؤكد سليمان موسى أن الذي رفع العلم العربي هو الأمير سعيد وأنه هو الذي أعلن الحكومة باسم الشريف حسين، واعتمد سليمان موسى على مذكرات فايز الغصين التي فيها أن فيصل بعث معه (الغصين) من درعا رسالة إلى الأمير سعيد دعاه فيها إلى رفع العلم على المباني سواء كان انسحاب الأتراك سلما أو حربا، وأن يعلنوا الحكومة باسم الشريف حسين. وهذا بالضبط هو ما فعله الأمير سعيد وأخوه عبد القادر[1]، ولكن "الغصين" لم يصل إلى دمشق في الوقت المناسب، أي أنه وصل بعد ما نفّذ سعيد وعبد القادر الخطة دون تعليمة فيصل. فلماذا إذا الضجة التي أثارها لورنس حول الأخوين، سعيد وعبد القادر؟ لقد خرج الجيش العثماني (التركي) من دمشق، وتكونت الحكومة باسم الشريف حسين، فماذا حدث بعد ذلك؟ لا نجد للأمير سعيد حديثا صريحا عما حدث ليلة إعلان الحكومة الجديدة وقبل وصول ممثلي فيصل في اليوم التالي، ولكننا نفهم أن أخاه عبد القادر قام بحفظ الأمن في المدينة، وأن المدينة مع ذلك كانت تموج بالأخبار والإشاعات، وفي صباح اليوم التالي وصل لورنس ومرافقوه إلى دمشق، وبدأ فصل جديد في العلاقات بين الدمشقيين وبين الوافدين مع لورنس، ويذكر سليمان موسى أن الأمير سعيد قد سيطر على الموقف منذ الثلاثين من شهر سبتمبر 1918م، معتمدا على قوة من المغاربية يرأسهم أخوه الأمير عبد القادر لحفظ الأمن ومساعدة الجيش العثماني على الإنسحاب بنظام، وقد أرسل في اليوم نفسه برقيات إلى رؤساء البلديات في المدن السورية واللبنانية يعلمهم بزوال الحكومة التركية، وتأسيس الحكومة الهاشمية، ويطلب منهم طمأنة الناس وممارسة الحكم باسم الحكومة العربية، واضعا توقيعه هكذا: الأمير سعيد، رئيس الحكومة العربية المؤقتة، ولم يمض وقت طويل حتى وصل

[1] الأمير سعيد، **مذكراتي** ..، مصدر سابق، ص 114.

[2] لورنس، **الثورة العربية**، مصدر سابق، ص 214.

الشريف ناصر (خال الأمير فيصل) إلى دار الحكومة الجديدة، فعرض عليه الأمير سعيد أن يتولى السلطة بنفسه، ولكنه اعتذر بمرضه، وطلب من الأمير سعيد مواصلة الحكم إلى وصول فيصل، ويبدو أن سعيد طلب تفويضا مكتوبا بذلك فأعطاه الشريف ناصر هذا التفويض: " إن سمو الأمير سعيد مكلف بإدارة الحكومة لحين حضور مولانا سمو الأمير فيصل"[2]، وإلى هنا كانت الأمور تسير في الاتجاه الطبيعي والمسطر لها، فلم يكن الأمير سعيد مغتصبا لسلطة أو منتهزا لفرصة الفراغ لكي يحول الحكم إليه، فكل التحركات كانت تتم باسم الشريف حسين وابنه الأمير فيصل الذي لم يصل بعد إلى دمشق، وكان تعاون الأخوين سعيد وعبد القادر هو الذي أنقذ البلاد من الفوضى التي كانت ستحدث نتيجة انسحاب الجيش العثماني وزوال السلطة التركية، كما أن الأخوين ملآ الفراغ بإعلان الحكومة المؤقتة وتطمين الناس على حياتهم وأملاكهم، ولا شك أن الحس المدني والشعور بالمسؤولية الإسلامية والقومية كانتا حجر الزاوية في هذا التصرف ولم يكن الأخوان وحدهما في الميدان، فقد تعاون معهما بعض أعيان دمشق الذين كانوا يشاطرونهما نفس المشاعر.

ولكن وصول لورنس صباح أول أكتوبر غيّر هذه الصورة، لماذا لم يدخل لورنس وجماعته في اليوم السابق لترتيب الأمور بطريقتهم إذا كانوا قد خططوا لذلك؟ يقول لورنس أنهم كانوا يعتمدون على لجنة يسميها تارة الفيصلية (أنصار فيصل؟) وتارة الوطنية (القومية؟)، ويقول إن هذه اللجنة قد نجحت في جمع السلطة كلها في يدها بعد انهيار سلطة الأتراك في دمشق، وإذا كان الأمر كذلك، فهذه اللجنة لا تخرج عن العناصر التي أشرنا إليها، وهم الأخوان سعيد وعبد القادر وشكري الأيوبي والشريف وناصر وغيرهم من الأعيان، ولكن هذا التفسير غير واقعي، بدليل أنه "صعق" عندما دخل دمشق ووجد أن الأمور ليست كما تصورها، وأن اللجنة المعول عليها لم تقم بدورها كما ينبغي، فلماذا لم يدخل ليلة أول أكتوبر لدمشق؟ لقد أخبر أن سبب عدم دخوله هو وجماعته تلك الليلة هو اضطراب الأمور في دمشق، وأخبر أنه اقنع ناصرا بعدم الدخول ليلا وانتظار صباح اليوم التالي "حرصا على كرامته" (كذا)[1]، فهل نستطيع أن نقول أنه كان خائفا من دخول دمشق ليلا ومواجهة ما تصوره فيها اضطراب؟ لقد فعل ذلك رغم أن لديه، كما قال، قوة من أربعة آلاف رجل، واكتفى لورنس وجماعته بالمبيت في الكسوة، خارج دمشق انتظارا للصباح، أي أنهم دخلوا دمشق والناس نيام تقريبا، لأن وصولهم كان الساعة السادسة صباحا، وهي الساعة التي أعلن فيها الجنرال اللنبي إلى كل من الشريف حسين

[1] سليمان موسى، **الحركة العربية**، دار النهار، بيروت. 1970م، ص 321.

[2] سليمان موسى ، المرجع السابق، ص 321.

والخارجية البريطانية أن "جنودنا المشتركة" قد دخلوا دمشق، فماذا حدث عندما دخل لورنس ومن معه مبنى الحكومة الجديدة ؟ هناك روايتان لورنس نفسه، يقول في أولها أنه عندما دخل الغرفة (القاعة؟) وجد عبد القادر " عدوي القديم " وشقيقه سعيد جالسين إلى جانب الشريف ناصر ونوري الشعلان (شيخ قبيلة الرولا). وعبارة " عدوي القديم" قالها لورنس بعفوية صادقة فيما يبدو، لأن علاقة الرجلين في الواقع كانت متوترة. ولذلك لا نستغرب أن يضيف لورنس قوله " أصبت استولى على الذهول" عندما رأى عبد القادر وشقيقه إلى جانب نصيريه: ناصر والشعلان[2].

ويروي لورنس نفسه ما حدث بأن الأمير سعيد وقف عندئذ وأعلن للجميع أن أحفاد الأمير عبد القادر (الجد) وشكري الأيوبي سليل صلاح الدين، قد أسسوا بالأمس الحكومة باسم ملك العرب الشريف حسين، وهذا موقف لا يرتاح إليه لورنس، وليس ضمن مخططاته، وقد زعم حينها أن شكري الأيوبي أخبره أن الجزائريين كانوا يتعاونون مع الأتراك في دمشق، وأنهم انضموا "سرا" إلى لجنة فيصل بعد هروب الأتراك، وأنهم تحكموا في كل اللجنة وجهودها بما يخدم شهواتهم، كما زعم لورنس أن هؤلاء الجزائريين كانوا متعصبين "تعصبا دينيا شديدا" وأن أفكارهم بعيدة عن المنطق، والواقع أن من يسميهم "بالجزائريين" لم يكونوا يخفون مشاعرهم الدينية، وقد صارحه عبد القادر نفسه بذلك منذ كانوا في الأزرق، ولذلك كان لورنس يكرر وصف عبد القادر بالمتعصب الديني، أي غير القومي في نظره، وأما "المنطق" الذي أشار إليه فلا شك أنه يعني أنهم لا يسايرون الواقع الذي يريد الحلفاء فرضه، والذي هو مخالف للطموحات العربية والإسلامية من جهة ومتناقض مع الاتفاقيات المعلنة، ولذلك يخبرنا لورنس بكل تبجح، انه نظر عندئذ إلى ناصر نظرة فهم منها هذا انه يجب وضع حد لأعمال الجزائريين من البداية، ومن حق المرء أن يتساءل هنا هل كان مصير القضية العربية سيكون هو نفسه لو نجحت خطة "الجزائريين" واعيان دمشق في الاستقلال والابتعاد عن التعاون المشبوه مع لورنس وأمثاله ؟

ومهما كان الأمر فإن لورنس يناقض نفسه بعد بضعة أسطر من ذهوله، فهو يقول بعد ذلك أنه يبحث عن ناصر وعبد القادر ليتوليا شؤون الحكم ويعملا على استتباب النظام والهدوء[1]، ولكنه لم يجدهما، ثم علم أن الجزائريين" قد أغروا ناصرا واخذوه إلى دارهم ليقدموا له شيء من المنعشات"، فكيف ينسجم هذا مع ما قاله

[1] لورنس، **الثورة العربية** ..، المصدر السابق، ص 214.

[2] لورنس، **الثورة العربية** ..، المصدر السابق ، ص 216.

سابقا؟ وبعد حوالي ثلاث صفحات من كتابه يقول: انه كان يريد مقابلة عبد القادر (دون أن يقول لماذا) فبحث عنه وأرسل من ورائه من يأتيه بخبره فجاءه الخبر أن عبد القادر وشقيقه (سعيد) وناصر نائمون، وحين سأله نوري الشعلان عما يريد فعله بهؤلاء؛ قال له: أريد خلع عبد القادر وأخيه وتعيين شكري الأيوبي مكانهما، لأن شكري أنسب رجل في نظره للحكم، ومعنى هذا أنه يريد إحداث انقلاب وشقاق وفقا لرغبته الشخصية، وكأنه هو الوحيد الآمر الناهي معتمدا على منطق القوة (قوة الحلفاء)، وتنفيذ الخطط التي ما تزال مجهولة عند أغلب المحيطين به دون انتظار وصول الأمير فيصل الذي كانت تعليماته تتماشى تماما مع ما قام به الجزائريون وزملاؤهم ولا تتفق مع تحركات لورنس.

ثم حدثت المقابلة الهائجة والعاصفة حسب تعبير لورنس عندما أقبل الجزائريون مع حرسهم نحو السراي، ويصف لورنس جو المقابلة، فيقول إن الشرر كان يتطاير من عيون الجزائريين الذين كانوا يودون "البطش بي" ولكنهم فهموا أن المغامرة غير مجدية عندما لاحظوا أن (لورنس) كان محاطا بجنود نوري السعيد والشعلان، وبعد أن حصن نفسه بهذه القوات أعلن لورنس إلغاء (الحكومة التي كانت في دمشق) أي الحكومة العربية التي أعلنها الأمير سعيد باسم الشريف حسين، وهو أمر مخالف لتعليمات فيصل ووالده كما سبق، وبصفته الوكيل عن فيصل، كما قال، أعلن لورنس أيضا شكري الأيوبي حاكما حربيا (وليس رئيسا للحكومة) ونوري السعيد قائدا عسكريا للجيوش[2]، ويروي لورنس أن الأمير سعيد قد تهكّم منه، أما أخوه عبد القادر فقد حاول طعنه بخنجره، فحال الشيخ عودة أبو تايه دون ذلك، ولم يسع الجزائريون إلى الخروج غاضبين حسب تعبير لورنس الذي ادعى انه كان يتمتع بشهامة خاصة إذ كان بإمكانه قتل جميع الجزائريين، كما نصحه البعض بذلك، ولكنه لم يفعل حتى لا يظهر أمام العرب انه يخشى من ضرر أولئك الجزائريين، والغريب في الأمر لن مختلف المصادر لا تتحدث عن دوره في قتل عبد القادر واعتقال أخيه سعيد على يد القوات البريطانية، كما أنه من الغريب ألا يتحدث هو عن نهاية عبد القادر المأساوية، أما سليمان موسى فقد نقل عن "فائز الغصين" ما حدث في الأسبوع الأول من نوفمبر 1918، على النحو التالي: ".. غضب الجزائريان وحاولا إقناع فيصل بعزل رضا الركابي، ولكنهما فشلا في إقناعه، فأخذا يجمعان الأنصار ويحدثان الشغب ويظهران التمرد، وهنا أصدر الركابي أمره باعتقالهما (متى؟) فأما سعيد فلم يبد مقاومة، وأما أخوه عبد القادر فقد رفض تسليم نفسه وأطلق النار على الشرطة، ثم فرّ على

[1] لورنس، **الثورة العربية** ..، المصدر السابق، ص 217.

[2] سليمان موسى، المرجع السابق، ص 323.

جواده، فاعترضته جماعة أخرى من الشرطة، ولما لم يقف أطلق عليه النار (من الخلف) فأردته قتيلا، وكان ذلك يوم 7 نوفمبر 1918، وكان فيصل عندئذ في طريقه إلى حلب، فلما بلغه مقتل عبد القادر غضب غضبا شديدا واستولى عليه القلق والكدر .."[1].

لكن هذه الرواية يلفها شيء من الغموض، ورؤية أصحابها مبنية على ظروف الأحداث الآتية والمصالح الشخصية من منطلق الفوضى التي كانت تعيشها دمشق في خريف 1918، فقد بدأت الدراسات الجديدة تلقي الضوء على حياة عبد القادر وعلاقته بالشريف حسين وفيصل ولورنس منذ لقاء مكة والعقبة والأزرق، وكل هذه الدراسات تركز على أن عبد القادر كان شابا رومانتيكيا، وأن سخطه كان موجها ضد جمال باشا وليس الأتراك، والملاحظ أن بعض الدراسات ركزت على أن التحاق عبد القادر بالشريف حسين كان من بورسة إلى مكة على فرسه بعيدا عن أعين الأتراك والرقابة، وكان ذلك الإلتحاق في حدّ ذاته أسطورة من أساطير الفروسية العربية والإسلامية، تذكرنا بقصة حركة خالد بن الوليد والمتنبي..، وقد اقتنع عبد القادر بالثورة فبايع الشريف حسين وأخذ منه العلم العربي الذي تعهد بنشره في دمشق عندما يدخلها "فاتحا"، وقد وفى عبد القادر بما وعد رغم العراقيل التي وجدها في الطريق إلى دمشق.

يقول ديزموند ستيوارت عن سبب غضب لورنس من عبد القادر أن هذا قد فهم الدور الحقيقي الذي كان يقوم به لورنس في بطانة فيصل، وهو أن (لورنس) كان عميلا لبريطانيا، يعمل على توسيع حكم دولته (وإمبرياليا) ورومانتيكيا قوميا، قد فهم هو وأخوه سعيد، أن الموقف السياسي يجعل السوريين متشككين بعمق في البريطانيين والفرنسيين معا، وكان من الطبيعي أن يظهر التوتر بسرعة في مجموعته فيصل ابتداء من العقبة، فلورنس الذي كرر السفر عبر خطوط اليرموك مع هوغارث (Hogarth) سنة 1911م، كان يحمل في سرجه أكياس النقود الذهبية لتسهيل مهمة الحملة التي كانت تمر عبر مناطق لعشائر مترددة أو عدوة، ولمكافأة الناجحين. وقد ظهر التوتر بين العناصر الرئيسية للعيان، فالشريف على الذي لم يكن يتجاوز التاسع عشر هاجم لورنس، وكان هذا غيورا من عبد القادر الذي كان يشك في لورنس، وقد أصبح الوضع متفجرا بينهم عندما بلغوا الأزرق.

وتحدث ستيوارت أيضا عن "اختفاء" عبد القادر مع أنصاره السبعة منذ محطة الأزرق، وعبورهم منطقة الدروز الصخرية، وكان الإنشقاق بين عبد القادر ولورنس في نظره، قد مثل انقساما في سياسة الشريف حسين،

[1] سليمان موسى، المرجع السابق، ص 323.

كما مثل مفاهيم متناقضة من الولاء، فمنذ تلك اللحظة (أي منذ انشقاق الأزرق)[1] كان عبد القادر يرى نفسه هو وحده الممثل للملك حسين إذ كان ينظر إلى الثورة (العربية) لا باعتبارها مكملة للفعل الإنجليزي، ولكن باعتبارها مرحلة في حركة طويلة المدى معادية للاستعمار، وكان اخلاصه للشريف (الملك) حسين يقوم على قناعة وهو أنه زعيم لحركة (قومية) ولم يكن اخلاصه له من أجل دمه أو وضعه الملكي، وبذلك كان عبد القادر (الحفيد) أقرب في فكره من غيره من الأشراف الآخرين إلى الأجيال العربية الثورية التالية، وإلى جيله من الجزائريين الذين سيعيدون دفن رفات جده في أرضه إفريقيا الشمالية بعد تحقيق الإستقلال، وكذلك أقرب إلى عرب المشرق الذين سيصطدمون باستمرار مع بريطانيا وفرنسا في المنطقة، وفوق ذلك كله سيصطدمون مع المستفيدين (الصهاينة) من وعد بلفور[2].

ويذهب ستيوارت إلى أن مشاعر لورنس نحو عبد القادر لم تتحول إلى كره راسخ قبل شهر نوفمبر 1917، ومع ذلك فإن لورنس أخبر القائد البريطاني في العقبة (العقيد جويس) بأن يوضح لفيصل أن عبد القادر قد أظهر الخوف وأنه كثير الكلام وقليل العمل، دون أن يقول إن عبد القادر قد بلّغ عنهم الأتراك، ولكن عبد القادر –حسب ستيوارت– كان غير مرتاح من وضع فيصل الثانوي بالنسبة للجنرال اللنبي، وقد احتج لدى فيصل من وجود شخص انجليزي (لورنس) نحيف متنكر في عباءة شريف، وهو يتردد على مقر فيصل في العقبة، فأجابه فيصل نفسه بقوله: "أننا مجبرون على أن نتبع هؤلاء الناس (أي الإنجليز)، لأننا نعتمد في حربنا على نقودهم وسلاحهم"[3].

وكان الدور الذي ينتظره فيصل من عبد القادر أهم من نسف جسر اليرموك، فهو يرى أن عبد القادر يستطيع أن يجند سكان جبل الدروز للثورة، وهم يقطنون الضفة الأخرى من اليرموك، وهي منطقة كانت تحت حراسة مشددة من العثمانيين، وهذا أمر قد يتسبب في انتقام شديد بين الفريقين – أهل الجبل والعثمانيين –.

ويبدو مما رواه ستيوارت أن رؤية فيصل ولورنس لدور عبد القادر كانت مختلفة: فالأول كان يرشحه لجلب سكان جبل العرب إلى الثورة وهو أمر هام لمهاجمة القوات العثمانية والتقدم نحو دمشق، وهذا بالضبط ما فعله

---

[1] نقلا عن: سعد الله، **بحوث في التاريخ الإسلامي**، مرجع سابق، ص 319.

[2] نفسه.

[3] Desmond Stewart, **T.E. Lawrence**, **Harper and Row**, New Yourk. 1979, P 185-186

نقلا عن: سعد الله، **بحوث في التاريخ الإسلامي**، المرجع السابق، ص320

عبد القادر، أما لورنس فكان يرى عبد القادر مجرد تابع لأوامره في كل التحركات نحو دمشق، مثله في ذلك مثل نوري السعيد والشيخين عودة أبو تايه ونوري الشعلان، وربما يكون ذلك هو السبب الحقيقي في انفصال عبد القادر عن لورنس في الأزرق تنفيذا للخطة التي أشار اليها فيصل والتي ربما تكون باتفاق بينهما دون علم لورنس، وهي إثارة سكان جبل العرب ضد العثمانيين، ثم الدخول إلى دمشق، ولذلك لا نستغرب موقف الرجلين (عبد القادر ولورنس) عندما تواجها في دمشق من جديد، فقد كان كل منهما يرى أنه أحق بالتحدث باسم الثورة: لورنس باسم الحلفاء، وعبد القادر باسم الثورة العربية أو إذا شئنا القول باسم القومية والإسلام.

خلاصة الفصل:

مما تقدم في هذا الفصل، نستنتج أن النشاط السياسي والعسكري للجزائريين في المشرق العربي كان كبيرا، سواء المهاجرين منهم أو الزائرين، منذ الوهلة الأولى التي قدموا فيها إلى المنطقة، وكانوا يعملون جنبا إلى جنب مع إخوانهم المشارقة، وكان دورهم هذا نابع من إيمانهم العميق بمسألة الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية، ولذلك انخرطوا في تيار الجامعة الإسلامية التي نادى بها السلطان عبد الحميد الثاني كأداة لمواجهة الغزو الأجنبي، وتحقيق الاستقلال الوطني، فكانوا من أبرز رموزها ودعاتها الذين نشطوا من خلالها سياسيا وعسكريا تجسيدا لفكرتها على أرض الواقع.

كما كان لهم دور نشاط بارز في تيار القومية العربية ضد جماعة الاتحاد والترقي الطورانية، ونادوا بالإصلاحات في البلاد العربية، وكان مصير بعضهم الإعدام في سبيل القضية العربية، كما تعددت أدوارهم خلال الح.ع.I، في المنطقة ومشاركتهم في ثورة الشريف حسين ضد الأتراك 1916، وحاول بعضهم التوفيق بين العرب والأتراك، لكن المخططات الاستعمارية، ووجود بعض العناصر العربية أو التركية التي تبحث عن مصالحها الخاصة حالت دون ذلك.

الفصل السادس:

• مواقف النخبة الجزائرية في المشرق العربي واهتماماتها العربية والإسلامية •

أولا: قضايا الدولة العثمانية والمشرق العربي.

ثانيا: قضايا المغرب العربي.

ثالثا: القضية الجزائرية والحركة الوطنية.

تمهيد:

إن الحديث عن مواقف الجزائريين في المشرق العربي واهتماماتهم العربية والإسلامية يحيلنا بالضرورة إلى الحديث عن الدور الذي قامت به النخبة الجزائرية على مستوى العالم العربي والإسلامي مشرقا ومغربا من منطلق الوازع الديني والقومي الذي دفعهم إلى الاهتمام بالقضايا العربية والإسلامية، في ظل الظروف التي كانت تمرّ بها الدولة العثمانية وكافة أقطار العالم العربي والإسلامي، لأنه يعتبر في نظرها همّ مشترك لدى مختلف النخب التي تصدرت الواجهة السياسية والفكرية في العالم العربي الإسلامي.

ورغم محاولة الإدارة الاستعمارية قطع الصلات الحضارية بين الجزائريين ومحيطهم العربي الإسلامي من جهة، ومتابعة نشاطاتهم سواء في الداخل أو هناك في المشرق، إلا أنها عجزت عن ذلك، وظلت أفئدة الجزائريين في المشرق العربي طيلة الحقبة الاستعمارية معلقة بقضايا العالم العربي والإسلامي قاطبة، وتعتبر ذلك من صميم واجبها الديني، وكانت تتابع أخباره عن كثب وتتفاعل مع حوادثه باهتمام كبير، أمام تلك الحوادث الجسام التي شهدها منذ أواخر القرن 19م، والمتمثلة أساسا في احتلال أجزاء كبيرة منه، وعليه نتساءل عن اهتمام النخبة الجزائرية في المشرق العربي بالقضايا العربية والإسلامية؟

أولا: قضايا الدولة العثمانية والمشرق العربي:

لعل أهم ما شغل نخبة أواخر القرن التاسع عشر هي مسألة ضعف وأخر العالم العربي والإسلامي عن ركب الأمم، والذي كانت تمثله الدولة العثماني، وكان ذلك من صلب اهتمامات النخبة الجزائرية سواء المهاجرة منها أو التي بقيت في أرض الوطن، متسائلة عن السبل التي تمكن الخلافة العثمانية من صد الحملات الاستعمارية الأوروبية التي استهدفت أجزاء كبيرة من أراضيها، ففيما يتجلى ذلك؟

I. مسألة الخلافة وموقف النخبة الجزائرية منها:

مثلت الخلافة العثمانية السلطة الدينية والسياسية للعالم العربي الإسلامي، ورمز وحدته والرابط الذي يجمعه، وقد ساهمت النخبة الجزائرية بشكل كبير في الدفاع عنها، سواء من خلال مشاركتها في القضايا التي تهم الخلافة العثمانية أو بتلك الآراء والمواقف التي عبرت عنها، وفيما يلي سنتعرف عن ذلك الشعور الذي يربط بين الجزائريين ومسألة الخلافة العثمانية.

I. 1. العاطفة العثمانية لدى النخبة الجزائرية قبل سقوط الخلافة:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 هاجر العديد من الجزائريين أرض الوطن واحتضنت الدولة العثمانية الوافدين منهم إلى أراضيها في المشرق العربي، والذين وجدوا كل التسهيلات لإقامتهم هناك[1]، وهذا ما أشارت إليه مجموعة من الوثائق التاريخية، ولأن معظمهم من الطبقة المثقفة وجدوا أنفسهم يتفاعلون مع قضاياها منذ الوهلة الأولى، على غرار الأمير عبد القادر[2]، الذي كان عضوا في جمعية "العروة الوثقى"[3]، ولم تضعف الرابطة العثمانية عند الجزائريين قبل إلغاء الخلافة، بدليل استمرار وفائهم للإرث الحضاري العثماني، ففي الواقع الاجتماعي للجزائريين، استمرت أسماء عدة خلفاء حملها جزائريون مثل "عبد الحميد، عبد المجيد ومحمود..."وحتى عند النساء مثل "تركية".... بل إن في القلائد الذهبية تعد قطعا من نوع "السلطاني ذات الأصل العثماني"[4].

وخلال خمسينات القرن التاسع عشر ميلادي، استغلت فرنسا التواصل الحضاري بين الجزائريين والمشارقة عموما والعثمانيين خصوصا، فدعتهم للمشاركة في حرب شبه جزيرة القرم، فاستجاب الجزائريون لذلك النداء، باعتباره يخدم الخلافة[5]، لذلك تطوع حوالي ألفي جندي من الجزائريين، وحتى يشعر نابليون الثالث الجزائريين بالمساواة مع الجيش الفرنسي، أعطى الفرقة الجزائرية المشاركة، علما خاصا بهم، كتبوا عليه بالعربية عبارات ورموزا تدل على ولائهم وتأييدهم للمشاركة مع الدولة العثمانية، وهذا نص ما كتبوه: "إن هذه الراية ستلمع في ميدان النصر، وستخفق بالنجاح بمعونة الله، إنها من صنع مسلمي الجزائر، وهي مهداة إلى الجنود الأهالي المشاركين في الفرقة المتوجهة لنجدة الدولة العثمانية في (1854م)، وعلى الوجه الآخر من الراية – الهدية، رسم رمز مدينة

---

[1] ينظر مجموعة من التقارير حول الموضوع في الملحق الأول، رقم: 13-14-15- 16.

[2] بعدما أطلق الإمبراطور "نابليون الثالث" سراح الأمير عبد القادر وسمح له بالسفر إلى الشرق واتجه الأمير إلى الآستانة التي وصلها في (08 جانفي 1853م)، واستقبله أهلها وعلى رأسهم السلطان عبد المجيد الذي كان قد تكفل لدى الدولة الفرنسية قبيل إطلاق سراحه وما ترك بالغ الأثر في نفس الأمير، فألقى بين يدي السلطان قصيدة مما جاء فيها:

عبد المجيد حوى مجدا، وعز عـــــــلا وجل قدرا، كما قد عم أنـــوالا

كهف الخلافة، كافيـــها وكافلـــــــــها وما عهدنا له في القرن أمثـــالا

أهدي مديحي، وحمدي – ما حييت– لـه أفادي أنعمـــاجلت، وإقبـــالا

ينظر: أنور الجندي، **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 39. وكذلك: شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، تر وتع: أبو القاسم سعد الله الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص307.

[4] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية** ..، ج1، مرجع سابق، ص-ص 389-392.

[5] محمد بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، 1910–1954**، ج1، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1993/ 1994، ص16.

الجزائر والنسر الإمبراطوري يحمل حرف(N) باللاتينية، محاطا بتاج من أغصان شجر البلوط والزيتون[1]، ونجحت فرنسا أيضا في تشكيل رأي جزائري عام مؤيد لها في هذه الحرب ومثل "محمد الشاذلي القسنطيني"[2]، (1820-1870)، الذي أشاد بفرنسا، وشكر الله عز وجل على نصرة السلطان العثماني، وافتخر بهذا النصر الذي تحقق بالجهاد والتضامن بين المسلمين.

ومن الشخصيات الجزائرية المشاركة في حرب القرم "أحمد الطيب بن سالم" الذي كتب من الشام رسالة للحاكم العام الفرنسي بالجزائر "راندون" يخبره فيها أنه سينضم للقوات العربية المتوجهة لبلاد القرم، كما شارك أيضا كاتب الأمير عبد القادر السابق "قدور بن رويلة" و"بومعزة" أحد أبطال حوادث الظهرة سنة (1845)[3]..، وقد نظم الأمير عبد القادر وهو في "بروسة" قصيدة مطولة دعا فيها الله بالنصر للدولة العثمانية في حرب القرم (1856- 1853)، يقول في مطلعها:

يـــا رب أيد بروح القدس وملجأنا عبد المجيد، ولا تبقيه حيـــرانا.[4]

ومع مطلع القرن العشرين ازداد تعلق المسلمين الجزائريين بالباب العالي خاصة مع اشتداد التنافس الاستعماري على منطقة المغرب العربي مثل طرد قادة "حركة الشبان" بتونس بعد حوادث مقبرة "الزلاج"(1911م) واحتلال إيطاليا لليبيا وتدخل فرنسا في المغرب الأقصى بعد "مؤتمر الجزيرة" (جانفي-جويلية 1906) واحتلالها لوجدة (29 مارس 1907) و"الدار البيضاء" (05 أوت 1907) وأخيرا فرض الحماية المزدوجة عليه سنة (1912م)، وكان من نتائج ذلك التنافس الاستعماري تعلق جيل أواخر القرن التاسع عشر بالجزائر بفكرة الجامعة الإسلامية التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني، فتتبع تطوراتها من خلال الصحف أو أخبار الحجاج أو العائدين من الحجاز والشام عموما[5]، ففي (1900) وجدت بمنطقة متيجة منشورات شعرية تدعو للجامعة الإسلامية[6]، وعلى إثر ثورتي "عين التركي وعين بسام" (1901، 1906) أصدر الحاكم العام بالجزائر "جونار" منشورا أمر فيه رؤساء العمالات الثلاث بغلق المقاهي، ونفي أو طرد أو سجن، كل مشتبه فيه

[1] ينظر: الأمير عبد القادر الجزائري، **الديوان**، تحقيق وشرح وتعليق زكريا صيام، ص-ص 293-298.

[2] Ali, Merad, «la Turcophilie dans le débat National. », P339

[3] J. Desparmet, « a Turcophilie en Algérie », Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, Volume 22 (1917), P33.

[4] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**..، ج2، مرجع سابق، ص 113

[5] نفسه، ص-ص 114-117.

[6] عامر بن المبروك محفوظي، **تحفة السائل بباقة من تاريخ ميدي نائل**، ط1، مطبعة النعمان، برج الكيفان، الجزائر، ص 124.

من الجزائريين، خوفا من خطر الجامعة الإسلامية، وفي هذه الفترة حلّ وفد قبرصي بأقصى الجنوب الجزائري بدعوى شراء الإبل، ولكنه أخذ يبشر باقتراب حكم سلطان استانبول[1]، وقد كان السلطان عبد الحميد الثاني محبوبا في الجزائر تنتظره الجماهير "كرجل الساعة".

وفي سنة (1906م) زارت باخرة عثمانية ميناء الجزائر، وصعد على سطحها جزائريون وطلبوا بسرعة قدوم السلطان لإنقاذ الجزائر[2]، ويذكر أن خلع السلطان عبد الحميد الثاني (1909م) قد أدهش الجزائريين[3]، مما جعل فرنسا تمنع الحج في 1908، خوفا من وصول أخبار الثورة التركية، وتعتبر زيارة الشيخ محمد عبده الجزائر سنة 1903، مؤشرا واضحا على الإرتباط بفكرة الجامعة الإسلامية وزعمائها[4].

وخلال الحرب الليبية-الإيطالية 1915، برهن الجزائريون على وطنيتهم الإسلامية وولائهم العثماني الإسلامي، حيث شارك علماء الإسلام والنخبة الوطنية في التبرع لتأييد الليبيين والعثمانيين، واهتم الجزائريون بانتصار الترك على الإيطاليين من خلال الإطلاع على الصور التي تحملها الصحافة، كما حدثت مشادات بين الجزائريين والإيطاليين خصوصا في مدن الجزائر، بجاية، عنابة، فضلا عن تعليق منشورات حائطية دعت الجزائريين لمقاطعة الإيطاليين والتظاهر أمام القنصلية في الجزائر والتبرع إلى صندوق المساعدات، التي كانت تمنح للحكومة العثمانية[5]، مع حدوث التقارب الألماني التركي في بداية الحرب العالمية الأولى الذي كان ينذر بإمكانية التخلص من فرنسا.

I. 2. نماذج من تضامن النخبة الجزائرية مع الدولة العثمانية:

I. 1.2. في المهجر:

- الأخوان الأميران "عبد المالك" و"علي" الجزائريان:

عاصر الأخوان الأميران "عبد المالك" و"علي" أحداث المشرق وقضايا المغرب العربي، وآمنا بفكرة الجامعة الإسلامية، وتعلقا بها، وبالجهاد الإسلامي[6] لتحقيق طموحاتهما السياسية، ونظرا لتعلم عبد المالك في الشرق

---

[1] مخطوط **"منة الحنان المنان"**، للديسي، ص 164. نقلا عن: عمر بن قينة، **الديسي حياته وآثاره وأدبه**، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص-ص 114-116

[2] عامر بن المبروك محفوظي، المرجع السابق، ص-ص 120-124

[3] محمد بلقاسم، **الإتجاه الوحدوي**..، المرجع السابق، ص 64.

[4] Ali, Merad, Ibid, P .351

[5] J-Desparmet, « La Turcophilie en Algérie », **Société De Géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord**, 17/02/1916 ; 21 cme Année, p-p 03-04.

[6] سعد الله، وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 1، جانفي 1974، تونس، ص 57.

الأدنى، وتدريبه ونشاطه العسكري في الجيش العثماني –كما سبق وأشرنا– واطلاعه على أبعاد المسألتين الشرقية والغربية[1]، أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كان هذا الأخير، محل تنافس القوى الاستعمارية العالمية، ولكن الدعاية الألمانية–العثمانية نجحتا في ضمه إليها، حتى يفتح جبهة عسكرية لصالحهما في المغرب الأقصى ضد فرنسا، وقد اتفق عبد المالك مع "الكونت دي رابتور" سفير ألمانيا بإسبانيا على خطة العمل، وتعهدت له الدولتان ألمانيا والدولة العثمانية، بتأسيس دولة له في المغرب والجزائر[2] بعد الحرب، وذلك بإعلان الثورة ضد فرنسا، خاصة أنه تأثر بدخول الدولة العثمانية للحرب إذ اهتز وجدانه لذلك[3].

كما ربط "الأمير عبد المالك" نشاطه السياسي بأخيه الأمير علي باشا المتأثر بفكرة الجامعة الإسلامية، والمتعاطف مع الخلافة العثمانية والمعادي للفرنسيين[4]، أما الأمير "علي" فكان عضوا بالمجلس الوطني العثماني ومتحدثا باسم حركة أخيه "عبد المالك" في المغرب الأقصى، وتنقل بين محور "استانبول–جنيف–برلين"، داعيا لمحاربة فرنسا، ومناصرا للألمان والعثمانيين، ومؤيدا لأخيه "عبد المالك"، الذي أعلن نفسه أميرا على فاس منذ مارس(1915)[5]، مثلما أيدت ذلك الدعاية الألمانية منشورات وكالة "وولف"، ودليل ميله للعثمانيين، زواجه من أخت "عزت باشا" حاجب السلطان عبد الحميد الثاني، ومواصلته العمل مع الاتحادين، حيث أصبح رئيسا لفرع "لجنة الاتحاد والترقي" بدمشق سنة (1911)،[6] وذلك لوزنه السياسي التاريخي في بلاد الشام.

وخلال الحرب الليبية–الإيطالية (1911)، قام الأمير علي، مع نجله "الأمير عبد القادر" إلى جانب "أنور باشا"[7]، بالالتحاق بالجهاد في طرابلس الغرب مناصرة لأخيه عباد المالك في مراكش غربا، وكان سبب اختيار الأمير "علي" من طرف الحكومة العثمانية، لكونه أيضا من أبناء المغرب العربي، وشريفا من السلالة النبوية[8]، وبعد القيام بدوره الجهادي في طرابلس وعودته لدمشق، ترأس بها "جمعية مهاجري شمال إفريقيا"، ونوهت به الآستانة، ومع بداية الح.ع.I، انتقل للآستانة واستقر كما في (ديسمبر 1914) واستقبله السلطان "محمد

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**...، ج2، مرجع سابق، ص225

[2] سعد الله، **وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك" ..**، مرجع سابق، ص 54.

[3] محمد خير فارس، **تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912–1939**، دراسات في تاريخ شمال افريقيا، دمشق، سوريا، 1972، ص 105.

[4] عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص 106.

[5] سعد الله، **الحركة الوطنية**..، مرجع سابق، ص228.

[6] P. Bardin, op-cit, p.281.

[7] محمد سعيد الأمير الجزائري، **مذكراتي** ..، مصدر سابق، ص–ص 111–113.

[8] سهيل الخالدي، المرجع السابق، ص 158.

رشاد" ووزير داخليته، ثم أجرى اتصالات مع سفارة ألمانيا، ووجهته اللجنة الإصلاحية الإسلامية وأحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي[1]، فكان يعمل مع الشيخين "صالح الشريف" و"إسماعيل الصفائحي" التونسيين وباقي النخبة المغاربية.

- **أحمد توفيق المدني: 1899-1983:**

مع اندلاع الح.ع.I، قامت سلطات الاحتلال بتكميم أفواه الوطنيين على غرار "أحمد توفيق المدني" الذي سجن في (فيفري 1915)، بسبب مواقفه الوطنية الإسلامية، حينما اتصل بخاله "محمد بوزار "بالآستانة، وكتب موضوعات انتقادية في جريدة "الفاروق "يوم 1914/12/16 بعنوان "بين لجج الهواجس"[2]، وألصق منشورات منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس، وهي نسخ لأناشيد "الشاذلي خزنه دار"[3]، كما استحوذت مصالح المراقبة الفرنسية في بيته على صور للقيصر الألماني "غليوم الثاني" وشخصيات عثمانية ومقالات انتقادية للإدارة الفرنسية، كما صاحب الصحفي التونسي "حسين الجزيري" المعادي للسلطة الفرنسية[4].

وقد ذكر "أحمد توفيق المدي" في مذكراته أن سجنه خلال الح.ع.I، كان بسبب استجابته لنداء الجهاد الذي أعلنه الخلفية العثماني في بداية الحرب، فقد حاول تنظيم انتفاضة مغاربية ضد فرنسا بالتنسيق مع جماعة من التونسيين منهم "الصادق الرزقي"، واتصلوا بأحد زعماء قبائل بني زيد" بالجنوب التونسي، وبالطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة، بهدف مهاجمة الثكنات الفرنسية التي بها أسرى ألمان، وقد كانوا على اتصال بالقائد التركي "نوري باشا" المستقر في منطقة (نالوت) بليبيا، غير أن هذه الخطة باءت بالفشل بعدما كشفتها السلطات الفرنسية في (فيفري 1915)[5].

- **الشيخ صالح الشريف 1862-1920:**

[1] محمد مواعدة، **محمد الخضر حسين، حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1974، ص ص 71-72.

[2] أحمد توفيق المدني، "حياة كفاح"، مذكرات، ج1، في تونس، (1905-1925)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 90-91.

[3] ينظر: نفسه، ص-ص 82-105

[4] محمد بلقاسم، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي..**، ج1، مرجع سابق، ص 29.

[5] نفسه، ص-ص 84-105.

هاجر الشيخ صالح الشريف" إلى الآستانة سنة (1906)[1]، ثم رجع إلى دمشق، حيث عينه السلطان عبد الحميد الثاني مرشدا ومدرسا بها، وكانت له علاقة طيبة مع أسرة الأمير عبد القادر وخاصة مع "الأمير علي باشا[2]، وقد أحدث زوبعة سياسية هناك سنة 1909، حتى أصبحت تعرف (بحادثة دمشق)، وألف فيها سليم الجزائري تأليفا نشره في القاهرة بذلك العنوان، فالمنطقة كانت نشطة بالأفكار القومية والإصلاحية، فأخذ يدعوا إلى التآخي بين العرب والأتراك خوفا على مصلحة الدولة العثمانية، وهذا الحرص منه على التقريب بين العرب والأتراك هو الذي قاده إلى الاختلاف مع الشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار.

وكان صالح الشريف حيويا ومؤمنا بوحدة الخلافة العثمانية[3]، ثم انتقل إلى الآستانة وتقابل مع وزير الحربية العثمانية الذي اصطحبه معه إلى ليبيا حيث كان "أنور باشا" ينظم المقاومة ضد الإيطاليين الغزاة، برفقة "الأمير علي" وابنه "الأمير عبد القادر"، وتعاون مع السنوسيين في ليبيا، فأجابه مجاهدون من تونس ومن الجزائر، ووصل "الشيخ صالح الشريف" إلى برلين رفقة "الأمير علي باشا" أواخر (1914)، إلا أنه لم يلبث أن عاد إلى الآستانة، حيث كلفه الخليفة "محمد رشاد الخامس " بالصلح بين أمراء "أحد" من "آل السعود" و"آل الرشيد" المتصارعين فيما بينهما. ذهب "الشريف صالح" وقابل "الشريف حسين"، ومكث بالمدينة المنورة، وذهب مرتين إلى "نجد" ليقابل "الأمير ابن رشيد"[4]، وواصل "الشريف صالح" جهاده وولاءه للعثمانيين، حيث نصح الاتحاديين بالمحافظة على أركان الخلافة العثمانية، ويبدو أن عمله إلى جانب "أنور باشا" في طرابلس الغرب قد قوى العلاقة بينهما، بحيث ما أن عاد "الشريف صالح" للآستانة حتى أصبح مستشارا بوزارة الحربية[5].

- الشيخ محمد الخضر حسين: 1873-1958

تدعم نشاط المهاجرين الجزائريين بين محور "اسطنبول-برلين-جنيف" خلال الح.ع.I بشخصية الشيخ محمد الخضر حسين" الذي كان يعيش بدمشق، وسجنه الأتراك في (جانفي 1917م/1335هـ) في إطار الثورة العربية، حيث اتهمه "جمال باشا" أنه كان على علم بالنشاط السياسي السري للعرب ضد الأتراك. ولما خرج من

[1] الطيب بن عيسى، حياة الشيخ صالح الشريف، **جريدة الوزير**، عدد: 16-17، 1920/08/02. نقلا عن: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 44.

[2] بيتر هاين، **قومي من شمال إفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى (صالح الشريف التونسي)**، محاضرة بمعهد التاريخ يوم 1985/03/06، ملخص عنها في: مجلة الدراسات التاريخية، تقديم وتعليق: محمد بلقاسم، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع.01، 1986، ص174.

[3] سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، مرجع سابق، ص 144.

[4] محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 44.

[5] يوسف مناصرية، الشيخ صالح الشريف المفكر الإسلامي 1859-1919، **حولية المؤرخ**، إصدار إتحاد المؤرخين الجزائريين عدد 01، 2002، ص 236.

السجن التحق بوزارة الحربية العثمانية، ليتابع التقارير العسكرية والسياسية بين اسطنبول والبلاد العربية، وواصل مع باقي المهاجرين المغاربة العمل على إعداد خطط وطرق دعائية ضد الجيش الاستعماري المحتل للبلدان المغاربية، ثم غادر الشيخ "محمد الخضر حسين" الآستانة وهاجر نحو برلين وصحبة عدد من الشيوخ العلماء أمثال الشيخ "صالح الشريف وإسماعيل الصفائحي"، وبقي ببرلين ينشط في إطار الدعاية الألمانية–العثمانية ضد فرنسا، حتى سقطت الآستانة في يد الحلفاء في (نوفمبر 1918)[1]، ثم التجأ إلى مصر لمواصلة نشاطه السياسي.

I. 2.2. في الجزائر:

تابعت النخبة الجزائرية بمختلف تياراتها واتجاهاتها الفكرية أخبار المشرق العربي، وكانت لها مواقفها وآراؤها حول الأحداث التي كانت تجري هناك، وفيما يلي نسوق بعض النماذج منها:

– الاتجاه الطرقي، محمد عبد الرحمن الديسي (أنموذجا):

كبرت في نفس الشاعر "محمد عبد الرحمن الديسي (1854–1921) مكانة السلطان عبد الحميد الثاني فهزته مناسبة خلعه، ورأى في ذلك ضياع قطب هام من أقطاب الإشعاع الإسلامي، فألف قصيدة في 1912 بين سبب نظمه للقصيدة فقال: ".. أنه بلغنا خلع ذلك الهمام الحامي لبيضة الإسلام وحصل لي وجد عظيم ... حتى نطق بهما اللسان شفقة على الأمة.."[2] واعتبر جماعة (الاتحاد والترقي) أسماء لا تمت إلى مسماها بصلة، لذلك دعا على الغادرين بالسلطان عبد الحميد الثاني بالعقاب الشديد من الله، ثم توعدهم بجني ما زرعوا شرا، وندد بسفالتهم، وتهكم باسم "الترقي" واصفا إياهم بقصر النظر وعدم الإدراك لعواقب الأمور، كما أثنى الشاعر على السلطان في مطلع قصيدته المسماة "الحميدية" التي تتكون من ستة وعشرين[3] بيتا فقال:

ثنـــائي على عبـــــد الحميد حميـــــد وحزنـــــي عليه ما حييـــــــت جديـد

ثم اعتبره "أحسن مدبر لأمور المسلمين وحامي الإسلام" فقال:

وحامي حمى الإســلام بالبيــض والقنــا وتدبير في المعضـــلات شديـــــد

لهذا رأى في خلعه "فجيعة" للمسلمين جميعا فقال:

فيـــا خالـــعيه قد خلعتم بخلعـــــــه قلـــوب جميـــــع المسلميـن فبيدوا

ثم وصل إلى مسألة إكراههم لشيخ الإسلام على الإفتاء بشرعية الثورة على السلطان فقال:

---

[1] ينظر: محمد مواعدة، المرجع السابق، ص 71–72.

[2] عامر بن المبروك محفوظي، **تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نائل**، ط1، مطبعة النعمان، برج الكيفان، الجزائر، ص124.

[3] نقلا عن: عمر بن قينة، **الديسي حياته وآثاره وأدبه**، مرجع سابق، ص–ص 114–116

وأكرهتـــم شيخا فأفـــت تقيـــــة وما قـــال عن صوب الصـــواب بعيـد

لم تخل قصيدة الشاعر من النبرة الهجائية التي خص بها عناصر الاتحاد والترقي الذين تبنوا حياة الغرب في سبيل التقدم ونسوا قدر وقيمة عبد الحميد، فقال:

تسميتمـــو حزب الترقـــي سفـــــاهة وضـــعكم للانحطـــاط بريـــد

وسلطـــــانكم قد كان أكبـــر مصح لـــه عـــدة مرهوبـــة، وعديـد

ونتيجة للاهتمام الذي أولاه السلطان عبد الحميد، للجانب العسكري، ماجه "الديسي" قائلا:

وجنـــــد أجنـــــادا، وأسس نافعـــا وناهيكم خـــط الحجـــاز شهيـــد

ومدح الشاعر في قصيدته، بالقول إن أعمال عبد الحميد ستبقى تذكر فضله، لأنها ذات مقاصد إسلامية، فقال:

فأعماله مبـــــرورة، وقصـــــــوده وتلك تنـــادي، أنـــــه لسعيـــــد

ومهما يكن فقد استطاع الشاعر من خلال القصيدة، أن يعبر عن مشاعره بمدحه للسلطان عبد الحميد، معبرا عن تعاطفه الإسلامي. ونظرا لأهمية القصيدة "الحميدية" شطرها الشيخ " عباد القادر بن إبراهيم المسعدي[1] (ولد في 1888م) في خمسين بيتا[2] ومنها:

ثنائي على عبد الحميد حميـــد وشوقي إليـــه طارف وتليـد

فيا خالعيه قد خلعتم بخلعـــــه لباب الهدى فما سواكم طريد

– التيار الإصلاحي:

إذا بحثنا في موقف التيار الإسلامي الإصلاحي المتعاطف مع العثمانيين والمتأثرين بالحدث، نجد حتما كل من: "عمر راسم" و"عمر بن قدور".

01/ عمر راسم: 1884–1959:

شارك "عمر راسم" بقلمه في الصحافة المكتوبة ليبرز اهتماماته الوطنية والإسلامية، فعند اندلاع الح.ع.I زج به في السجن في 1915/8/6، وحكم عليه بالنفي المؤبد في 1915/11/6 حتى 1921[1]، بسجن

[1] عندما اطلع الشاعر الديسي على القصيدة المشطرة من طرف الشيخ عبد القادر المسعدي، ردّ برسالة بتاريخ 22 شعبان 1331هـ/1912، أشاد فيها بالقصيدة المشطرة واعتبرها بصدق، أرجح من الأصل.

[2] عامر بن المبروك محفوظي، المرجع السابق، ص–ص 120–124.

باربروس، بتهمة التجسس لصالح العثمانيين[2]، ويظهر أن "عمر راسم"، كان حقا من المتعاطفين معهم في إطار تيار الجامعة الإسلامية، ففي مطلع الحرب، ضبطت إدارة البريد الإنجليزي في مصر[3]، رسالة موجهة من الجزائر إلى مدير جريدة الشعب المصرية لتنشرها، موقعة من عدة جزائريين، وأهم ما جاء فيها: "يجب على المسلمين أن يقتدوا بخليفتهم، وألا يعينوا أعداءهم[4]، فوجهت التهمة لعمر راسم بدعوى أن الخط الذي كتبت به الرسالة هو خطه، وما عرف به من كره شديد للاستعمار الفرنسي، وتعاطف قوي مع العثمانيين، يجعلنا نثبت أن التهمة السابقة صحيحة، وما يؤكد هذا الرأي، موقفه المشرف من التجنيد الإجباري في الجزائر، فقد أمر أحد أقربائه واسمه "جمال الدين سفينجه" بإلصاق بيانات على جدران بالعاصمة[5] يكذّب فيها الفتوى التي جاء بها "بيجو"من الشرق بواسطة "ليون روش" التي تدعي أنه يمكن للمسلم أن يحكم من عدوه في الدين، ما لم يمنعه القيام بواجباته الدينية[6].

وفي 1916، كتب راسم مقالا بعنوان: "تركيا واليهود سنة 1916"، يتضح منه اتجاهه الإسلامي، وتعاطفه مع دولة الخلافة الإسلامية، وكشفه لأعمال اليهود خلال العهد العثماني بالجزائر، ودورهم في انهيار دولة الخلافة الإسلامية، ومما ذكره في هذا الشأن، وصفه "مدحت باشا" (1822-1884) بقوله: " فهو ابن هذه الطائفة (الصهيونية المنفذ لأحكامه، وتلميذ لجمعية الاتحاد الإسرائيلي العام..."، وحتى السلطان العثماني "محمد الخامس" اعتبره راسم "آلة يحركها اليهود وعملاؤهم لتحقيق أغراضهم"، وأضاف معلقا عن عملية تنصيب السلطان "محمد الخامس" (1909-1918) قائلا إنما هي: "عملية محكمة الدس والاحتيال فما هور إلا مرآة يحرفون بما أنظار المسلمين عن الصواب، ويذهبون الشك ممن التفت نحوهم..."[7].

ولم يفتأ "عمر راسم" أن نبه لمؤامرات اليهود في قلب الدولة العثمانية، فقال: "إن بقيت دولة الخلافة تحت سلطة "قراصو" وهو ممن خلعوا عبد الحميد، ورئيس حزب الاتحاد اليهودي "جاويد"، و"حقي باشا" بائع

---

[1] محمد، ناصر، **عمر راسم، المصلح الثائر**، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1984، ص 14.

[2] Charles Robert Agéron, **L'Algérie Algérienne** de Napoléon III à De Gaule, la Bibliothèque Arabe, Paris, 1980, P 106 (Note).

[3] سافر عمر راسم إلى مصر سنة 1909.

[4] محمد العابد الجيلالي، **تقويم الأخلاق**، قسنطينة، 1927. نقلا عن: محمد ناصر، **عمر راسم** ..، المرجع السابق، ص33

[5] Agéron (CH. R), OP cité, p.106.

[6] محمد ناصر، المرجع السابق، **عمر راسم** ..، مرجع سابق، ص 34.

[7] نفسه، ص41.

طرابلس، فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود..."[1]، كما يعتبر راسم أول من نبه للخطر الصهيوني في العالم العربي، وأقرّ أحمد توفيق المدني أن جريدة (ذو الفقار) هي أول جريدة عربية نبهت لخطورة الصهيونية[2].

02/ عمر بن قدور الجزائري (1886-1932):

اهتم زميل "عمر راسم بقضايا الإصلاح وحركة الجامعة الإسلامية، من خلال الصحافة وخاصة جريدة "الفاروق"[3] التي اهتمت بأحداث تركيا الدامية، وبعدما صدر منها خمسة وتسعون عددا خلال عامين، منعتها السلطات الاستعمارية عن الصدور، إثر مقال كتبه "بن قدور"، ينتصر فيه العثمانيين ضد الحلفاء[4]، وقد حذره الاستعمار من نشره فأبى، وكان جزاؤه السجن المضيق بالعاصمة، ثم النفي مبعدا إلى عين ماضي بالأغواط مدة خمس سنوات، وإذا كان عمر بن قدور " يتأسف لحالة الإسلام اليائسة، فلم يجد إلا شعره ليعبر به عن ألمه ويبكى به عهد الإسلام الزاهر، فقد جاء في قصيدته " دمعة على الملة"[5]:

أيا قومي ما تحلـــو لقلبي حيـــــاة وقد دوخ (السمحاء) هوا فناهـــا

بكائي عليها لا على الحل والحمـــى وخوفي عليها لا أريد سواهـــــا

أضيعت فضاع المجد منا ولم نكـــن شدادا وقدهم القضـــاء لقاهـــــا

ولما غدت بين اللئام غريبـــــــــــة أهينت بعيث الخائنين فراهـــــا؟

وفي عام 1913 حينما اشتدت المناوشات السياسية بين رجال الدولة العثمانية، ذكر "ابن قدور" الأتراك، بقلب يخفق إشفاقا على مصير دولة الخلافة، فقال: "هكذا قلت لتركيا مرار عديدة، ووقفت معها عند باب كل مأزق تحاول أن تلجه، موقف الناصح الأمين، ثم واصل قائلا: كل مسلم في هذا الوقت قد أصبح رهين الغيظ الشديد وأسير الآلام من مصيبة تركيا... حتى أن المرء ليحسب كأنما القيامة أقبلت... أن هذه الضربة لن تمر كسائر الضربات بل إن وراءها خطرا، والويل للمسلمين من ثالثة الأثافي وما هم عليها ببعيد وإن لم يتفطنوا فيتحدوا". ثم بين الأسباب الجوهرية لنهاية العثمانيين فقال: " ... إن تركيا سلكت ... مسلكا منحرفا ففئة منها تمورت في طلب التمدن العصري ... وطائفة أخرى تحامت ذلك التهور وحاربته بإفراط... فجاء وقت ظهرت

---

[1] محمد ناصر، **عمر راسم** ..، المرجع السابق، ص 44.

[2] ينظر: صالح خرفي، **الجزائر والأصالة الثورية**، مرجع سابق، ص-ص 34-36.

[3] صدرت بالجزائر على مرحلتين (1913-1915)، (1920-1921)، ينظر عنها: محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من (1847-1939)**، ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص 36-37.

[4] لعل سبب سجنه يعود لمعارضته فرنسا دخول المغرب، ومناداته بالوحدة المغاربية في إطار دعوة العروة الوثقى والجامعة الإسلامية، التي نادى بها الأفغاني، ينظر: صالح خرفي، **في رحاب المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص97.

[5] صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري..، مرجع سابق، ص49-50.

فيه جميع مساوئ الشرقيين ... إلى أن أذن الله بخراب القرى وذهاب سلطة آل عثمان[1]؛ وهكذا يبدو لنا "ابن قدور" كمحلل سياسي محنك وملم بالأحداث، عارف بجواهر الأسباب ومتوقع لأعقاب النتائج.

- النخبة المتفرنسة:

حينما دعا السلطان المسلمين للجهاد في 1914/11/21، انقسم الجزائريون حسب ميولهم السياسية، في الاستجابة لنداء السلطان العثماني[2]، ففي الداخل ظهر تيار موالي للسلطة الاستعمارية، وصدّق وعود فرنسا من أن المشاركة معها في الحرب، طريق للتحرر والاستقلال، بينما تيار ثاني فضل الهجرة للمشرق العربي حفاظا على الدين والحرية، وعشية اندلاع الحرب تخوفت السلطات الفرنسية من المجتمع الجزائري، الذي قد يتأثر بالدعاية الألمانية أو التركية خاصة السرية والتي يغذيها أعوان الألمان والأتراك أو دعاة الجامعة الإسلامية أو حتى بعض الجزائريين الفارين من الجيش الفرنسي، الملتحقين بالقوات العثمانية أمثال الملازم "الحاج عبد الله المدعو بوكابوية" الذين لم يترددوا في مناصرة العثمانيين.[3]

أما إذا استفسرنا عن موقف النخبة المثقفة ثقافة فرنسية من العثمانيين، فإنهم اعتبروا العاطفة التركية، رابطة روحية غير سياسية، ولا تلغي ولاءهم لفرنسا، فقد صرح "ابن جلول" أن الولاء الإسلامي الجزائري لفرنسا، متوافق مع التضامن الإسلامي، والإسلام لم يكن في يوم وسيلة تفرقة بين المسلمين ... وسنبقى نشعر دائما أننا إخوة المسلمين آخرين سود وصفر، مثل الكاثوليك الذين يشعرون أنهم أبناء كنيسة واحدة..."[4]، وهذا التصريح يؤكد الولاء الروحي للنخبة الجزائرية الفرنسية اتجاه العثمانيين[5].

II. مواقف النخبة الجزائرية وآراءها في المسألة الشرقية:

II. 1. المسألة الشرقية في اهتمامات النخبة الجزائرية:

تعبّر المسألة الشرقية عن ذلك النزاع الدائم بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية الذي تمتد جذوره إلى غاية بدايات التوسع العثماني في القارة الأوروبية، غير أن مصطلح المسألة الشرقية أصبح متداولا خلال القرن التاسع

[1] مقال "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، لصاحب **الفاروق**، عدد.11، 09 ماي 1913. نقلا عن: محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية**، مج1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978، ص387.

[2] CH.R. Agéron, l'Algérie Algérienne ; P106

[3] محمد ناصر، **المقالة** ..، المرجع السابق، ص 34.

[4] نفسه، ص 41.

[5] لعل سبب سجنه يعود لمعارضته فرنسيا دخول المغرب، ومناداته بالوحدة المغاربية في إطار دعوة العروة الوثقى التي نادى بها الأفغاني. ينظر: صالح خرفي، **في رحاب المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 97.

عشر ومطلع القرن العشرين، للدلالة على كل المشاكل التي أصبحت تتخبط فيها الدولة العثمانية، سواء الداخلية كظهور الحركات الإنفصالية، أو الخارجية المتمثلة في حروبها مع القوى الأوروبية[1].

ونتيجة لمشاعر الجزائريين اتجاه الدولة العثمانية التي كانت في نظرهم رمزاً للخلافة الإسلامية فإنهم كانوا يتابعون أطوار المسألة باهتمام كبير، وعبرت النخبة الجزائرية في المشرق العربي أو حتى من داخل الجزائر عن استيائها العميق لما وصلت إليه الخلافة العثمانية من ضعف وتدهور أنذرت بقرب انهيارها.

كما أدّى إعلان دستور 1909[2]، وخلع[3] السلطان عبد الحميد الثاني من سدّة الحكم إلى ظهور فئتين متصارعتين: فئة "تهورت في طلب التمدن ومحاباة أوروبا (شباب الاتحاد والترقي)، وفئة أخرى تحاشت ذلك التهور وحاربتهم (القوميين العرب)، فالاتحاديون يريدون حكومة دستورية قوية قادرة على التصدي للأخطار الأجنبية بشرط أن تكون مقاليد السلطة في يد العنصر التركي، وهذا ما رفضه القوميون العرب وأخذوا يكونون الجمعيات السرية للانفصال عن الدولة العثمانية، فقد نادت إحدى الجمعيات العربية سنة 1911م: "أن الأتراك هم سبب بؤسنا، إذ أبادوا ثقافتنا، وحالوا دون تقدمنا الاقتصادي .. وها هي جميع الأمم التي انفصلت عنهم تباشر حياة قومية نشيطة[4]، فاختلاف الطائفتين في نظر الجزائريين ومنهم "بن قدور" أدى الى تلاشي فكرة الجامعة الإسلامية، وأتاح الفرصة للتدخلات الأجنبية وقال في هذا الصدد: "...فجاء وقت ظهرت فيه جميع مساوئ الطرفين وعللهم، فضعفت عروة الجامعة بصياح كل زعيم من ناحية وقيام كل ناطق في كل جهة وازدراء كل مسيطر من مزاجه، والاحتلال يدوس النواحي بخيله ورجله، فلم تلبث الأحزاب أن تناكرت والتهت عن الإصلاح وتوانت عن تدارك الخطر..."، لذلك لا سبيل من أجل القضاء على مظاهر الصراع إلا عمل السلطة العثمانية على تحقيق العدالة الاجتماعية بين الشعوب المشكلة للدولة العثمانية، وهذا ما وضحه "ابن قدور" بقوله: "... إن لا وطن العثماني اكتظت فيه الشعوب وتراكمت فيه الجماعات المتباينة في الغايات، والعدالة

---

[1] للمزيد حول جذور المسألة الشرقية يراجع: مصطفى كامل، **المسألة الشرقية**، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دت، ص120.

[2] دستور 1909م: صدر الدستور العثماني أول مرة في عهد السلطان عبد العزيز (1861-1876م)سنة 1876م من طرف الوزير مدحت باشا، ويقوم الدستور على اللامركزيةً في الحكم،والعمل على تحقيق العدالة بين جميع الشعوب التي تعيش تحت ظل الخلافة العثمانية الإسلامية، غير أن عطل في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (**1839-1909**) ليبعث من جديد على إثر الإنقلاب الذي قاده حزب تركيا الفتاة ضد السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908، للمزيد يراجع: البرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م**، ترجمة: كريم عزقول، دار النهار للنشر، دط، بيروت، د ت، ص ص 314-316.

[3] تطلق كلمة الخلع في المصطلح العثماني على إسقاط السلاطين من على العرش، أما العزل فتطلق في المصطلح ذاته على إقالة الموظفين من وظائفهم.

[4] ابن قدور، "مصيبة تركيا في عدم الإعتبار"، المصدر السابق.

تقتضي إيجاد قسطاس مستقيم بين الجميع لإسعادهم دفعة واحدة وتنظيم قوة الحاكمية العامة لإسعادهم..."[1].

ومن بين أهم أسباب ضعف الدولة العثمانية في نظر النخبة الإصلاحية هو الخطر اليهودي، فاليهود كانوا بمثابة اليد التي تنفذ بها القوى الاستعمارية مخطّطاتها، وهذا ما نلمسه بشكل جلي عند "ابن قدور" وزميله "راسم"، ففي مقال بعنوان "بين الشدة واللين بأيهما نعمل"، تعرض "ابن قدور" إلى مختلف دسائس اليهود التي كانت وراء المصائب التي وقعت على العالم الإسلامي، مستدلا في ذلك بشواهد تاريخية من بينها أن زوال "الأندلس" كان بسبب دسائسهم ومكرهم، ويستغرب "ابن قدور" من عدم اعتبار المسلمين من ذلك، وعدم التزامهم بما ورد في القرآن الكريم الذي حذر من مكر اليهود.

ويفسر "ابن قدور" أن سبب ضعف الدولة العثمانية يرجع بالدرجة الأولى الى تسرب عناصر من اليهود داخل الدولة العثمانية، الذين عملوا على إثارة البلبلة والتحريض ضد السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني"، ومما قاله عن اليهود: "...إننا معشر المسلمين لم نقع في مصائد التهلكة الحالية إلا بمساعي اليهود أعدائنا بصريح القرآن، لقد اختلسوا منا ثروتنا لأنهم يبغضوننا، ومهما تحركوا أو سكنوا إلا وأضروا بمسلم أو بمسلمين... ويا للعجب أن التاريخ يتلو علينا الآيات البيّنات ويحذرنا من دسائس اليهود ذلك العدو الألدّ، وعلماؤنا وجهّالنا وصناعنا وتجارنا يعاملونهم بالإحسان...، إن هذه تركيا التي مثلت دولة الإسلام بعد دولة الخلفاء الراشدين، ودولة الشرق العظمى ما ضعفت وذهب شأنها إلا لما سلمت أمورها إلى دهاة من اليهود أم خلفائهم مثل (مدحت)[2] الذي أعلن حرب 1878م التي أعقبها اضمحلال تركيا، (وحقي)[3] الذي باع طرابلس لإيطاليا، وهذا (جاويد)[4] الذي ملأ جيبه من ذهب الأمة الإسلامية المسكينة، و(كامل)[5] وطلعت، وآخرون..."[6]، ونفس الطرح نلمسه كذلك عند "راسم" الذي عرف بمقته الشديد لليهود الذين كانوا حسبه وراء كل بلاء يصيب المسلمين، فأغلب المشاكل التي تعرفها الدولة العثمانية في نظره كانت بسبب تمكن عناصر يهودية من دواليب السلطة العثمانية، فالتاريخ يبين لنا يقول راسم: "...أن ما من أمة أنعمت على اليهود بالحرية إلا

[1] ابن قدور، "مصيبة تركيا في عدم الإعتبار"، المصدر السابق، ع12، 16 ماي 1913.

[2] المقصود الوزير مدحت باشا واضع الدستور.

[3] حقي كامل باشا: كان سفير تركيا في روما ثم عين رئيسا للوزراء في عهد الحكومة الدستورية الجديدة (1863- 1918)، وقد كانت تربطه صداقة شخصية مع إيطاليا لذلك اتهم بالتواطؤ معها أثناء احتلالها لليبيا، ينظر: خرفي، "صحافتنا والصهيونية"، **مجلة الثقافة**، ع 01، مارس 1971، ص 119.

[4] هومن أبرز أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وقد كان وزيرا للمالية، ينظر: نفسه، ص 120.

[5] ترأس الوزارة التركية بعد إعلان الدستور غير أنه لم يلبث فيها أكثر من شهر، ينظر: نفسه.

[6] بن قدّور، "بين الشدة واللين بأيهما نعمل"، **الفاروق**، ع02، 07 مارس 1913م.

ابتلعوها ومحوها من خريطة الأمم..."[1]، فانقسام الدولة العثمانية وانفصال بلغاريا وصربيا واليونان وطرابلس في نظر "راسم" كان نتيجة لأعمال اليهود إما بواسطة أوروبا أو بسبب دسائسهم الداخلية، "وإن استمر الحال وبقت دولة الخلافة تحت سلطة كارسو وجاويد وحقي بائع طرابلس فلاشك أن تقع الدولة في مخالب اليهود يوما ما[2]، ويبدو أن موقف النخبة الإصلاحية في مطلع القرن العشرين من اليهود نابع من معاناتهم وبقية الجزائريين من دسائسهم، فقد حملوا مسؤولية الحملة الفرنسية على الجزائر، بالإضافة إلى سيطرتهم على منابع الثروة إلى جانب المعمرين خاصة بعدما تمكنوا من الحصول على الجنسية الفرنسية بموجب قانون "كريميو" سنة 1871م، وهذا ما يفسر نوعا ما مبالغة "ابن قدور" لما قال: "... إن الذين يحاربون المستعمرين في بلادنا قد أخطئوا مهما كان لهم الحق، وذلك لأنهم حاربوا أقرب الناس إلينا بنص القرآن وإن صحت دعواهم بأن المستعمرين أضروا بنا فليس ثم من يغريهم بنا إلا الشعب المستحوذ على مفاتيح الاقتصاد والثروة في بلادنا وفي بلاد الغير وهو شعب إسرائيل[3].

وإن اطّلاعنا على أدبيات النخبة جعلنا نستشف بأن "عمر بن قدور الجزائري" كان تقريبا الوحيد الذي غاص في أغوار المشكلة العثمانية، فإلى جانب الصراع بين الاتحاديين والقوميين ودسائس اليهود هناك سبب آخر أشد خطورة، وهو ظهور الحركات القومية الإنفصالية، والحروب الخارجية التي كانت تخوضها الدولة العثمانية ضد الدول الأوروبية خاصة ضد روسيا. ومن بين الأزمات التي كان "ابن قدور" يتتبع أحداثها الأزمة البلقانية[4]، حيث اهتم بهذه الحرب منذ أن كان مراسلا لجريدة "الحضارة" في الأستانة، واعتبرها هزة كبيرة أصابت عرش الخلافة العثمانية الإسلامية، وأنها نتيجة حتمية لضعف الدولة وصراعاتها الداخلية، خاصة بين العرب والأتراك، فذلك أيقظ الشعور القومي لدى البلقانيين وأصبحوا ينادون بالانفصال[5]، كما أن اختلال موازين القوى بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي جعل هذا الأخير يسعى إلى تجريد الدولة العثمانية من ممتلكاتها، خاصة في

[1] عمر راسم، "الجزاء من جنس العمل"، **مرشد الأمة**، 5 ديسمبر 1909.

[2] **الحق الوهراني**، ع 44، 8-11 أوت 1944.

[3] ابن قدور، " بين الشدة واللين "، المصدر السابق.

[4] لقد عرفت الدولة العثمانية في أواخر عهد السلطانً عبد العزيزً (1861- 1871م) مشاكل خطيرة أهمهاً الحرب البلقانيةً حيث أعلنت كل من " الهرسك والصرب والبلغار" الثورة بهدف الانفصال عن الدولة العثمانية، ورغم أن العثمانيين قد أرسلوجيشا بقيادة " عثمان باشا " الذي حقق انتصارات كبيرة على الثائرين، الا أن هذه الانتصارات لم تدم طويلا خاصة في عهد السلطان " عبد الحميد الثاني"، وذلك بعد أن أعلنت روسيا الحرب ضد الدولة العثمانية، باعتبار أن روسيا كانت ترى نفسها مرجعا ووريثا شرعيا للأمم " السلافية" سيما " الارثدوكسية" منها، للمزيد عن الأزمة البلقانية. ينظر: شكيب أرسلان، **تاريخ ابن خلدون، ملخص الجزء الأول**، تحقيق محمد علال الفاسي، دط، المكتبة التجارية، فاس، المغرب، 1936، ص 312.

[5] **الفاروق**، ع11، 09 ماي 1913م.

شرق أوربا، وهذا ما وضحه في قوله: "...إن فضيلة الغاية والجبروت هي الهيمنة على كل ما يقع في عالم السياسة، وإنما هي المظاهر التي تختلف معها الإصلاحات والتعابير، ولما كانت الدولة العثمانية ضعيفة الحول أوجدوا أمامها سدا دون التشبث بأسباب الفضيلة، ومن ثم جردوها من حق السيطرة على الشعرب المسيحية بدعوى أن حكم الإسلام خطر..."[1].

ويتأسف "ابن قدور" لضياع ممتلكات الدولة العثمانية في شرق أوروبا، ويعتبر أنه إلى جانب الضعف والتهاون في حفظ حدود الدولة، هناك سبب آخر وهو حزب "تركيا الفتاة" الذي بالغ في محاكاة أوروبا وتبني نظمها أفكارها خاصة الأفكار القومية، التي أدت بالشعوب المشكلة للدولة العثمانية إلى المطالبة بالاستقلال، وفي ذلك يقول: "...لقد كان العثمانيون في البلقان أصحاب الأريكة والعرش، وقد كان الضعف من كثرة تهاونهم وتعدد هفواتهم يجذبهم نحو الحضيض، فلم تلبث نخبة من فتيتهم أن هامت بالقوة شغفا وراحت تكشف عن ساقها، وخيل لها أن الغرب سيبتهج لما تبديه وينشرح لما تحويه... فامتلكت تلك النخبة أزمة الأمور، فخلعت وبايعت..."، لذلك وجد الغرب"أركان الشرق واهية"، فعمل جاهدا على إنهاء التواجد العثماني في المنطقة، وهذا بعدما "احتمت مذاهب السياسة القومية في البلقان، وتصادمت وأحدثت شررا[2].

ويعتبر "ابن قدور" أن من أعظم النتائج الوخيمة لهذه الحرب هو وقوف الدول الأوروبية على هاوية الحرب نتيجة تضارب مصالحها في منطقة البلقان، حيث قال: "... إن ذلك التصادم الذي حصل في البلقان بين المذاهب السياسية الغربية، لم يلحق الضرر بتركيا فقط، بل هدد العالم المتمدن بأسره بالبوار والخسران..."[3].

ونتيجة لما تكتسبه هذه الحرب من أهمية فإن "ابن قدور" كان حريصا على تتبع مجرياتها وحوادثها من خلال ما يكتب عنها في مختلف الجرائد، ويعيد نشره في جريدة "الفاروق" تحت عنوان: "الحرب البلقانية نقلا عن الصحف المشرقية"؛ ولمدة أربعة أشهر كاملة كان يزين جبين فاروقه ببيت شعري، يبين من خلاله موقفه من الحرب البلقانية إلى أن شكل قصيدة طويلة بعنوان "حرب البلقان"[4]، وأهم ما جاء فيها هو اعتباره بأن منطقة البلقان إرث ثقافي وحضاري للمسلمين، وأن مسؤولية ضياعه تقع على عاتق المسلمين الذين تهاونوا في حفظه، وفتحوا الباب أمام القوى الأجنبية للتدخل في شؤون المنطقة، وهذا ما نلمسه في قوله:

قد أضرم البلقان حربا إنه لتراث قوم أهملوه وماتوا

---

[1] ابن قدور، " التصادم السياسي"، **الفاروق**، ع 18،21 جويلية 1913.

[2] ابن قدور،" مسالم الأمم ومزالقها "، **الفاروق**، ع 22، 25 جويلية 1913.

[3] نفسه.

[4] القصيدة منشورة كاملة في: صالح خرفي، **الشعر الجزائري الحديث**، د.ط، ش. و. ن . ت، الجزائر، د.ت، ص 445.

أحواله تعني ذويه وإنمـــا أحوالنا رزء ونحن جناة.[1]

ويتفق صاحب جريدة "النجاح" "عبد الحفيظ ابن الهاشمي" مع طرح بن قدور ونظرته إلى المسألة الشرقية، خاصة فيما يتعلق بمسؤولية "حزب الاتحاد والترقي"، وتبنيه لسياسة "التتريك"، وإبعاد كل العناصر المشكلة للدولة العثمانية فهذا –حسب ابن الهاشمي– أثار حفيظة البلقانيين خاصة الألبانيين، وجعلهم سنة 1912 يتمردون على الدولة، وكان بإمكان العثمانيين أن يحلّوا المشكلة بطريقة سلمية، ويعملوا على استمالة الألبانيين، غير أنهم يقول "ابن الهاشمي": "...ولما أحست تركيا بأن ذلك الثغر ثارت ثائرته أرسلت إليه (جاويد باشا) و(طرغود باشا) لمقاومة الثائرين، وقمع المتمردين، وهنا أخطأت الحكومة التركية في سياستها..، وعند ذلك وجدت دول البلقان فرصة سانحة ضد تركيا، فهمست في آذان ألبانيا بأن تكفل لها أمانيها، وتصدت إلى مقاتلة تركيا، إلى أن كانت العاقبة انسحاب تركيا من تلك البلاد الخصبة التي حسدتها عليها شعوب الاستعمار، فانصرفت عنها وهي غير راضية..."[2].

وإلى جانب اهتمامات "ابن قدور" و"راسم" و"ابن الهاشمي"، تطلعنا كذلك "جريدة الصديق" تحت عنوان "المسألة الشرقية" مطامع إنجلترا وسياسة فرنسا" لكاتب لم يفصح عن نفسه، عن مدى فهم النخبة للمسألة الشرقية، فترى بأن اختلاف النظر بين القوى الأوروبية حول المسألة خاصة بين فرنسا وبريطانيا، سببه الرئيسي هو أطماعها في المنطقة، خاصة بريطانيا، لأن الإنجليز، حسب ما جاء في المقال: "متأسفون جدا"، حيث أنهم لم ينالوا من الشرق الأدنى إلا نحو الربع من مرادهم، وليس لهم الآن غرض سوى حفظه من الضياع فقط"[3]، أمّا مسألة تمكّن المسلمين من تجاوز حالة الضعف والانحطاط وقدرتها على التصدي للمخططات الأجنبية فهو في نظر النخبة الجزائرية بكل اتجاهاتها يكمن في الجامعة الإسلامية، التي تعلقت آمالها النهضوية بها.

II. 2. موقفهم من حركة الجامعة الإسلامية:

كثيرا ما كان يشير ابن قدور لفكرة الجامعة الإسلامية بمصطلح القومية الإسلامية ولكن في الواقع هي فكرة منافية تماما للفكرة الجوهرية التي تقوم عليها الجامعة، باعتبار أن القومية لا تقوم إلا على أساس عرقي أو لغوي فقط.

[1] **الفاروق**، مصدر سابق، ع 20، 11 جويلية 1913.
[2] ابن الهاشمي، في بلاد البلقان، **النجاح**، ع 165، 4 جويلية 1924م.
[3] **الصديق**، ع 50، 20 فيفري 1922.

وقد أشرنا سابقا إلى أن النخبة الجزائرية آمنت في وقت مبكر بفكرة "الجامعة الإسلامية" التي دعا إليها "الأفغاني" وتلميذه "محمد عبده"، وتبناها السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني" ليحقق أهدافا سياسية، باعتبار أن "الجامعة الإسلامية" تقوم على اتحاد المسلمين وانضوائهم تحت لواء خلافة إسلامية، واعتقدوا أن "عبد الحميد" الرمز الروحي والسياسي لهذه الحركة، والحقيقة أن الفكرة الجوهرية التي تقوم عليها "الجامعة الإسلامية" أو القومية الإسلامية، لم تكن غريبة عن الجزائريين الذين كانوا حسب "سعد الله" السابقين إلى تبني الفكرة بهدف التصدي للاستعمار الغربي، لذلك بعد ظهور هذه الحركات انتشرت بين الجزائريين في وقت مبكر، ويظهر هذا من خلال الأشعار الشعبية التي كانت تروج لفكرة الجامعة، وتتغنى ببطولات العثمانيين في حرب القرم،[1] كأشعار "محمد بن اسماعيل"، وكذلك "محمد السعيد" سنة 1897م[2]، فتسرب فكرة الجامعة الإسلامية إلى الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر ودعوتها إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي أدى إلى قيام بعض الثورات والانتفاضات الشعبية المسلحة مثل ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1906)، التي كانت من أطول الثورات في الجزائر وتزامنت مع بعض الثورات مثل ثورة الشيخ "المهدي"[3] في السودان، وثورة "أحمد عرابي" في مصر، حيث تشير الكثير من المصادر التي تناولت ثورة بوعمامة إلى دور الجامعة الإسلامية في تأجيج الثورة[4]، فبعد وصول "عبد الحميد الثاني" إلى عرش الخلافة وتبنيه لسياسة الجامعة الإسلامية، وتأسيسه لعدة لجان لها، انظم إليها الجزائريون المهاجرون، ومما لاشك في أنهم كانوا يطلعون أهلهم بأخبارها من خلال مراسلاتهم، وظهر هذا من خلال الأشعار والمنشورات التي ضبطت في متيجة تدعو الجزائريين إلى تبني مشروع الجامعة الإسلامية[5].

---

[1] حرب القرم (1853- 1855م): هي الحرب العثمانية الروسية في شبه جزيرة القرم، وتسمى بحرب الشرق أوالقرم أو"سباستبول"، نسبة الى المدينة التي حاصرها الفرنسيون والإنجليز أثناء هذه الحرب، وقد كان النصر حليفا للعثمانيين بسبب التضامن الاسلامي من جهة، وتحالف كل من فرنسا وبريطانيا معها من جهة أخرى، للمزيد ينظر: عمر طوسون، **الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم 1853-1855م**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص 03 وما بعدها.

[2] سعد الله، **الحركة**....، ج 2، مرجع سابق، ص 109.

[3] لا ندري كيف ولماذا ربط سعد الله الثورة المهدية بالجامعة الاسلامية، ولكن يبدو أنه اعتقد بأنها كانت ضد الانجليز، غير أن واقع الثورة المهدية التي قادها الشيخ المعروف بـ (أبا) وهو "محمد أحمد بن عبد الله"، الذي لقب بأنه مهدي الله المنتظر سنة 1881م، أنها كانت ضد التواجد المصري التركي في السودان الذي كثرت مفاسده واستمرت 1881 إلى غاية 1885م بنجاح الشيخ المهدي وجلاء الأتراك، بينما خضوع السودان للإحتلال الإنجليزي كان سنة 1898م، للمزيد ينظر: صالح محي الدين، **وقفات في تاريخ السودان**، ط2، دار مكتبة الهلال، السودان، 1995م، ص 149. وكذلك: ب. م. هولت، **المهدية في السودان 1881- 1898**، تر: جميل عبيد أحمد عبد الرحيم مصطفى، د.ط، دار الفكر العربي، لبنان، د.ت، ص 09-10.

[4] امحمد دراوي، **قضايا المجتمع الجزائري في اهتمامات النخبة الإصلاحية 1900-1920**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر 2، 2015/2014، ص 84.

[5] سعد الله، **الحركة الوطنية** ..، مرجع سابق، ص 113.

ومن مظاهر تبني النخبة الجزائرية لفكرة لجامعة الإسلامية، نشاط "خوالدية صالح" (صالح بن سعيد عمر الخالدي الحسيني)[1]، الذي أشرنا إليه سابقا، الذي أسس "جمعية الإتحاد الإسلامي" سنة 1906، دعا من خلالها المسلمين إلى الإتحاد في إطار الجامعة الإسلامية للتصدي لمخططات الغرب التي تهدف إلى القضاء على العالم الإسلامي، ففي البيان الذي أصدره يوم 01 جانفي 1906، اتهم أوروبا بانتهاج سياسة تهدف إلى تلاشي العالم الإسلامي"[2]، وحسب تقرير "مصالح الصحافة العربية" فإن "خوالدية" تردد على كثير من الأقطار العربية مثل تونس، وبنغازي في ليبيا، أين اتصل بالسنوسيين لبث فكرته، كما زار القسطنطينية ومكث بها شهورا، أين استضافه السلطان العثماني "عبد الحميد"، والظاهر أن سبب زيارته تتمثل في التباحث مع السلطان العثماني لإيجاد السبل الكفيلة لتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية عمليا، والتصدي لمخططات فرنسا وبريطانيا التي تعمل جاهدة من أجل "تلاشي الرابطة الإسلامية"[3].

كما تصدى "خوالدية" لطروحات القوميين العرب ذي الأصول المسيحية، التي كانوا يدعون من خلالها إلى انفصال العرب عن دولة الخلافة، من بينهم "نجيب عازوري"[4] الذي نشر سنة 1905م كتابا بالفرنسية تحت عنوان "يقظة الأمة العربية"، اعتبر فيه أن الأتراك سبب خراب العرب المتفوقين عليهم –على حد قوله– في كل شيء، لذلك حرضهم عن الانفصال عن العثمانيين وتكوين دولة عربية مستقلة متكونة من سوريا والعراق ولبنان وفلسطين، على أن تكون الحجاز مقرا لخلافة إسلامية عربية، فاعترض "خوالدية" على هذه الدعوة، متهما "عازوري" بالعمالة لبريطانيا، والتحرك لصلحها، وصرّح علنا بأن مقر "اللجنة العربية" يوجد في مقر وزارة الخارجية البريطانية، فهدف "عازوري" حسب ما ذكره "خوالدية" هو مناهضة سلطان تركيا في لقب أمير المؤمنين، متسائلا في ذات الوقت عن تدخل "عازوري" وهو مسيحي في قضية تعتبر من أعقد قضايا المسلمين،

---

[1] صالح بن سعيد عمر الخالدي الحسيني: المدعو"خوالدية صالح"، أصله من مدينة قالمة، ولد حوالي سنة 1876، لأنه في سنة 1906، كان في سن العشرين من عمره، تخرج من ثانوية قسنطينة في 28 ديسمبر 1905، ربطته علاقات صداقة مع الكثير من أصدقاء الأهلي مثل (روزي)، وهوحسب الكاتب المصري خليفة أفندي، الذي وصفه في جريدة المؤيد سنة 1906 بقوله: "شاب شجاع، زار كل الأقطار الأوربية، وعبر الصحاري الإفريقية والعربية، وأقام أشهر كثيرة في القسطنطينية، أين كان ضيفا على السلطان. للمزيد عن نشاطه، ينظر: مختلف التقارير في:

-**A**.**N**.**O**.**M**, GGA1F6.

[2] Ibid.

[3] Ibid.

[4] نجيب عازوري (ت 1916م): هومن مسيحي لبنان، ويعتبر نجيب عازوري من رواد القومية أسس سنة 1904 حزبا قوميا عربيا أطلق عليهً جامعة الوطن العربيً، وفي باريس أصدر مجلة أطلق عليها اسمً مجلة الاستقلال العربيً ما بين 1907– 1908م، ونشر عدة مقالات في الصحف الفرنسية، ثم انتقل الى مصر واشتغل في الصحافة التي كان يدعومن خلالها الى القومية العربية، للمزيد حوله وحول مرتكزات فكره القومي راجع كتابه: نجيب عازوري، **يقظة الأمة العربية**، تر: أحمد بوملحم، د.ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ص 20 وما بعدها.

فمن حق علماء المسلمين فقط تقرير هل أن الخلافة من حق الأتراك أم لا، وهل أن أمير المؤمنين الحالي أهل للمنصب الذي يشغله أم لا، كما لهم وحدهم –وليس للسياسيين الغربيين– تقرير إمكانية تغييره أم لا"، وفي نهاية احتجاجه دعا "خوالدية" الشعبين الجزائري والتونسي إلى عدم الانسياق وراء "اللجنة العربية" التي يمثلها "نجيب عازوري" لأن مبادئها ستؤدي إلى سقوط المسلمين في هاوية سحيقة[1].

وإلى جانب "خوالدية" فقد كان "أحمد توفيق المدني" من بين الداعين إلى تبني حركة الجامعة الإسلامية، فتشير الوثائق التي ضبطتها الشرطة الفرنسية في بيته، والتي كانت سببا في اعتقاله سنة 1915م –كما أشرنا سابقاً– عن وجود علاقات بينه وبين السلطات العثمانية في استانبول وهي عبارة عن مراسلات، وبطاقات مرسوم عليها العلم العثماني وبها الخاتم الرسمي للدولة العثمانية، ومن بين ما ضبط عنده منديل أحمر مرسوم عليه رسوم لشخصيات عثمانية دستورية مهمة وهم: أحمد رضا بك، أنور بك، نيازي بك، كمال بك، يتوسطهم مدحت باشا الذي يعلوه العلم العثماني (نجمة وهلال)[2]، ورغم الظروف التي كابدها "المدني" في السجن، إلا أنه ظل مؤمنا بفكرة الجامعة الإسلامية التي قال عنها: "... لا يريد المسلمون الجامعة الإسلامية لاتخاذها آلة حرب، وخراب وتدمير، بل يريدونها ويسعون إليها لتكون لهم وسيلة تعارف، واتصال ورقي وعمران، يريدون جامعة إسلامية أخلاقية توطد دعائم الاتحاد والتآلف بين المسلمين حول مركز الخلافة العظمى، لا جامعة إسلامية حربية تجعل العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه إمبراطورية واحدة لا يمكن أن تتألف ولو في عالم الخيال..."[3].

وإن كان كل من "خوالدية" و"المدني" قد دعيا إلى الجامعة الإسلامية في استانبول وتونس، فإننا في الجزائر نجد من آمن بفكرة الجامعة الإسلامية في وقت مبكر ودعا إلى ضرورة تطبيقها على أرض الواقع من بينهم "راسم" و"عمر بن قدور الجزائري": أما راسم فقد كان ينظر إلى العالم الإسلامي "كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[4]، وأجزاء العالم الإسلامي اليوم مريضة ومصابة بداء الجهل والاستعمار، ولا سبيل للخروج من هذه الوضعية إلا بواسطة التضامن الإسلامي في إطار الجامعة الإسلامية، فكثيرا ما كان راسم في مقالاته العديدة التي ينقلها عن الجرائد المشرقية يبين أهمية الوحدة، كالمقال الذي نقله من جريدة "الهلال المصرية"، ونشره في "الحق الوهراني" تحت عنوان "الجامعة الإسلامية"، ومما جاء فيه

[1] التليلي، المرجع السابق، ص 115-116.

[2] EL Madani, In: **A.N.T**, op-cit.

[3] ناصر، **المقالة الصحفية**..، ج1، مرجع سابق، ص 173.

[4] ساحل، المرجع السابق، ص 179.

أنه من الواجب على العقلاء المسلمين عقد المؤتمرات، وإنشاء الصحف والمجلات، وإرسال المبشرين لهذه الغاية الشريفة عملا بتعاليم دينهم الحاثة على التضامن، وحسب المقال فإن "أكثر المسلمين مسؤولية للقيام بهذا الواجب المقدس هي دولة الخلافة فإن ذلك يفيدها في دينها ودنياها"[1].

وما يدل على نجاعة الجامعة الإسلامية حسب ذات المصدر تأثيرها في نفوس جميع المسلمين من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، الذين تحركوا دفعة واحدة للوقوف إلى جانب الدولة العثمانية في حربها ضد إيطاليا[2]، والجامعة الإسلامية أو الإتحاد الإسلامي أو الأخوة الإسلامية ...، وهي كلّها مصطلحات في نظر صاحب المقال لمعنى واحد، فهي جامعة إنسانية راقية لا حدود لها لا تفرق بين جنس وآخر ولا بين لسان ولسان، ولا بين لون وآخر، بل أن الجميع متساوون، لا فرق بين أمير وفقير ولا بين الملوك والصعاليك إلا بالتقوى والتنافس في الخيرات"[3].

أما بالنسبة "لابن قدور" فالمستقرئ لكتاباته سواء في الصحافة العربية أو الصحافة الجزائرية، يستشف مدى تعلقه بفكرة الجامعة الإسلامية التي جعلها إحدى المبادئ التي تقوم عليها جريدته "الفاروق"، وهذا ما أكده في افتتاحية السنة الثانية للجريدة، حيث قال: "... هي المبدأ الخامس من مبادئ الجريدة وأعني بها قضية الوحدة الإسلامية أي وحدة الإحساسات الروحية التي تربط ثلاثمائة مليون نسمة يتمسكون بمبدأ القومية[4]، ويتوجهون إلى قبلة وحدة في صلاتهم..."[5]، كما يرى "ابن قدور" أن الاتحاد واجب خاصة في زمن التكالب الأوروبي الاستعماري على العالم الإسلامي، وفي اعتقاده كذلك أن الاتحاد يمكن المسلمين من الرقي والنهوض، ويجعلهم قادرين على التصدي للعدو ومطاردته، حيث قال: "... إن نتيجة الاتحاد خاصة وعامة فأما الخاصة فمنها منفعة عظمى وسعادة فضلى توصل إلى نيل المبتغى مهما كان صعبا عسيرا وأما النتيجة العامة فأقل خواصها أن يكون كل فرد من الشعب آخذا بيد صاحبه ومعاونا له على مطاردة العدو فكأن الشعب بنيان مرصوص وبهذا وذاك يسهل على الأمة التي تتصف بالاتحاد الوصول إلى ميدان السعادة في حين يضل عنه غيرها..."[6].

---

[1] **الحق الوهراني**، ع 44، 11/ 18 أوت 1912.

[2] نفسه.

[3] **الحق الوهراني**، ع 42، 27 جويلية / 3 أوت 1912.

[4] كثيرا ما كان يشير ابن قدور لفكرة الجامعة الإسلامية بمصطلح القومية الإسلامية ولكن في الواقع هي فكرة منافية تماما للفكرة الجوهرية التي تقوم عليها الجامعة، باعتبار أن القومية لا تقوم إلا على أساس عرقي أولغوي فقط.

[5] ابن قدور، الفاروق بعد حول، **الفاروق**، ع 51، 16 مارس 1914.

[6] ابن قدورً الشعور الإسلامي في الجزائرً ، **اللواء المصرية**، ع 1954، 06 فيفري 1906م، نشر وتعليق: خرفي، الثقافة، ع 07 مارس 1972م، ص 118.

وفي نظره أنه لما كان المسلمون متحدين كان بأسهم شديدا، ولكن نتيجة الجهل، ونتيجة السياسة الاستعمارية في العالم الإسلامي تلاشت هذه الرابطة، فقال: "...إن الجهل قد قضى على قبل أن تقضي السياسة..، فلما جاءت السياسة الغربية أيدت هذا الحكم واستعملته أداة لنيل أغراضها، فانبث الشقاق بين الأقوام الإسلامية..."، وذلك لأن هذه الأفكار والتشوفات الوحدوية "تفزع أوربا وتعتبرها تشوفات عدوانية ضدها"[1]، لذلك حاول أن يشير إلى أنها "تشوفات أساسية للتمدن والعمران"، واعتبر أن الوحدة الإسلامية "كالوحدة المسيحية مضمونها تضامن الإحساسات المليّة والقومية وليس في هذه الإحساسات خطر على المدنية العصرية كما يتوهم رجال الغرب، ولبلوغ هذه الغاية سيعتني (الفاروق) بكل ما يمس بالشعوب الإسلامية وينشره تحت هذا العنوان (العالم الإسلامي)"[2].

لقد انطلقت دعوة "ابن قدور" إلى "الوحدة الإسلامية" من الشريعة الإسلامية، حيث يرى بأنها حثت على الوحدة والتعاون والتضامن والتآخي "قبل أن تحث على الصلاة والصوم"،[3] وكذلك من الواقع المخزي للمسلمين الذي يتميز بالانحطاط وسيطرة الأجانب، نتيجة انقسام العالم الإسلامي إلى دويلات أو "عصبيات عرقية وجنسية"[4]، أما تصوره "للقومية الإسلامية"- كما كان يسميها- فهي نفس تصورات "الأفغاني" لفكرة "الجامعة الإسلامية"[5]؛ فالقومية الإسلامية في نظر "ابن قدور" هي الرابطة التي تربط جميع المسلمين دون أي اعتبار جنسي أو لغوي أو عرقي، فهي رابطة تربط المسلم بأخيه المسلم "وإن كان إحداهما بأقصى الشرق والآخر بأقصى الغرب"[6]، وهذا ما وضحه في قوله: "... لقد قلت أن القومية التي خلفها لنا أسلافنا الكرام هي القومية الكامنة الآن في قلوبنا وأعني بها القومية الإسلامية المحضة لا العربية ولا التركية ولا البربرية لأن تلك القوميات وإن كانت محرزة على نوع من الاستقلال إلا أنها لا تبث أن تمتزج بالقومية الروحية إن لم تتعرض لها موانع أجنبية أو صوائر (هكذا) اجتماعية..."[7].

---

[1] ابن قدور، دان النهوض ولم يدن، **الفاروق**، المصدر السابق.

[2] ابن قدور، دان النهوض ولم يدن، **الفاروق**، المصدر السابق.

[3] نفسه، ع 15، 06 جوان 1913.

[4] نفسه، ع 16، 12 جوان 1913.

[5] للاطلاع على مفهوم "الجامعة الإسلامية" عند جمال الدين الأفغاني، وعند بعض رواد الإصلاح الديني في العالم العربي والإسلامي راجع دراسة: قنان، "نظرة حول حركة الإصلاح الديني الإسلامي والجامعة الإسلامية خلال القرن التاسع عشر"، **المصادر**، ع 11، السداسي الأول، 2005، ص 43 وما بعدها.

[6] ابن قدور، "دان النهوض ولم يدن"، المصدر السابق.

[7] ابن قدور، معضلات اليوم والغدً ، **الفاروق**، العدد 03، 11 مارس 1913.

وقد أرجع "ابن قدور" سواد السلف خاصة في عهد الخلفاء الراشدين إلى فهمهم العميق لمفهوم الوحدة، أما مسلمو اليوم، فلم يتمكنوا من فهم هذه "الرابطة الجليلة" التي وصفها بقوله: "... لو علمنا نبذة منها أو علمنا أو عملنا بها لما وصلننا إلى الحضيض الذي فيه نقوم ونقعد كالذي يتخبطه الشيطان من المس..."[1]، ويرى "ابن قدور" بأنه في ظل المشاكل التي يعيشها العالم الإسلامي، لا يصح للمسلمين أن ينزعوا إلى تلك "العصبيات الممقوتة"، وهذا ليس "لأن الدين ينبذها فقط بل لأننا منها لاقينا المحن الشديدة".

فأغلب المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي سببها "علّة اللاّ تضامن" بين المسلمين، لذلك صار العالم الإسلامي أجزاء مفتتة، ولولا رجال قدروا التضامن قدره لأودت بها تلك العلة دفعة واحدة، حيث لا يبقى للإسلام ذكر بين الآخرين"[2]، لهذا دعا "ابن قدور" إلى ضرورة إعادة بعث "القومية الإسلامية" من جديد، ذلك لأنها تمكن المسلمين من إعادة أمجادهم الغابرة، وبواسطتها يستطيعون حماية حيزهم القومي الذي يكاد أن يتلاشى تحت حكم الحوادثً [3].

ويحاول "ابن قدور" أن يسيّر بمشروع الجامعة الإسلامية بخطوات عملية نحو التطبيق لذلك دعا من خلال مقال نشره في جريدة "الحضارة" التركية بعنوان "إلى حملة الأقلام أرباب الصحف الإسلامية"، ودعى لتأسيس "نقابة" أسماها "جامعة الصحافة الإسلامية"، تجمع كل الصحفيين المسلمين موضحا ذلك بقوله: "...أدعوكم معشر الرصفاء إلى الاتحاد ولكن عملا لا قولا، فتعالوا نمكن من قلوبنا تأثيرات الاتحاد الذي يأمرنا به الإسلام... فنتواطأ على تشكيل (جامعة الصحافة الإسلامية) تكون لها نقابة ومجلس ورئيس وصندوق... وتعقد مؤتمرات سنويا في رأس كل سنة في عاصمة من العواصم الإسلامية تفهم منه الأمة المحمدية أعمالنا، وأن أعمالنا لا تقف عند حدود القلم والورق فقط...".

ولم تقتصر دعوته على الصحف العربية فقط، وإنما شملت حتى الصحف الناطقة باللغات الأجنبية، شريطة أن يكون صاحبها مسلما يخدم الأمة الإسلامية، وفي ذلك يقول: "... ولا يصح لنا أن نفتكر على هذا العمل الخطير في القوميات الجنسية واللغوية، فلا بأس إذا انخرط في سلك جامعة الصحافة الإسلامية عدا الصحف التي تصدر باللغات الشرقية الجرائد التي تصدر باللغات الإفرنجية، وهي ملك لرجال مسلمين، لأن الصبغة المحمدية هي المطلوبة في هذا الباب... ولا مدخل لأي جريدة أخرى ولو كانت تصدر بلغة القرآن..."[4]، والظاهر أن

[1] "دان النهوض ولم يدن"، المصدر السابق.

[2] ابن قدور، "ما أكل الثور الأحمر إلا لما أكل الثور الأبيض"، **الفاروق**، ع 53، 23 مارس 1913م.

[3] ابن قدور، "دان النهوض..."، مصدر سابق.

[4] خرفي، **عمر بن قدور الجزائري**.، مرجع سابق، ص 120.

هدفٍ "ابن قدور" من هذه "الجامعة" هو نقل المشروع النهضوي من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي كما قلنا سابقا، وكذلك توحيد الرؤى والخطط الإصلاحية نحو مشروع نهضوي شامل خاصة وأنه يرى بأن الصحافة هي مصدر كل نهضة.

ورغم أن دعوة "راسم "و"ابن قدور" إلى الجامعة الإسلامية لم تجد آذاناً صاغية، بل كانت من بين أسباب سجن "راسم" ونفي "ابن قدور"، إلا أن الفكرة ظلت تراود النخبة الجزائرية الإصلاحية طيلة مشوارها الإصلاحي، ومن بين من آمن بها واعتبرها الوسيلة الوحيدة للتصدي للأخطار الأجنبية الشيخ "إبراهيم أبو إسحاق أطفيش"، وذلك من خلال ما كان ينشره في جريدته "المنهاج" في القاهرة، فسبب الاستعمار في نظر "أبو إسحاق" هو تشرذم العالم الإسلامي إلى دويلات متنازعة "، فلو كان العالم الإسلامي متحداً لما أتيح لإنجلترا أن تمد سلطانها إلى حدود بعيدة داخل حدود بلاد العرب[1]، ذلك كان على المسلمين تكوين وحدة إسلامية سمَّاها بـــ "العصبة الشرقية".

ولتجسيد هذا المشروع اقترح عقد مؤتمر إسلامي يجمع جميع المسلمين على اختلاف انتماءاتهم لمناقشة كيفية تحقيق هذه الغاية"[2]، ويبدو أن الأفكار الوحدوية التي طرحها "أطفيش" في منهاجه كانت محل إعجاب النخبة الباديسية التي أشادت بالمجلة، ودعت الجزائريين لمؤزرتها "لتظهرهم هناك بالمظهر الشريف وتعرب عن حالهم أمام أمم الشرق وأبناء العربية[3]، ونقلت عنها إحدى خطب الشيخ أبو إسحاق أمام جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا حول الاتحاد والتعاون، بين من خلالها حاجة الشعوب الإسلامية إلى الجامعة الإسلامية، حيث قال: "إن الشعوب الإسلامية لا تشعر بشدة الحاجة إلى كل ما يفيد جامعتها، وتشعر بفقر عظيم إلى جمع شتاتها والى قوة ترأب بها صدعها، وتحمي بها نفسها من كل عائلة ومن كل ما يهدم الشرف التليد الذي ورثته جيلا بعد جيل .."[4].

ومن خلال ما ذكرناه من نماذج يتضح جليًّا مدى تأثر النخبة الجزائرية خاصة الإصلاحية منها بفكرة الجامعة الإسلامية التي كانت تنظر إليها بأنها رابطة أخوية تجمع بين جميع المسلمين، وترفض أي بديل آخر عنها، فالإسلام هو الجامع بغض النظر عن الاختلافات العرقية أو اللغوية وحتى المذهبية بين المسلمين، وهو

[1] أطفيش، "عصبة الأمم"، **المنهاج**، ج 01، 1925م، ص 133.

[2] نفسه.

[3] ابن باديس، "أبناء الجزائر خارج بلادهم أوتقريض مجلة المنهاج"، **المنتقد**، ع 07، 13 أوت 1925م.

[4] المنتقد، ع 09، 27 أوت 1925م.

نفس المبدأ الذي قامت عليه سواء في شقها الديني الذي دعا إليه "الأفغاني" وتلميذه "عبده" أو شقها السياسي الذي دعا إليه السلطان "عبد الحميد الثاني".

II. 3. موقفهم من جمعية الاتحاد والترقي:

لم يتأثر الجزائريون بفكرة الجامعة الإسلامية والقومية العربية فقط، وإنما تأثروا كذلك بالتيار العثماني (التركي) المناوئ لفكرة الخلافة الإسلامية ولسياسة السلطان عبد الحميد، والمتمثل في حركة "الشباب التركي" التي تنبت المثل الغربية الحديثة، واعتبرتها إطارا مرجعياً لتحقيق التقدم، فانضم إليهم العديد من الجزائريين على غرار سليم الجزائري آملين في مستقبل أفضل بعيدا عن الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد، ولعل إبراز مظاهر تأثير "الشباب التركي" في النخبة الجزائرية يفتقد إلى أدلة ملموسة، فكل ما لدينا من ملاحظات حول ملامح التأثير لا يستند سوى على تقارير استخباراتية وتأويلات صحفية هدفها التهويل والتخويف من جهة، ومن جهة أخرى تقزيم النشاط الجزائري، لأن الإدارة الاستعمارية في الجزائر دوما تلصق التهم بأطراف خارجية، وكثيرا من التقارير وقعت في التناقض بين علاقة الشباب الجزائري بالجامعة الإسلامية وبحركة الشباب التركي، مثل التقارير المتعلقة بنشاط "خوالدية" الذي أشرنا إليه سابقا، فمن جهة تقول أنه من أنصار الجامعة الإسلامية وسياسة السلطان عبد الحميد، ومن جهة أخرى تقول بأن "خوالدية" مع بعض الشباب الجزائري أمثال: المحامي "بوضربة"، والضباط في الصحة "الحاج موسى"، والموظف المتقاعد "حمدان بوركايب"، و"محمود" المترجم القضائي على علاقة بالشباب التركي[1].

ومن بين الذين ربطوا نشاط النخبة الجزائرية بهندام الشباب الأتراك، خاصة في وضع "الطربوش" ولكن يبدو أن الهندام لا يعبر حقيقة عن مدى التأثير، خاصة ونحن نعلم أن الكثير من الشباب الجزائري كان في هندامه شبيها بالأوربيين، ولكن بقي مرتبطا بقضايا أمته الجوهرية الدينية والسياسية والعكس صحيح.

أما الكاتب "رواني" الذي نشر سنة 1912م مقالات في جريدة (La Dépéche Algérienne) اعتبر من خلالها أن هذه الحركة الموالية للأتراك خطيرة جدا يمكن أن تصبح "راعيا طيبا" للمسلمين الجزائريين، وعونا ثمينا لفرنسا في قضية تطويرهم المعنوي والفكري[2].

وكذلك الأب "دي فوكو" الذي كتب سنة 1912م يقول: "... في اعتقادي أن مسلمي الإمبراطورية الفرنسية بإفريقيا، إذا لم يعتنقوا المسيحية تدريجياً، فسوف تظهر بين صفوفهم حركة وطنية شبيهة بتلك التي

[1] **A.N.O.M** , GGAIF6.

[2] "نيكولاي دياكوف"، النخبة والعقيدة الاندماجية: دراسة تقويمية في المراجع والأدبيات ، ترجمة : عبد العزيز بوباكير، **مجلة معالم**، ع1، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، خريف 2009، ص ص 173-174.

ظهرت في تركيا ... ولسوف تظهر في المدن الكبرى نخبة متعلمة بالفرنسية فقدت كل الإيمان بالإسلام ولكنها مع ذلك تظل تحفظ بعض مظاهر ولكي تؤثر في الجماهير ..."[1].

أما الصحفي "أندري سرفي "(A-Servie)، فقد كتب سنة 1913، وقال بأن هذه الحركة لا تمتّ بصلة للواقع الجزائري، وأن أفكارها مستوردة من تركيا لاسيما بعد النجاح الذي حققه الشباب التركي في استنبول[2]، وهذا ما جعل أحد الشبان الجزائريين وهو "مختار حاج سعيد"يرد عليه في رسالة منكرا أي علاقة تربطهم بالشباب التركي، فنحن، يقول "حاج سعيد":"...لا نعرفهم إطلاقا، نحن وبكل بساطة شباب فرنسيون مسلمون، ولا يمكن أن تكون غير ذلك ..."[3]، فحسب ذات الرسالة، لا علاقة بين الشباب الجزائري والشباب التركي، أما بالنسبة لعاطفة المسلمين اتجاه الخلافة في استانبول هي نفسها العاطفة التي تربط المسيحيين بالبابوية، ويؤكد بأن الدسائس المزعومة "للجنة الوحدة والتقدم" (Comité Union et Progrés) هي مجرد أوهام، لا توجد إلاّ في خيال بعض الخصوم السياسيين، أما بالنسبة للتبرعات التي جمعت لصالح الجرحى الليبيين، لا تدل بالضرورة على العلاقة بين الشباب الجزائري والشباب التركي، خاصة وأن ذلك الاكتتاب فتح بموافقة الإدارة الفرنسية[4].

وإن كنّا نشك في تأثير حركة الشباب التركي في النخبة الجزائرية بالحجم الذي صورته مختلف الأدبيات الكولونيالية، فإنه مما لاشك فيه أن نشاط هذه الحركة وفلسفتها الحداثية لم تكن بعيدة عن مسامع النخبة الجزائرية، خاصة النخبة المفرنسة التي أشادت في كثير من الأحيان بقدرة الشباب التركي على التخلص –في نظرها– من العادات البالية مثل تحرير المرأة، فحسب ما جاء في جريدة "صوت المستضعفين"، فإن أهم خصائص الثورة التركية هي تحريرها المرأة المسلمة، وهذه المبادرة تحسب لتركيا بين دول الإسلام كلها ...، فالفتيات التركيات من العائلات البرجوازية اللواتي تلقين تعليميا وتربية في المدارس التركية والفرنسية؛ صرن يرفضن أن يبقين في بيوت مغلقة[5]، كما أن الإنجازات التي حققها "كمال أتاتورك"[6]، وانتصاراته ضد الأرمن والأكراد

[1] محمد عباس، **الأعمال الكاملة لمحمد عباس، يرحل الاستعمار ويبقى المستعمر(الاندماجيون الجدد)**، د.ط، ج 8، دار هومة، الجزائر، 2013م، ص 05.

[2] Servie,op-cit,p .125.

[3] Les Jeunes Algériens, op-cit,p .163.

[4] Ibid, p.164.

[5] **La Voix des Humbles**, N°66, November 1928.

[6] للمزيد حول شخصية "كمال أتاتورك" يراجع : مصطفى كمال أتاتورك، **الرجل الصم مصطفى كمال أتاتورك، حياة رجل ودولة**، ترجمة عبد الله عبد الرحمن، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2013م، ص 408.

واليونانيين، وضد القوى الأوربية التي اجتاحت تركيا بعد الح.ع.I، خلال سنوات 1920 و1922م[1] كانت محل إعجاب النخبة الجزائرية، ففي مدينة تلمسان لم يكن الحديث وسط العائلات التلمسانية إلا على ذلك الانتصار، كما أن آخرون وضعوا في محافظهم صورا لمصطفى كمال وعصمت باشا"[2].

وقد كانت جريدة "الإقدام" تتابع عن كثب أخبار الحرب الدائرة بين الأتراك بقيادة "كمال أتاتورك" واليونان وتنقل أخبارها إلى القراء الجزائريين، واعتبرت أن "كمال أتاتورك" قد تمكن من القضاء على مبدأ الطورانية (التتريك) في الجيش العثماني الذي كان يقوده "طلعت باشا" و"جمال باشا"، وهو يعمل جاهدا من أجل لم شمل المسلمين للتصدي للمخططات الاستعمارية خاصة الفرنسية والانجليزية[3]، وما زاد من أهمية الرجل –التي كانت تلقبه "الإقدام" بالغازي–، وربما كان ذلك تيمناً بلقب مؤسس الدولة العثمانية "عثمان"، وهو قدرته على تحريك العاطفة الإسلامية في شعوب الشرق الإسلامية خاصة العجمية منها "كالأفغان والفرس وتركيا وبخارى والتتار، فكل هذه الحركات تدل على يقظة هذه الشعوب، فدفعتها إلى الائتلاف بعد الاختلاف والاتحاد، بعد الابتعاد وترك التخاذل والتنازع جانبا[4].

وكانت "الإقدام" لا تتوانى في التعبير عن إشاداتها بالانتصارات التي يحققها الأتراك في حربهم، ومن بين ما نقلته الجريدة بطولات النسوة التركيات اللاتي شاركن بشجاعة منقطعة النظير إلى جانب الرجال بكل قواهن في ساحات الوغى، ومن هن "عائشة هانم" التي جندت 25 امرأة وشاركت بهن في إحدى المعارك، والأخرى هي "خالدة أديب هانم" المؤلفة الصحفية المشهورة، هي أعلم التركيات وأعزم سكان المملكة لقيامها بأكبر الواجبات في مدة الحرب، وبعدها صار لها الذكر الحسن بين قومها[5].

وبعد انتصار الأتراك سنة 1922، هللت جريدة "الإقدام"، حيث كتبت: "... هذا النصر الحكم للحق لا للقوة والعاقبة للعاملين المتقين، فقد منح الله الغزاة للكماليين بعد سعيهم المتواتر وعملهم المقرون بالاعتماد على النفس والثبات على المبدأ ثمرة الفوز العاجلة، ولأجر الآخرة لأجل وأكبر، وسخر لهم أعداءهم ومحاربيهم

---

[1] تنفيذا لمعاهدة سيفر التي أقرّها مؤتمر الصلح، اجتاحت دول الحلف تركيا واحتلوا الكثير من المدن والولايات، فاحتل الفرنسيون ولاية "أظنة"، واحتلّ الإنجليز "أورفا" و"مرعش" و"غينتاب" و"سمسون" و"مزرفون"، واحتلّ الإيطاليون "أضاليا" و"فونية"، واليونانيون "أزمير" و"أزنيك" و"بورصة"، وكل القوات اجتاحت استانبول، للمزيد ينظر: عزيز خانكي بك، **الترك وأتاتورك**، د.ط، المطبعة العصرية، مصر، د.ت، ص 06.

[2] بوهند، المرجع السابق، ص220.

[3] **الإقدام**، ع 81، 23 مارس 1922.

[4] **الإقدام**، ع 59، 10 مارس 1922.

[5] **الإقدام**، ع 52، 11 نوفمبر 1921.

بالأمس فثابوا إلى إعانتهم ومساعدتهم على نيل غايتهم الملية وأنشودتهم الوطنية، وفي ذلك عبرة بالغة لمن ألقى السمع وهو شهيد..."[1].

ومما يظهر إعجاب النخبة بشخصية "كمال أتاتورك" هو أن فرحات عباس كان يوقع مقالاته خلال العشرينات من القرن الماضي باسم مستعار وهو "كمال بن سراج"، "قاسم كمال" نسبة إلى "كمال أتاتورك"، واسم "بن سراج" نسبة إلى شخصيتين هما: "أبو عبد الله" آخر ملوك غرناطة، الذي رحل عن أرضه باكيا عام 1492م، و"شاطوبريون" (Chateaubriand) البطل غير المحظوظ الذي ضحى بحياته من أجل الشهرة والمجد[2].

II. 4. موقفهم من ثورة الشريف حسين ضد الأتراك (1916–1918):

تذهب أغلب الدراسات التاريخية التي تناولت موضوع ثورة الشريف حسين، أن الحلفاء تعمدوا تحوير وبتر وتعديل بعض الفقرات من البيان الذي احتاج فيه إلى تبرير موقفه أمام الرأي العام العربي والإسلامي وشرحه فيه أسباب ثورته ضد العثمانيين ودوافعه، فما موقف الجزائريين من هذه الثورة؟ كما تباينت الآراء واختلفت لدى الجزائريين حول ثورة الشريف حسين (1916–1918)، فقد أيدها البعض على أساس أنها مدخل للتحرر والانعتاق وبناء الدولة العربية المنشودة، ولو بدعم خارجي، ورفضها البعض الآخر على أساس أنها موجهة ضد دولة إسلامية، كانت خلال تلك الفترة تمثل الخلافة الإسلامية.

II. 1.4. الموقف الداعم للثورة:

مما سبق، يبدو واضحا أن الجزائريين سواء في الجزائر أو المهاجرين في المشرق، ظلوا على دعمهم للدولة العثمانية والخلافة الإسلامية، وإذا كان بعضهم قد عارض الثورة العربية، واعتبرها مناهضة لفكرة الجامعة الإسلامية وآلة لتمزيق وحدة الدولة العثمانية، وانتقد الشريف حسين، وعدّه عميلا للغرب، ومغامرا لا يفقه نتائج ما ستؤول إليه ثورته، فإن البعض الآخر من الجزائريين قد انخرط في صفوف الثورة وأيدها، وفي هذا السياق يشير الأستاذ عبد الجليل التميمي لثلاث رسائل عثر عليها في أرشيف الخارجية الفرنسية حول علاقة الاتحاديين مع بعض أفراد عائلة الأمير عبد القادر، والذين حاولت فرنسا الاستفادة منهم لكسب الأنصار والموالين لها، سواء في المشرق أو في الجزائر، ودعم موقف فرنسا ضد السلطان العثماني والاتحاديين الذين بادروا بإعلان فتوى الجهاد ضد الحلفاء عن طريق الكولونيل بريمون، الذي ربطته علاقات مع بعض أفراد عائلة الأمير بسبب طول

[1] **الإقدام**، ع 99، 16 أكتوبر 1922م، ص220.
[2] نفسه، ص 221.

إقامته بالحجاز، والرسائل التي نشرها التميمي تتمثل في الرسالة التي حررها الأمير عبد القادر (الحفيد) بتاريخ: 12 أكتوبر 1917، وأرسلها إلى عمه الأمير عبد المالك، عندما كان هذا الأخير مقيما في طنجة، أما الرسالة الثانية فقد وجهها عبد القادر إلى ابن عمه الأمير خالد، أما الرسالة الثالثة، فقد حررها أحمد المختار ب زين العابدين، وأرسلها إلى الأمير عبد المالك[1].

وإن القارئ المدقق لمحتوى الرسائل الثلاث، يسجّل وجود عدة قواسم مشتركة بينها، تتمثل أساسا في التركيز على الإعتداءات التي تعرضت لها عائلة الأمير عبد القادر، وما لحق بها من ضرر وأذى، وعلى المواقف السلبية التي تبناها الإتحاديون ضد أفرادها من إعدام ونفي وسجن ومظالم، وإهانات وصلت إلى حدّ تدنيس قبر الأمير عبد القادر، وتخريب منزل العائلة، كما تناولت تلك الرسائل الخدمات الجليلة التي قدمتها فرنسا للأمير وأسرته، وحسن رعايتها لهم، كما ركزت الرسائل الثلاث على محاولة إقناع الأمير عبد المالك وقف تعاونه مع الألمان والعثمانيين، وحثه على الإنضمام إلى جبهة الرابطة الشريفية المدعمة من طرف فرنسا لمحاربة الإتحاديين وطردهم من بلاد الشام[2].

ومن الذين دعموا الثورة العربية الأمير عبد القادر (الحفيد)، الذي تحدثنا عن مشاركته ونشاطه العسكري فيها، وعلينا الإعتراف هنا أن موقفه من الدولة العثمانية تغيّر بعد إعدامات جمال باشا، وهذا ما أشار إليه أخوه الأمير سعيد في مذكراته، وأنه بايع الشريف حسين، وانتقل إلى الشام لمواجهة ومقاتلة جمال باشا[3]، وبسبب مواقفه السابقة من الدولة العثمانية وعلاقته برجالها ظلّ بعض القادة في جيش الشريف حسين يعتبرونه جاسوسا للأتراك، ومنهم لورنس الذي اعتبره خائنا، ويبدو أنه هو من دبّر عملية قتله فيما بعد[4]، ولا ننسى أن هناك شخصية أخرى عبرت عن موقف داعم لثورة الشريف حسين، ألا وهو الطيب العقبي الذي كان مهاجرا هناك مع عائلته، وكان موقفه أنموذجا للوطنيين الجزائريين، فقد كانت علاقاته بالقوميين العرب ومؤسسي الجمعيات العربية من أمثال محب الدين الخطيب وشكيب أرسلان بمثابة خميرة للنزعة القومية والنشاط السياسي الذي مارسه، فكان تأثره واضحا بالبيئة الحجازية التي نشأ بها، الأمر الذي انعكس على سلوكه ولباسه، وظهر جليا في

[1] هزرش بن جلول، **الجزائريون والتضامن العربي الإسلامي**..، مرجع سابق، ص 193.

[2] عبد الجليل التميمي، "الأمير عبد المالك وعلاقات الإتحاديين بعائلة الأمير عبد القادر"، **المجلة التاريخية المغاربية**، السنة السابعة والثلاثون، العدد 140، جويلية 2010، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص 132.

[3] محمد بلقاسم، "الأمير عبد القادر (الحفيد)، وردت في: **دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 375.

[4] تحدثنا عن النشاط العسكري للأمير عبد القادر (الحفيد) في الثورة العربية في فصل سابق، وأوردنا الطريقة التي قتل بها.

في أدبه وأشعاره، كما تأثر بالحركة الوهابية ومبادئها التي تدعوا لإصلاح العقيدة، وأيضا كانت معاصرته لأبرز التحولات التي كان يمر بها العالم العربي والإسلامي، وإيمانه بفكرة الجامعة الإسلامية، حيث ربطته علاقة متينة مع أبرز أقطابها، ومنهم المكي بن عزوز، كما كانت له مكانة خاصة في بلاد الشريف حسين قبل الثورة العربية وبعدها، فقد عينه مشرفا على تحرير جريدة القبلة والمطبعة الأميرية،، ولعلّ ذلك ما يفسر مدح العقبي للشريف حسين بالقصائد الكثيرة[1].

ومن الأدلة التي يمكن الاستناد إليها في تأكيد دعم وتأييد العقبي لثورة الشريف حسين، رفضه الرحيل من المدينة المنورة إلى دمشق، كما طلبت السلطة العثمانية، وأيضا صداقته للأمير عبد الله، أحد أبناء الشريف حسين، ما أدى إلى اعتقاله واعتباره من دعاة الانفصال، والداعمين لقيام دولة عربية مستقلة[2]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن فرنسا نجحت في استغلال الثورة العربية، وقطفت الكثير من ثمارها، فقد وطدت علاقتها بالشريف حسين، من خلال الاعتراف به ودعمه عسكريا، وقامت بإرسال وفد رسمي للحج –كما ذكرنا سابقا– سنة 1917[3]، وبسبب ذلك توطدت العلاقة بينهما وترسخت أكثر، فكان الشريف حسين كثير الإشادة بالسلطة الفرنسية، الأمر الذي أصبغ شرعية دينية على السياسة الإسلامية الفرنسية في المغرب العربي من طرف رمز ديني.

II. 2.4. الموقف المناوئ لثورة الشريف حسين:

المعلوم سابقا أن معظم الجزائريين نشطوا ضمن تيار الجامعة الإسلامية ودعوا إليها، ورفضوا التيارات الأخرى المناوئة لها، ومن هؤلاء "صالح خوالدية" الذي تصدى لطروحات القوميين العرب ذوي الأصول المسيحية، الذين كانوا يدعون إلى انفصال العرب عن دولة الخلافة، من بينهم "نجيب عازوري" الذي اعتبر فيه الأتراك سبب خراب العرب المتفوقين عليهم –على حدّ قوله– في كل شيء، لذلك حرّضهم على الإنفصال عن العثمانيين، وتكوين دولة عربية مستقلة متكونة من سورية والعراق ولبنان وفلسطين، على أن تكون الحجاز مقرا لخلافة إسلامية عربية، وقد تعرفنا على موقف خوالدية من ذلك سابقا، ومنهم أيضا صالح الشريف والخضر حسين وتوفيق المدني ..، الذين نشطوا في تيار الجامعة الإسلامية وكانوا يدافعون بشراسة على الدولة العثمانية.

وكانت ثورة الشريف حسين في نظر هؤلاء تجسّد التيار القومي العربي الإنفصالي، الذي كانت بلاد الشام مهدا له من خلال الجمعيات القومية العربية التي نشطت مطلع القرن العشرين، وكانوا يرون فيها بأنها من صنع

---

[1] سعد الله، **محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث**، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص38.

[2] نفسه، ص48.

[3] ينظر: العجيلي، **صدى** ..، مرجع سابق، ص 441.

الاستعمار الإنجليزي–الفرنسي[1]، وعليه هاجم هؤلاء بشدة ثورة الشريف حسين، وأن نتائجها ستكون وخيمة على العالم العربي الإسلامي.

كما أن السلطات الفرنسية تعمدت توزيع البيان الذي أصدره الشريف حسين في الجزائر، وقد حظي بتغطية إعلامية واسعة النطاق من قبل الجرائد المتعاونة مع الاحتلال كجريدة (أخبار الحرب)[2]، ورغم ذلك ناهضه الجزائريون كغيرهم من العرب المسلمين الذين كانوا على وعي بما كان يحاك من مخططات، ويرسم من سيناريوهات للمنطقة، وأظهر الجزائريون ارتباطهم بالخلافة العثمانية، وكانت النظرة العامة للجزائريين لثورة الشريف حسين بأنها لم تكن سوى تمرد على مؤسسة الخلافة، وضربا لوحدة المسلمين[3]، وتأسيسا لما سبق يمكننا القول بأن الدعاية الإعلامية الفرنسية للثورة العربية بالجزائر قد فشلت فشلا ذريعا، ولم تحقق النتائج المنتظرة منها، وقد عبر عن هذا الموقف أحمد توفيق المدني، وهو في السجن بما نصه: " ... كنت أنهار أحيانا، وتعتريني هزة تشبه هزة اليأس والقنوط عندما أسمع مثلا، ذلك الحادث المؤلم الرهيب، حادث انتفاض شريف مكة الحسين بن علي على الخلافة العثمانية مغترا بوعود جوفاء من ماكماهون ممثل الإنجليز بالقاهرة، وممزقا شمل الإسلام ووحدة المسلمين.."[4]، واعتبر في ذات السياق أن الثورة العربيةشكل من أشكال التآمر الغربي لتمزيق المنطقة جغرافيا، واحتلالها عسكريا، وذهب إلى تبرير إعدامات جمال باشا وقال أنها ما كانت لتحدث لولا اكتشاف مؤامرة خطيرة قادها السياسيون والإعلاميون، وبعض رؤساء الجمعيات والأحزاب[5].

II. 3.4. مساعي الأمير سعيد للصلح بين الشريف حسين والأتراك:

تناولنا سابقا نشاط الأمير عبد القادر (الحفيد) العسكري في الثورة العربية، وإلى جانبه كان هناك دور دبلوماسي لأخيه الأمير محمد سعيد، إلا أن نشاطهما في الحقيقة لم يكن موجها ضد الخلافة العثمانية، بقدر ما كان موجها ضد جماعة الإتحاد والترقي الطورانية وجمال باشا الذي أعدم عمهما الأمير عمر، ونفى باقي أفراد الأسرة إلى الأناضول، وما يدعم هذا القول هو مساعي الأمير سعيد في الصلح بين الشريف حسين والأتراك، كان الأمير سعيد من مؤيدي الدولة العثمانية خلال فترة الح.ع.I، من خلال تجنيد المغاربة في سوريا وفلسطين

[1] ينظر: آندة، مرجع سابق، ص 62.
[2] العجيلي، **صدى**..، مرجع سابق، ص 430.
[3] توفيق المدني، **حياة كفاح**..،ج1، مصدر سابق، ص 144.
[4] نفسه، ص 145.
[5] ينظر: آندة، مرجع سابق، ص 62.

والشراكسة، والقبائل العربية في بادية الشام، والاتصال بالزعماء، ودعوتهم لمؤازرة الدولة العثمانية، وقد كان قد نفي إلى الأناضول مع الذين نفاهم جمال باشا، رغم ما كان يظهره من حب للدولة العثمانية وإخلاص لها، والظاهر أن نفيه ونفي أسرته، وبينهم والده "الأمير علي باشا" – الذي كان يومئذ مندوبا عن دمشق في مجلس النواب العثماني ووكيل رئيسه – إلى بورسة قد جرى بموجب القرار الذي سنه جمال باشا، وهو نفي أسر وأقارب المشنوقين، وكان من جملتهم الأمير عمر الجزائري عم الأمير سعيد، والذي أعدم شنقا في دمشق يوم 06 ماي 1916 كما ذكرنا سابقا، ولما أصيبت سياسة الترك في سورية بما أصيبت به من فشل وإخفاق، اضطر الباب العالي إلى استدعاء جمال باشا وتغيير سياسته نحو العرب، وكان كلّ من الأمير سعيد وأخوه الأمير عبد القادر (الحفيد) في مقدمة الذين عادوا إلى سورية من العرب المنفيين، فقصد الثاني العقبة سرّا، ومنها سافر إلى مكة فأدى فريضة الحج سنة 1917[1]، وعاد ثانية إلى سورية، أما الأمير سعيد فقد حمل على عاتقه مهمة السعي لعقد صلح منفرد بين العرب والترك، وإزالة الخلاف بين الطرفين، ويعيد السلام إلى قراره في بلاد الشام والحجاز، فقصد منطقة السلط – مقر قيادة الجيش الرابع التركي– في شهر جويلية سنة 1918 وقابل جمال باشا الصغير قائد الجيش خلفا لجمال باشا (السفاح)[2]، وعرض عليه فكرته، فلقيت منه استحسانا وتأييدا، إلا أننا نجد في هذا الصدد مصادر أخرى تشير إلى أن صاحب الفكرة هي تركيا نفسها، ومنها كتاب يقضة العرب لجورج أنطونيوس الذي قال عن عروض الصلح والمفاوضات بين العرب والأتراك ما يلي: "صدر هذا العرض عن جمال باشا (السفاح) في الأسابع الأخيرة من مقامه في سورية، وقال أنه يقدمه نيابة عن الحكومة العثمانية ويؤيدها في ذلك حلفاؤها الألمان"[3].

ومهما يكن من الأمر، فقد أجمعت المصادر التاريخية التي ذكرت الموضوع عن الدور الذي لعبه الأمير سعيد في السعي إلى الصلح بين الطرفين، ولعل هذه العملية التي قام بها الأمير سعيد بالسعي للصلح بين العرب والأتراك بسبب العلاقة الجيدة التي تربطه بكل من تركيا وألمانيا والأمير فيصل، فقام بحركته تلك.

ويتحدث أمين سعيد عن ذلك فذكر أن الأمير سعيد غادر في 06 أوت 1918 السلط قاصدا معان أين كان مقر الأمير فيصل، فركب قطارا خاصا أعده له الترك، فاستقبله فيها "علي وهبي بك" قائدها –عملا بالأوامر التي تلقاها– وجاء له برسول سلمه الكتاب الذي يحمله من جمال باشا الصغير إلى الأمير فيصل وهذا

[1] أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى** ...، مصدر سابق، ص 304.

[2] سهيل الخالدي، **الإشعاع** ...، مرجع سابق، ص 163.

[3] جورج أنطونيوس، **يقظة العرب** ...، مصدر سابق، ص 358..

نصه: "إطفاءا لنار الفتنة المشتعلة بين المسلمين أبعث إلى حضرتكم بالنجيب الأمير سعيد، الذي يقوم من جانبنا بمهمة مقدسة، وأني لعلى اعتقاد بأن حفيد النبي الكريم غير مرتاح إلى هذا الفتور بين المسلمين، وأعتقد أن روح النبي الطاهرة ستكون راضية عن عملي هذا. وأرجوا الله أن يصون دينه المحمدي –كما وعدنا في كتابه الكريم– وأن يوفق العاملين للصلح فيما يسعون إليه"[1]، وأرسل الأمير سعيد أيضا كتابا خاصا منه مع كتاب الباشا هذا نصه: " ... كلفني قائد الجيش الرابع جمال باشا أن أوافيكم إلى مقركم العالي في قضية الصلح، وأجد نفسي سعيدا بلقائكم، كما أرجوا الله أن يوفقني لخدمة البلاد، فإذا كنتم على استعداد للدخول في مفاوضات، فأرجوا من سموّكم تحديد الزمان والمكان فأوافيكم متخذا هذه الفرصة وسيلة لتأييد الأخوة، واقبلوا فائق احترامي."

وفي يوم 18 منه عاد الرسول إلى معسكر الترك في (معان) يحمل الرد الآتي من الأمير فيصل: "عزيزي الأمير سعيد المحترم، تلقيت رسالتك وسررت لدوام صحتك –عسى الباري أن يحفظك– ولولا علمي بصفاء قلبك وخلوص نيتك ما كنت أرى لزوما للرد على كتابك، ولكن بالنظر لما بيننا من الأخوة والمحبة أرى – أن كانوا (أي الترك) قد زودوك بما تثق به ويطمئن إليه قلبك فأحضر إلى وادي (عقيقة) هذه الليلة تجد عشرة رجال يحملون فانوسا أحمر، فاعتمد عليهم وهم يقودونك إلينا، وإن كنت لا تحمل ما يطمئن إليه قلبك فلا تتعب نفسك فأنت في مكانك والعرب وشأنهم والسلام"، وقصد الأمير سعيد الوادي في الوقت المحدّد مع دليل، فلم يعثر على الرجال العشرة، لأنه أضاع نقطة الاجتماع، فعاد إلى معان بعد ما لقي مصاعب، وفي الغد أرسل كتابا إلى الأمير فيصل يخبره بما وقع، ويطلب إليه أن يرسل مندوبا يعتمد عليه، وينتظر قدومه على أكمة تشرف على السهل فيقصد المعسكر العربي متسترا تحت جناح الظلام، ووصل المندوب فصحب الأمير سعيد إلى المعسكر العربي، فكان في استقباله نوري السعيد وفائز الغصين، فقضى ليلته هناك، وفي الغد اجتمع بالأمير فيصل، وسلمه كتاب جمال باشا فتلاه بإمعان، وخلا بعد ذلك بنوري وفائز.

ثم كتب الأمير فيصل رده ونصه: ".. إلى حضرة قائد الجيش الرابع: تلقيت كتابكم الذي تفضلتم بإرساله مع الأمير سعيد، وبما أن ما تضمره ذاتكم العالية قديما من العواطف السامية نحو المسلمين معلوم لدى الجميع، فليس عندي ما أقوله سوى تبجيل شخصكم الكريم – وبما أن الرسائل التي نتداولها منذ تسعة أشهر بقيت عرضة للتسويف، فلم يبق أمل بالوفاق والاتفاق – غير أن مساعي الأمير سعيد في هذه المرة أحيت بعض أمل

[1] أمين سعيد، المصدر السابق، ص 304.

في نفسي – مع أن الحال والوقت هما في أقصى درجة من الخطورة، كما أن وضعك العسكري مهلك، ولا أورد هذا على سبيل التهديد، بل إن وجداني يسوقني إلى إسدائكم النصيحة، أن العرب لا يطلبون شيئا زائدا عن الترك، بل غاية ما يتمنونه أن يعيشوا أحرارا، وأن يضعوا أيديهم بأيدي الترك، ويكون حالهم من حكومتهم كحال بافاريا من روسيا، فإذا كانت حكومتكم مستعدة لقبول هذه الشروط فنحن على أتم الاستعداد للدخول في مفاوضات الصلح وإلاّ سنرجع إلى إصدار الفتاوى المزيفة، ونصب المشانق واقبلوا يا حضرة الباشا احترامي...".

وعاد بعدها الأمير سعيد إلى معان ثم إلى السلط، وأطلع جمال باشا الصغير على ما وقع وسلمه الكتاب، فجمع هذا الأخير هيئة أركان حربه، وقرر إرسال برقية إلى الآستانة بوجوب الإعتراف باستقلال العرب[1]، فوافق السلطان محمد رشاد[2] عليه وكتب أمرا بذلك، وظل بذلك الأمير سعيد في سعيه بين الطرفين إلى أن صار على أبواب النجاح، غير أن الدول الأوربية والصهيونية العالمية كانت وراء إسقاط هذا المسعى، حيث اطلع لورنس – الجاسوس البريطاني– على هذه الرسائل وأرسلها إلى قيادته في القاهرة، وفعل الحسين بن علي الشيء نفسه وأرسل هذه الرسائل إلى المعتمد البريطاني في القاهرة،[3] عربون إخلاص ومودة،[4] وأصحبه بكتاب ذكر فيه أن العرب لا ينفصلون عن حلفائهم مهما بذل لهم، فأرسل النائب الكتاب إلى وزارة الخارجية البريطانية في لندن، وفي يوم 08 فيفري سنة 1918 أبلغ المعتمد البريطاني بجدة ببرقية من لندن إلى الملك حسين تشيد بالعلاقة بين بريطانيا والشريف حسين، وتؤكد وقوف الحكومة البريطانية بجانب العرب من أجل التحرر من الظلم، وتتهم تركيا بزرع الإرتياب والشك بين العرب ودول الحلفاء، وقد كان الحسين يظن أنه وبعد الخدمات الجليلة التي أسداها للحلفاء ورفضه الصلح المنفرد الذي عرضه الترك على قاعدة الاعتراف باستقلال العرب، أن هؤلاء ينجزون الوعود التي وعدوه بها.

[1] أمين سعيد، **الثورة العربية** ...، مرجع سابق، ص–ص 304–306.

[2] محمد رشاد: (1844–1918)، الملقب بمحمد الخامس، وهوالسلطان الخامس والثلاثون من سلاطين آل عثمان، تولى الحكم عام 1909 بعد خلع أخيه السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم وعمره 65 عاماً وهوأول سلطان يحكم في ظل المشروطية، ولم يكن يتمتع بنفوذ حقيقي، بل ترك مقاليد الحكم والسلطة للاتحاديين. نقلا عن: ابتسام أبو ميزر، **سنتان مفصليتان في حكم الامبراطورية العثمانية (1908–1909)**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة بير زيت، فلسطين، 2017، ص 93.

[3] سهيل الخالدي، **الإشعاع** ...، مرجع سابق، ص 165.

[4] أمين سعيد، **الثورة العربية** ...، المرجع السابق، ص 306.

وفي الآستانة تحرك الصهاينة بقيادة أنور وطلعت وجاويد، فعملوا على تأخير إرسال الرد من السلطة العثمانية وتعمدوا إهمالها على رواية الأمير سعيد الجزائري، رغم أن جمال باشا المرسيني (جمال الصغير) كان قد كشف عن هذه المفاوضات ونتائجها في احتفال رسمي ببيروت، كما أن الملك عبد الله أكد في مذكراته أن الإدارة العثمانية أصدرت اعترافها باستقلال البلاد العربية[1].

والمعروف في هذا الصدد أن المؤامرة على الاستقلال العربي كانت مبيتة، وكانت (اتفاقية سايكس بيكو 1916) قد وقعت بين فرنسا وبريطانيا على اقتسام بلاد الشام، وكانت بريطانيا قد أصدرت وعد بلفور للحركة الصهيونية سنة 1917، فكان العرب أو بالأحرى الشريف حسين وأبناؤه أقل ذكاءا ونجابة من أن يفهموا عمق تحركات الأمير سعيد ..، والظاهر أنهم كانوا يرونه منافسا لهم، وهكذا قضى الأمير فيصل على آمال العرب بالتحرر بيده –عبر لورنس–، الإستقلال الذي أعلنه الأمير سعيد مستبقا وصول جيش الحلفاء إلى سورية.

III. موقف النخبة الجزائرية من سقوط الخلافة العثمانية، والتنديد بالاستعمار الغربي في المشرق العربي:

III. 1. موقفها من سقوط الخلافة العثمانية:

تفاعلت النخبة الجزائرية مع الانتصارات التي حققها "كمال أتاتورك" ضد اليونان وضد الحلفاء الذين غادروا الآستانة، ولم يتمكنوا من فرض معاهدة "سيفر" (1920م)[2] على الدولة العثمانية، وعدّوه بطلا إسلاميا سينقذ المسلمين من براثن الاستعمار الأوربي، ولكن بعد أن ألغى نظام الخلافة الإسلامية وأسس دولة تركيا الحديثة وتبنى النهج العلماني، شعرت النخبة الجزائرية بالصدمة لهذا الحدث وأصبح شغلها الشاغل تتبع أخباره، محاولة استجلاء انعكاسات ذلك التحول على العالم الإسلامي، أما النخبة الاندماجية فاستحسنت خطوة كمال "أتاتورك" في إلغائه لنظام الخلافة، واعتبرت أن تلك الخطوة هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن تركيا من التخلص من الضغط الأوربي، وهذا ما ذهب إليه "ابن التهامي" الذي اعتبر أن سقوط الخلافة الإسلامية "كان نتيجة حتمية لسياسية الخذلان التي تسلكها بعض الدول العربية الإسلامية مع الدول العثمانية، وحلاّ لا مفر منه

[1] علي سلطان، **تاريخ سورية 1908–1918، نهاية الحكم التركي**، ط1، دمشق، ص110، نقلا عن: سهيل الخالدي، **الإشعاع**..، مرجع سابق، ص165–166.

[2] معاهدة سيفر: هي معاهدة السلام التي تم التوقيع عليها في 10 أغسطس 1920 عقب الح.ع.I بين الدولة العثمانية وقوات الحلفاء، غير أن المعاهدة رفضت من قبل الحركة الوطنية التركية بزعامة مصطفى كمال أتاتورك، لأنها نصت على اقتطاع أجزاء كبيرة من ممتلكات الدولة العثمانية، ينظر: خانكي بك، **الترك وأتاتورك**، مرجع سابق، ص 05–06.

للخروج من الضغط الذي تواجهه تركيا من أعدائها المسيحيين الغربيين"[1]، وهذا ما أكده كذلك أحد كتاب جريدة "التقدم" وهو "جلول شمس الدين" الذي رأى بأن الكماليين فعلوا الصواب عندما عدلوا عن تلك السياسة العقيمة التي أوردتهم التهلكة وكادت توقد نار الفتنة وتقضي على وحدتهم "[2]، وأزالت التخلف الذهني للشعب التركي الذي كان نتيجة لسيطرة رجال الدين المسلمين، وأنها أنقذت الشعب التركي من تكالب الغرب[3]، وساهمت إلى ؟؟؟ جانب ذلك في تحرير المرأة المسلمة نتيجة تبنيها للقانون المدني"[4].

وكان "زناتي "وأغلب المعلمين المسلمين الاندماجيين يؤمنون بمبدأ العلمانية، مما جعلتهم يدعون الجزائريين وكل المسلمين بأن يستفيدوا من التجربة التركية، وأن يتبنوا مبدأ فصل الدين عن الدولة، لأن في نظرهم " أساس التحضر يكمن في فصل الدين عن الحياة ... وعلى المسلمين أن ينظروا حولهم، ويفكروا في موقعهم من هذا العالم، ليس هناك مانع من أن يحتفظوا بدينهم، وأن يعتزوا بماضي أجدادهم، ولكن عليهم أيضاً أن يستفيدوا من الثورة التركية من أجل تحسين وضعهم المادي وتحررهم الفكري "[5].

ويبدو أن موقف النخبة الاندماجية من الثورة الكمالية ومن إطاحتها لنظام الخلافة الإسلامية نابع من خلفيتها الإيدولوجية التي تعتبر أن التقيد بالدين يعيق عملية التحضر، لذالك رأت في هذه الحركة النموذج الناجح الذي يمكن أن يتبناه الجزائريون وكل المسلمين، وهذا ما عبّر عنه أحد غلاة الإندماجيين وهو"حسين الأحمق" الذي قال: "...أن النخبة التي تتولى مقاليد الأمور في تركيا تدرك جيدا بأنها إذا سمحت للدولة والمجتمع بإتباع توجيهات القرآن حرفياً، فإن بلادهم ستصبح مخربة بعد عشرين أو ثلاثين سنة ..."[6].

III. 1.1. موقف الاتجاه التوفيقي (الأمير خالد نموذجاً):

أبدى الأمير خالد في البداية إعجابه بحركة "كمال أتاتورك"، وأشاد بعزم الشباب التركي على إحداث تحول جذري في نظام الحكم الذي سائدا، خاصة تبنيهم للنظام الديمقراطي الذي تعود أصوله إلى نظام الإسلام، فلما

---

[1] ابن التوهامي، " سقوط الخلافة "، **التقدم**، ع 19، 15 مارس 1924م. نقلا عن: محمد قن، **الخلافة العثمانية وصدى سقوطها في الجزائر ومصر 1876–1924م/ 1293–1342هـ**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006–2007م، ص 238.

[2] محمد قن، المرجع السابق، ص238.

[3] Zenati, « La révolution Turque et La Femme musulmane», In :**La Voix des Humbles**, N°61,Juin 1928.

[4] Ibid, N°66 ,Novembre 1928.

[5] Juin 1928 **La Voix des Humbles**, N°61.

نقلا عن: بوهند، المرجع السابق، ص 222.

[6] الطاهر عمري، **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900–1940)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، الجزائر، 2004/2003، ص 384.

جاء الإسلام بعقائده الحرة، وإصلاحاته المفككة لانحلال الاستبداد، كان من أصول نظاماته إقامة الشورى في هيئة الحكومة وإعطاء الحق التام واليد المطلقة للأمة الإسلامية في انتخاب الإمام (الخليفة) وأمير المؤمنين"،[1] فإصلاحات كمال أتاتورك هي في نظر خالد، عودة إلى الأصل بعد أن حادت الخلافة العثمانية عن الشورى (الديمقراطية)[2]، ويبدو أن موقف "الأمير خالد" المبدئي نابع من الإخفاقات المتتالية للدولة العثمانية، فكان يعتقد بأن حركة "أتاتورك" ستعيد للإسلام عزته ومجده، ولكن بعد قيام "أتاتورك" بإلغاء نظام الخلافة نهائيا، وتبنيه للنهج العلماني، ومغالاته في تقليد الغرب في كل صغيرة وكبيرة، أحدث ذلك كله تحولا في مواقف "الأمير خالد" الذي ساءه ذلك التحول، وبدأ يدعو المسلمين إلى الإتحاد والتعاون للعودة إلى الخلافة الإسلامية، واقترح عقد مؤتمر جامع في مكة المكرمة سنة 1925، فذكّره "ابن باديس" بأنه تم العزم على عقد مؤتمر في القاهرة في رحاب الأزهر للبحث في قضية الخلافة واعتبر أن دعوة "خالد" لا معنى لها إلا التشويش على المسلمين[3].

وبعد أن انعقد المؤتمر في القاهرة مابين 13-19 ماي 1925م حضره "الأمير خالد" كنائب للقطر الجزائري، وكان من خلال حضوره يحاول لفت الأنظار نحوه، وأن يلعب دورا قياديا في المؤتمر اعتمادا على سمعة جدّه في المشرق، مراهنا أكثر على نسبه المتمثل في قبيلة بني هاشم التي ينتمي إليها النبي صلى الله عليه وسلم، غير أن ضعف بيانه في اللغة العربية، وكونه غير معروف عند زعماء المسلمين في العالم الإسلامي، حال دون تحقيق طموحاته وآماله، ويبدو أنه فشل في إقناع المؤتمر في الاعتراف بزعامته، كما فشل الزعماء المسلمين في أن يتفقوا على إيجاد حلّ لقضية الخلافة"[4].

IV. 2.1. موقف النخبة الإصلاحية:

عبرت النخبة الإصلاحية في الجزائر عن استنكارها لإقدام "أتاتورك" على إلغاء الخلافة الإسلامية، ومن أهم من اهتم بالقضية، وعبر صراحة عن استيائه العميق مدير جريدة "النجاح" "ابن الهاشمي"، الذي اعتبر في العديد من مقالاته أن إلغاء الخلافة يؤدي بالضرورة إلى تفريق شمل المسلمين وضعفهم[5] وأن من كان وراء "كمال

[1] المنذر، " الرجوع إلى الأصل"، **الإقدام**، ع 104، 10 أكتوبر 1922م.

[2] نفسه.

[3] الأمير خالد، "حول مسألة الخلافة، المؤتمر الإسلامي العام"، **النجاح**، 28 نوفمبر 1924. نقلا عن: جمال قن، المرجع السابق، ص 248. حاولنا الإطلاع على مقال "الأمير خالد" في جريدة "النجاح" فلم نعثر على المقال الذي نقله عنه الأستاذ "قن" !!.

[4] سعد الله، **الحركة الوطنية**...، ج2، مرجع سابق، ص 370.

[5] ابن الهاشمي، "كلمة عن مسألة الخلافة"، **النجاح**، ع 156، 25 أفريل 1924م.

أتاتورك" هم اليهود والغرب الاستعماري خاصة الإنجليز، لأن الكماليين أصبحوا أداة طيعة في يد الإنجليز ينفذون بها مخططاتهم الاستعمارية ضد العالم الإسلامي[1].

وهذا ما أكده كذلك "الحافظي" الذي يعتبر بأن تعصب الكماليين للقومية التركية هو إنكار لجميل العرب والمسلمين الذين ساهموا في بناء الدولة العثمانية والدفاع عنها، ورأى بأن إلغاء الخلافة العثمانية كان بإيعاز وتشجيع من القوى الاستعمارية خاصة ألمانيا، فالكماليون ولوا وجههم نحو ألمانيا "ليشربوا منها حب الجمهورية، وخلع رداء الخلافة"[2]، وبعد أن ذكّر الحكومة التركية بالعواقب التي ستنجر عن إلغاء الخلافة الإسلامية، دعا كل مسلمي العالم إلى الالتفاف حول المؤتمر الإسلامي الذي سيعقد في القاهرة سنة 1925م، ودعاهم إلى عقد مؤتمر آخر بعده في الحجاز لإيجاد خلافة إسلامية بديلة، وعلى مسلمي الجزائر أن يشاركوا بوفد في المؤتمر، وإذا تعذر عليهم السفر إلى مصر اقترح بعضا من العلماء والطلبة الجزائريين المستقرين في مصر لتمثيل الجزائر، وذكر أسماءهم وهم: "الشيخ السعدي بن محمد الخنشلي، إسماعيل بن علي الجيجلي من الطاهير، أرزقي بن أحمد الشرفاوي من عزازقة، وعبد القادر الونشريسي، محمد العربي السوفي، والشيخ الحواس البوزيدي من البرج"[3].

أما الشيخ "عبد الحميد بن باديس" فقد وصف إلغاء الخلافة الإسلامية "بالفاجعة الكبرى"، وأن الكماليين خارجين عن الدين بسبب ارتكابهم لعدة جنايات على الإسلام والمسلمين، فجنايتهم الأولى على الخلافة التي كانت تجمع ملايين المسلمين، وعاملا مهما لتحريك عواطفهم، أما الجناية الثانية على الخليفة فبعدما بايعوه نكثوا عهده، ولو يكتفوا بذلك حتى شردوه وتركوه، والجناية الثالثة على آل عثمان والرابعة على الدين الإسلامي، وبعد أن أعلن "ابن باديس" تبرأه وجميع المسلمين من هذه الطائفة، دعا الأمة الإسلامية إلى التعاون والتعاضد "مادام الإسلام ديننا وهو الرابطة العظمى التي تربطنا، والجامعة الكبرى التي تجمعنا"[4]، واعتبر "ابن باديس" أنه منذ قيام أتاتورك بإلغاء نظام الخلافة "قد زالت الخلافة بالمعنى الحقيقي، والمعنى الصوري، فلنعلم أنه لا خلافة بعد اليوم، ولنرفض كل خليفة تشتم منه رائحة الأجنبي، ولعل "ابن باديس" يشير إلى الخليفة الأجنبي "الشريف حسين" حتى يكون جميع المسلمين ألعوبة بين أيديهم[5].

---

[1] ابن الهاشمي، "كلمة عن مسألة الخلافة"، **النجاح**، ع 156، 25 أفريل1924م.

[2] الحافظي، "حول الخلافة ونبذ الأتراك لشعارها"، **النجاح**، ع 158، 09 ماي1924م.

[3] آيت بعزيز، **المرجع السابق**، ص173.

[4] ابن باديس، "الفاجعة الكبرى، أوجنايات الكماليين على الإسلام والمسلمين ومروقهم عن الدين"، **النجاح**، ع 152، 28 مارس 1924م.

[5] ناصر، **المقالة الصحفية...**، ج1، مرجع سابق، ص181.

ويبدو أن إلغاء الخلافة لم يكن فاجعة على "ابن بايس" فقط، بل على كل المصلحين الجزائريين اللذين حاولوا أن يساهموا مع المسلمين في إيجاد البديل، وهنا تندرج جهود " التوفيق المدني" من تونس حيث بادر مع بعض التونسيين[1]، إلى تأسيس لجنة "الخلافة الإسلامية"[2]، التي تسعى إلى تحقيق التي تسعى إلى تحقيق وحدة العالم الإسلامي تحت سلطة الخليفة العثماني، الذي سيصبح يحمل لقب "أمير المؤمنين" وينظر في جميع شؤون البلاد الإسلامية، فبهذه الوحدة سيزول عن الأمة الإسلامية –حسب ما ذكره "المدني"– وباء الاستعمار، وتنفض عنها أكفان الاستكانة والجمود، وستكون "في العالم قوة سياسية واقتصادية رهيبة تفرض إرادتها، وتصون كرامتها، وتسعد المستعبدين من رجالها"[3].

والملاحظ أن النخبة الجزائرية الإصلاحية لم تكتف بالاستنكار فقط، بل ناقشت مسألة الخلافة من وجهها الشرعي والسياسي، فالمدني يؤمن بعدم جدوى لوم الأتراك في إلغاء الخلافة، وعلى المسلمين تقع مسؤولية مبايعة أمير لهم يلقّب "بأمير المؤمنين"، يبايعونه بواسطة مؤتمر إسلامي عام، وتكون علاقته بالمسلمين كعلاقة الفاتيكان بالمسيحيين، فسلطته روحية أكثر منها زمنية، واقترح تأسيس مجلس يضم خمسين عالما من مختف أنحاء العالم الإسلامي، يلتفون حول الخليفة لإيجاد حلول لمختلف المشاكل التي يعاني منها المسلمون[4]، في حين نجد "أبو يعلى الزواوي"[5]، قد ناقش مسألة الخلافة من وجهها الشرعي والسياسي، فشرعا لابد أن تكون قريشية، وأن تتوفر في الخليفة جملة من الشروط أهمها العلم والتفقه في الدين والعدل وسلامة الحواس[6].

أما سياسيا، فالظروف السياسية الراهنة، وموقف الأتراك من العرب، كلها تقتضي أن يكون الخليفة عربي قريشي، لأن الأتراك حسب ما ذكره الزواوي همشوا العرب وأبعدوهم عن مختلف الوظائف، ويورد قصة وهو

---

[1] وهم محي الدين القليبي، محمد معلي، عثمان الكعاك، الحبيب مزيووغيرهم، فاجتمع هؤلاء في بيت المدني وشكلوا لجنة الخلافة الإسلامية التي تسعى إلى لم شمل المسلمين تحت راية الخلافة العثمانية، ينظر: المدني، **حياة كفاح**...، ج1، ص445.

[2] بعد إلغاء الخلافة أسست في العالم عدة لجان وجمعيات تناصر الخلافة من بينها: – الجمعية الهندية برئاسة الأخوين شوكت علي ومحمد علي، ولجنة مصر برئاسة يوسف الدجوي، وجمعية دمشق برئاسة الأمير سعيد الجزائري، ينظر: قن، المرجع السابق، ص 246.

[3] المدني، **حياة كفاح**..، ج1، مصدر سابق، ص443.

[4] نفسه، ص446.

[5] أبو يعلى الزواوي (1866– 1952م): ولد في أزفون بمنطقة القبائل، تلقى تعليمه الأولي في مسقط رأسه،، وتأثرا بالكثير من مصلحي عصره، دخل السجن على إثر عراك مع أحد أقرانه أدّت إلى وفات هذا الأخير، وفي السجن تعلم اللغة الفرنسية حتى أجادها، ويعتبر من الأعلام البارزين في الإصلاح، من أهم أعماله كتاب "تاريخ زواوة"، للمزيد عن حياته وأفكاره الإصلاحية راجع دراسة: محمد أرزقي فراد، **الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي 1866– 1952م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(مرقونة)، جامعة الجزائر 2004–2005م.

[6] أبو يعلى الزواوي، "حاصل الخلافة وملخصها في ثلاث نقاط"، **النجاح**، ع 166، 11 جويلية 1924م.

مستغرب، حيث ذكر بأنه قابل سنة 1912م في الشام قاضيا تركيا لا يتكلم كلمة أو كلمتين باللغة العربية إلا بصعوبة كبيرة، ويتساءل لماذا هناك قضاة وعلماء أكفاء في بلاد الشام ولم يتم تعيينهم، ويضيف قائلا: "... وبالجملة فإن مصلحة المسلمين في العرب وبالعروبة، وأن العرب ستون مليونا وأترك (...) وليس من الرشد بل من السفه أن نقول عن ستين مليونا حملة القرآن وحملة الدين(...) الممتدة من الحجاز طولا وعرضا إلى المغرب الأقصى، ونشتغل بشرذمة من الأتراك في أقصى الشرق، فليتب إلى الله المصريون والهنديون والتونسيون والجزائريون، وليتركوا التشيع والتنطع والتصنع، ولا يكونوا كالأمامية الباطنية ينتظرون محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ليخرج لهم من سرداب بلاد فارس فيتبعونه..."[1].

كما أن "أبو إسحاق أطفيش" حاول أن يقدم وجهة نظره في الموضوع من خلال جريدة "المنهاج" التي كانت تتابع عن كثب حركة "كمال أتاتورك"، حيث اعتبرها مخططا غربيا استعماريا نفذ بأيدي "أتاتورك" الذي نجح في البداية في كسب تعاطف المسلمين لما تظاهر بخدمته للإسلام والذود عن الخلافة الإسلامية، ولكن سرعان ما انتشر مظهرها الحقيقي والمتمثل في القضاء على الإسلام في تركيا وتبني العلمانية، وهذا ما جعل الحركة تبدو في نظر "أطفيش" في شكلها الخبيث اللاديني، وطفقت تحارب الإسلام وتهدمه ما استطاعت وتتهكم على أحكامه وآدابه"، وتتبع وتقلد معاليم الغرب في كل "صغيرة وكبيرة، في الجليل والحقير، وفي الغث والسمين"، فكان يرى نفسه لا يكون بحبوحة السعادة في زعمه إلا إذا كان أوربيا في كل شيء منسلخا في كل ما يسمى بالإسلام"[2].

وبعد ما بيّن الشيخ "أطفيش" التداعيات الخطيرة المنجرة عن إلغاء نظام الخلافة على الإسلام والمسلمين، انتقد بشدة آراء الشيخ الأزهري "علي عبد الرزاق" (1888- 1967)[3]، التي أوردها في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" والمتمثلة في أن نظام الخلافة مبتدع لا وجود له في التاريخ الإسلامي، وأنه يتعارض مع روح وجوهر الإسلام، فحاول الشيخ "أبو إسحاق" تفنيد هذه الآراء، معتبرا أن الإسلام راعى كل الأمور الدينية والدنيوية بما في ذلك طبيعة نظام الحكم، وأن نظام الخلافة أصل من أصول الشريعة إسلامية باتفاق جميع

[1] الزواوي، "الخلافة قريشية"، **النجاح**، ع 164، 27 جوان 1924م.

[2] أطفيش، "الانقلاب التركي الأخير"، **المنهاج**، ج1، ربيع الأول 1925/1344م، ص169.

[3] علي عبد الرزاق: هو مفكر مصري، درس في "الأزهر" وجامعة "أكسفورد"، أهم ما كتبه "الإسلام وأصول الحكم" سنة 1925م، تناول فيه مسألة الخلافة الإسلامية منذ تاريخها القديم، وخلص إلى الاعتقاد بأن نظام الخلافة غريب عن الإسلام وروحه، وبذلك خرج عن صفّ علماء الأزهر، لذلك حاكموه وصادروا كتابه ونزعت منه رتبته العلمية، للمزيد ينظر: محمد الصالح المراكشي، **قراءات في الفكر العربي الحديث المعاصر**، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، 2012، ص 163- 164.

المذاهب الفقهية الإسلامية، مستدلا بمبايعة الصحابة لأبي بكر الصديق بعد وفاة النبي (ص)، وما جعل الشيخ "عبد الرزاق" يتبنى ذلك الفكر، حسب "أبو إسحاق" هو تأثره بالعلمانية الأوروبية القائمة على مبدإ "الفصل بين الدين والسياسة وهذا الفكرة"[1].

III. 2. التنديد بالاستعمار الغربي في المشرق العربي (الانتداب الأوربي على المنطقة):

تابعت النخبة الجزائرية لاسيما الإصلاحية منها باهتمام شديد الاستعمار الأوروبي في المشرق العربي واعتبرته امتداد للحروب الصليبية، وتكملة للمشروع الغربي الاستعماري الذي يهدف إلى استعمار كل أجزاء العالم الإسلامي، والقضاء على الإسلام نهائيا، خاصة وأنه استهدف "المشرق" الذي كان في نظر النخبة كما ذكر أحدهم في "جريدة وادي ميزاب" بمثابة القلب النابض من الجسد، فهو أول ما ينفخ فيه الروح وآخر من ينزع عنه"[2].

ومن منطلق معرفتها بخبايا الاستعمار ودسائسه الذي عانت منه في الجزائر وقفت هذه الفئة منددة بكل أشكاله، كاشفة للرأي العام نواياه الحقيقية، فلاستعمار مهما كانت دعاويه وحججه فهو حسب "عمر راسم" نار مهلكة للمشرقيين عامة والمسلمين خاصة، فبسياسة الغرب الاستعمارية جرد المسلمون "من الحياة إلا ترديد الأنفاس، وحرموا من التمتع بالحق في بلادهم إلا ما فضل منها من حاجة المعمرين"[3]، فلا تكاد تطلع على عدد من أعداد الصحافة خاصة الصحافة العربية إلا وتجدها منددة إما تعريضا أو تلميحا بالسياسة الاستعمارية في المشرق، ولعلّ من بين أشهر من نددت بالاستعمار الإنجليزي في مصر جريدة "الإقدام" "للأمير خالد"، التي اعتبرته من بين المظاهر المعبرة عن التسلط الاستعماري في المشرق بدون "رحمة ولا شفقة حسب تعبيرها"[4].

وإلى جانب "الإقدام" كانت جريدة "الصديق" لا تتوانى في كشف مخططات الإنجليز الاستعمارية في المشرق العربي والعالم الإسلامي ومصر خاصة، فتحت عنوان "سياسة الإنجليز الوخيمة" كتب أحدهم باسم مستعار مقالا يفضح فيه السياسة الإنجليزية وانعكاساتها الخطيرة على العالم الإسلامي، فكل من تصفح السياسة الحاضرة والماضية يجد ما لهذه الدولة من القسوة والتهديدات للأمم الإسلامية حتى صارت جميع الأمم الإسلامية

[1] أطفيش، "الإسلام وأصول الحكم"، **المنهاج**، ج 1، صفر 1344هـ/ 1925م، ص03.
[2] **مجلة وادي ميزاب**، ع 46، 26 أوت 1927م. نقلا عن: ناصر، **المقالة الصحفية..**، ج1، ص 392.
[3] راسم، "زخرف المدينة الأوروبية"، المصدر السابق.
[4] **الإقدام**، ع 59، 30 ديسمبر 1921م.

تضج من مكائد سياستها وتصب حبائلها"[1]، ومن بين مكائدها الاستعمارية الهادفة إلى تفكيك الأمة الإسلامية أنها أغرت "شريف مكة" لشق عصا الطاعة عن تركيا بعدما وعدته بوعود كاذبة، كما أوعزت "للأمير فيصل" بسوريا لعصيان دولة الانتداب الفرنسي، ولكن لما قمعته دولة الانتداب، لم يلق أي مساعدة من طرفها، وبعد أن ذهب إليها شاكيا، وعدته بمنحه إمارة العراق مقابل دسائسه وعمالته لها"[2]، كما تعرض صاحب المقال إلى مختلف سياساتها ووعودها الكاذبة في أغلب الأقطار العربية الإسلامية، كالعراق، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحنثها بكل العهود والمواثيق التي أبرمت بينها وبين مصر، وبينها وبين الهند، وسعيها الحثيث بهدف القضاء على الدولة العثمانية وذلك بمساندة اليونانيين وتدعيمهم في حربهم ضد تركيا"[3].

ولم تكتف النخبة الجزائرية بالتنديد بالسياسة الاستعمارية الفرنسية والإنجليزية فقط، بل كانت تتابع كل ما يحاك ضد المسلمين من مؤامرات، خاصة التي تتم في شكل اتفاقيات ظاهرها التعاون وباطنها التغلغل والاستعمار، وهذا ما حاول أن ينبه إليه "أبو اليقظان" في مقال: "ماذا يخبئ الغرب للشرق؟"، محاولا كشف أبعاد المعاهدة التي عقدتها إيطاليا مع إمام اليمن "يحيى"، فظاهرها اقتصادي غير أن أبعادها سياسية واستعمارية، لأن من بين بنودها التزام حكومة اليمن بجلب الأشخاص الفنيين من إيطاليا وما قيل من تولي الضباط الإيطاليين لبعض الأعمال العسكرية في جيش الإمام وتدفق أسلحتهم وذخائرهم... إلى آخر التدخلات التي تقتضيها سياسة الاستعمار"[4].

وفي تحليله لدوافع إبرام "الإمام يحي" لهذه المعاهدة يقول: "... إذا حاولنا أن نعلّل هذه المغامرة فلا نجد لها تعليلا شافيا غير المنافسة التي بينه وبين أبي سعود، والانتقام من الإمام الإدريسي الذي احتمى من سطوته في ظل الملك ابن سعود، وهناك أمور ثانوية كالاختلاف المذهبي"[5] بين الشيعة الزيدية والسنّة.

كما وقفت النخبة بقلمها تناصر الحركات الوطنية في العالم العربي، فمثلا تابعت جريدة الأقدام حركة "سعد زغلول"[1] في مصر، واعتبرت أن التضييق عليه ثم نفيه من طرف حكومة الحماية الانجليزية كان بهدف

---

[1] م. ج، "سياسة إنجلترا الوخيمة"، **الصديق**، ع 37، 6 جوان 1921.

[2] نفسه

[3] نفسه.

[4] أبو اليقظان، "ماذا يخبئ الغرب للشرق"، مجلة **وادي ميزاب**، ع 23، 11-03-1927م. نقلا عن: محفوظ توانزة، **القضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية من 1914 إلى 1948م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2001-2002م، ص59.

[5] نفسه.

"تحطيم الشعور الوطني المصري"، وعلى إثر ذلك خرج المصريون في مظاهرات مستنكرين ذلك الحادث، إلا أن ذلك لم يزد إنجلترا إلا تعنتاً وغطرسة وقامت بتجنيد الجنود وحشدها بوادي النيل وفي نيتها التمادي في مقاومة القوة الاستقلالية المصرية إلى النهاية، وأنّى لها ذلك مع أمة حية عالمة تقدر الحياة قدرها وتعلم أنها لا تكون حية إلا بالموت"[2].

لقد كانت "الإقدام" تتابع عن كثب الحركة الاستقلالية في مصر، ومن بين ما نقلته إلى جانب المظاهرات المنددة باعتقال ونفي "سعد زغلول"، نقلت كذلك الخطاب الذي ألقته زوجة "سعد زغلول" الذي دعت فيه الشعب المصري إلى الإتحاد والتعاون لإبطال مخططات الانجليز وتحقيق الاستقلال[3]، ونفس الخطاب كذلك نقله "مولود الزريبي" ونشره في جريدة الصديق[4]، التي تعتبر من بين الجرائد العربية التي تابعت باهتمام الحركة الوطنية المصرية ونقلت للقرّاء الجزائريين كل مجرياتها، خاصة قضية نفي "سعد زغلول" وما ترتب عنها من ردود وطنية داخل مصر، وكذلك مختلف المباحثات التي كان يجريها مع الحكومة الانجليزية، كالمفاوضات التي جرت يوم 21 جانفي 1921م والتي اشترطت فيها إنجلترا مجموعة من الشروط لمنح الاستقلال، تدور مجملها حول ضمان المصالح الحيوية لإنجلترا في المنطقة[5].

ولعل من بين أهم القضايا التي اهتمت بها النخبة الجزائرية في وقت مبكر هي القضية الفلسطينية، وكشف مخططات الصهيونية وأطماعها في فلسطين، ويعتبر "راسم" المعروف بمقته الشديد لليهود كما أشرنا سابقاً، من الأوائل الذين نبهوا إلى خطر اليهود والصهيونية على العالم الإسلامي، ويظهر هذا من خلال ردّه على "رشيد رضا" الذي اقترح عقد اتفاق تعايش مع الصهاينة، فاستنكر راسم ذلك، وأعرب عن رأيه المتمثل في استحالة عقد اتفاق معهم، قائلا: "... إن اتفاق زعماء العرب أبناء الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل، لأنه اعتراف بزعامة اليهود، ورضى بمشاركة هؤلاء الأجانب في بلاد اشتراها آباؤهم بدمائهم الطاهرة، فلا يحق

---

[1] سعد زغلول (1857-1927): مناضل مصري، مؤسس حزب الوفد المصري، أعلن الثورة ضد نظام الحماية الإنجليزية سنة 1919م لما اعترضت سبيله إلى مؤتمر الصلح لطرح قضية شعبه، نفي إلى مالطا في مارس 1919م لمدة شهر، ثم نفي مرة ثانية سنة 1922م، وبعد عودته إلى مصر تولى مجلس الوزراء سنة 1924م، ورئاسة مجلس النواب خلال سنتي 1925-1926، للمزيد ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج 03، ص 83.

[2] **الإقدام**، ع 59، 30 ديسمبر 1921م.

[3] **الإقدام**، ع 66، 18 فيفري 1922م.

[4] **الصديق**، ع 49، 13 فيفري 1922م.

[5] نفسه.

لغير العرب وهم أبناء إبراهيم الأصفياء الأزكياء الموعودون بتلك البقعة الطاهر... ولا راية غير راية الإسلام أن تخفق عليها مادام في عروق العرب دم وفي أجسام المسلمين روح..."[1].

وإلى جانب راسم كذلك نجد "ابن قدور" من الأوائل الذين بيّنوا للمسلمين مكائد اليهود ودسائسهم، فكان لهم –في نظره– دور كبير في إضعاف الدولة العثمانية كما قلنا سابقا، فكل أعمالهم داخل الدولة العثمانية كانت في نظر المعمرين تمهيدا لسيطرتهم على بلاد فلسطين، وبعد نهاية الح.ع.I، وانكشاف "وعد بلفور" الذي صدر في نوفمبر 1917م، وبداية عمل الصهاينة علانية بدعوة اليهود للالتفاف حول الحركة الصهيونية ومساندتها بالأموال لاسترجاع أرضهم الموعودة كما يزعمون، كانت النخبة الجزائرية تتابع هذه الأعمال وتطلع الرأي العام الإسلامي بمخططاتهم.

ومن بين الذين تابعوا الحركة الصهيونية منذ عشرينات القرن الماضي "السعيد الزاهري" الذي حاول في عدة مقالات بجريدة "البرق" أن يفند ادعاءاتهم، المتمثلة في أن فلسطين هي أرض وعد بها الله بني اسرائيل، وأكد بأن الحركة الصهيونية هي شكل من أشكال الاستعمار، ومما قاله "الزاهري": "...يقول اليهود أن فلسطين ملكا لهم بأمر الرّب، وإذا كان الأمر كذلك فمن الذي أخرجهم منها وهل هو أقوى من الرّب؟ وعلى كل حال فهي ليست لهم لأن أهاليها هم الذين لم يفارقوها ومكثوا فيها من قبل التيه إلى اليوم، ولم يأمر الرّب ولم يوافق العدل على أن يملك تلك الأرض إلا المتدين باليهودية، بل الحق الذي لا مراء فيه هو أن استعمار فلسطين من طرف اليهود هو ظلم كسائر الاستعمار، ولذلك لا نرضى أن تكون تلك الأموال التي اختلسوها منا ومن غيرنا بالرّبا وبالوجوه المعلومة أساساً لبناء ملكهم ونفوذ سيادتهم على إخواننا المسلمين أهالي فلسطين الحقيقيين..."[2].

وقد واصلت النخبة الجزائرية في رفضها واستنكارها للأطماع الصهيونية في فلسطين، واعتبرت من خلال صحافتها، ورسائلها الاحتجاجية أن الحركة الصهيونية والاستعمار هما وجهان لعملة واحدة، وأن الاستعمار الغربي دعّم الاستعمار الصهيوني في فلسطين حتى يحافظ على مصالحه الحيوية في المنطقة[3].

---

[1] المسألة الصهيونية: **ذوالفقار**، ع 04، 23 جوان 1914م

[2] الزاهري، "أين تذهب أموالنا"، جريدة البرق، ع15، 20 جوان 1927م.

[3] للمزيد حول مواقف الحركة الوطنية من الحركة الصهونية يراجع: إبرير حمودي، **الحركة الوطنية الجزائرية ومواقفها من القضية الفلسطينية 1917م– 1962م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2002–2003م، ص 46 وما بعدها. وكذلك: يوسف مناصرية، **النشاط الصهيوني في الجزائر 1897–1962م**، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص251 وما بعدها.

ثانيا: مواقفها واهتماماتها المغاربية:

ما يميز نضال الجزائريين في المشرق العربي هو تفاعلهم مع قضايا العالم العربي الإسلامي، لا سيما قضايا المغرب العربي، وعدم التخندق في القطرية الضيقة التي أفرزها الاستعمار، وقد أسهمت مجموعة من العوامل في جعل الجزائريين يتفاعلون مع قضاياهم المصيرية، وخاصة مع قضايا المغرب العربي، ومن بينها العامل الطبيعي ووحدة الهوية والانتماء الحضاري لمنطقة المغرب العربي، كما أن السياسة الفرنسية قد جعلت أواصر التقارب بين الأقطار العربية أكثر تجذرا، لأنها دفعت بالعديد من الجزائريين إلى الهجرة والاحتكاك ببعضهم البعض.

I. القضية التونسية:

عندما أعلنت فرنسا على احتلال تونس ووصلت جيوشها في 25 ماي 1881 من الحدود الجزائرية إلى (الكاف)، كان شيخ الطريقة الرحمانية يحث الناس على المقاومة سواء في القطر التونسي أو الجزائري، كما أن القائد "رشيد الجزائري" كان يعتبر عدوا لدودا لفرنسا استعد لمجابهة القوات الفرنسية الغازية، وهيأ نحو ألف من المقاومين للجهاد،[1] واستطاع التأثير على شيخ الطريقة القادرية "قدور بن محمد الميزوني" وعلى عدد من الأعيان وأقنعهم بالمقاومة ضد قوات الاحتلال، غير أن الباي أصدر أوامره بعدم مجابهة الفرنسيين، مما أجبر القائد رشيد إلى التسليم، إلا أن الشعب لم يرضخ للأمر وتمت مهاجمة القائد الفرنسي (روا) من طرف مجموعة من الوطنيين وكادوا يفتكون به، واضطروه إلى الرجوع إلى الكاف، وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس توزع الجيش الفرنسي في كل البلاد، وهو لا يقل عن 28.000 جندي[2].

وخلال شهر جانفي 1881 أثناء استعداد فرنسا لاحتلال تونس قام سكان مناطق الحدود بعنابة وسوق اهراس بحملة واسعة لاقتناء الأسلحة والذخيرة وتعاون معهم اللاجئون الجزائريون عبر الحدود، وتزايد اقتناؤهم لها في فيفري ومارس 1881، وفي أفريل اشترك الجزائريون مع التونسيين في مقاومة الغزو الفرنسي لجزيرة طبرقة وجبال خمير ووشتاتة والفراشيش وبني مازن، واستغل الجزائريون في منطقة الحدود إشاعة خروج محمد الطاهر الكبلوتي من سجنه بحلق الوادي،فأخذوا يتسلحون ويكونون فرقا وكتائب لاستئناف المقاومة التي كان قد قام بها سنة 1871 مع صبايحية زمالات الحدود ببوحجار والطارف وعين قطار، وخلال شهر ماي دخل عدد من المهاجرين الجزائريين من نفطة ونفزاوة إلى الجزائر بالسلاح والذخيرة واستقروا بجبال أولاد سلطان في الأوراس،

[1] أحمد الطويلي، **دراسات ووثائق الحركة الإصلاحية بتونس**، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1992، ص73.
[2] نفسه، ص74.

وكان من بينهم الحاج خلف ومبارك بن سعيد، ونظموا مقاومة منسجمة مع إخوانهم بتونس وخلقوا جوا من الرعب والفزع للجنود الفرنسيين رغم مقتل الحاج خلف.

وليس هناك أدنى شك في أن الجزائريين بمختلف فئاتهم وطبقاتهم الاجتماعية كانوا ضد الاحتلال الفرنسي لتونس، رغم أن هذا الاحتلال انطلق من بلادهم لأنهم كانوا يعتبرونها وطنهم الثاني يلتجئون إليه عندما يطاردهم جيش الاحتلال من بلادهم ويرغمهم على الهجرة والتشرد، فأعلن الجزائريون غضبهم وحملوا السلاح مع إخوانهم التونسيين في مختلف جبهات القتال والمقاومة على طول منطقة الحدود وفي أعماق البلاد التونسية وداخل الجزائر نفسها في إطار إشغال جزء من القوات الفرنسية بها لتمكين إخوانهم التونسيين من الكرّ والفرّ[1].

كما اندلعت انتفاضة الشيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني في ربيع 1881 بعد أن شاهد هذا الأخير معظم القوات الفرنسية تغادر إلى الجبهة التونسية، وحدد توقيتها بنهاية شهر جوان حيث يكون الفلاحون قد انتهوا من جمع محصولاتهم الزراعية، وكان تقديم هذا التوقيت هدفه خلق اضطراب في القوات الفرنسية المتأهبة لاحتلال تونس، وبذلك تكون قد تأكدت مخاوف فرنسا حول مساندة الجزائريين لإخوانهم التونسيين، رغم سياسة القهر والاضطهاد التي طبقتها على الجزائريين قبل بدأ هجومها على تونس[2].

كما ظهر جزائريون ومعهم تونسيون في واحات وادي سوف ووادي ريغ وتقرت يحثون الناس على حمل السلاح لمقاومة جيش الاحتلال، ودعمهم المقاومة بتونس، فاضطرت السلطات الفرنسية إلى فرض حراسة مشددة على طول منطقة الحدود من القالة وعنابة شمالا إلى ما وراء تبسة جنوبا، وحشدت ثلاثة آلاف جندي، ووضعت مشروعا لاكتساح عمالة قسنطينة بالجزائر ومنطقة القيروان بتونس لتتبع الثوار والمقاومين[3].

أما من الناحية السياسية، فهناك من الجزائريين الذين تولوا مناصب قيادية في الحركة الوطنية التونسية منهم "محمد السنوسي" محرر جريدة الرائد التونسي" الذي اعتبه التونسيون (زعيم أول حركة وطنية) بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس، وكان السنوسي من علماء الزيتونة، ولقد كان أول اتصال لتونس مع النخبة المثقفة المشرقية أمثال: الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي .. على يديه، فقد بعث برسالة إلى الأفغاني وعبده تعبر عن موقف الشعب التونسي من أفكارهما في مجلة (العروة الوثقى)، وجاء فيها: ((.. ماذا يقول لسان أمة فؤادها عليل،

[1] خير الدين شترة، **قضايا تاريخية** ..، المرجع السابق، ص16.

[2] نفسه، ص19.

[3] بوعزيز، مرجع سابق، ص87.

مذهب أطوارها بالتبديل، وتلاشت منها القوى وعظم بها الوجل فأصبحت وهينة آلام أوهنت منها قوة الاعتصام ..)[1]، إلا أن حركة محمد السنوسي لم تتمكن من تحقيق أهدافها وغاياتها نتيجة للسياسة التي اتبعتها فرنسا معها بإبعاد "محمد السنوسي" من البلاد والقضاء على أصحابه وتشتيت جمعهم[2]، وبعد استشهاد القائد "علي بن خليفة" في 14 نوفمبر 1884 ركدت المقاومة المسلحة شيئا فشيئا –خصوصا في أقصى الجنوب– واستولت على نفوس التونسيين روح الهزيمة والإحساس بالضعف، فحاولت النخبة التونسية في العاصمة القيام بحركة احتجاجية بقيادة الشيخ محمد السنوسي –الجزائري الأصل– الذي رجع إلى تونس سنة 1884 بعدما انضم إلى حركة العروة الوثقى وأصبح ممثلا لها، ونظم الزيارة الأولى للشيخ عبدة إلى تونس في ديسمبر 1884[3].

وهناك المكي بن عزوز الجزائري الذي تزعم أول حركة سلفية بتونس، وكان أيضا من علماء الزيتونة، والذي يعود له الفضل في تكوين "عبد العزيز الثعالبي" –ذو الأصول الجزائرية– زعيم أول حزب سياسي وطني في تونس (الحزب الدستوري التونسي الحر)، كما أن تلامذة المكي بن عزوز هم الذين أسسوا –بعد هجرته إلى المشرق– جريدة (المستقبل التونسي) بالفرنسية و(حبيب الأمة) و(سبيل الرشاد) بالعربية ..، ومنهم أيضا علي بوشوشة الذي أسس جريدة (الحاضرة) التي أصبحت لسان حال كتلة قوية من المثقفين والمدرسين من الزيتونة والصادقية وعملت على ربط الحركة في تونس بتيار الجامعة الإسلامية[4]، وفي 1887 قاد المكي بن عزوز دعوة إصلاحية جادة، حث فيها على العودة إلى مقاومة الجمود والتخلف، وقد اشترك هذا الأخير في إصلاحات خير الدين على عهد الصادق باي، إذ كان يشغل خطة منصب الفتية بنفطة[5]، وأهمية الشيخ بن عزوز بالنسبة للحركة الوطنية التونسية تتمثل في كونه من مؤيدي الإصلاح والناقمين على الشيوخ الجامدين واستطاع هذا العالم بفضل استنارته من أن يكون له مدرسة تأثرتن برأيه، ونهجت على منواله، وأهم هؤلاء: الشيخ الثعالبي والشيخ الخضر حسين.

وتواصل التضامن والدعم الجزائري لإخوانهم التونسيين، ونلاحظ ذلك من خلال مشاركة كل من "عبد الجليل الزاوش" و"الصادق الزمرلي" في مؤتمر "شمال افريقيا" الذي انعقد بباريس ما بين 06-10 أكتوبر

---

[1] علي الشابي، "صلة النخبة التونسية بجمال الدين الأفغاني"، **م.ت.م**، مرجع سابق، ع 10-11، تونس، جانفي/فيفري 1978، ص5.

[2] شترة، **قضايا تاريخية** ..، مرجع سابق، ص20.

[3] نفسه، ص21.

[4] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص191-192، ينظر كذلك: علال الفاسي، **الحركات الإستقلالية**، مصدر سابق، ص-ص 41-45.

[5] حول الموضوع، يراجع: هشام ذياب، المرجع السابق.

1906، فقد تحدث الزاوش في موضوع اجتماعي هام يتعلق بالجامع الأعظم والمدرسة الخلدونية، وطالب ببعث جامعة عصرية تتولد من الخلدونية تختص بتدريس العلوم العصرية، ويبقى جامع الزيتونة لتدريس العلوم الشرعية، أما الصادق الزمرلي (1885-1983) فقد تكلم في موضوع تثقيف المرأة المسلمة، وذكر ما كان لها من المستوى الرفيع في جميع العلوم العقلية والنقلية والأدب والسياسة[1]، كما حاول الزاوش التدخل لحقن دماء الأهالي في المأساة التي وقفعت إثر أحداث مقبرة (الجلاز) المؤلمة 1911[2].

وابتداءا من سنة 1912 وحتى اندلاع الح.ع.I دخلت الحياة السياسية في تونس في الركود خصوصا بعد دخول بعض رجال حركة الشباب التونسي على خط السلطة الفرنسية، ولم يبق وفيا للعهد إلا الشيخ عبد العزيز الثعالبي صحبة عدد من الوطنيين الأحرار سيما منهم الشبان أمثال الجزائريين حسين الجريري وأحمد توفيق المدني[3].

II. القضية الليبية:

كانت ليبيا قبل الغزو الايطالي لأراضيها تابعة للدولة العثمانية، وتدار شؤونها السياسية من استانبول مباشرة من 1835، أي فترة العهد العثماني الثاني، حيث كان السلطان العثماني يعين واليا عثمانيا، ويرسله بفرمان إلى ليبيا"ولاية طرابلس الغرب"، وقد تناوب على حكمها 33 واليا في مدة لا تزيد عن 76 سنة ما بين (1835-1911)[4] لم تشهد البلاد خلالها أية إصلاحات كبيرة، وإن تحسنت الحالة الأمنية بعض الشيء بعد القضاء على الانتفاضات الداخلية، كما اهتم بعض الولاة ببناء المساجد والمدارس والزوايا القرآنية، هذا وكانت سلطة الإدارة الفعلية مقتصرة في معظم الأحوال على المدن الساحلية[5]k وعموما لم تكن الأمور في ليبيا بصفتها ولاية عثمانية أفضل من باقي الولايات العثمانية الأخرى سواء العربية أو غيرها.

فحينما ضعفت الدولة العثمانية أخذت الدول الاستعمارية تتآمر وتتسابق على امتلاكها والسيطرة على أراضيها، فبدأت بالتمهيد لذلك بالتغلغل الاقتصادي عن طريق الامتيازات التي كان يمنحها السلطان للشركات والدول الأجنبية بلا تحفظ، وبتلك الطريقة نالت كل دولة من الدول الاستعمارية الكبرى نصيبها من أملاك

[1] حول الموضوع أكثر يراجع: خير الدين شترة، **قضايا تاريخية** ..، مرجع سابق، ص-ص 25-30

[2] ينظر حول الموضوع: الصادق الزمرلي، **أعلام تونسيون**، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص-ص 162-164.

[3] خير الدين شترة، **قضايا تاريخية** ..، مرجع سابق، ص31.

[4] مصطفى حامد ارحومة، **المقاومة الليبية التركية ضد الغزوالايطالي أكتوبر 1911**، م.ج.ل.ط، 1988، ص29.

[5] صلاح العقاد، **ليبيا المعاصرة**، المطبعة الفنية الحديثة، بيروت، لبنان، ص-ص 27-29.

الرجل المريض (تركيا) إلا إيطاليا التي نزلت إلى ميدان الاستعمار متأخرة نتيجة لظروفها الداخلية، وحاولت أن تتشبه بالدول الكبرى بتكوين مستعمرات ومنشآت في عرض البحار تستعيد بها ذكريات الإمبراطورية الرومانية.

فبعد أن وضعت فرنسا يدها على تونس التي كانت تتطلع إليها إيطاليا بحكم القرب الجغرافي، واعتبرته ضربة موجعة لكرامتها ومكانتها ومصالحا في حوض البحر المتوسط، راحت تبحث عن مكان آخر لها، فلم تجد أمامها سوى ليبيا التي لم تجلب لها أنظار القوى الاستعمارية لقلة غناها ومواردها آنذاك، فقررت إيطاليا استعمارها لتعوض بها ما فاتها في تونس، فراحت تمهد الطريق لذلك خشية وقوف الدول الأخرى في طريقها، فاعترفت لفرنسا بحمايتها على تونس، كما عقدت معها معاهدة نصت على تأييد إيطاليا لفرنسا في مسألة المغرب الأقصى مقابل تأييد فرنسا لإيطاليا في ليبيا، كما أن بريطانيا مالت لتشجيع إيطاليا لتتخذ منها حليفا في المسألة المصرية، ولما اطمأنت إيطاليا إلى موقف الدول أعلنت الحرب على تركيا سنة 1911، بحجة أن فقدان الأمن في ليبيا يضر بمصالحها[1]، وبذلك تعرضت ليبيا كغيرها من شقيقاتها العربيات للاستعمار الأوربي.

وإذا كانت بعض الشعوب في البلدان العربية والإسلامية قد سمحت لها ظروفها السياسية بالوقوف إلى جانب الليبيين، فإن الجزائريين رغم الستار الحديدي الذي أسدل عليهم من طرف الإدارة الفرنسية، إلا أنهم بادروا بالوقوف إلى جانب إخوانهم الليبيين، وذلك لأن العلاقات الجزائرية الليبية تعود إلى فترة طويلة من الزمن، والتي جذّرتها علاقة الدين واللغة والجنس والجوار..، ويقول في ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي: " .. ولإخواننا الليبيين –أو الطرابلسيين– حق الدين، وحق اللغة، وحق الجنس، وحق الجوار، وحق الاشتراك في الآلام والمحن، وفي الآلام المقترحة على الزمن، وهذه كلها أرحام يجب أن تبل ببلاهة، وحقوق في ذمة المروءة والوفاء يجب أن تؤدى .."[2].

وتلبية لنداء واجب الجهاد الذي أعلنه "الأمير علي"، التحق العديد من الجزائريين بالحرب في طرابلس الغرب سنة 1914، ومن هؤلاءالحاج مصطفى المعروف باسم "مصطفى عوني عبد القادر التفراوي"[3]، حيث يقول عنه مبارك ميلاد: "... وكان آنذاك يبلغ من العمر واحدا وعشرين ربيعا، ويحمل بين جنبيهعواطف إسلامية وعربية جياشة وقلبا كبيرا يتجاوز تفكير أقرانه عندما عزم على مفارقة أهله، ومغادرة مسقط رأسه إلى

[1] حول الموضوع ينظر: محمد بالخير الهاشمي الهاني، **الغزوالإيطالي وبداية حركة المقاومة المسلحة**، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزوالإيطالي، الجماهيرية العربية الليبية، 1985.

[2] محمد البشير الابراهيمي، "ليبيا، موقعها منا (1)، **البصائر**، ع 112، السلسلة الثانية من السنة الثالثة، 20 مارس 1950، ص1.

[3] هزرشي، **الجزائريون والتضامن** ..، مرجع سابق، ص362.

حيث مقاتلة الكفار في طرابلس الغرب..."[1]، وقد عمل هناك تحت رئاسة القائد العام لشمال إفريقيا نوري باشا وأمير اللواء إسحاق باشا، والقائد تمسكت، وعين بعد ذلك ضابطا نضاميا مع المجاهد رمضان السويحلي، الذي كان أحد المخلصين والمقربين منه، والذي كان يختلي به لبحث أخطر الشؤون معه، كما شارك في المعارك التي خاضها الليبيون ضد الإيطاليين في مصراتة وزلتين والزاوية وترنية[2]، وإثر انتهاء المقاومة في الجبهة الغربية بعد توقيع صلح 1919 الذي رفضه وأصرّ على استمرارية المقاومة التحق بالجبهة الشرقية حيث كان "عمر المختار" يقود ثورته التحررية، والذي كلفه بدور الوساطة بينه وبين لجنة جمع التبرعات بمصر[3]، وبقي معه إلى غاية اسشهاد عمر المختار سنة 1931[4].

كما نجد شخصية أخرى هنا من أصول جزائرية لعبت دورا كبيرا في القضية الليبية وهي شخصية عبد العزيز الثعالبي، الذي ينتمي إلى بيت العالم الشهير الشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين مدينة الجزائر، والذي كان تلميذا للشيخ المكي بن عزوز في الزيتونة، وقد سخر الثعالبي قلمه ولسانه لشدّ أزر المجاهدين الليبيين من خلال الدعوة للجهاد، وجمع التبرعات والأدوية، وتسخير جريدة (الاتحاد الإسلامي) لمساعدة إخوته الليبيين ماديا ومعنويا، ويذهب بعض الباحثين إلى أن أحداث الغزو الإيطالي، وما ترتب عنها من نتائج قد ساهم في تطرف الثعالبي في نقده للإدارة الاستعمارية وازدياد تمسكه بالوحدة الإسلامية[5]، وكان يقول للناس الذين يقدمون له التبرعات لأهل طرابلس: " إذا تمكن أبناء شعبنا في ليبيا من تحقيق الاستقلال، فهذا سيؤدي حتما إلى استقلالنا هنا في تونس، لأن حرية أي قطر من وطننا الكبير هي دعم للنضال من أجل تحرير أقطار وطننا الأخرى، وهذا الشيء يدركه الأجانب جيدا[6]، كما نجد الشيخ محمد الخضر حسين الذي هبّ لمساندة إخوانه الليبيين بشتى الطرق، ومن ذلك قصيدته المطولة، والتي نشرت بصحف تونس، حثّ من خلالها المواطنين على مساندة الجهاد في ليبيا.[7]

[1] محمد ميلاد، مبارك، "المجاهد المرحوم مصطفى الجزائري شيء من حياته وجهاده"، **مجلة الشهيد**، العدد 7-8، ليبيا، 1988، ص83.
[2] نفسه، ع 5، ص304.
[3] محمد ميلاد، مبارك، ع5، ص62.
[4] نفسه، ص67.
[5] مناصرية، **الحزب الحر** ..، مرجع سابق، ص95-96.
[6] بوذينة، **عبد العزيز الثعالبي**، مرجع سابق، ص06.
[7] آجرون، **الجزائريون المسلمون**، مرجع سابق، ص817.

كما نلاحظ خلال هذه الفترة أن منطقة جنوب الجزائر قد قامت بدور فعال في حركة الجهاد الإسلامية بتونس التي امتدت في كل شمال افريقيا، وهي أيضا التي أجبرت الإيطاليين على الانسحاب من طرابلس والمدن الساحلية وأجبرت الفرنسيين على الإحتفاظ بقوات عسكرية ضخمة في شمال افريقيا لمواجهة ثورة المسلمين هناك[1]، ومثال على ذلك أنه لما قامت الحرب الليبية الإيطالية قام "باعمر يحي بن قاسم"[2] (1850-1930) بتموين الجيش العثماني بالذخائر والمعدات من الجنوب التونسي أين كان يدعوا التونسيين ويؤلبهم ضد الغزو الإيطالي، كما فتحت له تركيا أبواب المصارف (البنوك) لدفع ما يحتاجه من داخل تونس، وهيأت له جميع الإمكانيات، فكان له دور محوري قام به أحسن قيام[3]، كما اعتبر الكثير من الجزائريين مقاومة الليبين للاحتلال الإيطالي مقدمة للثورة الجزائرية، وهذا ما عبر عنه أحد الجزائريين عند التقائه بأحد المجاهدين الليبيين القادم من باريس عن طريق الجزائر للالتحاق بالمجاهدين في طرابلس الغرب، حيث يقول المجاهد الليبي: "... فأجابني أكبر الجماعة سنّا متأوها: يا بني نحن تحت رقبة الاستعمار منذ سنين طويلة وليس لنا أمل في الخلاص منه إلا على نتيجة جهادكم، فإن أنتم تخلصتم من الاستعمار وكسبتم حريتكم فسيبقى لنا أمل وسيظل طريق الخلاص مفتوحا أمامنا ...".

ومن مظاهر دعم الجزائريين للمجاهدين الليبيين جمع التبرعات التي شاركت فيها كل أطياف المجتمع الجزائري، خاصة الأعيان الذين حاولوا –حسب أحد التقارير الفرنسية المؤرخ في فيفري 1912- أن يكونوا قدوة للعامة، ففي عمالة قسنطينة وحدها تمّ جمع 30.500 فرنك فرنسي، ويضيف ذات المصدر أن أغلب الجمعيات والنوادي الثقافية في الجزائر قامت في تلك الأثناء بجمع التبرعات، ومن بينها نادي (الإقبال) في قسنطينة، و(ودادية المسلمين) في سيدي بلعباس وتلمسان، و(الجمعية التوفيقية)[4] في الجزائر العاصمة، وقد التف

[1] يحي جلال، **السياسة الفرنسية ..**، مرجع سابق، ص278.

[2] باعمر (يحي بن قاسم بن عيسى) ((1850-1930))، من آل آخفيان بمليكة من وادي ميزاب، كان قوي الشخصية في عزة النفس، تاجر في الجزائر العاصمة، كان له مواقف سياسية واجتماعية، كموقفه من التجنيد الإجباري بوادي ميزاب سنة 1919، حيث أوقف فرقة السنغاليين ومنعها من دخول بلاد ميزاب، وتموينه للجيش العثماني من تونس في الحرب الإيطالية الليبية، وإرساله لأول نخيل إلى أمريكا من وادي ميزاب. ينظر كذلك: حمو محمد عيسى النوري، **نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية**، ج1، دار الكروان، باريس، 1984، ص386. نقلا عن: خير الدين شترة، **قضايا تاريخية في الإسهام الفكري والحضاري للنخب الجزائرية بالمهجر وأبحاث في قضايا فكرية معاصرة**، ج2، دار الصّدّيق للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، هامش ص23-24.

[3] حمو النوري، المرجع السابق، ص332.

[4] شكلت الجمعية التوفيقية جمعية مصغرة مكلفة بجمع التبرعات لصالح الجرحى الليبيين سنة 1912، تتكون من الرئيس الدكتور "ابن التهامي"، نائب الرئيس كل من الأستاذ "صوالح" ومدير جريدة (الإسلام) صادق دندان و"فايد حاج محمد"، والأعضاء وهم: "برانكي" معلم، "حسن خوجة" مترجم، والطلبة "عجلالي، آيت قاسي،شريف بن حبيلس، شريط". ينظر: **L'Islam**, N°108, 03/03/1912

التف الأهالي حول هذه الجمعيات، وجمعوا مساعدات معتبرة لصالح مجاهدي ليبيا، ويقول في ذات الشأن الهاشمي بلخير الباحث الليبي" "... هذا والجدير بالذكر أن الدكتور بن جلول، والسيد علي بن جبارة وأخاه أحمد بن جبارة قد قاموا بجمع التبرعات في الجزائر لصالح المجاهدين ..."[1]، والجدير بالذكر أن الجماهير الجزائرية لم تكتف بتقديم المساعدات المادية فقط، بل قامت بعدة مظاهرات خاصة في البليدة، وهران، الجزائر تستنكر فيها الغزو الإيطالي لليبيا، مبدية تضامنها مع الدولة العثمانية في حربها ضد إيطاليا[2].

ومما لا شك فيه أن الجماهير الشعبية لم تتحرك بمحض إرادتها وإنما بإيعاز من النخبة الجزائرية من خلال الكتابات الصحفية ونشاط الجمعيات التي بينت خطورة الغزو واعكاساته على العالم الإسلامي، ولعل أهم من تفاعل مع القضية الليبية منذ بداية الغزو "عمر بن قدور" الذي وصف لنا في إحدى مقالاته التي نشرتها جريدة (الحضارة) في الآستانة وقع خبر الغزو الإيطالي عليه وعلى بقية الجزائريين قائلا: "... وفي هذا المساء، وهو مساء اليوم الثاني من عيد الفطر، فاجأنا –بينما منا نعايد الأصدقاء والأحباب– نبأ عظيم اهتزت له قلوب المسلمين، فوقع على أسماعهم كالصاعقة المحرقة، فماجوا فزعا ووجلا، ذلك النبأ خبر ذهاب الأسطول الإيطالي إلى طرابلس الغرب، يحمل القوة الاحتلالية لنزع تلك الدرة الثمينة من تاج الخلافة الإسلامية ..."[3]، ولم يكتف "بن قدور" بإبراز إحساس الجزائريين بمأساة إخوانهم بطرابلس الغرب، فقد وجّه نداءاته من الجزائر إلى الجيش العثماني للدفاع عن ليبيا وحمايتها، وذلك بدافع الشعور الإسلامي ووحدة المصير، فبحكم خبرته وتجربته مع الاحتلال الفرنسي للجزائر فهو يدرك أن مستقبل طرابلس لن يختلف عن ما آلت إليه الأوضاع في الجزائر، أو عمّا ستؤول إليه الأوضاع في أي بلد عربي في المستقبل، وقد عكس ذلك في قصيدة له بعنوان (الأسوة الحسنة في حرب طرابلس الغرب)، والتي صوّر فيها مأساة الليبيين، وحدد مظاهر خذلان بعض الأطراف بشكل دقيق وقال:

رعى الله قوما في (طرابلس) الغـــرب ... تبين فضل الشرق منهم على الغـــرب
خلاصـــــــة أسلاف كرام وأمـــــة ... تلاشت نعوت الغير في نعتها الرحـب
وصانوا ذمار الشرق، والشرق مشـرف ... على حيرة تقضي إلى الموقف الصعب
فهم معشر أرضوا الإلـــه وحسبهـــم ... مزيه دفع الـــذل عن عاتـــق الشعب[4].

[1] محمد بالخير الهاشمي، المرجع السابق، ص73.

[2] Situation Politique Des Indigènes, op-cit

[3] عمر بن قدور: "نبذة عن طرابلس الغرب"، **الحضارة**، ع78، 05 أكتوبر 1911. نقلا عن: صالح خرفي، "عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية"، مرجع سابق، ص43،.

[4] خرفي، **في رحاب ..**، مرجع سابق، ص79-80.

وفي 1912 ندّد "عمر بن قدور" بمحاولة عقد صلح بين تركيا وإيطاليا يكون على حساب ليبيا، وربط ذلك الصلح بضياع الشرق كلّه، وكتب في هذا الإطار ما نصه: ".. كلّ أحد يعلم أن ضياع طرابلس الغرب وبرقة إذا أمضي عليه في عقد الصلح، ولو تنويها أو تلويحا فإن الشرق يضيع البتة، وتضحي أبواب الرجاء قد ارتجّت، فليبق الله أرباب الأمر في طرابلس وبرقة .."[1].

وفي ذات السياق اعتبر "المدني" أن يوم الغزو الإيطالي لليبيا أسوأ يوم في حياته"، وأقر أن صغر سنه لم يمنعه من واجب الجهاد من خلال الطواف في الأسواق وجمع التبرعات للهلال الأحمر العثماني، وتحريض الناس على الجهاد، وحفظ القصائد التي تنشرها الصحف الشرقية التي تدخل تونس وإنشادها في الأسواق والمقاهي لبثّ الحماسة وتجذير روح المقاومة[2]، ويذكر أن خاله كان على رأس هيئة تونسية تعمل على تهريب الأتراك والأسلحة إلى طرابلس عبر الصحراء على ظهور الإبل، كما يشير أنه حضر مأدبة عشاء مع مجموعة لا تتجاوز العشرة أشخاص، وكان من بين الحاضرين "فتحي بك" القائد العام للجيش العثماني بطرابلس، وأن الأخير هو الذي أضاف كلمة توفيق بعد أن سأله عن اسمه[3]، وفي إطار الإكتتاب السري بتونس لدعم الطرابلسيين أرسل حسن قلاتي إلى أحد الأشخاص رسالة يخبره فيها عن تكوين لجنة لجمع التبرعات سرّا، وقد وزعت مقتطعات الإكتتاب وجمعت بعض الإعانات، ولم يكتف المدني بتقديم يد العون والمساعدة المادية لليبيين بل تضامن معهم من خلال الكتابة والتشهير بما يعانيه التونسيون من كبت للحريات، وتكميم الأفواه، وإقامة الحواجز دون التواصل مع إخوانهم الليبيين[4].

كما تعددت أوجه التضامن التي أبداها الجزائريون مع إخوانهم الطرابلسيين، فقد عارض "محمد بن يوسف أطفيش" التدخل الأجنبي في حياة المسلمين ودعا إلى التبرع لمساعدة المجاهدين الليبيين[5]، كما دعم وساند هذا الأخير حركة الجهاد في طرابلس بالسلاح وبالمال، تلك الحركة التي كان يقودها تلميذه سليمان الباروني[6]، ويذكر الطبيب البريطاني "جرفن" الذي جاء مع بعثة الصليب الأحمر البريطانية إلى طرابلس سنة 1912، وشارك في

[1] أحمد بوزيد قصيبة، ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871، **الأصالة**، ع 38، سبتمبر 1976، الجزائر، ص28.

[2] توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، مصدر سابق، ص-ص 36-40.

[3] نفسه، ص41.

[4] توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، مصدر سابق، ص45.

[5] سعد الله، **محمد بن يوسف أطفيش، (القطب) حياته ودوره الثقافي**، وردت في الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديما وحديثا، منشورات جامعة البيت، 2002، ص228.

[6] هزرشي، **الجزائريون والتضامن** ..، مرجع سابق، ص358.

معالجة الجرحى أنه التقى في رحلة في الصحراء بين مدينة (يفرن) و(الجبل الغربي) ومنطقة بونيول مع ستة من العرب المسلحين، أبلغوه بأنهم جزائريون كانوا مجاهدين في صفوف قوات الباروني[1]، هذا ولعب الحجاج الجزائريون الذين كانوا يؤدون فريضة الحج برا عبر الأراضي الليبية دورا نقل قضيتهم وشرحها في الخارج، ومنهم من كان يتطوع للجهاد هناك[2]، إضافة لذلك كان الجزائريون يقدمون الدعم لإخوانهم الطرابلسيين اللاجئين الذين اضطرتهم ظروف الحرب إلى الهجرة ناحية الجزائر[3]، ونجد الشيخ عبد الحميد بن باديس يرسل برقية احتجاج إلى جمعية حقةق الإنسان الفرنسية، انتقد فيها الممارسات الوحشية التي كان الإيطاليون يقومون بها في طرابلس الغرب، وذلك من خلال نقل ثمانين ألفا من سكان الجبل الأخضر إلى ساحل سرت القاحل لأجل إحلال الإيطاليين محلهم[4]، وهكذا كان واجب الجزائريين في نصرة إخوانهم واجبا دينيا وقوميا، مما دفعهم إلى تأسيس الجمعيات وجمع التبرعات وشراء الأسلحة وتجنيد المتطوعين.

وأمام تواصل تدفق التبرعات والمتطوعين من الجزائر وتونس احتجت إيطاليا أمام فرنسا التي كانت عاجزة على حراسة الحدود الليبية – التةنسية – الجزائرية بسبب شساعة المساحة، كما أن فرنسا بدورها اتهمت الشبان الجزائريين بالوطنية المتطرفة بسبب نشاط النخبة الجزائرية وتضامنها مع الطرابلسيين والعثمانيين، وبعدم الولاء لفرنسا مما دفع بهؤلاء إلى التأكيد على أن الإكتتاب الذي تم بموجبه جمع الأموال لجرحى طرابلس تم بموافقة السلطات الإدارية، ويعكس هذا النقد والتهمة الموجهة لبعض الجزائريين مدى تتبع الفرنسيين لنشاطات الجزائريين ومدى ارتباطهم بالأحداث والتطورات العربية والإسلامية، وهذا ما يؤكده البلاغ الذي أرسله المسؤول عن عمالة قسنطينة إلى مسؤولي البلديات المختلطة يطالب فيها بضرورة إخباره بصحة المعلومات المتواترة بشأن ذهاب بعض الجزائريين للقتال في طرابلس الغرب[5].

III. القضية المغربية:

يبدو الموضوع للوهلة الأولى خارج عن نطاق بحثنا، إلا أن العلاقة هنا تتمثل في نشاط ودور الجزائريين المشارقة –وعلى رأسهم الأمير عبد المالك الجزائري– في الدفاع عن قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي ككل،

[1] هزرشي، **الجزائريون والتضامن** ..، المرجع السابق، ص358.
[2] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، مرجع سابق، ص287.
[3] **الشهاب**، "دعاء الجزائريين لإخوانهم الليبيين بالفرج"، ج6، مج7، مارس 1931، ص420.
[4] **الشهاب**، جوان 1931، ص320.
[5] أحمد، صاري، **النخبة الجزائرية ما بين الوفاء** ..، مرجع سابق، ص61

ذلك أن نظرة الجزائريين للمغرب العربي، لم تكن نظرة قطرية، بل كانت تنظر إليه ككتلة واحدة ووطن واحد، وما كان لنا أن نعزل المغرب الأقصى عن أحداث العالم العربي الإسلامي، وقد تحدث المارشال (ليوتي) –المقيم العام الفرنسي– في رسالة إلى السيد دالكاسي في نوفمبر 1914 عن انتشار التعاطف الإسلامي مع الدولة العثمانية في كل من الجزائر وتونس ومصر ولدى القبائل المراكشية المجاورة للحدود الجزائرية، مستثنيا انتشاره في المغرب الأقصى! باعتباره لم يكن "خاضعا للخلافة الإسلامية"، وهذا بعد أن غلق أبواب المغرب الأقصى، وقطع علاقاته ببقية أجزاء العالم العربي الإسلامي، هادفا من وراء ذلك إلى الحفاظ على " الشخصية المتميزة للمغرب الأقصى!"، ومع ذلك، فقد تجسد ذلك نضال الجزائريين وموقفهم من فرض الحماية المزدوجة على المغرب في حركة الأمير عبد المالك التي أشرنا إليها سابق، كما نشرت نشرية افريقية الفرنسية، في عام 1916، مقالا مفاده: " أن المثقفين المراكشيين يتابعون أطوار الثورة العربية في الحجاز بشغف كبير"[1]، مما يؤكد اتصالهم ببقية أطراف العالم العربي والإسلامي.

ورغم استحكام الرقابة في المغرب الأقصى من جانب السلطات الفرنسية، فإن الدعاية العثمانية–الألمانية قد نشطت بالمنطقة الشمالية للمغرب الأقصى مع بداية الحرب وأثناءها، وكانت تستعمل كل الوسائل المتمثلة في الرسائل والمنشورات ضد فرنسا، وكانت" تضرب على وتر الاستقلال والمطامح الوطنية"[2]، وهي الدعاية التي رافقت ثورة الأمير عبد المالك الجزائري، الذي كان يمثل النخبة الجزائرية المشرقية ودورها في الدفاع عن قضايا العالم العربي الإسلامي، شرقه وغربه، وكان المارشال ليوتي يدرك هذا الوضع الخطير في المغرب الأقصى، ففي تقرير له، ضمنه معلومات سنة 1915 قدمها إلى سلطات بلاده، تحصل عليها من الرائد هيوت (Huot) مسؤول مصلحة مخابراته –الذي عاد من مهمة بباريس إلى الرباط عن طريق اسبانيا– أوضح من خلاله، أن: "سفارات ألمانيا والنمسا والمجر وتركيا في اسبانيا" تعمل " لإثارة شمال افريقيا ضد فرنسا "، وأن العقيد كالي (Kallé)، الملحق العسكري بسفارة ألمانيا بمدريد، قد حصل على أمر من القيصر، طالبه من خلاله بالاهتمام أكثر بالمسائل المغربية (المراكشية)، ويساعد العقيد كالي السيد ويزبرغر (M . Weisberger)، الذي جاب كل شمال افريقيا بعد أن جابها قبله السيد أوبنهايم (M. Von Oppenheim)، وأن كثيرا من الألمان والأتراك والسوريين المتواجدين بإسبانيا، يعملون جميعا على ترتيب "خطة" ضد فرنسا، وعليه أصبحت المنطقة

[1] «Sur le front marocain – Situation d'ensemble» In L' **A**. **F**, n° 8 et 9, Aout – septembre 1916, P.297

[2] J-ROGER-MATHIEU, **Mémoires d'Abd-el-Karim**, Ed. Librairie des Champs-Elysées, Paris, 1927, P. 59

الشمالية من المحيط الأطلسي غربا إلى منطقة الملوية شرقا؛ منطقة للدعاية العثمانية–الألمانية، كما أن الريسوني المتعاون مع الإسبان أصبح يهاجم المراكز الفرنسية[1].

وأوضح نفس التقرير الدور الذي أصبحت تقوم به قنصلية ألمانيا بتطوان، في توزيع الأدبيات من "نشريات وجرائد" لزرع الحقد والاثارة ضد فرنسا في المغرب الأقصى، وإلى جانب ذلك اتصالها بالثائرين:"عبد المالك و"الشنقيطي" و"محمد بلغيثي"، وبعث ليوتي رفقة تقريره عدة أدبيات منها: العددان الأول والثاني لمجلة (من أجل الوطن من أجل الحقيقة) Pour la Partie et Pour la Vérité "[2] وجريدة "الحق"[3]، وكانت هاتان الجريدتان رائجتين في المنطقة الاسبانية، وحاول "العملاء الألمان" ادخالهما إلى الناظور ومراكش والدار البيضاء، وأرسل ليوتي رفقة التقرير كذلك "المنشور الأخضر"، وهو نداء الجهاد الذي وجهه محمد الخامس من استانبول إلى كافة المسلمين، ولاحظ عليه أنه وزع في الجزائر وتونس وطرابلس، وتحدث التقرير عن نشرية عنوانها: " نداء إلى كل المسلمين العاملين في الصفوف الأجنبية الفرنسية والانجليزية والروسية"[4]، وعن رسالة كتبها الشيخ السنوسي، انتقد فيها السياسة الإسلامية الفرنسية، وعن" بيان" يذكر ليوتي، أنه ورد في المدينة (المنورة) فيه تحريض ضد أعداء الإسلام، وفي الأخير تحدث التقرير عن نشريات كتبها الشيخ صالح الشريف، منها نشرية

[1] تقرير بتاريخ 27 أوت 1915، من المارشال ليوتي إلى دالكاسي وزير الشؤون الخارجية والسيد ميليران وزير الحرب. ينظر:
Lyautey l'Africain, **E.III**, **1915–1918**, Paris, 1956, PP. 34-42.

[2] جريدة أصدرها الاسباني كارلوس كوبل (Carlos Coppel)، وكان صهره جورج جرلاش (G. Gerlach) يقوم بمساعدة السيدة لويزة نيمس (Luisa Nimes) ويتنقلان بين اسبانيا ومليلية لمساعدة الأمير عبد المالك، وقد طردهما الجنرال الإسباني جوردان (G. Jordana)على التوالي في 1917 و1918 من المغرب الاسباني. ينظر:
-Lyautey l'Africain, T.III، PP. 34-42

[3] جريدة (الحق)، كان يصدرها أحد اللبنانيين العاملين بالقنصلية الإسبانية بطنجة، وهو المسمى: الشيخ نعمة الله الدحداح، أصبح فيما بعد محررا لجريدة (الفجر)، ومن اللبنانيين العاملين في الصحافة بطنجة كذلك، وديع كرم، وكان محررا لجريدة ومجلة (الصباح) ثم جريدة (السعادة)، وكان لأخيه ميشال كرم مكتبة تجارية بنفس المدينة، وفرج الله نمور، الذي كان يصدر جريدة (لسان المغرب)، وكان أخوه آرتمور نمور رئيس تحريرها. ينظر:
محمد المنوني، **مظاهر يقظة المغرب** الحديث، ج 2، الجمعية المغربة للتأليف والترجمة والنشر، شركة النشر والتوزيع، الرباط 1985، ص 314.

[4] ذكر ليوتي أن تحرير "النداء" مان من ايحاء علي باشا، وأورد عبارة من النداء، استدل بها على ذلك، جاء فيها : " أن محرر هذا النداء شريف، ويعلمكم أن الأمير علي باشا بن عبد القادر الجزائري، يرافق القوات الألمانية، ويطالبكم بإنقاذ بلادكم (...) وأن المغرب والجزائر وتونس، عي الآن في حالة ثورة ضد فرنسا، " انظر، Lyautey l'Africain , T.III, PP. 34-42- -كان الأمير علي باشا قد نشر بيان خلال الحرب، روجته المصالح الألمانية العثمانية، في بلدان العالم الإسلامي بعنوان : " نداء إلى المسلمين العاملين بالجيوش الحليفة لنجدة الخلافة، وانقاذ الإسلام والمدن المقدسة، وتحرير الجزائر وتونس ومراكش". ينظر:
– AGERON, **Les Algérien mu** .., T.III, P.1180.

تعرض فيها الشيخ صالح بالنقد لسياسة ليوتي بالمغرب الأقصى، وكانت هذه الأدبيات كلها مروجة بالمغرب الأقصى، وتم الحصول على بعضها بمدينة فارس[1].

رغم هذه "الحرب من النشريات والمنشورات"، التي قامت بترويجها مصالح الدعاية العثمانية الألمانية، والجماعة المغاربية المهاجرة بأروبا في المغرب العربي – بما في ذلك المغرب الأقصى – والتي رافقت حركة الأمير عبد المالك، إلا أن مسألة "سكوت" مجلة المغرب، الصادرة بجينيف بين 1918-1946 عن الأمير عبد المالك وحركته، تبقى تثير عندنا جملة من التساؤلات !؟ وهناك مسألة أخرى، لا تزال غامضة – لعدم حصولنا على وثائق كافية للبت فيها- وهي علاقة الأمير عبد المالك بالسلطان المنفي مولاي عبد الحفيظ، لأن المعلومات المتوفرة تشير إلى أن الشيخ محمد العتابي، قد سعى لدى حكومة الدولة العثمانية في استانبول لصالح السلطان عبد الحفيظ، وكانت حكومة الدولة العثمانية عازمة على مساعدة الحركة المراكشية بالرجال والسلاح، غير أنها لم تجد الاستعداد الكافي للعمل عند السلطان عبد الحفيظ[2].

ونخلص من كل هذا، أنه رغم المساعدة الألمانية –العثمانية للأمير عبد المالك، فإن هذا الأخير، لم يكن يحارب –عندما أعلن الثورة ضد فرنسا- من أجل " السلطان"[3] العثماني، ولا من أجل "السلطان" المراكشي، إنما كان يحارب اقتداءا " بالأجداد"، كما يبدو أنه قد استفاد هو الآخر من المساعدة الألمانية – العثمانية مثله في ذلك مثل الأقصى، لضرب الوجود الفرنسي، كما توضحه اتصالاته وتحركاته المتعددة. وهنا يمكن "البعد المغاربي" لحركته، كما استفادت منه القوات المركزية في كذلك، والتي كان هدفها تحطيم فرنسا من قواعدها الخلفية، وذلك ما حاولنا توضيحه بتتبع أطوار حركة الأمير عبد المالك.

ثالثا: القضية الجزائرية والحركة الوطنية:

I. دعم القضية الجزائرية:

إن المتتبع لنشاط النخبة الجزائرية في المشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، يتضح له أن هذا النشاط لم يكن بمعزل عما يحدث في وطنهم الأصلي، فكان دورهم يرتكز على التعريف بقضيتهم هناك، ونتيجة للمتغيرات والأحداث التي عاصروها قدّر لهم أن يعيشوا مجاهدين في سبيل العلم، وفي سبيل الله

[1] Lyautey l'Africain, T.III, P.34-42.

[2] الفارسي، **الحركات**..، مصدر سابق، ص 149

[3] سعد الله، **الحركة الوطنية**..، ج2، مرجع سابق، ص 249

والوطن ويلعبوا دور المصلحين والمرشدين، ويوجهوا الناس ويعلموهم أمور دينهم ودنياهم ويبعثوا في نفوسهم كلّ أسباب النّهوض والثورة، ويحرّضونهم وينشروا أفكارهم المناهضة للاستعمار؛ مما عرضه لمضايقة سلطات الاحتلال التي أرغمتهم أولا على الهجرة، ضنّا منها أنها بإبعادهم ستقضي على أفكارهم ومواقفهم في وطنهم، ولم تكن تدر أنها بذلك منحتهم فرصة لتجنيد التأييد لقضية الجزائر والمغرب العربي، سيما التأييد العثماني والقيام بدور نضالي وسياسي على مستوى العالم العربي والإسلامي، ومن هؤلاء الذين لعبوا هذا الدور نذكر مجموعة من النماذج التي ضربت في الأرض مراغمة وأجبرها الاستعمار على العيش في المنفى، والتي نسوق بعضا منها فيما يلي:

I. 1. دعم الأمير محي الدين باشا للمقاومة في الجزائر:

لما نشبت الحرب البروسية الفرنسية سنة 1871 استغل الأمير محي الدين ظروف فرنسا السياسية والعسكرية، وحاول إشعال ثورة عارمة ضدها في الجزائر، فاستقر في الجريد التونسي، واتصل بزعماء المقاومة المسلحة آنذاك كبوشوشة، ومحمد بن عبد الله الشريف والحداد وغيرهم، وبعث إليهم بنحو 200 رسالة يدعوهم فيها للاستعداد للثورة، ثم انتقل إلى مالطة، ومنها دخل إلى الجزائر متنكرا في زيّ درويش، فالتفّت حوله الجماهير ووقعت بينه وبين الاحتلال الفرنسي معارك[1]، ولكن شأنه شأن الشيخ المقراني يبدو أنه انتظر كثيرا فكان الوقت أسرع منه بحيث ما لبثت فرنسا أن استرجعت أنفاسها وجمعت قواتها العسكرية المتشتتة بعد توقف الحرب بينها وبين بروسيا، واستعدت لسحق محي الدين ومن كان يؤازره في الثورة، وتحت ضغط والده الأمير عبد القادر وباي تونس والظروف الدولية التي لم تكن في صالحه تراجع محي الدين وغادر الجزائر نحو مدينة صيدا فأقام بها نحو سنة ثم التحق بدمشق ولما مات والده دخل في خدمة العثمانيين فأنعم عليه السلطان عبد الحميد الثاني برتبة فريق في الجيش العثماني ثم عضو في مجلس التفتيش العسكري[2].

I. 2. موقف الأمير خالد من الأحداث في الجزائر، ودوره المحوري في الحركة الوطنية:

كان الأمير خالد متعاطفا مع حركة عمه بالمغرب الأقصى، وعلى علاقة معه، وكان يريد القيام بمثلها بالجزائر، غير أن الظروف لم تكن مهيأة لذلك، فبدأ حركة سياسية بالجزائر متزامنة مع ثورة عمه بالمغرب من جهة، وثورة الأمير عبد الكريم الخطابي من جهة أخرى، وعلى علاقة بالحركة الوطنية التونسية، لكن أمام تنامي ثورة الأمير عبد الكريم، قامت السلطات الفرنسية بالتضييق على الأمير خالد ونفيه إلى فرنسا، حيث أرسى

[1] ينظر: عمار هلال، مرجع سابق، ص337.

[2] نفسه.

هنالك قواعد حركة مغاربية قبل أن ينفى ثانية إلى المشرق العربي، بحجة التعاطف مع الأمير عبد الكريم، ومن هنا يبدو الأمير خالد في دور الوسيط والمنسق بين الحركات المغاربية..، وقد حاول الأمير عبد المالك أن يوطد علاقته بابن أخيه الأمير خالد[1] بالجزائر، إذ طلب منه سنة 1916 أن يشرع في تهيئة الجو في الجزائر للقيام بحركة مساندة لحركته في المغرب، وقد أرسل إليه الأموال والمناشير، ولكن ظروف الأمير خالد لم تسمح له بهذه الهمة"[2]، إذ أن حادثة "رسالة وكالة وولف الألمانية"[3] التي صورت الأمير خالد "ثائرا في الصحراء الجزائرية على رأس 7000 مقاتل، جعلت السلطات الفرنسية تشدد رقابتها عليه، وكادت هذه الرسالة أن تؤدي بالأمير خالد[4] إلى السجن، وكان لهذه الحادثة صدى في الجزائر[5]، حيث أصبح سكان المدن الجزائرية يسمعون بثورة الأمير عبد المالك بالمغرب الأقصى[6] ويروجون أخبارا عنها.

---

[1] الأمير خالد بن الهاشمي بن الأمير عبد القادر، ولد في 20 فيفري 1875 بدمشق (سورية)، وبها تلقى تعليمه الابتدائي ثم رحل مع والده إلى الجزائر عام 1892، وفي نفس السنة بعثه ابوه إلى ثانوية (لويس لوغران) بباريس لمواصلة دراسته، وفي نوفمبر التحق بالمدرسة العسكرية (سان سير)، التي تخرج منها ضابطا سنة 1897، وأصبح سنة 1908 برتبة نقيب (قبطان) أهلي، شارك ضمن القوات الفرنسية في أحداث المغرب الأقصى إلى جانب السلطان عبد العزيز ضد مولاي عبد الحفيظ سنة 1909، وفي سنة 1913، تحصل على (عطلة خاصة لمدة ثلاث سنوات) كان خلالها مراقبا من الإدارة الفرنسية، وبدا خلال هذه الفترة نشاطه السياسي باتصاله (بالشبان الجزائريين)، وعند اندلاع الح.ع.I، تطوع الأمير خالد فيها، وكانت سيرته وسلوكه محل شك الإدارة الفرنسية رغم استقامته، غير أنه خرج من الجيش الفرنسي سنة 1916 بحجة أنه مريض، حيث عاود اتصالاته بالشبان الجزائريين، وبدأ نشاطا سياسيا مكثفا، بعد أن حصل على تقاعده من الجيش الفرنسي سنة 1919، ودام نشاطه السياسي في الجزائر وفرنسا بين 1919- 1925، كان قد نفي من الجزائر إلى فرنسا في 1923، ونفي من فرنسا إلى سوريا في 1925، حيث توفي هنالك سنة 1936، فكثيرة هي الأدبيات عن الأمير خالد ونشاطه السياسي، ولكن لحد الآن –في حدود علمنا– لم يحظ الأمير خالد وحركته السياسية بدراسة منفردة، ونقتصر هنا على الإشارة إلى: سعد الله، **الحركة..**، ج2، مرجع سابق، ص–ص 331–394. كذلك ينظر:

- Mahfoud KADDACHE , « L'Emir Khaled , jeune étudiant et officier » In L'Emir Khaled , documents et témoignages pour servir à l'étude du nationalisme algérien , OPU –ENAP ? Alger, 1987, PP.15-26 , et Charles-Robert AGERON , » L'Emir Khaled , petit-fils d'Abdelkader, fut-il le premier nationalisation algérien ? » In **R**. **O**. **M**. n° 2, 2°semestre 1966, PP. 9-42

ينظر كذلك: تقريظ الإمام عبد الحميد بن باديس له " الفقيد العظيم الأمير خالب بن الهاشمي "، **الشهاب**، ج11، م.11، غرة ذي القعدة 1354هـ/ فيفري 1936، ص–ص 622–630

[2] سعد الله، **م. ت. م**، عدد1، مرجع سابق، ص57

[3] من الرسائل التي روجتها وكالة وولف الألمانية، رسالة بتاريخ 1914/12/9، ذكرت فيها الانتصارات (الصاعقة للحرب المقدسة بالمغرب الأقصى) التي يقودها عبد المالك، وجاء في الرسالة أن الأمير خالد، قد ثار هوالأخر، ضد فرنسا في الصحراء الجزائرية، وهوعلى راس 7000 مقاتل، ونشرت الرسالة في عدة صحف من مطلع سنة 1915. ينظر: **A**.**F**. N° 1 et 2, 1916, op-Cit. P 6

[4] سرح الأمير خالد من الجيش الفرنسي سنة 1916 بحجة أنه (مصاب بمرض السل)، وأخذ تقاعده من الجيش سنة 1919 ينظر:

AGERON, **Hist**..**de l'Algérie**, T.II, P.285

[5] AGERON, **Les Algériens musulmans**.., T.II, P.1178

[6] AGERON, **L'Algérie algérienne**.., op-cit, P.115

ومع أن الأمير خالد نفى علاقته بعمه، وأظهر ولاءه لفرنسا في 2 جانفي 1915 في رسالة نشرت بجريدة (الزمن Le Temps) الفرنسية[1]، إلا أنه كان متأثرا – على ما يبدو- ومتعاطفا معه، بل وربما كان يريد القيام بحركة مثل حركة عمه في الجزائر[2]، ففي 17 أفريل، أوضح الحاكم العام بالجزائر، في رسالة وجهها إلى وزير الداخلية الفرنسية، أن الأمير خالد، قد راسل أحد أقربائه، المدعو مصطفى بن محيي الدين[3]، أظهر في مراسلته تعاطفه مع حركة عمه عبد المالك الثائر ضد فرنسا[4]، وعندما طلب الأمير خالد من السلطات الفرنسية سنة 1917 رخصة للذهاب إلى المغرب الأقصى "لفض قضية عمه"، عارض ذلك المارشال ليوتي بناء على "مراسلة من الأمير خالد إلى عمه عبد المالك"[5]، ويبدو أن الأمير خالد كان له نشاط سري ثوري لتحرير المغرب العربي، إذ رغم قلّة الوثائق التي تؤكد هذا العمل أو تنفيه إلا أن هنالك إشارات تدل على ذلك، فخلال الفترة الممتدة بين 1917-1920، فقد كان الشيخ عبد العزيز الثعالبي مع الشيخ صالح بن يحي يعملان ضمن التشكيلات الفدائية السرية، التي كان الشيخ الثعالبي يكونها، لتشعل نار الثورة ضد المستعمرين في المغرب العربي، بداية من ليبيا وانتهاء بالمغرب الأقصى[6]، وكانت هذه "التشكيلات " قد أنشأتها الدولة العثمانية باستانبول لتحرير العالم الإسلامي، وتولّى علي باشا حامبه –العامل ضمن حركة المغاربة المهاجرين- فكرة عمل ثوري بشمال إفريقيا ضمن التشكيلات، غير أن محاولته باءت بالفشل سنة 1917.

وكان عبد العزيز الثعالبي العامل بالتنسيق مع هؤلاء المغاربة المهاجرين، قد أسس ضمن التشكيلات جمعية تونس السرية، وسعي إلى تكوين فروع لها في انحاء المغرب العربي[7]، وكان من فروعها الجمعية السرية في وادي

---

[1] L'**A**.**F** n° 1et 2 , 1916, op-Cit P.

[2] محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج2، المطبعة العربية بالجزائر، 1971/1391، ص24

[3] كان الأمير عبد المالك يراسل كذلك مصطفى بن محي الدين، كما تبينه الوثيقة الثانية. ينظر: سعد الله، **م. ت. م**. عدد1، ص. 61، ومصطفى بن محي الدين، هو ابن أخت الأمير عبد المالك، ووالدته هي زينة بنت الأمير عبد المالك، التي كانت متزوجة من ابن أخ الأمير عبد القادر: محي الدين بن مصطفى، ومن ثم فإن مصطفى بن محي الدين كان يحمل اسم جده، ينظر جدولا بعائلة الأمير عبد القادر، في:

BARDIN، op-Cit P.245

[4] AGERON، **R**. **H**. **M**. N° 19-20/1980, op-Cit. P .203

[5] كتب الماريشال ليوتي رسالة بتاريخ 24اكتوبر1917، ووجهها إلى (كليمنصو) قال فيها: أن المراسلة بين الأمير خالد وعمه" مشكوك فيها"، وذلك بعد أن تراجع الأمير خالد عن الذهاب إلى المغرب الأقصى، وطلب من زوجته وأبنائه مغادرة تطوان، فقامت الحكومة الفرنسية بإجازة الأمير ومنحه ترقية في تقاعده، ينظر: -AGERON, **R**.**H**.**M**. N°19-20/1980, OP Cité, P. 203

[6] محمد ناصر، **أبوالقيضان وجهاد الكلمة**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 89-90.

[7] محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ/ 1921 إلى عام 1395هـ / 1975**. ج1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1394هـ/1974، ص. 63

ميزاب والقرارة، أنشأها الشيخ صالح بن يحي[1] في عام 1915، وكان رئيسها الشيخ الحاج بكير العنق[2]، ومن أعضائها الشيخ عمر بن يحي[3]، وعمل في هذه" الجمعية" إلى جانب الشيخ الثعالبي أحد زعماء أقطار المغرب العربي، ومن ليبيا سليمان الباروني، ومن الجزائر: الأمير خالد، ومن المغرب الأقصى: الشيخ عبد السلام بنونة وأحمد فلفريج، وكانت هذه الجمعية السرية " ترمي إلى التزام المنخرط فيها لتنفيذ كل ما تأمر به التشكيلة ... من قلب نظام الحكم، وتخريب المؤسسات، وتحمل مسؤولية القتل والاغتيال إلى آخر ما يعرفه الثوار"[4].

وسواء تأكد عمل الأمير خالد ضمن هذه الجمعية السرية المغاربية، أم لا، فانه مع نهاية الح.ع.I، بدأ حركة سياسية بالجزائر، استهلكها بعريضة قدمها سنة 1919 إلى مؤتمر فرساي مطالبا بتقرير المصير للجزائر[5]، لكن ظروف ما بعد الحرب جعلته يتراجع إلى المطالبة بإصلاحات اجتماعية وسياسية للجزائريين أثناء وجوده بالجزائر في الفترة ما بين 1919-1923، وأثناء وجوده بفرنسا ما بين 1923-1925.

نشط الأمير خالد في الجزائر ضمن حركة "الشبان الجزائريين" أو "جماعة النخبة"، كما يسميها بعض الكتاب، والتي كانت قد ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر، وتطورت خلال الربع الأول من القرن 20[6]، غير

---

[1] الشيخ صالح بن يحي بن الحاج سليمان، عالم وتاجر جزائري، ولد في بني يزقن بواد ميزاب بالجنوب الجزائري، حل بتونس أثناء الحرب العالمية الأولى للدراسة والتجارة، أتم دراسته بجامع الزيتونة، ولما أنشئ الحزب الحر الدستوري التونسي، كان من مؤسسيه وعضوا إداريا فيه، ساند الحزب بأمواله والدعاية له في الجزائر وتونس، توفي بتونس في عام 5/1367 جانفي 1948، انظر عنه، دبوز، **نهضة الجزائر وثورتها المباركة**، ج1، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965، ص.380، وج2، ص.38، وما بعدها.

[2] الشيخ بكير العنق، مصلح جزائري، ولد بالقرارة (أولاد ميزاب) في عام 1868، كان على صلة بالشيخ عبد العزيز الثعالبي والأمير خالد، وكان المساعد الأيمن للشيخ عباس بن حمانة، أنشأ معه أول مدرسة عربية عصرية في الجزائر سنة 1913 بتبسة، وهو الذي أرسل أول بعثة علمية إلى تونس سنة 1913، كان يرأسها الشيخ أبو اليقظان، سافر إلى تونس سنة 1920، وكان من المساندين للحزب الدستوري التونسي، وفي سنة 1929 سافر إلى الحجاز برفقة الشيخ بيوض، والتقى هناك بكثير من زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي منهم الأمير شكيب أرسلان، توفي الشيخ بكير العنق في جنوب الجزائر في 23 رمضان 1353هـ/ الموافق 1934/12/13م، ينظر عنه: دبوز، **نهضة الجزائر**..، ج2، مرجع سابق، ص-ص 208-214.

[3] نفسه، ص 186-187، أما الشيخ عمر بن يحي، فهو الحاج عمر بن يحي بن إبراهيم الأمليكي، ولد بالقرارة بالجنوب الجزائري، درس بمسقط رأسه ثم بثانوية الشيخ بابكر بغرداية، ثم انتقل للدراسة ببني يزقن حوالي سنة 1894، وعندما عاد إلى القرارة حوالي سنة 1896، فتح معهدا للتربية والتعليم، كان من رجال الإصلاح في الجنوب الجزائري، وبرع في الوعظ والإرشاد، كان مهتما بشؤون المسلمين في كل أنحاء العالم الإسلامي، سافر إلى الحجاز وأقام ثلاث سنوات هنالك بين 1319هـ/1901م -1322هـ/1904م، وتوفي الشيخ عمر ليلة 27 رمضان 1339هـ/جوان 1912م. ينظر: نفسه، ص-ص 162-207.

[4] مخطوط للشيخ أبي اليقظان بعنوان: **نشأتي**، ص46. نقلا عن: ناصر، **أبو اليقظان**..، مرجع سابق، ص90.

[5] ينظر: أبو القاسم سعد الله، " عريضة الأمير خالد للرئيس ويلسون"، **مجلة التاريخ**، عدد 11، 1981، الجزائر، ص-ص 5-19. ينظر كذلك:

AGERON, **R.H.M**, N°19-20, 198, OP cité, P-P 119-201.

[6] عن النخبة الجزائرية، ينظر، سعد الله، **الحركة**..، ج2، مرجع سابق، ص-ص 167-182

أن حركة الشبان الجزائريين، انقسمت على نفسها سنة 1919 خلال الانتخابات البلدية بالجزائر العاصمة[1]، التي جرت كنتيجة لإصلاحات قانون 04 فبراير، وكان سبب انقسامها هو "مشكل شخصية الشعب الجزائري الإسلامية"[2]، إذ انطبع الصراع بين القسمين بطابع سياسي، فطالب قسم بمساواة الجزائريين بالفرنسيين والاندماج معهم.

أما القسم الآخر؛ فطالب بالمساواة مع المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية، وتزعم القسم الأخير الأمير خالد الذي عرض برنامجه السياسي والإصلاحي من خلال جريدته " الإقدام"[3] التي أصدرها مع اتباعه بغية توحيد القوى الوطنية في سبيل الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية لمسلمي شمال افريقيا"[4]، والتي التف التف حولها قراء ومناصرون، مكونا بذلك حركة سياسية جزائرية امتدت إلى محيط العمال المغاربة بالمهجر في فرنسا بعد نفي الأمير خالد من الجزائر سنة 1923، وهذا الموضوع في الحقيقة خارج عن نطاق موضوعنا، وللإشارة فإن حركة الأمير خالد بالجزائر كانت تعاصرها الحركة الوطنية التونسية التي يتزعما الشيخ عبد العزيز الثعالبي بتونس، الذي كان قد أسس الحزب الحر الدستوري التونسي وكان لهذا الحزب أنصاره من الجزائريين المتواجدين بتونس أو المتعاطفين معه بالجزائر، إذ تؤكد الوثائق الفرنسية أن علاقات كانت موجودة بين أولئك الجزائريين الخالديين والشبان التونسيين، ويتجلى ذلك من خلال احتجاجات جريدة (الإقدام) ضد ما قامت به السلطات الفرنسية من منع للصحف التونسية من الدخول للجزائر.[5]

---

[1] تقدم الأمير خالد لأول مرة إلى الانتخابات البلدية في الجزائر العاصمة، في سنة 1919، واتخذت هذه الانتخابات طابعا سياسيا، وكان على رأس قائمة مع زميله الحاج موسى، ولم يكن بهذه القائمة أي متجنس بالجنسية الفرنسية من الجزائريين، بخلاف قائمة ولد عيسى وابن التوهامي، التي كان بها المتجنسون، وكانت قائمة الأمير خالد تمثل المتمسكين بالشخصية الإسلامية، وهي القائمة التي فازت في هذه الانتخابات. ينظر:

KADDACHE, **L' Emir Khaled**.., op-Cit, P 52-53

[2] Ibid, P 27-28

[3] صدرت جريدة (الإقدام) في شهر فيفري 1919، باللغة الفرنسية، بانضمام جهود الصادق دندان صاحب جريدة (الإسلام) سابقا، والحاج عمار مدير جريدة (الراشدي) والأمير خالد، غير أن دندان انظم إلى فكرة ابن التوهامي وفريقه، الذي كان يطالب بالمساواة مع الفرنسيين والتجنس بالجنسية الفرنسية، وأصبح مديرها الحاج عمار والمهندس قائد حمود، بينما كان الأمير خالد مسؤولا عن الصفحات المحررة باللغة العربية، ولمقومة الجريدة، لنزعة المعمرين العنصرية الحادقة، وفضحها لدسيسة التجنيس، وروحها الوطنية الصريحة، رفع ضدها المعمر (موريدو) نائب قسنطينة شكوى لدى محكمة الجنح متهما إياها بسلب الأعراض، فحكمت المحكمة على صاحبها الأمير خالد وعلى الجريدة بتعويضات مالية مجحفة، فتوقفت الجريدة نهائيا في مارس 1923، ينظر: ناصر، **الصحف**..، مرجع سابق، ص-ص 46-50. توجد الجريدة كاملة بدار أرشيف ولاية الجزائر.

[4] ناصر، **الصحف**..، المرجع نفسه، ص 48

[5] TLILI، Les **C.T**, N° 87-88، op-Cit. P.112

وكانت جريدة الإقدام إلى جانب صحف جزائرية أخرى تنزع منزعا اصلاحيا وطنيا، مثل جريدة الصديق[1] التي كانت توزع في تونس توزيعا واسعا وتلاقي الابتهاج والثناء عليها من مختلف الصحف التونسية،[2] وتتجلى العلاقة كذلك، من خلال ملازمة الشيخ صالح بن يحي للشيخ عبد العزيز الثعالبي، وعلاقتهما بكثير من أعيان الجزائر المشكوك في أمر تسليمهم لكتاب تونس الشهيدة ومن خلال تلك الدعوة التي وجهها هاذان الشخصان إلى الأمير خالد ابن الهاشمي[3].

وإذا كنا نجهل فحوى الدعوة الموجهة من الشيخين الثعالبي وابن يحي إلى الأمير خالد، فإنه يبدو، أنها تلك الدعوة التي وجهها الثعالبي إلى الأمير خالد يدعوه فيها إلى إتباع خطة واحدة في الجهاد، وقد أورد لنا محمد علي دبوز، أن الشيخ إبراهيم اطفيش،[4] الذي كان عضوا إداريا في حزب الدستور بتونس، قد حدثه أن الزعيم الشيخ الثعالبي أرسله ثلاث مرات إلى الأمير خالد في الجزائر، ليعرض عليه اتحاد حزبه وحزب الدستور واتباعه خطة واحدة في الجهاد، فاجتمع به في الجزائر، فأبى الأمير خالد إلا اعتماد طريقته الصارمة التي فيما يبدو أنها عجلت بالقضاء على جهاده[5]، وعليه فإننا نجهل كذلك محتوى الدعوة الملحة التي حصل عليها الشيخ صالح بن بن يحي من المفاوض القسنطيني: محمد الصالح بن جمال (؟) لصالح الأمير خالد بن الهاشمي، وقد سلم نفس الشخص إلى صالح بن يحي في نفس الوقت، قائمة بأسماء جزائريين موجهة إلى الشيخ الثعالبي لتمكين هؤلاء من كتب تونس الشهيدة[6].

ومع قلة وثائقنا عن علاقة الأمير خالد بالشيخ الثعالبي، فإنها تبدو مؤكدة، فقد كان من أنصار حركة الأمير خالد أهالي منطقة وادي ميزاب بالجنوب الجزائري[7]، وكان هؤلاء من أنصار الشيخ الثعالبي كذلك في حركته

---

[1] جريدة (الصديق)، جريدة أسبوعية صدرت بالجزائر في 12 أوت 1920 لمديرها محمد بن بكير التاجر، الذي كان محدود الثقافة ويتمتع بغيرة وطنية، أسند رئاسة تحريرها إلى عمر بن قدور، فقام بهذه المهمة من العدد الأول حتى العدد السابع، حين فضا إعادة إصدار جريدة (الفاروق)، فخلفه في رئاسة تحرير الصديق الشيخ المولود بن محمد الزريبي الأزهري، توقفت الصديق نتيجة مضايقات الإدارة الفرنسية في 22 مارس 1922 ينظر: ناصر: **الصحف**..، مرجع سابق، ص 196-197.

[2] ينظر، الجابري، مرجع سابق، ص 196-197.

[3] TLILI، Les **C.T**, N° 87-88, op-Cit, P.112

[4] تم نفي الشيخ إبراهيم اطفيش (الجزائري) من تونس من قبل الإدارة الفرنسية إلى مصر في نفس التاريخ الذي نفي فيه الشيخ الثعالبي والأمير خالد في سنة 1923.

[5] ينظر: دبوز، **نهضة الجزائر**..، ج2، مرجع سابق، ص.25

[6] TLILI, Les **C.T**, N° 87-88, op-Cit, P104-105.

[7] من أنصار الأمير خالد بوادي ميزاب: الشيخ محمد بن يحي باعمر وأخوه إدريس، انظر، دبوز نهضة الجزائر، ج2، ص.24، ومن مؤيدي الأمير خالد كذلك من تونس الشيخ أبو يقظان (إبراهيم بن الحاج عيسى)، وهو من وادي ميزاب كذلك، وقد أهاب في رسالة له سنة 1921، نشرة

بتونس، فعندما نجح الأمير خالد في الانتخابات البلدية (سنة1919)، حظي اسمه باستقبال وابتهاج خاصين لدى أهالي وادي ميزاب[1]، ولعل هذا التشابه بين الحركتين (الأمير خالد والثعالبي) منطقي وصائب، فكلتا الحركتين كانت في أهدافها البعيدة تطالب بالاستقلال الكامل، وسبق للأمير خالد أن طالب بتقرير المصير للجزائر سنة 1919، وقبل ذلك تعاطف مع حركة عمه عبد المالك، كما طالب الشيخ الثعالبي لتونس بالاستقلال في نفس التاريخ، وقبل دلك كان على علاقة سرية مع النخبة المغاربية بالمهجر، غير أن كلا الرجلين، قد تراجع محليا عن مبدأ المطالبة بالاستقلال، إثر خيبة الأمل في مؤتمر فرساي، ونظرا لظروف ما بعد الحرب، اتجه الأمير خالد إلى المطالبة بإصلاحات سياسية واجتماعية في اطار المحافظة على الأحوال الشخصية الإسلامية، وكذلك فعل الشيخ الثعالبي في برنامج الحزب الدستوري، كما سياتي توضيحه.

وأمام تطورات الأحداث في المغرب العربي، نتيجة حركة الأمير عبد المالك الجزائري، وثورة الأمير عبد الكريم الخطابي، التي بدأت تأخذ اتجاها مغاربيا ونظرا للتعاطف الكثير والصدى الواسع على الساحة المغاربية، وأمام تنامي الحركتين الجزائرية والتونسية بقيادة الأمير خالد والشيخ الثعالبي، قامت السلطات الفرنسية، خوفا من انتشار ثورة مغاربة شاملة بالتضييق على الشيخ الثعالبي، فهاجر تونس وتوجه إلى المشرق العربي سنة 1923، ليواصل نشاطه هنالك في مجال عربي –إسلامي واسع، وتبعه بعد ذلك بفترة يسيرة نفي الأمير خالد[2] إلى فرنسا ليواصل نضاله في محيط مغاربي، ثم نفي سنة 1925 إلى المشرق العربي، لكنه قبل نفيه إلى المشرق، اتهمته السلطات الفرنسية بالارتباط بثورة الأمير عبد الكريم الخطابي، التي كانت في عنفوانها بالمغرب الأقصى[3]، ومما سبق ذكره، يبدو الأمير خالد من خلال تعامله مع كل الحركات المغاربية، السياسية والإصلاحية، كان هو المنسق والواسطة لها.

=بجريدة (الإقدام) عدد38 (1921/08/5) بالشعب الجزائري، بأن يشد من أزر الزعيم الوطني الأمير خالد، ويبدو من خلال مقاله، أنه كان على معرفة تامة بحركة الأمير خالد بالجزائر، ينظر: ناصر، **أبو اليقظان**..، مرجع سابق، ص 93، وكان أبو اليقظان عضوا بالحزب الدستوري التونسي.

[1] TLILI, Les **C.T**, N° 87-88, P112.

[2] خرج الشيخ الثعالبي من تونس في جويلية 1923، وبعد أربعة أيام من مغادرة الشيخ الثعالبي لتونس، أي في 30 جويلية، صرح الأمير خالد لزملائه أنه: "لا يستطيع العيش في الجزائر" وتعرض لمضايقات الإدارة الفرنسية، ثم النفي من طرف الحاكم العام الفرنسي للجزائر (ستيغ). ينظر: -AGERON, **Politiques coloniales**.., op-Cit. P.278, et du même auteur, **Hist**.. **de L'Algérie**, T.II, P288.

[3] ينظر: سعد الله، **الحركة**..، ج2، مرجع سابق، ص-ص361-388.

II. تداعيات نشاطات الجزائريين في المشرق العربي على الحركة الوطنية الجزائرية:

ولدت الحركة الوطنية الجزائرية مع مطلع القرن العشرين كجزء من حركة التحرر القومي العربي، وفي العادة يقفز المؤرخون الفرانكفونيون من جزائريين وغير جزائريين عن هذه الحقيقة، ولكنهم حين يظطرون إلى ذكرها، فإنهم يقومون بتهميشها، ويجمعون على أن الحركة الوطنية الجزائرية مصدرها المهاجرون إلى فرنسا، إلاّ أن هناك حقائق لا يمكن إغفالها كمرتكزات انطلقت منها الحركة الوطنية في الجزائر، والمتمثلة أساسا في ثلاث نقاط أساسية وهي:

1- أن مؤسس أول هيكل تنظيمي للحركة الوطنية هو الأمير خالد الذي أنشأ (حركة الجزائر الفتاة)، وهو من مواليد دمشق ودفينها، وكان قد أسسها على غرار الجمعيات السياسية العربية التي نشأت في المشرق العربي وفي دمشق، والتي شارك فيها كما رأينا الجزائريون المهاجرون، وأن الأمير خالد كان جزءا من حركة القوميين العرب[1]، وأن مؤسسي (جمعية العربية الفتاة) هم من تلاميذ الشيخ طاهر الجزائري.

2- أن حزب نجم شمال افريقيا ولد عربيا، فقد تأسس كحزب يشمل كل أبناء المغرب العربي، وقد كان هذا التكتل سمة من سمات حركة التحرر القومي العربي، فالأحزاب في بلاد الشام والعراق ومنطقة الهلال الخصيب، كانت تنظر إلى هذه المنطقة ككتلة واحدة، وكذلك الأحزاب في بلاد النيل ومصر والسودان والهيآت في الجزيرة العربية[2].

3- أنّ حزب الشعب بقيادة مصالي الحاج، كانت له علاقة مع حركة التحرر القومي العربي، وعلى وجه الخصوص علاقته بالأمير شكيب أرسلان المفكر القومي المعروف، ثمّ علاقته بمفتي فلسطين ورئيس حركة نضالها الحاج أمين الحسيني، ولا نريد أن نلزم أنفسنا الخوض أكثر في هذ الموضوع، لأنه يحتاج إلى تخصيص أبحاث حوله.

II. 1. ظهور الجمعيات والنوادي:

لا شك أن نشاط الجزائريين في المشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين قد أسهم من قريب أو بعيد في نهضة الجزائر الحديثة، وفي تفعيل نشاط الحركة الوطنية، ونقل قنوات ومرتكزات الإصلاح في المشرق العربي إلى بلادهم، وكان أبرزها العمل الجمعوي والنشاط الطلابي والحركة الصحفية، وعليه فإن نشاط

[1] سهيل الخالدي، **دور الجزائريين** ..، مرجع سابق، ص 209.

[2] نفسه، ص 210.

المهاجرين الجزائريين بالمشرق، وعودة البعض منهم لأرض الوطن، انعكس على مسار الحركة الوطنية، تمثل في ظهور الجمعيات والنوادي، التي أسهمت بدورها في نشر الوعي الثقافي بين الجزائريين، وكان من أبرزها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتفعيل نشاط الصحافة التي كان لها دور كبير، ويتضح من خلال ظهور العديد من الصحف والجرائد، التي عملت على منح الجزائريين الحرية في التعبير، إضافة إلى ظهور المنظمات الطلابية التي برز دورها في الحركة الوطنية، وأسهمت في بلورة الوعي الوطني الذي أدى لاحقا إلى العمل المسلح، الذي توّج باستعادة السيادة سنة 1962.

وتشير الدراسات التاريخية أن للهجرة الجزائرية نحو المشرق أثر بالغ في نفوس الجزائريين، إذ عند عودتهم برزت نخبة من المثقفين الذين قادوا الحركة الإصلاحية التي عرفتها الجزائر خلال القرن العشرين، عن طريق إنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية، التي كانت تعمل على تعبئة الشعب الجزائري عن طريق نشر الوعي[1]، وعليه ظهر شكل جديد من النضال الذي يعتبر جزء من الحركة الإصلاحية التي بدأت بحلول القرن العشرين الذي شهد ظهور الحركة الوطنية[2]، وكان لهذه الجمعيات دور إصلاحي كبير، وذلك عن طريق إقامتها للمحاضرات والعروض المسرحية من أجل إيصال أكبر قدر ممكن من الأفكار الإصلاحية وخاصة فئة الشباب[3]، وقد شكلت هذه النخبة من المثقفين إصلاحات واسعة، وذلك عن طريق الجمعيات والنوادي التي لعبت دورا بارزا في توسيع الدائرة الثقافية، وكان لها صدى كبير ويتضح عن طريق المحاضرات التي ساهمت في بروز الوعي الوطني.

وما يهمنا هنا هو الجمعيات التي ظهرت في هذه الفترة، وكان من أهمها الجمعية التوفيقية، التي تأسست في مدينة الجزائر سنة 1908 من طرف المثقفين الجزائريين وبعض الليبراليين الفرنسيين، وقد ترأسها الدكتور ابن التهامي[4]، وكان هدفها جمع الجزائريين الذين يريدون تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم العلمية والاجتماعية ولقد جاء في قانونها الأساسي الابتعاد عن السياسة من اجل المحافظة على استمراريتها[5]، حيث سجلت عملا ثقافيا

[1] عبد الكريم بوصفصاف، **الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبده وعبد الحميد بن باديس)**، د.ط، دار الهدي، الجزائر، 1982، ص 182.

[2] ناهد إبراهيم سوقي، **دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر**، د.ط، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص 108.

[3] أحمد صاري، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، د.ط، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص 108.

[4] الدكتور بن التهامي: هو محمد مصطفى ولد في معسكر سنة 1205 هـ تعلم القرآن الكريم في وهران، وقف مع الأمير في كل مراحل حياته. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **تارخ الجزائر الثقافي**، ج.5، المرجع السابق، ص 521.

[5] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج.2، مرجع سابق، ص 135-136.

واسعا، كان له تركيز على النخبة والمجتمع، وذلك عن طريق تنوع محاضراتها[1]، وكانت لها عده فروع خاصة في الجزائر وقسنطينة[2]، كما اهتمت الجمعية بالنخبة الاجتماعية وذلك بمساعده الفقراء والمعوزين إذ خصصت لهم جزء من مداخلها كمساعدات ماليه تتمثل في شراء الملابس والأدوات المدرسية وكانت تمنح وجبات خلال فتره الدراسة[3]، بالإضافة إلى ذلك استطاعت عدد كبير من أنصارها عن طريق نشاطاتها، والتي كانت تقوم بتهذيب الشعب وإرشاده، وهذا ما يمكن ملاحظته، فالجمعية عملت على شمل جميع المجالات والجوانب في الحياة اليومية للجزائريين، وهذا هو سبب نجاحها في مدينة الجزائر وكما أنه لا يوجد جمعيات مماثلة لها في مدن الجزائر[4].

وتجمع المصادر بين كل الجمعيات كان لها هدف واحد وهو نشر الوعي في صفوف الجزائريين كما توجد عدة جمعيات سبقت هذه الجمعية وكان لها صدى قوي في جميع المجالات، وهي (الجمعية الراشدية)، وتعد أول جمعية برزت في الجزائر، حيث تأسست سنة 1902، وتعرف بالجمعية الودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية[5]، العربية[5]، إضافة إلى أنها كانت تقوم بنشرية باللغة العربية والفرنسية، وتعد سلسلة محاضراتها ذات أهمية كبيرة، وذلك عن طريق قيامها بنشر التعليم والتبشير بالأخوة[6]، إضافة إلى ذلك الجهود التي كانت تبذلها وتنحصر في موضوعين هامين أحدهما يتمثل في اعتبارها منظمة ثقافية والثاني يتمثل في الروح السائدة في الجزائر في عهد النهضة الجزائرية[7].

كما تشير الدراسات إلى وجود جمعيات أخرى مثل (الجمعية الخيرية) التي تأسست عام 1907، إذ أصبحت محل المكتب الإسلامي وتداول عليها مصلحين منها الطيب العقبي، وقد كانت تعقد اجتماعات سنوية من أجل توزيع الصدقات، وكذلك أخذ إشارة على مداخيل المسرح والملاهي[8]، بالإضافة إلى قيامها بإسعاف المعوزين من الأفراد والعلاقات ماديا ومعنويا، وإعاقة عابري السبيل ومساعدتهم إلى الرجوع إلى أوطانهم[9]، وهذا ما جعل الجمعية مقصد الكثير من الناس الذين يجدون فيها الخير والعدل بل قامت بمحاربة الجهل الذي زرعه

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج.2، مرجع سابق، ص138.

[2] أحمد صاري، **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص111.

[3] Charle Robert Ageron, Les **Algériens musuhmauns**.., Vol 2. T.I, op-cit, p 225.

[4] أحمد صاري، المرجع السابق، ص 110-111.

[5] عبد الوهاب بن خليف، المرجع السابق، ص104.

[6] بشير بلاح، المرجع السابق، ص 320.

[7] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، مرجع سابق، ص138.

[8] نفسه، ص 201.

[9] أحمد مريوش، **الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص331.

الاستعمار من أجل القضاء على المجتمع الجزائري، إضافة إلى جمعيات أخرى مثل (الجمعية الصادقية) التي كان هدفها الاهتمام بالتعليم والعناية بالتربية والإسلام[1].

إضافة إلى الجمعيات التي كان لها أثر في نشر الوعي، نجد كذلك النوادي التي ظهرت في كامل التراث الوطني، وكانت مفتوحة لجميع الناس من أجل استقطابهم بقيامها على عدة عروض مسرحية وتظاهرات ثقافية[2]، ثقافية[2]، إلى جانب قيامه بمساعدة الفقراء ومواساة الضعفاء المرضى، وتأسيس المكتبات للمطالعة[3]، كما تشير تشير الدراسات إلى تنوع النوادي إذ نجد نادي صالح باي، الذي تأسس سنة 1907 بقسنطينة، أنّ من الأهداف التي كانت يقوم بها؛ هي نشر التعليم وتنظيم دروس إضافية إلى التوفيق بين المعمرين والجزائريين[4]، إضافة إلى عدة نوادي ومن أهمها نجد نادي الشباب الجزائريين ومن أهدافه هو خلق جو من أجل الترفيه والمناقشة في بعض المواضيع الأساسية كالآفات الاجتماعية[5]، إضافة إلى نادي الترقي الذي تأسس في جويلية 1927 بالجزائر،ثم تحول في عام 1931 إلى مقر جمعية العلماء المسلمين، وتعتبر النواة الأول لجمعية العلماء المسلمين[6]، وذلك كونه مقر يتم فيه عقد الندوات وإقامة الحفلات[7].

وقد جاءت فكرة تأسيس هذا النادي أثناء حفل أقيم بمنزل "محمد بن المرابط" على شرف أحمد توفيق المدني في صيف 1926 إذ قام المدني بطرح الفكرة أثناء حديثه حول وضعية الجزائر وحول حاضرها ومستقبلها،[8] ويعتبر النادي من الهيئات التي ساهمت في دعم حركة التعليم العربي، كما كان مركزا للدروس الدينية والاجتماعية ومن الشخصيات التي كانت تلقي فيها المحاضرات والدروس، نجد الإمام عبد الحميد بن باديس، العقبي، الإبراهيمي، وأحمد توفيق المدني وغيرهم[9].

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج 2، المرجع السابق، ص 202.

[2] أحمد صاري، المرجع السابق، ص16.

[3] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، ج 2، مرجع سابق، ص139.

[4] أحمد صاري، المرجع السابق، ص112.

[5] مبروك، موهوب، **دور الجمعيات والنوادي الثقافية في الحركة الوطنية 1900–1939**، مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للاساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2006/2005، ص 38.

[6] عبد الوهاب بن خليف، المرجع السابق، ص 105.

[7] ناهد إبراهيم دسوقي، المرجع السابق، ص240.

[8] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح، مذكرات ..**، مرجع سابق، ص109.

[9] تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، ط.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 232.

وتعد جمعية العلماء المسلمين تعد أم الجمعيات وهذا لما لها من صدى كبير في الداخل والخارج وكانت أولى بدايتها عندما هاجر البشير الإبراهيمي إلى المدينة المنورة واستقر فيها ثم الانتقال مع بن باديس[1] خلال موسم الحج عام 1913، وما من شك فيه أن تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعيه علماء المسلمين[2]، عندما كان يقضيان جل وقتهما في البحث عن الوضع المتردي للجزائر، وفي ذلك الوقت يقول الإبراهيمي: وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913 هي التي فيها الأسس الأولى لجمعيه العلماء المسلمين، والتي لم تبرز للوجود إلا في عام 1913[3]، ونجد سعد الله يقول بأن أصولها تعود إلى عهد النهضة (1900-1914)، أي إلى أفكار الشيوخ: من أمثال المجاوي، وأنه في الفترة ما بين (1919-1930) وضع العلماء أسس جمعيتهم، هذا ما جعلها تظهر إلى العيان رسميا في ماي 1931[4] في الجزائر العاصمة بنادي الترقي بحضور 72 من علماء الجزائر[5].

وأثناء إحدى الزيارات التي قام بها ابن باديس إلى البشير الإبراهيمي في مدينة سطيف، أفصح له عن نيته في إنشاء جمعية تعرف باسم (جمعية الإخاء العلمي)، تتخذ من مدينة قسنطينة مركزا لها من أجل جمع شمل العلماء والطلبة وتوحيد جهودهم من أجل محاربه الاستعمار واسترجاع الاستقلال والوقوف إلى جانب الحركة الوطنية[6]، وبعد الإعلان عن تأسيسها، أشرف عليها "عبد الحميد بن باديس"، وظل رئيسا لها حتى عام 1940، وبعد ذلك تولى رئاستها "الطيب العقبي "حتى 1956[7]، ولخص ابن باديس مبادئها في المعاني الآتية: "العروبة والإسلام والعلم والفضيلة"، وقال إن هذه المبادئ هي أركان جمعية العلماء التي تحفظ على الجزائريين جنسيتهم وقوميتهم[8]، كما تبنت استراتيجية لمواجهة الاستعمار الفرنسي، تقوم على تغيير ذهنيات الناس عن

[1] عبد الحميد بن باديس: هو من كبار رجال الإصلاح ورئيس جمعية علماء العلماء المسلمين منذ قيامها، ولد بمدينة قسنطينة 1889، أتم دراسته في جامع الزيتونة ودرس في الجامع الكبير، توفي سنة 1940، ينظر عنه: تركي رابح، المرجع السابق، ص28.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 10.

[3] الزبير بن رحال، **الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1989– 1940)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،1997، ص 51.

[4] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج 2، مرجع سابق، ص286.

[5] تركي رابح، المرجع السابق، ص95.

[6] أحمد نبيل بلاسي، **الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، د.س.ط، ص 62.

[7] ناهد إبراهيم دسوقي، **دراسات في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 241.

[8] بلاسي، المرجع السابق، ص 62.

طريق ترويجها لفكرة الأمة الجزائرية والدفاع عن أصالتها، والوقوف ضد مشروع التجنيس والاندماج في الوسط الفرنسي[1].

II. 2. توسيع النشاط الصحفي:

كان لهجرة الجزائريين إلى المشرق أثر بالغ في حركة الصحافة في الجزائر، وأسهمت بشكل ملفت فيها، وذلك بعد تأثرهم بالصحافة المشرقية، فنجد ابن باديس في قسنطينة والطيب العقبي في بسكرة والبشير الإبراهيمي في سطيف[2]، حيث استعمل هؤلاء وغيرهم وسيلة جديدة من أجل المطالبة بحقوقهم، ومنه يتضح أن أن بداية الحركة الصحفية بدأت بوضوح مع مطلع القرن العشرين على يد هؤلاء الذين استفادوا من الصحافة العربية في المشرق.

وبدا واضحا أن الصحافة المشرقية، لا سيما المصرية منها، قد قدّمت بين يدي هؤلاء المصلحين نماذج أخذوا ينسخون على منوالها[3]، ودائما ما كانوا يعترفون بفضلها، سواء في ما أمدّتهم به من غذاء فكري أو ما أفادتهم به من أخبار عن الوطن العربي والإسلامي، وما طبعت به أساليبهم من بيان رفيع قبل الح.ع.I وأثناءها، واستطاعت فتح أعين الجزائريين وعلمتهم كيف يستفيدون من الصحافة في سبيل المطالبة بحقوقهم[4]، كما أنها ساهمت في تعريف الجزائريين بهذه الوسيلة للدفاع عن مصالحهم والوقوف أمام الاستبداد والتعصب الاستعماري، وأيضا قامت بحثّهم على مواصله نظالهم الوطني، وإيقاظهم من غفلتهم[5]، وسبب ما كانت تقوم به من توعيه وإرشاد، لقيت تضييقا ومراقبة صارمة من قبل الاستعمار، بالإضافة إلى ذلك نجد جريدة (الإقدام) التي ظهرت بعد الح.ع.I، التي طالبت بحقوق الجزائريين، وكانت تصدر في بداية الأمر باللغة الفرنسية ثم أصبحت باللغة العربية، والأمير خالد كان هو المسؤول عنها في الكتابة باللغة العربية وسبب مساندتها للحركة الوطنية وكذلك معاداتها المعمرين ثم توقفها كذلك رفضها للتجنيس[6]، وكذلك نجد جريدة (الصديق)، التي تم إصدارها في 12 أوت 1920، وهي جريدة علمية وأدبية سياسية اقتصادية[7]، هدفها تأييد سياسة الأمير خالد، وكذلك دفع الوطنيين إلى ميدان الصحافة وهذا ما جعلها تتعرض للمضايقة والتفتيش، وفي هذا الجو الخانق اضطرت إلى

[1] عبد النور ناجي، **البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية**، مجلة التراث، العدد 108، د.ت، ص26.

[2] دبوز، **أعلام الإصلاح** ..، ج1، مرجع سابق، ص 83

[3] محمد ناصر، مرجع سابق، ص 11.

[4] نفسه، ص12.

[5] عمار هلال، **الهجرة** ..، مرجع سابق، ص 279.

[6] محمد ناصر، المرجع السابق، ص 88.

[7] نفسه، ص 85.

التوقف[1]، إضافة إلى عدة جرائد أخرى كان لها أثر كبير في توسيع الحركة الصحفية في الجزائر مطلع القرن العشرين.

ومما سبق ذكره من الجرائد نجد جريدة (الشهاب) حيث تعد ثاني جريدة يصدرها ابن باديس، بعدها جريدة (المنتقد)[2]، التي تم تعطيلها من طرف السلطات الاستعمارية التي قامت بمصادرتها في 12 نوفمبر 1925، حيث تميزت الجريدة بجانبها الإصلاحي وبثراء مقالاتها الدينية والتربوية في الوعظ والإرشاد ومحاربة الفساد والدفاع عن الإسلام واللغة العربية،كما أعطت اهتماما كبيرا لقضايا الوطن العربي والإسلامي[3]، وإلى جانب ما أصدره ابن باديس، نجد جرائد للعقبي الذي أصدر جريدة (الإصلاح) في سنة 1927، والتي قوبلت بارتياح كبير، إلا أن الإدارة لم تساعده على الطبع، مما اضطره إلى التنقل إلى تونس لطبعها[4]، ومن هنا يتضح يتضح لنا تأثير المشرق والنخبة المشرقية في الحركة الصحفية في الجزائر مطلع القرن العشرين، التي ساهمت إلى حد كبير في توجيه الشعب الجزائري في وقت اشتبكت فيه المسالك وتضاربت فيه الآراء حول الاستعمار الفرنسي وسبيل القضاء عليه.

III. 3. ظهور التنظيمات الطلابية:

واكبت الحركة الطلابية الجزائرية منذ نشأتها الحركة الوطنية، وسلكت نفس الاتجاه الذي سلكته، فهي جزء من الوعي الوطني المقاوم للوجود الاستعماري، وفي هذا الشأن يقول آجرون: ".. إن الشباب الجزائريين أبناء عصرهم بالفعل ولكنهم ليسوا بمثابة الجيل الذي ظهر بطريقه عفوية سنة 1900.."، فمنذ 1892 كان (جول فيري) قد تعرّف على ثلة من المسلمين الذين آنس لديهم وعيا سياسيا وذلك حينما حدثوه على المشاكل المرتبطة بمسألة التجنس والتمثيل والنيابة وغيرها[5]، والذي نقصده بالنشاط الطلابي هنا هو ذلك التنظيم الذي اقتصر على الطلبة الجزائريين الذين أسعفتهم الظروف للالتحاق بمختلف المعاهد والمدارس، وما نستنتجه من هذا المفهوم، أنه يعتمد أساسا على النخبة من الطلبة للحصول على مبدأ تشكيل التنظيمات الطلابية والنقابات،

[1] محمد ناصر، المرجع السابق، ص 87.

[2] المنتقد: هي جريدة أسبوعية، صدرت في قسنطينة في 02 جويلية 1925، أسسها ابن باديس وكان رئيس تحريرها، وكان هدفها يوجزه شعارها: الوطن قبل كل شيء. ينظر: محمد ناصر، ج2، المرجع السابق، ص 95.

[3] سعد الله، **الحركة** ..، ج2، المرجع السابق، ص253.

[4] محمد ناصر، المرجع السابق، ص 138.

[5] شارل روبير آجرون، المرجع السابق، ص 704.

وأن هذا الرأي يرجح أن الفترة ما قبل 1900 لم تعرف التشكيلات والتنظيمات سواء الاجتماعية أو السياسية إلى البعض القليل[1].

وعليه فإنّ وعي الجزائريين بالقضية الوطنية كان وليد الظروف الاستعمارية المريرة التي مرت بها الجزائر، بحيث سعت الإدارة الاستعمارية إلى قطع الصلة بين الجزائريين وهويتهم من جهة، ومن جهة أخرى عزلهم عن كيانهم العربي وامتدادهم الإسلامي، حينما حرمت التعامل والتخاطب باللغة العربية وعوضتها باللغة الفرنسية[2]، وفي ظل الأوضاع التي اتسعت بها الأوساط الطلابية بين الطلبة الجزائريين والطلبة المعمرين ظهرت البوادر الأولى للنشاط الطلابي وهذا ما ساهم في بلورة جملة من المطالب سعى الطلبه إلى تحقيقها لإصلاح أوضاعهم، وهذا ما تحوّل مرحليا إلى تكوين جمعية طلابية حملت على عاتقها النضال الطلابي داخل المؤسسات الجامعية[3]، وكانت هذه بمثابة الإرهاصات الأولى للحركة الطلابية.

فمنذ نهاية القرن 19م، عرفت الجزائر تحولات ثقافية هامة خاصة بعد انهيار النظام التربوي والديني، فالمثقفون الجدد الذين برزوا في الساحة الثقافية، قد كان عددهم محدود، وبالرغم من ذلك عملوا على فهم العوامل المحركة لميلاد هذا النمط الثقافي الجديد، وعدد الطلبة الذين كانوا نقصد بهم طلبة جامع الأزهر والجامعات الإسلامية، الذي فاق بكثير عدد الطلبة الذين يتواجهون لاستكمال دراستهم في فرنسا، ولا غرابة من الإنتماء الفكري الذي انعكس بصورة مباشرة على التنظيمات الطلابية التي عرفتها الجزائر مع مطلع النهضة الجزائرية وبداية العمل السياسي المنظم، وكانت الهجرة في هذه الفترة قد شملت عنصر الطلبة الذين أصبح يبحثون عن مناطق آمنة، بعد عملية الطرد الداخلية التي تعرضوا لها، وهذا ما نتج عنه قلة الطلب الجزائريين الذين يدرسون في الجامعات الفرنسية[4].

وأكد البشير الإبراهيمي بدوره بمساهمة الجالية المهاجرة بما فيها الطلبة في إحياء وبعث حركة النهضة وإرساء ثورة فكرية جديدة عندما عبر عن ذلك بقوله : "... رجع أفراد من الإخوان الذين كانوا بالمشرق مهاجرين أو

[1] أحمد مريوش، **الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة قسنطينة، 2006/2005، ص15.

[2] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 09..

[3] نفسه، ص12.

[4] شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**..، مرجع سابق، ص 168.

طلابا بالعلم وجماعة من تلامذة الأستاذ ابن باديس الذين أكملوا معلوماتهم بجامع الزيتونة تنطوي نفوسهم من أستاذتهم على فكره وروحه...[1].

خلاصة الفصل:

مما تقدّم نستنتج أن النخبة الجزائرية كانت ملمّة بكل التطورات السياسية التي شهدها العالم العربي والإسلامي، في فترة نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كما نجدها قد تفاعلت مع أغلب القضايا الحسّاسة التي شهدتها المنطقة، وذلك نتيجة شعورها بانتمائها العربي والإسلامي، ومن أبرز القضايا التي دار حولها النقاش كثيرا من طرف النخبة الجزائرية بكل أطيافها قضايا الدولة العثمانية، خاصة الجامعة الإسلامية، ومسألة إلغاء الخلافة العثمانية وما ترتّب عنه من جدل في أواسط النخب الإسلامية.

كما نلاحظ بأنها وقفت بقلمها مناصرة للأقطار العربية والإسلامية في كل النكبات التي مرّت بها لاسيما المتعلقة بالاستعمار وسياسته في المنطقة، فكانت النخبة الجزائرية تعتقد بأن هجمة الغرب الاستعماري على الشرق الإسلامي، نتيجة حتمية لاختلال موازين القوى بين العالمين، ونتيجة تخادل المسلمين وتنكرهم لبعضهم، وعدم اتخاذهم بعوامل القوة، للنهوض في وجه الاستعمار الغربي.

[1] أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار محمد البشير الإبراهيمي**، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 140.

الخاتمة

خاتمة البحث وآفاقه:

بعد المحطات المتتالية التي وقفنا عندها خلال هذا البحث، عارضين ومحللين ومناقشين وناقدين ومقارنين، تستوقفنا آخر محطة، وهي الخاتمة، التي سنحاول من خلالها أن نستجمع أهم النتائج المستخلصة من هذه الأطروحة، التي تمركز حديثنا خلالها عن فئة النخبة الجزائرية التي اتجهت صوب المشرق العربي، بفعل التضييق والممارسات التي فرضتها سلطة الاحتلال، في فترة مثلت مرحلة مفصلية في تاريخ المنطقة، وما كانت تشهده من متغيرات في جميع الأصعدة: الفكرية والثقافية والسياسية ..، وللإشارة فإن هذه الفترة التي ندرسها من تاريخ الجزائر لم تحظ بالاهتمام الكافي، إذا ما تمت المقارنة بسابقتها أو التي تلتها، على اعتبارها مرحلة انتقالية بين مرحلتين، وقد وصفها مصطفى الأشرف في كتابه "الجزائر الأمة والمجتمع" بالمرحلة الثانية من المراحل التي مرّ بها تاريخ الجزائر الحديث، ويمتد تاريخها ما بين (1871) عقب ثورة المقراني إلى غاية (1920)، ونعتها بالقول: "تميزت بالصمود التام، من غير هوان ولا استسلام"، في حين وصفها الأستاذ أبو القاسم سعد الله بالغموض، وهي نعوت صادقة لحدّ بعيد، فالغموض الموصوف، يكون نتيجة أسلوب صياغة مطالبها المدافعة عن حقوق الأهالي، وعدم تبلور ووعيهم السياسي بالقدر الكافي، التي لعب فيها الخوف من المواجهة والاصطدام بالإدارة الاستعمارية، وقلّة خبراتهم السياسية دورا بارزا، كما أن وصف المرحلة بالسكون، بينما المرحلة الموالية لها بالإيجابية، خاصة المتعلقة بظهور حزب نجم شمال إفريقيا، يوحي أنها كانت سلبية، وانعدام الفاعلية والدينامية فيها، مع أن النخبة المتعلمة نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن الماضي، بذلت جهودا مضنية في التعامل مع قضايا مجتمعهم، وواجهة تعنت الإدارة الفرنسية والمستوطنين، وعليه فإن توجه الجزائريين خلالها نحو المشرق كان يختلف كثيرا عن تلك الهجرات والزيارات السابقة، إذ اقترن فيها طلب العلم بالفرار من الظلم وتجنب الوقوع تحت سلطة الاستعمار.

وقد سعينا خلال هذا العمل إلى توضيح أنّ مصطلح "النخبة" الذي تم إضفاؤه على تيار معين ومجموعة محددة من الجزائريين لا يستند إلى أساس علمي يتوافق مع المفاهيم المختلفة للمصطلح، لأننا إذا ما أخذنا بالمعيار القرآني والإسلامي للعضوية في "نادي النخبة"، ونقصد هنا العلم كأساس للتفاضل بين الناس، فإنّ النخبة الإندماجية كانت تمثل إحدى المجموعات المتعلمة، ولا يمكن أن تكون هي النخبة كلها، إلاّ إذا سلّمنا بأن العلم والثقافة لم يكن لهما وجود خارج الإطار الإستعماري "الأورو–مركزي" الذي أفرز تسمية "النخبة"،

وحصرها في مجموعة معينة بذاتها في الجزائر المستعمرة، وطبعا هذا كلام غير صحيح، وغير منطقي، والجدير بالتوضيح هنا أن مصطلح النخبة الشائع في الكتابات التاريخية الجزائرية اليوم لا يحمل الدلالة الحقيقية للتعريف الدقيق للنخبة كمصطلح سياسي، وإنّما يحمل في جوهره الإشارة إلى التيار الإندماجي في الحركة الوطنية الذي تزعمته العناصر المتفرنسة ثقافيا واجتماعيا، وهو خطأ شائع موروث عن الكتابات الإستعمارية التي حصرت المفهوم في طائفة محظوظة في علاقتها بالإدارة الإستعمارية، التي كان أغلب عناصرها من العائلات الكبيرة ذات النفوذ والمال من جهة، وذات السوابق في خدمة الوجود الأجنبي منذ بداية الاحتلال.

وفي ظل الوضعية القاتمة التي كانت تعيشها الجزائر تحت نيران المستعمر، الذي سلط عليها أقسى صور الاستعباد والوحشية والكبت، لخصها الجنرال بيجو في ثلاثيته الجهنمية: السيف والمحراث والقلم، فكان الجزائريون في حاجة إلى حضن يحتويهم، وسلطة مرجعية تشعرهم بانتمائهم العربي الإسلامي، ومركزا علميا ينهلون منه ما افتقدوه وحرموا منه في أرضهم، وفضاء يعبرون فيه عن حريتهم المسلوبة، فكان المشرق العربي ظالتهم كمهاجرين من النخبة والعوام إلى بلاد الشام، وطلبة علم من النخبة المعربة باتجاه مصر، أو حتى لأداء فريضة الحج والزيارة للبقاع المقدسة في الحجاز وفلسطين.

فقد كان من الطبيعي أن يتوجه الجزائريون إلى المشرق فرادى وجماعات بعد النكبة التي تعرضوا لها، ولاسيما بعد فشل المقاومة، وذلك لمعرفتهم بهذه البلاد من قبل عن طريق الدين والسياسة والتجارة..، فكان تواصل النخبة بالمشرق العربي عبر قنوات متعددة، أهمها الهجرة التي شكلت نوعا من المقاومة السلبية، فرّ من خلالها الجزائريون إلى المشرق بحثا عن الأمان والاطمئنان والرزق وطلب العلم، حيث شهدت بلاد الشام ومصر والحجاز واستانبول توافد موجات بشرية متتابعة إلى غاية اندلاع الح.ع.I، كما شكلت الزيارات فضاء آخر تقاطع فيه الفكر الجزائري والمشرقي، فكانت بالنسبة للجزائريين تلبية لمطامح علمية وروحية وأمنية، وتزامنت مع ما شهده المشرق من حراك فكري سياسي، يعج بتطورات نهضوية وثورية، وظهور تيارات فكرية ونظريات ومشاريع تفاعل معها الجزائريون، كما اعتمد الجزائريون في تواصلهم مع المشرق أسلوب الرسائل، التي كانت إحدى أهم الوسائط المستخدمة آنذاك في التواصل على اختلاف أغراضها الأدبية، وقد لعبت دورا هاما في تنمية روابط الأخوة والمحبة بين الطرفين، وأبانت لنا عن جانب من فكر النخبة الجزائرية واهتماماتها التي شاركت به النخبة في المشرق.

وعلى صعيد آخر نلمس من خلال ما جاء في ثنايا هذا العمل دور المهاجرين الجزائريين في حركة الإصلاح العربي والإسلامي، والجوانب التي ركزوا عليها في مشروعهم، وكذا مساهمتهم في النهضة العربية، التي بدت بوادرها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ونشاطهم في الحياة الفكرية والثقافية في بلاد المشرق عموما ومنطقة الشام خصوصا، من خلال إنشائهم للمراكز الثقافية وتشييدهم للمساجد وفتحهم العديد من المدارس الجديدة وإحياء المدارس القديمة، كما قاموا بدور هام وتولوا المناصب العالية، وشاركوا في الجيش والإدارة والمدارس، وكان عندهم المهندس والطبيب والضابط والكاتب والمؤلف والصحافي، وتوج العمل الصحافي بدمشق بإصدار جريدة (المهاجر) سنة 1912 والتي كانت في محتواها تندد بالسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا بالجزائر وتدافع عن حقوق المهاجرين في المشرق العربي الإسلامي وبقي المهاجرون على اتصال مستمر بوطنهم وساهموا في نشر فكرة الجامعة الإسلامية وعملوا على تعزيز معاني الروح والقيم الوطنية.

كما كان النشاط السياسي والعسكري للجزائريين في المشرق العربي كبيرا، سواء المهاجرين منهم أو الزائرين، وذلك منذ الوهلة الأولى التي قدموا فيها إلى المنطقة، وكانوا يعملون جنبا إلى جنب مع إخوانهم المشارقة، ودورهم هذا نابع من إيمانهم العميق بمسألة الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية، ولذلك انخرطوا في تيار الجامعة الإسلامية التي نادى بها السلطان عبد الحميد الثاني كأداة لمواجهة الغزو الأجنبي، وتحقيق الاستقلال الوطني، فكانوا من أبرز رموزها ودعاتها الذين نشطوا من خلالها سياسيا وعسكريا تجسيدا لفكرتها على أرض الواقع، كما كان لهم نشاط بارز في تيار القومية العربية ضد جماعة الاتحاد والترقي الطورانية، ونادوا بالإصلاحات في البلاد العربية، وكان مصير بعضهم الإعدام في سبيل القضية العربية، كما تعددت أدوارهم خلال الح.ع.I، في المنطقة وشاركوا في ثورة الشريف حسين ضد الأتراك 1916، وحاول بعضهم التوفيق بين العرب والأتراك، إلاّ أن المخططات الاستعمارية، ووجود بعض العناصر العربية أو التركية التي تبحث عن مصالحها الخاصة حالت دون ذلك.

فالنخبة الجزائرية بالمشرق العربي، كانت ملمّة بكل التطورات السياسية التي شهدها العالم العربي والإسلامي، في فترة نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كما نجدها قد تفاعلت مع أغلب القضايا الحسّاسة التي شهدتها المنطقة، وذلك نتيجة شعورها بانتمائها العربي والإسلامي، ومن أبرز القضايا التي دار حولها النقاش كثيرا من طرف النخبة الجزائرية بكل أطيافها قضايا الدولة العثمانية، خاصة الجامعة الإسلامية، ومسألة إلغاء الخلافة

العثمانية وما ترتّب عنه من جدل في أواسط النخب الإسلامية، كما نلاحظ بأنها وقفت مناصرة للأقطار العربية والإسلامية في كل النكبات التي مرّت بها لاسيما المتعلقة بالاستعمار وسياسته في المنطقة، وكانت تعتقد بأن هجمة الغرب الاستعماري على الشرق الإسلامي هو نتيجة حتمية لاختلال موازين القوى بين العالمين، ونتيجة تخادل المسلمين وتنكرهم لبعضهم، وعدم اتخاذهم بعوامل القوة، للنهوض في وجه الاستعمار الغربي.

وعليه فإن هذه الدراسة حاولت قدر الإمكان إبراز جهد هؤلاء ودورهم في شتى المجالات، ومن النتائج المستخلصة أيضا والتي نسوقها فيما يلي:

– إن النخبة الجزائرية وكغيرها من رجال النهضة العربية والإسلامية، كانت تحمل رؤية تجديدية لمشروع إصلاحي نهضوي أوجد جوّا من الوعي العربي والإسلامي، وانتشرت فيه مفاهيم التحرر والاعتزاز بالأمة العربية والإسلامية وبماضيها وتراثها العريق.

– أن الجزائريين يعتبرون من السباقين في وضع الأسس والقواعد العلمية والبيداغوجية الحديثة للمدرسة العربية، وخاصة في بلاد الشام في وقت كان فيه التعليم محصورا في الزوايا والكتاتيب وبعض المدارس الحكومية التي لا ترقى لمستوى علوم العصر، على غرار ما قام به الشيخ طاهر الجزائري.

– اهتم الجزائريون في المشرق العربي بالبحث في التراث العربي والإسلامي، حيث خصصوا جانبا كبيرا من مشروعهم في مجال علم الكتب والمخطوطات وفك رموزها، وإنشاء المكتبات التي تضاهي المكتبات الكبرى في عصرهم، والتي مازالت إلى اليوم تحتوي على أهم الكتب والمخطوطات النادرة، كالمكتبة الظاهرية في دمشق والمكتبة الخالدية في القدس.

– ارتبط نشاط الجزائريين العلمي والثقافي ارتباطا وثيقا بإنشاء المدارس على الطراز العصري، ووضع مناهج تربوية لها لجميع التخصصات، وذلك حسب مقررات التعليم البيداغوجي للمدارس العصرية، مستفيدين بما توصلت إليه النهضة الأوروبية، ومتجاوزا بذلك الطرق التقليدية التي كانت سائدة في المدارس ومراكز التعليم في البلاد العربية والإسلامية.

– تجاوزت عناصر من النخبة الجزائرية في المشرق العربي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أسلوب علماء عصرها، حيث تميز مشروعهم الإصلاحي بابتكار طرق جديدة، تمثلت في الندوات والحلقات الفكرية التي جمعت مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية والمذهبية، وكانت تناقش موضوعات مختلفة، تتعلق بالتراث العربي والإسلامي، كما كانت تطرح مسائل حول تحديات النهضة الأوروبية وآثارها على الفكر العربي والإسلامي، ومن خلال تلك الندوات كان لها الأثر الكبير في بروز الجمعيات السياسية والثقافية التي أسهمت بشكل كبير في التأثير على الأحداث فيما.

– وكأنموذج عن نشاط الجزائريين الإصلاحي والتربوي في المشرق العربي، كان طاهر الجزائري يشبه إلى حدّ كبير في منهجه الفيلسوف الهندي المعاصر المهاتما غاندي في الدعوة إلى العلم ونبذ العنف، والذي كان يحاول إحياء كل ما هو عربي من اللغات والتقاليد، وتعليم الناس الصنائع، وعدم الغفلة عمّا هو عند الأمم الغربية من مقومات العلم.

– مثلت النخبة الجزائرية في المشرق العربي، وبخاصة أسرة الأمير عبد القادر نموذجا واضحا من المعاناة في المنطقة، أين سعت كل من السياستين الفرنسية والعثمانية كسب ولائهم، ففرنسا كانت تسعى لاحتلال المنطقة وخدمة مصالحها، مستغلة في ذلك نفوذ أسرة الأمير في المشرق، أما الدولة العثمانية، فكانت تسعى في محاولة يائسة للحفاظ على شرعيتها في تولي أمور المسلمين، فلم تتمكن كلّ من فرنسا والدولة العثمانية من الاستفادة من الجزائريين ومن أسرة الأمير عبد القادر، إذ نجدها قد تأرجحت بين الأطماع الفرنسية الاستعمارية والمحاولات العثمانية للحفاظ على وجودها، فقد أيد بعض أفراد الأسرة فرنسا، ثم انقلبوا عنها، كالأمير عبد المالك وأخويه علي وعمر، وعموما لم يجن الجزائريون وأسرة الأمير عبد القادر من الصراع الفرنسي–العثماني سوى الاضطهاد من الطرفين.

والملاحظ كذلك من خلال الموضوع أن الإدارة الفرنسية لم تبق مكتوفة الأيدي أمام نشاط وتحركات هؤلاء، فكانت تتابع تحركاتهم بدقة شديدة، متهمة إياهم بالانخراط في تيار الجامعة الإسلامية، بينما حاولت دعم تيار القومية العربية بما يخدم مصالها في الجزائر وفي منطقة المشرق العربي.

أما عن مساهمة المهاجرين بالمشرق العربي في الحركة الوطنية الجزائرية، فبالرغم من أنها كانت تبدو متواضعة، ولعل ضعفها الرئيسي يرجع إلى أنها كانت مساهمة غير مباشرة وغير حاسمة، غير أنه يجب أن نذكر هنا بأن المهاجرين الجزائريين في الشرق الأدنى قد ساهموا بعمق في حركة الجامعة الإسلامية والقومية العربية من خلال صحائفهم وقيادتهم وسمعتهم كمثال للمجاهدين مقارنة بالمهاجرون الجزائريين في فرنسا الذين لم يلعبوا دورا وطنيا هاما إلا بعد الحرب العالمية الأولى.

وفي الأخير؛ وبهذا العمل المتواضع أتمنى أن أكون قد سلطت الضوء ولو قليلا على مساهمات هذه الفئة من الجزائريين، ومحاولة إبراز دورهم في النهضة العربية الحديثة، وأن أكون قد أحطت بجوانب الموضوع، وأن أكون قد فتحت من خلاله آفاقا لمواضيع جديدة أمام المهتمين والأكاديميين، من خلال ما أثرته من إشكاليات مختلفة، تكتمل معها الصورة لنشاط الجزائريين في المشرق العربي، في فترات قد تسبق الفترة المتناولة أو تعقبها، ومواضيع أخرى قد تناولناها إجمالا في ثنايا أطروحتنا، ذلك أن الموضوع مفتوح وكبير، يصعب بأي حال الإلمام بجميع أطرافه، ولذلك نرى أنه لا زال يحتاج إلى مزيد من التوسع، وإزالة اللبس حوله من خلال توفر المادة الإخبارية، مثل ما تعلق بالمشروع القومي العربي للأمير عبد القادر في المشرق، وكذا نشاط الطيب العقبي في الحجاز وفي جريدة القبلة، وكذا موضوع الجزائريين في المشرق بين الجنسية العثمانية والمواطنة الفرنسية في جوانبه القانونية والتاريخية، ومواضيع أخرى تهتم بأعلام الجزائر في المشرق ونشاطاتهم المختلفة، فالمجال لا يزال خصبا للدراسة في مختلف جوانبه وإثنياته.

الملاحق:

الملحق الأول: ملحق الوثائق والنصوص والخرائط.

الملحق الثاني: ملحق الصور العامة والشخصيات.

الملحق الأول، رقم 01: قائمة أشهر الجزائريين في المشرق العربي في فترة نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن 20م[1].

01. الإبراهيمي (بشير) (1889-1965)
02. أطفيش (إبراهيم) (1888-1965).
03. أطفيش (محمد) (1820-1914).
04. التبسي (العربي) (1895-1957).
05. التلمساني (أحمد بن محمد) (-1959).
06. التهامي شطة (- 1915).
07. الجزائري (أحمد بن محي الدين) (1871-1924).
08. الجزائري (أحمد بن عبد القادر) (-)
09. الجزائري (احميدة بن الطيب) (1871-1924).
10. الجزائري (إبراهيم بن عبد القادر) (-).
11. الجزائري (خالد الأمير) (1875-1936).
12. الجزائري (طاهر السمعوني) (1852-1920).
13. الجزائري (السعيد بن محي الدين) (1851-1916).
14. الجزائري (سليم السمعوني) (1879-1916).
15. الجزائري (عبد الباقي بن محمد السعيد بن محي الدين) (1850-1916).
16. الجزائري عبد القادر بن محي الدين الأمير) (1807-1883).
17. الجزائري عبد القادر بن علي (حفيد الأمير عبد القادر) (1885-1918).
18. الجزائري عبد المالك بن عبد القادر (1868-1924).
19. الجزائري (عز الدين بن محي الدين) (1898-1927).
20. الجزائري علي بن عبد القادر (1859-1917).

[1] **المصدر**: إعداد الطالب الباحث اعتمادا على مصادر مختلفة.

21. الجزائري عمر بن عبد القادر (1873-1916)
22. الجزائري محمد باشا بن عبد القادر (1838- 1913).
23. الجزائري (محمد سعيد الأمير) (1881-1970).
24. الجزائري (محمد الشريف (بازر)) (-1904).
25. الجزائري (محمد المرتضى الحسيني) (1827-1901).
26. الجزائري (محي الدين باشا) (1843-1918).
27. الجزائري (الهاشمي بن عبد القادر). (-).
28. الحمامي علي (1902-1949).
29. الخطابي عبد القادر (-1916).
30. الزريبي المولود بن محمد (1897-1925).
31. الزواوي محمد سعيد أبو يعلى (1879-1916).
32. صالح بن عمر بن داود (1871-1928).
33. العقبي الطيب (1889-1960).
34. ابن عليوة (1874-1934).
35. المبارك عبد القادر (1887-1954).
36. المبارك محمد بن محمد (1847-1912).
37. ابن مهنا صالح (1854-1910).
38. الونيسي حمدان (1856-1912).
39. ابن يلس محمد (1852-1927).

الملحق الأول، رقم 02: التنظيم الرسمي الفرنسي لحج الجزائريين ما بين (1830-1940)[1].

الحاكم	السنة	التنظيم	ملاحظات
دوبرمون 1830	1830	منع	
كلوزيل 1830-1831	1831	//	
برتزين 1831-1832	1832	//	
دو روفيقو 1832-1833	1833	//	
فوارول 1833-1844	1834	//	
إيرلون 1834-1835	1835	//	
كلوزيل 1835-1836	1836	//	تقرير مدير المالية عن ضرورة تنظيم الحج لأسباب دعائية لجلب الأهالي الجزائريين وبهدف ربط علاقات اقتصادية مع الحجاز.
ديبرمون 1837	1837	//	
فالي 1837-1841	1837-1839	//	
	1840	//	خصصت سفريات مجانية للأعيان وشيوخ القبائل والقياد والمقاتلين المتعاونين بهدف استمالتهم.
بيجو 1841-1847	1841	//	
	1842	نظم	خصصت لهم سفينة (كاميليون) Camèléon التي نقلت 124 حاجا أغلبهم من ميسوري الحال على مستوى وهران والجزائر وعنابة.
	1843	نظم	سافر الحجاج على متن سفينة لوسابر Le Cerber
	1844	نظم	الذهاب والإياب كان من مرسيليا أين أقيم الحجر الصحي

[1] **المصدر**: إعداد الطالب الباحث اعتمادا على مصادر مختلفة.

	1845	نظم	_ صدور قرار 20 جويلية 1845 يقضي بمصادرة أسلحة الحجاج بعد عودتهم. _ قرار 20 أوت 1845 يشترط جواز سفر يرخص للتنقل خارج الجزائر.
	1846	نظم	
	1847	نظم	_ غرق سفينة عثمانية قرب سواحل كورسيكا كان على متنها حجاج جزائريين.
دوق دومال 1848-1847	1848	نظم	_ غرق سفينة قرب سواحل قبرص بها حجاج جزائريون. _ قانون فرض على الجزائريين ضمان تكاليف رحلتهم في الذهاب والإياب.
بليسيه 1851	1851	نظم	_ قرار وزاري 25 أفريل 1853 يفرض على الحجاج استخراج جواز سفر والاستطاعة المادية لأداء الحج. _ قرار 1855 مكمل لقانون 20 جويلية 1854 يفرض على الحجاج التصريح بنوعية السلاح الذي يملكه. _ 27 نوفمبر 1857 منشور وجهه راندون للمكاتب العربية لحثهم على إجراء تحقيقات حول الحجاج بعد عودتهم ومراقبة علاقاتهم. _ 04 أفريل 1858 قرار وزاري للتقليل من عدد الجوازات الممنوحة بهدف التقليل من عدد الحجاج. _ 16 أكتوبر 1858 تخفيف الشروط المنصوص عليها في القرار السابق.
راندون 1858-1851	1852	نظم	
	1853	نظم	
	1854	نظم	
	1855	نظم	
	1856	نظم	
	1857	نظم	
	1858	نظم	
نابليون الثاني 1859-1858	1859	نظم	//
بليسيه	-1860	؟	//

1864-1860	1862		
	1863	نظم	حج 739 جزائري
	1864	نظم	حج 671 جزائري
مكماهون 1870-1864	1865	نظم	حج 600 جزائري، شهد خلال هذا الموسم وفاة أكبر عدد من الحجاج الجزائريين بسبب وباء الكوليرا القادم من الهند
دو قيدون 1873-1871	1871	نظم	منح عدد قليل من جوازات السفر عقوبة جماعية بسبب ثورة المقراني والشيخ الحداد
	1872	نظم	منحت جوازات السفر للقبائل التي لم تؤيد ثورة المقراني
شانزي 1879-1873	1873	نظم	فرض على الحجاج الاتصال بالقنصلية الفرنسية في جدة لتحصيل مواردهم المالية المودعة هناك لضمان عودتهم
	1874	منع	لأسباب صحية
	1875- 1876	نظم	/
	1877	منع	أسباب صحية، الطاعون في ليبيا والحروب العثمانية
	1878	نظم	/
قريفي 1881-1879	1879	نظم	حج 946 جزائري، والعودة إلى استعمال الرخص
	1880	؟	إصدار أمرية 06 جويلية 1880 التي تشترط الموافقة الشخصية للحاكم العام للسماح للشخص بالذهاب للحج
تيرمان 1891-1881			منع الحج في هذه الفترة (9 مرات) لادعاءات صحية وأمنية، لكن الأسباب تعود إلى ثورة بوعمامة، والأوضاع الخارجية الإقليمية كالثورة

			العرابية والمهدية، ونشاط الحركة السنوسية والجامعة الإسلامية ـ منع السفر برا (طرق وقوافل) والاقتصار على الطريق البحري
	1886	نظم	لم يؤد الحجاج الجزائريين المناسك بعدما وصلت السفينة Queteur متأخرة.
	1887	نظم	تم إلقاء 18 حاج جزائري في عرض البحر بدعوى إصابتهم بالوباء.
	1888	منع	أصدرت الإدارة الاستعمارية قرارا يمنع الجزائريين من المرور عبر تونس إلا بترخيص من الحكومة الفرنسية في الجزائر
	1889	منع	إصدار الحاكم العام منشور 22 فيفري يمنع الجزائريين من السفر إلاّ على السفن الفرنسية.
	1890	منع	/
كامبون 1897-1891	1891- 1893	نظم	/
	1894	منع	تصاعد الدعاية الإسلامية وانتشار الكوليرا
جونار 1901-1900	1900	نظم	مع وجود الوباء، إلا أن تأخر وصول الخبر جعل قرار المنع أيضا يتأخر لما بعد وصول السفينة إلى جدة
	1901	نظم	رغبة ملحة لوزارة الخارجية في تلميع صورتها في المشرق
روفوال 1901-1903	1903	منع	
جونار 1911-1903	1904	منع	
	1905- 1907	نظم	
	1908	منع	بسبب الظروف في تركيا

	1909	منع	الأوضاع السياسية المهددة بالحرب
	1910	منع	
	1911	منع	سافر عدد قليل بسبب فرض تركيا لجواز سفر لكل الداخلين إلى الحجاز، كما فرضت مصر شروطا وقائية بسبب الخوف من انتشار الوباء
ليتو 1911-1918	1912	منع	ارتفاع نسبة الحج السري (غير شرعي) عن طريق تزوير جوازات سفر للمتوفين أو عن طريق التذكرة التي تمنحها الدولة العثمانية
	1913	نظم	
	1914	منع	_ ظروف الحرب _ أصدرت الإدارة الاستعمارية قانون جويلية 1914 يلغي العمل بالتراخيص ووضع شروط تعجيزية تتعلق بالتدابير الوقائية الصحية وفرض عقوبات مالية والعودة بالعمل بجواز السفر
أبل 1919-1921	1919-1920	منع	رغم انتهاء الحرب 1919، لكن فرنسا تحججت بانعدام الأمن، وصعوبة توفير السفن، والحرب في الحجاز بين الهاشميين وآل سعود.
	1921	منع	قلة عدد الراغبين في الحج
ستيغ 1921-1925	1922	منع	_ سافر 120 مغترب من مرسيليا مباشرة _ 17 جوان 1922 قاون اشتراط كراء السفن مع توفير العدد الكافي. _ تحريض فرنسا لبريطانيا على غلق المعابر البرية (معبر سلوم) بين ليبيا ومصر، و(سواكيم) الميناء السوداني. _ إرسال بعثة للحجاز برئاسة كلال منور – قاضي غليزان- لإنشاء إقامة للحجاج الجزائريين.
	1923-1925	منع	

فيوليت 1927-1925	1925-1926	منع	
	1927	نظم	منح 189 جواز سفر بعد تشجيع شركات الملاحة الأمريكية
بورد 1930-1927	1928	نظم	إجبار السفن الأجنبية على رفع العلم الفرنسي، وأن يكون الحاج له جواز سفر يضمن له الذهاب والإياب، مبلغ 3500 فرنك، دفتر صحي به ما يثبت تلقيحه من وباء الكوليرا والجدري.
	1929	نظم	ـ صدور قانون فيفري الذي اشترط للحصول على جواز السفر شهادة طبية تثبت سلامة الشخص العقلية والجسدية، وتذكرة سفر ونصيب من المال وطلب خطي يضمن عدم تركه لعائلته دون إعانة مالية.
	1930	نظم	صدور قانون جديد يشترط على الحاج إلى جانب الدفتر خلوّ شهادة السوابق العدلية من أي عقوبة، والإعفاء من الخدمة العسكرية، وعدم تركه لعائلته دون إعانة مالية.
كارد 1935-1930	1931	منع	وباء الطاعون عبر موانئ البحر المتوسط مع السماح لبعض الأعيان من السفر بشكل فردي.
	1932-1935	نظم	رغم الأزمة الاقتصادية العالمية وتوتر الوضع في الحجاز
لوبو 1940-1935	1935-1940	نظم	- صدور قرار 1937 الذي ألغى العمل بدفتر الحج، وضرورة دفع 1000 فرنك نقدا، وأن يكون بحوزته 5000 فرنك، مما أدى إلى التقليل من عدد الحجاج بشكل نظامي. - بعد هذا التاريخ لم ينظم بسبب ظروف الح.ع.II.

الملحق الأول، رقم 03: نموذج عن رسائل المهاجرين الجزائريين لإخوانهم في الشام للالتحاق بهم[1].

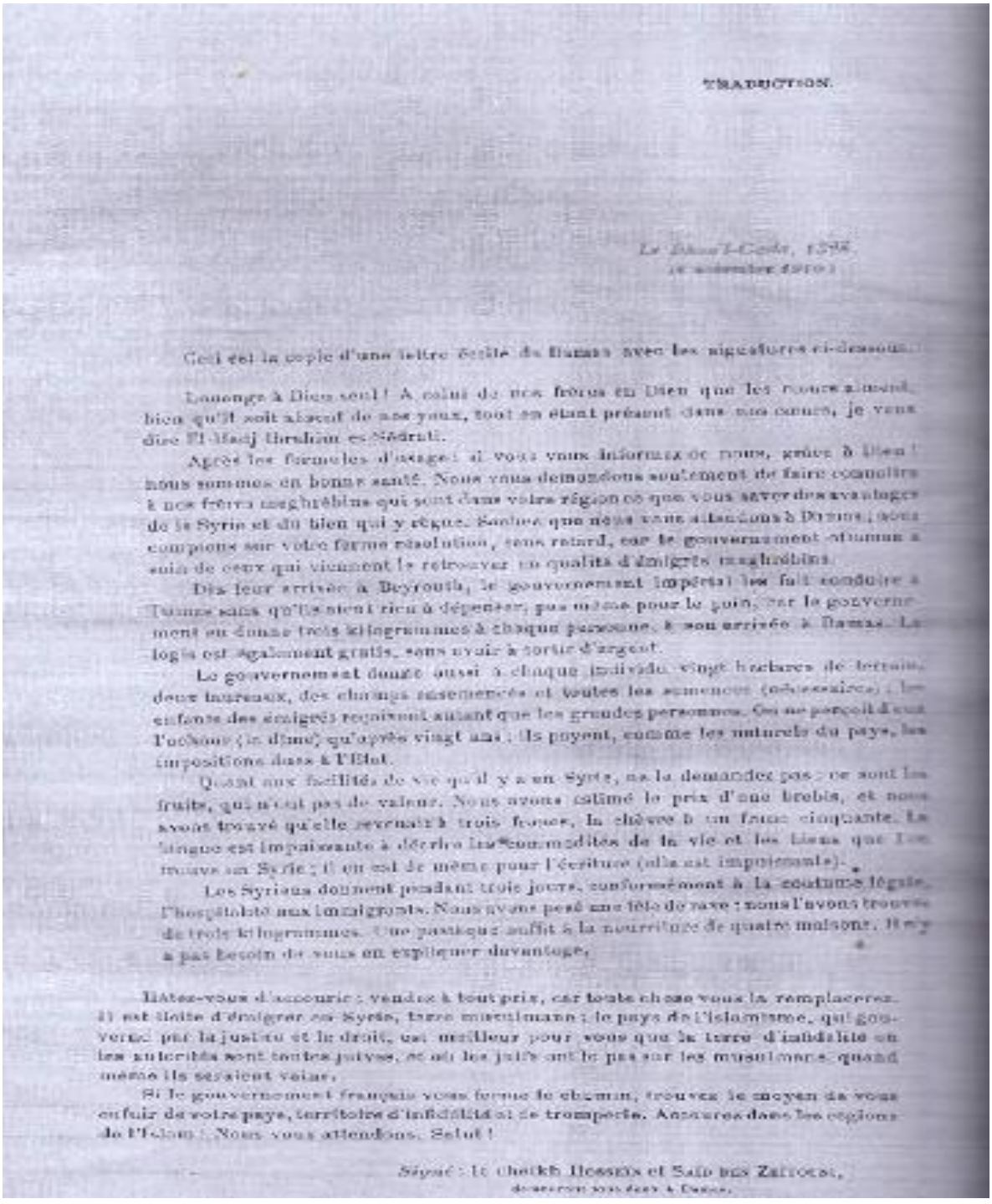

TRADUCTION.

Le Djoumad-El-Ouel, 1328.
(1er novembre 1910.)

Ceci est la copie d'une lettre écrite de Damas avec les signatures ci-dessous.

Louange à Dieu seul ! A celui de nos frères en Dieu que les nôtres aiment, bien qu'il soit absent de nos yeux, tout en étant présent dans nos cœurs, je vous dirai El-Hadj Ibrahim es-Sédrati.

Après les formules d'usage, si vous vous informez de nous, grâce à Dieu ! nous sommes en bonne santé. Nous vous demandons seulement de faire connaître à nos frères maghrébins qui sont dans votre région ce que vous savez des avantages de la Syrie et du bien qui y règne. Sachez que nous vous attendons à Damas ; nous comptons sur votre ferme résolution, sans retard, car le gouvernement ottoman a soin de ceux qui viennent le retrouver en qualité d'émigrés maghrébins.

Dès leur arrivée à Beyrouth, le gouvernement impérial les fait conduire à Damas sans qu'ils aient rien à dépenser, pas même pour le gîte, car le gouvernement en donne trois kilogrammes à chaque personne, à son arrivée à Damas. Le logis est également gratis, sans avoir à sortir d'argent.

Le gouvernement donne aussi à chaque individu vingt hectares de terrain, deux bœufs, des champs ensemencés et toutes les semences (nécessaires) ; les enfants des émigrés reçoivent autant que les grandes personnes. On ne perçoit d'eux l'achour (la dîme) qu'après vingt ans ; ils payent, comme les naturels du pays, les impositions dues à l'Etat.

Quant aux facilités de vie qu'il y a en Syrie, ne le demandez pas ; ce sont les fruits, qui n'ont pas de valeur. Nous avons estimé le prix d'une brebis, et nous avons trouvé qu'elle revenait à trois francs. La chèvre à un franc cinquante. La langue est impuissante à décrire les commodités de la vie et les biens que l'on trouve en Syrie ; il en est de même pour l'écriture (elle est impuissante).

Les Syriens donnent pendant trois jours, conformément à la coutume légale, l'hospitalité aux émigrants. Nous avons pesé une tête de raye ; nous l'avons trouvée de trois kilogrammes. Une pastèque suffit à la nourriture de quatre maisons. Il n'y a pas besoin de vous en expliquer davantage.

Hâtez-vous d'accourir ; vendez à tout prix, car toute chose vous la remplacerez. Il est licite d'émigrer en Syrie, terre musulmane ; le pays de l'islamisme, qui gouverne par la justice et le droit, est meilleur pour vous que la terre d'infidélité où les autorités sont toutes juives, et où les juifs ont le pas sur les musulmans, quand même ils seraient vaincus.

Si le gouvernement français vous ferme le chemin, trouvez le moyen de vous enfuir de votre pays, territoire d'infidélité et de tromperie. Ancrez-vous dans les régions de l'Islam ; Nous vous attendons. Salut !

Signé : le cheikh Hossein et Saïd ben Zarrouk,
demeurant tous deux à Damas.

[1] المصدر:

L'Exode de Tlemcen en 1911, Gouvernement générale de l'Algérie, Imprimerie René Barriller, 1911, p 130-131.

الملحق الأول، رقم 04: المناطق التي استقر بها الجزائريون في الشام (الأرياف والمدن)[1].

Villages Algériens.

Aïfa			
Kamouna, environ	800 habitants,	tribu Beni Finni,	à 4 heures de Damas.
Desia		—	
Jelindoun	90	—	Beni Yahya, à 7 heures de Homs.
Dechoum	1.000	—	Bou Yahya et Béni Pissa, à 3 heures de Safed.
Tell	150	—	Eviad-el-Kebir, à 3 heures de Safed.
Ammouza	120	—	Eviad-ech-Cheik à 1 heure de Safed.
Biroya	40	—	Eviad Salem, à une demi-heure de Safed.
Kafer Sebt	300	—	Eviad Pissa, à 2 heures de Tabaria.
Chafara	160	—	Eviad Pissa, à 3 heures de Tabaria.
Ma'ser	300	—	Eviad Khalid, à 3 heures et demi de Tabaria.

*Aviam	1.200 habitants,	tribu Eviad Arab et Eviad Idris	à 3 heures de Tabaria.
Semakh	400	—	Beni Yakif et Beni Mahenna, à une demi-heure de Tabaria.
Hoocha	300	—	Beni Siava, à 3 heures de Chéfa-Amr.

Villes où résident des Algériens.

Damas, environ	2.000	Algériens,	tribu Beni Abd-el Mumink et Beni Pissa
**Kafernessedj	250	—	Eviad Pissa, à 9 heures de Hauran.
Nola	150	—	Eviad Arab, à 2 heures de Damas.
Lebsemit	140	—	Eviad Idris et Abd-el-Monin, à 2 heures de Safed.
Safed	250	—	Eviad Arab.
Akka	30	—	Beni Khalid.
Tabaria	15	—	Beni Moussa.
Ibtifa	20	—	Beni Khalid.
Jaffa	250	—	Beni Pissa.
Jérusalem	1.000	—	Eviad Idris.

Il y a donc en Syrie environ 8.450 Algériens, dont 3.450 habitent les villes, et 5.000 les villages.

* Villages de l'Émir Ali Pacha de Damas.
** Villages appartenant au Général Emir Mehmed Pacha de Constantinople.

[1] المصدر:

A. Le Chatlier : « Les Musulmans Algériens au Maroc et en Syrie », **R.M**, Mars-**Julier** 1907, p 511-512.

الملحق الأول، رقم 05: مراسلة بين القنصل الفرنسي بسوريا ووزير الخارجية الفرنسي، حول تزايد عدد المهاجرين الجزائريين في سوريا بتاريخ 19 جويلية 1910[1].

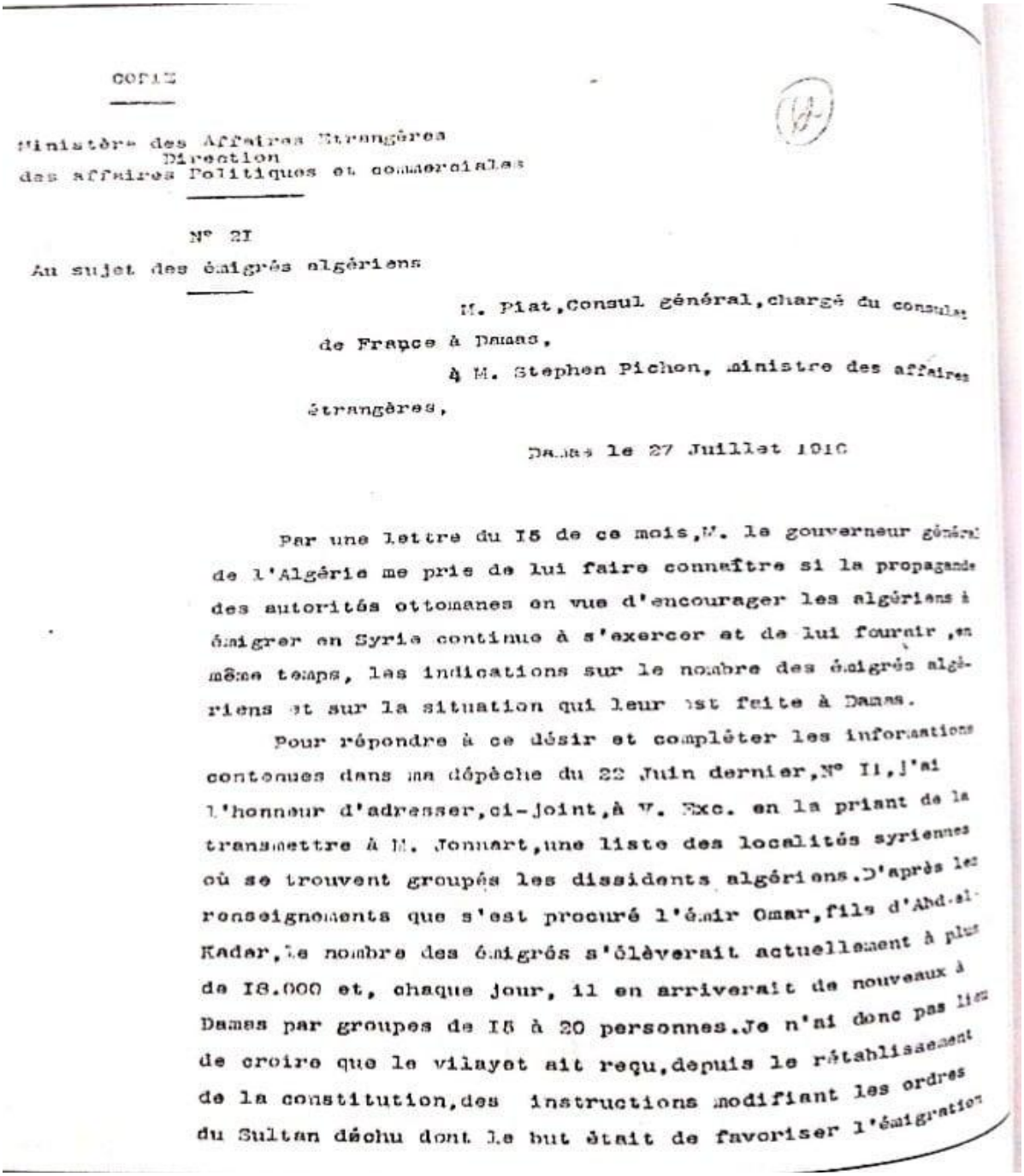

COPIE

(4)

Ministère des Affaires Etrangères
Direction
des affaires Politiques et commerciales

N° 21

Au sujet des émigrés algériens

M. Piat, Consul général, chargé du consulat de France à Damas,

à M. Stephen Pichon, ministre des affaires étrangères,

Damas le 27 Juillet 1910

Par une lettre du 15 de ce mois, M. le gouverneur général de l'Algérie me prie de lui faire connaître si la propagande des autorités ottomanes en vue d'encourager les algériens à émigrer en Syrie continue à s'exercer et de lui fournir, en même temps, les indications sur le nombre des émigrés algériens et sur la situation qui leur est faite à Damas.

Pour répondre à ce désir et compléter les informations contenues dans ma dépêche du 22 Juin dernier, N° 11, j'ai l'honneur d'adresser, ci-joint, à V. Exc. en la priant de la transmettre à M. Jonnart, une liste des localités syriennes où se trouvent groupés les dissidents algériens. D'après les renseignements que s'est procuré l'émir Omar, fils d'Abd-el-Kader, le nombre des émigrés s'élèverait actuellement à plus de 18.000 et, chaque jour, il en arriverait de nouveaux à Damas par groupes de 15 à 20 personnes. Je n'ai donc pas lieu de croire que le vilayet ait reçu, depuis le rétablissement de la constitution, des instructions modifiant les ordres du Sultan déchu dont le but était de favoriser l'émigration

[1] المصدر:

A.N.T, Série (A), C276 (BIS), Dossier 1/3.

الملحق الأول، رقم 06: نموذج عن طلب الأهالي لجوازات سفر باتجاه سوريا بتاريخ 02 أوت 1897.[1]

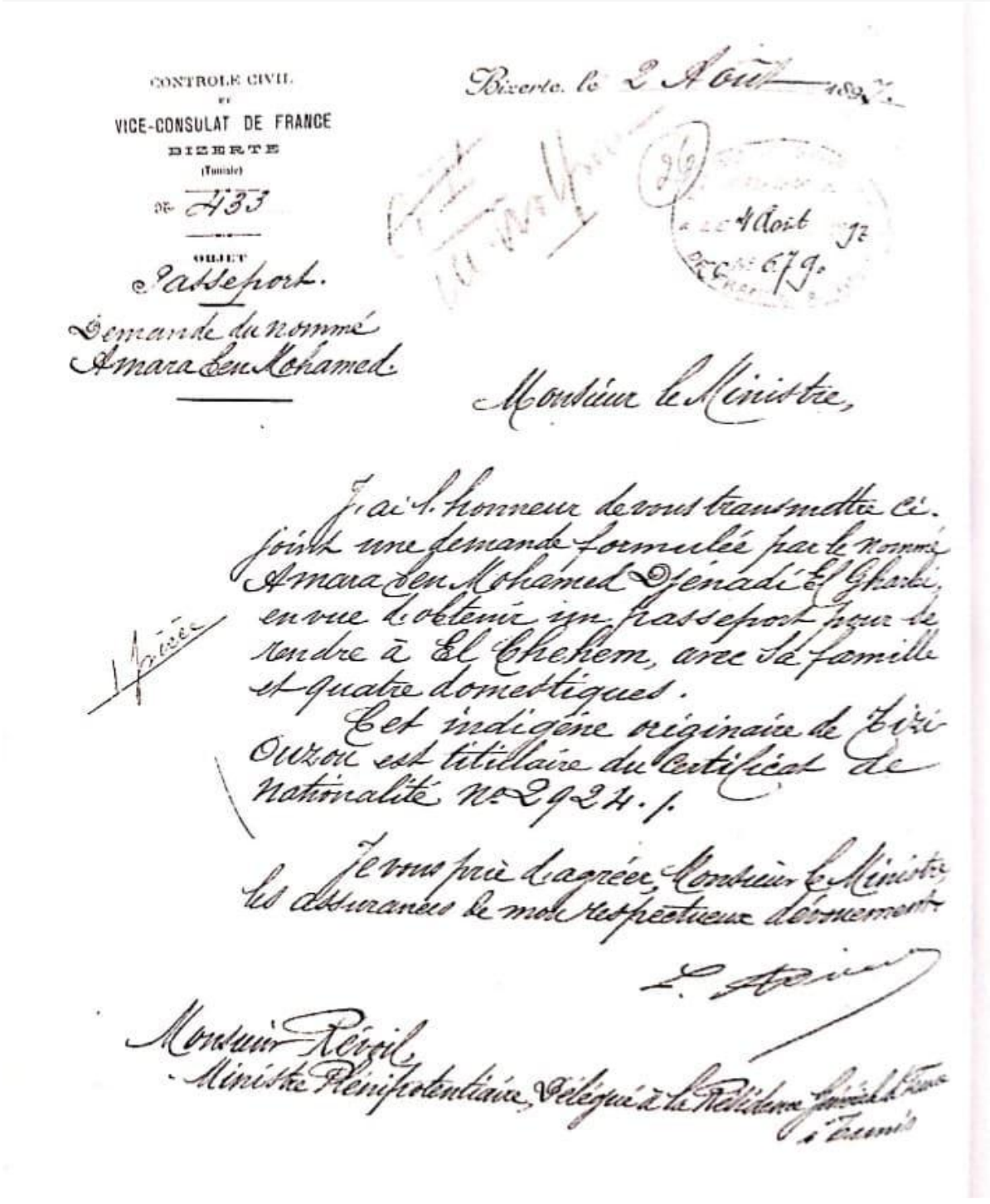

CONTROLE CIVIL
ET
VICE-CONSULAT DE FRANCE
BIZERTE
(Tunisie)
N° 433

OBJET
Passeport.

Demande du nommé
Amara ben Mohamed

Bizerte, le 2 Août 1897.

4 Août

Monsieur le Ministre,

J'ai l'honneur de vous transmettre ci-joint une demande formulée par le nommé Amara ben Mohamed Djenadi El Ghaibi, en vue d'obtenir un passeport pour se rendre à El Cherhem, avec sa famille et quatre domestiques.

Cet indigène originaire de Zizi Ouzou est titulaire du certificat de nationalité N° 2924.

Je vous prie d'agréer, Monsieur le Ministre, les assurances de mon respectueux dévouement.

Monsieur Révoil,
Ministre Plénipotentiaire, Délégué à la Résidence générale de France
à Tunis

[1] المصدر:

A.N.T, Série (A), C276, Dossier 13/1, N°P 324.

الملحق الأول، رقم 07: قائمة لبعض مؤلفات المكي بن عزوز بخط يده[1].

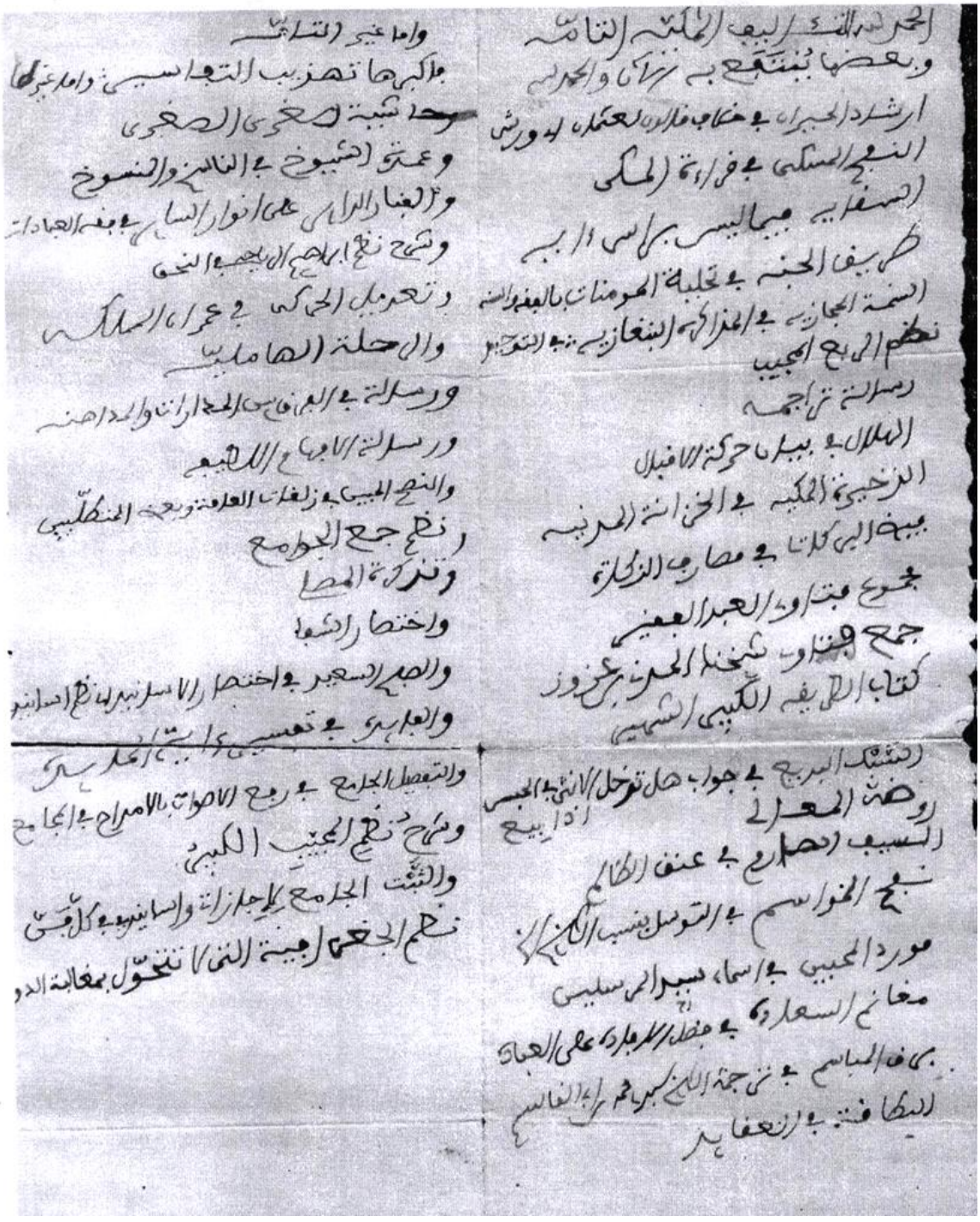

[1] **المصدر:** محمد بن عزوز، المكي، **التآليف المكية**، ورقة مخطوطة دون رقم، زاوية الهامل، بوسعادة.

الملحق الأول، رقم 08: رسالة من المدعو محمد بن عبد الله بن صالح الطرابلسي للكاتب العام للحكومة العامة عن قصيدة تحريضية من توفيق المدني[1].

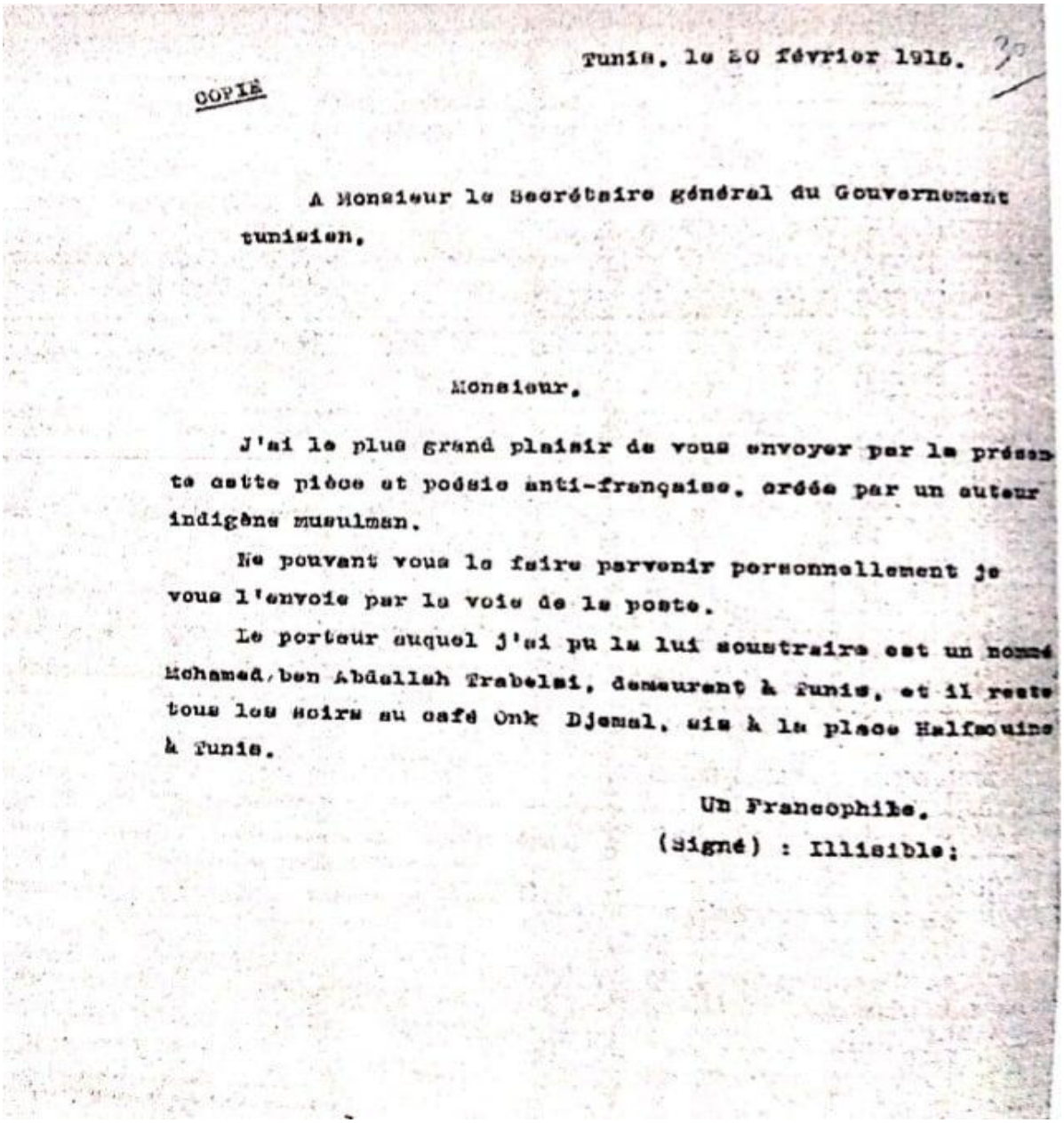

Tunis, le 20 février 1915.

COPIE

A Monsieur le Secrétaire général du Gouvernement tunisien,

Monsieur,

J'ai le plus grand plaisir de vous envoyer par la présente cette pièce et poésie anti-française, créée par un auteur indigène musulman.

Ne pouvant vous la faire parvenir personnellement je vous l'envoie par la voie de la poste.

Le porteur auquel j'ai pu la lui soustraire est un nommé Mohamed ben Abdallah Trabelsi, demeurant à Tunis, et il reste tous les soirs au café Ouk Djemal, sis à la place Halfaouine à Tunis.

Un Francophile,
(Signé) : Illisible.

[1] المصدر:

A.N.T, Série (E), C550, Dossier 30/15, Doc 26, (20 Février 1915).

الملحق الأول، رقم 09: تقرير فرنسي حول نشاط المدني في تونس سنة 1915[1].

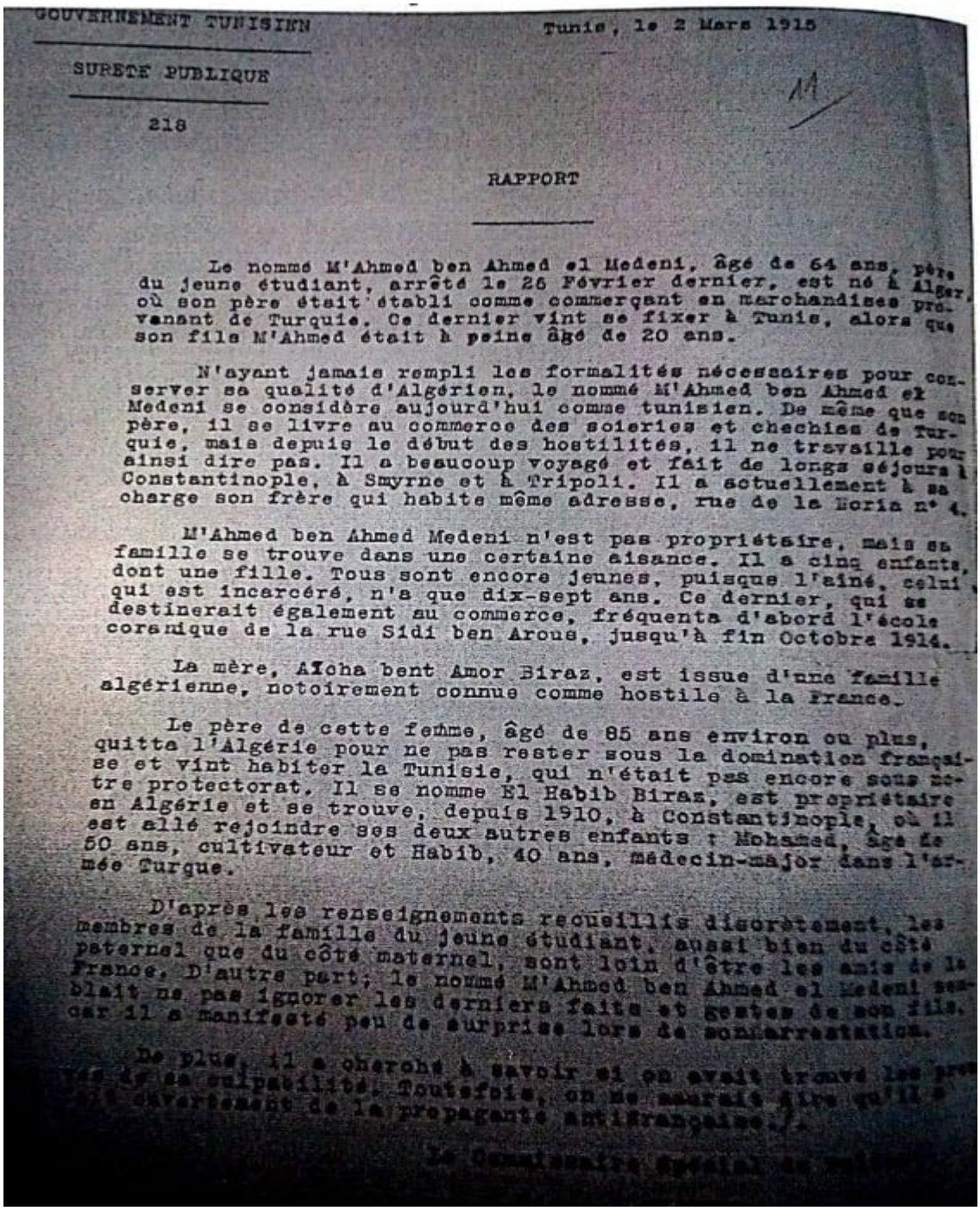

GOUVERNEMENT TUNISIEN

SURETE PUBLIQUE

218

Tunis, le 2 Mars 1915

11

RAPPORT

Le nommé M'Ahmed ben Ahmed el Medeni, âgé de 64 ans, père du jeune étudiant, arrêté le 26 Février dernier, est né à Alger, où son père était établi comme commerçant en marchandises provenant de Turquie. Ce dernier vint se fixer à Tunis, alors que son fils M'Ahmed était à peine âgé de 20 ans.

N'ayant jamais rempli les formalités nécessaires pour conserver sa qualité d'Algérien, le nommé M'Ahmed ben Ahmed el Medeni se considère aujourd'hui comme tunisien. De même que son père, il se livre au commerce des soieries et chechias de Turquie, mais depuis le début des hostilités, il ne travaille pour ainsi dire pas. Il a beaucoup voyagé et fait de longs séjours à Constantinople, à Smyrne et à Tripoli. Il a actuellement à sa charge son frère qui habite même adresse, rue de la Horia n° 4.

M'Ahmed ben Ahmed Medeni n'est pas propriétaire, mais sa famille se trouve dans une certaine aisance. Il a cinq enfants, dont une fille. Tous sont encore jeunes, puisque l'aîné, celui qui est incarcéré, n'a que dix-sept ans. Ce dernier, qui se destinerait également au commerce, fréquenta d'abord l'école coranique de la rue Sidi ben Arous, jusqu'à fin Octobre 1914.

La mère, Aïcha bent Amor Biraz, est issue d'une famille algérienne, notoirement connue comme hostile à la France.

Le père de cette femme, âgé de 85 ans environ ou plus, quitta l'Algérie pour ne pas rester sous la domination française et vint habiter la Tunisie, qui n'était pas encore sous notre protectorat. Il se nomme El Habib Biraz, est propriétaire en Algérie et se trouve, depuis 1910, à Constantinople, où il est allé rejoindre ses deux autres enfants : Mohamed, âgé de 50 ans, cultivateur et Habib, 40 ans, médecin-major dans l'armée Turque.

D'après les renseignements recueillis discrètement, les membres de la famille du jeune étudiant, aussi bien du côté paternel que du côté maternel, sont loin d'être les amis de la France. D'autre part, le nommé M'Ahmed ben Ahmed el Medeni semblait ne pas ignorer les derniers faits et gestes de son fils, car il a manifesté peu de surprise lors de son arrestation.

De plus, il a cherché à savoir si on avait trouvé les preuves de sa culpabilité. Toutefois, on ne saurait dire qu'il a été [illegible] de la propagande antifrançaise./.

Le Commissaire spécial de police

[illegible]

[1] المصدر:

Ahmed Mohamed Elmadani 1914-1925, In : **A.N.T**, (E), Carton, 550, 30/15, DN°5.

الملحق الأول، رقم 10: طلب بعض الأهالي العودة إلى الجزائر 17 جويلية 1910[1].

MINISTÈRE
DES
AFFAIRES ÈTRANGÈRES

DIRECTION
DES
AFFAIRES POLITIQUES
ET
COMMERCIALES

COPIE

TRADUCTION.

Le 10 Redjeb 1328 - le 17 juillet 1910.

Monsieur le Consul,

Nous vous présentons nos salutations et portons à votre connaissance notre réclamation espérant que vous voudrez bien lui donner la suite qu'elle comporte, attendu que nous sommes pauvres et que, de ce fait, nous n'avons pas les moyens de retourner en Algérie.

C'est pourquoi, nous vous prions de vouloir bien nous faire rentrer en Algérie en nous excusant auprès du gouvernement français, attendu qu'en arrivant à Damas nous nous sommes aperçus que nous avions été trompés par certains de nos compatriotes.

A notre retour en Algérie, nous ne manquerons pas de soumettre le cas à nos compatriotes en les engageant à être plus sages et en les mettant au courant de ce qui se passe à Damas, afin que nul d'entre eux ne soit tenté d'y venir.-Nous sommes vos serviteurs. - Tous les Algériens qui se trouvent à Damas regrettent vivement d'avoir abandonné la France et beaucoup d'entre eux désirent retour-

[1] المصدر:

A.N.T, **Série** (**A**), **C276**, **Dossier NP 342**.

ner en Algérie, car rien ne vaut notre pays, ni Damas, ni une autre contrée.

Si le gouvernement français est bien renseigné, il ne nous délaissera pas, car nous sommes ses enfants et ses serviteurs. -C'est tout ce que nous devons vous dire et nous vous laissons juge de notre situation.

Nous demandons, en outre, à être exemptés de l'impôt sur la circoncision, du service militaire, du vaccin et à être naturalisés français./.

Salutations finales.

Tous les soussignés relèvent de la commune de Settif (département de Constantine.

Signatures :

Lakhdar ben Elmadani.....1
Saïd ben Elmadani et sa famille..... 3
Elhamdi ben Zarrouk et sa famille... 3
Aïssa ben Zarrouk et sa famille.... .. 2
Ahmed ben Mahlouf..... 1
Mohammed ben Elmechri..... 1
Ahmed ben Elmessoud et sa famille... 2
Ahsen ben Abdallah..... 1
Lakhdar ben Saou..... 1
Salah ben Ahmed..... 1 ./.

الملحق الأول، رقم 11: نسخة مصورة من ورقة لأحد التقارير الفرنسية عن نشاط المكي بن عزوز وتأسيسه جمعية الشرفاء بالمدينة المنورة[1].

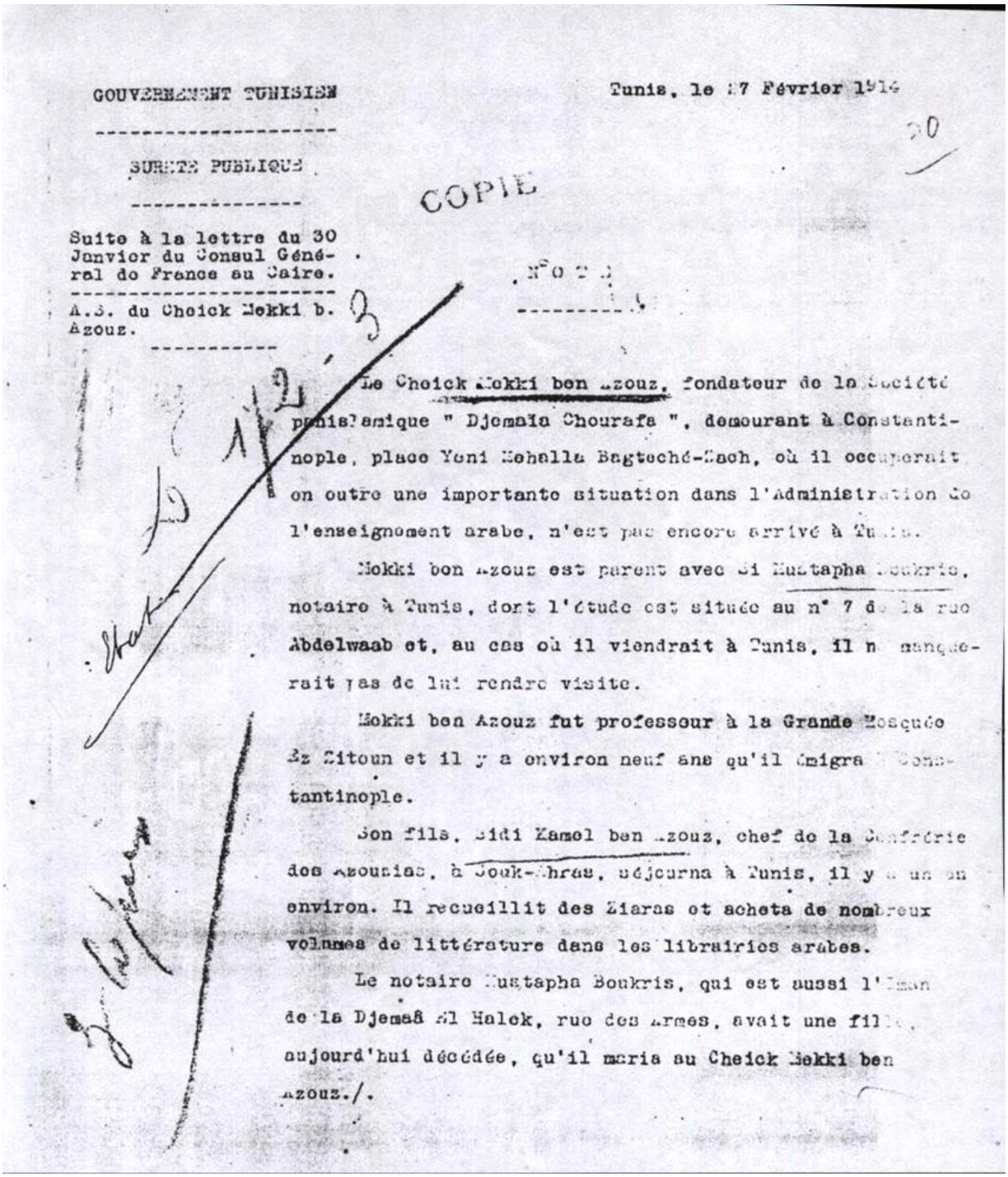

GOUVERNEMENT TUNISIEN

SURETE PUBLIQUE

Tunis, le 17 Février 1914

COPIE

Suite à la lettre du 30 Janvier du Consul Général de France au Caire.

A.S. du Cheick Mekki b. Azouz.

Le Cheick Mekki ben Azouz, fondateur de la Société panislamique " Djemaïa Chourafa ", demeurant à Constantinople, place Yeni Mehalla Bagtché-Kach, où il occuperait en outre une importante situation dans l'Administration de l'enseignement arabe, n'est pas encore arrivé à Tunis.

Mekki ben Azouz est parent avec Si Mustapha Boukris, notaire à Tunis, dont l'étude est située au n° 7 de la rue Abdelwaab et, au cas où il viendrait à Tunis, il ne manquerait pas de lui rendre visite.

Mekki ben Azouz fut professeur à la Grande Mosquée Ez Zitoun et il y a environ neuf ans qu'il émigra à Constantinople.

Son fils, Sidi Kamel ben Azouz, chef de la Confrérie des Azouzias, à Souk-Ghraa, séjourna à Tunis, il y a un an environ. Il recueillit des Ziaras et acheta de nombreux volumes de littérature dans les librairies arabes.

Le notaire Mustapha Boukris, qui est aussi l'Iman de la Djemaâ El Halek, rue des Armes, avait une fille, aujourd'hui décédée, qu'il maria au Cheick Mekki ben Azouz./.

[1] **الأرشيف الوطني التونسي**، الصندوق رقم: 550، الملف: 30/23، الوثيقة: 06، (عن نشاط محمد المكي بن عزوز في إطار الجامعة الإسلامية، بتاريخ: 1913 /11/16.

الملحق الأول، رقم 12: إجازة المكي بن عزوز إلى محمد الجنيد بن الحسين بخط يده[1].

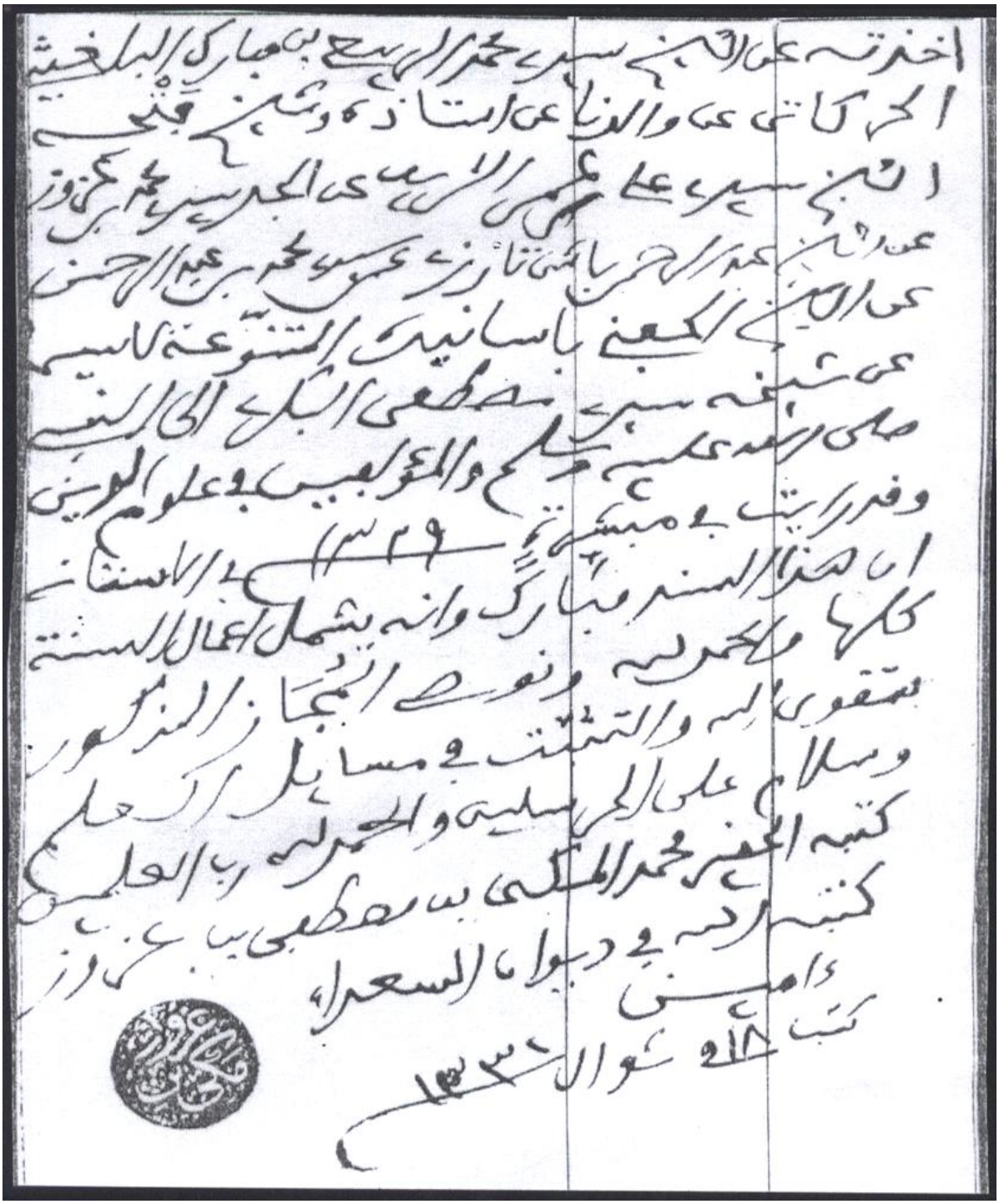

[1] نقلا عن: **علي الرضا الحسيني، المكي بن عزوز حياته وآثاره**، الدار الحسينية للكتاب، سوريا، 2002، ص06.

الملحق الأول، رقم 13: تقرير السلطات العثمانية حول إسكان الجزائريين القادمين إلى دمشق في عجلون وتقديم المساعدات المادية للشيخ " أحمد بن سالم " ووجهائهم والقائمين بالزراعة[1].

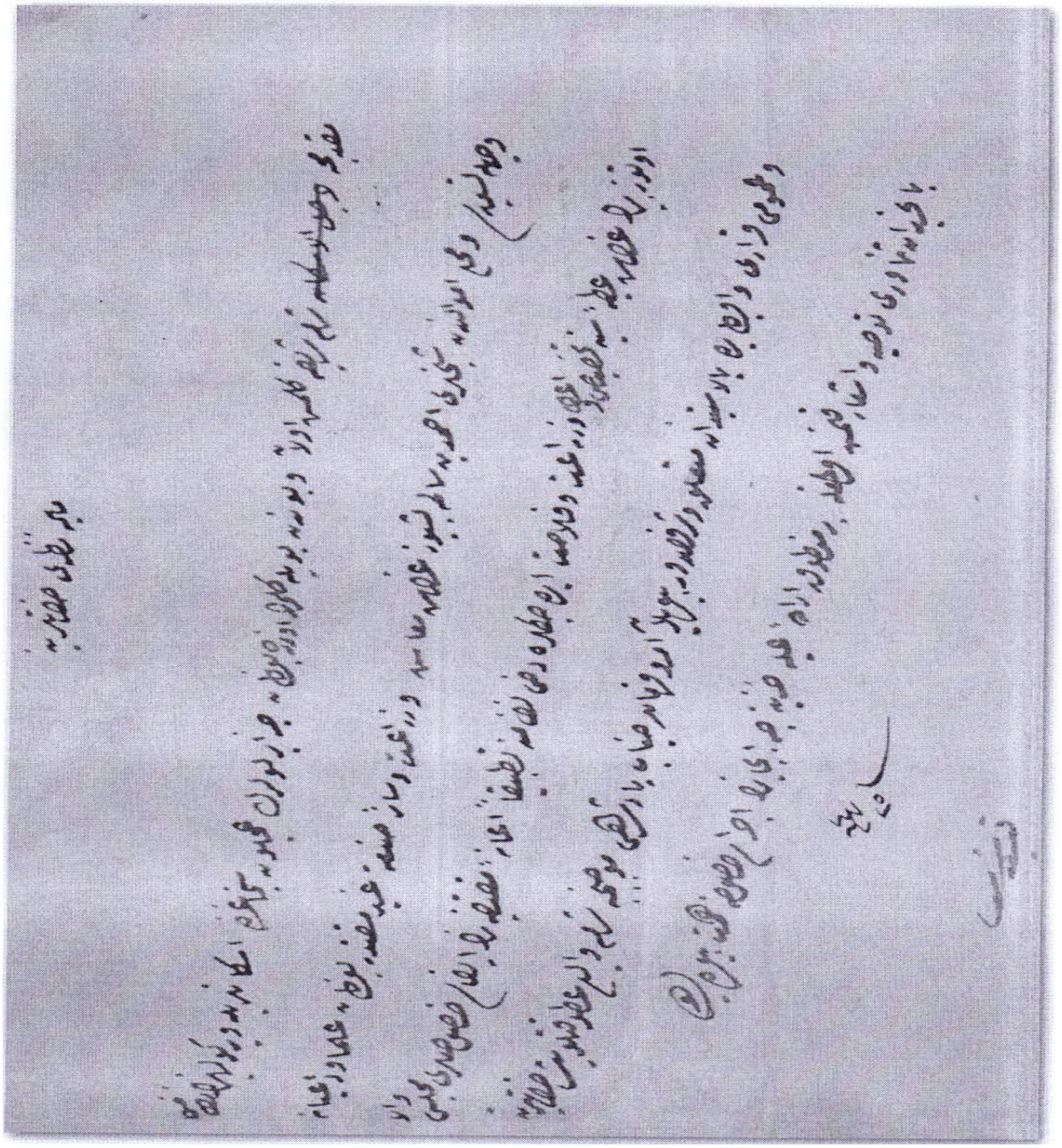

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: A.MKT.MVL, 8/47 مسجلة بتاريخ 31 مارس 1848.

الملحق الأول، رقم 14: الموافقة على طلب المهاجرين الجزائريين في دمشق لإسكانهم في المنطقة المسماة القصرية بلواء عكا، وإعفائهم من الضرائب والخدمة العسكرية[1].

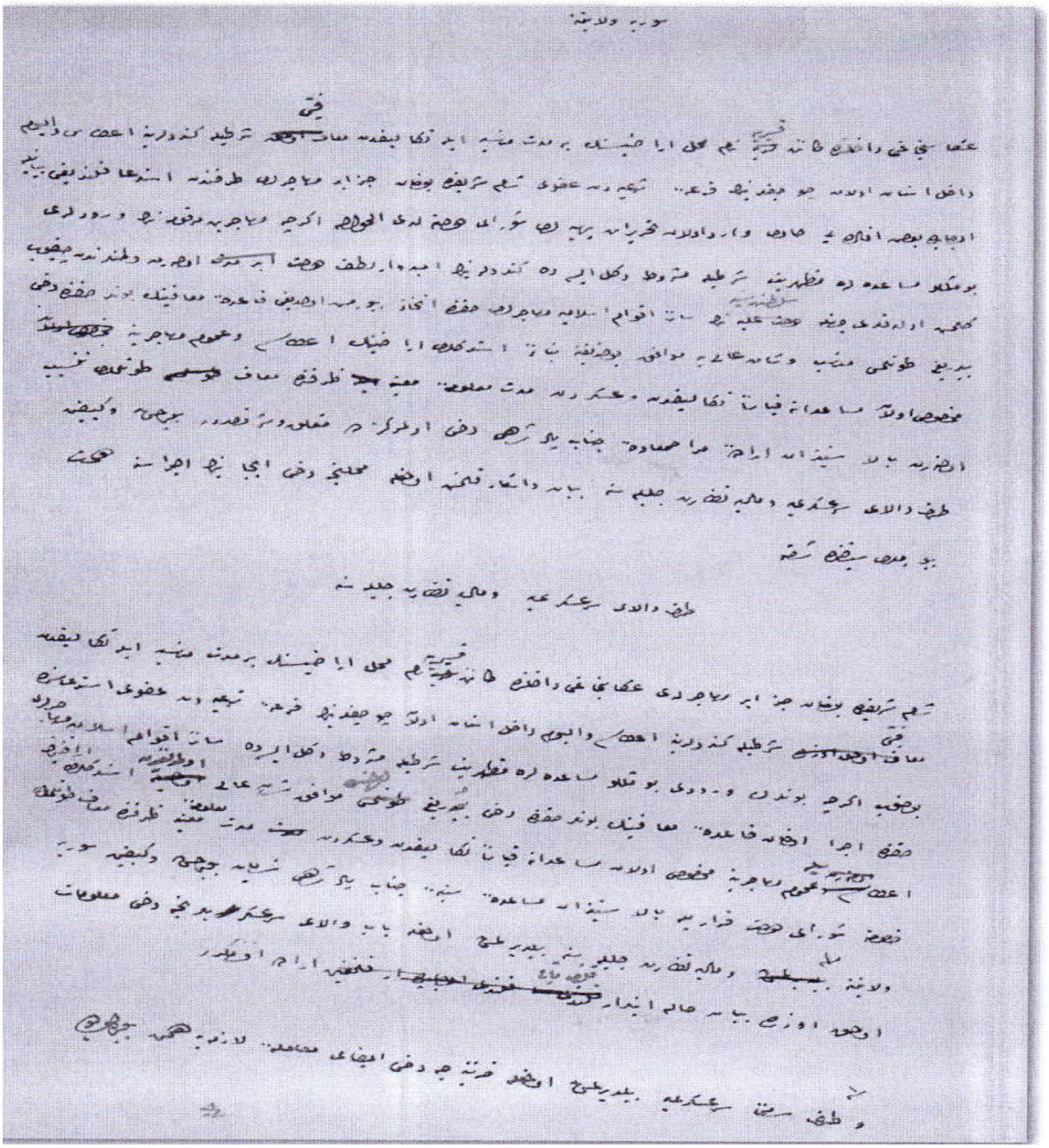

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: A.MKT.MVL, 8/47 مسجلة بتاريخ 05 أوت 1868.

الملحق الأول، رقم 15: تخصيص قطعة أرض للحاج عبد الرحمن، وهو من مهاجري الجزائر، وذلك أسوة بالمهاجرين الآخرين في عكا[1].

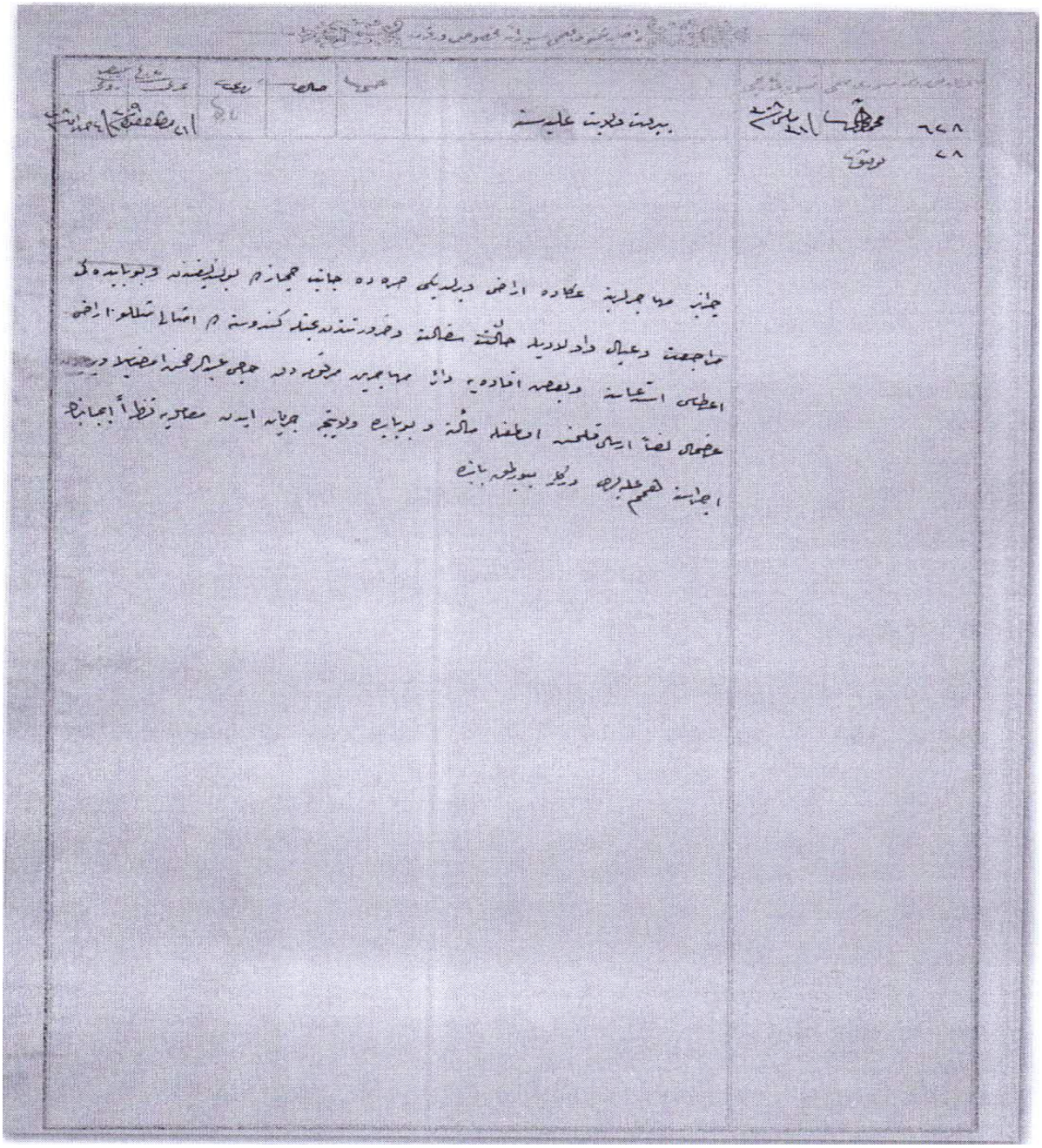

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: DH.MKT, 1963/1 مسجلة بتاريخ 12جوان 1892.

الملحق الأول، رقم 16: تقرير حول إسكان 150 من مهاجري الجزائر الذين قدموا إلى بيروت لأجل الإسكان وذلك في قضاء طبرية بلواء عكا ومنحهم الجنسية العثمانية[1].

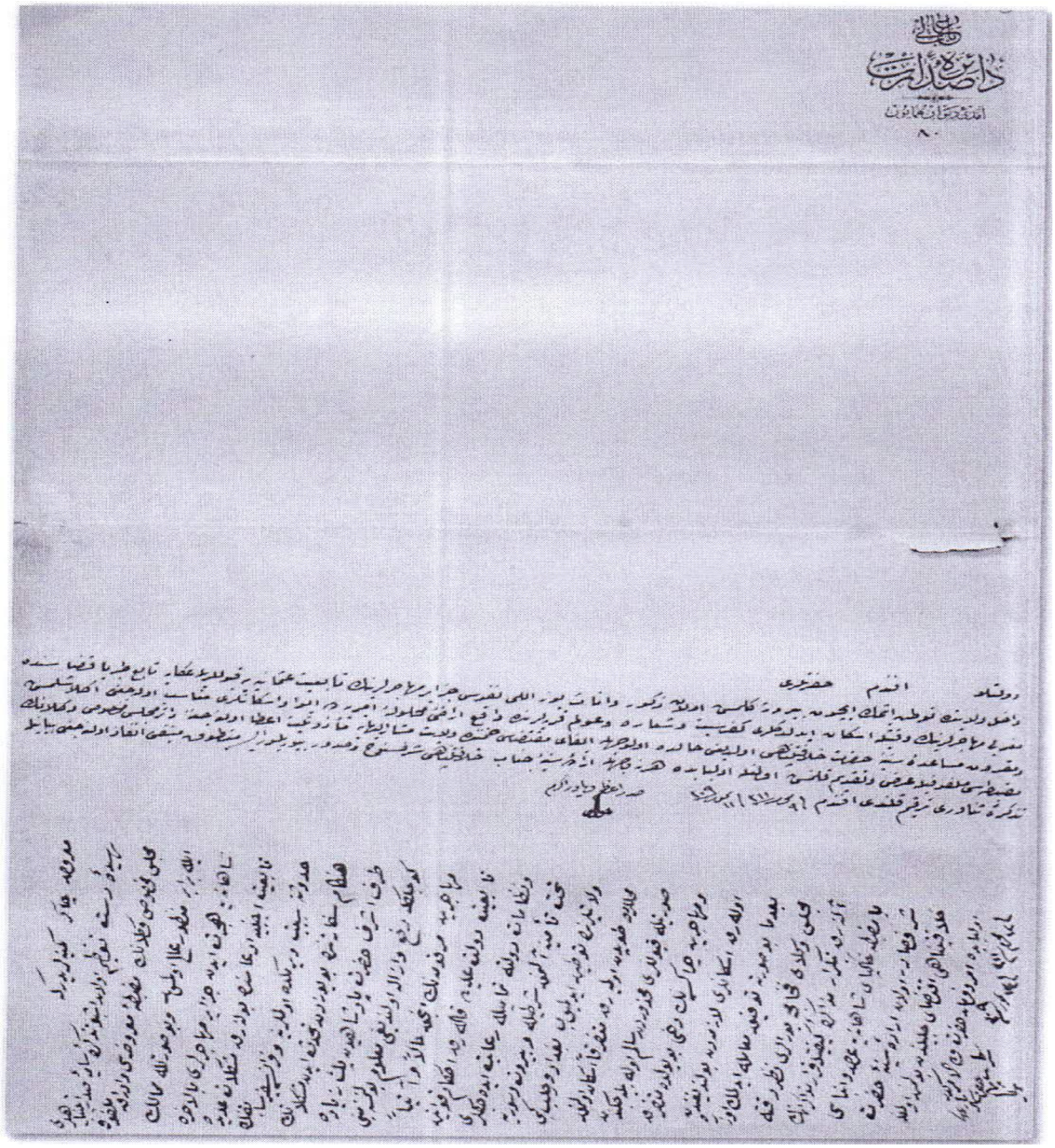

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: I. DH, 1311 M./47. مسجلة بتاريخ 23 جويلية 1893.

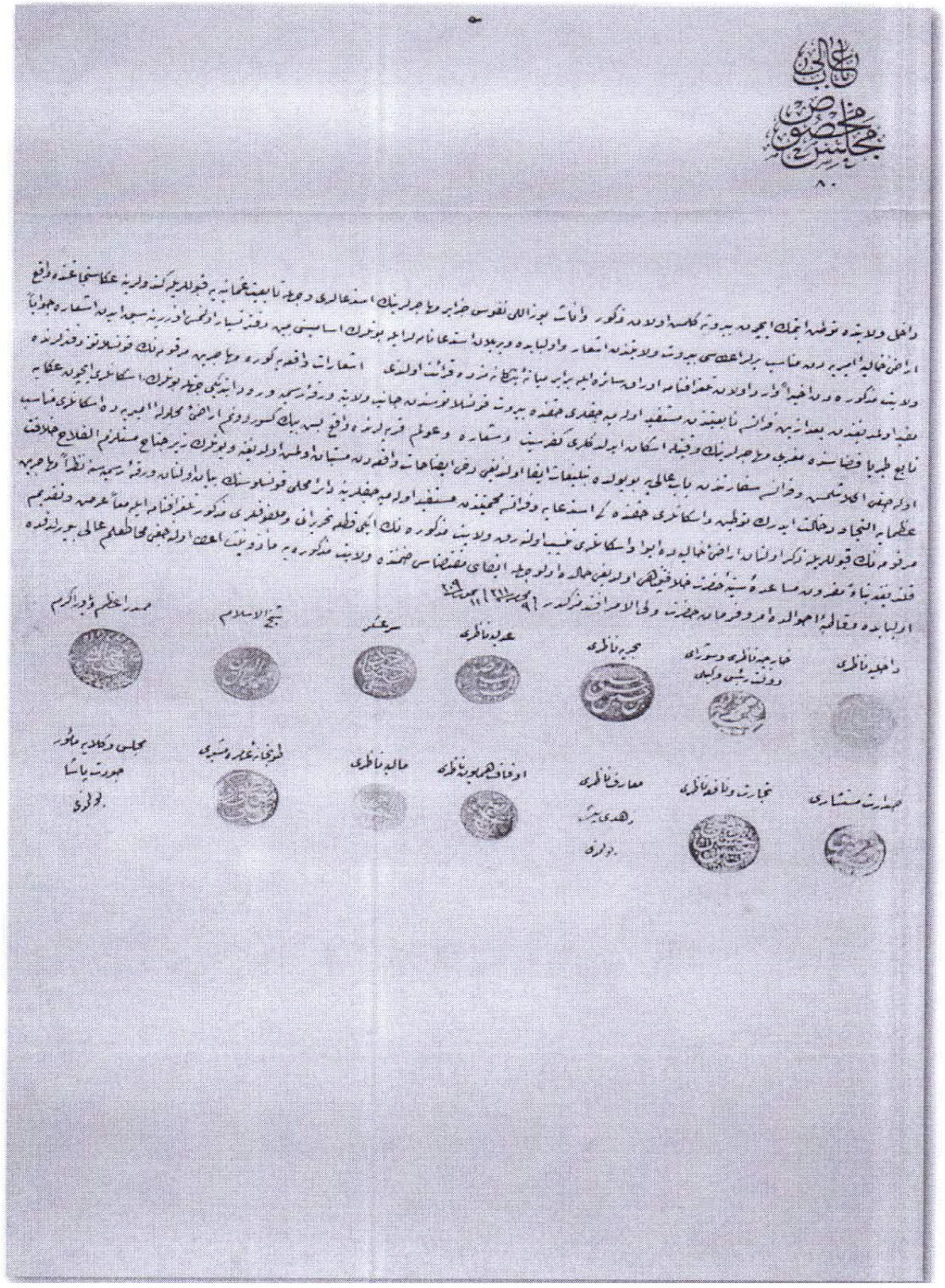

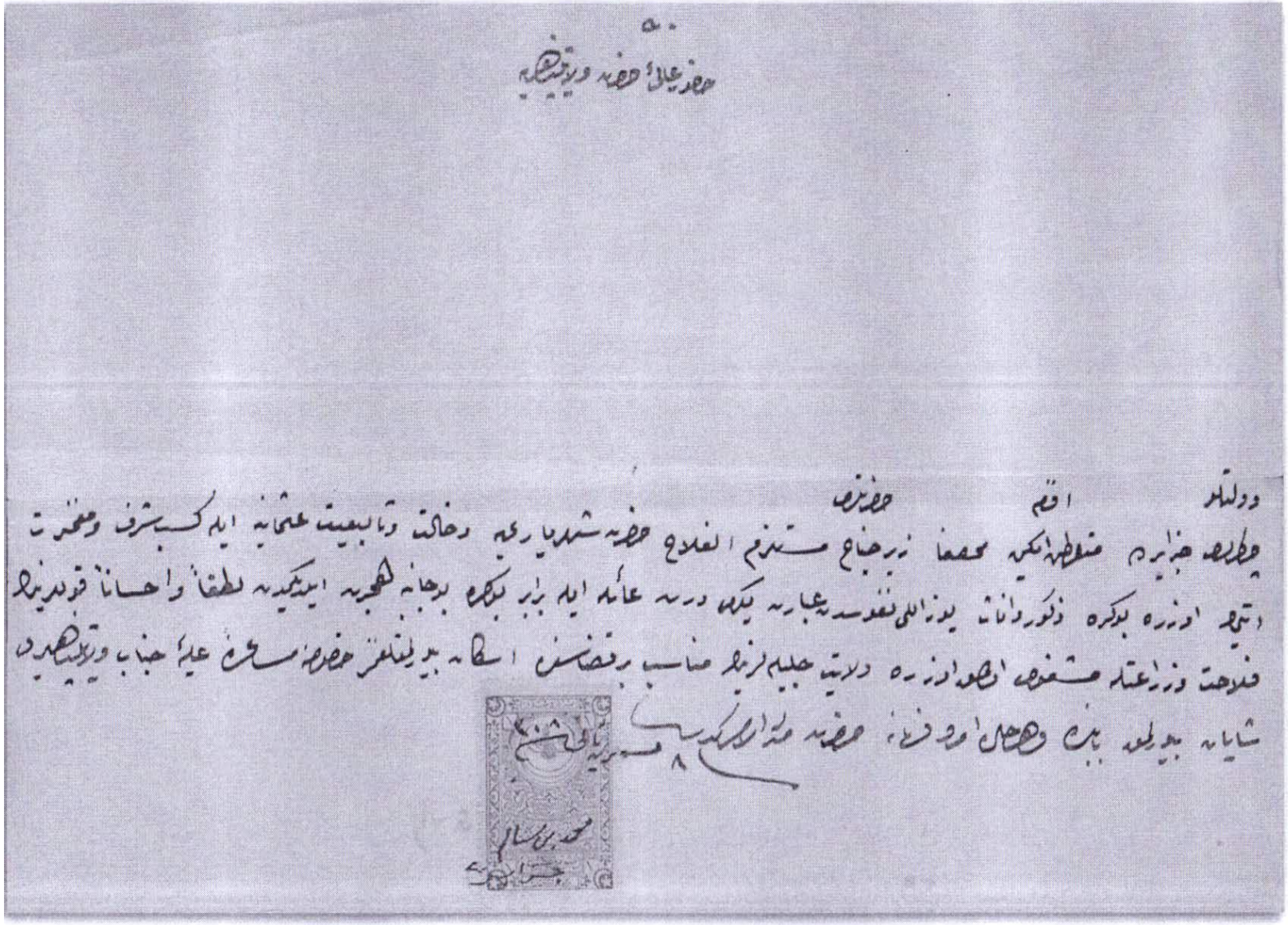

حضرت علی حضرت ویتیشکه

ودلتلو اقم حضرتی

وطرف جنابرم مشارالیه محمد زرجناح مستدعی الفدوح حضرت شهریاریه رخاکت وتابعیت عثمانیه ایله کسب شرف ومحفوظیت
ایتمش اولدیغم بذکره ذکور دانات یدی اللی نفوسه عیاله یکدی درسه عائله ایله برابر بوکره برجانه لجهیه ایدیکدیه لطفاً واحساناً قویدیغنه
فدوحت وزاعتله مستعفی اولمغله اولدیغم جهتله جلیم زرنیخ جانب رفیعلرینه عریضه یازوب تقدیم حضرت مشارالیه جناب ویتیشکه
شایانه بویله بیان وعرض اولندقده حضرت مشارالیه سیه

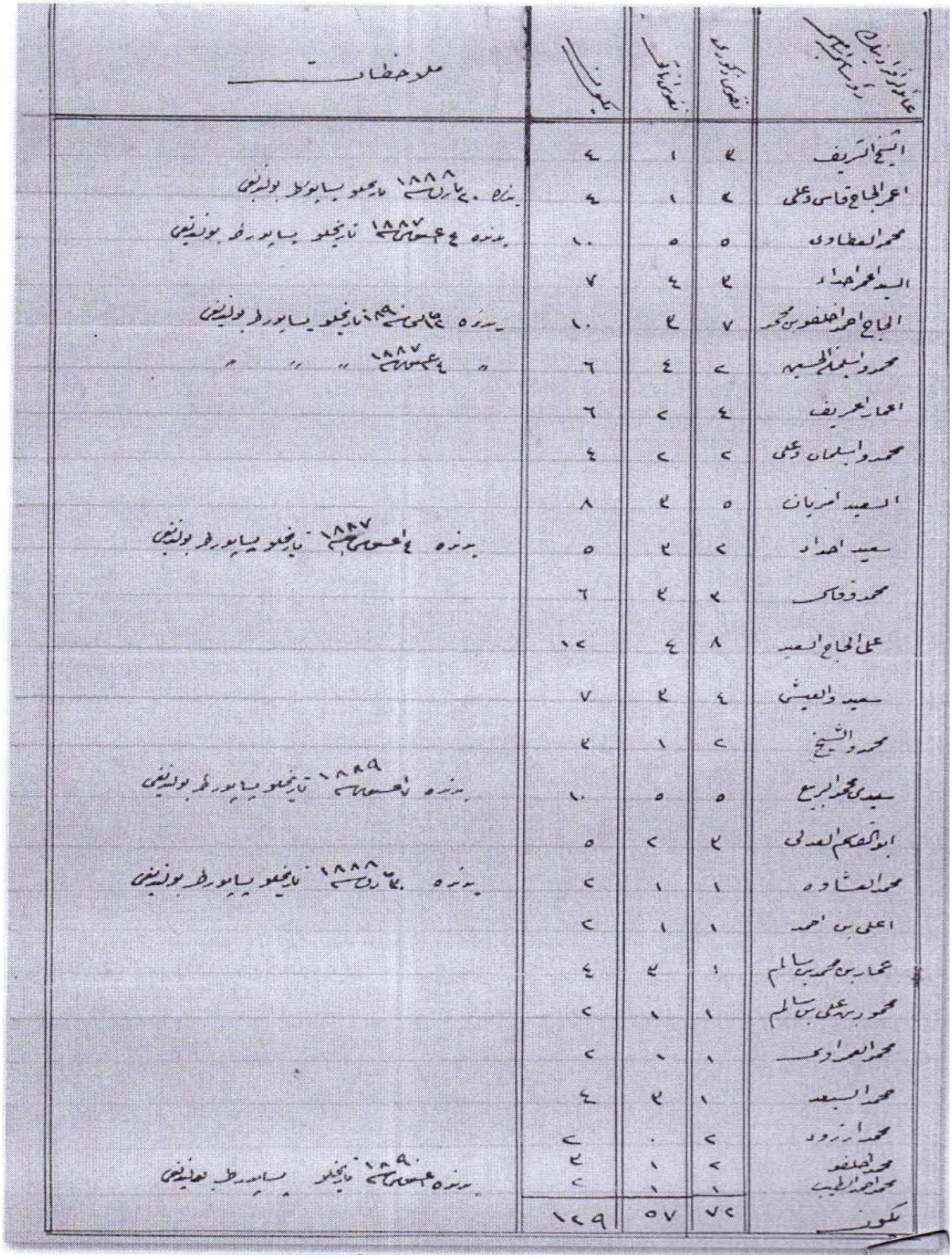

عائلة أو فرد بلدك	نفوس ذكور	نفوس إناث	تكليف	ملاحظات
الشيخ الشريف	٤	١	٤	
اعمر الحاج قاسم وعلي	٤	١	٤	بدله ٢٠ مارس ١٨٨٨ تاريخيو بيابوط بولنيف
محمد المطاوي	٥	٥	١٠	بدله ٤ اغسطس ١٨٨٧ تاريخيو بيابوط بولنيف
السيد اعمر احداد	٤	٤	٧	
الحاج احمد اخليفو بن محمد	٧	٤	١٠	بدله ٥ مايو ١٨٨٩ تاريخيو بيابوط بولنيف
محمد واسماعيل الحسيه	٧	٤	٦	" ٤ اغسطس ١٨٨٧ " " "
احمد العريف	٤	٢	٦	
محمد واسليمان وعلي	٧	٢	٤	
السعيد امريان	٥	٤	٨	
سعيد احداد	٧	٤	٥	بدله ٤ اغسطس ١٨٨٧ تاريخيو بيابوط بولنيف
محمد وفاكس	٤	٤	٦	
علي الحاج اسعيد	٨	٤	١٢	
سعيد والعيش	٤	٤	٧	
محمد والشيخ	٧	١	٤	
سعيدي محمد البرع	٥	٥	١٠	بدله ١٨٨٩ تاريخيو بيابوط بولنيف
ابو القاسم العدلي	٤	٧	٥	
محمد العشاده	١	١	٧	بدله ٢٤ مارس ١٨٨٨ تاريخيو بيابوط بولنيف
اعلي بن احمد	١	١	٧	
عمار بن محمد بن سالم	١	٤	٤	
محمد وعلي بن سالم	١	١	٧	
محمد العداوه	١	١	٧	
محمد السعد	١	٤	٤	
محمد ازود	٧	٠	٧	
محمد اخليفو	٧	١	٤	
محمد احمد الطيب	١	١	٧	بدله ٥ اغسطس ١٨٨٩ تاريخيو بيابوط بولنيف
يكون	٧٧	٥٧	١٢٩	

الملحق الأول، رقم 17: تقرير حول انتشار الفعاليات الدعائية من أجل استقلال تونس والجزائر في القارة الإفريقية[1].

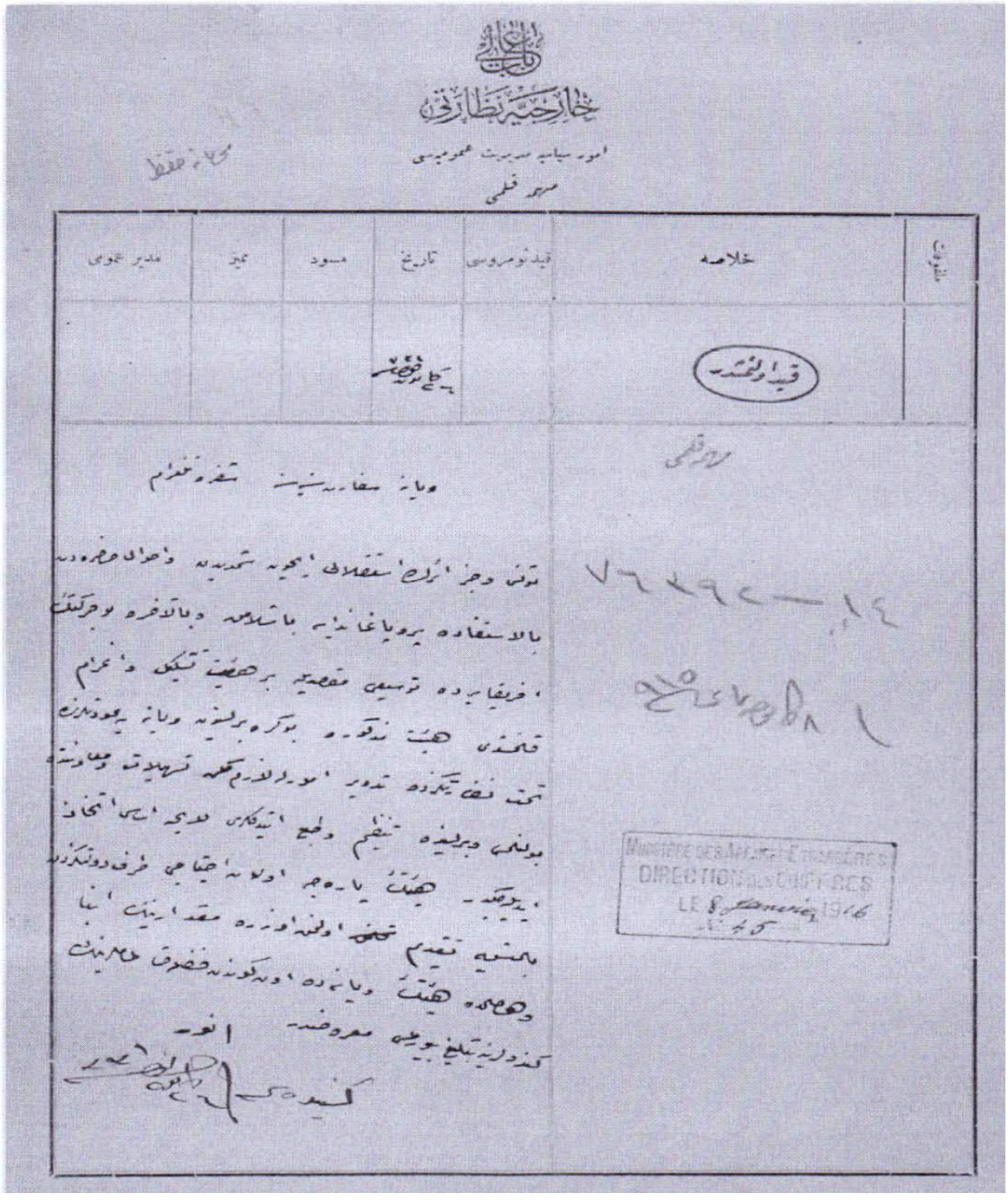

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: HR. SYS, 2392 /5. مسجلة بتاريخ 08 أكتوبر 1916.

الملحق الأول، رقم 18: تسجيل حفيدي الأمير عبد القادر محمد سعيد بك في المدرسة الملكية وعبد القادر بك في المدرسة السلطانية بدون أجر[1].

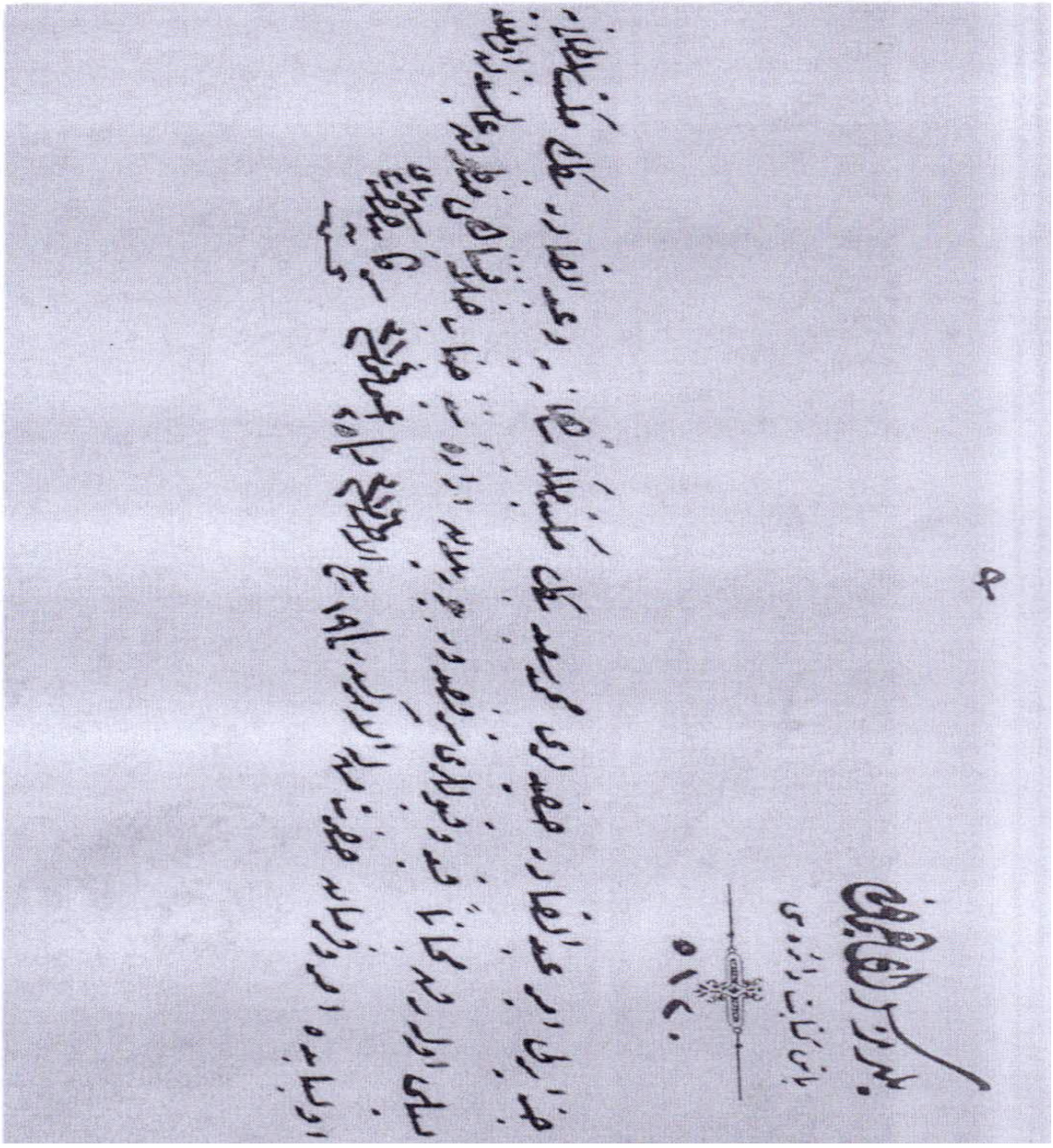

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: MF. MKT, 414/30. مسجلة بتاريخ 06 سبتمبر 1898.

.

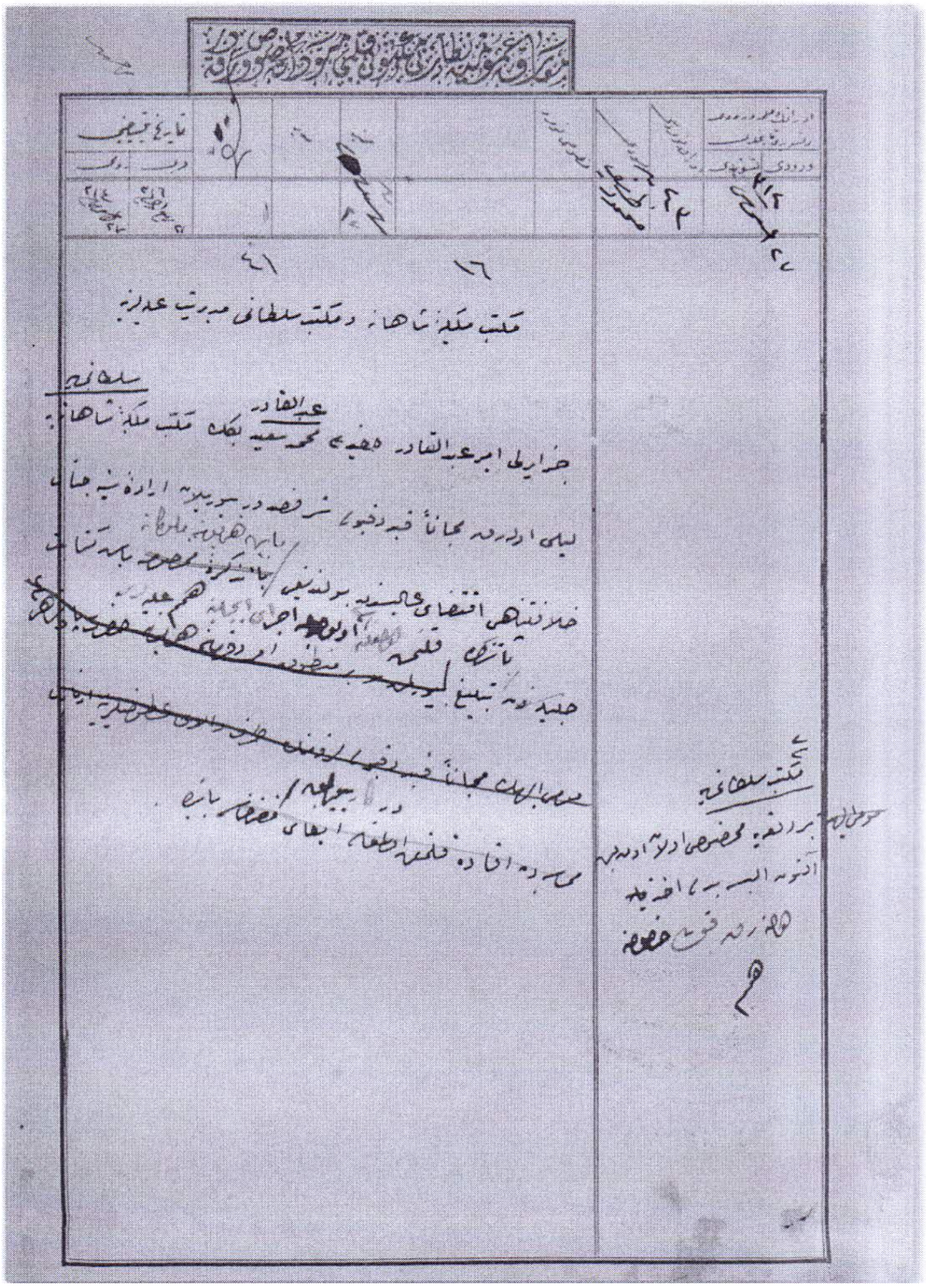

الملحق الأول، رقم 19: تكريم محمد باشا الإبن الأكبر للأمير عبد القادر بنوط المجيدي بناء على طلب ولاية سورية[1].

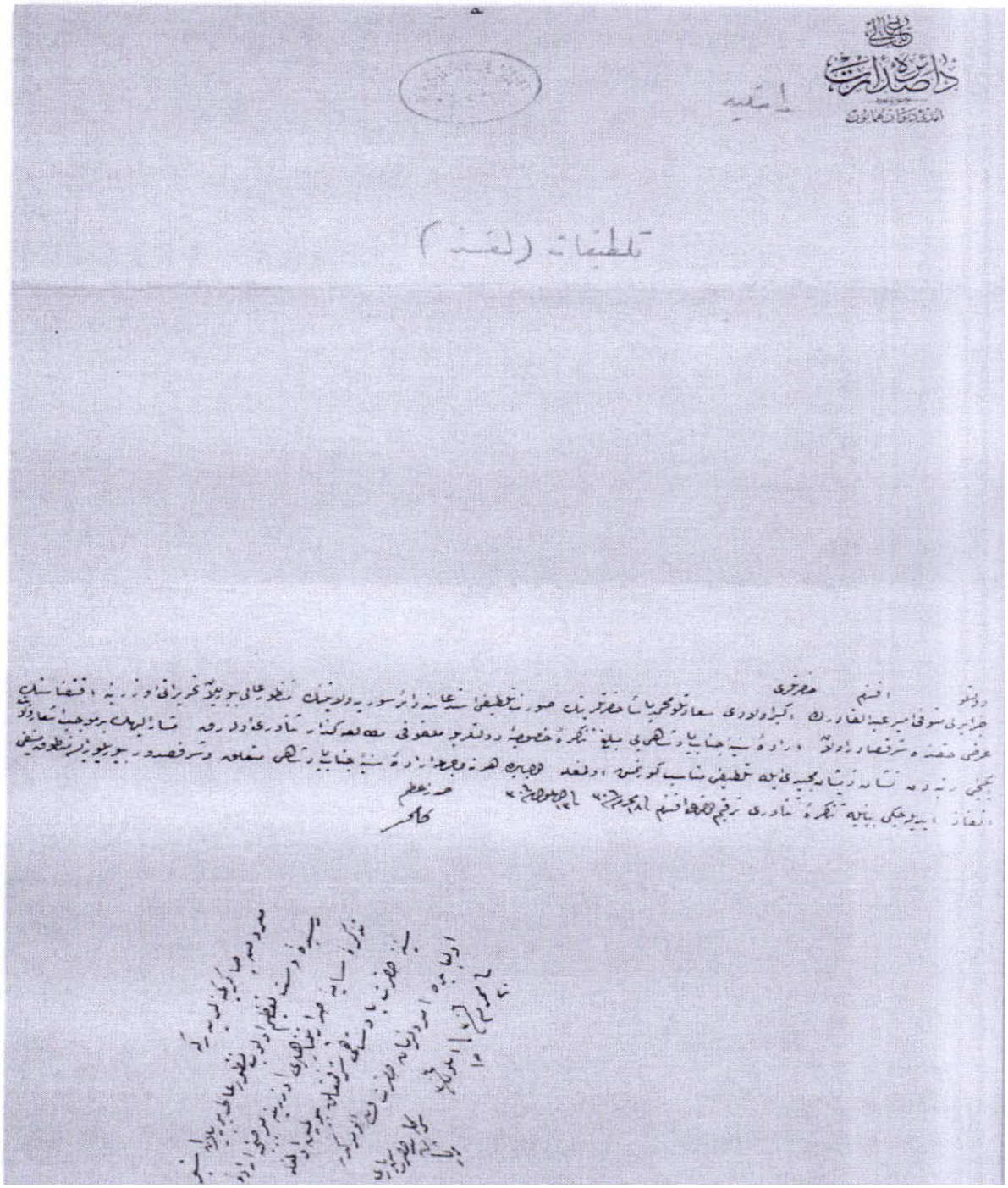

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: I. DH, 86143. مسجلة بتاريخ 26 سبتمبر 1888.

الملحق الأول، رقم 20: تأسيس جمعية المهاجرين الأفارقة في بيروت تحت إدارة خالد بك الجزائري، وذلك بهدف تقديم المساعدات إلى المهاجرين القادمين من إفريقيا ومتابعة الأمور المتعلقة بهم[1].

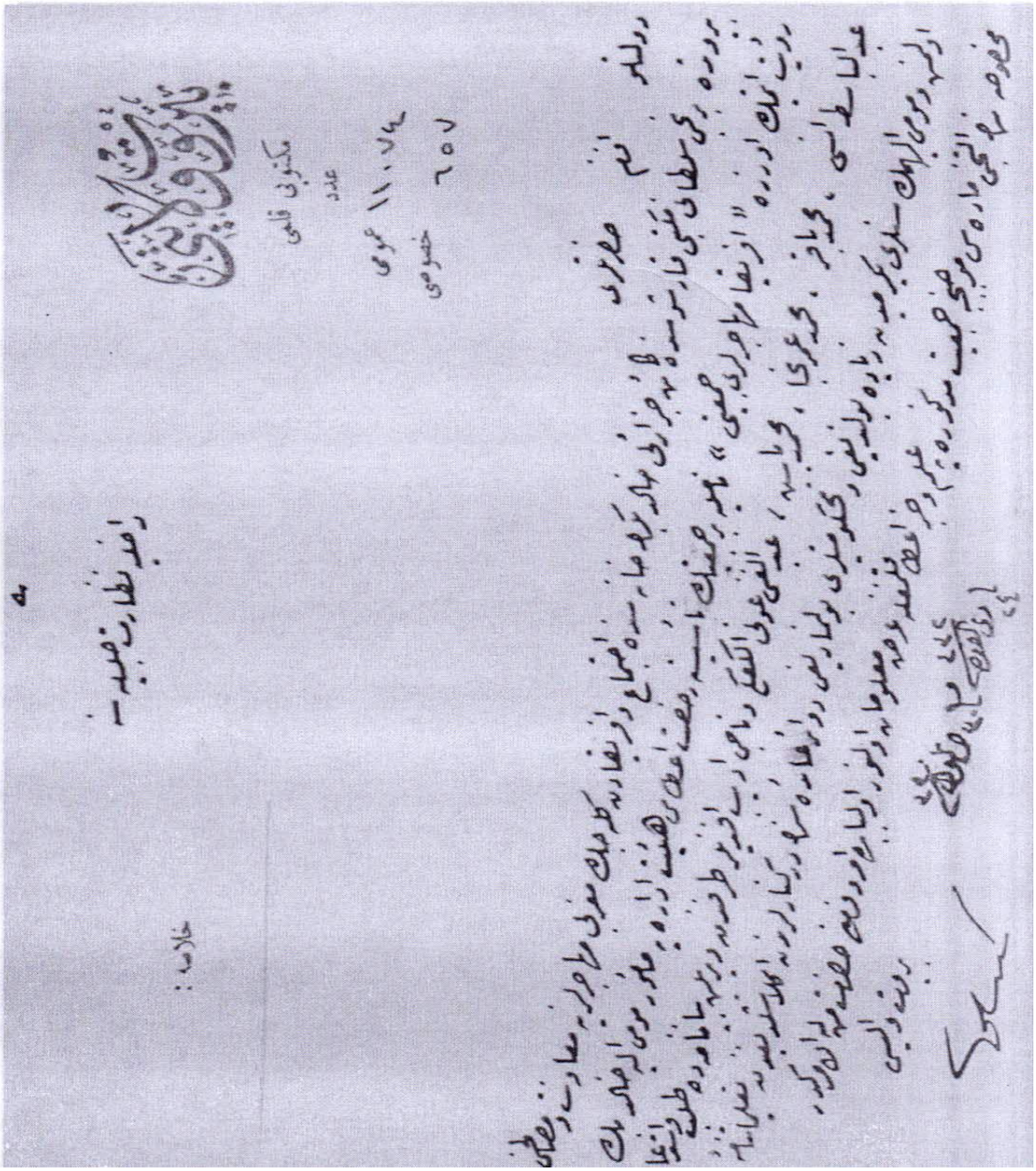

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: DH.EUM. 4.Sb, 1/9. مسجلة بتاريخ 14 أكتوبر 1914.

الملحق الأول، رقم 21: ترقية محمد نور الدين الحسيني ابن اخ الأمير عبد القادر ومنحه رتبة المولوية، وذلك لتأليفه كتاب المنطق[1].

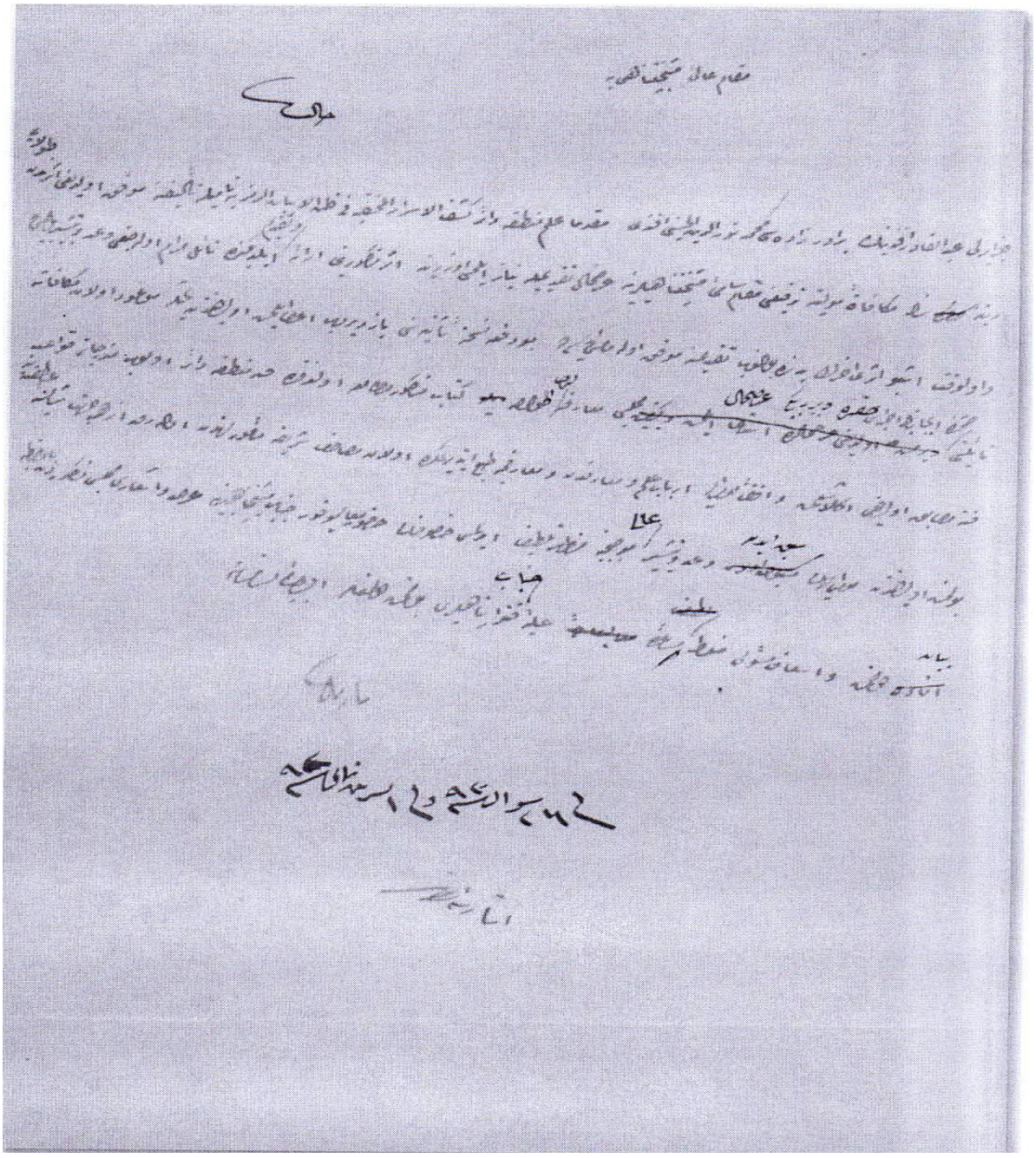

[1] **الأرشيف العثماني**، الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR)، رقم: MF. MKT, 44/ 124. مسجلة بتاريخ 14 أكتوبر 1876.

الملحق الأول، رقم 22: رسالة الأمير خالد إلى أعضاء المؤتمر العربي في باريس سنة 1913[1].

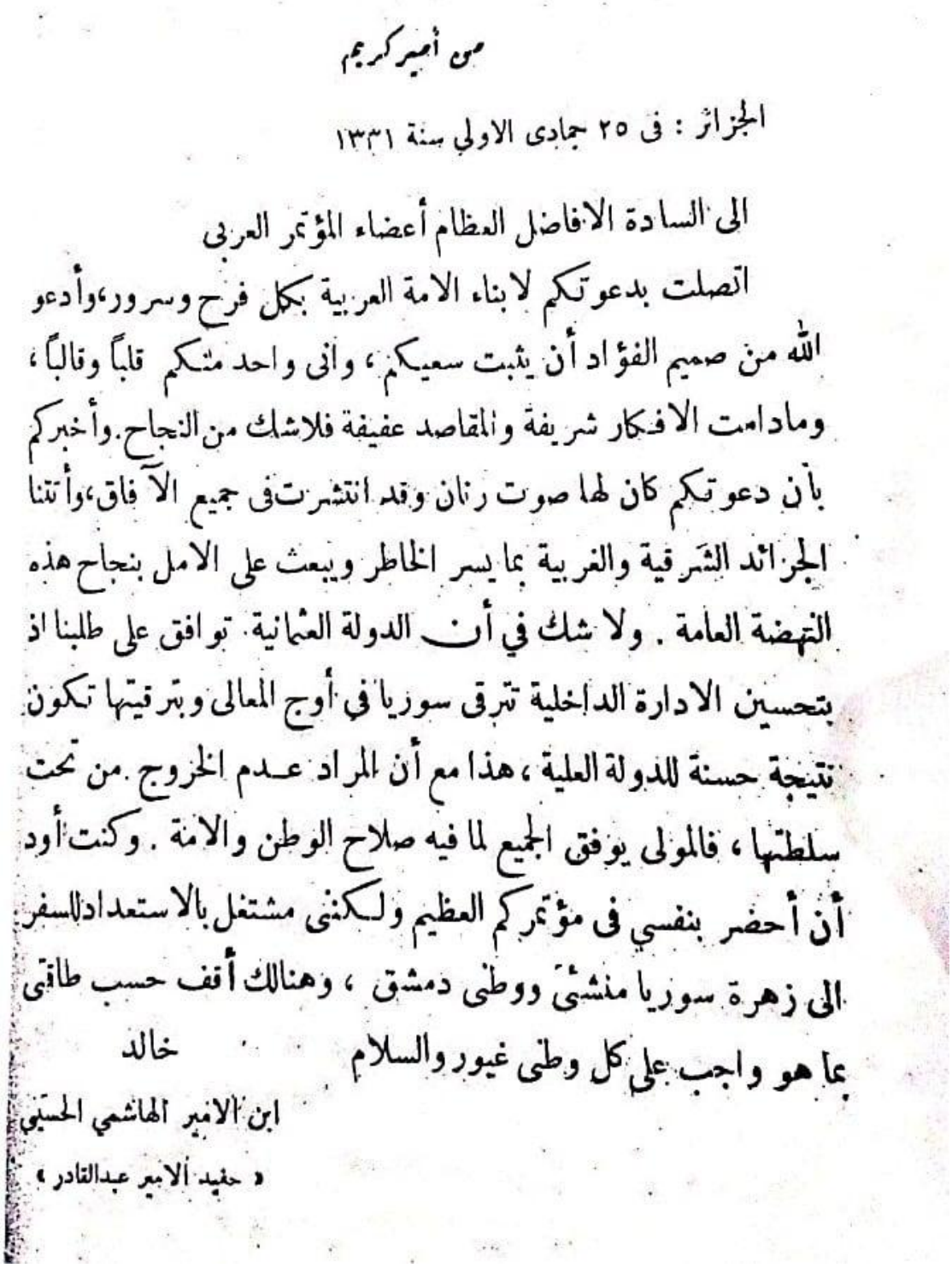

من أمير كريم

الجزائر : فى ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣١

الى السادة الافاضل العظام أعضاء المؤتمر العربى

اتصلت بدعوتكم لابناء الامة العربية بكل فرح وسرور، وأدعو الله من صميم الفؤاد أن يثبت سعيكم، وانى واحد منكم قلباً وقالباً، ومادامت الافكار شريفة والمقاصد عفيفة فلاشك من النجاح. وأخبركم بأن دعوتكم كان لها صوت رنان وقد انتشرت فى جميع الآفاق، وأتتنا الجرائد الشرقية والغربية بما يسر الخاطر ويبعث على الامل بنجاح هذه النهضة العامة. ولا شك في أن الدولة العثمانية توافق على طلبنا اذ بتحسين الادارة الداخلية تترقى سوريا في أوج المعالى وبترقيتها تكون نتيجة حسنة للدولة العلية، هذا مع أن المراد عدم الخروج من تحت سلطتها، فالمولى يوفق الجميع لما فيه صلاح الوطن والامة. وكنت أود أن أحضر بنفسي فى مؤتمركم العظيم ولكننى مشتغل بالاستعداد للسفر الى زهرة سوريا منشئ ووطنى دمشق، وهنالك أقف حسب طاقتى بما هو واجب على كل وطنى غيور والسلام

خالد

ابن الامير الهاشمي الحسيني

« حفيد الامير عبدالقادر »

[1] **المصدر**: وجيه كوثراني، **وثائق المؤتمر العربي الأول 1913**، ط1، دار الحداثة، بيروت، ص 196.

الملحق الأول، رقم 23: صورة طبق الأصل من رسالة السلطان عبد الحميد الثاني من سلانيك إلى الشيخ محمود أبو الشامات في دمشق يؤكد فيها سبب خلعه عن العرش، إنما لرفضه الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[1].

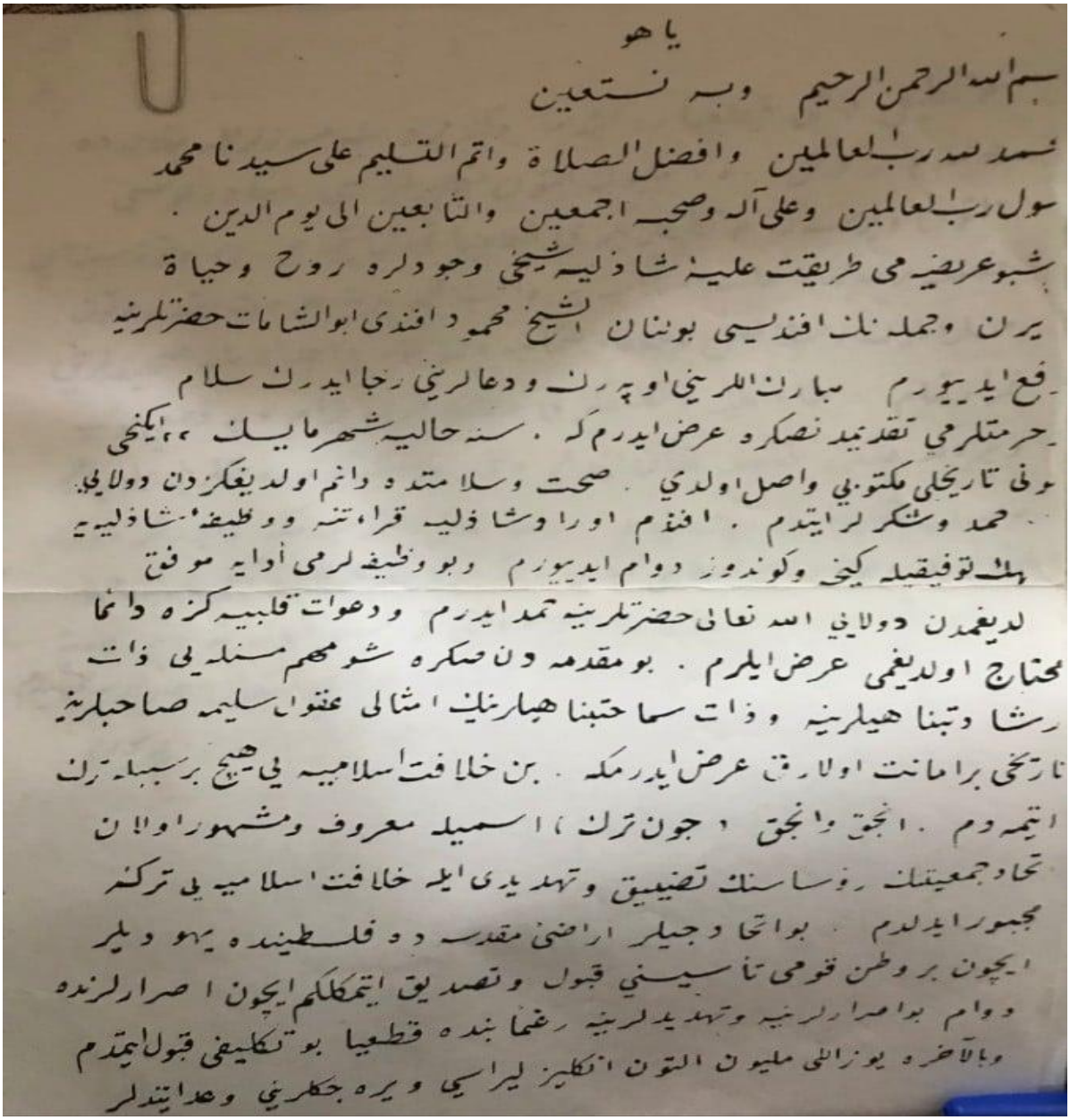

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمده سبحانه رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد
رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين .
شيخوعربضه مي طريقت عليه شاذليه شيخي وجودلره روح وحياة
يرن وجملتك افندليمي بونلرك الشيخ محمود افندي ابوالشامات حضرتلرينه
رفع ايديورم مبارك الريني اوپرك ودعالريني رجا ايدرك سلام
حرمتلرمي تقديم نصكره عرض ايدرم كه . سنه حاليه شهر مايسك ، ايكنجي
وفي تاريخلي مكتوبي واصل اولدي . صحت وسلامتده دائم اولديغكزدن دولايي
حمد وشكر لرايتدم . افندم اوراد شاذليه قراءتنه ووظيفه شاذليه يه
دائر توفيقيله كيجه وكوندوز دوام ايديورم وبو وظيفه لرمي اداية موفق
لديغمدن دولايي الله تعالى حضرتلرينه تمد ايدرم ودعوات قلبيه كزده دائما
محتاج اولديغمي عرض ايلرم . بو مقدمه دن صكره شو مهم مسئله يي ذات
رشادتبنا هيلرينه وذات سماحتبنا هيارينك اشالى مقتول سليمه صاحبلرينه
تاريخي برامانت اولارق عرض ايدرمكه . بن خلافت اسلاميه يي هيچ بر سببله ترك
ايتمه دم . انجق وانجق (جون ترك) اسميله معروف ومشهور اولان
اتحاد جمعيتك رؤساسنك تضييق وتهديدي ايله خلافت اسلاميه يي تركه
مجبور ايدلدم . بو اتحاد جيلر اراضي مقدسه ده فلسطينده يهود ليلر
ايچون بر وطن قومي تاسيسيني قبول وتصديق ايتمكلكم ايچون اصرار لرنده
دوام بو اصرارلرينه وتهديدلرينه رغما بنده قطعيا بو تكليفي قبول ايتمدم
وبالآخره يوزالتي مليون التون انكليز ليراسي ويره جكلريني وعدايتدلر

[1] الوثيقة نشرها الأستاذ سعيد الأفغاني في مجلة العربي الكويتية في عددها الصادر في شوال 1392/ ديسمبر 1972، ضمن مقالة بعنوان: سبب خلع السلطان عبد الحميد، أما ترجمة الرسالة للعربية فقد قام بها الشيخ أحمد القاسمي الدمشقي المدير العام للأوقاف في دمشق سنة 1957. نقلا عن: ابتسام أبو ميزر، **سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطورية العثمانية (1908–1909)**، مرجع سابق، ص 152

الملحق الأول، رقم 24: تقرير الكومندان كادي إلى الكولونيل بريمون بخصوص الطلبة الجزائريين الذين يدرسون في جامع الأزهر[1].

وزارة الشؤون الخارجية

مديرية الشؤون السياسية والتجارية

- الكومندان كادي، من البعثة الفرنسية

إلـى

- السيد الكولونيل بريمون، رئيس البعثة

تقريـــــــــر

يتعلق بطلبتنا المسلمين، الذين يدرسون في جامعة الازهر.

لي الشرف أن أحيطكم علما أنه تبعا لتعليمات السيد الوزير دوفرانس، زرت مدير جامعة الازهر لأطلع على وضعية طلبتنا المادية والمعنوية، استقبلني ابن المدير والأستاذ المسؤول عن الطلبة المغاربة استقبالا حسنا، ثم قدم لي الطلبة الحاضرين، وفيما يلي نتائج زيارتي هذه:

1- حالة الطلبة المادية:

أ- التغذية: يصنف طلبة الازهر، من كل الجنسيات في الأصناف التالية:

- **60** من بين الجموع يتقاضون يوميا خمس خبزات (3 أرطال بالتقريب) كما أنهم يتقاضون صاغين أي قرشين شهريا (يستطيع آنذاك أن يشتري بقرشين مثلا: رطلين من اللحم، أو أربع خبزات، أو كلغ من السكر ...)
- **20** طالبا يتقاضون يوميا أربع خبزات (1200 غرام بالتقريب)، وشهريا ثلاث قروش.

[1] المصدر: **أرشيف ما وراء البحار**، 14 هـ 42 (4,1)، نقلا عن: عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، مرجع سابق، ص-ص 292-296.

- **10** طلاب تونسيين يتقاضون يوميا أربع خبزات (حوالي 1200 غرام) وشهريا خمسة قروش.
- **8** طلاب من جنسيات مختلفة، يتقاضون يوميا أربع خبزات (1200 غرام بالتقريب) وقرشا واحدا شهريا.
- أما باقي الطلبة، وعددهم 160 طالبا، فلا يتقاضون شيئا.

ب- الألبسة: لا يتقاضى الطلبة شيئا

ج- السكن: الذين لهم إمكانيات مادية يكرون غرفة في المدينة، أما الآخرون فيعيشون في زنزانات صغيرة في المسجد، وقد زرت الكثير من هذه الزنزانات، كل ما فيها من أثاث، هو حصيرة ومطرح، زيادة على مظهرها البائس، فهي ضيقة جدا.

2- التعليم:

زيادة على حفظ ودراسة القرآن، يتلقى الطلبة تدريسا عاليا في المواد التالية:

- النحو، الآداب العربية
- الشريعة الإسلامية، حسب المذاهب الأربعة
- تاريخ الشريعة الإسلامية.
- السيرة النبوية، وتفسير القرآن.
- الفلسفة.
- كما يدرس الطلاب بعض المواد التكميلية.
- الحساب والرياضيات.
- التاريخ والجغرافيا.
- الجبر.

وعموما فقد ظل التعليم على حالته منذ احتل الاتراك العالم الإسلامي، وترجع أسباب تطور الحركة الثقافية (في العالم الإسلامي) إلى عدم مبالاة الاتراك، وعدم كفاءتهم، وبالتالي فالدراسات الإسلامية في الازهر ضعيفة إذا قارناها بمستوى التعليم في جامعاتنا في شمال إفريقيا، ويكمن تفوق هذه الأخيرة على الأولى في أن

برامجها الدراسية تحتوي على تدريس اللغة الفرنسية والحلوم الحديثة، وبعض المبادئ الحضارية التي يجهلها تماما الأزهر.

الخلاصة

1- يعيش رعايانا في ظروف مادية سيئة للغاية، بل مؤسفة جدا.

2- لا يتعلمون في الازهر، فيما يخص العلوم الإسلامية أي شيء يختلف عما هو يدرس عندنا (في الجزائر)

3- ليس لهم مدير رسمي، يعيشون في وسط أغلب الأحيان مناوئ لتأثيرنا، وقد يترتب على ذلك بعض الخطورة.

4- للقضاء على جذور هذه الخطورة يجب:

أ- إذا سمحنا للمستقبل للطلبة أن يهاجروا إلى الازهر لا بد أن نعين لهم مديرا حسب رغباتنا.

ب- الأحسن أن نقف ضد هجرة الطلبة إلى الأزهر بكل الوسائل، ونشعر رعايانا أن لديهم في بلادهم كل ما يحتاجون إليه لتحقيق رغباتهم المثلى الدينية، وهكذا نقضي على الوصاية، التي لا يبررها شيء والتي تمارسها جامعة الازهر المصرية على مؤسساتنا (في الجزائر)

قائمة الطلبة الجزائريين في جامع الأزهر عام 1916:

1- محمد البشير الإبراهيمي.

2- محمد أرزقي الشرفاوي، من قبيلة بني غبري، بلدية عزازقة المختلطة، عمالة الجزائر.

3- مولود بن الصديق، قبيلة بني حافظ، بلدية قرقور المختلطة، عمالة قسنطينة.

4- محمد العربي السوفي، قبيلة سوف بير، عمالة قسنطينة.

5- محمد جلول، قبيلة (بولة) سيدي الموهوب، بلدية عمي موسى المختلطة، عمالة وهران.

6- عمر بن الشريف، قبيلة زويج، بلدية تابلاط المختلطة، عمالة الجزائر.

7- علي محمد أحمد، قبيلة ازمايتية، عمالة الجزائر.

8- محمد علي الشرفاوي، من مدينة سطيف، عمالة قسنطينة.

9- يوسف بن علي رزقي، قبيلة ولاد براهيم، بلدية تبسة المختلطة، عمالة قسنطينة.

10- زايدي من محمد، من قرية كولبير، بلدية أكربي المختلطة، عمالة قسنطينة.

11- موهوب بن جلول، قبيلة أولاد سيدي الموهوب، بلدية عمي موسى المختلطة، عمالة وهران.

12- محمد بن محمد زهو، من مدينة البليدة، عمالة الجزائر.

13- رابح بن عمارة، قبيلة واقناي، عمالة الجزائر.

14- إسماعيل بن عمارة، من قبيلة حجوط، عمالة الجزائر.

15- الاخضري العربي، قبيلة لاموسة، بلدية كولبير المختلطة، عمالة قسنطينة.

16- نسيب ساعد، قبيلة سيدي عقبة، عمالة قسنطينة.

17- مولاي بن الشريف المكي، فبيلة أولاد سيدي عبد القادر، بلدية فرندة المختلطة، عمالة وهران.

18- زروق بن كحو.

19- ربيع بن محمد، قبيلة بني جعد، عمالة الجزائر.

20- محمد بن جلول شاري داح، قبيلة بني عباس، بلدية ارتو المختلطة، عمالة وهران.

21- يوسف بن علي الملواطي، قبيلة لوزنة، بلدية تابلاط المختلطة، عمالة الجزائر.

22- الحبيب بن عبد القادر، قبيلة المشاي، بلدية تنس المختلطة، عمالة الجزائر.

23- البشير البشير لعروسي، قبيلة ليانة، بلدية بسكرة، عمالة وهران.

24- الصادق بن كحليل، قبيلة أولاد جلال، بلدية تبسة المختلطة، عمالة قسنطينة.

25- أحمد بن كمدر، قبيلة الهامل، المكتب العربي، بوسعادة، عمالة الجزائر.

26- الحسن بن أحمد، قبيلة الهامل، المكتب العربي، بوسعادة، عمالة الجزائر.

27- أحمد بن إبراهيم، قبيلة مجاجة، بلدية الاصنام المختلطة، عمالة الجزائر.

28- عبد القادر بن أحمد، من مدينة بوسعادة، عمالة الجزائر.

29- إسماعيل بن علي صالح، بلدية جيجل المختلطة، عمالة قسنطينة.

الملحق الأول، رقم 25: مذكرة عن الجزائريين والتونسيين المسجلين في القنصلية الفرنسية بالقاهرة، الأوائل منذ 17 جانفي 1870 الأواخر منهم منذ 14 جوان 1881 إلى غاية 1891[1].

خلال التاريخين المذكورين نجد 436 عائلة جزائرية و524 عائلة تونسية مسجلة في هذه القنصلية، وبإمكاننا أن نقدر معدل كل عائلة من هذه العائلات (960 عائلة) بأربعة أفراد، الشيء الذي يعطينا مجموع 3840 نسمة.

وإذا أمكن لنا أن نطرح من هذا العدد، عدد الذين توفو أو غادروا مصر، فعلينا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار الذين ولدو، ونعوض الاواخر بالأوائل، الشيء الذي يمكننا القول بدون مبالغة أن رعايانا الجزائريين والتونسيين في دائرة القنصلية الفرنسية يقدر عددهم بـ 3840 نسمة.

تتوزع مجموعات التونسيين بأعداد غير متكافئة عبر مدن وقرى مصر العليا والسفلى، أين توجد وكالات للقنصلية الفرنسية العامة.

نجد من بين الجزائريين والتونسيين المسلمين، اليهود وبعض المسيحيين، ويكاد عدد اليهود أن يتساوى مع عدد المسلمين، ((هؤلاء كلهم رجال أعمال، أصحاب بنوك، ملاك كبار، تجار أو مزارعون كبار إلخ ...)) يتمتعون بسمعة طيبة، ولهم تأثير هام في البلاد. (إليكم قائمة أهم أعضاء رعايانا المغاربة المقيمين حاليا في مصر).

عادة يتمسك كثير من الأهالي الجزائريين والتونسيين بحمايتنا في مصر، لأنها تضمن لهم مصالحهم وتحميهم قانونيا من كل عدوان يتعرضون له، كل رعايانا من الجزائريين والتونسيين فهم لا يتسببون لنا في أي مشكلة كانت، عدى بعض اليهود الذين يثيرون بعض المشاكل فيما بينهم، والتي عادة ما تلبث أن توجد لها الحلول المناسبة في إطار مجموعاتهم.

كان بإمكان عدد الجزائريين والتونسيين أن يتضاعف مرة، بل أكثر من ذلك، لو أردنا قبول كل طلبات التسجيل التي قدمت للقنصلية، والمعتمدة أساسا كتبرير لها على عقود ملكية سلمت بالمعنيين بالأمر في مواطنهم الاصلية (الجزائر وتونس).

[1]- المصدر: أرشيف ما وراء البحار: (61/1) 102 هـ 9.

لا نثق دائما في هذه العقود ونشك في صحتها، لأنها في أغلب الأحيان تسلك لطالبيها بناء على شهود غير موثوق فيهم، وخاصة –في البلدان الإسلامية–ولكن الحكومة المصرية التي هي مشددة كثيرا إزاء الرعايا الأجانب تعترف بهذه العقود وتعطيها الصبغة القانونية العادية.

قائمة الأعيان الجزائريين المسلمين:

- حاج علي مفتاح، رجل أعمال، من كبار الملاكين في مصر.
- حاج محمد التلمساني، رجل أعمال.
- السعيد محمد بن الشيخ، رجل أعمال.
- الاخوان الأمين وبدر الدين عيادي، من كبار الملاكين.
- السعيد إبراهيم السلاوي، مزارع من كبار الملاكين.
- محمد كريبة (أو قريبة)، من كبار الملاكين.
- ابن ساحلية، من كبار التجار في مصر.

الملحق الأول، رقم 26: خريطة تبين أقسام سورية الإدارية في العهد العثماني[1].

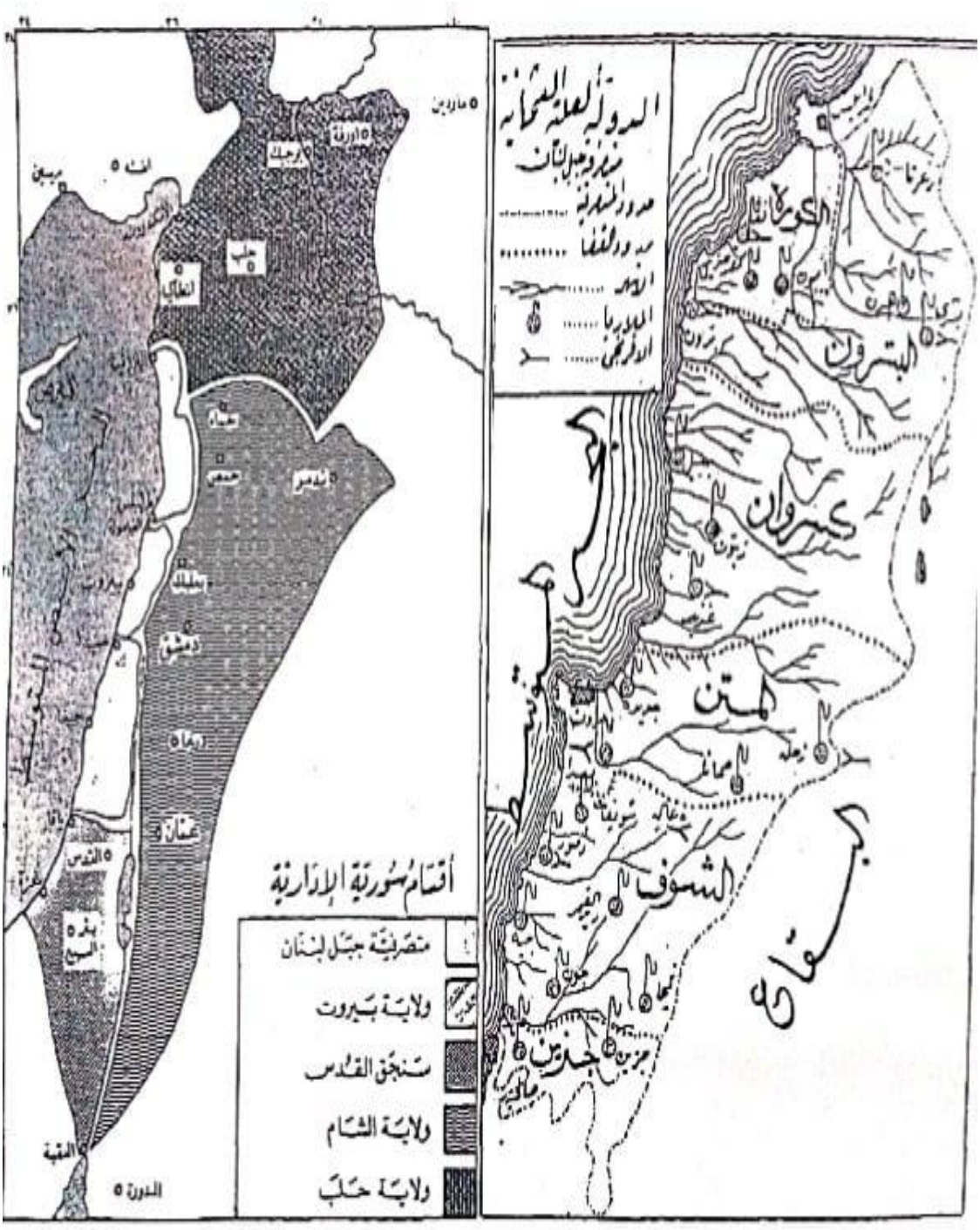

[1]– **المصدر**: نقلا عن: موفق بني المرجة، **صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية**، دار الكويت للصحافة "الأنبار"، الكويت، 1984، ص 334.

الملحق الأول، رقم 27: خريطة تبين أماكن القتال في الحجاز وطريق زحف الجيش العربي[1].

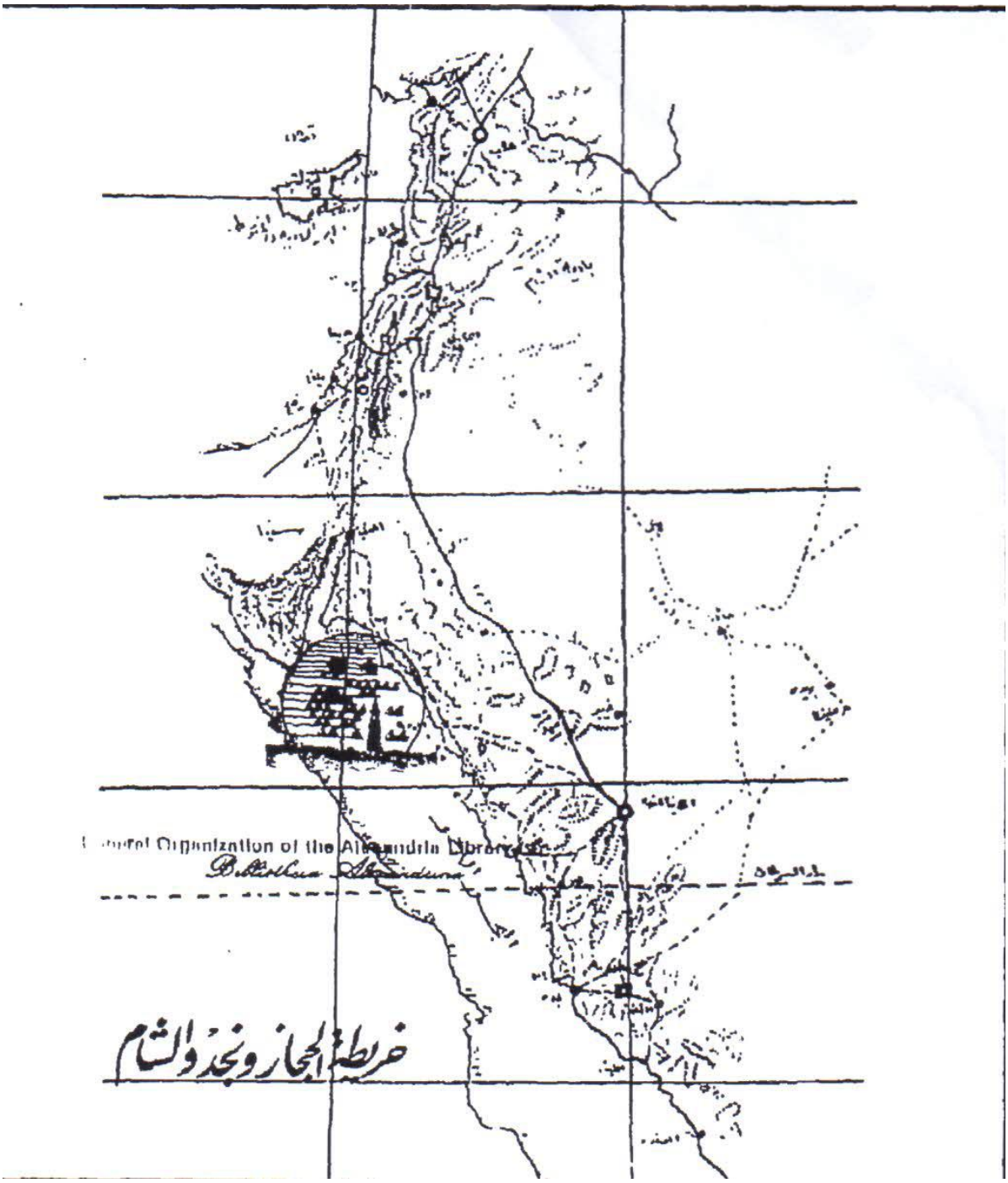

[1]– **المصدر**: أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى**، مصدر سابق، ص 03.

الملحق الثاني، رقم 01: افتتاح المكتبة الخالدية سنة 1900م في القدس، ويظهر من اليمين إلى اليسار كل من: الحاج راغب الخالدي، الشيخ طاهر الجزائري، الشيخ موسى شفيق الخالدي، الشيخ خليل الخالدي، الشيخ محمد الحبال (البيروتي)[1].

[1] **المصدر**: : سهيل الخالدي، **الجزائر وبلاد الشام**..، مرجع سابق، ص 569، كذلك ينظر:

http://www.khalidilibrary.org/opening.html

الملحق الثاني، رقم 02: صورة للمخطط الهندسي، للمكتبة الخالدية طريق باب السلسلة، حيث كانت تسكن عـائلـة الخالدي، في حين يبــدو شــارع باب المغاربة خلفها المؤدي لساحة المبكى[1].

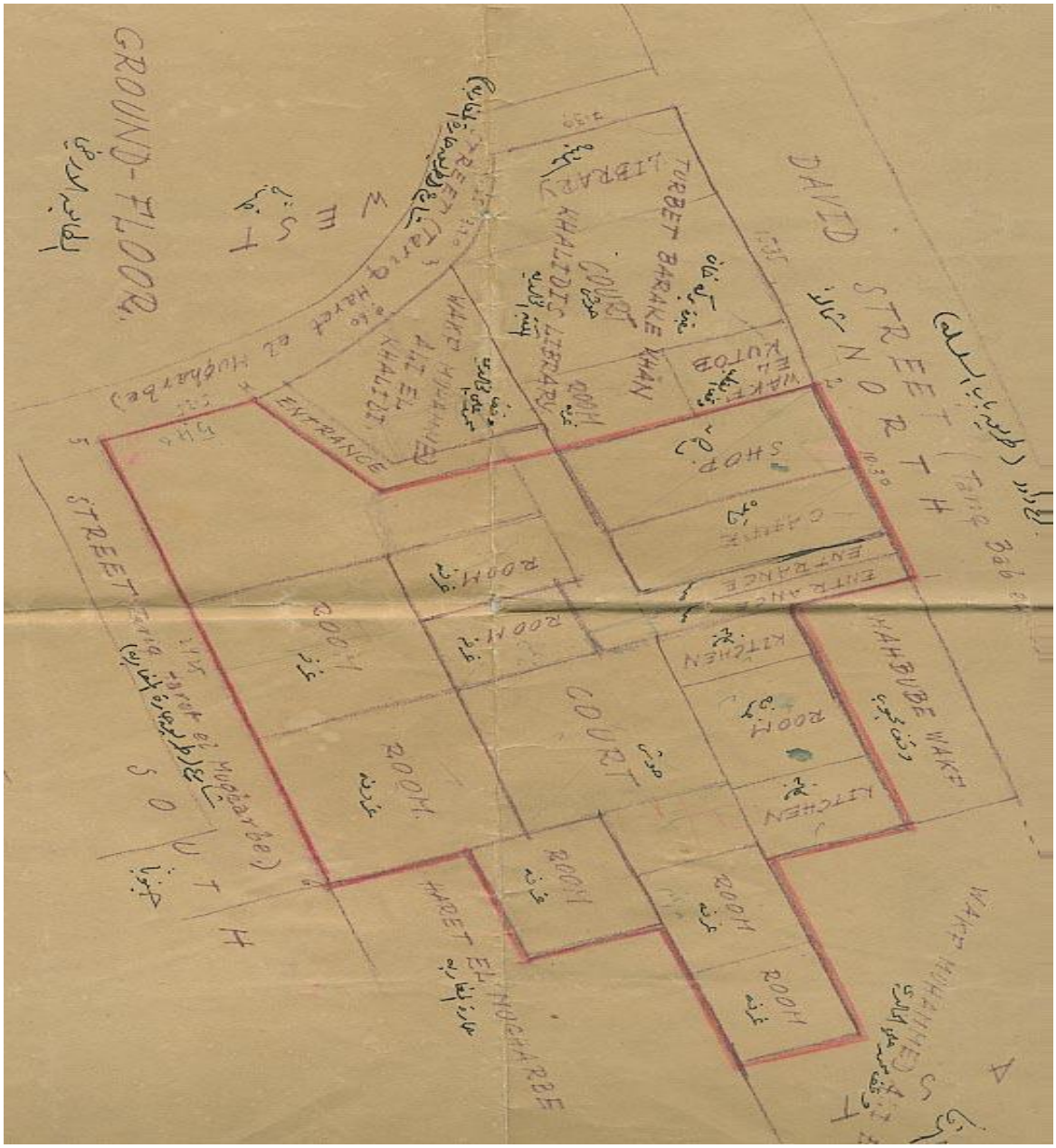

[1] **المصدر:**

http://www.khalidilibrary.org/opening.html

الملحق الثاني، رقم 03: صورة لداخل المكتبة الخالدية التي أسسـها الحاج راغب الخالدي (الذي يظهر الثاني من اليمين في الصورة) سنة 1900[1].

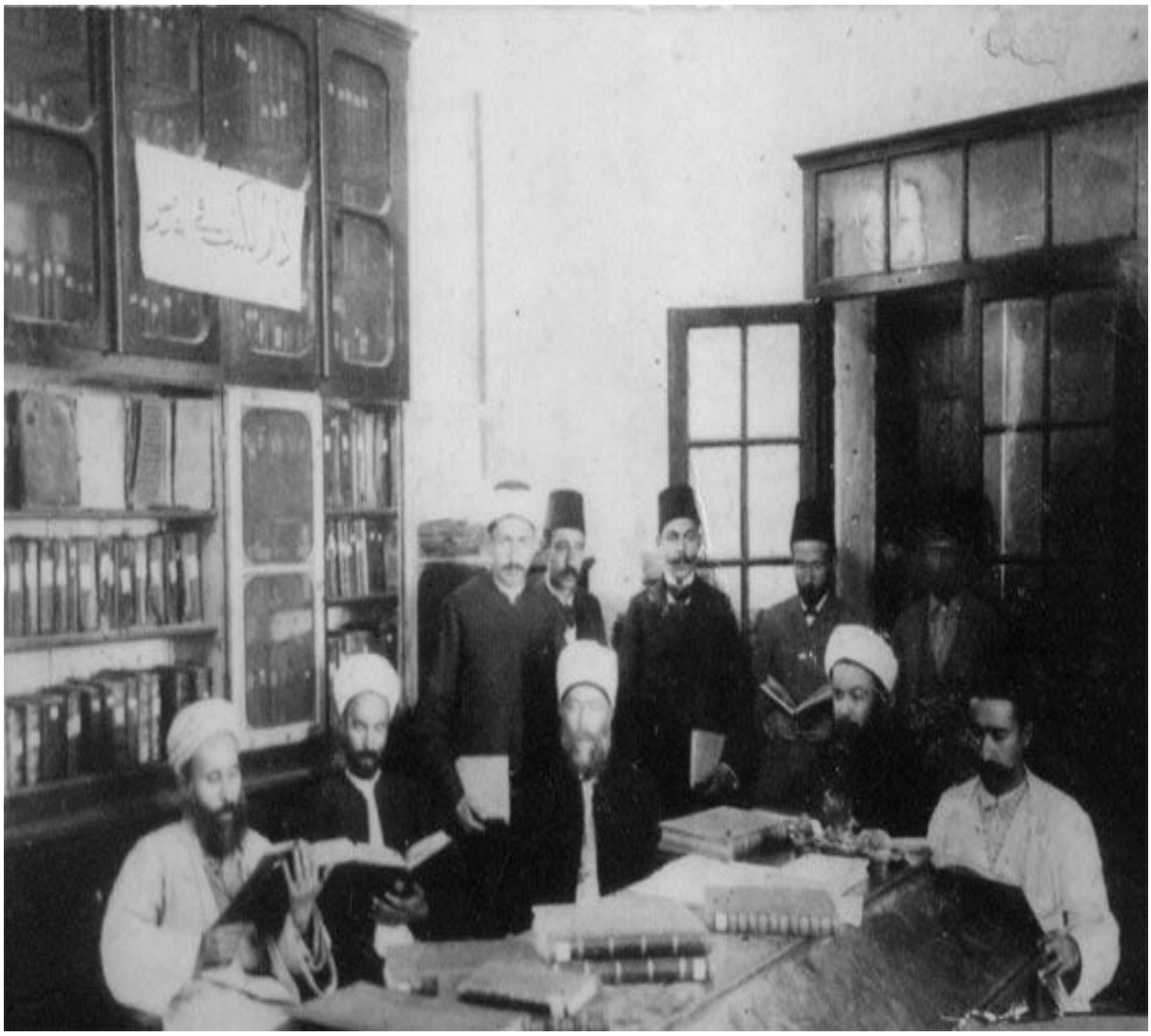

[1] **المصدر:**

http://www.khalidilibrary.org/opening.html

الملحق الثاني، رقم 04: صورة للوفد الذي قام بإبلاغ السلطان عبد الحميد الثاني بقرار خلعه عن عرش السلطنة والخلافة، المصدر ذكر أسماء أربعة أعضاء للوفد وهم: أسعد طوبتاني باشا الأرناؤوطي – عارف حكمت – عمانويل قره صو (اليهودي) – آرام أفندي الأرمني[1].

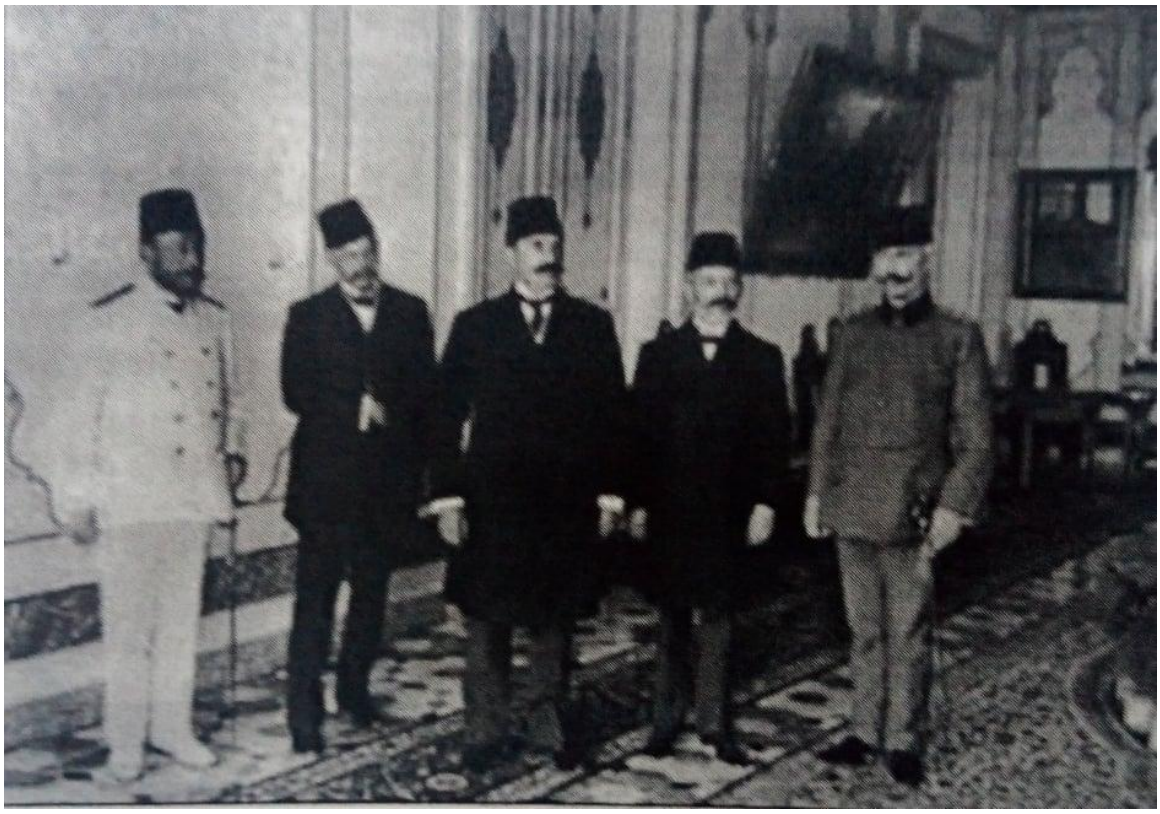

[1] المصدر: ابتسام أبو ميزر، **سنتان مفصليتان..**، مرجع سابق، ص150.

الملحق الثاني، رقم 05: صورة للمنديل الذي ضبط في بيت المدني، الذي يوحي بعلاقته بالجامعة الإسلامية[1].

[1] المصدر:

Ahmed Mohamed Elmadani 1914-1925, In : **A**.**N**.**T**, (E), Carton, 550, 30/15, DN°5.

الملحق الثاني، رقم 06: صورة لشهداء 06 ماي 1916 الذين أمر بشنقهم جمال باشا سنة 1900 بدمشق، ومنهم الأمير عمر ابن الأمير عبد القادر الجزائري[1].

[1] **المصدر:**

http://www.khalidilibrary.org/opening.html

الملحق الثاني، رقم 07: الأمير سعيد الجزائري في لقطة تاريخية مع بعض الوجهاء والأعيان بدمشق قبيل دخول غورو[1].

[1]- **المصدر**: موفق بني المرجة، **صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية**، مرجع سابق، ص 304.

الملحق رقم 08: صور لبعض الشخصيات الواردة في البحث، تم جمعهما من مختلف المصارد والمراجع التاريخية.

أحمد الشريف السنوسي
(1873– 1933)

الشيخ الشيعي محمد الأمين العاملي
(1865–1952)

توماس ادوارد لورنس
(1888–1935)

سليم الجزائري
(1879–1916)

عزيز علي المصري
(1879–1965)

محمد جابر آل صفا
(1870–1945)

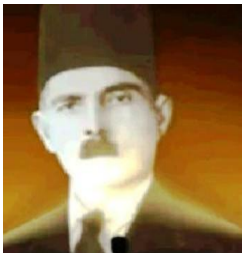

محب الدين الخطيب

(1886–1969)

الوجه الدمشقي للأمير عبد القادر

(1808–1883)

محمد كرد علي

(1876–1953)

الشيخ محمد الخضر حسين

(1876–1958)

جمال باشا

(1872–1922)

السلطان عبد الحميد الثاني

(1842–1918)

الأمير عبد القادر الجزائري (الحفيد)
(1885–1918)

الأمير محمد باشا الجزائري
(1840–1913)

الأمير عبد المالك الجزائري
(1868–1924)

الأمير محي الدين الجزائري
(1843–1918)

الأمير محمد سعيد الجزائري
(1881–1970)

الأمير عمر الجزائري
(1866–1916)

مدحت باشا

(1822–1884)

السلطان محمد رشاد الخامس (آخر سلاطين آل عثمان)

(1844–1918)

شكيب أرسلان

(1869–1946)

الشيخ طاهر الجزائري

(1852–1920)

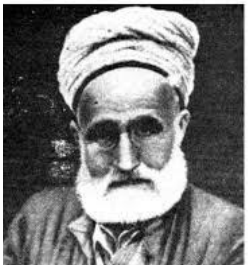

الشيخ محمد عبده

(1849–1905)

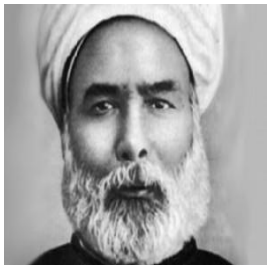

الشيخ رشيد رضا

(1865–1935)

جمال الدين الأفغاني
(1838–1897)

عبد الرحمن الكواكبي
(1855–1902)

عمر راسم
(1884–1959)

عمر بن قدور الجزائري
(1887–1930)

الشريف حسين – شريف مكة–
(1853–1931)

الأمير فيصل بن حسين
(1883–1933)

الأمير خالد الجزائري

(1875–1936)

الشيخ محمد بن يلس

(1854–1927)

محمد ابن أبي شنب

(1867–1929)

عبد الحليم بن سماية

(1866–1933)

الطيب العقبي + ابن باديس + البشير الإبراهيمي

(1889–1960)+(1889–1940)

+(1889–1965)

قدور بن غبريط

(1868–1954)

أديب إسحاق

(1856–1885)

محمد فريد بك

(1868–1919)

الزعيم الماروني يوسف كرم

(1823–1889)

المولود بن الصديق الحافظي

(1880–1948)

أبو يعلى الزواوي

(1862–1952)

عبد القادر المجاوي

(1848–1914)

الملحق رقم 09: نماذج من مؤلفات الجزائريين بالمشرق العربي المنشورة.

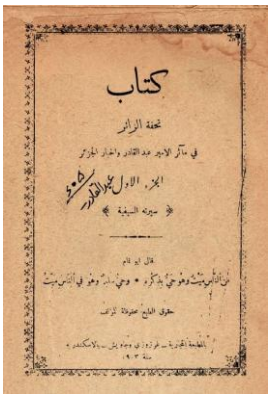
كتاب
تحفة الزائر
في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر
الجزء الاول
سيرته الشخصية

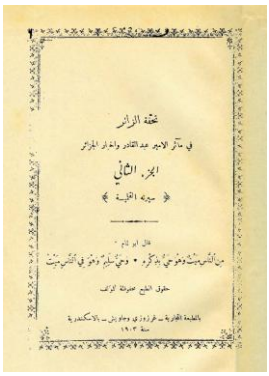
تحفة الزائر
في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر
الجزء الثاني
سيرته العلمية

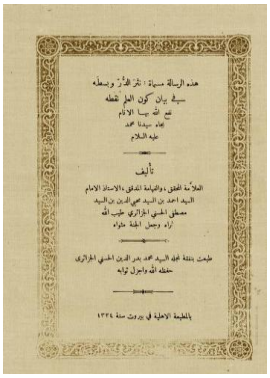
تأليف
العلامة المحقق والفهامة المدقق والاستاذ الامام
السيد احمد بن السيد محي الدين بن السيد
مصطفى الحسني الجزائري طيب الله
ثراه وجعل الجنة مثواه

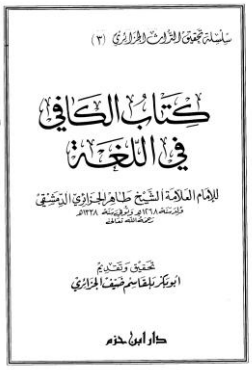
سلسلة تحقيق التراث الجزائري (٢)
كتاب الكافي
في اللغة
للإمام العلامة الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي
تحقيق وتقديم
أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري
دار ابن حزم

al-Jaza'iri, Muhammad Sa'id
Itqan al-sani'
اتقان الصنع في شرح رسالة الوضع للامام
العلامة الحجة الدراكة الفهامة المعارف
بالله تعالى السيد محمد سعيد بن
السيد محي الدين الحسني
الجزائري طيب الثرى
ونفعنا به وبعلومه
امين

الملحق رقم 10: بعض الجرائد والمجلات المشرقية والمحلية ذات الاهتمامات المشرقية التي كتبت فيها النخبة الجزائرية.

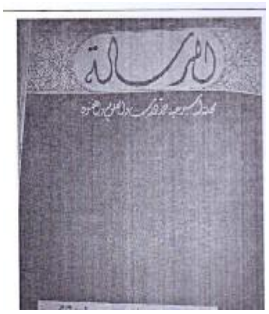

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا

- **القرآن الكريم:** برواية حفص عن عاصم.
- **صحيح مسلم**، ج2، ط1، دار ابن حزم، بيروت (1416هـ/1995م).

أولا: المخطوطات:

1. محمد بن عزوز، المكي، **التآليف المكية**، ورقة مخطوطة دون رقم، زاوية الهامل، بوسعادة.

ثانيا: الوثائق الأرشيفية:

1. الأرشيف الوطني الجزائري (A.N.A):

- IBA/CUL-018; N°0881: Associations Culturelles musulmanes.

2. أرشيف ولاية قسنطينة (A.W.C).

3. أرشيف ولاية وهران (A.W.O).

4. الأرشيف العثماني (A.O):

- ملف الجزائر في الوثائق العثمانية (OSMANLI BELGELERINDE CEZAYIR):

- A.MKT.MVL, 8/47.

- DH.MKT, 1963/1.

- I. DH, 1311 M./47.

- HR. SYS, 2392 /5.

5. الأرشيف الوطني التونسي (A.N.T):

- **SERIE (A)**:

- C.276 (BIS), D. 4/3, NP 342.

- C.276 (BIS), D. 1/13, NP 324, EX: 1876-1912.

- C.277, D.1.2.3.4, Document NP (103) (89) (96) (18).

- C.278 (BIS), D.N°3, Document 1/48, D.EX 1899-1916.

- C.268, D.6/2, Rapport du Ministre des Affaires Etrangers Française, Direction des Affaires politiques et commerciales.

- **SERIE (E)**:

- C.550, 30/15, D.N°5, 1914-1925 : « Ahmed Mohamed El Madani ».

- C.550, D N°30/15, 1908-1915: « A.S d'une réunion algéro-tunisienne à Stamboul ».

- C.550, 30/23, D.N°6, «EL Makki ben azzouz ».

ثالثا: المصادر المنشورة:

I. الصحف والمجلات:

I. 1. باللغة العربية:

01. **الإقدام:**

- ع 38، 05 أوت 1921م.
- ع 52، 11 نوفمبر 1921.
- ع 59، 30 ديسمبر 1921م.
- ع 66، 18 فيفري 1922م.
- ع 59، 10 مارس 1922.
- ع 81، 23 مارس 1922.
- ع 104، 10 أكتوبر 1922م.
- ع 99، 16 أكتوبر 1922م.

02. **البرق:**

- ع 15، 20 جوان 1927م.

03. **البصائر:**

- ع 112، السلسلة الثانية من السنة الثالثة، 20 مارس 1950.

- ع 6، 24 أفريل 1936.
- ع 54، السنة الثانية، 24 ذو القعدة 1355هـ/5 فيفري 1937.
- ع 63، 30 أفريل 1937.
- ع 149، السنة الرابعة، 2 أفريل 1951.
- ع 55، 06 محرم 1368هـ/ الموافق 08 نوفمبر 1948.
- ع 69، 01 جمادى الأولى 1368هـ/ الموافق 28 فيفري 1949.

04. **الرسالة**:

- ع 249، السنة السادسة، 11 أفريل 1938.

05. **الشهاب**:

- ج6، مج7، مارس 1931.
- جوان 1931.
- ج11، م.11، غرة ذي القعدة 1354هـ/ فيفري 1936.
- ج5، مج13، 1937.
- ع9، مج1، 7 ديسمبر 1925.
- مج7، ج3، مارس 1931.
- مج10، 1934.
- ج18، مج15، سبتمبر 1939.

06. **الصديق**:

- ع 37، 6 جوان 1921.
- ع 49، 13 فيفري 1922م
- ع 50، 20 فيفري 1922.

07. **العروة الوثقى**:

- ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.

08. **عصى موسى:**

- عدد2، السنة الأولى، 20 جويلية 1950.

09. **العمران:**

- م2، ج5، السنة12، عدد 382،، 1908/10/3.

10. **الفاروق:**

- ع 02، 07 مارس 1913.
- ع 11، 09 ماي 1913.
- ع 20، 11 جويلية 1913.
- ع 21، 18 جويلية 1913.
- ع 22، 25 جويلية 1913.
- ع 51، 16 مارس 1914.
- ع 55، 06 أفريل 1914.

11. **المغرب:**

- ع 03، 21 أفريل 1903.

12. **المنار:**

- مج.3، ج16، 11 ربيع الثاني 7/1318 أوت 1900.
- مج6، ج23، ذي الحجة 1321هـ/18 فيفري 1904.
- مج8، ج16، 16 شعبان 1323هـ/15 أكتوبر 1905.

13. **مرشد الأمة:**

- عدد: 05 ديسمبر 1909.

14. **المهاجر:**

- 7 ماي 1912.

15. **النجاح:**

- ع 156، 25 أفريل 1924.
- ع 165، 4 جويلية 1924.
- 28 نوفمبر 1924.
- 15 جويلية 1930.

16. **وادي ميزاب:**

- ع 23، 11-03-1927م

I. 2. باللغة الأجنبية:

01. **Annuaire Statistique de L'Algérie** : Algérie, Années : 1928, 1933, 1934, 1938 , 1939, 1947.
02. **Bulletin offciel du gouvernement général de l'Algérie** : 1865, 1919.
03. **Echo d'Alger** : 1913.
04. **El ouma** : 1937
05. **Gouvernement générale de l'Algérie** : L'Exode Tlemcen en 1911, Imprimerie René Barrillier, 1914.
06. **L'Afrique Française**, Bulletin mensuel du comite de l'Afrique française et du comite du Maroc, 1924, 1930, 1937, 1938.
07. **La Dépèche Tunisienne** : Lundi 01 Janvier 1906.
08. **La Voix des Humbles** : 1927- 1928- 1930.
09. **La Voix Indigéne** : 1929- 1930.
10. **Le Rachidi** : 1912.

11. **Notes sur les mesures demandées par les Musulmans Français de l'Algérie en coscription militaire** : Paris, 1912.
12. **Revue Africaine** : 1856- 1859- 1905- 1907- 1913- 1922- 1947.
13. **Revue du Indigéne** : 1856- 1863- 1864- 1865- 1866- 1911
14. **Revue du Monde Musulman** : 1907- 1912.

II. المراجع:

II. 1. باللغة العربية:

01. الإبراهيمي (محمد البشير): **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، 5.ج،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
02. ـــــــــــــ: **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام**، دار الكتب، الجزائر، 1982.
03. ابن العنابي (محمد بن محمود): **السعي المحمود في نظام الجنود**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
04. ابن باديس (عبد الحميد): **التفسير**، ط1، تح: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، الجزائر، 2009.
05. ابن حبيلس (الشريف): **الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي**، تر: عبد الله حمادي وآخرون، دار المسك، (د،ت)، ص 139.
06. ابن زكري (محمد السعيد): **أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل**، عرض وتقديم وتعليق: محمد أرزقي فؤاد، دار هومة، الجزائر، 2015.
07. أرسلان (شكيب): **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، مكتبة رحاب، الجزائر،1989.
08. أمين (أحمد): **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية، 1965.
09. الباني (محمد سعيد): **تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر**، ط.خ، وزارة الثقافة، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011.
10. بن المولود (عبد الرحمن إبراهيم): **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر(1920-1936)**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

11. تشرشل (هنري): **حياة الأمير عبد القادر**، تح: أبو القاسم سعد الله، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982.

12. توماس ادوارد (لورنس): **الثورة العربية**، تعريب شعبان بركات، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1990.

13. تيمور باشا (أحمد): **أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث**، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003.

14. الجزائري (طاهر): **الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية**، تح:حسن السماحي سويدان، ط.خ، وزارة الثقافة، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011.

15. ـــــــــــ: **الجوهرة في قواعد العقائد**، تح: حسن السماحي سويدان، ط.خ، وزارة الثقافة، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011.

16. ـــــــــــ: **تذكرة الطاهر الجزائري**، تح: محمد خير رمضان يوسف، ط.خ، وزارة الثقافة، مج1، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، 2011م

17. ـــــــــــ: **كتاب الكافي في اللغة** ، تح: أبو بكر بلقاسم ضيف الجزائري، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، ط.خ، 2011.

18. الجزائري (عبد القادر): **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**، تق وتح. ممدوح حقي، بيروت، 1966.

19. الجزائري (محمد سعيد): **حياة طيب الذكر علي**، مطبعة الترقي، دمشق، .1918

20. الجزائري (محمد): **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج.1، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903.

21. الحفناوي (أبو القاسم): **تعريف الخلف برجال السلف**، ج.2، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط2، 1985.

22. حماني (أحمد): **الصراع بين السنة والبدعة، أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس**، ج.1، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1984.

23. خوجة (حمدان): **مرآة الجزائر**، تعريب: محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

24. ـــــــــــ: **إتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء**، دار الطباعة السلطانية القسنطينية. قسنطينة، د.ت.

25. دبوز (محمد علي): **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج1،ط1، مطبعة البعث، الجزائر.

26. ـــــــــــ: **نهضة الجزائر الحديث وثورتها المباركة**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971.

27. الدبختون (ريتشارد): **لورانس في البلاد العربية**، تر: محمود عزت موسى، مراجعة: محمد أنيس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966

28. الرازي (محمد بن أبي بكر) ، **مختار الصحاح**، تح: محمود خاطر، ج1، بيروت، لبنان، 1995.

29. رضا (محمد رشيد): **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، ط.2، مج3، دار الفضيلة، القاهرة، 2006.

30. ـــــــــــ: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ج.5، ط.2، دار المعرفة، لبنان، 1973.

31. الزاهري (محمد السعيد): **الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير**، دار الكتب، الجزائر،(د.ت).

32. الزاهري (محمد الهادي السنوسي): **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، ج2، ط1، مطبعة النهضة، تونس، 1927.

33. الزواوي (أبو يعلى): **تاريخ الزواوة**، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، ط.1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.

34. سلامة (موسى): **الاشتراكية، كلمات عربية للترجمة والنشر**، القاهرة، مصر (د.ت).

35. ـــــــــــ: **ماهي النهضة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

36. طه (حسين): **الحياة الأدبية في جزيرة العرب**، ط1، مكتبة النشر العربي، دمشق، 1354هـ/1935م.

37. ـــــــــــ: **في الشعر الجاهلي**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، (د.ت).

38. ـــــــــــ: **مستقبل الثقافة في مصر**، ط.2، دار المعارف، (د.ت).

39. عازوري (نجيب): **يقظة الأمة العربية**، تع: د، أحمد بوملحم، مؤسسة العربية للدراسات، بيروت،(د.ت).

40. عباس (فرحات): **الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم 1930، الشاب الجزائري (1930)، متبوع بتقرير إلى الماريشال بيتان (أبريل 1944)**، تر: أحمد منور، تق: أبو القاسم سعد الله، د.ط، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

41. عباس (فرحات): **حرب الجزائر وثورات (ليل الاستعمار)**، تر: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1962.

42. عباس (محمد): **الأعمال الكاملة لمحمد عباس، يرحل الاستعمار ويبقى المستعمر(الاندماجيون الجدد)**، د.ط، ج 8، ، دار هومة، الجزائر، 2013.

43. عبد الرزاق (علي): **الإسلام وأصول الحكم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د.ت).

44. عبده (محمد): **رسالة التوحيد**، نص وتع: محمد رشيد رضا، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2001.

45. فريد بك (محمد): **من مصر إلى مصر (رحلة سنة 1901) ببلاد الأندلس (إسبانيا) ومراكش (المغرب) والجزائر**، مراجعة وتصحيح وتعليق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط.1، دار ابن حزم، بيروت، 2011.

46. الفيكونت (فيلب دي طرازي): **تاريخ الصحافة العربية**، ج.3، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913.

47. قاسم (أمين): **المرأة الجديدة**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.

48. قاسم (أمين): **تحرير المرأة**، دار المعارف، مصر،(د.ت).

49. القاسمي (ظافر): **جمال الدين القاسمي وعصره**، دمشق، 1965

50. قدري (أحمد): **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت، 1956.

51. الكتاني (عبد الحي بن عبد الكبير)، **فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات**، تح: إحسان عباس، ط2، ج3، دار الغرب الإسلامي، 1982.

52. كرد علي (محمد): **خطط الشام**، ط 2، ج6، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، لبنان، (د.ت).

53. ـــــــــــ: **كنوز الأجداد**، ط1، المجمع العلمي العربي، دمشق، 1950.

54. الكواكبي (عبد الرحمن، الفراتي): **أم القرى**، المطبعة المصرية، بالأزهر، 1350هـ/1931م.

55. ـــــــــــــــ: **طبائع الإستبداد ومصارع الاستعباد**، تح، تق: محمد عمارة، ط2، دار الشروق، القاهرة، (د.ت).

56. لوثروب (استودارد): **حاضر العالم الإسلامي**، مج.2، ج.4، تعر: شكيب أرسلان، عجاج نويهض، ط.4، دار الفكر، لبنان، 1973.

57. المحاوي (عبد القادر)، **اللمع على نظم البدع**، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1912.

58. المدني (أحمد توفيق): **حياة كفاح (مذكرات)**، ج.2، (1925-1954)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

59. ـــــــــــ: **كتاب الجزائر**، ط.2، دار المعارف، الجزائر، 1962.

60. مصالي (الحاج): **مذكرات مصالي الحاج 1898-1938**، تر:محمد المعراجي، تص: عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، 2007.

61. المهاجي (الطيب): **أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق عليه في الماضي والحاضر**، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011.

62. المودودي (أبو الأعلى): **موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر،(د.ت).

63. الميلي (مبارك): **رسالة الشرك ومظاهره**، ط.3، دار البعث، قسنطينة، 1983.

II. 2. باللغة الأجنبية:

01. Bardin (Pierre): **Algériens et Tunisiens dans l'empire Otman de (1848 à 1914)**, Ed : C.N.R.S , 1979, paris.

02. Benhabiles (Cherif): **L'Algérie Française vue par un indigéne**, fontana, Alger, 1914.

03. Boulifa Said: **le Djurdjura a travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830**, Alger, 1925.

04. Charles Robert (Ageron) : **Les Algérienns musulmans et la France** 1871-1919, tome, PUF, Paris, 1968.

05. Depont (Octave): **l'Algérie du Centenaire**, Edition cadoret, France, 1928.

06. Gantois (René): **L'Accession des Indigénes Algériens à la qualité decitoyen Français**, Imprimerie La Typo- Litho, Alger, 1928.

07. Giovanni Busino: **Elites et elitisme**, collection approches, casbah édition, 1998, Alger.

08. Lahmek (Hanafi dit Hesnay): **lettres Algériennes**, préface de M.viollette, Paris, 1931.

09. Lavenarde (A): **La Représentation des Indigènes Musulmans Non Naturalisés de l'Algérie au parlement Français**, Librairie générale de droit et de Jurisprudence, Paris, 1922.

10. Lazard (Claude): **l'accession des indigènes Algériens a la citoyenneté française**, libraire technique et économique, paris 1938.

11. Mahieddine Bachetarzi: **Les Mémoires (1919–1939)**, T.1, S.N.E.D, Alger, 1968.

12. Melia (Jean): **L'Algérie et la gurre (1914– 1918)**, Libraire Plon-Nourrit, Paris, 1918.

13. _____: **Dons la patrie Français la patrie algérienne**, la maison des livres, Alger, 1952.

14. Péchot (L): **Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830**, Go josso Imprimeur Editeur 1914), Alger.

15. Roches (Léon): **Trente ans travers l'Islam (1832–1864)**, T.2, Mission a la Mecque le Mréchal Bugeaud en Afrique, Librairie Frimin Dibot, Paris, 1885.

16. Servier (André): **Le Péril de L'avenir**, **le Nationalisme en Egypte**, **en Tunisie**, **et en Algérie**, 2eme édition, Constantine, 1913.

17. Sisbane (Cherif): **Notes sur les reformes désirée par la fédération des Elus des Indigéne du Département de Constantine**, Imprimerie P.Braham, Constantin, 1931.
18. Stewart (Desmond): **T.E. Lawrence**, **Harper and Row**, New Yourk. 1979.
19. Violette (Maurice): **l'Algérie vive–t–elle**, édition libraire Félix alcan, paris, 1931.
20. Warinier(A): **l'Algérie devant l'Empereur**, éd challamed, Paris, 1865.

رابعا: المراجع (الكتب):

I. باللغة العربية:

01. الإبراهيمي (أحمد طالب): **من تصفية الإستعمار إلى الثورة الثقافية** 1962-1972م، (ش.و.ن.ت)، الجزائر.
02. بن العقون (عبد الرحمن إبراهيم): **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920–1936)**، ج1، م.و.ك، الجزائر.
03. أبو غدة (عبد الفتاح): **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، ج1، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، 1995.
04. احدادن (زهير): **بيبلوغرافيا الصحافة الجزائرية، الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
05. أحمد (عبد الرحيم مصطفى): **في أصول التاريخ العثماني**، ط.1، دار الشروق، 1993.
06. أركون (محمد) : **الفكر العربي**، تر: عادل العوّا، ط.3، منشورات العويدات، بيروت، 1985.
07. الأشرف (مصطفى): **الجزائر، الأمة والمجتمع**، تر، حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
08. آق كون (أحمد) وأوزتورك (سعيد): **الدولة العثمانية المجهولة**، وقف البحوث العثمانية، استانبول، تركيا، 2008.

09. ألرث حوراني: **الفكر العربي في عصر النهضة 1798– 1939**، تر، كريم عزقول، دار النهار للنشر، بيروت، (د.ت).

10. أمين (سعيد): **الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، مج، (النضال بين العرب والترك)، مكتبة مدبولي، القاهرة،(د.ت).

11. أنطونيوس (جورج): **يقظة العرب**، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط.8، بيروت، دار العلم للملايين، 1987.

12. أوزتونا (يلماز): **تاريخ الدولة العثمانية**، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1990.

13. أوين (روجر) وآخرون: **الحياة الفكرية في المشرق العربي (1890– 1939)**، تر: عطا عبد الوهاب، ط.2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

14. البدي (مفيد): **التيارات الفكرية في الخليج العربي 1938– 1981**، ط.1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.

15. برو (توفيق): **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1908– 1914**، دار طلاس، دمشق، 1981.

16. بقطاش (خديجة): **الحركة التبشيرية في الجزائر (1830–1871)**، ط1، منشورات دحلب، الجزائر، 1992.

17. بلاح (بشير): **تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1989)**، ج2 ، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2006.

18. بلاسي (أحمد نبيل): **الإتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر**، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1990.

19. بلخير (الهاشمي الهاني محمد): **الغزو الإيطالي وبداية المقاومة المسلحة**، ليبيا، 1985.

20. بن شعيب (محمد المهدي): **تاريخ قسنطينة أم الحواضر في الماضي والحاضر**، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

21. بن عبد الكريم (محمد): **حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

22. بن قينة (عمر): **الديسي حياته وآثاره وأدبه**، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

23. بن قينة (عمر): **صوت الجزائر في الفكر العربي (أعلام وقضايا ومواقف)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).

24. بن نبي (مالك): **شروط النهضة**، تر: عبد الصبور شافرين عمر كامل مسقاوي، دار الفكر.

25. ـــــــــ: **مذكرات شاهد القرن**، تر: عمر السفوي، ط.2، دار الفكر، الجزائر، 1984.

26. ـــــــــ: **وجهة العالم الإسلامي**، تر: عبد الصبور شاهدين، دار الفكر، دمشق، 1986.

27. بن نعمان (أحمد): **فرنسا والأطروحة البربرية، الخلفيات، الأهداف، الرسائل، البدائل**، منشورات دحلب، الجزائر.

28. بهاء الدين (أحمد): **أيام لها تاريخ**، ط.3، دار الشروق، القاهرة، 1411هـ/1991.

29. البهي (محمد): **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، مركز الناقد الثقافي، سوريا، 2012.

30. بوحوش (عمار): **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

31. بوصفصاف (عبد الكريم): **الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد بن باديس انموذجا**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005.

32. بوصفصاف (عبد الكريم): **رواد النهضة والتجديد في الجزائر، (1989– 1965)**، دار الهدى، الجزائر، 2007.

33. البوعبدلي (المهدي): **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي**،ج.1، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويد، ط.1، عالم المعرفة، 2013.

34. بوعزيز (يحي): **ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين**، ج.2، ط.2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.

35. ـــــــــ: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية**، 1830- 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

36. بومدين (درويش): **قضايا التحرير والنهضة في الفكر العربي المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية.

37. بوهند (خالد): **النخب الجزائرية دراسة تاريخية واجتماعية 1892–1942م**، دار القدس العربي، الجزائر، 2015.

38. بيات (فاضل): **العولمة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، حصرا مطلع العهد العثماني – أواسط القرن 19م**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007

39. البيومي (محمد رجب): **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرون**، ج2 ، دار القلم، دمشق، 1995.

40. تركي (رابح): **التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931– 1956)**، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1973.

41. ـــــــــ: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والثورة في الجزائر**، ط.3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1973.

42. التقي (عبد الله): **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**، ط.2، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، (د.ت).

43. ـــــــــ: **خطر اليهودية الدوناتية على الإسلام والمسيحية**، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1989.

44. التليلي (العجيلي): **صدى حركة الجامعة العربية الإسلامية في المغرب العربي**، (1876-1918)، كلية الأدب والفنون والإنسانيات، دار الجنوب للنشر، منوبة، تونس، 2005.

45. ثنيو (نور الدين): **إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2015.

46. جابر آل صفا (محمد): **تاريخ جبل عامل**، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، 1998.

47. الجابري (محمد العابد): **في نقد الحاجة إلى الإصلاح**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، بيروت، 2005.

48. ـــــــــــــ: **رحلات جزائرية**، د.ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

49. الجندي (أدهم): **شهداء الحرب العالمية الكبرى**، مطبعة العروبة، دمشق، 1960.

50. الجندي (أنور): **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي**، ط.2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983.

51. ـــــــــ: **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بيروت، 1965.

52. ـــــــــ: **تاريخ الصحافة الإسلامية**، ج.2، (الفتح، محب الدين الخطيب)، دار الأنصار، مصر.

53. ـــــــــ: **تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي** ، مكتبة الأنجلو-المصرية، القاهرة، 1970.

54. ـــــــــ: **قضايا إسلامية معاصرة، أهداف التغريب في العالم الإسلامي**، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، الأزهر الشريف.

55. جوليان (شارل أندري): تاريخ **إفريقيا الشمالية تسير، (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)**، تر: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر/ ش.و.ن.ت، 1976.

56. الجيلالي (عبد الرحمن): **محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره**، ط1، م.و.ك، الجزائر، د.ت.

57. الجيلالي (محمد): **تاريخ الجزائر العام**، ج5، د.ط، دار الأمة، الجزائر، 2014.

58. الجيلاني (مفتاح): **الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم**، ط.1، دار النهضة، سوريا، 2006.

59. حامد ارحومة (مصطفى): **المقاومة الليبية التركية ضد الغزو الايطالي أكتوبر 1911**، م.ج.ل.ط، 1988.

60. حبنكة (عبد الرحمن حسن): **الوجيز في العقيدة الإسلامية**، ط1، دار القلم دمشق، 1883.

61. حجاج (السعيد رزق): **العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأولى (1914– 1918)**، ط.1، مطبعة الأمانة، مصر، 1989م.

62. الحجمة (نواف عبد العزيز): رحالة **الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري (12–14م)**، ط.1، دار السويدي، الإمارات العربية، 2008.

63. حربي (محمد): **الثورة الجزائرية، سنوات المخاض**، تر: نجيب عياد، صالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 1994.

64. حسين (محمد محمد): **الاتجاهات الوطنية**، ج.2، ط.7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.

65. الحسيني (علي الرضا): **محمد المكي بن عزوز حياته وآثاره**، الدار الحسينية للكتاب، سوريا، 1997.

66. حصري (أبو خلدون ساطع): **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية**، ط.2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985.

67. حلوش (عبد القادر): **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، د.ط، دار الأمة، الجزائر، 2019.

68. حمادي الرويسي وأسماء نويرة: **الرد على الوهابية (نصوص الشرق الإسلامي)**، ط.1، دار الطليعة، بيروت، 2012.

69. الخالدي (سهيل): **الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام**، الأمة، الجزائر، 2016.

70. ـــــــــــ: **الجزائر وبلاد الشام، صفحات من النضال المشترك، ضد الاحتلال**، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2013.

71. ـــــــــــ: **دور الجزائريين في حركة التحرر العربي بالمشرق (1847–1948)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

72. خدعان (فهمي): **أسس التقدرم عند مفكري افسلام في العالم العربي الحديث**، ط.2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروتن 1981.

73. ـــــــــــ: **الماضي في الحاضر، دراسات في تشكيلات ومسالك التضحية الفكرية العربية**، ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997.

74. الخدوري (مجيد): **الاتجاهات السياسية في العالم، دور الأفكار والمثل العليا في السياسة**، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1985.

75. خرفي (صالح): **صفحات من الجزائر، دراسات ومقالات من 1962 الى 1972**، ط1، و.ن.ت، 1973

76. ـــــــــــ: **عمر بن قدور الجزائري**، م.و.ك، الجزائر، 1984.

77. ـــــــــــ: **محمد السعيد الزاهري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

78. الخطيب (عدنان): **الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وأعلام من خريجي مدرسته**، معهد البحوث و الدراسات العربية، الجامعة العربية، 1971.

79. خلف التميمي (عبد المالك): **الخليج العربي والمغرب العربي**، دراسات في التاريخ السياسي والاجتماعي والإقتصادي، دار الشباب، قبرص، 1986.

80. خيثر وآخرون، **منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية، 1830–1954م**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية.

81. دروزة (محمد عزة): **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، ج.1، ط.2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، 1959.

82. الدهان (سامي): **الأمير شكيب أرسلان ، حياته آثاره**، مكتب الدراسات الأدبية، دار المعارف لمصر، 1960.

83. الدوري (عبد العزيز): **التكوين التاريخي للأمة العربية**، ط4 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2003.

84. رابح عمامرة (تركي): **الشيخ عبد الحميد بن باديس**، ط5، منشورات A.N.E.P، 2001.

85. الراسي (جورج): **الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر**، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008

86. راشد (أحمد إسماعيل): **تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)**، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004.

87. رشوانا (حسين عبد الحميد): **الدين والمجتمع دراسات في علم الاجتماع الديني**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2004.

88. الركيبي (عبد الله): **الفرانكفونية مشرقا ومغربا**، شركة دار الأمة ، الجزائر.

89. رمضان (عبد العظيم): **الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة**، دار المعارف، القاهرة، 1985.

90. زبير (سيف الإسلام): **تاريخ الصحافة في الجزائر**، ج.4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

91. زريق (موفق): **نهضة أم تغريب قراءة ثقافية سياسية لتجاهات مرحلة النهضة من منظور الهوية**، دار المنارة، بيروت، 1996.

92. زكرياء (أحمد وصفي): **عشائر الشام**، ط2، دار الفكر، دمشق، سورية، 1983.

93. زكي (مجاهد): **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية**، ج2، ب.ت.ص.ص، مصر، (د.ت).

94. الزمرلي (الصادق): **أعلام تونسيون**، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

95. زوزو (عبد الحميد)، **الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية**، دار هومة، الجزائر، 2012.

96. ـــــــــــ: **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)**، ط.1، دار هومة، الجزائر، 2005.

97. ـــــــــــ: **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية بين الحربين (1919– 1939)**، ط.2، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

98. سطورا (بينيامين): **مصالي الحاج (1858– 1974)**، رائد الوطنية الجزائرية، تر: صادق عماري، ومصطفى ماجي، دار القصبة، الجزائر، 1958.

99. سعد الله (أبو القاسم): **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج.2،1،4، دار الغرب الإسلامي، ط.1، بيروت، 2003.

100. ـــــــــــ: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج.5، دار البصائر، 2007.

101. ـــــــــــ: **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

102. ـــــــــــ: **الحركة الوطنية الجزائرية**، 3.ج، ط.4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

103. ـــــــــــ: **بحوث في تاريخ العربي الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، ط.1، بيروت، 2003.

104. ـــــــــــ: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.3.4.5.6.7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998.

105. ـــــــــــ: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983.

106. ـــــــــــ: **حصاد الخريف**، ط.1، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

107. ـــــــــــ: **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

108. ـــــــــــ: **شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة**، ط3، الدار العربية للكتاب (المؤسسة الوطنية للكتاب)، 1984.

109.ـــــــــــــــ: **على خطى المسلمين، حراك في التناقض**، ط.1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

110.سعيد (إدوارد): **المثقف والسلطة**، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.

111.سعيدوني (نصر الدين): **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحماية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.

112.ـــــــــــــــ: **دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

113.سلطان (علي): **تاريخ سورية 1908–1918، نهاية الحكم التركي**، ط1، دمشق، 1987.

114.سنو (عبد الرؤوف): **النزاعات الكيانية الاسلامية في الدولة الإسلامية 1877–1881**، بيسان للنشر والوزيع، 1998.

115.الشامخ (محمد عبد الرحمن): **الصحافة في الحجاز 1908–1941**، ط 1، دار الأمانة، 1971.

116.شترة (خير الدين): **قضايا تاريخية في الإسهام الفكري والحضاري للنخب الجزائرية بالمهجر وأبحاث في قضايا فكرية معاصرة**، ج1، دار الصديق للنشر والتوزيع، 2015.

117.شرابي (هشام): **المثقفون العرب والمغرب**، ط.2، دار النهار للنشر، بيروت، 1981.

118.الشريف (محمد بن موسى): **عظماء منسيون في التاريخ الإسلامي** ،ج3، دار الأندلس الخضراء، 2010.

119.شعيب (علي عبد المنعم): **التدخل الأجنبي و أزمات الحكم في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2005.

120.الشهابي (مصطفى): **القومية العربية: تاريخ–مراحلها–قوامها**، ط2، مطبعة الرسائل، 1961.

121.الشيخ (محمد): **المثقف والسلطة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1991.

122.شيلشر (ليندا): **دمشق في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر**،تر: عمر ملاح، دار الجمهورية، دمشق، سوريا، 1998.

123.صاري (أحمد): **شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر**، ط1، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004

124.صاري (جيلالي)، قداش (محفوظ): **المقاومة السياسية (1900– 1954)، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري**، تر: عبد القادر حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987.

125.صايغ (أنيس): **الهاشميون والثورة العربية الكبرى**، ط.1، دار الطليعة، بيروت 1956.

126.الصعيدي (عبد المتعالي): **المجددون في الإسلام**، ط2، دار الحمامي، تونس، 1382 هـ/1962م.

127.صلاح (زكي أحمد): **أعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث**، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001.

128.الصيد (سليمان): **نفح الأزهار عما في صيد قسنطينة من الأخبار**، ط.2، المطبعة الجزائرية، الجزائر، 1994.

129.ضابط تركي سابق: **الرجل الصنم كمال أتاتورك**، تر: عبد الله عبد الرحمن، ط5، ج2، مؤسسة الرسالة، 1994.

130.ضيف الله (محمد الأخضر): **محاضرات في النهضة العربية الحديثة**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

131. طالبي (عمار): **آثار بن باديس**، ط3، مج2، الشركة الجزائرية، 1997.

132.الطاهر (محمد علي): **خمسون عاما في القضايا العربية**، مؤسسة دار الريحاني، د.س.ن.

133.طرشون (نادية): **الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

134.طلس (محمد أسعد): **تاريخ الأمة العربية، عصر الإنبعاث**، دار الأندلس، بيروت، 1963.

135.طمار (محمد): **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

136.ـــــــــ: **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

137.الطنطاوي (علي): **رجال من التاريخ** ، ط8 ، دار المنارة، جدة، 1990.

138.طوسون (عمر): **الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم 1853– 1855**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

139.عبد الرحمن (عواطف): **الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954–1962)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

140.عبد الساتر (لبيب): **التاريخ المعاصر – لبنان**، ط4، دار المشرق، بيروت، لبنان.

141.عبد القادر (صالح): **العقائد والأديان**، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2006.

142.العربي (إسماعيل): **الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

143.العسلي (بسام): **الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن جزائر الإسلام**، ط2، دار النفائس، بيروت، 1984.

144.العفاني (سيد بن حسين): **زهر البساتين من مواقف العلماء والربانيين** ، ج2 ، دار العفاني، القاهرة.

145.العقاد (صلاح): **ليبيا المعاصرة**، المطبعة الفنية الحديثة، بيروت، لبنان.

146.ـــــــــ: **محاضرات عن الجزائر المعاصرة**، ط.2، دار النهضة العربية، 1968.

147.العلوي (محمد الطيب): **مظاهر المقاومة الجزائرية (1954)**، ط.1، دار الجيل، قسنطينة، 1985.

148.علي حلاق (حسان): **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897–1909**، ط2، (د.م)، دار الهدى، 1990.

149.عمارة (محمد): **العلمانية بين الغرب والإسلام**، ط.1، دار الوفاء المنصورة، 1996.

150.ـــــــــ: **قاسم أمين وتحرير المرأة والتمدن الإسلامي**، ط.2، دار الشروق، مصر، 2008.

151.ـــــــــ: **الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق**، دراسة ووثائق، الطبعة العربية الجديدة، بيروت، 2000.

152.ـــــــــ: **الأعمال الكاملة لمحمد عبده**، ج.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

153.ـــــــــ: **الإمام محمد عبده يجدد الدنيا يجدد الدين**، ط.2، دار الشروق، القاهرة، 1988.

154.ـــــــــ: **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية (نموذج مصطفى كامل)**، ط.1، دار الشروق، القاهرة، 1988.

155.ـــــــــ: **الجامعة العربية والجامعة الإسلامية**، سلسلة ندوات القومية العربية والإسلام التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، أفريل 1981.

156.ـــــــــ: **تيارات الفكر الإسلامي**، ط.2، دار الشروق، القاهرة، 1997.

157.ـــــــــــ: **جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام**، ط.2، دار الشروق، القاهرة، 2007.

158.ـــــــــــ: **عبد الرحمان الكواكبي اضطهاد الحرية ومخلد الإسلام**، ط.3، دار الشروق، القاهرة، 2007.

159.عمر (عبد العزيز عمر): **تاريخ المشرق (1516– 1922)**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996.

160.ـــــــــــــــ: **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1990.

161.عميراوي (حميدة): **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827– 1840)**، ط.1، دار البعث، قسنطينة، 1987.

162.العياشي (مختار): **البيئة الزيتونية**، طبعة دار تركي للنشر، تونس، 1990.

163.الفاخوري (حنا): **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، مج،4 (أدب النهضة الحديثة)، ط.2، دار الجيل، بيروت، 1991.

164.الفاسي (عبد الحفيظ): **رياض الجنة**، ج1، الرباط، 1350هـ.

165.فضلاء (محمد الطاهر): **دعائم النهضة الوطنية الجزائرية**، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1984.

166.الفيكونت (فليب دي طرازي): **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج1، دار الكتب اللبنانية، بيروت، لبنان 1956.

167.فيلالي (عبد العزيز): **وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الدراسية**، ط.1، دار الهدى، بالجزائر، 2012.

168.قدورة (زاهية): **تاريخ العرب الحديث**، دار النهضة للطباعة العربية، بيروت، 1985.

169.قربان (ملحم): **تاريخ لبنان السياسي الحديث**، (د.ط)، ج1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.

170.قرنفل (حسن): **المجتمع المدني والنخبة السياسية**، ط1، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000.

171.القصاب (أحمد): **تاريخ تونس المعاصرة (1881– 1956)**، تر: حمادي الساحلي، ط.1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

172.قطب (محمد علي): **يهود الدونمة أصلهم نشأتهم وحقيقتهم**، ط.1، المطبعة الفنية، القاهرة، 1987.

173.قنان (جمال): **دراسات في المقاومة والاستعمار**، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.

174.ـــــــ: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1974.

175.ـــــــ: **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830– 1914)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

176.قنانش (محمد): **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبة، الجزائر، 2004.

177.كامل (مصطفى): **المسألة الشرقية**، د.ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ت، 120 صفحة.

178.كامل أوكي (ميم): **السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية**، تر: اسماعيل صادق، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1992.

179.لميش (صالح): **الدعم السوري لثورة التحرير الجزائرية**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

180.لوتسكي (فلاديمير): **الحرب الوطنية التحريرية في سوريا 1925–1927 (صفحة مشرقة من النضال العربي ضد الامبريالية الفرنسية)**، تعريب: محمد ذياب، سلسلة تاريخ المشرق العربي الحديث، دار الغارابي، بيروت، 1987.

181.مجموعة من الباحثين، **الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516**، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، ط1، الفنار، لبنان، 2001.

182.المحافظة (علي): **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798– 1914) الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية**، ط.2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1978.

183.محفوظي (عامر بن المبروك): **تحفة السائل بباقة من تاريخ ميدي نائل**، ط1، مطبعة النعمان، برج الكيفان، الجزائر، (د.ت).

184. محمد صالح (محسن): **القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة**، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2012.

185. محمد عارف (نصر): **نظرية النخبة ودراسة النظم السياسية العربية (الإمكانات والإشكالات)**، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة، 1996.

186. محمد عيسى النوري (حمو): **نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية**، ج1، دار الكروان، باريس، (د.ت).

187. محي الدين (صالح): **وقفات في تاريخ السودان**، ط2، دار مكتبة الهلال، السودان، 1995.

188. محيي الدين (حازم زكريا): **الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث**، دار القلم دمشق ،2001.

189. مراد (علي): **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي (1925– 1940)**، تر: محمد عياش، دار الحكمة، الجزائر، 2002.

190. المراكشي (محمد الصالح): **قراءات في الفكر العربي الحديث المعاصر**، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، 2012.

191. مرتاض (عبد المالك): **الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر**، ط.1، دار الجنابة، بيروت، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

192. مروة (أديب): **الصحافة العربية نشأتها وتطورها قديما وحديثا**، ط1، بيروت، 1961.

193. مطيع (محمد الحافظ)، أباظة (نزار): **علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري** ، ج1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991.

194. مفدي (زكرياء): **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، تح: أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، 2003.

195. مقلاتي (عبدالله) و لميش (صالح): **سوريا والثورة التحريرية الجزائرية**، دار شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

196. مناصرية (يوسف): **النشاط الصهيوني في الجزائر 1897–1962م**، ط1، دار البصائر، الجزائر، 2009.

197. ـــــــــــ: **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832– 1834)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

198. المنوني (محمد): **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ج 2، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، شركة النشر والتوزيع، الرباط، 1985.

199. مواعدة (محمد): **محمد الخضر حسين، حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1974.

200. ناصر (محمد): **أبو القيضان وجهاد الكلمة**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

201. ـــــــــــ: **عمر راسم المصلح الثائر**، مطبعة لافوميك، الجزائر.

202. الناكوع (محمود محمد): **أزمة النخبة في الوطن العربي**، ط1، دار الساقي للطباعة والنشر، بيروت، 1989.

203. النفير (محمد الشادلي): **التحدي**، المطبعة المصرية، تونس، 1985.

204. نوشي (أندري)، وآخرون: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح، منصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984.

205. هلال (عمار): **العلماء الجزائريون في البلاد العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (14/3هـ)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 353.

206. هلال (عمار): **المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر، 1830– 1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).

207. ـــــــــــ: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847–1918)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1912.

208. ـــــــــــ: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847م – 1918م)**، لافوميك، الجزائر.

209. ـــــــــــ: **نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954**، ط5، دار هومة، الجزائر، 2012.

210. وزارة الشؤون الدينية، **آثار الإمام عبد الحميد بن باديس**، ج.3، دار البعث، الجزائر، 1984.

211. ياغي (إسماعيل أحمد)، شاكر (محمود): **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، (قارة إفريقيا)**، ج.2، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1983.

II. باللغة الأجنبية:

01. Ageron (Ch.R) : **Les Algériens Musulmans et la France (1871–1919)** TI. Jre Ednen, P.U.F, 1986.

02. Ageron (ch.R) : **Hanin de L'lgérie curcemporaine (1871–1954)**, de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, T2, P.U.F, 1979.

03. Benda (Julien) : **La trahison des clercs**, Editions Grasset, Paris, 2003.

04. Berque (Jacques), **Maghreb Histoire et société de l'impérialisme à la décolonisation**, édition, Duclot et SNED, 1974, p.83

05. Christelow (Allan): **Musulim law courts and fransh colonial stat in Algeria**, princeton univercity, press, princeton Newjersey, 1985.

06. Faucon (Narcisse) : **Livre D'or de L'Algérie De 1830–1889**, préface M. le colonel Trunelet, Tl, Paris, 1889.

07. Hammoumi (Ahmed), Remaoun (Hassen) et autres :**L'Algérie**, **Histoire**, **Société et culture**, Editions casbah, Alger, 2000.

08. Kaddache (Mahfoud): **Histoire Du nationalisme Algérien (Question nationale et politique algérienne 1919–1951)**, T1-T2, SNED, 1980.

09. Kozelsky (Mara), **The Crimean War**, **1853–1856**, Kritika: Explorations in Russian and Eurasian History, 2012.

10. Merad (Ali), **Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940**, essai d'histoire religieuse et sociale (monton, Paris 1967) p. 37.

11. Rager (Jean-jacques) : **les musulmans algériens**, **en France et dans les payes islamiques**, société d édition les belles lettres, paris, 1950.

خامسا: الدوريات والجرائد والمجلات:

I. باللغة العربية:

01. أباضة (نزار): الشيخ طاهر الجزائري في المجتمع، **التراث العربي**، ع108، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، السنة السابعة والعشرون، مركز تحقيقات كامنتور – دمشق، سورية، ديسمبر2007.

02. الإبراهيمي (البشير): "أنا"، **مجلة الثقافة**، ج.87، السنة 15، 1985.

03. أحمد (محمد): الحياة الثقافية في العصر العثماني 1876-1918، **مجلة جامعة دمشق**، ع1، مج 27.

04. أحمد (محمد): الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني 1876-1918، **مجلة جامعة دمشق**، ع.1، مج27، 2011.

05. الأرناؤوط (محمد): الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة الفكرية الحديثة في بلاد الشام، **الأصالة**، ع67، وزارة الشؤون الدينية، مطبعة البعث – قسنطينة، الجزائر، مارس 1979.

06. اسطنبولي (محمد محبوب): أضواء على تاريخ المسرح في الجزائر، **مجلة آمال**، ع.35، سبتمبر- أكتوبر، 1976.

07. الأفغاني (سعيد): "تاريخ مفترى للسلطان عبد الحميد"، **مجلة البيان**، ع 35، فيفري 1969

08. آلان (كريستلو): المكي بن باديس وبعض نواحي الحركة الوطنية في القرن التاسع عشر، **مجلة الثقافة**، ع.61، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، فبراير، 1981.

09. الأنصاري (محمد حاير): تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، (1930- 1970)، **مجلة عالم المعرفة**، ع.35، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، نوفمبر 1830.

10. بن حسين (كريمة): "المتجنسون: مواقفهم، أفكارهم وطموحاتهم"، **مجلة العلوم الإنسانية**، ع:30، مج (أ)، جامعة منتوري قسنطينة، ديسمبر 2003م

11. بن عيسى (الطيب): "حياة الشيخ صالح الشريف"، **جريدة الوزير**، ع:16، بتاريخ 17 ذي القعدة 1338هـ/ الموافق لـ: 1920/08/02.

12. البوعبدلي (المهدي): عالم جزائري ساهم في إحياء التراث والثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي—طاهر الجزائري-، **الأصالة**، ع48 ، وزارة الشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1977.

13. التميمي (عبد الجليل): التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م، **المجلة التاريخية المغاربية**، ع1، تونس، جانفي، 1974م.

14. الجاسر (أحمد): رحلة التميمي لتونسي إلى الحج، **مجلة العرب**، الأعداد 7-8، السنة 16، محرم-صفر 1402هـ.

15. جغلول (عبد القادر): المثقفون الجزائريون المعاصرون 1880-1930م، (طور التكوين)، الحلقة الثانية، **جريدة اليوم**، ع 156، الجزائر 06 أوت 1999.

16. الجنان (مأمون): "العلامة محمد بن أبي شنب، أول دكتور جزائري في الوطن العربي، عضو مجمع اللغة العربية في دمشق"، **مجلة التراث العربي**، ع104، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

17. حداد (مصطفى): "خوالدية صالح أحد أفراد الرعيل الأول لحركة الشبان الجزائريين، نسيه المؤرخون"، **المجلة التاريخية المغاربية**، ع61-62، مطبعة بابيرس، زغوان، تونس، 1992.

18. الخالدي (وليد)، المكتبة الخالدية في القدس، **حوليات القدس**، ع3، 2005.

19. رابح (تركي): "البشير الإبراهيمي في المشرق العربي"، **مجلة الثقافة**، ع87، 1985.

20. الراعي (علي): "المسرح في الوطن العربي"، **مجلة عالم المعرفة**، ع.248، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1999

21. رضا (رشيد): المسألة العربية - مصلحة العرب و المسلمين في الدولة العربية، **المنار**، السنة 20، ع 1، 20 جوان1917.

22. زايد (أحمد): نخب ما بعد الإستعمار، **مجلة الديمقراطية**، مؤسسة الأهرام، العدد25، يناير 2007.

23. سعد الله (أبو القاسم): "رحلة الشرشالي إلى الحجاز والثورة العربية 1916"، على خطى المسلمين، حراك في التناقض، ط1، **عالم المعرفة**، الجزائر، 2009.

24. سعادة (مولود): النخبة والمجتمع- تجدد الرهانات ، **مجلة الباحث الاجتماعي**، جامعة باتنة، عدد 10، سبتمبر 2010.

25. سعد الله (أبو القاسم): "وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب"، **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 1، جانفي 1974، تونس.

26. سعد الله (فوزي): أملاك الجزائريين في فلسطين .. حارة المغاربة الجزائرية البحتة، **جريدة الوطن**، 2017/11/07.

27. سنو (عبد الرؤوف)، تطور الاتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية، **المنهاج**، ع4، بيروت، 1996.

28. صاري (أحمد): "الجديد عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر وقسنطينة"، **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، ع2، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، مارس 2003.

29. ضاهر (مسعود): "الحياة الفكرية في مدينة بيروت قبيل الحرب العالمية الأولى (1908-1914)، **المجلة التاريخية المغربية**، ع.57-58، جويلية 1990.

30. طرشون (نادية):الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام، **الرؤية**، ع3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، السداسي الأول 1997.

31. عمر الخطيب (عدنان): تقريب المجاز إلى مسائل المجاز -الشيخ طاهر ابن صالح الجزائري-، **التراث العربي**، ع.108، إتحاد الكتاب العرب، مركز تحقيقات كامنتور - دمشق، سورية، السنة السابعة والعشرون، ديسمبر 2007.

32. العمري (مرزوق): الشيخ طاهر الجزائري ونظرته إلى تدريس العقيدة، **التراث العربي**، ع108، إتحاد الكتاب العرب، مركز تحقيقات كامنتور - دمشق، سوريا، السنة السابعة والعشرون، ديسمبر 2007م ،

33. عويمر (مولود): "الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة"، **مجلة الوعي**، ع3-4، أفريل-ماي، 2011.

34. عيدان المجمعي (محمد شطب): النخبة السياسية وأثرها في التنمية السياسية، **مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية**، السنة 1، المجلد 1، العدد 4، 2009.

35. غالم (محمد): "من أرشيف الإدارة الاستعمارية في الجزائر: الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية"، **مجلة إنسانيات**، مج3، ع12، مركز البحث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية (RASC) سبتمبر- ديسمبر2000

36. فضلاء (محمد الطاهر): من أعلام النهضة الوطنية الشيخ الطيب العقبي، **مجلة ثقافية**، ع: 66، نوفمبر- ديسمبر 1981.

37. فيلالي (كمال): الحراك السوسيو-تاريخي للفاعلين وتطور مفهوم النخبة في تاريخ الجزائر الحديث، **مجلة الهجرة والرحلة**، عدد1، جامعة منتوري قسنطينة، أفريل 1995.

38. كرو (محمد أبو القاسم): **المهاجرون التونسيون من سنة 1860 إلى الحرب العالمية الأولى، ن/م.د.ااأ**، ع2، جوان 1975.

39. كوليت (أسماء)، مظاهر خصوصية النُّخب السياسية، **المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي**، العدد 9 – 10، 1989.

40. لاهوست (هنري): الحركة الإصلاحية السنية المعروفة بالسلفية والصفات العامة لوجهتها الحاضرة، **مجلة المغرب الجديد** ، ج2 ، السنة الأولى، جويلية 1953م.

41. لكريني (إدريس): النُّخبة السياسية وأزمة الإصلاح في المنطقة العربية، **مجلة الديموقراطية**، مؤسسة الأهرام بمصر، العدد 25 يناير2007

42. المبارك (مازن)، تاريخ الشيخ طاهر الجزائري، **آفاق الثقافة والتراث**، ع01، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، جوان 1993.

43. المبارك (هاني): الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المربي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، **التراث العربي**، ع108، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، السنة السابعة والعشرون، مركز تحقيقات كامنتور، دمشق، سوريا، ديسمبر 2007.

44. محمد أديب (رغداء): طاهر الجزائري وحلقة دمشق الكبرى ، **التراث العربي**، ع 108، اتحاد الكتاب العرب، مركز تحقيقات كامنتور – دمشق، سوريا، السنة السابعة والعشرون، ديسمبر 2007.

45. مسعود (العيد): "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق"، **مجلة سيرتا**، ع1، قسنطينة، 1979

46. النابلسي (شاكر): السياسة بين الجماهير "الدهماء" والنخبة، **الوطن**، 2013/11/08

47. ناجي (عبد النور): البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية، **مجلة التراث**، العدد 108، د.ت

48. هلال (عمار): أصداء الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، **الثقافة**، ع 88، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، السنة الخامسة عشرة، جويلية 1985.

II. باللغة الأجنبية:

01. Bencheneb (Rachid), < Le mouvement Intellectuel et littéraire Algérien à la fin du XIXe et au début du XXe siècle> In: **Revue française d'histoire d'outre-mer**, t 70, N°258-259, paris, 1er et 2em trimestre, 1983.

02. Bouvat (L), La presse musulmante, **"Al-Kibla"**, journal arabe de la mecque, R.M.M, T. 34, 1917-1918, p-p 320-328.

03. J. Desparmet, " Le Panarabisme et la Berbérie ", **A.F**, N°8, février, 1938.

04. Joseph H. Escovitz, "He Was the Muhammad Abduh of Syria" a Study of Ta hir al-Jazairi and His Influence, **International Journal of Middle East S Studies**, Vol. 18, No. 03 Aug 1986.

05. Merad (Ali), " L'émir Khaled (1875-1936) vu par Ibn Badis (1889-1940)", In: **Revue de Occident Musulman et de la Méditerranée**, N°9, 1971 .

06. N.S-L.B: «Catatlogues dorientalisme», **R.M**, janvier,1907

سادسا: أعمال الملتقيات والندوات:

01. بوعزيز (يحي): "**دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير 1954– 1960**"، الملتقى الوطني الثاني للثورة، مج2، ج2، المنظمة الوطنية للمجاهدين، 1984.

02. الخالدي (سهيل): **الدور الجهادي للمهاجرين الجزائريين في حركة التحرر القومي العربي خلال القرن العشرين**، ، الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال، فندق الأوراسي 30 – 31 أكتوبر 2006 منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

03. سعد الله (أبو القاسم): **هجرة بعض الأعيان الجزائريين (1830 – 1847)**، الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال ،فندق الأوراسي 30 – 31 أكتوبر 2006 منشورات وزارة المجاهدين 2007.

04. عصام (موسى): محمد بن أبي شنب والمحافل الاستشراقية (مؤتمر الجزائر 1905م أنموذجا)، **سلسلة محاضرات الملتقى الدولي بولاية المدية بعنوان: الدكتور محمد بن أبي شنب والاستشراق**، من 07 إلى 10 ديسمبر 2014م، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، شيكو للطباعة والنشر، الجزائر، 2015.

05. الغربي (الغالي): **المساهمة الفكرية للمهاجرين الجزائريين في بلاد الشام – الشيخ طاهر الجزائري أنموذجا–** الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال، فندق الأوراسي 30 – 31 أكتوبر 2006، منشورات وزارة المجاهدين، 2007.

06. غزالي (الهواري): المقاومة الثقافية مطلع القرن العشرين بالجزائر، دراسة لترجمة محمد بن أبي شنب لنص في البيداغوجيا الإسلامية في: **أعمال الملتقى الدولي الأول حول محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري**، المنعقد بالجزائر 15-17 ديسمبر 2009م، ط2، مؤسسة صونيام، الجزائر، 2013.

07. هاين (بيشر): **قومي من شمال إفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى (صالح الشريف التونسي)**، محاضرة بمعهد التاريخ والجزائر يوم 03/1985/06 ملخص عنها في مجلة الدراسات التاريخية تقديم وتعليق: محمد بلقاسم، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، عدد 01، 1986.

سابعا: الرسائل والأطروحات الجامعية:

I. أطروحات الدكتوراه:

01. بن عدة (عبد المجيد): **الخطاب النهضوي في الجزائر (1925–1954)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: نصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2010/2009.

02. حباطي (عايدة): **التيارات الفكرية في المشرق وصداها لدى النخبة العربية في الجزائر (1900–1939)**، أطروحة دكتوراه العلوم في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشراف: صبرينة الواعر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، الجزائر، 2019/2018.

03. حضري (فضيل): **تشكّل النُّخبة الدينية في الجزائر، دراسة ميدانية بمنطقة تلمسان**، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية: 2013/2012.

04. حميدي (أبو بكر الصديق): **قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920–1954)**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد المجيد بن عدة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2011/2010.

05. خيثر (عبد النور): **تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية (1954–1962)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف: حباسي شاوش، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2006/2005.

06. دراوي (امحمد): **قضايا المجتمع الجزائري في اهتمامات النخبة الإصلاحية (1900–1920)**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف: مولود عويمر، جامعة الجزائر 2، 2015/2014.

07. دويدة (نفيسة): **المسألة الثقافية في الجزائر في منظور التيار الليبرالي للحركة الوطنية الجزائرية (1827–1945)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر (مرقونة)، إشراف: مولود عويمر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2010/2009.

08. عمري (الطاهر): **النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1900–1940)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف: أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، الجزائر، 2004/2003.

09. عومري (عبد الحميد): **الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1880–1914م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2017.

10. فشار (عطاء الله): **النخبة الجزائرية: جذورها–تطورها–اتجاهاتها (1914–1954)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، (مرقونة)، إشراف: بن يوسف تلمساني، جامعة الجزائر، 2009/2008.

11. فيلالي (عبد العزيز): **تلمسان في العهد الزياني: دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، إشراف: موسى لقبال، جامعة الجزائر، 1995.

12. قرين (مولود): **النخبة الجزائرية، مواقفها الوطنية واهتماماتها العربية الإسلامية (1892–1927)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، (مرقونة)، إشراف: عبد المجيد بن عدة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2017/2016.

13. لونيسي (رابح): **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920–1954م)**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف: محمد العربي زبيري، جامعة الجزائر، 2004-2003.

14. مريوش (أحمد): **الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: نصر الدين سعيدوني، جامعة قسنطينة، 2006/2005.

15. مزيان (سعيدي): **السياسة الإستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871–1914)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، (مرقونة)، إشراف: شاوش حباسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008.

16. معريش (محمد العربي): **الاستشراق الفرنسي في المغرب العربي من خلال المجلة الآسيوية الفرنسية، (1828–1878)**، أطروحة دكتوراه دولة، (مرقونة)، إشراف: أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007م

17. هزرشي (بن جلول): **الجزائريون والتضامن العربي الإسلامي (1911–1954)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، (مرقونة)، إشراف: بن يوسف تلمساني، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية: 2013/2012م.

II. مذكرات الماجستير:

18. إبرير (حمودي): **الحركة الوطنية الجزائرية و مواقفها من القضية الفلسطينية 1917م– 1962م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف: عمار بن سلطان، جامعة الجزائر، 2003/2002.

19. أبو ميزر (ابتسام)، **سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطورية العثمانية (1908–1909)**، رسالة ماجستير، إشراف: د. سليم تماري، كلية الدراسات العليا، جامعة بير زيت، فلسطين، 2017.

20. آيت بعزيز (عبد النور)، **الشيخ المولود الحافظي (1800–1948)، جهوده الإصلاحية، ونشاطه التربوي**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 2002.

21. بلعجال (أحمد): **الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005.

22. بلقاسم (محمد)، **الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910–1954)**، رسالة ماجستير، مرقونة، إشراف: أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 1994/1993.

23. بن رابح (سليمان): **العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: صالح فركوس، جامعة الحاج لخضر–باتنة، 2007/ 2008.

24. بن شيخ (حكيم): **دور الأمير خالد في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين (1912–1936م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف: يحياوي مسعودة، جامعة الجزائر، 2001–2002.

25. بن عدة (عبد المجيد)، **مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال الرواد المصلحين (1900–1925)**، رسالة ماجستير (مرقونة)، إشراف: قنان جمال، جامعة الجزائر، 1992/1991.

26. توانزة (محفوظ): **القضية الفلسطينية في الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية من 1914 إلى 1948**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف، عمار بن سلطان، جامعة الجزائر، 2002/2001.

27. حباطي (عايدة): **التجنس وموقف الجزائريين منه (1919–1939)**، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2012/2011.

28. خمري (جمعي): **حركة الشبان الجزائريين (1900–1930)**، رسالة ماجستير، إشراف: حداد حسين، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1994.

29. ذياب (هشام)، **محمد المكي بن عزوز "حياته، مواقف وآثار" (1854–1916)**، رسالة ماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، إشراف: صالح لميش، جامعة محمد بوضياف – المسيلة، 2014/2013م.

30. السيد الشوكي (عبد الرحمن): **مصر والحركة الوطنية في الجزائر منذ الح.ع.I حتى الإستقلال**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، مصر، 1991.

31. سيدي موسى (محمد شريف): **الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع هجري إلى بداية القرن العاشر هجري (13–16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2001/2000.

32. طارق مخنان، **أزمة غياب دور النخبة المثقفة الجزائرية في التغيير**، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة قاصدي مرباح –ورقلة – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، 2012/2011.

33. طرشون (نادية): **الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام (1847–1911)**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985/1984.

34. فراد (محمد أرزقي)، **الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي (1866–1952)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، إشراف: يحياوي مسعودة، جامعة الجزائر، 2005/2004.

35. قن (محمد): **الخلافة العثمانية وصدى سقوطها في الجزائر ومصر 1876–1924م/ 1293–1342هـ**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، بن يوسف تلمساني، جامعة الجزائر، 2007/2006.

36. لعميد (عبد العزيز): **الشيخ طاهر الجزائري ودوره الإصلاحي في المشرق العربي (بلاد الشام أنموذجا 1852–1920)**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة ، كلية الآداب و العلوم الانسانية ، قسم التاريخ 2001.

37. مريوش (أحمد): **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، رسالة ماجستير (مرقونة)، إشراف: أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 1992/1991.

38. معروف سالم الجبوري (مواهب): **جمال باشا ودوره السياسي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، العراق، 2004.

ثامنا: الدواوين:

01. إبراهيم (حافظ): **ديوان حافظ إبراهيم**، ج1، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، 1989.

تاسعا: المعاجم والقواميس والموسوعات.

I. بالعربية:

01. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري): **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، دار صادر، (د.ط)، بيروت، لبنان، (د.ت).

02. بدوي (أحمد زكي): **معجم المصطلحات السياسية والدولية**، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989

03. بن نعمية (عبد المجيد)، بن معمر (محمد)، الحمدي (أحمد): **موسوعة أعلام الجزائر 1830–1954**، ط.خ، وزارة المجاهدين ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، بمناسبة الذكرى 45 لعيد الاستقلال و الشباب.

04. بوزواوي (محمد): **معجم الأدباء و العلماء المعاصرون** ، الدار الوطنية للكتاب ، 2009.

05. دينكن (ميشيل): **معجم علم الاجتماع**، تر: د. إحسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980.

06. الزركلي (خير الدين): **الأعلام، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين**، ج3، ج5، ج10، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2006.

07. عاشور (شرفي): **معلمة الجزائر**، القاموس الموسوعي، دار القصبة للنشر ومنشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار.

08. فوال باباتي (عزيزة): **موسوعة الاعلام، العرب والمسلمين والعالميين**، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.

09. كحالة (عمر رضا): **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب)**، ج1، ج9، ج13، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

10. الكيالي (عبد الوهاب)، **الموسوعة السياسية**، ج1، ج3، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.

11. نويهض (عادل): **معجم أعلام الجزار من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت، 1980.

II. بالأجنبية:

01. Akoun André et autre, **Le Robert**, seuil, dictionnaire de sociologie, France, Editions: les presses de Mama, Octobre 1999, p175.

02. **The Oxford English Dictionary**, Vol.111, Great Britain, Oxford, University Press, 1969.

عاشرا: المواقع الإلكترونية:

I. بالعربية:

01. أبوهنيّة (حسن): **استلاب الإسلام: جدل الديني والسياسي**، التقرير، السبت 30 أغسطس 2014: https://altagreer.com.

02. الجابري (محمد عابد): **مفهوم الثقافة .. وقاموس الخطاب العربي المعاصر**، مركز دمشق للدراسات النظرية وحقوق الإنسان 2007/12/11:

http://www.mokarabat.com/s3011.htm

03. الجميعان (عبدالرحمن): **طبقة رجال الدين!** (2)، النهار، العدد 1846، الأربعاء 5 سبتمبر 2012:

http://www.annaharkw.com/annahar/Article.aspx?id=347596&date=05092012

04. جوزيف (اسكوفيتز): **محد عبده السوري**:
http://kassariyat.blogspot.com/2014/05/TahirAl-Jazairi.html

05. شاكر النابلسي، **السياسة بين الجماهير "الدهماء" والنخبة**، الوطن، 2013/11/08:
http://alrasidaltanweeri.com/news77.html

06. فاضل ثامر، **النخبة الثقافية العراقية**، جريدة تاتوو، السبت 19-01-2013، نقلا عن:
http://www.tatoopaper.com/news.php?action=view&id=1066

07. عبد الرحمن الجميعان، طبقة رجال الدين! (2)، **النهار**، العدد 1846، الأربعاء 5 سبتمبر 2012:
http://www.annaharkw.com/annahar/Article.aspx?id=347596&date=05092012

08. لونيسي (رابح): العلاقة الجدلية بين الثقافتين الفرنسية والجزائرية في العهد الاستعماري وانعكاساتها، **دورية كان التاريخية**، ع15، مجلة الكترونية، مارس 2012.
www.Kanhistorique.org

09. محسن (عبد الجبار): **النخبة ودورها**، موقع الحقيقة:
http://www.factjo.com/pages/memberdetails.aspx?id=900

II. بالأجنبية:

01. Adil Salahi, Scholar of renown: **Tahir Al-Jazairi**, arab newsstaff, Monday 02 September 2002.
http://www.arabnews.com/node/223865.

الفهارس:

أولا: فهرس الأعلام.

ثانيا: فهرس الأماكن.

ثالثا: فهرس الدوريات والجرائد.

رابعا: فهرس الجمعيات والمؤتمرات والهيئات والأحزاب السياسية.

خامسا: فهرس الموضوعات.

– فهرس الأعلام –

– أ –	
إبراهيم آغا الجوهري	317
إبراهيم المويلحي	134
إبراهيم النجار	333
ألفريد لوشاتليه	154
إبراهيم بن بريهمات	57
إبراهيم بن يوسف أطفيش	233
إبراهيم اليازجي	136-112
أبو الأعلى المودودي	27
أبو الطيب المتنبي	375
أبو العباس حميدة بن باديس	59-58
أبو القاسم سعد الله	45-50-55-69-75-76-86-92-183- 186-204-236-284-341-396-447.
أبو القاسم الحفناوي	68-69-97-262
أبو الهادي الصيادي	289
أبو اليقضان	99-419
أبو بكر الحمداني	27
أبو بكر الصديق (الخليفة)	419
أرزقي الشرفاوي الأزهري	227-415
أجرون شارل روبير	73-94-155-227-449
إحسان الجابري	39
أحمد الأغريسي (الوغريسي)	234
أحمد البرزلي	176
أحمد بن الشريف السنوسي	353
أحمد الصلح	317-318-319-320.
أحمد أمين	115-132

إحسان مصطفى	340
أحمد بن عليوة المستغانمي	239
أحمد بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري	289-235-260
أحمد بوشمال	99
أحمد بوضربة	73-57
أحمد توفيق المدني	77-98-99-203-211-282-305-398-399-409-411-416-426-430-446
أحمد تيمور	240
أحمد جمال باشا (السفاح)	115-119-278-308-333-334-335-354-363-364-365-366-387-406-410-411
أحمد الشقيري	334
أحمد ردوسي	99
أحمد رضا حوحو	177-230
أحمد زروق	289
أحمد زكي	242
أحمد شوقي	137-176
أحمد ظافر	269
أحمد فارس الشدياق	112-134-282
أحمد قدري	273-275
أحمد الطيب بن سالم	153-161-220-230-232-381
أحمد عرابي	110-397
أحمد فيض أبادي	176
أحمد لوذيني	301
أديب إسحاق	110-321
الأخضري الدكتور	54
أدهم الجندي	270-279

إدوارد سعيد	37
أدولف كريميو	393
اسماعيل حامد	73
إسماعيل (الخديوي)	137
إسماعيل الصفار	280
إسماعيل الصفائحي	386-312-310-304
إسماعيل ماضي	99
الأصمعي	27-26
أفلاطون	33-24
الأفوه الأودي	28
إلياس رسام	269
أمين الشميل	112
أمين باي المغربي	298
أمين لطفي الحافظ	274
أندري سرفي (A-Servie)	405-45
أندري سيرفي	51
آيت عمر	57
آيت منقلات	60
إيليا حريق	28
إيميل لارشي	81
- ب -	
ابن الفكون	57
ابن قانة	57
باريتو فيلفريدو	43-37-33
بريمون (الكولونيل الفرنسي)	408-366-227
باربديت	166-162
البشير الإبراهيمي	-206-196-178-177-176-174-64-56

	211-230-237-238-299-338-365- 427-445-449
بطرس البستاني	113
بلفور آرثر جمس	129
بلقاسم أبا عزيزن	53
بلقاسم ولد احميدة التهامي	61-73-89-186-417
بنتام جيريمي	33
بندا جوليان	38
بن دالي كحول	69
بسمارك	317
بونكاري	89
بيجو الجنرال (Bugeaud)	101
البوجليلي (الشيخ)	209
- ت -	
تاديس شنودة	111-134
تشومسكي أفرام نعوم	38
تقي الدين أحمد ابن تيمية	249-259
تقي الدينى الحصني	319
توفيق السويدي	275
توفيق الناطور	275
توم بوتمور	29-33
- ج -	
الجازولي باش تارزي	304
جاك بوفراس	60
جاويد باشا	393
جرجي زيدان	112-136
جمال الدين أبو الفضل ابن منظور	26

جمال الدين الأفغاني	66-108-109-189-396-401-403-427
جمال الدين القاسمي	268-330
جمال الدين سفينجه	388
جمال باشا المرسيني الصغير	370-400-413-414
جمال بيهم	323
جمال قنان	55
جميل الحسيني	114-273
جميل رفعت	298
جميل مردم	275-281
جورج أبيض	138-193
جورج أنطونيوس	113-115-272
جورج بالانديه	36
جورج حداد	268
جورج كليمنصو	88
جورج ليند برج	35
جول فيري	88-451
- ح -	
احميدة بن الطيب بن عليوة الجزائري	235
احميدة عباس	61
الحاج إسماعيل بن محمد	304
الحاج الطيب بن وادفل	58
الحاج شلبي بن جلول	150
الحاج عبد الله المدعو (بوكابوية)	390
الحاج محمد التلمساني	225
الحاج مصالي	211-445
حافظ إبراهيم	176-193
الحبيب التونسي	237

حسن بن بريهمات	186-58
حسن بن محمد العطار	134-128
حسن بن موسى	148
حسن بيهم	323
حسن ظافر	308-306-300
حسين (الداي)	148
حسين أحمد الهندي	175-174
الحسين بن علي (شريف مكة)	-360-342-338-286-239-118-117-116 -407-385-376-375-371-364-363-361 421-413-410-409
حسين حمادة	273
حقي باشا العظم	391-332-277-273
حمدان بن علي الجزائري	314-309
حمدان خوجة	295-234-91
حمدان لونيسي	299-295-235-230-175-174-87-65-47
حميدة بن الطيب بن علال الجزائري	231
حميدة بن باديس	59
الحواس البوزيدي	417
- خ -	
ابن خلدون عبد الرحمن	254-71
خالد بن الهاشمي الحسني الجزائري (الأمير)	-297-281-193-100-78-75-73-50-49 -439-438-421-416-408-346-326-306 449-444-443-442-441
خالد بن الوليد	375-348-274
خليل اليازجي	194 -138
خليل باشا حمادة الوزير	274-272
خليل خوري	111

خير الدين التونسي	426
خير الدين بربروس	304
– د –	
داروين شارلز	26
دانتي أليغيري	76
داوود الدبوني	332
الدراجي بن الحسين	304
درغوث رايس	304
دو فرانس	298-228
دو لابونيار	184
دومينيك لوسياني	169-167-156-152
ديبارمي	73
ديزموند ستيوارت	376-373
– ذ –	
الذهبي شمس الدين	36
– ر –	
رابح زناتي	73
رحو الضابط الجزائري	230
رشيد الحكيم	328-268
رشيد الشمعة	274-268
رشيد القسنطيني	193-100
رضا الركابي	375
رفاعة رافع الطهطاوي	128-110
رفيق التميمي	275
رفيق العظم	333-273-114
رفيق رزق سلوم	273

روبرت داهل	29
روتشيلد إدمون	128
رؤوف بك باشا	243
رينيه باسي	77
- ز -	
زكي مغامز	269
زويمر صموئيل	129
زيدان الشنقيطي	358-237-176
- س -	
اسكندر فرح	137
سارتر جان بول	37
سامي الحريديني	277
سامي العظم	268
سان سيمون (Simon)	357
سعد الدين بن أبي شنب	204-69-48
سعد زغلول	421-421
سعدان الدكتور	54
سعيد الصلح	273
سعيد بن قاسم الجزائري	288
السعيد بن محي الدين الجزائري	233
سعيد حليم باشا	350-278
سعيد عباس	61
سعيد فاسي	73
سليم النقاش	137-110
سليم بك الجزائري السمعوني	164-235-237-260-268-272-273- 274-278-279-280-284-327-329- 332-346-347-359

سليمان الباروني	440-433
سليمان التاجي الفاروقي	271
سليمان القرداحي	137
سهيل الخالدي	289-235
سيف الدين الخطيب	273-113
- ش -	
شارل جونار	382-190-185-184-69
شارل لافجري	287
شارل لوتر	339-213
شاكر الأتاسي	269
شبيب الأسعد	279
شريف بن حبيلس	73-62
الشريف جعفر	269
الشريف بن علي الشريف	72-59-51
شعيب بن عبد الله الجليلي	190
شفيق المؤيد العظم	274-269
شكري الأيوبي	373-372-269
شكري الحسني	269
شكري العسلي	335-329-274
شكسبير	193
شكيب أرسلان	-309-308-213-210-204-203-202-66 408-343-340-335-331
شلبي شميل	277
شمس الدين محمد ابن الجوزية	249-248
الشهابي عارف الأمير	43
الشيخ الحداد	295-230-153
الشيخ بوعمامة	396

- ص -	
الصادق المازوني	234
صادق المؤيد العظم	269
صالح الشريف	295-304-305-306-310-311-313-385-386-409
صالح بن أحمد السمعوني	233-289-313
صالح بن جلول	54-390-431
الصالح بن مهنا	133
صالح خوالدية	302-303-397-438-399-404-409
صالح قنباز	268-328
صلاح الدين الأيوبي	222-373
صلاح الدين العظم	268
صلاح الدين القاسمي	268-328-329
- ض -	
ضادي غازتوت	304
- ط -	
طالب النقيب	274
طاهر السمعوني بن محمد الصالح	164-أغلب صفحات الفصلين الرابع والخامس.
طاهر بن أحمد بن محي الدين	276-334
الطاهر عمري	56
الطيب التنبكتي	177
الطيب الساسي	287
الطيب العقبي	177-203-204-210-215-229-235-237-239-286-287-290-327-336-337-339-340-341-446-448-449
- ع -	
عادل أرسلان (الأمير)	331

عادل الصلح	315
عارف الشهابي	327-268
عارف الماردیني	269
عارف النكدي	331
عارف حكمت	177
عاصم بسيسو	280-273
عائشة هانم	406
عباس أحمد	61
عباس حلمي (الخدودي)	298-248
عبد الباقي بن محمد السعيد بن محي الدين	235
عبد الجبار محسن	30
عبد الجليل التميمي	407
عبد الحفيظ بن الهاشمي	394-239-99
عبد الحليم بن سماية	199-68-58-50-47
عبد الحميد الثاني (السلطان)	109-115-122-123-124-125-126-141-162- 170-231-237-245-276-294-295-299-356- 359-382-385-386-387-391
عبد الحميد الزهراوي	272-273-274-329-332
عبد الحميد بن باديس	47-48-59-71-99-174-175-176-178- 204-231-235-237-255-417-418- 419-433-448-449-450-452
عبد الرحمن الدرقاوي	359
عبد الرحمن الكواكبي	327-344-426
عبد الرحمن شهبندر	268-329
عبد الرزاق البيطار	268
عبد السلام الشطي	233
عبد السلام بنونة	440
عبد العزيز الثعالبي	69-426-427-429-430-440-442-443

عبد العزيز الدوري	318
عبد العزيز السلطان المغربي	357
عبد العزيز جاويش	304
عبد العزيز جاويش	305-192
عبد الغني العريسي	331-284-281-275
عبد الغني محمود	176
عبد الفتاح أبو غدة	257
عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري (الأمير)	-154-153-150-149-148-78-77-50 -230-224-221-219-208-164-162 -270-268-260-239-234-233-232 289-284-272+أغلب صفحات الفصل الخامس+382-439
عبد القادر المجاوي	449-88-67-66-59-47
عبد القادر المغربي	344
عبد القادر بن علي (الأمير الحفيد)	-355-352-351-345-334-275-273 -367-366-365-364-363-362-360 -374-373-372-371-370-379-368 411-410-408-384-377-376-375
عبد القادر جغلول	77-74-63
عبد القادر حلوش	55
عبد الكريم الخطابي	443-438-359
عبد الكريم الخليل	272-114
عبد الكريم باش تارزي	58
عبد الكريم قاسم الخليل	273
عبد الله أبو السعود	134
عبد الله الحيدري	269
عبد الله الخالدي	239
عبد الله النديم	111-108

عبد الله بن الحسين (الأمير)	360-339-338-230
عبد المالك بن عبد القادر الجزائري	235-237-297-345-354-355-356- 357-358-359-360-383-384-408- 434-436-437-438-439-443
عبد المطلب (شريف مكة)	323-339-341-370-418
عبد الهادي المبارك	289
عبد الوهاب المليحي	329
عثمان مردم	268-329
العربي التبسي	178-235
العربي فخار	62
عريف طاهر باي	298
عزة الجندي الدكتور	273
عزة العظمي	273-274
عزت الحبيب	298
عزمي بك	278
عزيز (عبد العزيز) الحداد	230
العزيز الوزير التونسي	176
عزيز علي المصري	273-274-332-333
عصمت باشا	406
علاء الدين عابدين	265
علي السحنوني	230
علي باش حامبة	305-310-440
علي بن أحمد اليشرطي	324
علي بن أحمد بن سماية بن حسن خوجة	58
علي بن الحفاف	149-233
علي بن الحاج موسى	66
علي بن جبارة	431

علي بن عبد القادر الجزائري (الأمير)	297-306-307-334-345-350-351- 352-353-354-364-383-384-429
علي بوضربة	57
علي رضا الغزالي	280
علي سلطان	329
علي عبد الرزاق	420
علي فخار	62
علي ماضي	135
علي مبارك	129-242-247
علي يوسف	288
عمار بن الأزعر	230
عمار عباس	61
عمار هلال	173-226
عمر أشرف	269
عمر المختار	429
عمر بن بريهمات	58
عمر بن عبد القادر الجزائري (الأمير)	275-334-335-410-411
عمر بن قدور	48-65-66-67-70-189-288-389-390- 392-393-394-395-400-401-402- 403-423-431
عمر بوضربة	73-88
عمر راسم	48-70-98-388-389-393-394-395- 420-423-499
عمر طوسون المصري	333-403
	غ
غرامشي أنطونيو	37
غليوم الثاني	384

– ف –	
فاران (Farrand)	101
فارس الخوري	329
فارس نمر	112
فارلي (الجنرال)	91
فارني Varnier	167
فاني كولونا	53
فايز الغصين	413-371
فتح الله فرنسيس	112
فرح أنطوان	138
فرحات عباس	407-91-54-53-45
فردريك نيتشه	37
الفضيل الورتيلاني	178
فلاديمير لينين	319
فليب فليبس	128
فؤاد باشا (الوالي)	342
فيصل بن الحسين (الأمير)	365-361-360-349-276-251-245- 421-412-372-369-366
فيكتور ديمونت	159-148
فيكتور هيقو	75
فيليب دي طرازي	297-136
– ق –	
قاسم كمال	407
قاضي الشريف بن العربي	173-161-73
قدور بن رويلة	381-233-229-149
قدور بن سليمان	230
قدور بن غبريط	362-196

قدور بن محمد الميزوني	424
قدور ردوسي	99
قوليه (Gauliez)	88
- ك -	
كادي (الكومندان)	229-228-227
كارل مانهايم	39
الكامل بن عزوز	299
كانتين جيمس	128
كحول محمود	70
كلونا (باحثة)	62
كونسيلت سيناتوس	81
- ل -	
لافيجري الكاردينال	286
لطفي الحفار	328-268
لطفي السيد	111
اللنبي (الجنرال)	376-373
لو شاتولييي	168
لورنس توماس ادوارد	373-372-369-368-367-366-365- 414-377-376-375-374
لويس بودي	69
لويس تريمان	186
لويس خوجة	72
لويس شارل نابليون (شارل العاشر)	81
لويس ماسينيون	230
لويس هنري دو قيدون	181
ليوجي رينالدي	71
ليون روش	388

- م -	
عبد الجليل التميمي	407
عبد الله الخالدي	239
مارون النقاش	137-111
مبارك الميلي	99
مبارك بن كبلوت	56
محب الدين الخطيب	362-331-330-329-277-268-211
محسن زكرياء	261
محفوظ سماتي	44
محفوظ قداش	56
محمد ابن العربي	75-58
محمد ابن العنابي	148
محمد أحمد المهدي	396
محمد الأمين العاملي	317
محمد التهامي شطة	304-297-283-237-235-206-164-152
محمد الحصني	232
محمد الخضر حسين	429-409-336-312-308-307-301-261-211-68
محمد السحنوني	230
محمد السعيد أبو يعلي الزواوي	419-343-327
محمد السعيد الزاهري	423-204-60
محمد السنوسي	426-229-210-203-186
محمد الشاذلي القسنطيني	381
محمد الشريف اليعقوبي	239
محمد الشريف بك الجزائري	134
محمد الشيبي التونسي	312-309

محمد الصالح عباس	61
محمد العابد الجيلالي	99
محمد العالم	298
محمد العيد آل الخليفة	204
محمد المبارك	260-239-234-232
محمد المحمصاني	331-275
محمد المخزومي	269
محمد المرتضى الحسني الجزائري	234
محمد المرزوقي	260
محمد المقراني	360-345-153-148
محمد المكي بن عزوز	-298-295-263-262-261-260-237 429-426-409-308-301-300-299
محمد أمزيان	60
محمد باش حامبة	312-310
محمد باشا بن عبد القادر	325-306-300-295-289
محمد بخيت المطيعي	196-175
محمد بن أبي شنب	77-76-58
محمد بن اسماعيل	396
محمد بن الخروبي القلعي	313-233
محمد بن سعيد الشريف	59
محمد بن الشاهد	150
محمد بن الصغير	304
محمد بن رحال	78-77-75-74-59-57
محمد بن عبد الله الخالدي	313-233
محمد بن عيسى أزبار	234
محمد بن قدري الجزائري	28
محمد بن مصطفى بن الخوجة	213-199-70-69-48
محمد بن هني	66

محمد بن يلس	233-221
محمد بن يوسف أطفيش	442-433-420-419-403-288-135
محمد بوقندورة	186
محمد بيراز (أبو بويراز)	384-312-309
محمد بيرم الخامس	285-66
محمد تاتبينت	66
محمد جابر آل صفا	274
محمد حربي	63
محمد رستم حيدر	275
محمد رشاد الخامس	389-384
محمد رشيد رضا	-200-190-176-129-113-70-66 423-385-333-273-209-201
محمد سعيد الباني	245
محمد سعيد بن زكري	186-65-46
محمد سعيد بن علي الجزائري (الأمير)	-360-335-334-297-283-260-211 -371-370-369-365-364-363-362 414-413-412-411-410-374-372
محمد شرعي باشا	298
محمد صوالح	73
محمد عبد الرحمن الديسي	386
محمد عبده (الإمام)	-186-184-134-110-108-71-66 -396-382-201-199-198-190-189 426-403
محمد عبود	269
محمد علي باشا	-314-308-134-132-128-110-43 325
محمد علي دبوز	442
محمد علي شرفاوي	228

محمد علي كرد	136-204-206-242-246-250-329-343
محمد علي مسلم	267
محمد عليش	208
محمد فريد بك	66-111-192-193-215-216
محمد محفوظ	261
محمد مزيان التلمساني	301-310-312
محمود أبي الشامات	124
محمود شوكت	305
محمود نديم باشا	296
محي الدين باشا بن عبد القادر	235-269-295-296-345-360-437
محي الدين باشتارزي	193-194
محي الدين بن مصطفى الحسني	234
مخائيل عبد المسيح	111-134
مخنان طارق	38
مدحت باشا	132-240-265-304-324-329-388-392
مرسلي الطيب	62-73-77
مسعود الكواكبي	269
مشيلان (Michelin)	88
مصطفى الأشرف	63-86-148
مصطفى الكبابطي	148-150-233
مصطفى باشا التركماني	138
مصطفى بن المكي بن باديس	59
مصطفى بن لكحل	186
مصطفى بوخريص	299
مصطفى بوضربة	57-58-186
مصطفى بومزراق	148

مصطفى حداد	46
مصطفى شرشالي	362
مصطفى عوني التفراوي	429
مصطفى كامل	288-213-111-110-109
مصطفى كمال أتاتورك	417-416-415-414-407-406-126
معين الماضي	273
مفدي زكريا	211
مكماهون آرثر هنري	410-117
المكي بن باديس	88-59
منشئ أفندي	269
المهاجري الطيب	183
المهدي السكلاوي	313-239-234-132-154
موسكا جيتانو	33
المولود ابن الموهوب	295-67-58-50-47
مولود بن صديق الحافظي	422-417-228-178
المولود بن محمد عمر الزريبي	422-178-70
موليير جون باتيست	137
ميتشل دينكن	32
ميراقليا	42
ميلران ألكسندر	77-50
– ن –	
نابليون الثالث	84
نابليون بونابارت	348
ناصر الشريف (خال الأمير فيصل)	376-373
ناصيف اليازجي	112
نجيب حداد	137
نجيب عازوزي	398-344-303

ندره المطران	281-269
نقولا بشارة	134
نوري الشعلان	377-374-373
نوري سعيد	413-377-374-365
نيادو فيجي داز	61
- هـ -	
هرتزل تيودور	125-123-122
- و -	
ولسن وودرو	312-49
- ي-	
يحي يخلف	289
يحيى بوعزيز	296
يحيى محمد حميد الدين (إمام اليمن)	422-421
يعقوب صروف	136-134-112
يوسف الدجوي	176
يوسف المغربي	232
يوسف النبهاني	176
يوسف رامي الدكتور	269
يوسف ستوان	304-269
يوسف سليمان حيدر	273
يوسف كرم	321-317

– فهرس الأماكن –

– أ –	
أدرنة	333
الأردن	105
أزمير	341-231-148
إسبانيا	435
استانبول	أغلب صفحات الموضوع.
الآستانة	415-413-385-384-304-280-278-275-274-273-215-114-112
إسرائيل	423
الإسكندرية	298-207-181-169-152-148-110-43
أضنة	348
الأغواط	164
آقبو	59
الألزاس	54
ألمانيا	384-363-354-308-306-304-298-125-116-51
أم البواقي	159
الإمبراطورية النمساوية المجرية	272-271
الأناضول	411-340-239-231-58
أندونيسيا	93
الأوراس	301
أوروبا	162-51
إيطاليا	433-431-428-421-400-381-353-345-332-300-158-51
– ب –	
باتنة	159

باريس	363-360-314-282-275-128-108-89-69-44
باكو	108
بال السويسرية	122
بجاية	159-102-43
البحر الأحمر	180-106
بحر العرب	106
البحر المتوسط	116
بحر عمان	106
البحرين	153-133
برج بوعريرج	167-159
برلين	386-383-355-354-308-307-306
بروسة	411-381-365-364-315-231-58
بريطانيا	-165-126-124-121-120-118-116-115-113-94 414-395-375-366-323-184
بسكرة	301-237-229-162-60-56
البصرة	113
بغداد	289-152
بلاد الجريد التونسي	237
بلاد الشام	أغلب صفحات الموضوع
بلاد القبائل	155
بلغاريا	333
البلقان	395-394-353-332-124
البليدة	193
بنزرت	323
بنغازي	352
بني يزجن	234
بوزريعة	62
بولونيا	73

بيروت	43-112-113-135-137-152-154-160-234-277-318-333-350-351
- ت -	
تبسة	296-425
تركيا	أغلب صفحات الموضوع
تطوان	355-359
تلمسان	43-56-59-67-102-150-159-174-190-431
تنس	146
تونس	47-51-67-100-153-155-157-168-180-181-184-191-215-235-296-300-307-353-399-424-425-426-429-430-435-449
- ج -	
جبل الدروز	369-370
جبل عامل	320
الجزائر	أغلب صفحات البحث
الجليل	164-323
جنيف	306-354-383-386
- ح -	
الحبشة	148
الحجاز	أغلب صفحات الموضوع.
حلب	164
حلوان	173
حماه	139-273
حمص	139
حمورية	222
حوران	165-222-323-366
حيفا	117-165-223

- خ -	
خليج البصرة	107
الخليج العربي	130-117
الخليل	223-164
- د -	
الدار البيضاء المغربية	381
درعا	221
دمشق	أغلب صفحات الموضوع.
الدوايمة	223
الدولة العثمانية	أغلب صفحات الموضوع
دوما	221
دير العصافير	221
- ذ -	
ذراع الميزان	362
- ر -	
روسيا	413-396-345-324-119
- ز -	
الزواوة	240
- س -	
استوكهولم	311
سالونيك	348
سبدو	160
سطيف	448
سقبا	221
سكيكدة	61
السودان	444-121-107

سورية	أغلب صفحات الموضوع
سوق اهراس	425
السويد	311
السويس	181-125-114
سويسرا	311
سيدي بلعباس	431
سيدي عقبة	229-162
سيدي فرج	44
- ش -	
شبه الجزيرة العربية	114-107-106
شرشال	58
- ص -	
صقلية	199
صيدا	318-113
- ط -	
الطاهير	61
طبرية	164
طرابلس الشرق	113
طرابلس الغرب	434-432-431-427-351-309-304
طنجة	357-356-355
طولقة	237
- ع -	
عدن	153
العراق	232-158-130-122-121-119-118-114-106-55-444-332-324-303-274
العقبة	375-365
عكا	223-117

عمّان	233
عنابة	425-72
عين التوتة	301
عين كرم	223
- غ -	
غاليا القديمة	82
غرناطة	407
غزناية المغربية	359
غوطة دمشق	221-164
- ف -	
فاس	314-153
فرنسا	أغلب صفحات الموضوع
فلسطين	أغلب صفحات الموضوع
- ق -	
القابون	222
القاهرة	416-413-410-362-277-185-152-133
القدس	245-223-221-152-123
القسطنطينية	305-237-264-114
قسنطينة	-155-102-99-88-84-69-67-61-59-58-56-43 449-447-446-434-431-430-234-213-159
قلعة الأزرق	3376-373-368-367
القيطنة	234
- ك -	
كاليدونيا الجديدة	230
الكويت	154-134
- ل -	
البويرة	224-155

اللاذقية	165
لبنان	43-106-119-134-135-137-138-159-162-295-304-370-409
لندن	44-314-413
اللورين	54
لوزان	310-353
ليبيا	119-180-193-296-301-325-332-345-348-352-354-360-381-385-427-428-429-431-432
الليفانت (Le Levant)	106
ليون الفرنسية	62
- م -	
متيجة	381
مدريد	355-357
المدية	58-89-194
المدينة المنورة	142-150-152-230-231-236-298-300-337-339-340-361
مراكش	435-436
مستغانم	230-239
مسقط	154
المشرق العربي	أغلب صفحات الموضوع.
مصر	أغلب صفحات الموضوع.
المغرب الأقصى	47-100-159-298-355-357-360-362-353-419-434-436-438-439
المغرب الأوسط	40
مكة	155-181-230-365-411
مليانة	57
- ن -	
ندرومة	56-59-159

نفطة	426
نولة (قرية)	225-223
- هـ -	
الهلال الخصيب	444-106
الهند	154-108-94
هولندا	94
- و -	
وادي سوف	425
وجدة المغربية	381-300
وهران	213-84
- ي-	
اليرموك	377-375-369-367
اليمن	421-348-332-115-114

– فهرس الدوريات والجرائد –

– أ –	
الإتحاد الإسلامي (جريدة)	235
الأخبار (جريدة)	166
أخبار الحرب (جريدة)	410
الإسلام (جريدة)	52-51
الإصلاح (جريدة)	449
الإقبال (نادي)	430
الإقدام (جريدة)	450-442-441-422-420-406
أم القرى (جريدة)	287
الأهرام (جريدة)	212-134
– ب –	
البرق (جريدة)	423
البرهان (جريدة)	343
البصائر (جريدة)	286-215
البلاغ (جريدة)	214
البوستة (صحيفة)	234
بيروت (جريدة)	261
– ت –	
التقدم (جريدة)	415
– ث –	
ثمرة الفنون (صحيفة)	170-152
– ج –	
الجريدة (جريدة)	111
الجنان (صحيفة)	112
الجوانب (صحيفة)	284-112

- ح -	
حبيب الأمة (جريدة)	428
حديقة الأخبار (صحيفة)	112
الحضارة (جريدة)	294-287-286
الحق الوهراني (جريدة)	399-160
الحق يعلو (جريدة)	215
الحق (جريدة)	285
- ذ -	
ذو الفقار(جريدة)	98
- ر -	
الراشدي (جريدة)	89-52
الرأي العام (مجلة)	215
الرسالة (مجلة)	211
الرائد التونسي	426
- س-	
سبيل الرشاد (جريدة)	428
- ش -	
الشعب المصرية (جريدة)	215
الشهاب (مجلة)	449-286-203
الشورى (مجلة)	212
- ص -	
صدى الجزائر (مجلة)	281
الصديق (مجلة)	449-422-321
الصراط المستقيم (مجلة)	109
صوت الأهالي (جريدة)	53
صوت المستضعفين (جريدة)	73-53

– ع –	
عالم الإسلام (مجلة)	152
العالم الإسلامي (مجلة)	285-109
العروة الوثقى (مجلة)	186-185
العصر الجديد	285
– ف –	
الفاروق (جريدة)	401-400-98
الفتح (مجلة)	214-212-211
فرنسا الإسلامية (جريدة)	166
– ق –	
القبس (جريدة)	215
القبلة (جريدة)	343-288-287-231-215
– ك –	
كوكب افريقيا (جريدة)	68
كوكب الشرق (جريدة)	214
– ل –	
"ليكو دوران" (L'écho D'oran) (صحيفة)	167-159
لديباش ألجريان (La Dépêche Algérienne) (جريدة)	404-156
اللواء المصرية (جريدة)	288-214-191
لوطان (Le temps) (صحيفة)	186-159
ليكو دالجي (L'écho d'Alger)	182
– م –	
المبشر (جريدة)	213-165-96-68
المشكاة (جريدة)	215

مصر (صحيفة)	111
مصر القبطية (جريدة)	134
المعلومات (صحيفة)	169-152
المغرب (مجلة)	310
المفيد (جريدة)	285
المقتبس (جريدة)	343
المقتطف (صحيفة)	211-112
المقطم (جريدة)	134-112-111
من أجل الوطن، من أجل الحقيقة (مجلة)	435
المنار (مجلة)	212-209-200-189-186-185-184
المنتقد (جريدة)	449
المنهاج (مجلة)	289
المهاجر (جريدة)	297-284-283-235-206-164-152
المؤيد (جريدة)	427-298-214-152-135
- ن -	
نزهة الأفكار (جريدة)	134
- هـ -	
النجاح (جريدة)	417
الهداية الإسلامية (مجلة)	288
الهلال (مجلة)	399-109
- و -	
وادي النيل (جريدة)	134
وادي ميزاب (جريدة)	420
الوطن القبطية (صحيفة)	134-111
الوقائع المصرية (جريدة)	134

– فهرس الجمعيات والمؤتمرات والهيئات والأحزاب السياسية –

– أ –	
الإتحاد الإسلامي (جمعية)	397-302
الإتحاد المغربي (المغاربي (جمعية)	298
الإتحاد والترقي (جمعية)	112-124-126-162-269-270-274-275-276-305-331-340-361-386-387-403
الأحمدية (مكتبة)	243
الإخاء العربي–العثماني (جمعية)	269-273
الإخاء العلمي (جمعية)	448
الأخوة والمساعدة والدعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين (جمعية)	297-304
الأزهرية (مكتبة)	137
أم القرى (جمعية)	106
الأميرية (مطبعة)	341
الأوقاف (مكتبة)	243
– ب –	
بلفور (معاهدة)	414-423
بيت الخطابة (مكتبة)	243
بيروت السرية (جمعية)	113
– ت –	
الترقي (نادي)	448
تركيا الفتاة (جمعية)	51-122-276-339
التقدم (نادي)	90
التيار الإندماجي المتفرنس	44
تيار الرابطة العثمانية	109
تيار الوطنية الإقليمية	110
التيجانية (طريقة صوفية)	230

– ث –	
الثمرية العربية (جمعية)	273
– ج –	
الجوهرية (مدرسة	173
الجامع الأخضر	70
جامع الأزهر	47-131-160-172-173-208-228-229-233-298-416
الجامع الجديد	68
جامع الزيتونة	47-174-179-208
جامع القرويين	47-67-173-208
جامع سيدي عبد الرحمن	76
الجامعة العربية (جمعية)	114
الجمعية الصادقية	446
الجزائر الفتاة (حزب)	444
الجقمقية (مدرسة)	313
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	445-446
الجمعية التاريخية	128
الجمعية التعاونية	90
الجمعية التوفيقية	90-431
الجمعية الخيرية الإسلامية	128-265-295-305-447
الجمعية الخيرية الإسلامية لإيالة الجزائر المحمية	164-296
الجمعية الراشدية	90
الجمعية السورية	112-136
– ح –	
الحبال (مدرسة)	240
حركة أحباب البيان والحرية	45
حركة الشبان الجزائريين	49-51-55-61

الحركة المهدية	121
حلوان (مدرسة)	173
الحركة الوهابية	336-314
حبوس الحرمين (جمعية)	196
الحزب الوطني	190-111
الحزب الحر الدستوري التونسي	442
حقوق الملة العربية (جمعية)	113
حلقة دمشق الصغرى (تنظيم ثقافي – سياسي)	329-267
حلقة دمشق الكبرى (تنظيم ثقافي)	266
– خ –	
الخالدية (مكتبة)	245-242
الخانكية (مدرسة)	241
الخياطين (مكتبة)	243
الخديوية (مدرسة)	173
– د –	
دار الحديث الأشرفية	239-131
دار القراءة الصابونية	131
دار القرآن والحديث التنكيزية	131
الدفاع عن إفرقيا العربية (جمعية)	297
– ر –	
الراشدية (جمعية)	446
الريحانية (مدرسة)	239
راس التين (مدرسة)	173
– ز –	
زاوية اليولي	65
زاوية سيدي عبد الرحمن الثعالبي	67

زاوية شلاطة	59
زهرة الآداب (جمعية)	128
الزاوية الخضيرية	239
– س –	
سايكس-بيكو (معاهدة)	414
السباغورشيه (مدرسة)	240
السباهية (مدرسة)	240
السعدية (مدرسة)	173
سيفر (معاهدة)	414
سليمان باشا العظم (مكتبة)	243
السليمانية (مدرسة)	241
السنوسية (طريقة صوفية)	323-314
– ش –	
الشاذلية (طريقة صوفية)	230
الشامية (مدرسة)	241
الشباب الجزائري (نادي)	90
الشرفاء (جمعية)	299-298
الشميصانية (مكتبة)	244
– ص –	
صالح باي (نادي)	447-90-68
الصالحية (مدرسة)	241
الصراغماشية (مدرسة)	173
الصمادية (زاوية)	232
– ظ –	
الظاهر بيبرس (مدرسة)	245
الظاهرية (مكتبة)	328-245-243-242-137

- ع -	
العربية الفتاة (جمعية)	444-344-335-323-277-275-114
العروة الوثقى (جمعية)	380-108
العلم الأخضر (جمعية)	332-280
عصبة الأمم	50
العلمية السورية (جمعية)	112
العمامات الشابة	45
العمامات القديمة	45
العمرية (مدرسة)	243
عنبر (مدرسة)	330-250
العهد (جمعية)	-349-333-332-279-278-273-117 359
- ف -	
فدرالية المنتخبين الجزائريين	54
فدرالية المواطنين الفرنسيين من أصل مسلم	53
الفنون الطبية (جمعية)	128
- ق -	
قانون سيناتوس كونسيلت	81
القحطانية (جمعية)	349-332-278-273-272-114
- ك -	
الكتلة النيابية العربية (جمعية)	114
الكزبري (مكتبة)	243
الكلية السورية الإنجيلية (جامعة)	133
كلية مار يوسف الكاثوليكية (جامعة)	133
- ل -	
اللامركزية الإداري العثماني (حزب)	328-281-277-276

– م –	
المباركة الكويتية (مدرسة)	133
مجاهدي إفريقيا الشمالية (جمعية)	298
مجلس النواب العثماني (المبعوثان)	114
المجمع العلمي الشرقي (جمعية)	136-128
المجمع العلمي العربي (جمعية)	251-250-137
المدرسة الباديسية	70
المسجد النبوي	174
مدرسة ترشيح المعلمين	73
المدرسة الرسمية الثعالبية	99-68
مدرسة الشبيبة الإسلامية	339-288
المسجد الحسيني	176
مدرسة الكتانية	68
المرادية (مكتبة)	243
المسجد الأموي	315-313-233-177-172
مسجد السفير	68
المشرقية (مكتبة)	137
المشرقية (جمعية)	112
مصر الفتاة (حزب)	321-51
المطبعة الجزائرية الإسلامية	99
المقاصد الخيرية (جمعية)	328-128
الملا عثمان الكردي (مكتبة)	243
المغيريبة (مدرسة)	241
المنتدى الأدبي (جمعية)	333-332-273-272-114
مهاجري شمال افريقيا (جمعية)	297
المهاجرين الأفارقة (جمعية)	306
المؤتمر العربي الأول	281

– ن –	
النجاح (مطبعة)	99
نجم شمال إفريقيا	444-211-86
النهضة العربية (جمعية)	340-338-331-330-268-164
– هـ –	
الهامل (زاوية)	231
الهلال (جمعية)	90
– و –	
ودادية العلوم الجديدة (جمعية)	90
ودادية المسلمين (نادي)	431
– ي –	
الياغوشية (مكتبة)	244

– فهرس الموضوعات –

مقدمة.	-07-
الفصل الأول: مدخل مفاهيمي حول النخبة الجزائرية	
تمهيد.	-22-
أولا: التأصيل المفاهيمي لمصطلح النخبة.	-23-
I. المفهوم اللغوي والاصطلاحي.	-26-
1.I. المفهوم اللغوي.	-26-
2.I. اصطلاحا.	-29-
II. خصائص ومميزات النخبة.	-31-
III. نماذج نخبوية.	-32-
1.III. النخبة السياسية.	-32-
2.III. النخبة الدينية.	-34-
3.III. النخبة الثقافية.	-37-
ثانيا: النخبة الجزائرية (الواقع والملامح).	-40-
I. النخبة الجزائرية بين المفهوم والدلالة.	-40-
II. مظاهر النخبة الجزائرية وملامحها نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.	-45-
1.II. النخبة المعرّبة.	-46-
2.II. النخبة المتفرنسة.	-50-
III. الاتجاهات الفكرية للنخبة الجزائرية وانتماءاتها الاجتماعية.	-55-
1.III. أصولها وانتماءاتها الاجتماعية.	-56-
2.III. مرجعياتها الفكرية والسياسية.	-62-
خلاصة الفصل.	-78-
الفصل الثاني: الأوضاع العامة في الجزائر والمشرق العربي نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م	
تمهيد.	-80-
أولا: في الجزائر.	-80-
I. الوضع السياسي والإداري.	-80-

1.I. النظام الإداري والقضائي.	-81-
2.I. الوعي السياسي ومظاهره لدى النخبة الجزائرية.	-86-
II. الوضع الثقافي.	-91-
1.II. السياسة التعليمية.	-91-
2.II. الصحافة.	-96-
3.II. الطباعة.	-99-
4.II. المسرح.	-100-
III. الوضع الاقتصادي والاجتماعي.	-100-
1.III. الوضع الاقتصادي.	-101-
2.III. الوضع الاجتماعي.	-103-
ثانيا: في المشرق العربي.	-106-
I. الأوضاع السياسية.	-107-
1.I. التيارات السياسية في المشرق العربي.	-107-
2.I. التواجد العثماني في المشرق العربي وانعكاساته على المنطقة.	-114-
3.I. الاستعمار الغربي في المنطقة وظهور المقاومة.	-119-
II. الوضع الثقافي.	-127-
1.II. النهضة الفكرية.	-127-
2.II. التعليم.	-130-
3.II. الصحافة.	-134-
4.II. المسرح.	-136-
III. الوضع الاقتصادي والاجتماعي.	-137-
1.III. الوضع الاقتصادي.	-137-
2.III.الوضع الاجتماعي.	-139-
خلاصة الفصل.	-141-
الفصل الثالث: جسور التواصل الفكري والحضاري بين النخبة الجزائرية والمشرق العربي، وموقف السلطة الاستعمارية منه	
تمهيد.	-143-
أولا: الهجرة.	-143-

I. أسباب الهجرة.	-144-
1.I. السياسة الاستعمارية.	-144-
1.1.I. الاستيطان.	-145-
2.1.I. التجنيد الإجباري.	-146-
2.I. فتاوى العلماء.	-148-
3.I. الدعاية العثمانية وحركة الجامعة الإسلامية.	-150-
II. تداعيات الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي وآثارها.	-152-
1.II. خصائص ومميزات الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي.	-152-
1.1.II. الهجرة خلال القرن 19م.	-152-
2.1.II. خلال القرن 20م.	-158-
2.II. وجهات المهاجرين.	-159-
3.II. المكانة الاجتماعية للمهاجرين.	-161-
III. موقف فرنسا الاستعمارية من الهجرة.	-164-
1.III. علاقة فرنسا بالمشرق.	-164-
2.III. سياسة فرنسا اتجاه الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي.	-165-
ثانيا: الزيارات والرحلات العلمية.	-170-
I. زيارات الجزائريين للمشرق.	-170-
1.I. الرحلة العلمية.	-171-
2.I. زيارة الأماكن المقدسة.	-178-
II. زيارة المشارقة للجزائر.	-182-
1.II. زيارة العلماء.	-182-
1.1.II. زيارة محمد عبده.	-183-
2.1.II. زيارة محمد فريد بك.	-189-
2.II. زيارة الفرق المسرحية والفنية.	-191-
III. موقف الإدارة الاستعمارية من الزيارات.	-193-
1.III. مراقبة الطلبة.	-193-
2.III. التضييق على الحجاج.	-194-

ثالثا: المراسلات.	-197-
I. المراسلات الإخوانية.	-197-
1.I. بين النخبة الجزائرية والنخبة المشرقية.	-198-
2.I. بين المهاجرين الجزائريين وأهاليهم.	-206-
II. المراسلات الاستشارية.	-207-
1.II. الاستشارات الدينية.	-207-
2.II. القضايا السياسية.	-209-
III. موقف السلطات الاستعمارية من المراسلات.	-212-
1.III. مراقبة البريد.	-212-
2.III. التضييق على الصحف المشرقية.	-213-
خلاصة الفصل.	-215-
الفصل الرابع: النشاط الفكري والإصلاحي للجزائريين في المشرق العربي	
تمهيد.	-218-
أولا: وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية.	-219-
I. في بلاد الشام.	-220-
1.I. مناطق تمركز وانتشار أشهر العائلات الجزائرية في بلاد الشام.....	-220-
2.I. مظاهر التلاحم لدى الجزائريين في بلاد الشام.	-223-
II. النخبة الجزائرية في مصر وموقف السلطات الفرنسية الاستعمارية منها.	-224-
1.II. خصائص ومميزات النخبة الجزائرية في مصر.	-224-
2.II. وضعية الطلبة الجزائريين في جامع الأزهر مطلع القرن العشرين.	-226-
3.II. موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية من النخبة الجزائرية المثقفة بالعربية في مصر.....	-228-
III. في الحجاز.	-229-
IV. في استانبول.	-231-
ثانيا: النشاط العلمي والتربوي للجزائريين في المشرق العربي.	-232-
I. الفئات النخبوية الجزائرية في المشرق العربي، وإسهاماتها الفكرية والعلمية.	-233-
1.I. الفئة الأولى من العلماء (النصف الثاني من القرن 19م).	-233-
2.I. الفئة الثانية (مطلع القرن 20م).	-234-
II. دور الجزائريون في دعم الحركة التعليمية في المشرق العربي (طاهر الجزائري أنموذجا).....	-239-

1.II. جهود طاهر الجزائري في إنشاء المؤسسات التعليمية.	-240-
2.II. مجالات الإصلاح التعليمي لدى طاهر الجزائري وأساليبه.	-247-
3.II. أساليبه التربوية.	-249-
III. دراسة في المنهج العلمي والفكري للنخبة الجزائرية في المشرق (طاهر الجزائري أنموذجا)...	-251-
1.III. منهجه في التعليم والتأليف.	-252-
2.III. منهجه في إصلاح العقيدة.	-253-
IV. الإسهام الفكري والعلمي للجزائريين في المشرق العربي.	-260-
ثالثا: النشاط الثقافي والأدبي للجزائريين في المشرق العربي.	-264-
I. نشاط الجزائريين ودورهم في الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية.	-265-
1.I. الجمعية الخيرية الإسلامية.	-265-
2.I. حلقة الفكر والأدب الكبرى.	-266-
3.I. حلقة دمشق الصغرى.	-267-
4.I. مشاركة الجزائريين في الجمعيات النشطة بالمشرق العربي.	-268-
II. النشاط الصحفي والأدبي للجزائريين بالمشرق.	-282-
1.II. النشاط الصحفي والإعلامي	-282-
2.II. النشاطات الأدبية والفنية	-288-
خلاصة الفصل	-290-
الفصل الخامس: النشاط السياسي والعسكري للجزائريين في المشرق العربي	
تمهيد	-293-
أولا: النشاط السياسي للجزائريين في المشرق العربي	-293-
I. النشاط السياسي للجزائريين في إطار حركة الجامعة الإسلامية	-294-
1.I. الجزائريون أول من نادى بالتضامن الإسلامي	-294-
2.I. النشاط السياسي الجمعوي للجزائريين الداعم لتيار الجامعة الإسلامية.	-295-
3.I. النضال الوحدوي المغاربي للجزائريين في المهجر ضمن تيار الجامعة الإسلامية.	-301-
1.3.I. نشاط الجزائريين ضمن الجمعيات المغاربية المساندة لتيار الجامعة الإسلامية.	-302-
2.3.I. نشاط الجزائريين ضمن محور (استانبول-جنيف-برلين) خلال الح.ع.I.....	-306-
II. النشاط القومي العربي للجزائريين في المشرق العربي.....	-313-

1.II. المشروع القومي لدى الأمير عبد القادر (1877-1883).	-314-
2.II. نشاط الجزائريين ودورهم في تبلور الوعي القومي العربي في المشرق.	-326-
ثانيا: النشاط العسكري للجزائريين في المشرق العربي.	-344-
I. نماذج عن النشاط العسكري للجزائريين تحت لواء الدولة العثمانية.	-346-
1.I. النشاط العسكري لسليم الجزائري.	-347-
2.I. دور الأمير علي في الحرب الإيطالية-الطرابلسية 1911.	-350-
3.I. نشاط الأمير عبد المالك وثورته في المغرب.	-355-
II. النشاط العسكري للجزائريين الداعم للقومية العربية.	-359-
1.II. محاولات جزائرية ثورية ضد الأتراك الطورانيين.	-359-
2.II. النشاط العسكري للجزائريين الداعم لثورة الشريف حسين ضد الأتراك (1916-1918).	-361-
1.2.II. نشاط الأمير عبد القادر (الحفيد) في ثورة الشريف حسين.	-363-
2.2.II. إعلان الأمير سعيد الاستقلال العربي في بلاد الشام باسم الشريف حسين.	-370-
خلاصة الفصل.....	-377-
الفصل السادس: مواقف النخبة الجزائرية بالمشرق العربي واهتماماتها العربية والإسلامية	
تمهيد.	-379-
أولا: قضايا الدولة العثمانية والمشرق العربي.	-379-
I. مسألة الخلافة وموقف النخبة الجزائرية منها.	-379-
1.I. العاطفة العثمانية لدى النخبة الجزائرية قبل سقوط الخلافة.	-380-
2.I. نماذج من تضامن النخبة الجزائرية مع الدولة العثمانية.	-382-
II. مواقف النخبة الجزائرية وآراؤها في المسألة الشرقية.	-390-
1.II. المسألة الشرقية في اهتمامات النخبة الجزائرية.	-390-
2.II. موقفهم من حركة الجامعة الإسلامية.	-395-
3.II. موقفهم من جمعية الاتحاد والترقي	-403-
4.II. موقفهم من ثورة الشريف حسين ضد الأتراك (1916-1918).	-406-
III. موقف النخبة الجزائرية من سقوط الخلافة العثمانية والتنديد بالاستعمار الغربي في المشرق العربي.	-413-

1.III. موقفها من سقوط الخلافة العثمانية.	-413-
2.III. التنديد بالاستعمار الغربي في المشرق العربي (الانتداب الأوربي على المنطقة).	-419-
ثانيا: مواقفها واهتماماتها المغاربية.	-423-
I. القضية التونسية.	-423-
II. القضية الليبية.	-426-
III. القضية المغربية.	-432-
ثالثا: القضية الجزائرية والحركة الوطنية.	-435-
I. دعم القضية الجزائرية.....	-435-
1.I. دعم الأمير محي الدين باشا للمقاومة في الجزائر.....	-436-
2.I. موقف الأمير خالد من الأحداث في الجزائر، ودوره المحوري في الحركة الوطنية.	-436-
II. تداعيات نشاطات الجزائريين في المشرق العربي على الحركة الوطنية الجزائرية.....	-443-
1.II. ظهور الجمعيات والنوادي.....	-443-
2.II. توسيع النشاط الصحفي.....	-448-
3.II. ظهور التنظيمات الطلابية.....	-449-
خلاصة الفصل.....	-451-
الخاتمة.....	-452-
الملاحق	
أولا: ملحق الوثائق والنصوص والخرائط.....	-460-
ثانيا: ملحق الصور العامة والشخصيات.....	-503-
البيبليوغرافيا.....	-519-
الفهارس	
أولا: فهرس الأعلام.....	-561-
ثانيا: فهرس الأماكن.....	-583-
ثالثا: فهرس الدوريات والجرائد.....	-591-
رابعا: الجمعيات والمؤتمرات والهيئات والأحزاب السياسية.....	-595-
خامسا: فهرس الموضوعات.....	-602-

الملخص (بالعربية):

سعت فرنسا منذ احتلالها للجزائر سنة 1830 إلى فصلها عن بلاد المشرق العربي بشتى الوسائل، فأصبح الجزائريون بفعل عامل الإرهاب والقهر، يشدون الرحال فرادى وجماعات اتجاه الحدود هربا بدينهم ولغتهم، وحفاظا على ما بقي لهم من المقومات الأخلاقية والعادات، وكان في مقدمة هؤلاء رجال العلم والأدب والصّحافة والسّياسة والدّين، وبالنظر إلى الأحداث التي كان يعيشها العالم العربي الإسلامي نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م، استطاعت نخبة من الجزائريين في المشرق أن تلعب أدوارا مهمة وبارزة في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والعلمية والفكرية والأدبية ..، وساهمت إلى حدّ كبير في بعث وتأسيس أحزاب وطنية وإنشاء الصحف المعبرة عنها والحاملة لأفكارها.

الكلمات المفتاحية: الدور– النخبة الجزائرية – المشرق العربي – النهضة العربية – القومية العربية – الجامعة الإسلامية.

Abstract (en Anglais):

Since its occupation of Algeria in 1830, France has sought to separate it from the countries of the Arab Levant by various means, so the Algerians have become, by the act of terror and oppression, pulling individual and group travels towards the borders free by their religion and language, in order to preserve what remained of their moral foundations and customs. Journalism, politics, and religion, and in view of the events that the Arab Islamic world was going through at the end of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century, a group of Algerians in the Arab East were able to play important and prominent roles in various political, military, scientific, intellectual and literary fields ... and contributed greatly to the resurrection The establishment of national parties and the establishment of newspapers that express them and bear their ideas.

Key words: The role - The Algerian elite - The Arab east - The Arab renaissance - Arab nationalism - The islamic university.

Résumé (en Français):

Depuis son occupation de l'Algérie en 1830, la France a cherché à la séparer des pays du Levant arabe par divers moyens, de sorte que les Algériens sont devenus, par l'acte de terreur et d'oppression, entraînant les voyages individuels et collectifs vers les frontières libres par leur religion et langue, afin de préserver ce qui restait de leurs fondements moraux et de leurs coutumes. Journalisme, politique et religion, et au vu des événements que traversait le monde arabo-islamique à la fin du XIXe siècle et au début du XXe siècle, un groupe d'Algériens du l'Orient arabe a pu jouer un rôle important et important. Et a grandement contribué à la résurrection La création de partis nationaux et la création de journaux qui les expriment et portent leurs idées.

Les mots clés : Le rôle - L'élite Algérienne - L'Orient arabe - La renaissance arabe - Le nationalisme arabe - L'Université islamique.